

2020

8.1.2020

عافى يحاوي



أحياء الشجر

البرودي والزهاوي وشوقي
وحافظ والصافي والجواهري



الشرق

إحياء الشعر

البارودي والزهاوي وشوقي وحافظ والرصافي
والجواهري

عارف حجاوي





mohamed khatab

إحياء الشعر

الفهرسة أثناء النشر - إعداد دار المشرق

حجاوي، عارف

إحياء الشعر: البارودي والزهاوي وشوقي وحافظ

والرصافي والجواهري/ عارف حجاوي.

٦٣٩ ص.

١. شعر. أ. العنوان.

???

«الآراء التي يتضمنها هذا الكتاب لا تعبر
بالضرورة عن وجهة نظر دار المشرق»

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لدار المشرق
الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠١٨

دار المشرق

القاهرة - المعادي - شارع المعراج

almashriq.books@gmail.com

أبواب الكتاب

٧ مقدمة وعرفان
١٧ محمود سامي البارودي (١٨٣٩م - ١٩٠٤م)
٧٧ جميل صدقي الزهاوي (١٨٦٣م - ١٩٣٦م)
١٣٩ أحمد شوقي (١٨٦٨م - ١٩٣٢م)
٤٠٣ حافظ إبراهيم (١٨٧١م - ١٩٣٢م)
٤٨٥ معروف الرصافي (١٨٧٥م - ١٩٤٥م)
٥٥٩ محمد مهدي الجواهري (١٩٠٢م - ١٩٩٧م)
٦٢١ فهرس القوافي العام

مقدمة

نفخ البارودي في صورهِ وأقام الشعر العربي من قبرهِ، فنهض يفرك عينهِ،
ولبس جبته، واعتجر عمامته وركب ناقته.
لا، ليس كذلك بالضبط.

أريد أن أدخل إلى أشعار هذا العصر من باب أكاديمي، ولو على سبيل
التغيير. هذا العصر الذي يتناول كتابنا أشعاره عصر قريب منا، بعضنا عاشه،
وكلنا عايشه. فأخر من تناولنا من شعراء هذا العصر توفي عام ١٩٩٧، وله
حضور قوي بصوته وصورته، ذلك هو الجواهري. وكل شعرائنا في هذا
الكتاب - وهو الكتاب الرابع من سلسلة الزبدة - ماتوا في القرن العشرين.
وسترى أننا في الكتاب الخامس والأخير سنعرض لشعراء ماتوا جميعاً في القرن
العشرين أيضاً. سيعترض أحدهم قائلاً: ما أراك جعلت القرن العشرين في
كتابين إلا لأن المادة كثرت عليك، فلم يكن لك بد من القسمة. في هذا
الاعتراض شيء من الحق. وليس كل الحق.

سأقع القارئ بأن ثمة فارقاً بين هذا الكتاب الرابع، وبين الخامس الذي
سيبعه. ومن هنا التمت مدخلاً أكاديمياً. والكلمة المفتاح هنا هي الكلاسيكية.

عندما انتصف إنتاج بيتهوفن ركبهُ عفريت «التعبير». صار يعبر في موسيقاه
عن الحنان والرقّة والغضب. تسمعه في سيمفونياته المتأخرة ويدك على مفتاح
الصوت حتى تخفضه خفصاً سريعاً عندما يجن جنون صاحبنا وتأخذ الأوركسترا
تصرخ بطبولها ونحاسها بغضب.. أنت لا تريد أن يدق لك ساكن الشقة
المجاورة على الحائط.

خرج صاحبنا من الكلاسيك إلى نمط جديد، سيسميه أهل الصناعة
«الرومنس».

الكلاسيك انضباط ووقار، والتزام بالأعراف الفنية في الشكل وفي المشاعر. والرومنس حرية في التعبير عن مكونات الفؤاد، وقسط من الحرية في الخروج عن الشكل المعروف.

في الشعر العربي أعراف راسخة من حيث الشكل، فالأوزان أوزان الخليل، واللغة لغة الخليل، فإذا أدخل الشاعر في قصيدته لفظة عامية فلا يكون ذلك إلا من باب النظر، وسرعان ما يستغفر آلهة اللغة ويعود إلى الفصحى المعجمية.

عندما «أحيا» البارودي الشعر العربي لم يخرج عن الكلاسيك، بل عاد به إلى زمن أوغل في القدم من زمن مجاليه. لا بل جعل معظم شعره مصبوحاً في قوالب الشعراء القدامى تقليداً في الشكل واللغة، ومجاراة في المعاني وطريقة سوقها.

الكلاسيك انضباط، والرومنس تحرر. لكن، حنانيك، الرومنس ليس فلتاناً. فيه تحرر عظيم في المشاعر وفي التعبير عنها، ولكنه يتخذ لنفسه ضوابط. فماذا لو مل الشعراء من الرومنس، وابتغوا التجديد؟

سأعديك إلى الموسيقى هنيهة. بعد بيتهوفن، الذي جاء عند مسمار المقص بين الكلاسيك والرومنس، أتحننا أهل الرومنس بموسيقى بديعة فسمعنا برليوز وتشايكوفسكي وبيزيه. ثم حدثت أشياء.

المشعوزون

في سنة ١٩٥٢ قُدمت على مسرح في نيويورك قطعة موسيقية غريبة اسمها ٣٣:٤. جلس العازف إلى البيانو، وصمتت القاعة. وضع العازف النوبة الموسيقية أمامه بعناية، وأخرج من جيبه ساعة وقف، وضغط على الزر. وظل جالساً أربع دقائق وثلاثاً وثلاثين ثانية، لم يلمس البيانو. ثم قام. هذه القطعة «الموسيقية» هي موسيقى بلا صوت. يقول «الموسيقار» جون كيج إن الموسيقى في قطعه تلك «ليست صوتاً منبعثاً من البيانو، بل هي همهمات الجمهور». فإذا كنت تملك حاسوباً وكان عندك إنترنت فاكتب ٣٣:٤ وستسمع تلك القطعة العبقرية. وستسمع أن الجمهور لم يهمهم ولا صنع شيئاً بل قعد مؤدباً وصدق للعازف، الذي لم يعزف، عندما قام - قامت قيامته - عن البيانو. ولك أن تسمع هذه الموسيقى الفريدة معزوفة - بغير صوت - على أوركسترا كاملة.

ولي مع هؤلاء الدجالين تجريتي الخاصة. كان ذلك في الإسكندرية في نحو عام ٢٠٠٩. وكان ملتقى إعلامياً - فنياً في شبه قرية سياحية قرب بحيرة مريبوط. حضر من لبنان بعض مشاهير الممثلين، حضرت نضال الأشقر وحضر روجيه عساف، ومن فلسطين حضرت ممثلة عن مؤسسة ببوس، ومن تونس حضرت فتاة لا أذكر اسمها، وكنت أمثل مؤسسة إعلامية عربية، وحضر من مصر كثيرون بالطبع؛ لكن المصيبة كانت لبنانية.

جرى نقاش حاد في إحدى الجلسات عن الأعمال الفنية وحظها من الظهور إعلامياً. وصعد الحاضرون رأسي بكلمات من قبيل الفضائات والمديات والإبداع والجديد وما بعد الجديد والحداثة والحراثة في السباح. فقلت في مداخلتي إن ما يهمني عرضه إعلامياً - وكنت أشغل موقع مدير البرامج في مؤسستي - هو الفن الذي يصل إلى الجمهور ويحمل قضية أو فيه على الأقل متعة، ويجعل المشاهد يشاهد. ولعلي أيضاً مسحت بلاط القاعة بتلك المصطلحات التي أراها بضاعة الضعيف. وانبرت لي الفتاة التونسية. تكلمت واقفة ومتشجعة، وشتت هجوماً عليّ كاد أن يكون شخصياً. ولأنها تصغرنى كثيراً فقد آثرت أن يكون ردي رد الشيوخ الهادئين المحتملين نزوات الشباب. وانتهت تلك الجلسة.

وقبل ختام المنتدى دعينا إلى حفل موسيقي. حملونا في حافلة كبيرة إلى وسط الإسكندرية. الفرقة لبنانية. وعلى المسرح أشياء عجيبة. وفي الصالة مجموعتنا الكبيرة، وراهبان، وبضعة أشخاص آخرين. وبدأ العزف. بدأ «العزف» على لوح فيه ترانزستورات وأسلاك ويصدر أصوات صعقات كهربائية مصحوبة ببعض الشرر، وهناك آلة نفخ في الزاوية تقول شيئاً واحداً أعنع أعنع. وفي الوسط مشار كهربائي راح يلوث الجو بضجيجيه. بدأ الناس ينسلون واحداً واحداً، وخرجت الراهبتان بعد نحو عشر دقائق. وصبرت أنا حتى أرى آخرتها. وانتهى العرض. ولا أتذكر إن كان الخمسة أو الستة الباقيون قد صفقوا.

في طريق العودة إلى متجعتنا كنت جالساً في الحافلة صامتاً. وسمعت من خلف ظهري الفتاة التونسية تقدم لي اعتذاراً.

وسأنقلك إلى الرسم حتى تكتمل لديك صورة الحداثة وما بعدها. لعلك تقف متأدباً أمام تلك اللوحات الخرايش؟ مؤكداً أن تقف متأدباً. أنا مثلك. لا أحب أن أقول للرسام: إلى الجحيم بك وبلوحاتك يا مشعوذ.

قد أحتمل سلفادور دالي، فلديه الريشة وجنون التعبير، ولديه الشكل. وقد أحتمل بيكاسو مع بعض التفسير. لكن فن الرسم أصبح شعوزة خالية من أي شكل ومن أي معنى، اللهم إلا تلك المعاني التي يجب أن يقولها لك الرسام، بيد أنك لا تراها في لوحته.

كلاسيك الكراسي

كنا في سن اليفاعه نشتغل في مشغل في الحي نقشش الكراسي بقشور الخيزران. القشة طولها نحو متر وعرضها مليمتران، ونسج القش في ست طبقات: الأولى عرضية بأجر قرشين، والثانية طولية بأجر قرشين، والثالثة موروبة قطرية بستة قروش، والرابعة تكرر للأولى بقرشين، والخامسة طولية بثمانية قروش (السبب أن القشة في هذه الطبقة يجب أن تفتح ما بين الأولى والرابعة)، والسادسة موروبة قطرية بستة قروش. ولربط القشة بالقشة طريقة معينة، ولا بد من بلّ القش بالماء باستمرار وشده شداً. ويخرج الكرسي بخلاياه السداسية المميزة آية في الجمال. كلاسيك. ثم أخذ أصحاب المقاهي يسترخصون، فيطلبون وضع قطعة من الخشب المعاكس، الأبلكاج، بدل القش، فيخرج الكرسي قبيحاً، وغير مريح. لكن، البشر تفتنوا في الكراسي، وإنك لتجد تصميمات بالعشرات للكراسي بتوقيع جماعة الباو هاوس المعمارية المشهورة، وفيها تفنن كثير، وبعضها يعتمد النقشيس الذي كنا نصنعه بالخلايا السداسية نفسها.

صادف في مدينة دارمشتادت بألمانيا ذات سنة أن كنت في جلسة لعب ورق مع الشباب العرب، وذكر صديقي المخضرم في البلد - كان في السنة السادسة عشرة من دراسته. - تلك ألمانيا التي كانت تبتلع الشاب العربي ابتلاعاً - أن له صديقاً ألمانياً يملك كراسي موروثه ثمينة ولكن للأسف! لقد تخرق القش عليها، ولا سبيل لتجديده لأن إنتاج هذا النوع من الكراسي توقف منذ زمن طويل. في اليوم التالي كانت الكراسي عندي في غرفتي، وجلبت القش الفرنسي الملائم، وبعد أيام كنت أدفع جيبي ببعض الماركات.

للكلاسيك رونقه. وأنت لا تطلب من الشعر أن يشبع معدتك، لا بد من الجمال، ولا بد للجمال من شكل، ومن ضوابط.

كتابنا هذا يضم الكلاسيك الجديد، وكتابنا المقبل يضم الرومنس المنضبط

عمودياً. فأما عندما خرج الشعر العربي إلى التفعيلة، وهذا نمط جميل وله انضباطه وإيقاعه الحلو، فقد اجترح فعلاً صائباً وكبيراً، وسيحتاج شعر التفعيلة إلى بضعة عقود كي تبرز قممه، فالزمن يغربل كل الأشياء. عندها سيكون الأمر، والعمر، قد خرج من يدنا. نعم، قد قصرنا جهودنا على الشعر العمودي التقليدي في هذه السلسلة الخماسية كلها.

شعراء الإحياء

كان البارودي يعيش طفولته وصباه في برج عاجي هو طبقته المتميزة عن بقية الناس. فهو من الجراكسة، ولكنه أتيح له أن يكون عربي اللسان، وأن يكون متعلقاً بالأدب منذ الطفولة. واتصل سريعاً بحماسة الشعر القديم. لم يدرس - لحسن حظه - المتون والحواشي، وعاش يقرأ الفصيح من كلام الفصحاء القدماء. وقلدهم. وليس البارودي طفرة بأي حال. ففي زمنه وقبل زمنه كانت الأشعار تجري على ألسنة الفصحاء. في لبنان نسمع مدائح الشعراء في أمراء الجبل، ونسمع أكثر ما نسمع تهادي الشعراء بقصائد المدح، وهذه القصائد من أركّ ما ورد في باب «الإخوانيات»، وفي مصر انتشر شعر الإخوانيات في غياب السلطان الذي يفهم الشعر أو يقدره. وطرق الشعر باب الهزل، والغزل، وباب الرقاعة.

لكنه لم يقيض للشعر رجل تلقى الفصاحة عن غير طريق حلقات المساجد حتى جاء البارودي. كان ضابطاً فوزيراً، وكان يشعر في أعماقه بأنه من حكام البلاد، وكان يعيش في بلد مستقل استقلالاً لا بأس به عن الدولة العثمانية وله جيشه ويملك إلى حد بعيد قراره، وكان نائراً عانى النفي الطويل. فجعله كل ذلك - الذي لم يتوفر لغيره - أكبر شاعر عربي في القرن التاسع عشر. زودته تجاربه الحربية ووضعه الطبقي بالشموخ، وزودته المعصية الثورية - المتمثلة في اشتراكه بعض الاشتراك في ثورة عرابي وما تلا ذلك سريعاً من العيشة القاسية في المنفى - برقة ومرارة وبعمق فهم للطبيعة البشرية.

لا، لم يقل البارودي للشعر العربي قم فقام. لكن ظروفه جعلته المرشح لاستهلال شعور العربي بذاته في عالم الشعر.

وفي العراق بدأ الزهاوي يقول الشعر في أواخر القرن التاسع عشر، لم يكن الزهاوي صاحب سيف، لكنه كان صاحب قلم وكتاب، وكان من كبار

المثقفين، وبدأ يشم ريح التحرر ضمن الدولة العثمانية مع الدستور، ١٩٠٨، ثم ربح الاستقلال السياسي للعراق مع الحكم الفيصلي، وكان مهادناً للإنجليز كمليكه. لكنه كان يشتاق إلى أن يتحرر العربي من الجهل ومن الأمية ومن الخرافات ومن حجب المرأة عن النشاط الاقتصادي والاجتماعي. كأنما لم ير الزهاوي أن الاستقلال السياسي سيكون شيئاً عظيم الأهمية في حضور الجهل والأمية والتخلف الاجتماعي. وستصدق السنين. وكالزهاوي في فكره كان الرصافي في العراق، مع اختلاف في المزاج، ومثلهما كان الجواهري في الفكر وفي أشواق الانعتاق من أسر التخلف؛ ولكنهم، ثلاثتهم، تمسكوا بالشكل الشعري الكلاسيكي. الأقدمان منهما كانا مع سهولة اللفظ، والجواهري ابن القرن العشرين ميلاداً كان أميل إلى اللفظة القديمة، وإن عاقه السير في طرق ملتوية لبلوغ المعنى الدقيق عن أن يبلغ صاحبيه في الفصاحة.

وفي مصر كان شوقي ابن ثقافة واسعة، وبيئة مرفهة. أحس في نفسه بشموخ واستقلال لأن أميره الذي يمدحه ابن بلده. نعم، قد مدح سلطان الدولة العثمانية ونال منه رتبة البكوية؛ لكن، كان له في مصر من دواعي الفخر الكثير، فبنى صرح فخره على صخر الفراعنة، وأحس بما في مصر من نهضة تبشر بعودة النهضة الأولى في عصر محمد علي، والثانية في عصر إسماعيل فافتخر بينك مصر وبما كانت مصر تعالجه من وضع دستور جديد وحياة سياسية نشطة. ورغم أن شوقي كان من كبار المثقفين، فلم يكن في جراءة الزهاوي. على أن ثقافة شوقي العريضة، وخياله الواسع، وتبحره في شعر القدماء فتحت له أبواب القول، فديوانه بستان. لم يجعله شعر البارودي - وهو أكثر شعر أثر في نفسه، على اختلافه في السياسة مع البارودي - ينظر نظرة مراجعة في مسألة تقليد القدماء. لا، بل مضى يصب الشعر في قوالبهم. لكن، ديوان شوقي ليس نمطاً واحداً، ففيه أشعار في أولاده، وفيه أناشيد للأطفال، وفيه تلك المسرحيات، التي جعلها ضعفة النقاد ميزته الكبرى. شوقي دنيا شعرية جميلة، وقد أنفقنا صفحات كثيرة معه في كتابنا، عرضنا فيها أحداث ذلك الزمن، وتتبعناها تبعاً من خلال شعره.

وقرين شوقي حافظ إبراهيم صوت شعري رنان. ولم يكن حافظ بأقل محافظة من شوقي. كان إمعة في مسائل الفكر والمجتمع، وكثير التحفظ في جانب السياسة، لا سيما بعد أن نال الوظيفة السمينية.

بثلاثة من مصر، وثلاثة من العراق قام الشعر العربي في القرن العشرين، وقبله بقليل، ليكون صوتاً لضمير أمة خرجت بعد أربعمئة سنة من القمم العثماني، وأخذت تفرك عينيها. ترى في هذا الشعر الأمة العربية تتوق إلى التقدم والاستقلال، وترى أيضاً أنها غير واثقة، وأنها لا ترى معالم الطريق الذي يؤدي إلى اللحاق بالأمم المتقدمة. أعاد شعراؤنا الستة إلينا بعض الثقة بأن لغتنا الفصحى لم تمت، فهي على ألسنتهم تترنم بشعر جميل. لكنهم أدركوا وأدركنا أن شعرهم شعر النخبة. فلئن كانت الفصحى لغة حبة وقادرة على أداء كل المعاني فإن عامة الناس لا يتقنونها، لا قولاً ولا فهماً، إلا بقدر.

حال بين الناس وبين إتقان الفصحى أن قواعد النحوية ليست كقواعد لهجاتهم، وأن مفردات اللغة الأدبية تختلف اختلافاً غير هين عما يستعملون من مفردات. وحال بينهم وبين شعر الفصحى الذي أتاهم به هؤلاء الرواد، علاوة على القواعد والمفردات، أن أوزان الشعر العربي خرجت من آذانهم منذ قرون. قال شوقي، فيما نقل إلينا، «أخشى على الفصحى من بيرم». واعترف الرصافي للملا عبود الكرخي الشاعر العامي بأن أشعاره العامية هي ما يفهمه الناس.

لكننا لا نقول إن الفصحى كائن لا ميرر لوجوده، ليس فقط لأننا نكتب هذه الأسطر بها، بل لأنها هي ما يجمع العرب. هذا مظفر النواب يعد نفسه شاعر العامية البغدادية، ويقول إنه لا يعرف العروض، ثم رأيناه في السبعينات، عندما دعت دواعي النضال والسياسة، يقول أشعاراً فصيحة موزونة على التفعيلة مع قليل جداً من التجاوزات، فيتسامع بشعره العالم العربي كله، ويخرج من ضيق بغداد إلى رحاب العالم العربي، ويعبر عن أوجاع العرب السياسية أحر تعبير وأقواه.

المعركة بين الفصحى والعامية مستمرة في مجال الشعر، وفي كل مجال.

عرفان

صحوت على موظفة المصرف تقول لي «البوليس». وبما أنني «صحوت» فلا شرطة ولا بوليس، هو كابوس. والذي فتح الباب للكابوس أمران: الأول أكلة دسمة شبت منها وبقيت في الطبق بقية، لا هي تصلح للشلابة، ولا أنا

أصلح أن أرمي طعاماً في كيس القمامة، فرميت بالباقي في معدتي. والثاني أنني كنت في المصرف فعلاً قبل هذه القيلولة الثقيلة.

للمرة الكذا يعيدون لي صكوك أجرة المنزل.. ويطلبونني لفرع المصرف كي أوقع أمامهم. لكن هذه المرة، وهي المرة الكذا، كانت مختلفة. أحيانى الموظف إلى الموظفة ذات الخال كي أسجل بضمتي في الحاسوب، فمنذ اليوم لن يُقبل منى أي توقيع. وعلى، أسوة بالحاجة فلانة والحاج فلان، أن أبصم بإبهامي الأيمن. وفرحت. وبعد طول استعلام، كانت المسألة قد وصلت إلى نائب المدير. وانشغل نصف موظفي المصرف بهذه القضية العجبية. (هذا ليس الكابوس، بل هو ما حدث فعلاً).

ثم تبين أن البصمة غير مقبولة في الصكوك.

أخذ نائب المدير بنفسه يدربنى على توقيع جديد. وتوقعى الجديد مثل القديم، هو كتابة اسمى ليس غير. لكننى مبتلى بمرض لم يكن مكتشفاً حتى ظهر اليوم: أنا لا أستطيع التوقيع مرتين بنفس الطريقة. وأنا عارف هذا الشيء عن نفسى، فقد واجهت مشكلات في معاملاتى في أكثر من مناسبة للسبب نفسه. لكن مصرفى الحالى أراد أن يداوينى. وبعد أن اتفقنا على صورة مبسطة جداً لكتابتى اسمى، أخذت أتدرب على ورقة وموظف الصندوق يرفع أمامى النموذج قبل أن يعتمد فى الحاسوب.

ثم وقعت. ثم ذهب الموظف إلى نائب المدير، ثم عاد وهو يمزق ورقة المعاملة. ومرة أخرى وقعت. وهذه المرة مشى المعاملة مع شفتين تتحركان من الموظف المرهق. وعندما ستكون لى معاملة مقبلة فسوف تتكرر المأساة.

لم أقل لأحد فى المصرف إننى كنت أعمل ذات سنة خطأ فى وزارة حكومية، تلك وزارة الدفاع فى الكويت فى أواخر السبعينات. ولم أقل لهم إننى رجل صحب القلم والورقة سنين طويلة قبل دخول الحاسوب فى حياتنا. فلم يكن ينقصهم المزيد من الأعاجيب فى تلك الظهيرة.

قواعد الخط العربى

القواعد فى الخط العربى مقيسة قياساً دقيقاً بالنقاط التى تضبط النسبة بين عرض القلم وحجم الحرف، وهى ترشد الخطاط حتى يكتب الحرف فى كل مرة بالكيفية نفسها. وتعلمت هذه القواعد وسرت عليها وأصبحت خطاطاً. لكن

علتي ليست في أصابعي فحسب، هي في عقلي أيضاً. والخطاط الجيد يضبط عقله ضبطاً محكماً فيسكب الحرف على وجه الورقة سكباً من قالب ذهني لا يتغير. وأقص هنا قصة عن خطاط لم أر أضبط من ذهنه، هو المرحوم عبد الغني الباشا، وكان لي زميلاً في القدس، يعمل خطاطاً في جريدة الشعب، وكنت فيها محرراً.

ذات يوم زرت صديقاً لي يعمل أستاذاً في مدرسة الأمة في ضواحي القدس. وبينما نحن نهبط الدرجات رأيت على مبعدة مجلات الحائط. قلت لصاحبي: تلك المجلة هل تراها! يبدو أن أحد الطلبة من أقارب الخطاط عبد الغني، فخطوط عناوينها بقلم عبد الغني. صاح بي الصديق: هذه خطوط بأقلام ملونة رفيعة، فلوماستر، وكيف حكمت من هذه المسافة أنها من خطوط عبد الغني؟ وعبد الغني أهم خطاط في القدس. وتحققنا من الأمر - ولم يكن بي حاجة للتحقق أصلاً - فتيقن صاحبي أنني على حق، وتعجب. فشرحت له أنني أميز خط الرجل ولو من حرف واحد. لكن أحداً لا يميز خطي أنا، لا من حرف ولا من فقرة فهو شديد الثقل.

أنا لا أصنع كوب شاي ولا طبخة مقلوبة مرتين بنفس الطريقة.

عزيزي القارئ، أكتب لك فقرة من هذا الكلام، وأنصرف بعدها إلى ورقة بجانب الحاسوب أتدرب على توقيعي المبسط الجديد.

لهذه العلة في ذهني، ولعلة أخرى، عرفت باكراً أنني لن أصبح خطاطاً ماهراً. العلة الأخرى أن يدي غير ثابتة الثبات المطلوب من يد الخطاط.

العرفان الآن

في الكابوس - وقبل أن تتوعدني الموظفة بالك «بوليس» - سألتها وماذا يكون شأن رصيدي في المصرف وأنتم قد حجزتم عليه؟ فقالت لي ببساطة: اشتر به لوحة فنية. وثمرت بها ثورة عارمة ربما هي التي أدت إلى ذلك التهديد. وعندما سأنام الليلة سأقول للموظفة في الكابوس المقبل: يا فالحه، عندما سأشتري لوحة فنية سأكتب للبائع صكاً بالمبلغ وأوقع عليه، وسيعود الصك مرفوضاً. ألم تفكري في هذا؟

خليق بمن يكتب كتاباً أن يكون لديه ميزان في رأسه، بحيث يضبط الإملاء فلا يكتب بعض الكلمات كتابة مختلفة في كل مرة. وأنا قد اعتمدت في هذا

الكتاب على أخي الشاعر عمران القفيني، اعتمدت عليه في الإملاء، وفي ضبط النحو والصرف، وفي بضعة أمور أخرى، منها مراجعة فهمي المنحرف لبعض الأبيات. في كل مرة يصحح لي خطأ في النحو أقول في نفسي: لعلي معذور، فأنا أشكل بعض الكلمات «على الوهم». وهذا من معاذير قدامى الكتاب. ولعله يقول في نفسه: حسناً، هذا مشكول خطأ «على الوهم». ثم أسمعه بأذن التوهم يردف قائلاً: ما أكثر أوهامك يا أخي!

قد قرأ عمران معي هذا الكتاب منجماً لم يغادر منه باباً، وأشرت القارئ في ملاحظاته واستحساناته حتى يقرأ ما يقرأ وكأنه جالس إلينا.

وللصديق محمد عبد العزيز الشكر الجزيل لأنه يأبى أن يتركني بحالي، فهو يلح علي أن أوافيه بالمخطوط حتى يدفعه إلى المطبعة. وما إن يطبع الكتاب في بلد بعيد حتى أراه تجشم أجر البريد السريع - وهو أجر غير هين - لكي يأتيني بنسخة سريعة. لعله رأى فيّ، أنا الكسول المتواني، فرخاً في العش لم ينبت ريشه، فهو يزقني زقاً، أو سيارة تعطلت في الطريق الصحراوي، فهو يزقها زقاً.

محمود سامي البارودي

(١٨٣٩م - ١٩٠٤م)

كان محمود سامي البارودي - الذي تعبت الأقلام وهي تصفه بأنه الشاعر الذي قاد عملية «إحياء الشعر العربي» - زعيم حركة شعرية رجعية. خرج من الركافة التي وجدها في شعر زمانه ماشياً إلى الوراء. ركب «آلة الزمن» وضغط على الزر الخطأ فأعاده تسعمئة سنة، فرأى من النافذة رياضاً حسنة فتزل.

هذا قدر، ولا نناقش في القدر. ولا نقول لو.

كان البارودي شاعراً. كان في قلبه شعر حق، وكانت نفسه نفس شاعر، وكان ذا خيال خصب. وكان لديه من خفة الدم قدر صالح، لعله كان صالحاً جداً. . غير أن اصطناع شاعرنا اللغة القديمة عقْد لسانه.

مشكلة البارودي - ومشكلتنا جميعاً، المستمرة حتى اليوم، ومشكلتي وأنا أكتب هذا الكلام - أن إرثنا اللغوي قديم ومكتنز، فنحن لا نريد أن نخلع ذلك الثوب خلعاً. لا نريد أن نكتب باللهجة التي تعلمناها من أمهاتنا، بالعامية كيفما كانت، باللهجة التي نتحدث بها في الشارع وفي الجلسة الثقافية، وفي كل مكان. اللهجة التي ليس فيها «تشكيل»، وليست فيها ألفاظ وأساليب عتيقة. نحن كلنا - حتى دعاة الحداثة، وحتى كاتبو قصيدة النثر - نكتب بالفصحى. والفصحى ليست لساننا البريء. وقد ورثنا، ضمن ما ورثنا، شعراً كثيراً طال تردادنا له في المدارس، وهذا الشعر ذو رائحة نفاذة، وهو طيبخ معقد فيه مكونات كثيرة وتوابل، له أوزان كثيرة ولهذه الأوزان قواعد صارمة. وله طرائق في التعبير بناها القدماء عبر قرون كثيرة. فكل عصر شعري يتخذ من كل ما سبقه أساساً، ويضيف مداماً.

انظر إلى شعر إيليا أبو ماضي في بواكيره، وستفتح عينيك دهشة. . ستسمع صليل السيوف، وستقابل لغة متنبئية.

البارودي قدّر شعر الفصحى . قدر هذا الشعر أن يستأنف مسيرته الطويلة بعملية «مراجعة» . عز علينا أن نرمي ما بقي في القدر من طبخة الأمس - التي وضعنا فيها ألواناً من التوابل وبالغنا في تجويدها بمقادير محسوبة من المكونات المختلفة - ونطبخ طيخاً جديداً ؛ فأضفنا إلى طبخة الأمس بعض الخضار ورفعنا القدر على النار .

قد وفر البارودي على نفسه كثيراً من الجهد إذ جعل الشعر العباسي وحده نموذجاً ، وهذا واضح من «مختاراته» التي لم تضم شيئاً سوى الشعر العباسي . على أن الشعر العباسي يحمل في جوفه قدراً كبيراً من طبخة أول أمس . فهو امتداد للشعر الأموي والجاهلي .

حتى الطرماح والكميت ، اللذان عاشا في قلب العصر الأموي ، كانا موضع انتقاد لأنهما كانا يحاولان تمثل القديم ويسعيان في ذلك سعيّاً . وحتى الفرزدق ، فهو كان يحفظ الشعر الجاهلي ويطلع شعره عليه .

هذه السمة الرجوعية التي نجدها بتفاوت في شعرنا العربي كله جعلت من هذا الشعر إرثاً واحداً ، وجعلته لوحة جدارية ضخمة يروعك وأنت تنظر إليها من بعيد ذلك التماسك رغم كثرة التفاصيل . وهذه الجدارية البديعة هي ما أدى بنا إلى تعقب أكثر من أربعين شاعراً في سلسلة «الزبدة» هذه ، التي بيدك الجزء الرابع منها . أردنا أن ننظر إلى اللوحة التي اكتمل تشكيلها وقعدت داخل إطارها . فأما لو نظرت إلى الشعر الذي قلناه بعد أن طلقنا العمودي فسوف ترى لوحة أخرى مختلفة ، ولعلها لم تكتمل بعد .

المتنبى والبارودي والمتقمصات الهنديات

ترفع سماعة الهاتف وأنت في بيتك في كاليفورنيا ، عذراً للتعبير العتيق . . بل أنت تدق الرقم على موبايك . تريد أن تعرف عن العرض المغربي الذي طرحته شركة السيارات . ويأتيك على الخط صوت فتاة رقيقة تحدثك بلهجة نيويورك وتشرح لك العرض وشروطه ، وتجيب عن أسئلتك . هذه الفتاة ليست من نيويورك ، وليست أميركية . هي تعيش في شقة ضيقة في نيودلهي بالهند على مسافة ١٢ ألف كيلومتر . وهذه الفتاة تعيش حياة غريبة . . تلبس الملابس التي تلبسها فتيات نيويورك ، وتصيب شعرها كشعورهن ، وتتعاطى مساحيق تبييض البشرة ، وتتفق ساعات عمرها وهي تتقمص شخصية فتاة نيويورك ، وتتخذ

لنفسها اسماً ملائماً للحالة.. تسمي نفسها ماري مثلاً. وتخوض مع نفسها صراعاً، قد تجده لذيذاً، لتقمص شخصية أخرى، ونقطة البداية هي «دي إنديانايزشن» أي «نزع الهنديّة»، تخلع الفتاة شخصيتها الهندية، وتتعلم طريقة الكلام النيويوركية من حيث اللهجة ومن حيث الكلمات المستعملة، ومن حيث اتخاذ الموقف الأميركي من الأشياء. وفي النهاية تنجح.. وآلاف نجحن. عندما تطلب رفاقة بيتزا من المطعم المجاور لبيتك في سان فرانسيسكو فالفتاة الهندية على بعد اثني عشر ألف كيلومتر ستسألك إن كانت البيتزا التي تريدها رقيقة أم منفوخة، وستخوض معك في الزوائد التي تريدها فوق بيتزتك.. لائحة المطعم محفوظة في عقلها.

نعيش «ماري» هندية في الصباح ونيويوركية في الليل. قد لا تستطيع أن تتخلى عن الكاري والماسالا لصالح البيتزا الرديئة التي تبيعها، لكنها تستطيع أن تفرض على إنسانيتها شيزوفرينا لذيدة.

في حياته اليومية كان المتنبي إنساناً يعيش عصره، فإذا جنه الليل أوقد شمعه وكتب أبياتاً يستحضر فيها روح الشعراء القدامى وأساليبهم.

والبارودي عاش فصامه، يتقمص الشعراء القدامى حيناً ويحاكيهم حيناً. ومثلما كانت تبرز شخصية المتنبي الحقيقية عندما يغضب كانت شخصية البارودي الحقيقية تظهر عندما يحزن. فأما إن غضب البارودي فكان يستعير ثوب المتنبي ليغضب فيه.

عارض البارودي أبا فراس الحمداني في قصيدته (أراك عصي الدمع)، فقال قصيدة في بحرهما وقافيتها، ولم تأخذ من قصيدة البارودي شيئاً. وسترانا - إذا قرأت ما صنعناه عن أبي فراس - تأخذ أبياتاً الأربعة والخمسين كلها، لم نترك منها بيتاً واحداً. أعود الآن وأقرأ قصيدة أبي فراس، يا لها قصيدة! هذا شيء لا يحاكي.

لئن جازت الهندية المتقمصة قميصَ نيويورك في الأميركيات فإن الشاعر المحاكي لا يجوز في الشعراء الأصل.

الآن، كيف أخلع نفسي من أبي فراس ومن المتنبي ومن أبي نواس وأعود إلى البارودي المقلد؟ هل أستطيع بعد الشوكولاتة السويسرية والبلجيكية أن أعود إلى شوكولاتة بلدنا التي كنا نمضغها طويلاً وتأبى أن تذوب.

أضع القلم. وأنظر سائحة أكمل فيها هذه المقدمة.

الإمساك بالقلم

فلماذا، بعد كل هذا الذي قلته عن البارودي المقلد، أختار من شعره وأكتب مقدمة عنه؟ لا بل لماذا أهتم أصلاً بكل الشعر العربي الذي قيد نفسه بقيود محاكاة القديم؟

هذا كله تاريخنا، وهذا ما عندنا من زاد شعري. وقد قرأت أمس مقالة لأحمد أمين شن فيها حرباً هوجاء على الشعر العربي، وطالب بأن لا ندرس التلاميذ إلا أقل القليل منه. وكنت طالبت بذلك كثيراً، وقد فرحت إذ وجدت من يؤيدني. وثمة شيء آخر. أنا نفسي نتاج كل هذا التاريخ. فلا تظن أبداً أنني لا أستمتع بشعر المتنبي، وبشعر شوقي، و.. بشعر البارودي أيضاً. أنا عتيق في ذوقي الشعري. هكذا رمتني رحم أمتي. هكذا شكلتني العصور السابقة. ومثلما أشتهي أن أعتمر طربوش جدي، وأرتدي بذلته ذات الصدرية، وأن أضع في جيب تلك الصدرية ساعة بسلسلة مثل ساعته، أشتهي أن أطلع الشعر القديم. لكنني لا أرتدي ملابس جدي، ربما خشية أن أصبح أضحوكة في البلد. فلماذا أطلع الشعر القديم؟ ثمة ههنا أمران: فائدة تاريخية، فالشعر القديم أبلغ في وصف عصوره المختلفة من كتابات المؤرخين، وومضات شعورية، فكل شعر - حتى ذلك الذي يحاكي في موضوعاته، وأسلوبه، ومفرداته العصور السابقة عليه - فيه شيء من نبض الشاعر، وفيه قدر من مشاعره.

حياة البارودي

سماء محمود شاكر «الإمام الأول» الذي «رد الشعر إلى شباب فقده في عصور متتابعة». ومدحه مصطفى صادق الرافعي كثيراً، ونهنا إلى أن البارودي ولد شوقي. وقال فيه العقاد إنه «وثب بالعبارة الشعرية وثبة واحدة من طريق الضعف والركاكة إلى طريق الصحة والمتانة. . . فإذا أرسلت بصرك خمسمئة سنة وراء عصر البارودي لم تكد تنظر إلى قمة واحدة تساميه أو تدانيه» فهو «الإمام القدير» و«الفضل الذي له على عصره أكبر من الفضل الذي لعصره عليه. . . وذلك وحده خليف أن يبوته زعامة جيله، ويقدمه إلى طليعة معاصريه وتابعيه». وفي الكلمة الأخيرة «تابعيه» يريد العقاد أن يجعل البارودي أعلى من شوقي مقاماً.

ذكروا في تاريخ مولده ثلاثة أعوام ميلادية متتالية، فإن صح ما اتفقوا عليه من أنه ولد في رجب عام ١٢٥٥ للهجرة فقد ولد محمود سامي البارودي عام ١٨٣٩.

ولد جركسياً ابن جركسي وجركسية. وهؤلاء من بعض المماليك. وكان محمد علي باشا قد قتل قادة المماليك في مذبحه القلعة قبل ولادة شاعرنا بثمان وعشرين سنة. قتل منهم بضع مئات غيلة وغدرًا، ثم تعقبهم جنوده بالقتل في أنحاء مصر. واستتب الأمر لمحمد علي. والبقية الباقية من المماليك الذي لجأوا إلى دنقلة بشمال السودان ظلوا فيها حتى بعد أن اكتسحتها جنود محمد علي. واحتفظ الصف الثاني من المماليك بمزارعهم وبوظائفهم وخدموا دولة محمد علي جنوداً وموظفين، فهذا الحاكم الباطش دخيل على مصر وقادته دخلاء، والمماليك دخلاء. بانتهاء سطوة المماليك دخلت بقيتهم في خدمة الدولة، ومن هؤلاء والد شاعرنا حسن حسني بك أحد أمراء المدفعية.

لعل العائلة منسوبة إلى إيتاي البارود في مديرية البحيرة بمصر، ولعله كان لها أملاك في الدلتا، وفي القاهرة، فقد قيل لنا إن محمود سامي ولد في القاهرة. وقد ذاق اليتيم باكراً، فأبوه يعيش في دنقلة بالسودان وهو يعيش عند أخواله بمصر، وما بلغ السابعة حتى توفي أبوه في دنقلة.

تهدنا هذه السنوات السبع الأولى في حياة البارودي، وفي حياة كل إنسان نحاول أن نفهمه. لقد عاش فيها مدلاً عند أخواله، ولا نظنه عانى كل ما يعانيه يتيم الأب. وكان خاله إبراهيم شاعراً. وبخاله افتخر في الشعر، كأنما أراد أن يقول إنني من بيت فيه شعر. وخير ما صنعه له بيت خاله أنه جنبه دخول تلك المدارس التي كانت موجودة في القاهرة آنذاك - وسيأتي زمن تغلق فيه، ثم سيأتي زمن تفتح فيه من جديد -، لقد درس في البيت. درس على خاله وعلى معلمين كانوا يُقشون ذلك البيت. وطالع كتب النحو والصرف والعروض والبلاغة. (وقد مزق الباحثون الجادون أسطورة، اخترعها حسين المرصفي وتلقاها دون تمحيص الرافعي، بأن البارودي لم يعرف شيئاً من علوم اللغة). على أن دراسة البارودي كانت تلك الدراسة الحرة التي تؤتي ثمراتاً أطيب بكثير من الدراسة المقيدة في المدارس.

لعله بين السابعة والثانية عشرة لم يقرأ سوى الأشعار والقصص، على أنه بعد ذلك ثقف نفسه بعلوم العربية، ما وسعه.

في الثانية عشرة دخل المدرسة الحربية أسوة بأبناء الجراكسة. وتخرج بعد

أربع سنين وعمره ست عشرة سنة. وأصبح ضابطاً في الجيش. في تلك السنة نفسها تولى سعيد باشا عرش مصر.

وهو طفل يقرأ القصص في بيت خاله كان البارودي يسمع عن أمجاد محمد علي العجوز الذي حكم مصر قرابة خمسين سنة، وما دخل المدرسة الحربية إلا وعباس الأول على عرش مصر، وتخرج منها وسعيد في الحكم. ومكث البارودي بضع سنوات لاهياً، ثم توجه إلى إستانبول، والتحق بوزارة الخارجية، وفي عاصمة الدولة العثمانية - وكانت مصر تتبعها بعض التبعية - أتقن البارودي التركية، وتعلم الفارسية، وزعموا أنه قال شعراً في اللغتين، غير أنه لم يصلنا شيء من هذا. ولا نظنه إلا قد انشغل بما في إستانبول من كتب عربية مطبوعة ومخطوطة، ولا سيما دواوين الشعراء القدامى.

ومات سعيد باشا، وتولى عرش مصر إسماعيل، وفي سنة توليه الحكم توجه إسماعيل باشا إلى إستانبول، ليعود منها وبصحبه محمود سامي البارودي الذي كان بلغ الرابعة والعشرين. وترقى البارودي في الجيش، وحضر دورة عسكرية في فرنسا وأخرى في بريطانيا، وكانت هاتان الدولتان قد بدأنا تعدان الخطط لتضييق الخناق على مصر التي كانت تُحفر فيها قناة السويس، وتعد بموقع استراتيجي متزايد الأهمية.

وكان إسماعيل باشا (وسنقول «الخديوي» إسماعيل منذ سنة ١٨٦٦ حين نال اللقب من السلطان العثماني، ونال معه الحق في توريث العرش لأكثر أبنائه) قد بدأ نهضة كبيرة في التعليم والعمران ذُكرت الناس بجده محمد علي. في هذه السنة نفسها قامت في جزيرة كريت (في اليونان حالياً) ثورة على الحكم العثماني، فأرسل إسماعيل جيشاً لقمعها كان من بين ضباطه البارودي. وأخمدت الثورة. وقال البارودي في ذلك شعراً، غير عالم أنه سيشارك عما قليل في ثورة ستُخمد، وسيقول فيها شعراً من نوع آخر.

ثم استرخى البارودي في مزرعته، يلهو ويقول الشعر، ويتصل بأقطاب البيان في مصر، وأهمهم الشيخ حسين المرصفي، صاحب الكتاب التعليمي المدرسي المهم «الوسيلة الأدبية»، وأهم شيء في هذا الكتاب على الإطلاق أنه احتوى على قصائد عديدة للبارودي. كان حسين المرصفي شيخ العربية في دار العلوم التي أنشئت في أواسط عهد إسماعيل. وكانت داراً للعلوم حقاً، وفيها عدد من الأساتذة الأوروبيين وخصوصاً الفرنسيين يدرسون العمارة والسكة

الحديد والآلات والفلك والتاريخ. وجاءها المرفصي من الأزهر، وهو شيخ معمم أعمى يحب اللغة ويحب الأدب، ويعرف كيف يصيخ بسمعه إلى شعر متين السبك حتى لو جاء من شاب يافع. وباعتناء الشيخ بأشعار الشاب ونشره لها في كتابه الخطير عرف شوقي أن الشعر العربي المتين يمكن له أن يولد في هذا الزمن أيضاً. ويخبرنا الرافعي بأن تأثر شوقي بالبارودي أهم من تأثره بالمتنبى والبحري لما بين شوقي والبارودي من معاصرة.

في هذه الفترة عب البارودي من شعر القدماء ما شاء له أن يعب.

ولما كنا قلنا «ما شاء له» وهي عبارة طه حسين الأثرية، فنحن نذكر المرفصي الآخر «سيد بن علي المرفصي» الذي تلقى عليه طه حسين وعدد من كبار الأدباء في زمنه علمهم، وكان سيد المرفصي محباً للأدب راعياً للشباب كابن قريته حسين المرفصي.

اثنتا عشرة سنة وضع فيها البارودي السيف في قرابه، وراح يدرس الأدب، ويحفظ روائع الشعر القديم، وقد يقوم بمهام دبلوماسية إلى إستانبول، وقد يخلد إلى مزرعته يلهو ويشرب، ويقول في ذلك الشعر. ثم قامت حرب البلقان بين روسيا والدولة العثمانية سنة ١٨٧٨، فأرسل البارودي، وهو الآن ضابط مهم في نحو الأربعين من عمره، إلى الجبهة. وقال في ذلك شعراً كثيراً.

بعد هذه الحرب بقليل نُحي إسماعيل عن الحكم بضغط من فرنسا وبريطانيا، وتولى عرش مصر ابنه توفيق. وكان البارودي قريباً من توفيق وهو ولي عهد. فترقى البارودي وأصبح مديراً للأوقاف، ثم جمع إليها الحرية. ثم اختلف مع رئيس النظار (رئيس الوزراء) رياض باشا، فاستقال، وجيء بشريف باشا، فعاد البارودي، ثم استقال شريف، فعين البارودي في عام ١٨٨٢ رئيس وزراء لأربعة أشهر. وسميت وزارته «وزارة الثورة» لأنها ضمت ثلاثة من أقطاب الثورة.

كان الجيش متعلماً، يشعر ضباطه أن أقدار البلاد ومقدراتها تتسرب لتكون بيد الإنجليز والفرنسيين. وكان في الجيش سخط على عدم إعطاء الوطنيين، وعلى رأسهم أحمد عرابي، المكانة التي يستحقون بإزاء الجراكسة. ومع أن البارودي كان رأس الجراكسة فقد كان محبوباً من الجميع، وكان يعطف على قضية الجيش في وجه التضييق الأوروبي.

كانت ديون مصر كثيرة، فقد أسرف إسماعيل في الاستدانة لبنني البنايات وينشئ المدارس ويقوي الجيش، و.. ليكون مسرفاً. واتخذ الأوروبيون من

هذه الديون حجة للاستيلاء على مصر التي جعلت لها قناة السويس من الموقع الاستراتيجي ما أسال لعاب أوروبا.

أراد الجيش خلع الخديوي توفيق، ولكن عرابي تلكاً في إعلانها صريحة، ولعل حلم السلطة نما في عقل البارودي، ولكنه أثر الاكتفاء بالتعاطف مع الجيش، دون التقدم خطوة أخرى نحو الانقلاب على توفيق.

ودخل الإنجليز مصر، وهزموا جيش عرابي، وحكموا عليه وعلى البارودي وعلى بعض كبار الضباط بالنفي. وعلى سفينة إنجليزية حُمل الضباط إلى جزيرة سيلان، سرنديب.

قضى البارودي سبع سنين في كولمبو، ولما استفحل الشقاق بين الضباط وتراشقوا بالاتهامات بشأن أسباب فشل حركتهم، انتحى البارودي في «كاندي» في وسط الجزيرة (و١٤٪ من سكانها الآن، بحسب الويكيبيديا، مسلمون). وراح يعلم المسلمين العربية ويؤمهم في صلاتهم. وقيل إنه تعلم الإنجليزية هناك. ومن سرنديب (جزيرة سيلان، وهي الآن دولة سريلانكا) كان البارودي يتصل بمصر بالبريد، ويتساجل مع الأدباء كالأمير شكيب أرسلان.

كان منفاه السرنديبي سبع عشرة سنة قال فيها بعض أجمل شعره، ورجع بعدها إلى مصر بعفو في مايو/أيار ١٩٠٠، وفي القاهرة توفي في ديسمبر/كانون الأول ١٩٠٤.

خدم البارودي شعره بأن جمعه قبل وفاته، وكتب له مقدمة. وقد غير في أبياته بعض التغيير، وخفف من غلواء الغزل والمجون بعض التخفيف، ويبدو هذا واضحاً من خلال مقارنة أبيات الديوان بأبيات نشرها المرفص في «الوسيلة الأدبية». كان البارودي في آخر سنواته قد فقد بصره، على أن بيته أصبح مجلساً عامراً بأهل الأدب.

وقد طبع ديوانه بعد وفاته، طبعته أرملته، وطُبعت مختاراته التي هي قصائد لثلاثين شاعراً عباسياً جمعها البارودي ورتب شعراءها تاريخياً، وهي تملأ ثلاثة مجلدات كبيرة.

عاش شعر البارودي، واخترنا منه صفحات كثيرة رغم ما قلنا عن صاحبه من أنه رجع للوراء. فقد عاش شعر البارودي لأنه شعر جميل فيه قوة وفيه تعبير صادق عما في نفس صاحبه من فرح وألم. هذا شعر طيب، فإن كنت ما زلت تحت تأثير كلامنا الأول فهذه دعوة إلى الاتزان: شعر البارودي شعر ذكي، وفصيح.

١ شقيقة القمرين

يا هاجري من غير ذنب في الهوى، مهلاً، فهجرُك والمنونُ سواء
المنون: الموت

أَغْرَيْتَ لَحْظَكَ بِالْفَوَادِ فَشَفَّهُ وَمِنْ الْعَيُونِ عَلَى النَفُوسِ بَلَاءُ
أغریت نظرك بفؤادي فشفه (براه برياً فجعله شفافاً)، وقد يقع البلاء على النفوس من عيون
الجميلات

هِيَ نَظْرَةٌ، فَاْمُنُّنْ عَلَيَّ بِأَخْتِهَا فَالْخَمْرُ، مِنْ أَلَمِ الْخُمَارِ، شِفَاءُ
انظر إليَّ أيها المحبوب مرة أخرى تشفيني من النظرة الأولى، فهذا مثل الخمر التي تصيب المرء
بالخمار (صداع السكر) فيداويه بشرب مزيد من الخمر

لَا أَنْتَ تَرْحَمُنِي، وَلَا نَارُ الْهَوَى تَخْبُو، وَلَا لِلنَّفْسِ عَنْكَ عَزَاءُ
فِي قَلْبٍ كُلِّ فِتْنَى غَرَامٌ كَامِنٌ وَيَعْظِفُ كُلِّ مَلِيحَةٍ خِيَلَاءُ
العطف: الخصر، الخيلاء: الزهو والتشي

فَدَعَ التَّكْهُنَ يَا طَبِيبُ، فَإِنَّمَا دَائِي الْهَوَى، وَلِكُلِّ نَفْسٍ دَاءُ
أَلَمِ الصَّبَابَةِ لَذَّةٌ تَحِيَا بِهَا نَفْسِي، وَدَائِي لَوْ عَلِمْتَ دَوَاءُ
حَكَمَ الْجَمَالِ لَهَا بِمَا تَخْتَارُهُ فَتَحَكَّمْتُ فِي النَّاسِ كَيْفَ تَشَاءُ
أَشْشِيقَةَ الْقَمَرَيْنِ! أَيُّ وَسِيلَةٍ تُذْنِي إِلَيْنَا، فَلَيْسَ لِي شُفْعَاءُ
يا شقيقة الشمس والقمر، كيف أتقرب منك؟ فليس لي من يشفع عندك

وَالنَّاسُ أَشْبَاهُ، وَلَكِنْ فَرَّقَتْ مَا بَيْنَهُمْ فِي الرُّتْبَةِ الْآرَاءُ
الناس متشابهون جسماً، والفوارق بينهم في المنزلة قائمة على الآراء (الفكر والمواقف). التسويد
لعمران القفيني

وَالنَّفْسُ إِنْ صَلَحَتْ رَكَتْ، وَإِذَا خَلَّتْ مِنْ فِطْنَةٍ لَعِبَتْ بِهَا الْأَهْوَاءُ
النفس الصالحة تزكو (تسمو وتنمو)، وإذا خلت من الفطنة تميل مع شتى الأهواء

كَيْفَ الْوُثُوقُ بِذِمَّةٍ مِنْ صَاحِبٍ وَبِكُلِّ قَلْبٍ نُقْطَةٌ سَوْدَاءُ؟
كيف أتق بخاصك وكل امرئ له قلب وكل قلب فيه نقطة سوداء (يشير إلى تعبير سويداء القلب أي
وسطه/إن فقلت قلب دجاجة رأيت النقطة السوداء)

فَانْفُضْ يَدَيْكَ مِنَ الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ فَالْسَّعْيُ فِي طَلَبِ الصَّدِيقِ هَبَاءُ

٢ الصغيرة الواسعة

قال يمدح الخديوي عباس حلمي الثاني:

أَوْلَيْتَنِي مِنْكَ الرِّضَا، وَجَلَوْتُ لِي وَجْهًا قَرَأْتُ الْبِشْرَ فِي أَثْنَائِهِ
أُولَيْتَنِي: منحتني، جلوت لي: بينت لي

الْعَدْلُ مِنْ أَخْلَاقِهِ، وَالْعِلْمُ مِنْ أَوْصَافِهِ، وَالْحِلْمُ مِنْ أَسْمَائِهِ
هذا الخديوي عادل عالم حلیم، والحلم من أسمائه إشارة إلى اسمه المركب «عباس حلمي»
لَا غَرَوَ أَنْ جَمَعَ الْمَحَامِدَ يَافِعًا وَسَمَا بِهِئْتِهِ عَلَى نَظَائِرِهِ
لا غرو: لا عجب، يافعا: فتى، وارتفع بهمته (طموحه) على أقرانه

فَالْعَيْنُ وَفِي صَغِيرَةٍ فِي حَجْمِهَا تَسَعُ الْفَضَاءَ بِأَرْضِهِ وَسَمَائِهِ
فهو في صغره واسع المعرفة والطموح، ولا عجب فالعين على صغرها ترى الأرض والسماء
فكانها تسعها

٣ في الواقع .. هي نار

قال يذكر أياماً مضت له بالجيزة:

حَمْرَاءُ دَارَ بِهَا الْحَبَابُ، كَأَنَّهُا شَفَقَ بَدَتْ فِيهِ نَجُومُ سَمَاءِ
خمر حمراء دار على وجه كأسها العباب (الفقايع)، فكان الخمر بجمرتها شفق الشمس عند
المغرب، وكان الفقايع نجوم تتلألأ

وَإِذَا رَجَعْتَ إِلَى الْبَقِيَّةِ فَإِنَّهَا نَارٌ تَحَلَّلَ جِسْمُهَا فِي مَاءِ
وفي الواقع فالخمر بلونها الأحمر ومذاقها اللاسع كالنار، وعند مزجها بالماء فكان جسمها يتحلل
فيه

تَجْرِي فَتَفْعَلُ بِالْمَقُولِ كَوُوسُهَا مَا نَفْعَلُ الْأَلْحَاطُ بِالْأَحْشَاءِ
التسويد لعمران البقيني

هِيَ جَمْرَةُ الْفُرْسِ الَّتِي سَجَدَتْ لَهَا أَمْلاَكُهَا فِي سَالِفِ الْأَنْاءِ
الخمر كنار المجوس التي كان يسجد لها أملاكها (ملوكها) في سالف الأناء (الزمان)

أَنَا فِي زَمَانٍ غَادِرٍ، وَمَعَاشِيرٍ يَتَلَوْنُونَ تَلَوْنُ الْجَرَبَاءِ
شَقِيَّ ابْنُ آدَمَ فِي الزَّمَانِ بِعَقْلِهِ إِنْ الْفَضِيلَةُ أَفَةُ الْمُعْقَلَاءِ

٤ حفل زفاف

أَلَا عَاطِنِيهَا بِنْتَ كَرَمٍ تَزَوَّجَتْ عَلَى نَعْمَاتِ الْعُودِ بِابْنِ سَمَاءٍ
عاطنيتها (بادلني كؤوسها) بنت كرم (معصورة من عنب الكروم) وقد مزجت بالماء الذي هو ابن السماء، وهكذا تزوجت بنت الكرم ابن السماء على نعمات العود في مجلسنا هذا

إِذَا اتَّقَدْتُ فِي الْكَأْسِ خِلْتِ وَمِیْضَهَا عَلَى وَتَرَاتِ الْكَفِّ نَضَحَ دِمَاءٍ
تشعل الخمر في الكأس بلونها الأحمر وتظن وميضها إذ ينعكس على وترات الكف (المجلد الذي بين الأصابع) نضح دماء (دم مرشوش)

أَبِي آدَمَ بَاعَ الْجَنَانَ بِحَبَّةٍ وَبِعْتُ أَنَا الدُّنْيَا بِجُرْعَةٍ مَاءٍ
آدم أخرجه من الجنة فاحقه، وأنا بعث دنياي بشربة ماء (بعث بالتعبير العامي، وهنا تورية لطيفة، فشربة الماء هي الخمر، وهي أيضاً أنه باع الدنيا بسهولة... بشربة ماء). التسويد لعمران الغفيني

٥ إلا أقلهم

وَمِنْ النَّاسِ مَنْ تَرَاهُ سَلِيمًا وَبِهِ لِلْحُقُودِ دَاءٌ عَيَاءٍ
سليماً: بريئاً، الحقود: الأحقاد، داء عياء: أعياء الأطباء

فَاخْذِرِ النَّاسَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّ النَّاسَ، إِلَّا أَقْلَهُمْ، أَعْدَاءُ

٦ سواي

قال في صباه يَرُوضُ القول:

سِوَايَ يَتَخَنَّنُ الْأَغَارِيدَ يَطْرُبُ وَغَيْرِي بِاللَّذَاتِ يَلْهُو وَيُغْجِبُ
لست أنا من يهتم بالأغاريد (الأغاني) وباللذات... فأنا أخو حرب وضرب

وَمَا أَنَا مِمَّنْ تَأْسِرُ الْخَمْرُ لُبَّهُ وَيَمْلِكُ سَمْعِيهِ الْبِرَاعُ الْمُثَقَّبُ
ولا تستولي الخمر على قلبي (يشربها لكن دون أن يكون عبداً لها)، ولا يستولي على سمعي البراع المثقّب (القصة ذات الثقوب، أي الناي، أي الموسيقى)

وَلَكِنْ أَخُوهُمْ، إِذَا مَا تَرَجَّحَتْ بِهِ سَوْرَةٌ نَحْوَ الْعُلَا رَاحَ يَذَابُ
لكنني أخوهم (صاحب طموح) إذا ترجعت به (تأرجحت) سورة (فورة نشاط وغضب) تؤدي نحو المجد فهو يحث خطاه

نَفَى النَّوْمَ عَنْ عَيْنِيهِ نَفْسُ أَبِيَّةٍ لَهَا بَيْنَ أَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ مَطْلَبُ
أسهرته نفسه الأبية (الرافضة لما يشين) التي تجد مطلبها في الكفاح بين الأسنان (أطراف الرماح)

وَمَنْ تَكُنِ الْعَلِيَاءُ هِمَّةً نَفْسِهِ فكلُّ الذي يَلْقَاهُ فِيهَا مُحَبَّبٌ
من تكن العلياء (المجد) همة نفسه (طلبه ومطامحه) أحب الصعوبات التي يلقاها في سبيل الوصول

إِذَا أَنَا لَمْ أُعْطِ الْمَكَارِمَ حَقَّهَا فَلَا عَزَّزَنِي خَالٌ، وَلَا ضَمَّنِي أَبٌ
إذا لم أبدأل للمكارم (الأمجاد) ما تستحق من جهد فليس لي أن أعز بأحوال ولا أعمام
وَلَا حَمَلْتُ دِرْعِي كُمَيْتٌ طِمْرَةً وَلَا دَارَ فِي كَفِّي سِنَانٌ مُدْرَبٌ
ولا معنى لركوبي، لباساً درعي، الكميت (الفرس الداكنة اللون) الطمرة (الفرس العالية)، ولا
لحملي الرمح ذا السنان المدبب الحاد

خُلِقْتُ عَيْوُفًا لَا أَرَى لِابْنِ حُرَّةٍ لَدَيَّ يَدَا أَغْضِي لَهَا حِينَ يَغْضَبُ
خلقت عيوقاً (أبياً) لا أرى لأحد يداً علي (فضلاً يمن به) بحيث أغضي (أطأطئ رأسي) عند غضبه
فَلَسْتُ لِأَمْرِ، لَمْ يَكُنْ، مُتَوَقِّعًا وَلَسْتُ عَلَى شَيْءٍ مَضَى أَتَعْتَبُ
لا أترقب بخوف أمراً لم يحدث بعد، ولا أتعجب (أندمر) على شيء حدث وانتهى
أَسِيرُ عَلَى نَهْجٍ يَرَى النَّاسُ غَيْرَهُ، لِكُلِّ أَمْرٍ فِيمَا يَحَاوِلُ مَذْهَبُ
طريقي خلاف ما يرى الناس، ولكل إنسان في تحقيق أغراضه طريق

وَبَحْرٍ مِنَ الْهَيْجَاءِ خُضَّتْ عُبابُهُ وَلَا عَاصِمٌ إِلَّا الصَّفِيحُ الْمُشْتَطَبُ
ورب هيجاء (حرب) كأنها البحر، وقد خضت عبابه (موجه) إذ لم يكن هناك ما يعصم المرء (بقية)
إلا الصفيح المشطب (السيف ذو الحزوز)

تَظَلُّ بِهِ حُمْرُ الْمَنَائِيَا وَسُودُهَا حَوَاسِرَ فِي أَلْوَانِهَا تَتَقَلَّبُ
وبحر الحرب هذا فيه المنايا الحمر والسود (الموت جرحاً أو خفقا)، وهذه المينات حواسر
(كاشفة رؤوسها) وتقلب بين المتحاربين آخذة هذا وذاك

تَوَسَّطْتُهُ وَالْخَيْلُ بِالْخَيْلِ تَلْتَقِي وَبِيضُ الظُّبَا فِي الْهَامِ تَبْدُو وَتَعْرُبُ
دخلت وسط القتال حيث الخيل تلقي بالخيل، وحيث يبيض الظبا (شفرات السيوف) تظهر ثم
تغرب (تغيب) داخل الرؤوس

فَمَا زِلْتُ حَتَّى بَيَّنَ الْكَرُّ مَوْقِفِي لَدَى سَاعَةٍ فِيهَا الْعُقُولُ تَغَيَّبُ
ظللت في المعركة أقاتل حتى بدأ الكر (التقدم) فشوهتُ هاجماً بعد إذ كنت مخفي الشخص في
الالتحام، وهذه ساعة تغيب فيها العقول لهولها

لَدُنْ عُذْوَةٍ حَتَّى أُنَى اللَّيْلُ، وَالتَّقَى عَلَى غَيْهَبٍ مِنْ سَاطِعِ النَّقْعِ غَيْهَبُ
هذا عند غدوة (باكراً) . . ثم استمر القتال حتى الليل فالتقى غيهب (ظلام) ساطع النقع (الغبار
المرتفع) بظلام الليل

يَوَدُّ الْفَتَى مَا لَا يَكُونُ ظَمَاعَةً وَلَمْ يَذُرْ أَنْ الدَّهْرَ بِالنَّاسِ قُلُوبَ

المرء يتمنى ما لا يكون (المستحيل) طمعاً، غير مدرك أن الزمن يتقلب بالناس

وَلَوْ عَلِمَ الْإِنْسَانُ مَا فِيهِ نَفْعُهُ لَأَبْصَرَ مَا يَأْتِيهِ وَمَا يَنْتَجِبُ

ولو علم المرء سلفاً الأمر الذي فيه فائدة له، لكان عرف ما الذي يجب أن يأتيه (يفعله) وما الذي يجب أن يتجنبه. السويد لعمران القفني

٧ ذو الهية والبديهة

في مدح الخديوي إسماعيل:

ذُو هَيْبَةٍ تَكْفِيهِ سَوْقَ جُنُودِهِ وَبَدِيهَةٍ تُغْنِيهِ عَنِ الشَّجَرِيبِ

له هيبة لا حاجة به معها إلى أن يقود الجنود ليحارب عنداً، فالعدو لا يجرؤ على تحديه أصلاً، وله بديهة (فكر فطري) يجعله يدرك الأمور قبل أن يجرها

٨ نعاشر من لقينا

قال يذكر أيام الشباب:

زَمَانٌ كُلَّمَا لَاحَتْ بِفِكْرِي مَخَايِلُهُ بَكَيْتُ لِفَرْطِ مَا بِي

مخاييله: صوره المنطبعة في الخيال

مَضَى عَنِّي وَغَادَرَ بِي وَلُوعاً تَوَلَّدَ مِنْهُ حُزْنِي وَاكْتِسَابِي

الولوع، ونقول اليوم الولوع، وهي أقيس: شدة التعلق

وَكَيْفَ تَلَدُّ بَعْدَ الثَّيْبِ نَفْسِي وَفِي اللَّذَاتِ إِنْ سَنَحْتُ عَذَابِي

إن أتيت اللذات وجدتها تعذبني لأنني شبت

أَصْدُ عَنِ النَّعِيمِ صُدُودَ عَجَزٍ وَأُظْهِرُ سَلُوءَ، وَالْقَلْبُ صَابِ

أتجنب الحياة المرفهة عجزاً عن الاستمتاع بها، وأبدي سلوة (انصرافاً عنها)، مع أن قلبي يصير (يحن)

حَلَبْتُ الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ مَلِيًّا وَذُقْتُ الْعَبَثَ مِنْ أَزْيٍ وَصَابِ

حلبت الدهر أشطره (نمرت واحتكت) ملياً (كثيراً)، وذقت الاري (العمل) والصاب (المرء)

فَمَا أَبْصَرْتُ فِي الْإِخْوَانِ نَذْبًا يَجِلُّ عَنِ السَّلَامَةِ وَالْعِتَابِ

لم أجد في الأصدقاء نذباً (مبادراً للنصرة) يرتفع قدره عن اللوم والعتاب

ولكننا نعاشر مَنْ لَقِينَا عَلَى حُكْمِ الْمُرُوءَةِ وَالْتَفَافِي

نعاشر من تلقى ونستعمل معهم المروءة والتفافي (التفاضي بادعاء الغباء)

٩ انتهاء العمران بدء الخراب

قال وهو بِسَرْنَدِيبٍ ينشوق إلى مصر، ويرثي صديقه الشيخ حسباً التَّمَصُّفِي، وعبد الله باشا فكري:

كُلُّ شَيْءٍ يَسْأَلُوهُ ذُو اللَّبِّ إِلَّا مَا ضَيَّيَ اللَّهْوُ فِي زَمَانِ الشَّبَابِ

ينصرف العاقل عن كل شيء إلا ذكرى لهوه في شبابه

فَلَمَّا زَالَ، فَاشْتَبَا قِيَّ إِلَيْهِ، وَثُلُّ قَوْلِي، بَاقٍ عَلَى الْأَحْقَابِ

زال الشاب ولكن اشتياقي إليه باق على مرور الأزمان، وكذا شعري... فشعري باق على الزمان

بَا نَدِيمِي مِنْ «سَرْنَدِيبٍ» كُفَّا عَنْ مَلَامِي، وَخَلْيَانِي لِمَا بِي

سرنديب: جزيرة سيلان، وهي دولة سريلانكا، وكان البارودي منفياً فيها

كَيْفَ لَا أُنْدُبُ الشَّبَابَ وَقَدْ أَضْمَرَ بَحَثُ كَهْلًا فِي مِحْنَةٍ وَاعْتِرَابِ

أَخْلَقَ الشَّيْبُ جِدَّتِي، وَكَسَانِي خِلْعَةً مِنْهُ رَتَّةَ الْجِلْبَابِ

أخلق (أبلى، وهرا/ من الاهتراء) الشيب ما كان جديداً من جسمي ونفسي، وكساني خلعة (ثوباً) رتة (مهترئة)

وَلَوَى شَعْرَ حَاجِبِي عَلَى عِبْ نَيِّ، حَتَّى أَطَّلَ كَالْهَدَابِ

الهداب: الشراشيب، الخيوط المتدلّية من أطراف النسيج

لَا أَرَى الشَّيْءَ حِينَ يَسْنَحُ إِلَّا كَخَيَالٍ كَأَنَّي فِي ضَبَابِ

أرى الأشياء حين تسبح (تبدو) خيلاً كأن حولي الضباب لضعف بصري

وَإِذَا مَا دُعِيتُ جِزْتُ كَأَنِّي أَسْمَعُ الصَّوْتَ مِنْ وَرَاءِ حِجَابِ

إذا ناداني أحد تحيرت لا أعرف مصدر الصوت، كأنه يناديني من وراء ستر

كَلَّمَا رُمْتُ نَهْضَةً أَقْعَدْتَنِي وَثِيَّةً لَا تُقِلُّهَا أَعْصَابِي

إذا رمت (ابتغيت) نهضة (قياماً) أقعدتني وثية (ضعف) لا تحضلها أعصابي

لَمْ تَدْعُ صَوْلَةَ الْحَوَادِثِ مِنِّي ضَمِيرَ أَشْلَاءٍ هَمَّةٍ فِي ثِيَابِ

هجمة الحوادث (المصائب) علي تركتني أشلاء همة (بقايا عزيزة)

فَجَمَعْنِي بِوَالِدَيَّ، وَأَهْلِي ثُمَّ أَنْحَتُ تَكَرُّ فِي أَتْرَابِي
فَجَمَعْتِي الْمَصَائِبَ بِأَبِي وَأَهْلِي، ثُمَّ أَنْحَتُ (مَالَتْ) تَكَر (تَهَجَّم) عَلَى أَتْرَابِي (مَنْ هُمْ فِي سَنِي، لِدَاتِي)

أَيْنَ مِنِّي (حُسَيْنُ) بَلْ أَيْنَ (عَبْدُ) الْ لَهُ رَبُّ الْكَمَالِ وَالْآدَابِ؟
لَمْ أَجِذْ مِنْهُمَا بَدِيلاً لِنَفْسِي غَيْرَ حُزْنِي عَلَيْهِمَا وَاكْتِنَابِي
لَيْسَ لِي مِنْ يَعْوِضُنِي عَنْ فَقْدِهِمَا، وَبَقِيَ لِي مِنْهُمَا الْحُزْنُ وَالْاِكْتِنَابُ

قَدْ لَعَمْرِي عَرَفْتُ دَهْرِي، فَأَنْكَرُ ثُ أُمُوراً مَا كُنْتُ لِي فِي حِسَابِ
وَتَجَنَّبْتُ ضُحْبَةَ النَّاسِ حَتَّى كَانَ عَوْنًا عَلَى الثَّقَاةِ اجْتِنَابِي
اجْتِنَابِي النَّاسِ أَعَانَنِي عَلَى التَّقْوَى

لَا أَبَالِي بِمَا يُقَالُ، وَإِنْ كُنْتُ ثُ مَلِيئاً بِرَدِّ كُلِّ جَوَابِ
مَلِيّاً: قَادراً

قَدْ كَفَانِي بُعْدِي عَنِ النَّاسِ أَنِّي فِي أَمَانٍ مِنْ غِيْبَةِ الْمُغْتَابِ
لَيْسَ يَخْفَى عَلَيَّ شَيْءٌ، وَلَكِنْ أَتَغَابِي، وَالْحَزْمُ إِلْفُ التَّغَابِي
الْحَصَافَةُ مُصَاحِبَةٌ لِلتَّغَابِي، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ حَازِماً فَلْيَعْلَمْ أَنَّ يَتَغَاضَى عَنِ السَّفَاسِفِ، وَهُوَ مَدْرَكُ
إِيَّاهَا

وَكَفَى بِالْمَشِيبِ، وَهُوَ أَخُو الْحَزْ مِ دَلِيلاً إِلَى طَرِيقِ الصَّوَابِ
إِنَّمَا الْمَرْءُ صُورَةٌ سَوْفَ تَبْلَى وَانْتِهَاءُ الْعُمْرَانِ بَدْءُ الْخَرَابِ

١٠ سبب فيضان النيل

قال يَرُوضُ الْقَوْلُ:

إِذَا لَمْ تُعِينُونِي وَأَنْتُمْ عَشِيرَتِي فَسِيرُوا، وَخَلُونِي، فَلَسْتُ بِذَاهِبِ
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَنْصُرْ أَخَاهُ بِنَفْسِهِ لَدَى كُلِّ مَكْرُوهٍ فَلَيْسَ بِصَاحِبِ
لَعَمْرُكَ مَا فِي الْأَرْضِ، وَهِيَ رَحِيْبَةٌ كَغَزْلَانِ هَذَا الْحَيِّ عُذْرٌ لِنَاسِيبِ
لَيْسَ فِي الدُّنْيَا عَلَى اتِّسَاعِهَا مِنْ عُذْرٍ لِلنَّاسِيبِ (الْمَتَغَزَّلُ) مِثْلُ غَزْلَانِ (فَيَاتِ) هَذَا الْحَيِّ (هُوَ) لَمْ
الْقَوْمِ). فَمَنْ يَتَغَزَّلُ مَعْذُورٌ لِفَرْطِ جَمَالِهِنَّ

فَلَا تَطْلُبَنَّ الْحُسْنَ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ فَأَبْدَعْ مَا فِي الْأَرْضِ حُسْنَ الْأَعَارِبِ
فَهَنَّ الْأَلَى عَوْدُنَ قَلْبِي عَلَى الْهُوَى وَأَخْلَقَنْ ظَنِّي بِالْعِدَاتِ الْكَوَادِبِ
عُودُنَ قَلْبِي عَلَى الْهُوَى، ثُمَّ أَعْطَيْتَنِي الْوَعْدَ الْكَاذِبَةَ

وما زَادَ ماءَ النِّيلِ إِلَّا لِأَنِّي وَقَفْتُ بِهِ أَبْكِي فِرَاقَ الْحَبَائِبِ
يقول إن دموعه رفعت منسوب مياه النيل. أوافق يا محمود باشا من هذا؟ مبالغة قد يراها بعضهم
سمجة، لكنها جارية على طريقة القدماء في صنع صورة كاريكاتيرية

١١ ملكت حلمي

وقال وهو بسرنديب:

أَضَعْتُموْنِي وَكَانَتْ لِي بِكُمْ ثِقَةٌ مَتَى خَفَرْتُمْ ذِمَامَ الْعَهْدِ يَا عَرَبُ؟
خفرتم ذمام العهد: نقضتم العهد

أَبَيْتُ فِي غُرْبَةٍ لَا النَّفْسُ رَاضِيَةٌ بِهَا، وَلَا الْمُلتَقَى مِنْ شِيعَتِي كَتَبُ
أصبحت في غربة فلا نفسي راضية، ولا اللقاء بشيعتي (أصحابي) كتب (قريب)

فَلَا رَفِيقٌ تَسُرُّ النَّفْسُ طَلْعُهُ وَلَا صَدِيقٌ يَرَى مَا بِي فَيَكْتُمُ
فَهَلْ دِفَاعِي عَنْ دِينِي وَعَنْ وَطَنِي ذَنْبٌ أَدَانُ بِهِ ظُلْمًا وَأَغْتَرِبُ؟
فَلَا يَظُنُّ بِي الْحَسَادُ مَنْدَمَةً فَإِنِّي صَابِرٌ فِي اللَّهِ مُحْتَسِبٌ
مندمة: ندم، محتسب: راض بنيل الثواب من الله

لَا يَخْفِضُ الْبُؤْسُ نَفْسًا وَهِيَ عَالِيَةٌ وَلَا يُشِيدُ بِذِكْرِ الْخَامِلِ النَّسَبُ
الخامل: غير المعروف، النسب: المال

إِنِّي أَمْرٌ لَا يَرُدُّ الْخَوْفُ بَادِرَتِي وَلَا يَحِيفُ عَلَى أَحْلَاقِي الْغَضَبُ
بادرتي: إقدامي، يحيف: يجني ويتقص

مَلَكْتُ حِلْمِي فَلَمْ أَنْطِقْ بِمُنْدِيَةٍ وَصُنْتُ عِرْضِي فَلَمْ تَغْلُقْ بِهِ الرَّيْبُ
مندية: كلمة مخجلة يندى لها الجبين، الرب: الشبهات

١٢ في المعركة

وَلَمَّا تَدَاعَى الْقَوْمُ، وَاشْتَبَكَ الْقَنَا وَدَارَتْ كَمَا تَهْوَى عَلَى قُطْبِهَا الْحَرْبُ..

لما دعا القوم بعضهم بعضاً، واشتبكت القنا (الرماح)، ودارت الحرب كما تهوى على قطبها (دون أن
يتحكم بها أحد) على قطبها (محورها) مثلما تدور الرمح فتطحن..

وَزَيْنَ لِلنَّاسِ الْفِرَارُ مِنَ الرَّدَى وَمَاجَتْ صُدُورُ الْخَيْلِ، وَالتَّهَبَ الضَّرْبُ..

زين للناس الفرار (صار حسناً في عيونهم الهرب) من الموت، وصارت صدور الخيل تتلقى
كالموج، واشتد الضرب بالسيف..

وَدَارَتْ بِنَا الْأَرْضُ الْفَضَاءَ كَأَنَّا سُقِينَا بِكَأْسٍ لَا يُفِيقُ لَهَا شَرِبٌ . .

.. ودارت بنا الأرض الفضاء (الواسعة) كأننا سقينا بكأس لا يصحو لها شرب (شاربون) . .

صَبَرْتُ لَهَا حَتَّى تَجَلَّتْ سَمَاوُهَا وَإِنِّي صَبُورٌ إِنْ أَلَمَ بِي الْخَطْبُ

عندئذ صبرت حتى انجلت سماء المعركة وركد غبارها، وأنا صبور إن ألم بي (عرض لي) خطب ومصيبة

١٣ الجود بالنفس والمال

لَا يُدْرِكُ الْمَجْدُ إِلَّا مَنْ إِذَا هَتَفَتْ بِهِ الْحَمِيَّةُ هَرَّ الرَّمَحَ وَانْتَضَبَا

يَسْتَسْهَلُ الصَّعَبُ إِنْ هَاجَتْ حَفِيزَتُهُ وَلَا يُشَاوِرُ غَيْرَ السِّيفِ إِنْ غَضِبَا

حفيظة: غضبه

إِنْ حَلَّ أَرْضاً حَمَى بِالسِّيفِ جَانِبَهَا وَإِنْ وَعَى نَبَأَةً مِنْ صَارِخٍ رَكِبَا

إن وعى نبأه (سمع صوتاً خفيفاً) يطلب النجدة، ركب حصانه لتلبية النداء

فَذَاكَ إِنْ يَحْيَى تَحْيَى الْأَرْضُ فِي رَعْدٍ وَإِنْ يَمُتْ يَنْقَلِبُ صِدْقُ الْمُنَى كَذِبَا

فَاحْمِلْ بِنَفْسِكَ تَبْلُغْ مَا أَرَدْتَ بِهَا فَالْيَتُ لَا يَرَهَبُ الْأَخْطَارَ إِنْ وَبَا

لَا يَقْعُدُ الْبَطْلُ الصَّنْدِيدُ عَنْ كَرَمٍ مَنْ جَادَ بِالنَّفْسِ لَمْ يَبْخُلْ بِمَا كَسَبَا

الصنديد (الشجاع) لا يقعد (لا يتوانى) عن كرم، فمن يجود بروحه لا يبخل بماله

١٤ صوني القناة

أَقْتَانَةَ الْعَيْنَيْنِ كُفِّي عَنِ الْقَلْبِ وَصُونِي حِمَاهُ، فَهُوَ مَنَزَلَةُ الْحُبِّ

منزلة: موضع

وَلَا تُسْلِمِي عَيْنِي لِلشَّهْدِ وَالْبُكََا فَإِنَّهُمَا مَجْرَى هَوَاكِ إِلَى قَلْبِي

١٥ يَا حُسَنَةَ مِنْ حَدِيثٍ

قَالَتْ، وَقَدْ سَمِعْتُ شِعْرِي فَأَعْجَبَهَا: إِنِّي أَخَافُ عَلَى هَذَا الْغُلَامِ أَبِي

تخاف عليه من سطوة أبيها

أَرَاهُ يَهْتَفُ بِاسْمِي غَيْرَ مُكْتَرِثٍ وَلَوْ كُنْتُ لَمْ يَدْعُ لِلظَّنِّ مِنْ سَبَبٍ

لو كنتي: لو تحايل ولم يذكر الاسم صراحة

فكيف أصنع إن دأعت مفاصلته ما بين قومي، وهم من سادة العرب؟
 فنارعتها فتاة من صواحيها قولاً يؤلف بين الماء واللهب
 نازعتها (خالفتها) صديقتها بقول توفقي بجمع بين المتافضين

قالت دعيه يصوغ القول في جملي من الهوى، هي آيات من الأدب
 وما عليك وفي الأسماء مشترك إن قال في الشعر يا ليلي ولم يعب؟
 يا حسنه من حديث شف باطنه عن رقة ألبسنني خلعة الطرب
 ما أجمل حديث صاحبها

١٦ النائحات

قال وقد مر بصحراء القرافة، فرأى نسوة ينعن على ميت:
 رأيت بصحراء القرافة نسوة نوازع، لا يأوين حزنأ إلى بيت
 نوازع: خارجات من بيوتهن
 ينعن على ميت سيقنن إثره ومن عجب ميت ينوح على ميت

١٧ براءة بلا براهيم

قال يمدح النبي ﷺ:

أبيت أرعى نجوم الليل في ظلم يخشى الضلالة فيها كل مدلج
 أراقب النجوم في ظلمات ليل يخشى أن يضل فيه كل مدلج (سائر ليل)
 كأن أنجمه والجو معتكر غيد بأخبية ينظرون من فرج
 كان النجوم والجو معتكر (مسود) عيون الغيد (الحسان) وهن ينظرون من فرج (شقوق) الأخبية
 (الخيام)

ليل غياهبه خيرى، وأنجمه حسرى، وساعاته في الطول كالجحج
 ليل غياهبه (ظلماته) خيرى، أي يتحير فيها المرء، ونجومه حسرى (معتبة)، أي تتعب في مراقبتها
 العين، وساعاته طويلة كأنها كالجحج (السنوات)

قلبت من لامي لانت شكيمته فكف عني فضول المنطقي السميع
 لبت اللائم لانت شكيمته (خفف تشده)، فكف عني فضول المنطق (أي الزائد من الكلام)
 هيها يسلك لوم العاذلين إلى قلب يحب رسول الله ممتزج

يَا رَبِّ بِالْمُصْطَفَى هَبْ لِي، وَإِنْ عَظُمَتْ جَرَائِمِي، رَحْمَةً تُغْنِي عَنِ الْحُجَجِ
 أعطني يا رب، بشفاعَةِ النبي، رحمة تغني عن تقديم الحجج (البراهين على براءتي) مهما كبرت ذنوبي
 مَا لِي سِوَاكَ وَأَنْتَ الْمُسْتَعَانُ، إِذَا ضَاقَ الزَّحَامُ عُدَاةَ الْمَوْقِفِ الْحَرَجِ
 ما لي سوى شفاعَةِ النبي في زحمة الموقف الحرج (يوم القيامة)

١٨ حسام الفجر

قال يوازن قصيدة ابن النيه (با ساكني السفح كم عين بكم سفحت):
 خَفَّتْ مَعَاظُهَا لَكِنْ رَوَّادُهَا بِمِثْلِ مَا حَمَلْتَنِي فِي الْهَوَى رَجَحْتُ
 معاطفها (خصرها) رقيقة، وأردافها ثقيلة وراجحة مثل الهم الذي حملتني إياه في حبها
 وَلَيْلَةٍ سَأَلَ فِي أَهْقَابِهَا شَفَقٌ كَأَنَّهَا بِحُسَامِ الْفَجْرِ قَدْ ذُبَحَتْ
 ليلة جاء بعدها شفق (غسق، النور الخفيف المؤذن بالفجر) كأنه دم سال عندما ذبح سيف الفجر
 ظلمة الليل

طَالَتْ وَقَصَّرَهَا لَهْوِي بِغَانِيَةٍ إِنْ أَعْرَضْتَ قَتَلْتُ، أَوْ أَقْبَلْتُ فَضَحْتُ
 طالت الليلة وأحست أنها قصيرة وأنا ألهم مع غانية (جميلة)، إعراضها يقتلني وإقبالها علي
 يفضحني (يفضح شهواتي، أو يفضحني بين الناس)
 دَارَتْ عَلَيْنَا بِهَا الْكَاسَاتُ مُنْرَعَةً بِخُمْرَةٍ لَوْ بَدَتْ فِي ظُلْمَةٍ قَدَحَتْ
 مترعة: مملوءة

١٩ ابنة الفرح

قال علي وزن مختفع:

إِمْلَأِ الْقَدْخَ وَاغْصِ مَنْ نَصَخَ
 وَارِوْ غُلَّتْنِي بِابْنَةِ الْفَرَحِ
 غلتي: عطشي
 وَفِيَّ إِنْ سَرَرْتُ فِي الْعَلِيلِ صَخْ

٢٠ روح بلا جسد

وقال في الروح بعد مفارقة الجسم:

بَلَّغْتِ مَدَاكِ مِنْ أَرْبٍ فَسِيحِي فَأَنْتِ الْيَوْمَ فِي جَوْ قَسِيحِ
 بلغت أيتها الروح، بعد موت الإنسان، أقصى المدى من أربك (ميتناك) فانطلقني

فَعَادَتْ صُورَةَ الْجُثْمَانِ عُظْلًا لِفَقْدِكَ مِثْلَ دِينَارٍ مَسِيحٍ
 أصبح الجسم معطلاً من روحه، فهو كالدينار الذهبي المسح (المسوح، فلا كتابة ولا صورة عليه)
 قَلْبَتِكَ تَرْجِعِينَ لَنَا بِصَدْقٍ يُبَاغِتُ كُلَّ خَتَالٍ مَسِيحٍ
 ليك ترجعين للجسم في البعث فيفاجأ كل منكر ختال (ماكر) مسيح (دجال)
 بِرَبِّكَ هَلْ وَجَدْتَ كَمَا وَجَدْنَا خِلَافًا بَيْنَ أَحْمَدَ وَالْمَسِيحِ؟
 سؤال للروح: هل ثمة فعلاً خلاف بين دين أحمد، الإسلام، ودين المسيح؟

٢١ عش عزيزاً

قال بفخر ويمرّض بالمظالم على عهد الحكومة الاستبدادية:

رَضِيتُ مِنَ الدُّنْيَا بِمَا لَا أَوْدُهُ وَأَيُّ امْرِئٍ يَقْوَى عَلَى الدَّهْرِ زَنْدُهُ
 رضيت من الدنيا بما لا أرغب فيه فعلاً، وليس هناك إنسان يستطيع زنده (ذراعه) أن يلوي ذراع
 الدهر

أَحَاوُلُ وَضَلًا، وَالصُّدُودُ خَصِيْمُهُ وَأَبْغِي وَفَاءً وَالطَّبِيعَةُ ضِدُّهُ
 أحاول وصل المليحة، ولكن الصدود يعترضني، وأطلب الوفاء ولكن طبع الأشياء ضد الوفاء
 حَسِبْتُ الْهَوَى سَهْلًا، وَلَمْ أَذِرْ أَنَّهُ أَخْوَعَدَاتٍ يَتَّبِعُ الْهَزْلَ جِدُّهُ
 وما الحب إلا حاكم غير عادل إذا رام أمراً لم يجد من يصده
 لَعَمْرِي لَقَدْ وَلَّى الشَّبَابُ، وَحَلَّ بِي مِنَ الشَّيْبِ خَطْبٌ لَا يُطَاقُ مَرَدُّهُ
 حل بي من الشيب خطب (مصيبة) لا سبيل إلى مقاومته

وَكَيْفَ أُلُومُ النَّاسَ فِي الْعَدْرِ بَعْدَمَا رَأَيْتُ شَبَابِي قَدْ تَغَيَّرَ عَهْدُهُ؟
 كيف أُلوم الناس على الغدر وشبابي غدر بي، وذهب

أَطَالِبُ إِبَامِي بِمَا لَيْسَ عِنْدَهَا وَمَنْ طَلَبَ الْمَعْدُومَ أَعْيَاهُ وَجَدَهُ
 أعياه وجده: أعجزه إيجاده والعثور عليه

أَبَى الدَّهْرُ إِلَّا أَنْ يَسُودَ وَضِيْعُهُ وَيَمْلِكُ أَعْنَاقَ الْمَطَالِبِ وَغَدُهُ
 أبى الدهر إلا أن يجهل الوضع يصبح في موقع سيادة، وأن يتحكم الوغد في الأرزاق

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَدْفَعْ يَدَ الْجَوْرِ إِنْ سَطَتْ عَلَيْهِ، فَلَا يَأْسَفُ إِذَا ضَاعَ مَجْدُهُ
 من لم يقاوم يد الجور (الظلم) عندما تسطو عليه فلا يأسف عندما يضع مجده

وَأَقْتُلْ ذَا رُؤْيَا الْعَيْنِ ظَالِمًا يُسِيءُ وَيُتْلَى فِي الْمَحَافِلِ حَمْدُهُ
مما يؤذي المرء أن يرى ظالماً مسياً ومع ذلك يشيدون به في المجالس

عَفَاءٌ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَعِشْ بِهَا بَطْلاً يَحْمِي الْحَقِيقَةَ شُدَّهُ
عفاء على الدنيا (لتذهب إلى الجحيم) إذا لم يعش المرء بطلاً يحمي شُدَّهُ (إقامته) الحقيقة
(الشرف)

أَبْتٌ لِي حَمَلُ الضَّيْمِ نَفْسٌ أَبِيَّةٌ وَقَلْبٌ إِذَا سِيمَ الْأَذَى شَبٌّ وَقُدَّهُ
نفس الأبوة ترفض تقبل الظلم، وقلبي إذا سيم الأذى (تعرض للأذى) شبت ناره غضباً

وَحَسْبُ الْفَتَى مَجْدًا إِذَا طَالَبَ الْعُلَا بِمَا كَانَ أَوْصَاهُ أَبُوهُ وَجَدَّهُ
كفى المرء مجداً أن يطلب من المكارم ما كان أوصاه به أبوه وجده

أَصْدُ عَنِ الْمَرَمَى الْقَرِيبِ تَرْفَعًا وَأَطْلُبُ أَمْرًا يُعْجِزُ الطَّيْرَ بُغْدُهُ
أترك المرامي (الأهداف) السهلة مترفعاً عنها، وأطلب البعيد العالي الذي لا يصل إليه الطير في
سمائه

وَلَا بُدَّ مِنْ يَوْمٍ تَلَاعَبَ بِالْقَنَا أَسْوَدُ الْوَعَى فِيهِ وَتَمَرَحَ الْجُرْدُ جُرْدُهُ
لا بد من يوم تتلاعب بالرماح فيه أسود الوعى (الحرب)، وتمرح الجرد (الخيال)

يُمَزَّقُ أَسْتَارَ النَّوَاطِرِ بَرْقُهُ وَيَقْرَعُ أَصْدَافَ الْمَسَامِعِ رَعْدُهُ
لمعان السيوف يمزق أستار النواظر (العيون) والعيون مستورة بغبار المعركة، ويقرع رعد الضرب
صواوين الأذان التي كالأصداق

تُدَبِّرُ أَحْكَامَ الطَّعَانِ كُھُولُهُ وَتَمْلِكُ تَصْرِيفَ الْأَعْنَةِ مُرْدُهُ
الكهول يدبرون سير المعركة، والمرتد (الشباب الذين لم تنبت لحاهم بعد) يصرفون الأعنة
(يتحكمون في مقادير الخيل). أي أن التخطيط للكهول والقتال للشباب

فَلِإِمَّا حَيَاةٌ مِثْلُ مَا تَشْتَهِي الْعُلَا وَإِمَّا رَدَى يَشْفِي مِنَ الدَّاءِ وَقُدَّهُ
إما حياة عزيزة ترضى عنها المكارم، وإما موت يشفي وفده (قدومه) ما بالنفس من حمية ضد الظلم

٢٢ مسحتها وخلبتها

وقال على روي قصيدة النابغة الذبياني التي أولها «أمن آل مية رائح أو مغتد:

قالوا غداً يوم الرحيل، وَمَنْ لَهُمْ خَوْفُ التَّفَرُّقِ أَنْ أَعِيشَ إِلَى عَدَى؟
قالوا سيرحلون غداً، فقلت إنني لشدة خوفي من فراقهم قد لا أعيش إلى يوم الغد

هِيَ مُهْجَةٌ ذَهَبَ الْهَوَى بِشِغَافِهَا مَعْمُودَةٌ، إِنْ لَمْ تَكُنْ فَكَأَنَّ قَدْ
 مهجتي (قلبي) ذهب الهوى بشغافها (غشاء القلب) وهي معمودة (منهكة جداً) إِنْ لَمْ تَكُنْ نَفْسِي
 فَكَأَنَّ قَدْ (كادت)

يَا أَهْلَ ذَا الْبَيْتِ الرَّفِيعِ مَنَارُهُ أَدْعُوكُمْ يَا قَوْمُ دَعْوَةً مُقْصِدَ
 يَا أَهْلَ الْبَيْتِ الْعَالِي أَدْعُوكم دعوة رجل مقصد (مصاب بطعنة)

إِنِّي فَقَدْتُ الْيَوْمَ بَيْنَ بُيُوتِكُمْ عَقْلِي، فَرُدُّوهُ عَلَيَّ لِأَهْتَدِيَ
 أَوْ فَاسْتَقِيدُونِي بَعْضُ قِيَانِكُمْ حَتَّى تَرُدَّ إِلَيَّ نَفْسِي أَوْ تَدِي
 استقيديني (ادفعوا دية قلبي) بإعطائي بعض قيانكم (أحدى فتياتكم)، حتى ترجع لي نفسي أو تدي
 (تدفع الدية)

وَلَقَدْ شَهِدْتُ الْحَرْبَ فِي إِبَانِهَا وَلَبِئْسَ رَاعِي الْحَيِّ إِنْ لَمْ أَشْهَدْ
 شهدت الحرب في إبانها (في عزّ النهابها)، وسأكون بش راعي الحي (حامي القوم) لو لم أشهد

بِمُضْمَرٍ أَرِنِ كَأَنَّ سَرَاتُهُ بَعْدَ الْحَمِيمِ سَبِيكَةً مِنْ عَسَجِدٍ
 شهدت الحرب بمر مضمّر (مدربّ نحيل اكتملت عضلاته بالجري) أرّن (ممرّاح) كأن سرّاته
 (ظهوره) بعد الحميم (العرق) سبيكة عسجد (ذهب)، فجسمه يلمع مع العرق

خَلَصْتُ لَهُ الْيُمْنَى وَعَمَّ ثَلَاثَةٌ مِنْهُ الْبَيَاضُ إِلَى وَظِيفٍ أَجْرَدٍ
 قائمته اليمنى خلصت من البياض، فلونها كلون سائر جسمه، والقوائم الثلاث الأخرى فيها بياض
 من الحافر حتى الوظيف (الناق تحت الركبة) الأجرد (ذي الشعر القصير)

فَكَأَنَّمَا انْتَزَعَ الْأَصِيلَ رِدَاءَهُ سَلْبًا، وَخَاضَ مِنَ الضُّحَى فِي مَوْرِدٍ
 كأنه بلونه المحمر قد انتزع من الأصيل (وقت الغروب) رداءه سلباً (أي غنيمة)، وكأنه خاض
 شمس الضحى بدل أن يخوض مورد الماء، فلونه محمر على اصفرار

مُتَلَقِّتًا عَنْ جَانِبَيْهِ، يَهْرُهُ مَرَحُ الصَّبَا كَالشَّارِبِ الْمُتَعَرِّدِ
 يتلفت بمرح كأنه شارب خمره يترنم

فَإِذَا ثَنَيْتَ لَهُ الْعِنَانَ وَجَدْتُهُ يَمْطُو كَسَيْدِ الرِّدْهَةِ الْمُتَوَرِّدِ
 إِنْ ثَنَيْتَ عَنَانَهُ (مقوده) وشددته فهو يمْطو (يسير حثيثاً) كسيد الردهة (كذئب الراية) المتورد (الوردي اللون)

وَإِذَا أَطْلَتَ لَهُ الْعِنَانَ زَايَتَهُ يَطْوِي الْمَهَامَةَ فَذَقْدًا فِي قَذَقْدٍ
 وإذا أُرْخِبتَ مقوده أسرع وصار يطوي المهامه (الصحاري) فذقدًا بعد فذقد (فلاة بعد فلاة)

نِعَمَ الْعَتَادُ إِذَا الشَّفَاءُ تَقَلَّصَتْ يَوْمَ الْكَرِيهَةِ فِي الْعَجَاجِ الْأَرِيدِ
المهر خير عتاد (عدة الحرب) إذا اشتد القتال وتقلصت شفاء المحاربين لشدة التوتر في يوم
الكرهية (الحرب) وسط العجاج (الغبار) الأريد (القاتم)

بَلْ رُبَّ غَانِيَةٍ طَرَفَتْ خِبَاءَهَا وَالنَّجْمُ يَظْطَرُّ عَنْ لَوَاحِظٍ أَرْمَدِ
رب غانية طرفت خبائها (أتيت خيمتها ليلاً) بينما النجم يرتجف كأنه لواظ (عبون) شخص
مصاب بالرمد تطرف

قَالَتْ وَقَدْ نَظَرْتُ إِلَيَّ: فَضَحْتَنِي فَارْجِعْ لِشَانِكَ فَالرَّجَالُ بِمَرَصِدِ
فَمَسَخْتُهَا حَتَّى أَطْمَأَنَّ فَوَاضَا وَنَفَيْتُ رَوْعَتَهَا بِرَأْيِ مُخَصَّدِ
مسحتها مثلما يمسح الحالب ضرع البقرة لهدئتها عند الحلب، ونفيت روعتها (خوفها) برأي محصد
(سديد). تعليق عمران القفيني: هل أنت متأكد أن البارودي كان يفعل هذا؟ الجواب: لعله!

وَحَلَبْتُهَا بِالْقَوْلِ حَتَّى رُضُّهَا وَطَوَّيْتُهَا طَيِّ الْحَبِيرَةِ بِالْيَدِ
وحلبتها (فتتها) بالكلام حتى روضتها، ثم ضممتها كما يضم المرء الحبيرة (الثوب) بيدي. البيت
أسقطه البارودي عندما جمع ديوانه، لكنه موجود في كتاب الوسيلة الأدبية للمرصفي

وَخَرَجْتُ أَخْتَرِقُ الصُّفُوفَ مِنَ الْعِدَا مَتَلَثِّمًا وَالسَيْفُ يَلْمَعُ فِي يَدِي

٢٣ سرى البرق

وقال وهو بأقريطش (جزيرة كريت) أيام الحرب يتشوق إلى مصر (١٨٦٥ م):
سرى البرق مصرياً، فأرَّقَنِي وَحْدِي وَأَذْكَرَنِي مَا لَسْتُ أَنْسَاهُ مِنْ عَهْدِ
سرى البرق (سار ليلاً) أتياً من مصر فسهرت له وحدي، وذكرني بعهود لن أنساها
فيا برقُ حدِّثني، وأنت مُصَدِّقٌ، عن الآلِ والأصحابِ: ما فعلوا بَعْدِي

٢٤ صؤول ضروب

وقال وهو في حرب الروس مع الدولة العثمانية ١٨٧٧م، وأرسل بها إلى الشيخ حسين
المرصفي:

وَمَنْ كَانَ ذَا نَفْسٍ كَنَفْسِي تَصَدَّعَتْ لِعِزَّتِهِ الدُّنْيَا، وَذَلَّتْ لَهُ الْأَسْدُ
يقول إن نفسه كبيرة شديدة عزيزة تتصدع (تشقق وتتكسر) لها الدنيا وتذل الأسود
وَمِنْ شِيَمِي حُبُّ الْوَفَاءِ سَجِيَّةٌ وَمَا خَيْرُ قَلْبٍ لَا يَدُومُ لَهُ عَهْدُ
سجيتي وشيمتي (خُلقي وطبعي) الوفاء، وما خير (لا خير في) قلب لا يدوم له عهد

ولكنَّ إخواناً بمصرَ ورُقَّةَ نَسُونَا، فَلَا عَهْدَ لَدَيْهِمْ وَلَا وَغْدَ
فِيَا سَاكِنِي الْفُسْطَاطِ مَا بَالُ كُنِينَا ثَوْتُ عِنْدَكُمْ شَهْرًا وَلَيْسَ لَهَا رَدُّ؟
الفسطاط: القاهرة القديمة، ثوت: قعدت

نَأْتُ بِي عَنْكُمْ غُرْبَةً، وَتَجَهَّمْتُ بِوَجْهِي أَيَّامَ خِلَافَتِهَا نُكْدُ
أبعدتني عنكم غربة، وكشرت بوجهي أيام خلافتها (طباعها) نُكد (مشاكسة)
أَدُورُ بِعَيْنِي لَا أَرَى غَيْرَ أُمَّةٍ مِنَ الرُّوسِ بِالْبَلْقَانِ يُخْطِئُهَا الْعَدُوُّ
الروس: يعني السلافين بشكل عام

جَوَاثٍ عَلَى هَامِ الْجِبَالِ لِعَارَةٍ يَطِيرُ بِهَا ضَوْءُ الصَّبَاحِ إِذَا يَبْدُو
هؤلاء القوم جواث (جاثون رابضون) على رؤوس الجبال مستعدون لغارة، يطرون فيها من جبالهم
مع بزوغ شمس الصباح

إِذَا نَحْنُ سِرْنَا صَرَخَ الشَّرُّ بِاسْمِهِ وَصَاحَ الْقَنَا بِالْمَوْتِ، وَاسْتَقْتَلَ الْجُنْدُ
إذا مشينا إلى أعدائنا غداً واضحاً أن شراً سيقع، واستدعى القنا (الرماح) الموت استدعاءً، ورمى
الجنود أنفسهم على الموت

إِذَا اشْتَبَكُوا، أَوْ رَاجَعُوا الزَّخْفَ، خَلَّتْهُمْ بُحُورًا تَوَالَى بَيْنَهَا الْجَزْرُ وَالْمَدُّ
ففي الاشتباك، وفي الكر والفر، تحسب جموع الجنود مثل بحر يعتوره الجزر والمد

فَهُمْ بَيْنَ مَقْتُولٍ طَرِيحٍ، وَهَارِبٍ طَلِيحٍ، وَمَأْسُورٍ يُجَاذِبُهُ الْقَيْدُ
الجنود موزعون بين مقتول مطروح أرضاً وبين فار طليح (مرهق) ومأسور يجاذب القيد (القيد
المصنوع من سير جلدي)

نَرُوحُ إِلَى الشُّورَى إِذَا أَقْبَلَ الدُّجَى وَنَغْدُو عَلَيْهِمْ بِالْمَنَابِإِ إِذَا نَغْدُو
في الليل تشاور ونخطط، ونغدو (نتطلق صباحاً) ومعنا للأعداء المنايا (الموت)

وَنَفْعُ كُلُّجِ الْبَحْرِ خُضْتُ عِمَارَهُ وَلَا مَعْقِلٌ إِلَّا الْمَنَاصِلُ وَالْجُرْدُ
رب تقع (غبار) كلج البحر (مائه) خضت في غماره (مياهه العميقة)، وليس من معقل (حصن
يحميني) إلا المناصل (البيرف) والجرد (الخيل)

صَبِرْتُ لَهُ وَالْمَوْتُ يَحْمَرُّ تَارَةً وَيَنْغَلُ طَوْرًا فِي الْعَجَاجِ قَيْسُودُ
صبرت وحولي الموت يحمر بدم القتلى تارة، وينغل (يتغلغل) طوراً وسط العجاج (الغبار) فيكون
موتاً أسود

فَمَا كُنْتُ إِلَّا اللَّيْثُ أَنْهَضَهُ الطَّوْىِ وَمَا كُنْتُ إِلَّا السِّيفَ فَارَقَهُ الْجُمْدُ
كنت كالليث نهض شراً للصيد بفعل الطوى (الجوع)، وكالسيف الذي فارق غمده (بيته)

صُؤُولٌ وَلِلْأَبْطَالِ هَمْسٌ مِنَ الْوَنَى صَرُوبٌ وَقَلْبُ الْقِرْنِ فِي صَدْرِهِ يَعْدُو
 صؤول (هاجم) بينما الأبطال يهيمون من الونى (الثعب)، وضارب بينما قلب القرن (الخصم)
 يركض في صدره خوفاً

فَمَا مُهْجَةٌ إِلَّا وَرُمَحِي ضَمِيرُهَا وَلَا لَبَّةٌ إِلَّا وَسِيفِي لَهَا عِقْدُ
 رمحي دخل في كل مهجة (قلب) فصار كأنه ضمير لها مخبئ فيها، ولا لبة (عنق) إلا جعلت
 سيفي لها مثل العقد

إِذَا الْقَلْبُ لَمْ يَنْصُرْكَ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ فَمَا السِّيفُ إِلَّا آلَةٌ حَمَلُهَا إِدُ
 إذا لم يكن قلبك قوياً فينصرك فلا نفع في السيف وحده، فهو فقط أداة حملها إد (يؤودك ويتعبك)

٢٥ الصبا في وادي الفناء

وقال يَرُوضُ الشعر:

تَوَلَّى الصَّبَا عَنِّي، فَكَيْفَ أَعْبَدُهُ وَقَدْ سَارَ فِي وَادِي الْفَنَاءِ بِرِيدُهُ
 البريد هو البغل، وكانت البغال تحمل الرسائل من بلد إلى بلد. المعنى: ذهب عهد الصبا ولا
 عودة له، فقد سار عني إلى... وادي الفناء...

أَحَاوَلُ مِنْهُ رَجْعَةً بَعْدَ مَا مَضَى، وَذَلِكَ رَأَيْ غَابَ عَنِّي سَدِيدُهُ
 أحاول إرجاع الصبا وهذا ليس بالرأي السديد

وَفِي الْحَيِّ ظَلْبِي إِنْ تَرَنَّمْتُ بِاسْمِهِ تَنَمَّرَ وَاشْيَاهِ وَهَاجَ حَسُودُهُ
 في الحي (القوم) فتاة حسناء إن ترنمت باسمها في شعري تنمر الواشي (تحفز) واستنفر الحسود
 نَهِيمٌ بِهِ أَسْتَارُهُ وَخُدُورُهُ وَتَعَشَّفُهُ أَقْرَاطُهُ وَعُقُودُهُ
 نهيم بالظبي أستاره وخدوره (تلفه وتحوطه) والخدر بيت داخل البيت، أو خيمة داخل الخيمة،
 كانت المرأة تستتر بها عن الغرياء قديماً/واليوم لبست المرأة في بلادنا خيمتها)، وتعلق بالظبي
 المحبوب. أقراطه (والقرط الحلق) وعقوده

تَأْتَقُ فِيهِ الْحُسْنُ فَامْتَدَّ فَرْعُهُ إِلَى قَدَمَيْهِ، وَاسْتَدَارَتْ نُهُودُهُ
 الجمال تأتق في صوغ هذا الظبي فطال فرعه (شعره) ووصل إلى قدميه، واستدارت أنداؤه

فَلِنِمْسِكَ رَيَّاهُ، وَلِلْبَانِ قَدُّهُ وَلِلزُّورِ خَدَّاهُ، وَلِلظَّبِيِّ جِيدُهُ
 رياه (رائحته) منسوبة للملك، وقده منسوب لغصن البان، وخداه في حمريهما كالورد، وجيده
 كجيد الظبي

أَضَاحِكَ وَجْهَ الْمَرْءِ يَنْشَأُ بِشْرُهُ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْقَلْبَ تَغْلِي حُقُودُهُ

حكمة: أبادل المرء الضحك إذا كان يغشى (يغطي) وجهه البشر والانشراح، مع أنني أعلم أن الحقوق (الأحقاد) تغلي في قلبه. التسويد لعمران القفنيي... وأبني لأنني لم أكن سودته، في المسودة، فهي قد سودناه يا سيدي

وَمَنْ لَمْ يُدَارِ النَّاسَ عَادَاهُ صَحْبُهُ وَأَنْكَرَهُ مِنْ قَوْمِهِ مَنْ يَسُودُهُ

لكن من لا يداري الناس يعاديه مصاحبه، ويستكر أفعاله من قومه من هو سيد لهم، والسيد يجب أن يكون بشوشاً، حليماً لا يعادي الناس بسهولة

٢٦ رجال السياسة

وقال يذم رجال الحكومة الاستبدادية في عهد إسماعيل خديوي مصر:

لَنْ يَسُودَ الْفَتَى وَلَوْ مَلَكَ الْحِكْمَ مِمَّا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْأَجْوَادِ
السيادة ليست بامتلاك الحكمة فقط، بل لا بد من أن يكون المرء أيضاً من الأجواد (الأسخياء)

رُبَّ خِلٍّ تَرَاهُ طَلَّقَ الْمُحْسِنِيًّا وَهُوَ جَهَنَّمُ الضَّمِيرِ بِالْأَحْقَادِ
رب خل (صديق) تراه طلق المحيا (بشوشاً) وضميره جهنم (مسود) بالأحقاد

فَتَأْمَلُ مَوَاقِعَ اللَّحْظِ تَعْلَمُ مَا طَوْنُهُ صَحَائِفُ الْأَكْبَادِ
فأتمعن النظر في مواقع اللحظ (النظرات) فالعيون تفضح ما طوته صحائف الأكباد من حقد وبغية
غدر (شبه الكبد بكتاب له صحائف مكتوبة فيها أسياء)

إِنَّ فِي الْعَيْنِ وَهْيَ عُضْوٍ صَغِيرٍ لَدَلِيلًا عَلَى خَبَايَا الْفُؤَادِ
أَنَا مَا بَيْنَ نِعْمَةٍ وَخَسُودٍ وَالْمَعَالِي كَثِيرَةُ الْحُسَادِ
فَلْيَمُوتُوا بِغَيْظِهِمْ، فَاحْتِمَالُ الْغَيْظِ مَوْتُ لَهُمْ بِلا مِيعَادِ
الغيط للحاسدين عقاب، فهو كالموت جاءهم قبل مواعده

كَيْفَ تَبَيَّنَ مِنْ أَنَاسٍ وَجُوهٌ صَبَغَ اللَّوْمُ عِرْضَهُمْ بِسَوَادٍ؟
فَتَرَى الْمَرْءَ مِنْهُمْ ضَاحِكُ السِّنِّ - وَفِي ثَوْبِهِ دِمَاءُ الْمِبادِ
مَعَشَرَ لَا وَلِيدُهُمْ ظَاهِرُ الْمَهْ - وَلَا كَهْلُهُمْ عَفِيفُ الْوَسَادِ
حَكَمُوا مَصْرَ وَهِيَ حَاضِرَةُ الدُّنْيا، فَأَمَسَتْ وَقَدْ خَلَّتْ فِي الْبُودَايِ
أَضْبَحَتْ مَنْزَلَ الشَّقَاءِ، وَكَانَتْ جَنَّةً لَيْسَ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ
وَقَلِيلًا مَا يَصْلُحُ الْمَرْءَ لِلْجِدِّ - إِذَا كَانَ سِمَاقِطَ الْأَجْدَادِ

٢٧ رثاء الزوجة

وقال يبرني زوجته وقد ورد إليه نعيها وهو بسرنديب، وتوفيت سنة ١٨٨٣ بالقاهرة:

أَيْدِ الْمَنُونِ! قَدْخَتِ أَيَّ زِنَادٍ وَأَطْرَتِ أَيْةَ شُغْلَةٍ بِفُؤَادِي
يا يد الموت، قدحت أي زناد (حجر النار)! فأوقعت الحريق بقلبي

أَسْتَنْجِدُ الزَّفَرَاتِ وَهِيَ لَوَافِحُ وَأَسْفُهُ الْعَبَرَاتِ وَهِيَ بَوَادٍ
أطلب النجدة من زفاتي اللوافح (الحارة)، وأسفهُ الدموع (لا أدرك وجودها) وهي ظاهرة

لَا لَوْعَتِي تَدْعُ الْفُؤَادَ، وَلَا يَدٌ تَقْوَى عَلَى رَدِّ الْحَبِيبِ الْعَادِي
لا لوعتي ترك قلبي، ولا يدي تستطيع رد الحبيب العادي (المفارق)

يَا دَهْرُ فِيمَ فَجَعْتَنِي بِحَلِيلَةٍ كَانَتْ خُلَاصَةً عُذَّتِي وَعَنَادِي
فيم (لماذا) فجعتني يا دهر بحليلة (زوجة) كانت خلاصة عدتي في هذه الحياة. تعليق عمران
القفيني: (رغم أنه استخدم «حليلة» بدل «حبيبة»، إلا أن البيت يبقى تحفة.. انظر إليه تراه يقطر
نفعاً)

إِنْ كُنْتُ لَمْ تَرْحَمْ ضَنَائِي لِبُعْدِهَا أَفْلا رَحِمْتَ مِنَ الْأَسَى أَوْلَادِي
أَفَرَدْتُهُنَّ فَلَمْ يَنْمُنْ تَوَجُّعاً قَرَحَى الْعَيُونَ، رَوَاجِفَ الْأَكْبَادِ
بناتي أصبحن في وحدة، وعيونهن قرحت من البكاء (مجرحة)، وأكبادهن راجفة

أَلْقَيْنَ دُرَّ عُقُودِهِنَّ، وَصِغْنَ مِنْ دُرِّ الدَّمُوعِ قَلَائِدَ الْأَجْيَادِ
رمين لآلئ العقود واستبدلن بها لآلئ هي الدموع في الأجياد (الأعناق)

وَلَهِيَ عَلَيْكَ مُصَاحِبٌ لِمَسِيرَتِي وَالدَّمْعُ فِيكَ مُلَازِمٌ لِيُوسَادِي
ولهي عليك (حزني) يصاحبني في مسيرة النهار، ودمعي فيك يلازم وسادتي ليلاً

فَإِذَا انْتَبَهْتُ فَأَنْتِ أَوَّلُ ذِكْرَتِي وَإِذَا أَوَيْتُ فَأَنْتِ آخِرُ رَاذِي
التسويد لعمران القفيني. وعبارته: أدرك هذا البيت بالتسويد

فَلَيْسَ «لَبِيدٌ» قَضَى بِحَوْلٍ كَامِلٍ فِي الْحَزَنِ فَهُوَ قَضَاءُ غَيْرِ جَوَادٍ
ليبد الشاعر، الذي يقول إن الذي يبكي حولاً (سنة) قد بلغ المدى واكتفى، لم يكن جواداً
(سخياً).. فالسنة لا تكفي

كُلُّ امْرِئٍ يَوْمًا مُلَاقٍ رَبِّهِ وَالنَّاسُ فِي الدُّنْيَا عَلَى مِيعَادٍ
الناس في دنياهم ماكنون على ميعاد يكون في الآخرة حين يلاقون ربهم

فاسْتَهْدِ «يا محمود» رَبِّكَ، والتمس منه المَعُونَةَ فَهُوَ نِعْمَ الْهَادِي
يا محمود سامي البارودي اطلب الهداية من ربك واستعن به

٢٨ واكبيدي يا علي بعدك

وقال يرثي ولده علياً من زوجته الثانية التي تزوجها وهو في المنفى أواخر سنة
(١٨٨٥):

كَيْفَ طَوَّنْتَ الْمَنُونُ يَا وَلَدِي؟ وَكَيْفَ أَوْدَعْتُكَ الشَّرَى بِيَدِي؟
وَاكْبِدِي يَا «عَلِي» بَعْدَكَ! لَوْ كَانَتْ تَبُلُّ الْقَلِيلَ «وَاكْبِدِي»
فَقَدْ كُ سَلَّ الْعِظَامَ مِنِّي وَرَدَّ الصَّبْرَ عَنِّي، وَفَتَّ فِي عَضْدِي
فت في عضدي: أنهكتني

كَمْ لَيْلَةٌ فِيكَ لَا صَبَاحَ لَهَا سَهَرْتُهَا بِاَكْبِيَاءَ بِلَا مَدَدٍ

٢٩ رثاء الوالد

وقال في صباه يرثي والده:

أَبِي، وَمَنْ كَأَبِي فِي الْحَيِّ نَعْلَمُهُ أَوْفَى وَأَكْرَمُ فِي وَعْدٍ وَإِعَادٍ
والذي ليس في الحي (القوم) مثله، وهو وفِّيَّ عندما يعد وعندما يوعِد (يهدد)

لَا يَسْتَبْدُ بِرَأْيٍ قَبْلَ تَبْصِرَةٍ وَلَا يَهْتُمُّ بِأَمْرٍ قَبْلَ إِعْدَادٍ
كان حصيماً لا يستبد برأيه إلا بعد التبصرة (إدانة النظر)، ولا يهم بتنفيذ أمر إلا وقد أعد له عدته
تَرَاهُ ذَا أَهْبَةٍ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ كَاللَّيْلِ مَرْتَقِباً صَيْدَا بِمِرْصَادٍ

٣٠ حوار العاشق مع سيفه

وقال وهو بسرنديب يتشوق إلى مصر:

وَمِنْ عَجَبِ الْأَيَّامِ أَنِّي مُوَلِّعٌ بِمَنْ لَيْسَ يَعْنيهِ بُكَائِي وَلَا سُهْدِي
أَبِيتُ عَلِيلاً فِي «سَرَنْدِيب» سَاهِراً أَعَالِجُ مَا أَلْقَاهُ مِنْ لَوْعَتِي وَخُدِي
وَلَا صَاحِبٌ غَيْرُ الْحُسَامِ مَنُوطَةٌ حَمَائِلُهُ مِنِّي عَلَى عَاتِقِي صَلْدٍ
صاحبي الوحيد السيف المَنُوطَةُ حَمَائِلُهُ (المعلقة سيوره) على عاتقي (كفّي) الصلد (الشديد)
لَقَدْ كُنْتُ لِي عَوْناً عَلَى الدَّهْرِ مَرَّةً فَمَا لِي أَرَاكَ الْيَوْمَ مُنْتَلِمَ الْحَدِّ

فَقَالَ: إِذَا لَمْ تَسْتَطِيعَ سَوْرَةَ الْهَوَى وَأَنْتَ جَلِيدُ الْقَوْمِ، مَا أَنَا بِالْجَلِيدِ
قال السيف: إِذَا لَمْ تَقْرَ عَلَى سُورَةِ (هَجْمَةِ) الْهَوَى، وَأَنْتَ الْجَلِيدُ (الصَّبُور) فَأَنَا لَنْ أَكُونَ أَصْبَرَ
منك

وَهَلْ أَنَا إِلَّا شِقَّةٌ مِنْ حَدِيدَةٍ أَلَحَّ عَلَيْهَا الْقَيْنُ بِالطَّرْقِ وَالْحَدِّ؟

ما أنا - يقول السيف - سوى قطعة حديد بالغ القين (الحداد) في طرقها وتمضية شفرتها

فَمَا كُنْتُ لَوْلَا أَنَّنِي وَاهِنُ الْقَوَى أَعْلَقْتُ فِي خَبِيطٍ وَأَخْبَسْتُ فِي جِلْدٍ

وَأَنَا جَمَادٍ - يقول السيف - ولولا أنني ضعيف القوى لما عُلِّقْتُ بخيط، ولما حبست في قِوَابٍ من
جلد

فَدُونُكَ غَيْرِي، فَاسْتَعْنُهُ عَلَى الْجَوَى وَدَعْنِي مِنَ الشَّكْوَى فَدَاءُ الْهَوَى يُغْدِي

دونك (التمس) غيري ليعينك على الجوى (حزن العاشق)، واطركني بحالي فداء الهوى يعدي

٣١ ما لي وللناس

لَوْ عَلِمَ الْإِنْسَانُ مَا أَضْمَرَتْ أَحْبَابُهُ هَانَتْ عَلَيْهِ الْعِدَا

لو علم الإنسان ما تضرع له الأحباب من غدر لهان عليه الأعداء

مَا لِي وَلِلنَّاسِ وَأَعْمَالِهِمْ؟ كُلُّ امْرِئٍ رَهْنٌ حِسَابٍ عَدَا

نصبتنا رهن على الظرفية، ولك أن تنصّبها على أنها مفعول مطلق، ولك الرفع على الإخبار فعل
شارحي الديوان

هَلْ هِيَ إِلَّا مِدَّةٌ نَنْقُضِي؟ وَكُلُّ نَفْسٍ خُلِقَتْ لِلرَّدى

٣٢ طلب اللهو

هَلْ فِي التَّصَابِي عَلَى امْرِئٍ قَنَدٌ؟ أَمْ هَلْ يَعْيبُ الْفَتَى الْكَرِيمَ دَدٌ؟

هل في التصابي (لهو الكهل) قند (خطأ) أم هل يعيب الفتى الكريم دد (لعب)؟

وَأَيُّ لَوْمٍ عَلَى امْرِئٍ طَلَبَ اللَّبَّ هَوًى وَأَنْوَابُ عَمْرِهِ جُدُدٌ؟

وهل ثمة لوم على من التمس اللهو وأنوَابُ عمره جديده (وهو شاب)؟

فَاصْغَ لِمَا شَتَّ غَيْرَ مُتَثَبٍ فَلَنْ يَحُورَ الْكَمَالُ مُتَثَبٌ

اصنع ما شئت غير متثب (بلا إبطاء)، فالمتردد لا يصل إلى الكمال

٣٣ اللوم في الحب من الحسد

دَعْنِي مِنَ اللُّومِ إِنْ كُنْتُ أَمْرًا قَطِنًا فاللوم في الحب معدود من الحسد
لو كان للمرء عقل يسندل به على الحقيقة لم يعتب على أحد
التويد لمران القفني

إِنْ كُنْتُ ذَا إِمْرَةٍ فَأَنْتَ الصَّبَابَةُ عَنْ قلبي لتغنم شكري آخر الأبد
إِنْ كُنْتُ ذَا إِمْرَةٍ (قدرة) فاجعل الصبابة (الغرام) تنتهي عن الحلول بقلبي، وأنا لك شاكر
أَوْ لَا، فَدَعْنِي وَلَا تَغْنُفْ عَلَيَّ فَمَا أمري إلي، ولا حكم الهوى بيدي
والا فاتركني، فليس أمر الهوى طوع بيدي

٣٤ عنصراً الدنيا

وَمَا الدُّنْيَا سِوَى عَجْزٍ وَحِرْصٍ هما أصل الخليفة في العباد
فلولا العجز ما كان التَّصَافِي ولولا الحرص ما كان التعادي
عجز المرء عن مقارعة عدوه يلجئه إلى التصافي (المصالحة)، وحرص المرء على جرّ النفع إلى نفسه يوقعه في معاداة الآخرين. وكل شيء سوى هذين تفاصيل، الحياة صراع

٣٥ واحدة بواحدة

قال يصف أيام الربيع ويذكر مواسم اللهو في عصر الشباب:
وَقَدْ شَاقَّنِي، وَالصُّبْحُ فِي خَيْدِرِ أُمِّهِ، حنين حمامات تجاوبن في وكري
شاقني (أماج شوقي) والصبح لم يطلع بعد صوت حمامات يتردد في عشن
هَتَفْنَ فَأَطْرَبْنَ الْقُلُوبَ كَأَنَّمَا تعلمن الحان الصبابة من شعري
فَبَادِرَ لِمَيْمَنَاتِ الصَّلَاةِ، وَمِلُّ بِنَا إلى القُصْفِ ما بين الجزيرة والنهر
لنصل أولاً، ثم لنذهب للقصف (اللهو) في ذلك المكان على النيل
إِذَا مَا قَضَيْنَا وَاجِبَ الدِّينِ حَقَّهُ فليس علينا في الخلاعة من وزر
لا إثم علينا في الخلاعة بعد أن أدينا واجب الدين

لدى روضة ربا الغصون ترنحت معاطفها رقصاً على نغمة القمري
نلهو في روضة ريا (طرية) الغصون، ترنح جنباتها على نغمة القمري (الحمام)

تدورُ علينا بالمُدَامَةِ بَيْنَهَا تَمَائِلُ إِلَّا أَنَّهَا بَيْنَنَا تَجْرِي

تدور الفتيات الشبهات بالتمايل لحسنهن علينا بكؤوس الشراب

لَوَى قَدْهَا سُكْرُ الْخَلَاةِ وَالصَّبَا فَمَأَلَتْ بِشَطْرِ، وَاسْتَقَامَتْ عَلَى شَطْرِ

تلوي قدود الفتيات نشوة اللهو والشباب، فنصف الجسم الأسفل معتدل والنصف الأعلى يتمايل .
أو العكس . للرجل الذي لم يفهم معنى البيت تقول: استعمل عينك

وَعَلَّمَهَا وَخِي الدَّلَالِ كَهَانَةً فَإِنْ نَطَقْتَ جَاءَتْ بِشِيءٍ مِنَ السُّحْرِ

الدلال أوحى للفتيات بكهانة (سحر) فينطقن بكلام يذيب قلوبنا

٣٦ قلبي ولساني : سراج وسيف

وَلَا تَحَسَبَنَّ الْجِلْمَ يَمْنَعُ أَهْلَهُ وَفُوقَ الْأَذَى، فَالْمَاءُ وَالنَّارُ مِنْ صَخْرٍ

لا تظنن أن الشخص الحليم السمع يمتنع من إيقاع الأذى بالآخرين، ففي الإنسان كل المتناقضات
فهو مثل الصخر الذي ينبجس من الماء، لكنه أيضاً يخرج الشر عندما يُقدح

بَلَعْتُ مَدَى خَمْسِينَ وَازْدَدْتُ سَبْعَةً جَعَلْتُ بِهَا أَمْسِي عَلَى قَدَمِ الْخَضِرِ

عمري سبع وخمسون سنة، وطفيت بلاداً كثيرة كأنني أرافق النبي «الخضر»، النبي الرحالة

فَكَيْفَ تَرَانِي الْيَوْمَ أَخْشَى ضَلَالَةً وَشَيْبِي مَصْبَاحٌ عَلَى نُورِهِ أُسْرِي؟

لا أخشى أن أضل عن الطريق السوي فشيبى مصباح أسري (أسير ليلاً) على نوره . يعني أنه أصبح
رزيناً ونقياً بمنعه الشيب من العبث

أَقُولُ بِطَبْعٍ لَسْتُ أَحْتَاجُ بَعْدَهُ إِلَى الْمَنْهَلِ الْمَطْرُوقِ، وَالْمَنْهَجِ الْوَعْرِ

أقول الشعر عن طبع، فلا أضطر إلى المنهل المطروق (الحوض الذي يرده الناس) ولا إلى المنهج
الوعر (الطريق الوعر)، أي أنه لا يأتي بالمعاني المعروفة المطروقة ولا بالمعاني الملتوية

وَلِي مِنْ جَنَانِي، إِنْ عَزَمْتُ، وَمَقُولِي سَرَاخٌ وَعَضْبٌ: ذَا يُضِيءُ وَذَا يُفْرِي

جناني (قلبي) ومقولي (لساني) هما لي كالسراج والسيف: قلبي يضيء لي الطريق، ولساني يفري (يقطع)

إِذَا جَاشَ طَبْعِي فَاضَ بِالْدَّرِّ مَنْطِقِي وَلَا عَجَبٌ فَالْدَّرُ يَنْشَأُ فِي الْبَحْرِ

إذا جاش طبعي (زخر وماج) فاض من كلامي الدر (اللؤلؤ)، أليس اللؤلؤ يتكون في البحر؟

سَيَذْكُرْنِي بِالشَّعْرِ مَنْ لَمْ يَلَاقِنِي وَذِكْرُ الْفَنَى بَعْدَ الْمَمَاتِ مِنَ الْعُمَرِ

من لم يلتق بي في الحياة سيذكرني من شعري، وذكر المرء (شهرة الحسنة) امتداد
لعمره بعد إذ يموت. تعليق عمران القفيني: (قال المتنبي: ذكر الفنى عمره الثاني
وحاجته/ ما قاته وفضول العيش أشغال، وسيأتي أحمد شوقي ويقول: فاحفظ لنفسك
بعد موتك ذكرها/ فالذكر للإنسان عمر ثان، ولا نعلم من سيمضغ هذا المعنى لاحقاً)

٣٧ دوران الكرة الأرضية

وَقُلْنَا لِسَاقِينَا أَدْرُهَا، فَإِنَّمَا بقاء الفتى بعد الشبابِ يَسِيرُ
أدُر كؤوس الشراب فالحياة قصيرة

إذا ما شربناها أَقْمَنَّا مَكَانَنَا وظَلَّتْ بنا الأرضُ الفضاءُ تَدُورُ
نشرب الخمر، ونمكث في مجلسنا قاعدين، ولكننا نشعر أن الأرض تدور بنا

٣٨ عندي أمل

وقال بعد وصوله إلى جزيرة سَرَندِيب، وقد رأى ابته الوسطى في المنام:

صَبْرْتُ عَلَى كُرِّهِ لِمَا قَدْ أَصَابَنِي وَمَنْ لَمْ يَجِدْ مَدْوَحَةً فَهُوَ صَابِرٌ
من لم يجد مندوحة (بديلاً) فلا بد له من الصبر

وَمَا الْجَلْمُ عِنْدَ الْخَطْبِ، وَالْمَرْءُ عَاجِزٌ، بِمَسْتَحْسِنٍ كَالْجَلْمِ وَالْمَرْءُ قَادِرٌ
الحلم والتسامح عند وقوع الخطب (المصيبة) ليس مصدر فخر عندما يكون الإنسان عاجزاً، فهو إذ
ذاك مضطر للحلم، ولا كذلك الحلم عندما يكون المرء مقتدراً

وَقَدْ يَسْتَقِيمُ الْأَمْرُ بَعْدَ اغْوِجَاجِهِ وَتَنْهَضُ بِالْمَرْءِ الْجُدُودُ الْعَوَائِرُ
قد تتصلح الأحوال، وقد تنهض بالمرء الجدود العوائر (الحظوظ المتعثرة)

وَلِي أَمَلٌ فِي اللَّهِ تَحِيًّا بِهِ الْمُنَى وَوُشْرِقَ وَجْهُ الظَّنِّ، وَالْخَطْبُ كَاشِرٌ
أملِي في الله يحيي في قلبي الأمنيات ويجعل وجه الظن (الفكر) يشرق بينما الخطب كاشر (المصيبة
صعبة مكثرة)

وَلَوْ لَا تَكَالِيفُ السِّيَادَةِ لَمْ يَخْبُ جَبَانٌ، وَلَمْ يَخْوِ الْفَضِيلَةُ نَائِرٌ
لولا تكاليف السيادة (متطلباتها) لكان كل الناس سادة، وكان الجبان لا ييؤ بالخيفة، ولما كان
الناثر على الظلم يعد ذا فضل. المعنى: صعوبة الوصول إلى السيادة تكشف معدن الإنسان،
وتجعل الجبان يقصر عنها، والناثر على الظلم يتألها

وَلَوْ رُمْتُ مَا رَامَ امْرُؤٌ بِخِيَانَةٍ لَصَبَّحَنِي قِسْطٌ مِنَ الْمَالِ غَامِرٌ
لو طلبت ما يطلبه الإنسان عن طريق ارتكاب الخيانة لجاءني صباحاً المال الغامر الكثير

وَلَوْ أَنَّ أَسْبَابَ السِّيَادَةِ بِالْغِنَى لَكَاتَرَ رَبُّ الْفَضْلِ بِالْمَالِ تَاجِرٌ
ولو كانت السيادة بالغنى لكاتر (افتخر) التاجر الغني رب الفضل (صاحب الفضل)

٣٩ تاريخ اللّهُو

قَبَا لَهَا لَبْلَةٌ كَانَتْ بِرَوْنَقِهَا تَارِيخُ لَهْوٍ، لِمَا أَحْرَزْتُ مِنْ وَطَرٍ
حوت تلك الليلة برونقها (بهائها) كل عناصر اللّهُو فهي تاريخ اللّهُو كله، وقد نلت فيها وطري
(بنيني)

لو كَانَ يَسْمَحُ لي دَهْرِي بِعَوْدَتِهَا لَبِغْتُ فِيهَا لِذِيذِ النَّوْمِ بِالسَّهْرِ

٤٠ لا تكلني لمن يعذبني

وقال، ولعله قالها وقد لجأ إلى عزته بعد إخفاق حركة هرايي:

صُبْحُ مَطِيرٍ، وَنَسْمَةٌ عَطِرَةٌ وَأَنْفُسٌ لِلصُّبُوحِ مُنْتَظِرَةٌ
الصباح: شرب الخمر عند الصباح

فَيَا ابْنَ وَدِّيْ هَلُمَّ نَقْتَسِمِ اللّٰهَ وَ، فَنَفْسِي إِلَى الصَّبَا حَسِرَةٌ
يا صديقي تعال للّهُو نفسي تتحسر على انقضاء الشباب

وَحَلَلْنَا مِنْ سِيَاسَةٍ دَرَجَتْ بَيْنَ أَنْاسٍ قُلُوبُهُمْ وَغَرَّةٌ
وغرة: حاكمة

يَقْضُونَ أَيَّامَهُمْ عَلَى خَطَرٍ فَيَبْسُ عُقْبَى السِّيَاسَةِ الْخَطِرَةِ
الساسة يحيط بحياتهم الخطر، وبس عقى السياسة (نتيجتها)

مَا لِي وَلِلنَّاسِ، لَا لَدَيَّ لَهُمْ حَقٌّ يُؤَدِّي، وَلَا عَلَيَّ نَرَةٌ
ليس للناس عندي حقوق، ولا ثرات (ثارات)

يَا رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الْكِرَامَةِ مَا يَسُرُّ نَفْسِي، فَإِنَّهَا وَجَرَةٌ
وجرة: خائفة

وَلَا تَكِلْنِي لِمَنْ يُعَذِّبُنِي فَإِنَّ نَفْسِي إِلَيْكَ مُفْتَقِرَةٌ

٤١ كرم العنصر

صَبَرْتُ عَلَى رَبِّ هَذَا الزَّمَانِ وَلَوْلَا الْمَعَاذِرُ لَمْ أَضِيرِ
المعاذر: السعي لتجنب اللوم

فَلَا تَحْسَبْنِي جَهِلْتُ الصَّوَابَ وَلَكِنْ، هَمَمْتُ فَلَمْ أَقْدِرِ

وَكُنَّا جَمِيعاً، فَلَمَّا وَقَعْتُ صَبَرْتُ وَغَادَرَنِي مَعْشَرِي

كنا معاً فلما وقعت في المشكلة صبرت وغادرني صحابي

وَلَوْ أَنَّنِي رُمْتُ إِعْنَاتَهُمْ لَقُلْتُ مَقَالَةً مُسْتَبْصِرٍ

لو قصدت إعناتهم (إرهاقهم) لقلت قول مستبصر يعرف حقيقة تخاذلهم

وَلَكِنَّنِي حِينَ جَدَّ الْخِصَامُ رَجَعْتُ إِلَى كَرَمِ الْمُنْصَرِّ

لكنني حين اشتد الخصام رجعت إلى طيب أصلي فلم أقل شيئاً

٤٢ معاكسة في «شبرة»

سَمَرَاءُ تَهْفُو بِقَدِّ كَالرَّمَحِ لِبِنَاءٍ وَسُمْرَةٍ

تتحرك بقد مثل الرمح في لبنه ولونه الأسمر

مَرَّتْ عَلَيَّ تَهَادَى مِثْلَ الْمَهَاةِ بِشُبْرَةٍ

مرت تهادى كالمهاة (البقرة الوحشية) في حي شبرا بالقاهرة

فَقُلْتُ يَا نَوْرَ عَيْنِي! مَا لِي عَلَى الصَّبْرِ قُدْرَةٌ

فَنَقَّبْتُ وَجَسَّتْ نِيهَا يَدُ الْحَيَاءِ بِحُمْرَةٍ

يد الحياء وضعت نقاباً من الحمرة على خديها. أي أنها احمر وجهها خجلاً

٤٣ أعطيه فرصة بعد فرصة

أَصَافِي خَلِيلِي مَا صَفَا لِي، فَإِنْ جَفَا عَتَبْتُ عَلَيْهِ غَيْرَ جَافٍ وَلَا وَغَرٍ

أصافي خليلي (أعامل صاحبي بصفاء نية) ما دام لي مصافياً، فإن جفا وابتعد عتبت عليه بلا جفاء وبلا خشونة

فَإِنْ عَادَ لِي بِالْوُدِّ عُذْتُ، وَإِنْ أَبَى صَبَرْتُ لِأَرْعَى ذِمَّةَ الْوُدِّ بِالصَّبْرِ

فإن عاد إلى الود عدت، وإن رفض صبرت احتراماً لذمة الود (لعهد المودة السابق)

فَإِنْ زَادَنِي هَجْراً ضَرَبْتُ عَلَى اسْمِهِ، وَأَمْسَكْتُ عَنْ سُخْطِي عَلَيْهِ وَعَنْ شُكْرِي

فإن زاد في الهجر ضربت على اسمه (محوت اسمه)، ولم أكن لا ساخطاً ولا شاكراً

وَمَا تِلْكَ مِنِّي نَبْوَةٌ، غَيْرَ أَنَّنِي أَنْزَعُ نَفْسِي عَنْ مُلَابَسَةِ الْعَذْرِ

وهذا اللين من جانبي ليس نبوة وليس انحرافاً في الخلق، ولا ضعفاً... بل إنني أنزع عن ملابسة (مخالطة) العذر

٤٤ نعيش مرة واحدة

فَخُذْ فِي أَفَانِينَ الْخَلَاعَةِ وَالصَّبَا وَدَغْنِي مِنْ زَيْدِ النَّحَاةِ وَمِنْ عَمَرُو

مارس أفانين (صنوف) الخلاعة والصبا (العبث)، واترك هذا العلم العتيق

وَكَيْفَ يَعْيشُ الْمَرْءُ فِي الدَّهْرِ آمِنًا وَلِلْمَوْتِ فِينَا وَثْبَةُ اللَّبْثِ وَالنَّمْرِ؟

على أن الإنسان لا يعيش آمناً وهو يرى الموت يختطف الناس، ويثب عليهم كأنه أسد أو نمر

٤٥ العصامي والعظامي

أَتَلَفْتَ دُنْيَاكَ الَّتِي أُوتِيَتْهَا وَلَسَوْفَ تَهْلِكُ حَسْرَةً فِي الْآخِرَةِ

أتلفت دنياك التي أعطيتها بما ارتكبت، وسوف تهلك حسرة (حزناً) في الآخرة

حَتَّامٌ تَفْخَرُ بِالْجُدُودِ، وَلَمْ تَنْلُ مَا أَحْرَزْتَ تِلْكَ الْجُدُودُ الْفَاحِشَةُ؟

إلى متى تظل تفخر بجودك، وأنت لم تحرز ما أحرزته تلك الجودود؟

فَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ مِنْ فَعَالِكَ شَاهِدًا يُخْنِيكَ عَنْ ذِكْرِ الْعِظَامِ الْفَاحِشَةِ

ليكن شاهدك فعالك أنت، بحيث تستغني عن ذكر عظام أجداد الناحرة (المنخورة). انظروا من يقول هذا!

٤٦ سلطان الشعر

لِلشَّعْرِ فِي الدَّهْرِ حُكْمٌ لَا يُغَيَّرُ مَا بِالْحَوَادِثِ مِنْ نَقْضٍ وَتَغْيِيرٍ

الشعر يحكم على الحوادث حكماً يبقى على الدهر

لَوْلَا أَبُو الطَّيِّبِ الْمَأْثُورُ مَنْطِقُهُ مَا سَارَ فِي الدَّهْرِ يَوْمًا ذِكْرُ كَافُورٍ

لولا المتنبّي ذو القول المأثور الخالد لما سار لكافور الإخشيدي ذكر ولما سمع به أحد

٤٧ صفة الحاكم

وَقَالَ فِي مَا يَجِبُ عَلَى الْحَاكِمِ:

إِذَا سُدَّتْ فِي مَعْشَرٍ فَاتَّبِعْ سَبِيلَ الرَّشَادِ وَكُنْ مُخْلِصًا

إن كنت سيداً لقوم فكن رشيداً مخلصاً

وَوَالِ الْكَرِيمَ، وَدَارِ السَّفِيَةَ وَصِلْ مَنْ أَطَاعَ، وَخُذْ مَنْ عَصَى

حالف الكريم الأصل، ودار السفيه مداراة، وصل (كافئ) المطيع وخذ (عاقب) العاصي

وَنَقَّبَ لِتَعْلَمَ غَيْبَ الْأُمُورِ فَإِنَّ مِنَ الْحَزْمِ أَنْ تَفْحَصَا
تعقب الأمور لتعرف الخفايا

وَلَا تُبْقِرَنَّ عَلَى فَاجِرٍ فَإِنَّ اللَّئَامَ عَبِيدُ الْعَصَا
لا تبقين (لا تترك بدون عقوبة) الفاجر الذي لا يبالي بأي أخلاق، فاللائام لا يرتدون إلا بالعقوبة
وإن خَفِيَ الْحَقُّ فَاصْبِرْ لَهُ وَبَادِرْ إِلَيْهِ إِذَا حَضَرَ حَضَا
اصبر حتى تتبين وجه الحق، فإذا حضر (ظهر) فأسرع إليه

٤٨ سطور على وجه الماء

قال يَرُوضُ القول:

وَمَرْبَعٌ، لِنَسِيمِ الْفَجْرِ هَيْئَةً فِيهِ، وَلِلطَّيْرِ لَفْطٌ أَرْجَائِهِ لَغَطٌ
رب مربع (مكان معشوب) لنسيم الفجر فيه هيئة (غمغمة، همس) وللطيور لفظ (كلام غير مفهوم)
كَأَنَّمَا الْقَطَرُ دُرٌّ فِي جَوَائِهِ يَكَادُ مِنْ صَدَفِ الْأَزْهَارِ يُلْتَقَطُ
كَأن حبات المطر في أنحائه لآئى، نلتقطها من أوراق الأزهار الشبيهة بالأصداف
وَلِلنَّسِيمِ خِلَالِ النَّبْتِ عُلْفَةٌ كَمَا تَغْلُغَلُ وَسَطَ اللَّيْمَةِ الْمُشْطُ
ويتغلغل النسيم خلال النبات كما يتغلغل المشط في اللمة (الشعر)
وَالرَّيْحُ تَمْحُو سَطُوراً ثُمَّ تُثْبِتُهَا فِي النَّهْرِ، لَا صِحَّةَ فِيهَا وَلَا عِلْطُ
والرياح تصنع على وجه مياه النهر أمواجاً صغيرة كأنها السطور . . لكنها سطور ليس فيها كلمات
صحيحة وكلمات خطأ

٤٩ فيم اقتناء الدرع؟

قال يروض القول:

فَلَا تَحْسَبَنَّ الدَّهْرَ لُعْبَةً هَازِلٍ فَمَا هُوَ إِلَّا صَرْفُهُ وَالْفَجَائِعُ
ليس الدهر لعبة، ولا هزل فيه، فكله صروف (أحداث مؤلمة) وفجائع (مصائب)
فَبِمَا رَبَّمَا بَاتَ الْفَنَى وَهُوَ آمِنٌ وَأَصْبَحَ قَدْ سُدَّتْ عَلَيْهِ الْمَطَالِيعُ
قد بنام المرء شاعراً بالأمان، ويأتي عليه الصباح وقد سدت في وجهه المطاليع (الطرق)
فَفِيمَ اقْتِنَاءِ الدَّرْعِ وَالسَّهْمِ نَافِذٌ؟ وَفِيمَ ادِّخَارِ الْمَالِ وَالْعَمْرِ ضَائِعٌ؟
لماذا نقتني الدرع والسهم مستغفد في جسمنا؟ ولماذا ندخر المال والعمر كله زائل؟

٥٠ شيب القلب

إذا شَابَ رَأْسُ الْمَرْءِ شَابَ فُؤَادُهُ وَلَمْ يَبْقَ فِيهِ لِلْبَشَاشَةِ مَوْضِعٌ
فعلاً لا نرى شيخاً مستبشراً ضاحكاً إلا في الفلوات. فإن رأيت شيخاً هازلاً لاجئاً فهو بالتأكيد ذو
صحة جيدة أولاً، وذو عقل خفيف. . أو ربما كان فيلسوفاً عرف أن الدنيا شيء سخيف

٥١ النصح التفريع

لكلِّ قَوْلٍ مَنَازِلٌ يَسْتَقِيمُ بِهِ عِنْدَ الْخُطَابِ فَمَلْفُوظٌ وَمَسْمُوعٌ
لكل قول ميزان يوزن به: عندما يقال، وعندما يصل إلى أذن السامع

فَالْعُتْبُ إِن جَاَزَ حَدَّ الْعَدْلِ مَقْطَعَةٌ وَالنُّصْحُ مَا لَمْ يَكُنْ فِي السَّرِّ تَفْرِيعٌ
العتاب الذي يتجاوز حد العدل (درجة التوسط) مقطعة (يؤدي للقطعة)؛ والنصح العلني تفريع
(توبيخ)

٥٢ همي بين أضلاعي

قال وهو بسرنديب:

وَيْلَاهُ مِنْ حَاجَةٍ فِي النَّفْسِ هَامٌ بِهَا قَلْبِي، وَقَصَّرَ عَنِ إِدْرَاكِهَا بَاعِي
الويل لي من حاجة لنفسي لا يدركها باعي (لا أستطيع تحقيقها)

يَا هَلْ أَرَانِي بِذَاكَ الْحَيِّ مَجْتَمِعاً بِأَهْلِ وَدِّي مِنْ قَوْمِي وَأَشْيَاعِي؟
يا هل أراني (يا هل ترى) أجتمع بذاك الحي (القوم) من أحبابي وأشياعي (رفاقي)

وَهَلْ أَسُوقُ جَوَادِي لِلطَّرَادِ إِلَى صَيْدِ الْجَاذِرِ فِي خَضِرَاءِ مِثْرَاعٍ؟
وهل يتاح لي أن أسوق حصاني للطراد (الصيد) فأصيد الجاذر (بقر الوحش) في أرض خضراء
مرعرة (خصبة)؟

مَنَازِلٌ كُنْتُ مِنْهَا فِي بُلْهَنِيَّةٍ مُمْتَعاً بَيْنَ غِلْمَانِي وَأَتْبَاعِي
منازل كنت أعيش فيها في بلهنية (رخاء) متمتعاً بالحياة بين غلماني وأتباعي

فَالْيَوْمَ أَصْبَحْتُ لَا سَهْمِي بِذِي صَرْدٍ إِذَا رَمَيْتُ، وَلَا سِيفِي بِقِطَاعِ
اليوم أصبحت عاجزاً: لا سهمي ذو صرد (صائب)، ولا سيفي قاطع

لَا فِي «سَرَنْدِيبٍ» خِلٌّ أَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى الْهَمُومِ إِذَا هَاجَتْ، وَلَا رَاعٍ
لا صديق بسرنديب يعني علي الهوموم إن تكاثرت علي، ولا من يرعاني

يُظَنُّنِي مَنْ يَرَانِي ضَاحِكاً جَذَلًا أَنِّي خَلِيٌّ، وَهَمِّي بَيْنَ أَضْلَاعِي
 مِنْ رَأْيِي ضَاحِكاً جَذَلًا (مُشْرَحاً) ظَنَ أَنِّي خَلِيٌّ مِنَ الْهَمِّ، وَلَكِنْ هَمُّوِي مَكُونَةُ دَاخِلِ صَدْرِي
 فَإِنْ يَكُنْ سَاءَ نَبِيٍّ دَهْرِيٍّ، وَغَادَرَنِي زَهْنُ الْأَسَى بَيْنَ جَذَبٍ بَعْدَ إِفْرَاعٍ ..
 إِنْ كَانَ دَهْرِيٍّ قَدْ سَاءَنِي وَتَرَكَتَنِي بِيَدِ الْأَسَى فِي جَذَبٍ رُوحِيٍّ بَعْدَ زَمَنِ الْخُصْبِ ..
 .. فَإِنَّ فِي مِصْرَ إِخْوَانًا يَسْرُهُمْ قُرْبِي، وَيُعْجِبُهُمْ نَظْمِي وَإِنْدَاعِي
 فَهَنَّاكَ فِي مِصْرَ مِنْ يَسْرِهِ قُرْبِي وَمَنْ يَعْجِبُهُ شِعْرِي

٥٣ العثور على صديق

وقال يجيب رجلاً عن قصيدة أرسلها إليه من الهند بخطب بها مودته:

قَلِيلٌ بِآدَابِ الْمَوَدَّةِ مِنْ يَفِيٍّ فَمَنْ لِي بِخَلِّ أَصْطَفِيٍّ وَأَكْتَفِيٍّ؟
 مَا أَقْلَ مِنْ لَدَيْهِمُ الْوَفَاءَ وَمِرَاعَاةَ أَدَبِ الْمَوَدَّةِ، فَكَيْفَ لِي بِالْحَصُولِ عَلَى صَاحِبِ أَصْطَفِيٍّ وَأَكْتَفِيٍّ
 بِصَحْبَتِهِ؟

بَلَوْتُ بَنِي الدُّنْيَا، فَلَمْ أَرْ صَاحِبًا يَدُومُ عَلَى وَدٍّ بِغَيْرِ تَكَلُّفٍ
 بلوت (جرت) الناس فلا صاحب يدوم على الود الخالي من التكلف

رَضِيتُ بِمَنْ لَا تَنْتَهِي النَّفْسُ قُرْبَهُ، وَمَنْ لَمْ يَجِدْ بَدِيلًا فَهُوَ يَتَكَلَّفُ (يَتَجَسَّمُ مَا لَا يَبِيدُ)
 رَضِيتُ بِالْمَتَّاحِ الَّذِي لَا أَتَنْتَهِي مَعَاشِرَتَهُ؛ وَمَنْ لَمْ يَجِدْ بَدِيلًا فَهُوَ يَتَكَلَّفُ (يَتَجَسَّمُ مَا لَا يَبِيدُ)

أَدِيبٌ لَهُ فِي جَنَّةِ الشَّعْرِ دَوْحَةٌ أَفَاءَتْ عَلَى الدُّنْيَا بِأَجْمَلِ زُخْرُفٍ
 هَذَا أَدِيبٌ لَهُ دَوْحَةٌ (شَجَرَةٌ وَارِقَةٌ) فِي عَالَمِ الشَّعْرِ، أَفَاءَتْ (ظَلَّلَتْ) عَلَى الدُّنْيَا بِظِلَالِ مَزْخَرَفَةٍ بَدِيعَةٍ

تَأَلَّفَ نَفْسِي بَعْدَمَا زَالَ أَنْسُهَا وَنَوَّةٌ بِاسْمِي بَعْدَمَا كَادَ يَخْتَفِي
 تَأَلَّفَ نَفْسِي (جَعَلَهَا أَلِيفَةً) بَعْدَ أَنْ تَوَحَّشَتْ وَزَالَ مِنْهَا الْأَنْسُ، وَذَكَرَ اسْمِي بِغَيْرِ بَعْدَ أَنْ نَسِيتَنِي
 النَّاسَ

تَوَسَّعْتُ فِيهِ الْخَيْرَ قَبْلَ لِقَائِهِ وَأَحْمَدْتُ مِنْهُ الْخُبَرَ بَعْدَ التَّعَرُّفِ
 تَأَمَّلْتُ خَيْرًا مِنْهُ قَبْلَ الْلِقَاءِ بِهِ، وَأَحْمَدْتُ الْخَبَرَ (وَجَدْتُ حَقِيقَتَهُ حَمِيدَةً) بَعْدَ التَّعَرُّفِ عَلَيْهِ

٥٤ .. وقامتي ألف

وِعِصَابَةٌ غَلَبَ الْكِمَالُ عَلَى أَخْلَاقِهِمْ، وَغَذَّاهُمْ التَّرَفُ
 رَبُّ جَمَاعَةٍ فِيهِمْ كِمَالُ الْأَخْلَاقِ، وَنَشَأُوا عَلَى التَّرَفِ

لِلْأَيَّامِ بِهِمْ سَلَفَتْ لَوْ أَنَّهَا بِالْوَصْلِ تُؤْتَنَفُ

ما كان أجمل الأيام القديمة بصحبهم، ويا ليتها تؤتف (تستأنف)

إِذْ لِمَتْنِي قَيْنَانَةٌ، وَيَدِي فَوْقَ الْأَكْفِ، وَقَامَتْنِي أَلْفُ
أيامك كانت لمتني (شعري) فينانة (طويلة، كأنها ذات أغصان)، وكانت يدي فوق الأكف (كنت
محناً للناس/ فاليد العليا خير من اليد السفلى)، وكانت قامتي معتدلة كحرف الألف

٥٥ استخفاف

قَلْبِي عَلَيْكَ بِرِفٍّ وَعَبْرَتِي لَا تَجِفُّ
وَأَنْتَ بِأَنْوَرِ عَيْنِي بِأَلْوَعْنِي نَسْتَخِفُّ

٥٦ خذي ما بقي

عُودِي بِوَصْلٍ، أَوْ خُذِي مَا بَقِيَ فَقَدْ تَدَاعَى الْقَلْبُ مِمَّا لَقِيَ
عودي للوصل أو خذي ما بقي من قلبي، فهو قد تداعى (تهدم) مما لقي من هجرانك

عَلَّمَتْنِي الذَّلَّ، وَكُنْتُ أَمْرًا أَفْعَلُ مَا شِئْتُ وَلَا أَتَّقِي
علمتني الذل في العشق وكنت أفعل ما أشاء لا أحسب حساب أحد

٥٧ وحيداً في سرنديب

وقال وهو بسرنديب ينشوق إلى وطنه:

قَدْ كَانَ أَبْقَى الْهُوَى مِنْ مُهْجَتِي رَمَقًا حَتَّى جَرَى الْبَيْنُ فَاسْتَوَلَى عَلَى الْبَاقِي
الهوى كان قد استولى على مهجتي مبقاً رمقاً (بقية قليلة)، ثم جاء البين (الفراق) فذهب بهذه
البقية

حُزْنُ بَرَانِي، وَأَشْوَاقُ رَعَتْ كِبْدِي يَا وَنَحْ نَفْسِي مِنْ حُزْنٍ وَأَشْوَاقٍ
الحزن أنحلني وبري جسدي، والشوق أكل كبدي فيا ويلي

لَا فِي «سَرَنْدِيبٍ» لِي خِلٌّ أَلْوَدُّ بِهِ وَلَا أَنْيْسُ سِوَى هَمِّي وَإِظْرَاقِي
ليس لي بسرنديب صديق ألجأ إليه وآتس به، اللهم إلا الهم والإطراق بالرأس في تفكير

يَا قَلْبُ، صَبِرًا جَمِيلًا، إِنَّهُ قَدَرٌ يَجْرِي عَلَى الْمَرْءِ مِنْ أَسْرِ وَإِطْلَاقٍ
يا قلبه على الصبر، فالأسر والإطلاق قضاء وقدر

لا بد للضيق بعد اليأس من فرج وكل داجية يوماً لإشراق
كل ليلة داجية (مُظلمة) ستؤول إلى إشراق

٥٨ الخذلان

وقال يعرّض برؤساء الجند الذين تخاذلوا في الثورة العربية:

بَلَوْتُ بني الدنيا فلم أرَ صادقاً فأين لَعْمَرِي الأكرمون الأصادق؟
بلوت: جريت

أحاولُ أمراً قَصَّرْتُ دونه النُّهى وشابْتُ، ولم تَبْلُغْ مداهُ، المَفَارِقُ
أسمى لتحقيق أمر قَصَّرْتُ دونه النُّهى (العقول)، وشابت المفارِق (الرؤوس) قبل أن تبلغ آخره
وأعْظَمُ ما تَرْجُوهُ ما لا تَسْأَلُهُ وأكثرُ مَنْ تَلْقَاهُ مَنْ لا يُوافِقُ
الأمنيات الكبرى تبقى بلا تحقق، وأكثر من تلقى من الناس من لا يوافق طبعه طبعك. التسويد
لعمران القفيني

مَعَايِشُ سَادُوا بِالنِّفَاقِ، وما لَهُمْ أَصُولُ أَظْلَسَتْهَا فُرُوعُ بَوَاسِقُ
قوم وصلوا إلى السيادة بالنفاق، وليس لهم أنساب عريقة تكون لهم كالجنود التي لها فوقها
أغصان بواسق (عالية) ترمي بظلمها

طَلَاقَةٌ وَجُو تَحْتَهَا الغَيْظُ كاشِرٌ وَنَعْمَةٌ وَدُ بَيْنَهَا الغَدْرُ نَاعِثُ
يسمون لك ويكتمون غيظاً مكشراً، ويتكلمون بنعمة ود، ولكنها تكتم نبيق الغدر

تَعَلَّمْتُ كَظَمَ الغَيْظُ فِيهِمْ، وإنه لَجِلْمٌ، ولكنَّ لِلْحَفِيفَةِ مَا حِثُّ
تعلمت بوجودي بينهم أن أظلم غيظي، وهذا من الحلم (التسامح) ولكنه يمحى الحفيظة (الغضب
للشرف)

دَعَوْنِي إِلَى الجُلَى فَمِئْتُ مُبَادِراً وَإِنِّي إِلَى أُمثَالِ تِلْكَ لَسَابِقُ
دعوني إلى الجلى (العمل العظيم) فأسرعت وبادرت، وأنا لمثل هذا مبادر سابق

عَلَى أَنَّنِي حَذَرْتُهُمْ غِبَّ أَمْرِهِمْ وَأَنْذَرْتُهُمْ لو كَانَ يَفْقَهُ مَائِقُ
لكنني حذرتهم غيب (عاقبة) أمرهم، وأنذرتهم لو كان المائق (الأحمق) يفقه

فِيَا لِيَتَنِي رَاجِعْتُ حِلْمِي وَلَمْ أَكُنْ زَعِيماً، وَعَاقَتْنِي لِذَاكَ العَوَائِقُ
ليتني كنت راجعت حلمي (عقلي) ولم أرض بالزعامة، ولبيتها كانت عاقبتني العوائق عن ذلك

هُمْ عَرَّضُونِي لِلْقَنَا ثُمَّ أَعْرَضُوا سِرَافاً، وَلَمْ يَطْرُقْ مِنَ الشَّرِّ طَارِقٌ

لقد عرضوني للقنا (الرماح) ثم أعرضوا (تجنبوا) القتال سريعاً وقبل أن يلم بهم أي خطر

وَقَدْ أَقْسَمُوا أَلَّا يَزُولُوا، فَمَا بَدَأَ سَنَا الْفَجْرِ إِلَّا وَالنِّسَاءَ طَوَالِقُ

وكانوا قد أقسموا بالطلاق ألا يزولوا (يفروا)، فما إن بدا سنا الفجر (ضوءه) حتى فروا، فلذا نساؤهم يجب أن يكنَّ طوالقاً!

وَلَكِنْ دَعَتْهُمْ نَبَأَةٌ فَتَفَرَّقُوا كَمَا انْقَضَ فِي سِرْبٍ مِنَ الطَّيْرِ بَاشِقُ

دعتهن نبأ (مهمة بسيطة) فتفرق جمعهم، كأنهم سرب طيور انقض عليه باشق (طير كاسر)

إِذَا أَبْصَرُوا شَخْصاً يَقُولُونَ جَحْفَلُ وَجُبْنُ الْفَتَى سَيْفٌ لِعَيْنَيْهِ بَارِقُ

إذا رأوا شخصاً قالوا هذا جحفل (جيش)، والجبن سيف مسلط يبرق أمام عيني الجبان ويخيفه

أَسْوَدُ لَدَى الْأَبْيَاتِ بَيْنَ نِسَائِهِمْ وَلَكِنَّهُمْ عِنْدَ الْهِيَاجِ نَقَانِي

أسود في بيوتهم، وعند الهياج (المعركة) نقاني (نعام)

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَنْهَضْ بِقَائِمٍ سَيْفِهِ فَيَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ تُحْمَى الْحَقَائِقُ؟

إذا المرء لم ينهض وقائم سيفه (مقبضه) بيده، فكيف تُحمى الحقائق (الشرف)

٥٩ الصديق الحق

إِذَا مَا الْمَرْءُ لَمْ يَنْفَعْ أَخَاهُ عَلَى الْحَالَيْنِ فِي سَعَةٍ وَضَيْقٍ..

من لم ينفع صديقه، سواء أكان في سعة من الرزق أم في ضيق..

فَدَعَهُ غَيْرَ مَأْسُوفٍ عَلَيْهِ فَخَيْرٌ مِنْهُ إِخْوَانُ الطَّرِيقِ

فاتركه، فأحسن منه إخوان الطريق (زملاء السفر الذين تنتهي صحبتهم بانتهاء السفر)

٦٠ العين بالعين

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَرْمِ الْهَنَاءَ بِمِثْلِهَا لِيَذْفَعَ ضَيْمًا فَهُوَ بِالذَّلِّ أَخْلَقُ

إذا لم يرد الإنسان على الهناء (الإساءة) بمثلها كي يدفع الظلم، فهو خليق (مستحق) بالذل

وَمَنْ شَهِدَ الْهَيْجَاءَ مِنْ غَيْرِ آلَةٍ يَذُودُ بِهَا عَنْ نَفْسِهِ فَهُوَ أَحَقُّ

فهو كمن يشهد الحرب بغير سلاح

٦١ أنا والشعر

وما كَلَفني بالشَّعرِ إِلَّا لِأَنَّهُ مَنَارُ لِسَارٍ، أَوْ نَكَالٌ لِأَحْمَنِ
كلني بالشعر (غرامي به) إنما هو لأنه ينير الطريق للساري (السائر ليلاً)، أو يمثل تقريباً وتنكيلاً
بالأحمق ومجاء له

عَلِقْتُ بِهِ طِفْلاً وَشَبْتُ، وَلَمْ يَزَلْ شَدِيداً بِأَهْدَابِ الْكَلَامِ تَعْلُقِي
تعلقت بالشعر منذ الطفولة، وقد شاب رأسي وما زلت شديد التعلق بأهداب الكلام (شديد الشغف به)
بَلَعْتُ بِشِعْرِي مَا أَرَدْتُ، فَلَمْ أَذْغْ بَدَائِعَ فِي أَكْصَامِهَا لَمْ تُفْتَحِ
بلغت بشعري ما أردت من ذبوع الصيت، ولم أترك إبداعاتي مخبأة كالزهر الذي ظل في أكمامه لم
يفتح

٦٢ تبرير بعد الهزيمة

كَفَى بِمُقَامِي فِي «سَرَنْدِيبَ» غُرْبَةً نَزَعْتُ بِهَا عَنِّي ثِيَابَ الْعَلَاثِقِ
كفى بهذه الغربة في جزيرة سرنديب (سيلان) أنني نزعت بها عني صلاتي بكل من كنت أعرف
فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ رَنْقَنَ مَشْرِيبِي وَتَلْمَنَ حَدِّي بِالْخَطُوبِ الطَّوَارِقِ . .
إن يكن الزمن قد رنق مشربي (كدر عيشي)، وتلمن حدي بالخطوب الطوارق (المصائب
التي تهجم ليلاً) . .

فَمَا غَيَّرْتَنِي مِخْنَةً عَنْ خَلِيقَتِي وَلَا حَوَّلْتَنِي خُدْعَةً عَنْ طَرَائِفِي
فالمحنة لم تغير أخلاقي، والخداع لم يحرفني عن طريقي في الحياة

فَحَسْرَةُ بُعْدِي عَنْ حَبِيبٍ مُصَادِقٍ كَفَّرَحَةَ بُعْدِي عَنْ عَدُوٍّ مُمَادِقٍ
فالحزن لبعدي عن الحبيب بقباله الفرح يبعدي عن العدو المماذق (المخادع). التوسيد لعمران
القفيبي

فَتِلْكَ بِهَذِي، وَالنَّجَاةُ غَنِيمَةٌ مِنَ النَّاسِ، وَالدُّنْيَا مَكِيدَةٌ حَادِقِ
فهذه واحدة بواحدة، والنجاة من الناس غنيمة، والدنيا كلها كأنها مكيدة من تدبير حاذق (ذكي)

يَقُولُ أَنَاسٌ إِنِّي ثُرْتُ خَالِيعاً وَتِلْكَ هَنَاتٌ لَمْ تَكُنْ مِنْ خَلَاتِفِي
يقولون إنني ثرت خاليعاً طاعة من ولائي الأمر، وهذه هنات (صفات) ليست من أخلاقي

وَلَكِنِّي نَادَيْتُ بِالْعَدْلِ طَالِباً رِضَا اللَّهِ وَاسْتَهْضَتْ أَهْلَ الْحَقَائِقِ
فأنا ناديت بالعدل طالباً لرضا الله، واستهضت أهل الحقائق (الشرف) وأهبت بهم للخروج

فَإِنْ كَانَ عِصْيَانًا قِيَامِي، فَلِأَنِّي أَرَدْتُ بِعِصْيَانِي إِطَاعَةً خَالِقِي
فَإِنْ كَانَ قِيَامِي بِمَا قُتِلَ بِهِ عِصْيَانًا فَلَمْ أَرِدْ بِهِ إِلَّا طَاعَةَ اللَّهِ

عَلَى أَنَّنِي لَمْ أَلْ نُضْحًا لِمَعْشَرٍ أَبَى غَدْرُهُمْ أَنْ يَقْبَلُوا قَوْلَ صَادِقٍ
لَكُنْتِي لَمْ أَلْ (لَمْ أَقْصِرْ) نَضْحًا لِلْقَوْمِ، وَلَكِنْ غَدْرَهُمْ مِنْهُمْ مِنْ قَبُولِ نَصِيحِي

فَلَمَّا اسْتَمَرَّ الظُّلْمُ قَامَتْ عِصَابَةٌ مِنَ الْجُنْدِ تَسْعَى تَحْتَ ظِلِّ الْخَوَافِقِ
فَلَمَّا اسْتَمَرَّ الظُّلْمُ قَامَتْ جَمَاعَةٌ مِنَ الْجُنُودِ تَسْعَى لِتَحْقِيقِ الْعَدْلِ تَحْتَ ظِلِّ الْخَوَافِقِ (الرَّايَاتِ)

وَشَايَعَهُمْ أَهْلُ الْبِلَادِ، فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِمْ سِرَاعًا بَيْنَ آتٍ وَآخٍ
وَشَايَعَهُمْ (نَاصِرُهُمْ) أَهْلُ الْبِلَادِ فَالْتَفَوْا حَوْلَهُمْ بَيْنَ مَبَادِرٍ سَرِيعَةٍ وَآخِرٍ فِيهَا بَعْدُ

يَرُومُونَ مِنْ مَوْلَى الْبِلَادِ نَفَادًا مَا تَأَلَّاهُ مِنْ وَعْدٍ إِلَى النَّاسِ صَادِقٍ
يَطْلُبُونَ مِنْ مَوْلَى الْبِلَادِ (الْخَدِيوِي) تَنْفِيزَ مَا تَأَلَّاهُ (أَقْسَمَ عَلَيْهِ) مِنْ وَعْدٍ

فِيَا مِصْرُ مَدَّ اللَّهُ ظِلَّكَ، وَارْتَوَى ثَرَاكَ بِسُلْسَالٍ مِنَ الْخَيْلِ دَافِقٍ
يَدْعُو لِمِصْرٍ بِدَوَامِ النِّعَمِ، وَلِثَرَاكِ بِالْإِرْتَوَاءِ مِنْ سُلْسَالِ الْخَيْلِ (مَاهِ الْمَتَدَفِّقِ)

فَإِنْ تَكُنِ الْأَيَّامُ سَاعَاتٍ ضُرُوفُهَا فَلِأَنِّي بِفَضْلِ اللَّهِ أَوَّلُ وَآخِرُ
فَقَدْ يَسْتَقِيمُ الْأَمْرُ بَعْدَ اغْوِجَاجِهِ وَيَرْجِعُ لِلْأَوْطَانِ كُلِّ مُفَارِقٍ

٦٣ نَحْرِضُ

وَقَالَ يَذِمُّ سَبْرَةَ الْحُكَّامِ، وَيَحْضُ النَّاسَ عَلَى طَلَبِ الْعَدْلِ فِي الْأَحْكَامِ، وَذَلِكَ فِي عَهْدِ
الْخَدِيوِي إِسْمَاعِيلَ:

فَانْهَضْ إِلَى صَهَوَاتِ الْمَجْدِ مُعْتَلِيًا، فَالْبَازُ لَمْ يَأُو إِلَّا عَالِي الْقُلَلِ

قَدْ لَاعَتْ صَهَوَاتُ الْمَجْدِ، وَالْبَازُ (الطَيْرُ الْجَارِحُ) لَا يَسْكُنُ إِلَّا الْقُلُلَ (الْقِمَمَ) الْعَالِيَةَ. صَهَوَاتُ
الْخَيْلِ ظُهُورُهَا، وَجَعَلَهَا صَهَوَاتُ الْمَجْدِ، وَعِنْدَمَا انْصَرَفَ بِسْرَةِ إِلَى الْبَازِ خَلَطَ طَيْرًا بِدَابَّةٍ فَجَعَلَ فِي
الْبَيْتِ طَعْمًا شَتَّى كَذَلِكَ الطَّبَاحُ الَّذِي حَشَا جُوفَ الْخُرُوفِ بِدِيَكٍ رُومِيٍّ فَاضْطَرَبَ مَذَاقُ طَبِخِهِ

وَدَغَ مِنَ الْأَمْرِ أَدْنَاهُ لِأَبْعَلِيهِ، فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ مَا يُغْنِي عَنِ الْوَشَلِ

أَتْرَكَ الْأَمْرَ الْقَرِيبَ لِصَالِحِ الْأَمْرِ الْبَعِيدِ، فَفِي لُجَّةِ الْبَحْرِ (وَسَطِهِ) مِنَ الصَّيْدِ وَاللُّؤْلُؤِ مَا يُغْنِيكَ عَنِ
الْوَشَلِ (الْمَاءِ الضَّحَلِ)

حَلَبْتُ أَشْطَرَ هَذَا الدَّهْرِ تَجْرِبَةً وَذُقْتُ مَا فِيهِ مِنْ صَابٍ وَمِنْ عَسَلٍ

حَلَبْتُ ضُرُوعَ هَذَا الزَّمَنِ مِثْلًا يَحْلِبُ الْمَرْءُ الْبَقْرَةَ لِكَثْرَةِ مَا جَرِبَتْ، وَذُقْتُ الصَّابَ (الْمَرْ) وَالْعَسَلَ

فَمَا وَجَدْتُ عَلَى الْأَيَّامِ بَاقِيَةً أَشْهَى إِلَى النَّفْسِ مِنْ حُرِّيَّةِ الْعَمَلِ
أَشْهَى شَيْءٌ أَنْ يَعْمَلَ الْمَرْءُ بِحَرِيَّةٍ وَدُونَ أَنْ يَتَّقِدَ بِتَنْفِيزِ أُمُورٍ سَخِيفَةٍ يَرِيدُهُ عَلَيْهَا مَدِيرُهُ أَوْ رَئِيسُهُ.
فَعَلَا الْمَرْءُ يَسْتَمْتِعُ بِالْعَمَلِ الْحَرِّ، فَمِهْنَةُ اللَّصِّ أَمْتَعُ مِنْ مِهْنَةِ الشَّرْطِيِّ، وَمِهْنَةُ الرِّوَاثِيِّ أَمْتَعُ مِنْ مِهْنَةِ
كَاتِبِ الْمَحْكَمَةِ

لَكُنَّا نَعْرِضُ لِلشَّرِّ فِي زَمَنِ أَهْلِ الْعُقُولِ بِهِ فِي طَاعَةِ الْخَمَلِ
نَحْنُ هَدَفُ لِلشَّرِّ فِي زَمَنِ يَسْطِرُ فِيهِ الْخَمَلُ (الْخَامِلُونَ الْبَلِيدُونَ) عَلَى أَهْلِ الْعُقُولِ، وَيَجْعَلُونَهُمْ
عَامِلِينَ فِي طَاعَتِهِمْ

قَامَتْ بِهِ مِنْ رِجَالِ الشُّوءِ طَائِفَةٌ أَدَهَى عَلَى النَّفْسِ مِنْ بُؤْسٍ عَلَى تَكْلِ
قَامَتْ بِهِ (بِهَذَا الزَّمَنِ) مَجْمُوعَةٌ مِنْ رِجَالِ الشُّوءِ وَأَخَذَتْ تَحْكُمُ، وَهِيَ أَسْوَأُ تَأْثِيرًا عَلَى نَفْسِ
الْإِنْسَانِ مِنْ بُؤْسٍ يَأْتِي بَعْدَ تَكْلِ (فَقْدَانِ عَزِيزِ)

مِنْ كُلِّ وَغْدٍ يَكَاذُ الدُّسْتُ يَدْفَعُهُ بُغْضًا، وَيَلْفِظُهُ الدِّيَوَانُ مِنْ مَلَلٍ
هُؤُلَاءِ مَكُونُونَ مِنْ كُلِّ وَغْدٍ يَكَاذُ الدُّسْتُ (الْمَنْصُوبُ) يَرْفُضُهُ كِرَاهَةً لَهُ، وَيَكَاذُ دِيَوَانَ الْوِزَارَةِ يَلْفِظُهُ
(يَطْرُدُهُ) لِأَنَّهُ مَمْلُوكٌ

ذَلَّتْ بِهِمْ مَصْرُ بَعْدَ الْعِزِّ، وَاضْطَرَبَتْ قَوَاعِدُ الْمُلْكِ حَتَّى ظَلَّ فِي خَلَلٍ
وَلَا تَلْجُوا إِذَا مَا الرَّأْيُ لَاحَ لَكُمْ إِنَّ اللَّجَاجَةَ مَدْعَاةٌ إِلَى الْفَسْلِ
يَا صَاحِبِي لَا تَلْجُوا (لَا تَكْثُرُوا الْجَدَلَ) إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى الرَّأْيِ الصَّحِيحِ، فَالْجَاجَةُ مَدْعَاةٌ (سَبَبٌ)
لِلْفَسْلِ (الْجَبَنِ)

وَلَا تَخَافُوا نَكَالًا فِيهِ مَنْشَوُكُمْ فَالْحَوْثُ فِي الْيَمِّ لَا يَخْشَى مِنَ الْبَلَلِ
لَا تَخَافُوا النِّكَالَ (الْعُقُوبَةَ) فَقَدْ نَشَأْتُمْ فِي ظِلِّ الْعُقُوبَاتِ وَالْمِظَالِمِ، فَأَنْتُمْ مَتَعُودُونَ، وَمِثْلُكُمْ فِي هَذَا
مِثْلُ الْحَوْثِ الَّذِي لَا يَخَافُ مِنَ الْبَلَلِ لِأَنَّهُ نَشَأَ فِي جَوْفِ الْبَحْرِ

٦٤ مَضَى اللّهُو

وَقَالَ، وَكَتَبَ بِهَا إِلَى الشَّيْخِ حَسَنِ الْمَرْصُفِيِّ:

مَضَى اللَّهْوُ، إِلَّا أَنْ يُخَبَّرَ سَائِلُ وَوَلَّى الصَّبَا إِلَّا بَوَاقِي فَلَائِلُ
انْتَهَى زَمَنُ اللَّهْوِ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ إِلَّا كَلَامُ أَقْوَلِهِ جَوَابًا لِسْوَالٍ مِنْ يَسْأَلُنِي، وَوَلَّى عَهْدَ الشَّبَابِ إِلَّا بَقِيَّةً
قَلِيلَةً

رَضِينَا بِحُكْمِ الْحُبِّ فِينَا، وَإِنَّا لَلَّذُ إِذَا التَّقُّتْ عَلَيْنَا الْجَحَافِلُ
رَضِينَا بِحُكْمِ الْحُبِّ فِينَا، مَعَ أَنَّا لَدِ (شَدِيدُو الْخِصَامِ) فِي الْحَرْبِ حَيْثُ تَلْتَفَّ عَلَيْنَا جُمُوعُ الْجُنْدِ

وَأَنَا رِجَالٌ تَعَلَّمُ الْحَرْبَ أَنَّنَا بَنُوها، وَيَدْرِي الْمَجْدُ مَاذَا نُحَاوِلُ

نحن أبناء الحرب، وهي تعلم ذلك؛ ويعلم المجد ما الذي نسمى إليه

إِذَا مَا ابْتَنَى النَّاسُ الْحُصُونُ فَمَا لَنَا سِوَى الْبَيْضِ وَالسُّمْرِ اللَّذَانِ مَعَاقِلُ

الناس يبنون الحصون يحتمون بها، ونحن نحتمي بالبيض (السيف) والسمر اللذان (الرماح السراء اللينة) فهي فقط معاقلنا

إِذَا أَنْتَ أَعْظَمْتَكَ الْمَقَادِيرُ حُكْمَهَا فَأُضَيِّعُ شَيْءَ مَا تَقُولُ الْعَوَازِلُ

إذا أتاح لك حسن طالعك أن تسيطر على مجريات الأمور، عجزت العوازل عنك وضاع كلامها سدى. والعوازل كالفوارس تصلح لجماعة الذكور ولجماعة الإناث

بَلَوْتُ ضُرُوبَ النَّاسِ طَرًّا فَلَمْ يَكُنْ سِوَى الْمَرْصُفِيِّ الْحَبْرِ فِي النَّاسِ كَامِلُ

جربت صنوف الناس طراً فلم يكن فيهم من كامل سوى الحبر (العالم) الشيخ حسين المرصفي

٦٥ تصديق الأباطيل

لَا تَحْسَبِ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا عَلَى ثِقَةٍ مِنْ أَمْرِهِمْ، بَلْ عَلَى ظَنٍّ وَتَخْيِيلِ

يظهر لك الواحد من الناس وكأنه واثق من كل شيء، كلام فارغ... كل أمورهم قائمة على الظنون والتخيل (الوهم)

حُبُّ الْحَيَاةِ وَيُغْضُ الْمَوْتَ أَوْرَثَهُمْ جُبْنَ الطَّبَاعِ وَتَصْدِيقَ الْأَبَاطِيلِ

حب الحياة وكره الموت أورثهم (زودهم) الجبن في الطبع، وتصديق كل باطل. كأنني ألمح بادرة جحد عند البارودي في هذين البيتين اللذين وردا وحدهما، كأنه يقول إن حب الحياة والخوف من الموت جعل الناس يتخيلون حياة أخرى، لا نضع الكلام في فمه، بل نحاول قراءته، والبارودي في شعره من أشد الناس إيماناً بالله وتمسكاً بالإسلام، لكن كذلك كان أبو العتاهية وقالوا في دينه ما قالوا

٦٦ عدو في ثياب صديق

لَيْسَ الصَّدِيقُ الَّذِي تَغْلُو مَنَاسِبُهُ بَلِ الصَّدِيقُ الَّذِي تَزْكُو شَمَائِلُهُ

ليس صديقك الحق من كان ذا نسب عال، بل من كان ذا شمائل زكية (طبائع طيبة)

لَا كَالَّذِي يَدْعِي وُدًّا وَبَاطِلُهُ بِجَمْرِ أَحْقَائِهِ تَغْلِي مَرَاجِلُهُ

فهذا ليس كمن يدعي الود بينما باطنه كالمرجل الذي يغلي بجمر الحقد

يَذُمُّ فَعَلَ أَخِيهِ مُظْهِرًا أَسْفَا لِيَوْمِهِمُ النَّاسَ أَنَّ الْحُزْنَ شَامِلُهُ

هذا النوع من الناس يؤنبك على أفعالك وهو يظهر الأسف، ليوهم الناس أنه حزين من أجلك

وَذَاكَ مِنْهُ عَدَاءٌ فِي مُجَاوِلَةٍ فَاحْذَرُهُ، وَاعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ خَائِلُهُ

فهذا عداء من جانبه يورقه سؤق المجاملة، فاحذر منه فسوف يخذل الله سعاد. في هذه الآيات
لقطة بارعة لما عند أهل التفاني من طباع

٦٧ هجاء الصَّعْل

وقال يهجو عثمان رفقى، وهو ناظر الحربية الذي عزله الخديوي توفيق وعين بدلاً منه
البارودي:

صَغُرَتْ رَأْسُهُ، وَأَفْرَطَ فِي الطُّورِ لِشَوَاهِ وَغُنْفُهُ، فَهَوَّ صَعْلُ

رأسه صغير وشواه (أطرافه) وعنفه طويلة، فهو صعل (أي صغير الرأس). وأنت الرأس على العامة
المصرية، وعلى وجه ضعيف في الفصحى

أَبْرَزَتْ قُدْرَةُ الطَّبِيعَةِ مِنْهُ شَكْلَ لُؤْمٍ، إِنْ كَانَ لِلُّؤْمِ شَكْلٌ

قدرة الطبيعة أرتنا شكل اللؤم في شخصه، هذا إن كان للؤم شكل

هَدَفٌ لِلْعُيُوبِ، فِي كُلِّ عَضْوٍ مِنْهُمْ سَهْمٌ لِلطَّاعِنِينَ وَنَضْلٌ

في كل عضو من جسمه هدف لأسهم ونصال الطاعنين

نَسَلَتْهُ مِنْ أُمِّهَا أُمُّ سُوءٍ مَا لَهَا غَيْرُ طَائِفٍ اللَّيْلِ بَعْلُ

ولدت أمه من خلف، وهي أم سوء ليس لها زوج سوى شخص يطوف ليلاً ويدخل عليها

نَارَعَتْكَ الْيَهُودُ وَاخْتَلَفَتْ فِيكَ النَّصَارَى، فَأَنْتَ لَا شَكَّ بَعْلُ

اليهود تدعيك لنفسها والنصارى مختلفون هل أنت منهم أم لا، فأنت كالبعل أبوه حمار وأمّه فرس

إِنَّ بَيْتَ الْوَزَانِ لَمْ يَزِنُوا شَيْئاً، وَلَكِنْ فِيهِمْ عَلَى ذَاكَ ثِقْلُ

أسرة الوزان لم تزن شيئاً (ليس لها وزن ولا قيمة)، ومع ذلك فهم ثقلاء. من هذه
الأسرة، والأغلب أنها كانت يهودية، مصطفى رياض الذي أصبح رئيس وزراء في
عهد توفيق، وكان البارودي يعد عثمان رفقى من أقارب هذه الأسرة. . ولم أجد
مصدراً يصل نسب رفقى بأسرة الوزان

كَثُرُوا عِدَّةً، وَلَوْ أَحْصَنَ الْبَابُ بَ آبُوهُمْ عَنِ الزُّنَا لَقُلُّوا

عددهم كثير، ولو كان أبوهم أحصن الباب (أغلقه) ولم يسمح للزناة بالدخول، لقلوا. . أي أنهم أولاد زنا

لَوْ عَزَوْنَا كُلَّ امْرِئٍ لِأَبِيهِ مِنْ فِرَاحِ الْوَزَانِ لَمْ يَبْقَ نَسْلُ

لو نسبنا أولاده لأبائهم الحقيقيين لم يبق للنوزان نسل

كُلُّ وَغْدٍ أَهْدَى إِلَى اللُّؤْمِ مِنْ بَا زٍ، وَلَكِنْ مِنَ الْجِمَارِ أَضْلُ
كل وغد منهم أهدي (أكثر اعتداء) إلى اللؤم من الباز (الطير الجارح ذي البصر الحديد) ولكنه أكثر
ضلالاً من حمار

كُنْتُ لَا أَحْسِنُ الْهَجَاءَ، وَلَكِنْ عَلَّمْتَنِي صِفَاتُهُمْ كَيْفَ أَتْلُو
لم أكن أحسن الهجاء، ولكن صفاتكم علمتني كيف أتلو

٦٨ ها هي الأهرام

ذَهَبَ الصُّبَا وَتَوَلَّتِ الْأَيَّامُ فَعَلَى الصُّبَا وَعَلَى الزَّمَانِ سَلَامٌ
تَجْرِي عَلَيْنَا الْكَأْسُ بَيْنَ مَجَالِسٍ فِيهَا السَّلَامُ تَعَانَقُوا وَلَزَامُوا
في مجالس الشراب تلك كان سلامنا عناقاً ولزماً (بالأحضان)

حَتَّى انْتَبَهْنَا بَعْدَمَا ذَهَبَ الصُّبَا أَنَّ الْخَلَاعَةَ وَالصُّبَا أَخْلَامُ
لَا تَحْسَبَنَّ الْعَيْشَ دَامَ لِمُتَرَفٍ هِيَهَاتَ، لَيْسَ عَلَى الزَّمَانِ دَوَامُ
تَأْتِي الشُّهُورُ وَتَنْتَهِي أَيَّامُهَا لَنْعَ السَّرَابِ وَتَنْقُضِي الْأَغْوَامُ
فَادِرًا هُمُومَ النَّفْسِ عِنْدَ إِذَا اغْتَرَّتْ بِالْكَأْسِ فَهِيَ عَلَى الْهَمُومِ حُسَامُ
ادراً (ادفع) عنك الهموم بالكأس فهي سيف مضلت على الهموم

مِنْ خَمْرَةٍ تَذَرُ الْكَبِيرَ إِذَا انْتَشَى بَعْدَ اشْتِعَالِ الشَّيْبِ وَهُوَ غُلَامُ
حُسَيْسَتْ بِأَكْلَفٍ لَمْ يَقُمْ بِفَنَائِهِ نُورٌ وَلَمْ يَبْرَحْ عَلَيْهِ ظَلَامُ
حبست الخمر في دن أكلف (جرة كبيرة مغمرة اللون) في قبو مظلم لم يظهر نور في فئاته، وما برح
الظلام سائداً حوله

فَاطْمَحْ بِطَرَفِكَ هَلْ تَرَى مِنْ أُمَّةٍ خَلَدَتْ، وَهَلْ لَابِنِ السَّبِيلِ مَقَامُ؟
اطمح بطرفك (ارفع رأسك وانظر بعينيك) هل ترى أمة خلدت؟ وهل لابن السيل (المسافر) مكوث؟

هَذِي الْمَدَائِنُ قَدْ خَلَتْ مِنْ أَهْلِهَا بَعْدَ النِّعِيمِ، وَهَذِهِ الْأَهْرَامُ

هذه المدن خلت من أهلها الأولين، وها هي أمامك الأهرام... كل قوم إلى زوال. يوازن
زكي مبارك بين قصيدة البارودي هذه وبين قصيدة أبي نواس (يا دار ما فعلت بك الأيام)،
وينصف ديباجة البارودي الجميلة، ولا يعجبه وصفه للخمر، فهو ليس منغمساً في حماتها
انغماساً مقنعاً، فأما أبو نواس ففي شعره حرارة جعلت زكي مبارك يقف عند البيت (وبلغت
ما بلغ امرؤ بشبابه/ فإذا عصارة كل ذاك أنام) قائلاً: «الله أكبر، هذا هو الشعر، وذلك هو
الشاعر، أبو نواس!» وعن وصف الشاعرين للخمر يقول زكي مبارك: «إن خمرية البارودي
هذه لن تهوي بأحد إلى الجحيم، ولن يسأل عنها يوم الحساب، أما خمريات أبي نواس
فقد صبرت قبره سعيلاً لا يخمد له أوار، وسيكون يوم الدين جبلاً يتفجر بالراكين»

٦٩ لذات فانيات

وقال يصف روضة المقياس:

وَمَنْزِلَةٌ لِلْأُنْسِ كُنَّا نَحُلُّهَا وَنَرَعَى بِهَا اللَّذَاتِ رَغْبَى السَّوَائِمِ
رب مكان أنس ولهو كنا نحل فيه ونستمتع باللذات كأننا نرعاها رعي السوائم (المواشي)
عَفْتُ وَكَأَنْ لَمْ تَغْنُ بِالْأُنْسِ، وَالتَّقْتُ عَلَيْهَا أَعَاصِيرُ الرِّيحِ الْهَوَاجِمِ
هذه المتزلة (المكان) عفت (امتحت) كأنها لم تكن عامرة بالأنس، والتقت فيها الرياح الهاجمة
عليها فغيرت معالمها

وَمَا خَيْرُ دُنْيَا لَا بَقَاءَ لِعَهْدِهَا وَمَا طِيبُ عَيْشٍ رَبُّهُ غَيْرُ سَالِمٍ؟
ما خير دنيا (لا خير في دنيا) لا يبقى لها عهد، ولا طيب لعيش ربه (صاحبه) غير سالم، فلا بد له
بعد العيش من موت

٧٠ إلى كم تنام؟

وقال، وكتب بها من حرب الدولة العثمانية مع روسيا (١٨٧٧م) إلى صديقه الشيخ
حسين المرصفي:

يَا نَاعِسَ الطَّرْفِ إِلَى كَمْ تَنَامُ؟ أَسَهَرْتَنِي فَبِكَ وَتَامَ الْأَنَامُ
يا أيها المحبوب الناعس الطرف (النائم)، أسهرني عشقي لك، وتام الناس
أَوْشَكَ هَذَا اللَّيْلُ أَنْ يَنْقُضِي وَالْمَعِينُ لَا تَعْرِفُ طِيبَ الْمَنَامِ
اللَّهُ فِي عَيْنِ جَفَاهَا الْكَرَى فَبِكُمْ، وَقَلْبٌ قَدْ بَرَأَ الْغَرَامِ
اتق الله في عيني التي جفاها الكرى (هجرها النوم) فيكم (بيكم)، وفي قلب براء (أنهكه) الغرام
طَالَ النَّوَى مِنْ بَعْدِكُمْ، وَانْقَضَتْ بِشَاشَةُ الْعَيْشِ، وَسَاءَ الْمَقَامُ
طال النوى (البعاد) وذبت بشاشة العيش (طيه)، وساء وجودي هنا
أَرْتَاحُ إِنْ مَرَّ نَسِيمُ الصَّبَا، وَالْبُرْءُ لِي فِيهِ مَعَاً وَالسَّقَامُ
نسيم الصبا يذكرني بك فهو لي براء (شفاء)، لكنه أيضاً سقام (مرض)
يَا لَيْتَنِي فِي السَّلَكِ حَزَفْتُ سَرَى أَوْ رِيْشَةً بَيْنَ خَوَافِي الْحَمَامِ
ليتني حرف يسير في سلك التلغراف فأصل إليك بشخصي، أو ليتني ريشة بين خوافي الحمام
(الريشات الداخلية في الجناح)
حَتَّى أَوَافِي مِضْرَ فِي لَحْظَةٍ أَقْضِي بِهَا فِي الْحُبِّ حَقَّ الذَّمَامِ
حتى آتي إلى مصر فأقضي حق الذمام (العهد) للحب

٧١ عذر العاشق

أَلَا لَا تَلَمَّ صَبّاً عَلَى طَوْلِ سُقْمِهِ وَدَعُهُ فَلَيْسَ الْأَمْرُ فِيهِ لِحُكْمِهِ
لا تلم الصب (العاشق) على طول سقمه (مرضه)، فهذا أمر ليس خاضعاً لحكمه
إِذَا مَا أَقَرَّ الْمَرْءُ يَوْمًا بِذَنْبِهِ فَمَاذَا الَّذِي تُغْنِي لِحَاجَةً خَصْمِهِ؟
لحاجة: جدال، ومماحكة

٧٢ أنا كمجلة الأحكام

أَنَا فِي الدَّهْرِ ضَائِعٌ بَيْنَ فَهْمٍ فَاتِكَ حَدُّهُ، وَجَدَّ كَهَامٍ
أنا ضائع بين فهم حاد وذكاء، وبين جد (حظ) كهام (متلهم). يعني أنه فاهم وذكي لكن حظه سيء
حُزْتُ عِلْماً، وَمَا رَزَقْتُ قَبُولاً فَكَأَنِّي مَجَلَّةُ الْأَحْكَامِ
أحزرت العلم، ولكنني لم أحرز القبول، تماماً كمجلة الأحكام الرسمية التي تنشر بنود القوانين:
فهي مملوءة بالمعلومات، لكنها جافة لا يقبل الناس عليها

٧٣ صديق صعب

أَلَا مَنْ مُعِينِي عَلَى صَاحِبٍ جَرَعْتُ بِصُحْبَتِهِ الْعَلَقَمَ؟
من يعينني على صديق تجرعت في صحبته العلقم؟
يَلُومُ عَلَى غَيْرِ ذَنْبٍ جَرَى وَيَغْضَبُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَفْهَمَا
سريع اللوم سريع الغضب
فَإِنْ قُلْتُ مَهْلًا لَوَى شِدْقَهُ وَإِنْ لَمْ أَجِبْ قَوْلَهُ بَرَّطَمًا
برطم: زعل

٧٤ ارغب عن الدنيا

الْمَرْءُ طَوَّعَ يَدَ الزَّمَانِ، يَقْوَدُهُ قَوْدَ الْجَنِيْبِ لِغَايَةٍ لَمْ تُغْلَمِ
المرء يبد الزمان يقوده مثلما يقود المرء الجنيب (الحصان) ويأخذه إلى غاية مجهولة
إِنْ الْحَيَاةَ شَهِيَّةٌ مَا لَمْ تَكُنْ عَرَضًا لِأَمْرَةٍ ظَالِمٍ لَمْ يَرْحَمِ
ما لم تكن أنت مستهدفاً من ظالم
لَا أَرْضِي عَيْشَ الْجَبَانِ، وَلَا أَرَى فَضْلًا لِذِي حَسَبٍ إِذَا لَمْ يُقَدِّمِ
لا فضل للشريف ذي الحسب إذا لم يكن شجاعاً مقداماً

لو كان للإنسان علمٌ بالذي في الغيبِ لم يفرّخ ولم يتندّم
فدع الأمور إلى مدبرِ شأنها وارغب عن الدنيا بنفسك تسلم

٧٥ سيف وقيد

سكوتي إذا دام الحديثُ كلامٌ وتقلبُ عيني في الوجوه ملامٌ
سكوتي وهم يتكلمون له معنى فهو كالكلام، ونظراتي في وجوه المتحدّثين تحمل اللوم لهم
وصبري على الأيام لا من مدّة ولكن يدٌ مغلوطةٌ وخسّامٌ
صابر على الأيام ليس لأنّي ذليل، لكن لأن يدي مغلوطة (مقيدة) وإن كانت تحمل سيفاً
ألام على أنّي صبرْتُ، وهل فتى على الصبر، إن قلّ المعين، يلام؟

٧٦ المال الضعيف

لا تغذّلني على وفّر سمحتُ به للمُعْتَظِفِينَ فإنّي ماجدُ النّسيمِ
لا تلمني على مال سمحت به (تفضلت به) للمعتفين (الفقراء) فأنا ماجد النسيم (شريف الطباع)
فإن يكنّ قلّ مالي بعد وفرتِه فإنّ مالي لا يَفْوَى على كرمي
فإن كان مالي قد أصبح قليلاً بعد ثراء، فذلك لأن مالي لا يتحمل سخائي

٧٧ الذم بالمدح

أيّها الشاعرُ المُجيدُ تدبّر واجعل القول منك ذا تحكيم
لا تَذمّ اللّئيمَ، وامنحْ كريماً إن مدحَ الكريمِ ذمّ اللّئيمِ

٧٨ القامة المقوسة

حتى الشيبُ عُودي، فاستقامتْ رَويّتي ولولا انحناءُ القوسِ ما صرَدَ السهمُ
حتى العمر قامي، فاستقامت رويتي (حكمتي)، وكذا القوس فإنها منحنية ولذا فالسهم الذي ينطلق
عنها يصرد (يصيب)

٧٩ رب السيف والقلم

ولو كان للإنسان علمٌ يذُّهُ على خافيات الغيبِ ما كان يندّم
لو علم الإنسان الغيب لما ندم على شيء، إذ سيعرف أن كل شيء مقدر محتوم

كُتِمْتُ الْهَوَى خَوْفَ الْوُشَاةِ، فَلَمْ يَزَلْ بِي الدَّمْعُ حَتَّى بَانَ مَا كُنْتُ أَكْتُمُ

كُتِمْتُ حُبِّي خَوْفًا مِنَ الْوُشَاةِ، وَظَلَّ دَمْعِي بِسَبِيلٍ حَتَّى ظَهَرَ مَا أَكْتُمُ

وَيَضْحَكُنِي فِي كُلِّ رَوْعٍ ثَلَاثَةٌ: حَسَامٌ، وَطَرَفٌ أَعْوَجِي، وَلَهْذَمٌ

بِصَحْبِي فِي الرُّوعِ (الْحَرْبِ) سَيْفٌ، وَطَرَفٌ أَعْوَجِي (حِصَانٌ أَصِيلٌ) وَلَهْذَمٌ (رَمَحٌ)

وَيَنْصُرُنِي فِي كُلِّ جَنْعٍ ثَلَاثَةٌ: لِسَانٌ، وَبُرْهَانٌ، وَرَأْيٌ مُحْكَمٌ

يَنْصُرُنِي فِي الْمَجَالِسِ لِسَانِي، وَمَا عِنْدِي مِنْ بَرَاهِينٍ عَلَى مَا أَقُولُ، وَرَأْيِي الصَّائِبُ

فَلَا تَحْتَقِرْ فَضْلَ الْكَلَامِ، فَإِنَّهُ مِنْ الْقَوْلِ مَا يَبْنِي الْمَعَالِي وَيَهْدِمُ

لَا تَحْتَقِرْ أَهَمِيَّةَ الْكَلَامِ، فَهُوَ مَا يَصْنَعُ لِلْمَرْءِ الْمَعَالِي (الْأَمْجَادَ)، وَمِنْهُ مَا يُسْقِطُ صَاحِبَهُ وَيَفْضَحُهُ

فَمَا كُلُّ مَنْ حَاكَ الْقِصَائِدَ شَاعِرٌ وَلَا كُلُّ مَنْ قَالَ النَّسِيبَ مُتَمِّمٌ

فَإِنْ يَكُ عَصَرَ الْقَوْلِ وَلَّى، فَإِنَّنِي بِفَضْلِي، وَإِنْ كُنْتُ الْآخِيرَ، مُقَدَّمٌ

لَنْ وَلِي عَصَرَ الْفَصَاحَةِ فَإِنِّي مُقَدِّمٌ وَإِنْ جِئْتُ فِي هَذَا الزَّمَنِ الْمَتَأَخِّرِ

٨٠ بين يوسف وكافور

وَمَا مِصْرُ، عُمُرُ الدَّهْرِ، إِلَّا غَنِيمَةٌ لِمَنْ حَلَّ مَغْنَاهَا، وَنَهَبُ مُقَسَّمٍ

مِصْرُ، طَوْلَ عَمْرُهَا، غَنِيمَةٌ لِمَنْ يَنْزِلُ فِي مَغْنَاهَا (جَنَانَهَا) وَمَنْهَوْبَةٌ مَقْسَمَةٌ بَيْنَ الْفَاتِحِينَ

تَدَاوَلَهَا الْمُلُوكُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ وَنَالَ بِهَا حَقَطًا فَصِيحٌ وَأَعْجَمٌ

تَدَاوَلَهَا الْمُلُوكُ، وَنَالَ بِهَا الْغَنَى الْفَصِيحُ وَالْعَمِيُّ. فَالْعَرَبُ الْفَصَحَاءُ نَالُوا بِهَا حِظًّا عِنْدَمَا فَتَحُوهَا،

وَفِي زَمَنِ الْبَارُودِيِّ كَانَ لِلْإِيطَالِيِّينَ وَالْيُونَانِيِّينَ وَالْفَرَنْسِيِّينَ ثُمَّ الْإِنْجِلِيزِ مَكَانَةٌ، وَاعْتَنَوْا بِمِصْرَ

فَمَا أَهْلُهَا إِلَّا عَبِيدٌ لِمَنْ سَطَا وَلَا رَيْعُهَا إِلَّا لِمَنْ شَاءَ مَغْنَمٌ

سَطَا: اسْتَبَدَّ

عَدَاؤُكَ فِي سِلْكِ الْبَرِّيَّةِ خِزْيَةٌ وَدَعَاؤُكَ حَقُّ الْمُلْكِ أَذْهَى وَأَعْظَمُ

أَنْ نَعْدُكَ فِي سِلْكِ الْبَشَرِ شَيْءٌ مَخْزٍ، وَادْعَاؤُكَ الْمُلْكَ أَذْهَى، وَيَنْطَبِقُ هَذَا الْقَوْلُ عَلَى الْخَدِيِّو

تَوْفِيقُ الَّذِي شَاعِبَ الْإِنْجِلِيزِ

لَقَدْ هَانَتْ الدُّنْيَا عَلَى النَّاسِ عِنْدَمَا رَأَوْكَ بِهَا فِي مُلْكِكَ «يُوسُفَ» تَحْكُمُ

الدُّنْيَا هَانَ شَأْنُهَا عَلَى النَّاسِ عِنْدَمَا رَأَوْكَ تَحْكُمُ مِصْرَ الَّتِي حَكَمَهَا ذَاتَ يَوْمِ النَّبِيِّ يُوسُفَ

فَإِنْ تَكْ أَوْ لَتَكَ الْمَقَادِيرُ حُكْمَهَا فَقَدْ حَازَهَا مِنْ قَبْلُ عَبْدٌ مُزَنَّمٌ
 إِنْ كُنْتَ تَوَلَّيْتَ أَمْرَ مِصْرَ، فَقَدْ تَوَلَّاهَا قَبْلَكَ عَبْدٌ مُزَنَّمٌ (دعي منسوب إلى غير أبيه)، يقصد كافوراً
 الإخشيدي الذي هجاء المتنبّي

٨١ الداء القديم

أَعِذْ عَلَيَّ السَّمْعَ ذِكْرَ الْبَانَ وَالْعَلَمِ وَاعِذْ شَايِبَ دَمْعِي إِنْ جَرَتْ يَدِي
 كرر على مسامعي ذكر البان والعلم (مكائين في الحجاز)، واعذرنني على شاييب (زخات) دمعِي إِنْ
 جرى معها الدم لشدة البكاء

وَكَيْفَ أَنْسَى دِيَاراً قَدْ نَشَأْتُ بِهَا فِي مَنِيَةِ الْعِزِّ بَيْنَ الْأَهْلِ وَالْحَشَمِ؟
 يتذكر الآن مكان نشأته بمصر في بيئة العز وحوله الأهل والحشم (الخدم)

وَدَعْتُ شَطَرَ حَيَاتِي يَوْمَ فُرْقَتِهِمْ وَصَافَحْتَنِي يَدُ الْأَحْزَانِ وَالْهَرَمِ
 ودعت شطر (نصف) حياتي عندما فارقتهم، وجاءني الحزن وهجمت علي الشيخوخة

تَغَيَّرَ النَّاسُ عَمَّا كُنْتُ أَسْمَعُهُ وَاسْتَحْكَمَ الْعَذْرُ فِي السَّادَاتِ وَالْحَشَمِ
 وَظَلُّ أَعْدَلُ مَنْ تَلَقَّاهُ مِنْ رَجُلٍ أَغْدَى عَلَى الْخَلْقِ مِنْ ذَنْبٍ عَلَى عَنَمٍ
 أعدل الناس صار أكثر اعتداءً من الذنب على الغنم

لَمْ أَذِرْ هَلْ نَبَغَتْ فِي الْأَرْضِ نَابِغَةً أَمْ هَذِهِ شَيْمَةُ الدُّنْيَا مِنَ الْقِدَمِ؟
 هل انبثقت ظفرة من الطفرات فصار الأمر كذلك، أَمْ أَنْ هَذِهِ شَيْمَةُ دُنْيَا مِنْذُ الْقَدَمِ؟

٨٢ تَفَرَّدُ

كَلَّمَا قُلْتُ قَدْ أَصَبْتُ خَلِيلاً أَضْحَكْتَنِي مِنْ غَدْرِهِ الْأَيَّامِ
 أصبت خليلاً: عثرْتُ عَلَى صَدِيقٍ

فَتَفَرَّدَ تَعِشْ بِنَفْسِكَ حُرّاً رَبِّ قَرْدٍ يَخْشَاهُ جَيْشُ لِهَامٍ
 عَشْ وَحِيداً حُرّاً، فَرُبَّ فَرْدٍ يَخْشَاهُ الْجَيْشُ الْلِهَامِ (الكبير)

٨٣ وداع الوطن

وَقَالَ بِذِكْرِ وَدَاعِهِ لِلْوَطَنِ، (كَانَ ذَلِكَ فِي دَيْسَمْبَرٍ/ كَانُونِ الْأَوَّلِ ١٨٨٢)، إِذْ احْتُلَ الْإِنْجِلِيزُ
 مِصْرَ، وَنَفَوْا الْبَارُودِيَّ وَعِرَابِيَّ وَخَمْسَةَ آخَرِينَ مِنْ قَادَةِ الثَّوْرَةِ إِلَى جَزِيرَةِ سِيلَانَ الَّتِي كَانَتْ
 مُسْتَعْمَرَةً بَرِيطَانِيَّةً):

مَحَا الْبَيْنُ مَا أَبَقْتُ عَيُونََ الْمَهَا مِنِّي فَشَيْبْتُ، وَلَمْ أَقْضِ اللَّبَانَةَ مِنْ سِنِّي
 محَا الْفَرَاقُ ذَلِكَ الْقَلِيلَ الَّذِي أَبَقَتْهُ عَيُونَُ الْمَهَا مِنِّي، فَدَاهَمَنِي الشَّيْبُ قَبْلَ أَنْ أَقْضِيَ اللَّبَانَةَ (الْحَاجَةَ) مِنْ شَبَابِي

فَإِنْ أَكَّ فَارَقْتُ الدِّيارَ فَلِي بِهَا فَوَادٌّ أَضَلَّتْهُ عُيُونُ الْمَها مِنِّي

لئن فارقت البلاد فلي بها قلب ضيعته مني عيون المها

فَهَلْ مِنْ فَتًى فِي الدَّهْرِ يَجْمَعُ بَيْنَنَا؟ فَلَيْسَ كِلَانَا عَنْ أَخِيهِ بِمُسْتَعْنٍ

فهل أجد من يجمعني بقلبي؟ فلا غنى لي عنه، ولا غنى له عني

وَلَمَّا وَقَفْنَا لِلوَدَاعِ، وَأَسْبَلْتُ مَدَامَعُنَا فَوْقَ الثَّرَائِبِ كَالْمُزْنِ .

لما وقفنا لتوداع، وأسبلت دموعنا (نزلت) فوق الثرائب (أعلى الصدر) كالوزن (الحجاب)

أَهْبْتُ بِصَبْرِي أَنْ يَعُودَ فَعَزَّنِي وَنَادَيْتُ حِلْمِي أَنْ يَثُوبَ فَلَمْ يُعِنْ

طلبت من صبري أن يعود فعزني (قوي علي وأبى)، وناديت حلمي (عقلي) أن يثوب (يعود) فلم يغن ندائي شيئاً

وَلَمْ تَمْضِ إِلَّا خَظَرَةً ثُمَّ أَقْلَعْتُ بِنَا عَنْ شُطُوطِ الْحَيِّ أَجْنَحَةَ السُّفْنِ

وما هي إلا خطرة (برهة) حتى أقلعت بنا السفن ناشرة أجنحتها (أشروعها)

وَلَوْلَا بُنْيَاتٌ وَشَيْبٌ عَوَاطِلٌ لَمَّا قَرَعَتْ نَفْسِي عَلَى قَائِتِ سِنِّي

لولا بناتي الصغيرات، والنساء الكبيرات العواطل (غير المتزينات) من الأهل لما قرعت نفسي السن (لما ندمت) على ما فات من أمر

وَمَنْ شَاغَبَ الْأَيَّامَ لَانَ مَرِيرُهُ وَأَسْلَمَهُ طَوْلُ الْمِرَاسِ إِلَى الْوَهْنِ

من عاند الأيام لان مريره (قوته)، وأسلمه (أدى به) طول المراس (المعافاة ومزاولة المخاطر) إلى الضعف

٨٤ واطول شوقي

وقال وهو بسرنديب:

وَاطْوَلْ شَوْقِي إِلَيْكَ يَا وَطَنُ! وَإِنْ عَرَّتْنِي بِحَبِّكَ الْمِحَنُ

عرتني: اعترتني

لَسْتُ أَبَالِي، وَقَدْ سَلِمْتَ عَلَى الدَّيِّ هَرٍ، إِذَا مَا أَصَابَنِي الْحَزَنُ

إن سلم الوطن فلست أبالي ما أصابني من حزن

٨٥ المكتفي بعقله

رَضِيتُ مِنَ الْهَوَى بِنُحُولِ جِسْمِي وَمِنْ صِلَةِ الْبَخِيلَةِ بِالْأَمَانِي

ولست بطالِبٍ في الناسِ خِلاً يُنَاصِحُنِي، فَعَقَلِي قد كَفَانِي

٨٦ ليلة أنس

لَاعَبَ السُّكْرُ قَدَّهُ فَتَشَنَّى ودعاهُ قَرُطُ السُّرُورِ فَعَنَّى

سكر المحبوب فأخذ يميل بقده ويتثنى، ومن قرط سروره أخذ بغني

رَشَاءُ تَعْبُدُ النَّوَاطِرُ مِنْهُ وَاحِداً في الجَمَالِ لَيْسَ يُشْنَى

رشأ (غزال) تعبد النواظر (العيون) إذ تنظر إليه الواحد الذي لا ثاني له، يقول الناس سبحان الله الخالق عندما يرون مثل هذا الجمال

أُنَبَّتَ الحُسْنُ فوقَ حَدِيثِهِ وَزَدَا لَيْسَ إِلَّا بِغُمْزَةِ اللَّحْظِ يُجَنَى

الحسن جعل في خديه ورداً هو الاحمرار، ونقطف هذا الورد بنظراتنا

لَمْ يَزَلْ يَزْضَعُ السُّلَافَةَ حَتَّى عَابَ عَنَّا كَأَنَّهُ لَيْسَ مِنَّا

شرب المحبوب كثيراً من السلافة (الخمرة) حتى غاب عن الوعي

٨٧ حبيب افتراضي

يَا ذُكْرَةً أَبْصَرْتُ فِي مِرَاتِيهَا صُورَ التَّمَنَّى

يا ذكرة (خاطرة) رأيت فيها صورة من صور التمني

خَطَرْتُ عَلَيَّ فَنفَرْتُ طَيْرَ الكَرَى مِنْ وَكْرِ جَفْنِي

خطرت لي، فنفرت طير الكرى (أبعدت النوم) من وكر جفني

عَلِقْتُ حِبَالَهُ خَاطِرِي مِنْهَا بِمَكْحُولٍ أَغْنَى

حالة خاطري (مصبدة ذهن) أسكت هذا الغزال المكحول الأغن (الأكحل العينين ذا الصوت الذي فيه غنة)

كَانَتْ مِنَالاً خَطُّهُ بِمَخِيلَتِي نَقَّاشُ ذَهْنِي

كانت هذه الخاطرة كالمثال (الصورة) التي رسمها ذهني فكانه نقاش يرسم بإزميله على الحجر رسماً

هِيَ لُفْيَةٌ وَهْمِيَّةٌ سَمَحَتْ بِهَا خَطَرَاتُ ظَنِّي

هذا لقاء وهمي، من بنات الظنون

٨٨ نصحت قومي

نصحتُ قومي وقلتُ الحربُ مَفْجَعَةٌ وربما تَاحَ أمرٌ غيرُ مَظَنونِ
قلتُ لقومي: الحرب تأتي بالفواجع، وقد يأتي أمر لم يخطر بالبال

فخَالَفُونِي؛ وشَبَّوْهَا مُكَابِرَةً وكان أَوْلَى بِقومي لو أَطَاعُونِي
خالفوني وأشعلوا نار الحرب مكابرة وعناداً، وكان أولى بهم لو أطاعوني

تأتي الأمورُ على ما ليس في خَلْدٍ ويُخَطِئُ الظنُّ في بعضِ الأحيانِ
الأمور تأتي بما ليس في خلد (عقل) والظن يخطئ أحياناً

٨٩ علّمت الحمام الأغانيا

وما لي ذنبٌ عندهم، غيرَ أنني شَدَوْتُ فَعَلَّمْتُ الحمامَ الأغانيا
وهل يَكْتُمُ المرءُ الهوى وهو شاعِرٌ ويَنسِي على أعقابِهِنَّ القَوافيا
الشاعر لا يكتم الهوى، ولا يرد القوافي على أعقابها ولا يرفضها

فَبَا نَسَمَاتِ القَجَرِ مَا لَكَ كَلَمًا تَنَسَّمْتَ أَضْرَمْتَ الهوى في فؤاديا
ويا رَوْضَةَ المِقْيَاسِ جَادَكَ سَلْسَلٌ مِنَ النِيلِ يَدْعُو لِلْحَنِينِ السَّوَابيا
أيتها الروضة جادك سلسل من مياه النيل يجعل السواقي تدور وتصدر صوتاً كحنين الإبل. وفي جزيرة الروضة هذه مقياس يقيس ارتفاع النيل

هِيَ الوَطَنُ المألوفُ والنفسُ صَبَّةٌ بِمَنْزِلِهَا الأَذْنَى، وإن كان نَائِيا
هذا وطني الذي ألفته، والنفس صبة (مغمرة) بمنزلها القريب إلى القلب حتى وإن كان بعيد المسافة

فَلَا حَبَّذا الدنِيا إذا هِيَ أَذْبَرَتْ وإن أَقْبَلَتْ يوماً فِيا حَبَّذا هِيا
الدنيا رديئة عندما تدبر عن المرء وتولي ظهرها، وما أجملها عندما تقبل

فهرس القوافي (القافية فرقم القصيدة)

١٧	مُدْلِجٍ	١	سَوَاءٍ
٢٠	فَسَحٍ	٥	عِيَاءٍ
١٩	نَصَحٍ	٣	سَمَاءٍ
١٨	رَجَحَتْ	٤	سَمَاءٍ
٣١	الْعِدَا	٢	أَثْنَاءِ
٢٤	الْأَسْدُ	١٣	وَانْتَصَبَا
٣٢	دَدُ	١٢	الْحَرْبُ
٢٦	الْأَجَوَادِ	١١	عَرَبُ
٣٣	الْحَسَدِ	٦	وَيُعْجَبُ
٣٤	الْعِبَادِ	١٥	أَبِي
٢٧	بِفِرَادِي	٧	التَّجْرِيبِ
٢٨	يَيْدِي	١٤	الْحُبِّ
٣٠	سُهْدِي	٩	الشَّبَابِ
٢٣	عَهْدِ	١٠	بِذَاهِبِ
٢٢	عَدِ	٨	مَا بِي
٢٩	وَالْإِعَادِ	١٦	يَبِيتُ

٦٠	أَخْلَقُ	٢٥	بَرِيئُهُ
٥٨	الْأَصَادِقُ	٢١	رَنْدُهُ
٦١	لَأُخْمَقِ	٣٨	صَابِرُ
٥٧	الْبَاقِي	٣٧	يَسِيرُ
٦٢	الْعَلَائِقِ	٤١	أَضْبِرُ
٥٦	لَقِي	٣٦	صَخْرٍ
٥٩	وَضِيقِ	٤٤	عَمْرٍو
٦٧	صَغْلُ	٤٦	وَتَغْيِيرِ
٦٤	فَلَائِلُ	٣٩	وَطَرِ
٦٣	الْقَلَلِ	٤٣	وَعَرِ
٦٥	وَتَخْيِيلِ	٣٥	وَنَحْرِ
٦٦	شَمَائِلُهُ	٤٥	الْآخِرَةُ
٧٣	الْعَلَقَمَا	٤٠	مُنْتَظَرَةُ
٨٢	الْأَيَّامُ	٤٢	وَسُمْرَةُ
٧٨	السَّهْمُ	٤٧	مُخْلِصًا
٦٨	سَلَامُ	٤٨	لَعَطُ
٨٠	مُقَسَّمُ	٥٠	مَوْضِعُ
٧٥	مَلَامُ	٤٩	وَالْفَجَائِعِ
٧٩	يَنْدَمُ	٥١	وَمُسْمُوعُ
٦٩	السَّوَائِمِ	٥٢	بَاعِي
٧٦	الشَّيْمِ	٥٤	الْتَرَفُ
٨١	يَدِمُ	٥٥	نَجِثُ
٧٧	تَحْكِيمِ	٥٣	وَأَكْتَفِي

٨٤	المِحْرُ	٧٤	تُعَلِّمِ
٨٥	بِالْأَمَانِي	٧٢	كَهَامِ
٨٣	سَيِّ	٧٠	الْأَنَامِ
٨٨	مَظْنُونِ	٧١	لِحُكْمِهِ
٨٩	الْأَغَانِيَا	٨٦	فَقَنِّي
		٨٧	الْتَمَنِّي

جميل صدقي الزهاوي

(١٨٦٣م - ١٩٣٦م)

يذهب الرجل للتعزية. وما يكاد يسخن تحته الكرسي حتى يتنحنح ويسأل ابن الفقيد أو أخاه هامساً: كيف مات؟ أبجلطة على قلبه، أم ببلطة شقت رأسه؟

وما لك ولهذا السؤال البارد يا ثقل!

وهنك تريثت بعد أن تنحنحت، ولم تشعر بعد أنك استجمعت ما يكفي من الشجاعة كي تسأل سؤالك. لا بأس عليك! لا تستجمع شجاعتك يا أخي، لا لزوم لذلك. فذوو الفقيد سيصدعون رأسك بوصف الميتة كيف ميتت، وبالميت كيف لفظ آخر أنفاسه. ولن تجدهم يذرفون دمعاً وهم يقصون القصة بأدق التفاصيل، لا بل سيتدفقون في الحديث بحماسة وشهوة حكي عجيبين.

وكيف مات جميل صدقي الزهاوي؟ وقع وهو يمشي داخل بيته وتفتت عظم في قدمه، فلزم سريره. ومات.

فكيف إذن عاش؟

كل الكتب والمقالات تعدد لك وظائفه ومناصبه كأنها تكتب سيرة وظيفية لإرهاقها بطلب عمل. الزهاوي أكبر من وظائفه ومناصبه.

لا أكتفك أنني أذكر وظائفه ومناصبه في بعض ما أكتب وبعض ما أقول. وقد تراني أفعل ما يفعله صغار النفوس من دسّ عبارة في أثناء كلامي تُشعر بأنني توليت ذات يوم الوظيفة الفلانية أو الفلانية. هذا بعض ما في طباعي من لؤم. وإنما أفعل ذلك كي أدرا عن نفسي تهمة كان ينبغي أن أشرف بها: تهمة أنني فاشل في المناصب.

لا، لا، لست فاشلاً فقد كنت ذات يوم كذا أو كذا. سبحان من خلقي!
لا شيء أجلب للشرف على الكاتب من أن يكون فاشلاً في سباق
الجرذان، هذا السباق على المناصب.

على أنني، ككل الناس، أريد أن أبدو ناجحاً اجتماعياً ووظيفياً. لكنني ما
سمعت بكاتب أو أديب ذي مناصب إلا وهو مخفق في أدبه بقدر نجاحه في
مناصبه. وعندما تدبرت حياة الشاعر ابن المعتز، الذي تولى الخلافة يوماً وليلة
ثم قتل، قلت في نفسي: هكذا ينبغي للأمر أن يكون.

لن أذكر لك مناصب الزهاوي. لكنني سأقول لك إنه كان يعيش في بيت
مريح بناء هو بماله في بغداد مع زوجته «زكية» التي تصغره كثيراً. ولم ينجبا،
غير أنه كان عنده كلب أسود وحمارة بيضاء يتقل بها بين مقاهي بغداد.

وقد تعجّب بعض الأدباء من رفائيل بُطي كيف يعتني في كتابه عن تاريخ
الأدب المعاصر في العراق بذكر كلب الزهاوي وبذكر اسمه، واسمه بالمناسبة
«ولك»، وأما اسم الحمارة فهو من غوامض الأمور التي تحتاج إلى دفتر من
هذه الدفاتر التي يسمونها رسائل دكتوراه لتحقيقها.

أحذرك من أن ما ستقرأه من شعر الزهاوي مزعج. فالزهاوي متمرّد على
المعتقدات حد الجحد. وهو علماني، وإن لم يكن ملحداً ولا عديمياً.. قد كان
صاحبنا يؤمن بالإنسان. لكنه سيزعج كثيرين الآن مثلما أزعج كثيرين في حياته.
يكفي أن ابن أخيه الفقيه الدّين رفض أن يشيع جنازته.

عاش الزهاوي مع زوجة أحبته وخدمته، وكان لها محباً مخلصاً. وكان
على بعض اليسار، (ربما بسبب الوظائف والمناصب، لا حول ولا قوة إلا
بالله.. وهل تريده أن يعيش سائلاً أمام باب المسجد؟)

هذا رجل عتيق.. ولد والعراق عثمانية جداً. ولد عام ١٨٦٣، بحسب
المتواتر، أو قبلها بعشرة أعوام إن صدّقنا إبراهيم عبد القادر المازني وأحمد
حسن الزيات. وانتزعه أبوه، وحده من بين إخوته، وأعاشه في بيته. يبدو أن
أمه كانت تعيش وأولادها في بيت آخر. لعل والده رأى فيه نبوغاً باكراً. وأبوه
رجل فقه وعلم وفنياً، ورجل شعر أيضاً، وكان يتقن الفارسية وينظم بها علاوة
على نظمته بالعربية.

كان أبوه يعطيه درهماً على كل بيت يستقيم له نظمته بغض النظر عن معناه.

ذلك بالعربية. ونشأ الزهاوي على اللغة العربية. لكنه تعلم الفارسية والتركية حديثاً، وأجادهما إجادة بلغت أن كان ينظم بالفارسية، وينشد بها شعره، وأن كان يكتب في الصحف التركية ويترجم القوانين من التركية إلى العربية، ويتولى التدريس في معاهد إستانبول العليا. وقيل إنه عرف الكردية، وبعض الفرنسية.

آن أن نقول لك إنه كردي. قال إبراهيم الدروبي صاحب كتاب «البغداديون في أخبارهم ومجالسهم» إن أصل العشيرة من مخزوم القرشية، غير أن العائلة أخذت اسمها من «زهاو» التي عاش بها الأجداد، وهي اليوم في إيران. وقيل إنه من أصل كردي.

لا تلمس في كل شعر الزهاوي وحياته شيئاً من كرديته. فهو قد نشأ في حضن أبيه الفقيه المفتي على حب اللغة العربية، ونشأ عربياً.

الزهاوي فحل من فحول البيان العربي. انظر في الصفحات السبع التي كتبها تقديماً لديوانه المطبوع بمصر، عام ١٩٢٤، وسترى قلماً بديعاً. وأنظر في شعره وسترى الرجل يعرف العربية معرفة عميقة. ولا تغتر بهذه البساطة في شعره، ولا بأسلوبه المعاصر والمباشر، هذا كله وليد فكره المعاصر والمتمرد على القديم.

أشبه الزهاوي بابن الرومي في هذه، وأشبهه به في كثير غيرها. فهو بغدادى جداً، وابن الرومي لم يكذب بريح بغداد طول عمره. والزهاوي يبلغ به تطلّب المعنى أن يسترسل في «نثرية» يتعمّل منها الشعر ويكاد يأبأها، والزهاوي يطيل جداً ويكرر المعنى نفسه باللفظ نفسه في القصيدة بعد القصيدة، والزهاوي كان مضطرب الأعصاب مصاباً في نخاعه الشوكي منذ سن الخامسة والعشرين، وكان نحيلاً شديد النحول. وهذه كلها كانت في ابن الرومي. وكان الشاعران كلاهما متمردين، وكانا على معرفة عميقة بالعربية يسترها الأسلوب السهل. على أن ابن الرومي، المعتزلي المتمرد الرافض، كان يثوب إلى الإيمان بين الحين والحين فيقول أشياء تشعرنا بإيمانه الديني العميق، ولكن الزهاوي كان في هذه شبيهاً بالمعري.

يقول الزهاوي الأبيات الكثيرة في الجحد ثم يدس بيتاً يتقي به تهمة الإلحاد. وقد يلقي قصيدة في احتفال المولد النبوي فتأتي باردة.

عاش الزهاوي في بغداد، وقضى فترات تطول وتقصّر في إستانبول،

وأزعج عن بغداد، أي هجَّ منها وطفش، فرحل إلى الشام فيبيروت وزار مصر
وتعرف على أدباؤها وعلمائها. وقابل يعقوب صروف.

كانت صحيفة «المقتطف»، التي أسسها يعقوب صروف ثم حررها خمسين
سنة، معلماً درس الزهاوي على يديه العلم والفكر. كان والده يحتفظ بمجلدات
من هذه المجلة، والتهمها الزهاوي يافعاً. وكانت المقتطف مدرسة تقدم العلم
والأدب. وعلى هذه الصحيفة - التي بدأت في بيروت ثم انتقلت إلى مصر -
نشأ خلق من كبار الأدباء والعلماء. منها ومن الكتب التركية المترجمة عن
اللغات الأوروبية استقى الزهاوي العلم.

طريف أن ترى الزهاوي والعقاد يتناقشان عبر الصحف في نظرية آينشتاين
عن الضوء والكون المحدث وطبيعة الجاذبية. ولعل العقاد كان أحسن اطلاعاً
على الكتب الأوروبية لأنه كان يقرأها مباشرة بالإنجليزية، غير أن الزهاوي كان
أثقب ذهنًا.

كان الزهاوي من الأدباء الذين اشتبهوا أن يكونوا علماء طبيعيين. مثله في
ذلك مثل غوته الألماني الذي حبر مئات الصفحات في العلم المحض، وأصاب
وأخطأ، وظل مجرد أديب يرفض تحويل أمور العلم إلى «الجهات المختصة».
مثل غوته كتب الزهاوي في العلم كتباً، ونشرها. وما بقي لها من القيمة هو
أنها تنبئ عن ذهن منفتح وتوق شديد إلى العلم.

غير أن ما تعلمه الزهاوي من المقتطف، ومن الكتب التركية المترجمة عن
أصول أوروبية، كان ثميناً. كان الأساس في فلسفة الرجل. وللزهاوي فلسفة
حقيقية: هو مادي يرى الحياة مجرد تعبير عن التركيب المعقد للمادة، فالجماد
مادة دنيئة بسيطة التركيب، والحي معقد التركيب بدرجات بين حيوان وحيد الخلية
وإنسان فيه ما بين ٣٧ تريليون خلية (دراسة من الدراسات لشخص وزنه ٧٠ كغم)،
و٧٢٤ تريليون خلية (دراسة أخرى). والروح هي الحياة، هي تعبير عن هذا
التعقيد في التركيب. وعليه فإذا فني الجسم، أي تفكك التركيب، فالروح تفتى.

ولأن الروح من أمر ربي فلا نمعنُ في مناقشة الزهاوي، ونظل نطالب
العلماء بتخليق خلية حية في المختبر - وهو أمر حاولوه مراراً منذ خمسينات
القرن العشرين، ومنتهى ما توصلوا إليه أن اشتقوا حياة من حياة عن طريق
الاستساخ - قبل أن نحملهم على محمل الجد. الاستساخ شيء وتخليق الحياة
شيء آخر.

وقد عالج الزهاوي المقولة الإلهية معالجة عابثة جرّت عليه كثيراً من العنت، وألجأته مرةً إلى التزام بيته أياماً خوفاً على نفسه من «الاغتيال» على يد العامة ببغداد. والعامة اليوم تغتال الزهاوي على صفحات الإنترنت. لا تراهم يصفونه إلا بالكلب، أو لعل أحدهم وصفه بهذه الكلمة ثم بيّنها الناس من بعده، فالإنترنت حديقة حيوان يكثر فيها على وجه الخصوص طائر البيغاء.

عرف الزهاوي أنه كان في القديم آلهة، وعرف أنهم في القديم وحّدوها في إله. ولو كان حسن الإيمان بالدين لما أتعّب نفسه وأزعج القوم بعشرات الأبيات التي يرواح فيها بين الجد والهزل متناولاً قضية أصل الكون وخالق الكون.

ونحن لسنا ممن أزعجهم الزهاوي، بل نقول: ليقبل ما شاء كيفما شاء. إيماننا بحرية الفكر وحرية الجهر به فوق أن ننزعج من أي رأي.

كان يجلس في مقاهي بغداد، وكان يجلس إليه بعض مريديه. ولا يندر أن يتلاسن بأبيات الهجاء مع رضا الطالбاني، وبأبيات المديح مع معروف الرصافي. ومن عجب أنه كان للطالباني صديقاً، وللرصافي خصماً. فكان بين شاعري العراق الكبيرين منافسة شديدة تشور فتصبح خصومة، فتعقبها مصالحة ينشد فيها كل منهما أبياتاً في تقرّظ صاحبه.

في إستانبول مدح الزهاوي السلطان عبد الحميد ثم هجا الاستبداد، ثم سجن سجنَةً صغيرة، ثم رحّلوه إلى بغداد. كانت الأمور في تلك الحقبة، في أواخر القرن التاسع عشر، مختلفة عما عهدناه بعدها، حتى إنه ليصعب عليّ تخيّل أن العراق وسوريا ولبنان... الخ، لم تكن سوى قطعة من الدولة العثمانية.

وعندما انقلب ضباط الاتحاد والترقي على السلطان ثم خلعهو رحب الزهاوي بالخطوة وبالدستور الجديد. ثم بدأ يشعر بتوجه الحكام الجدد إلى مزيد من التتريك. ولئن كان شاعرنا يحسن من الثقافة التركية ما يحسنه أهلها فإنه كان عربياً منزوعاً في تراب اللغة العربية. وهبه كان تركي الهوى، أفلا يعني التتريك أن حكام إستانبول قد جعلوا هذا المشترك في درجة ثانية بعد درجة التركي الأصل؟

مع تفكك الدولة العثمانية في أخريات الحرب العالمية الأولى انقلب

الزهاوي عليها، فأصبح أكثر عروبية، ومالاً الإنجليز الذين احتلوا العراق بعد الحرب، وتقرب من فيصل بن الحسين الذي عينوه ملكاً.

لكنه ظل يشكو من أنه لم يعين في وظيفة كبيرة.

وظل الزهاوي ينظم. برغم قلمه الثري الجميل فإن الزهاوي عاش للشعر، وأدمن النظم. عندما أصدر ديواناً له في مصر باسم «ديوان الزهاوي»، عام ١٩٢٤ في ٤٤٣ صفحة، قال إن الديوان يضم أقل من الثلث وأكثر من الربع من شعره. وقد ترجم ما صح له من رباعيات الخيام نثراً وشعراً، مثبِتاً الأصل الفارسي فوق الترجمتين لكل رباعية. وطبع دواوين أخرى وكتباً في العلم، قد لا تريد أن تعد كتابه عن لعبة «الدامة» أحدها.

في الزهاوي خفة تجدها في شعره مختلطة بغير قليل من التذمر. يصطاد قوافيه بمهارة، وقد تتحكم فيه الفكرة فيلقي بالقوافي على عواهنها، ولكنه في كل ذلك محافظ على العربية القويمة السليمة المتينة، لا غرو فقد حفظ جزء عم من القرآن طفلاً لم يتعلم النطق سوى أول أمس.

نقلوا عنه كثيراً قوله إنه كان يسمى «المجنون» في طفولته لحركاته غير المألوفة، و«الطائش» في شبابه لنزوعه إلى الطرب، و«الجريء» في كهولته لمقاومته الاستبداد، و«الزنديق» في شيخوخته لمجاهرته بأرائه الفلسفية.

كان كذلك.

إن كنت ممن يقرأون الشعر بأذانهم، ويحسون بوزنه - وهذا ما ينبغي للشعر، وإلا كان الشعر كطبخة صاحبنا الذي وجد امرأته تلف أوراق العنب ورقة بعد ورقة على حشوة من الأرز واللحم وتقضي في ذلك بياض يومها، فجاءها باختراع جديد: فتت أوراق العنب تفتيتاً وجعلها في القدر مع الأرز واللحم وصب على ذلك الخليط ماء وطبخه، فكانت طبخته بدعة منكرة، ونال من زوجته المثل المعروف: العين هي اللي تأكل، وهنا نقول: الأذن هي التي تأكل الشعر. فعندما تقرأه بعينك وحدها غير حاسٍ بما فيه من إيقاع يفوتك شيء هو الفارق بين الشعر والنثر - إن كنت ممن يحسون بالوزن فسوف تجد في الزهاوي ما يزعجك، بخلاف آرائه الخارجة عن المألوف إن كنت من أهل المألوف.

الزهاوي يحب البحر الخفيف. وكأنه لم يكتف بما في هذا البحر من علة

وقوع الكلمة بين الشطرين، وهي علة ظاهرة في الخفيف ظهوراً لا تراه في أي بحر آخر، فصاحبنا يُجلس كلماته فيما بين التفعيلات في داخل الشطر على هيئة غير مألوفة. وقد ظن العقاد - بعد إذ سمع الزهاوي يشد - أن شاعرنا إنما تأثر بالطريقة الفارسية في الإنشاد. وليس لنا على قول العقاد تعليق، فلا نحن نعرف الفارسية ولا طريقة إنشادها، ولا ندرى إن كان العقاد يعرف. وزاد العقاد فقال أشياء عن مستفعلن ومتفعلن، ونرى أن الأمر أهون من ذلك، فكل شعراء العربية ركبوا هذا الزحاف المستساغ كل الاستساغة، على أن شاعرنا كان لا يبالي أن يقطع الكلمة بين التفعيلة وجارتها في مكان غريب (فأنت إن قطعت بعد آل التعريف ساغ ذلك ولم يجلب تلك الضعضة التي تحدث عند تحطيم الكلمة من متصفها).

لن أحدثك عن معارك الزهاوي الأدبية الكثيرة، فتفاصيلها موجودة في الكتب، ولكنني أطللت من خلالها على خصلة في شخصية الزهاوي، فهو كثير الامتداح لشعره عميق الإيمان بشاعريته، ينافع عن نفسه وعن آرائه وشعره ويمقت النقد مقاً - كلنا ذلك الرجل - ويزيد صاحبنا فيجأ بالشكوى من النقد، وكثيرون منا يكرهون النقد لكنهم يسكتون تعالياً أو دهاء، فإهمال الناقد أسكت له من الرد عليه، ولا كذلك الزهاوي، فهو يرد على كل ناقد.

الزهاوي على نور أبيض

ذكرني بالزهاوي الليلة مصباحي الأثير ذو الضوء الأبيض، وهو مصباح لا يكاد ينفق شيئاً من الكهرباء، وإذا انقطعت الكهرباء فهو يبقى مشتعلًا ساعات، فإذا شئت وصلته بالحاسوب فيستمد قليل ما يحتاجه من طاقة من جوف الحاسوب، غير أنني أركبته قائم سريري ليلقي عليّ أشعته البيضاء من خلف كتفي فينير صفحة كتابي. أخذت في ساعات المساء أقرأ عن الزهاوي على نور مصباحي الأبيض - الواقع أن المصباح نفسه أبيض، لكنني أقصد أن نوره أبيض، وأنا عاشق للنور الأبيض من مصابيح النيون، ولا أرى ما يرى كثيرون من أن النور البرتقالي يعطيهم إحساساً بالدفء؛ ويتفوق مصباحي على مصابيح النيون، وهي اقتصادية، في أنه اقتصادي جداً حتى إنني لأحجل منه وهو يدوي بنوره ساعة بعد ساعة لا يكل ولا يمل فأكاد أخرج من جيبي بعض الدراهم لأعوضه بها عما يبذله في خدمتي - ومرت ساعات المساء ودخلت في عمق الليل، وأشحت بوجهي عن كتي، وعادت بي الذاكرة عقوداً.

قبل أربعين سنة، قد تنقص سنة لا أكثر، وقد تزيد سنة لا أكثر، اشترى لي أبي مصباح نيون للمنضدة. كان في متجر ورأى المصباح، وقال في نفسه: ما أجدر أن يكون هذا ذا نفع لولدي الذي يقرأ كثيراً. لم يكن والدي ﷺ يعرف ما سأصنع بالمصباح فور استقبالي الهدية الثمينة. كنت آنذاك في نحو العشرين من العمر، أصغر من ذلك بسنة لا أكثر، أو أكبر من ذلك بسنة لا أكثر.

نصبت المصباح على منضدة عالية سوداء بجانب سريري، واتفق أن كانت والدتي رحمها الله وسائر إخوتي مد الله في أعمارهم. . هل سأمضي هكذا في الحديث عن أفراد العائلة الكريمة؟ الحاصل. . أنهم كانوا جميعاً مسافرين. . ربما كانوا يحضرون مناسبة ما في بلد قريب. . لا أدري. كنت وحيداً في البيت مع أبي. مثلما كان الزهاوي ملازماً لأبيه الذي انتزعه من بين إخوته واختص نفسه بالطفل النايغ. على أن أبي لم يكن يقرأ عليّ ديوان المتنبي مثلما فعل والد الزهاوي بطفله، كان أبي صاحب مخيطة يروح إلى عمله صباحاً ويغدو إلى البيت عند العصر فيؤلف من بطن الثلاثة طبقاً تنغدى به. لكنه في تلك المدة رأى مني عجباً. . كان يصحو ومصباحي مشتعل وأنا تحته أقرأ، ويعود من عمله ومصباحي مطفاً لكنني أقرأ، ويهبط الظلام فيشتعل المصباح وأنا أقرأ، فإذا أيقظت أبي حاجة في قلب الليل رأى المصباح مشتعلاً ورآني أقرأ. مضت علي ست وثمانون ساعة وأنا أقرأ. كنت أنام ساعتني الثماني على الكتاب وأصحو عليه. وهذه الساعات تعد ثلاثة أيام ونصف يوم وساعتين، وبانقضائها عاد أهل البيت إلى البيت واعتدلت حياتي. وقعدت فور عودتهم أحسب كم مضى علي وأنا منشغل بقراءاتي، فمن هنا جاء الرقم الدقيق ٨٦. والشاهد في الموضوع أنني في تلك الأيام المضاءة بالأبيض كنت أقرأ الزهاوي وعن الزهاوي في كتب كانت تحفل بها المكتبة العامة في بلدنا نابلس بفلسطين.

تركت كتبني في ليلتي هذه التي أكتب لك فيها، وقلت في نفسي: أما اكتفيت من الزهاوي؟ أما أعدت قراءة شعره كله كي أنتخب منه أبياتاً، ثم شرحتها؟ لا، لم أكتف. قد عدت إلى الزهاوي وقرأت عنه في كتب أخرى يسرّها الإنترنت في صورة بي دي إف، ونبشت مواقع النت - وأنا أفعل ذلك عادة حتى أتجنب تردد ما في النت من أشياء، فقد أصابني مواقع النت بعقدة لكثرة ما فيها من القص والقصق - ورأيت أننا بحاجة إلى كتاب سيرة حقيقي عن الزهاوي. وهذا يحيلني إلى استطراد جديد.

أولعت، بعد ذلك المصباح القديم بنحو عشر سنين، بكاتب إنجليزي هو سومرست موم، وقرأت معظم ما كتب في سنوات حياته الاثنتين والتسعين. إدمان. ولما صار الرجل شغلي الشاغل مضيت إلى الكتب التي كتبت عنه فقرأت منها اثنين، وقرأت له هو نفسه ثلاثة كتب تحدث فيها عن مهنته ككاتب. ثم؟ طبعاً نسيت كل شيء قرأته.

وبقي عالماً في نفسي أن القوم يكتبون السيرة بحرفية عالية. وقرأت بعد ذلك حمل بعير من كتبهم التي تروي سير المشاهير. ثمة حرفة ههنا. أذكر كتاباً من ثلاثة أجزاء عن برنارد شو، بلغ فيه كاتبه مايكل هولرويد أن اندس في أدق تفاصيل حياة وفكر وإنتاج الرجل. كان برنارد شو يحب أن تصنع له شطيرته أمه لا الخادم، لأن أمه كانت تضع زبدة ومرعى أكثر في الشطيرة. تلك طرفة أتت في سياقها، ومثلها مئات، لكن الكتاب ليس كتاب طرائف، هو كتاب منسوج نسجاً محكماً ومبحوث بحثاً لا أصفه إلا بأنه ذلك النوع من البحث الذي لم نعرفه نحن العرب حتى الآن.

وأسارع بالإقرار بأنني لست كاتب سيرة ولا باحثاً. أنا هنا، وهناك أيضاً وفي كل ما أكتب، امرؤ يسجل انطباعاته. فاعلم أنني لا أنتقد الآخرين لأنني صنعت ما لم يصنعوا، بل أنتقدهم لأنني أريد أن يصنعوا ما عجزت أنا عن صنعه، وما رأيت قوماً آخرين يصنعونه.

كتاب السير الأدبية الكبير الذي انحدر إلينا عبر العصور هو الأغاني للأصفهاني. وسيرة كل أديب داخل الأغاني هي مجموعة من الطرائف والخرافات، والروايات المتضاربة. قد كنا في ذلك العصر، قبل أكثر من ألف سنة مرت على تأليف الأغاني، متفوقين على غيرنا.

واليوم تغيرت الدنيا، وتوفرت المعلومات، وتيسرت أدوات البحث. ولكننا لم نقطع شوطاً بعيداً، وما زالت الكتب التي تترجم لأديب أو لسياسي بعيدة عن التجرد، قريبة من الخرافة. نحن في دائرة السيرة التمجيدية، فإن خرجنا منها فإلى دائرة سيرة اللعنات. فالمشهور عندنا إما قديس أو شيطان. وهناك شيء أسوأ: أن نكتب عن المشهور كتاباً مثل الماء لا لون ولا طعم له ولا رائحة، ولكنه لا يروي كالماء بل يهوم تهوياً في ثرثرة باردة. عند أهل الثقافة السكسونية من بريطانيا وأمريكا كثير من السير التمجيدية، ووجدت عندهم في القديم، قبل مئة سنة مثلاً، سيراً فيها الثرثرة والتهويم، لكن أدب

السيرة عندهم ظل في صعود، وأحسبهم فيه الآن رواداً في العالم.

فماذا يصنع الأكاديميون في جامعاتنا؟ هؤلاء قاعدون - أقعدوا - ينتظرون مستشرقاً يأتي ويكتب لهم كتاباً يسرقون مادته ويشوهونها ثم ينشرونها مشوهة، ثم.. يشتمون المستشرقين. رأيتهم يعني يمشون في ممرات الأبنية الجامعية فيلتقي الواحد منهم بزميله الدكتور الآخر - وبالمناسبة فدكاتيرنا ينادون بعضهم بعضاً بيا دكتور - يقول له: يا دكتور. ويتلمظ ويتمطق. هو لا يريد أن يقول له شيئاً سوى يا دكتور، فيجيب الآخر: يا دكتور.

لست أتهمهم بالغباء، ولا والله لن تجدني في أي شيء أقوله أو أكتبه أتهم أحداً بالغباء، فكل إنسان لديه عقل، ولكن بعض خلق الله يملك من القحة أن يأخذ ثمن عقله ثم لا يستعمله، ويمد يده - شلت - لأخذ مرتبه وهو لا يصنع شيئاً سوى تشغيل الطلبة في كتابة أبحاث ليست بالأبحاث، ويحسبها لجهله أبحاثاً فيسرقها ويضمنها كتاباً له يضيفه إلى قائمة الكتب التي يتخي بها نيل ترقية جامعية. يؤذيني الدكاتير التقليديون الذين يلوذون بالماضي ليأذ خائف من أسد مزير. يؤذيني من بين هؤلاء التقليديين أكثر من هو نشط متبحر في علوم الأوائل. تراه يمشي كالطاووس، مستشهداً بألفية ابن مالك، أو متكئاً - مالت عليه - على نص لابن جني، أو كاتباً كتاباً ثقيلاً، في وزن نكبتنا بوجوده، عن خزعبلة تافهة أساسها رمل رجراج، لكنها - والله غالب - قد وردت في نص قديم.

وقد رأيت في الأشهر الأخيرة كتاباً من أربعة أجزاء لكاتب عباسي، قامت على نشره وزارة الثقافة في دولة نفطية. ذهبت الوزارة إلى بلد عربي آخر فيه رمل، ولكن لا يوجد تحت رمله سوى مزيد من الرمل، ووظفت لتحقيق الكتاب خمسة من الرجال. وطبعوا الكتاب مرة ثم صدرت بعد تسع عشرة سنة طبعة ثانية، وهذه الطبعة الثانية وقعت، ووقع محققوها، في يدي.

خمس من الدكاتير أصروا على وضع كلمة «الدكتور» كاملة قبل اسم كل منهم، غير قانعين بحرف الدال. ثم إذا التحقيق - وفي طبعته الثانية، وبعد طول المهلة - مشحون بالأخطاء، وبالحواشي القلقة، وبالفهارس غير النافعة. أحسب هذه الدراهم التي أهدرتها في ذلك الكتاب. ليس أنه يخلو من كل فائدة، فالمرء يستطيع أن يعثر في صفحاته على معلومة مفيدة هنا وهناك، لكن ثمة فرقاً بين أن تمشي واثقاً في ردهات كتاب حققه محقق أمين، وأن تمشي خائفاً متحسباً في ممرات مظلمة داخل كتاب مملوء بالأغلاط وإساءة الفهم.

بعد هذه الوصلة المعتادة في قده الأكاديميين لا بد من عودة إلى جميل
صدقي الزهاوي.

هذا رجل داعية: يدعو إلى السفور، ويدعو إلى العلم، ويدعو إلى نظرية
داروين. وهو ابن عصر بدأت تنفتح فيه لنا طاقة صغيرة على الغرب فملأت
الدهشة نفوسنا.

ما زلنا في هذا العصر.

١ أبيات فرائد

وما زلتُ في جَوْ مِنْ الْفِكْرِ طَائِرًا وَمِنْ عَادَتِي إِلَّا أَطِيرَ مَعَ السَّرْبِ

* * *

إِنِّي إِنْ حَمِذْتُ رَبِّي عَلَى مَا أَتَشَكَّى مِنْهُ أَكْذِبُ نَفْسِي

* * *

يَحْيَا الْجَمَادُ إِذَا الشُّرُوطُ تَوَقَّرَتْ وَالْحَيُّ إِنْ فَقَدَ الشُّرُوطَ جَمَادُ

الحياة لا تكون بوجود روح، بل بتوفر «الشروط»

* * *

ذَهَبَ الشَّبَابُ وَأَنْتَ بَعْدَ ذَهَابِهِ مُتَمَسِّكٌ بِالْعَيْشِ مِنْ أَذْنَابِهِ

* * *

وَلَيْسَ بِعَقْلِ الْمَرْءِ بِكَبُرٍ شِعْرُهُ وَلَكِنْ بِمَا فِي رُوحِهِ مِنْ تَكْهَرُبِ

٢ نتف

مَنْ كَانَ فِي سَعَةِ تَسِيرٍ وَرَاءَهُ أَتْبَاعُهُ، فَكَأَنَّهُمْ أَفْيَاءُ

كانهم أقباء: أي يتبعونه كظله

وَإِذَا اللَّيَالِي غَيَّرَتْ سَعْدَ أَمْرِي يَخْفَى الصَّدِيقُ وَتَظْهَرُ الْأَعْدَاءُ

* * *

يَا سَمَاءَ الْعِرَاقِ إِنِّي مَرِيضٌ يَا سَمَاءَ الْعِرَاقِ أَنْتِ شِفَائِي

افْتَحِي فِي سِتَارِ سُخْبِكَ شِفَاءً وَانْظُرِيَنِي بِعَيْنِكَ الزَّرْقَاءُ

* * *

مَنْ لَمْ يَجِئْ بِحُجَّةٍ فَلَا يَفِيدُهُ الصَّخَبُ
لَا تَسْتَقِلُّ أُمَّةٌ فِي الْأَرْضِ مِنْ غَيْرِ تَعَبٍ

* * *

لَا خَيْرَ فِي نَاسٍ إِذَا أَفْحَمْتَهُمْ وَلَّوْا غَضَابَا
عَزَّوْا الْحِجَابَ إِلَى الْكِتَابِ ب، فَلَيْتَهُمْ قَرَأُوا الْكِتَابَا

* * *

أَنَا لَا يَسْأَلُ عَنِّي أَحَدٌ حِينَ أَغِيْبُ
أَنَا كَمَا لَمْ رَحِمْنِي مَنْ شَبَّو دُ، وَكَمَا لَمْ سَخِّقْ غَمْرِي سُبُ

* * *

أَهْوَى الصَّبِيحَ فَمَا نَسِي فِي ظِلْمِهِ أَنْسَى اِكْتِشَابِي
وَكَأَنَّمَا هُوَ قِطْعَةٌ رَجَعْتُ إِلَيَّ مِنْ الشَّبَابِ

* * *

يَا جَهْلُ أَنْتَ بَرَّغِمِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ مَمْتَعٌ بِعُلُوِّ الْجَوِّ وَالرُّتَبِ
يَا جَهْلُ يَأْتِيكَ عَفْوًا مَا تَحَاوَلُهُ يَا جَهْلُ مِنْ غَيْرِ سَعْيٍ مِنْكَ أَوْ تَعَبِ

* * *

لَكَ فِي الْحَيَاةِ، فَلَا تَخَفْ مِنْ أَنْ تُفَارِقَهَا، تُبَوِّثُ
وَمِنْ الطَّبِيعَةِ أَنْتَ جُزْءٌ ء، وَالطَّبِيعَةُ لَا تَمُوتُ

* * *

فِي حَيَاتِي أَنَا لَأَقْبُ نْتُ صُنُوفِ الْمُشْكَلَاتِ
غَمِيرَ أَنَسِي لَمْ أَجِدْ مُنْذُ مِكَلَّةٌ مِثْلَ حَيَاتِي

* * *

إِنَّ الَّذِينَ عَنِ الْأَقْرَادِ قَدْ بَعُدُوا لَمْ يَجْحَدُوا أَنَّهُمْ مِنْهُمْ قَدْ وُلِدُوا
النَّاسَ الَّذِينَ تَطَوَّرُوا كَثِيرًا وَابْتَعَدُوا عَنِ جِنْسِ الْقَرْدَةِ، وَأَمَنُوا بِنَظَرِيَةِ التَّطَوُّرِ، لَا يَنْكُرُونَ أَنَّ أَصْلَ الْإِنْسَانِ قَرْدٌ

أَمَّا الْأَلَى لَمْ يَزَالُوا فِي مَدَارِكِهِمْ أَدْنَى إِلَى أَصْلِهِمْ مِنْهَا فَقَدْ جَحَدُوا
وَمَنْ ظَلُّوا فِي مَدَارِكِهِمْ، فَهَمُّهُمْ، قَرِيبِينَ مِنْ أَصْلِهِمْ الْفَرْدِي فَهَمَّ يَنْكُرُونَ نَظَرِيَةَ التَّطَوُّرِ

* * *

أَقُولُ لِبَاكِ صُنْ مِنَ الدَّمْعِ بَعْضَهُ لَا تَلِي الرِّزَابَا، إِنَّهَا تَنْجَدُّ
وَمَا بِي عَلَى عَيْنِكَ خَوْفٌ مِنَ الْعَمَى إِذَا بَكْنَا، لَكِنْ دُمُوعُكَ تَنْفَدُ
وَقَرَّ دُمُوعُكَ لِلرِّزَابَا، المصائب، المقبلة.. ولست خائفاً على عينيك ولكن دموعك تنفذ.. لا
يُفْنِكُ مَا فِي الْبَيْتَيْنِ مِنْ سَخَرِيَةِ

* * *

أَيُّهَا الرُّوحُ الَّذِي اسْتَقَرَّأْتَهُ بِأَذْلًا فِي الْبَحْثِ عَنْهُ جَلَدِي
إِنَّكَ الْمُخُّ الَّذِي قَدْ ذَهَبَتْ شُعْبًا أَعْصَابُهُ فِي جَسَدِي
الروح، الذي ظللت أبحث عنه، هو في الواقع المخ والأعصاب التي انتشرت في الجسم

* * *

مَنْعَ الَّذِينَ تَسَيِّطُرُوا أَنْ يُحْسِنُوا ثَحَنُ الْوُجُوهِ وَغِلْظَةُ الْأَكْبَادِ
مَهْمَا تَقْدَمُ فِي حَضَارَتِهِ الْفَنَى لَمْ يَخُلْ مِنْ هَمَجِيَّةِ الْأَجْدَادِ

* * *

عَجِبِي مِنَ الْإِنْسَانِ يَهْجَعُ آمَنًا وَالْمَوْتُ لِلْإِنْسَانِ بِالْمَرْصَادِ
لَا تَطْمَئِنَّ بِكَوْنِ لِبَلِّكَ هَادئًا فَلَسَوْفَ يَأْتِي السَّيْلُ مِلءَ الْوَادِي

* * *

لَا تَخُونُ الْعُقُولُ أَصْحَابَهَا فَيَ حَا تَرَاهُ، وَقَدْ يَخُونُ الضَّمِيرُ
قِيلَ لِي قِفْ فَقُلْتُ غَيْرَ مُلَبٍّ: أَنَا إِنْ لَمْ أُسِرْ فَمَنْ ذَا يَسِيرُ

غير ملب: غير مستجيب، ولا أُلِّي الدعوة للوقوف

* * *

فَتَنُّ عَمَّتِ الْبِلَادَ فَمَا أَغْفَ نَى عَنِ الْمَرْءِ أَهْلُهُ وَالْعَشِيرُ
وَإِذَا تَارَتْ الْجَمَاعَةُ يَوْمًا فَهَيَّ قَدْ لَا تَدْرِي لِمَاذَا تَثُورُ

* * *

يَا عَلِّمُ يَا كُلَّ الْهِدَايَةِ لِلْمَوْرَى صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ وَالْأَبْرَارُ
الْحَرْبُ بَعْدَ الْيَوْمِ حَرْبُ سِيَاسَةٍ وَالْغَالِبُونَ بِهَا هُمُ الْأَحْرَارُ

* * *

لِسَانِي عَلَى الصَّمْتِ الطَوِيلِ مُوَاطِبٌ وَفِي الصَّدْرِ آرَاءٌ يَضِيقُ بِهَا صَدْرِي

وقد كنت لا أدري حقيقة ما أرى زماناً، ولا أدري بأنّي لا أدري

* * *

أقول لشيءٍ أيتها الشعرِ صلّ وجُلْ فأنتَ بميدانِ الفصاحةِ فارسُ
يُمارسُ شعري اليومَ إصلاحَ أمةٍ فليلهُ شعري اليومَ ماذا يُمارسُ

* * *

قلبتُ ليلَ الشاعِرِ والشّما عمرُ ذو سِهمٍ يطيشُ
أنتَ إن عشتَ تمُتَ جر عاً وإن مُتَ تعيشُ

المبدعون يكرمون بعد موتهم

* * *

إذا ما قضى ربُّ السماواتِ حاجنا حميدناه حمداً المخلصينَ على الأرضِ
وإن يَأْبَ مِنْ بعدِ الدعاءِ قضاءها نكنُ نحنُ أرباباً لحاجتنا نَقْضي
أرباباً: أصحاباً

* * *

رثاء عبد الله، والد الشاعر اللبناني بشارة الخوري:

جزعتُ لِعبدِ اللّهِ إذ ماتَ إنني على كلِّ ذي فضلٍ بموتِ جَزوعُ
فتى مثلاً ترجوه: أمّا لِسائِهِ فَرَطِبْ، وأمّا كُفُهُ فَرَبِيعُ

* * *

ما في السُّنُوفِ مَعْرَةٌ تُخشى على امرأةٍ عفيفةٍ
إن النّظيفةَ في قِرا رةٍ نَفْسِها تبقى نظيفةً

* * *

أنا يا شمسُ ذرّةٌ فوقَ أرضٍ هي في سِيرِها عليكِ تَطُوفُ
لا تكوني مغرورةً، إنّما مثـ لُك في أجوازِ الفضاءِ أُلُوفُ

* * *

لا يخافُ الرّاعي ذئباً تَعَاوى مِن بعيدٍ مُلِحّةٍ في الطّوافِ
إنّما خوفُهُ إذا الليلُ أذجى مِن ذئابٍ تُندسُ بينَ الخِرافِ

* * *

وَإِنَّ الَّذِي يَسْعَى لِنَحْرِيرِ أُمَّةٍ يَهْوُنُ عَلَيْهِ النَّفْيُ وَالسَّجُنُ وَالشَّنَقُ
إِذَا رُمْتَ مِنْ دَارِ الْمَذَلَّةِ رَحْلَةً فَيَزِقُّ قَبْلَ أَنْ تَنْسَدَ فِي وَجْهِكَ الطَّرْقُ

* * *

أَخْبَيْتُ النَّعَاسَ صَدِيقٌ عَنْ نِفَاقٍ بِسِتْحَرِّكَ
فَمَعَ الْمَظْلُومِ بِبَيْكِي وَمَعَ الظَّالِمِ بِضَحَكِ

* * *

أَخْبَلَ اللَّيْلَ نَهَارٌ قَدْ نَزَا نِسْمُ تَوَلَّى
أَجَلٌ: جَعَلَهُ يَحِلُّ وَيَحِلُّ جِنَاءً، نَزَا: اعْتَلَى

فَانْتَظَرُوا مَا تَلِدُ اللَّيْلُ لَيْلَةً، فَالْلَّيْلَةُ حُبْلَى

* * *

أَمَّا النِّجَاحُ فَلَا نِجَاحَ لِأُمَّةٍ مَا أَبَدَتْ أَقْوَالُهَا أَفْعَالُهَا
غُلَّتْ فَمَا أَبَدَتْ أَقْلًا تَذْمُرُ فَكُنَّا نَمَا طَابَتْ لَهَا أَغْلَالُهَا
غُلَّتْ: قُبِيتْ

* * *

إِنِّي إِذَا حَادِثَةٌ غَيَّرْتُ حَقِيقَةً، غَيَّرْتُ أَقْوَالِي
لَوْ نَبَتَتْ لِحَاكَمَتِي لِحِمِيَّةٍ سَمَّيْتُهَا عِنْدِي خَالِي

كَانَ الْعَقَادُ يَفَاخِرُ بِأَنَّهُ لَمْ يَغْيِرْ قَطُّ آرَاءَهُ، الزَّهَاوِيُّ يَفَاخِرُ بِأَنَّهُ مُسْتَعِدٌّ لِتَغْيِيرِ آرَائِهِ بِحَسَبِ مَا يَجِدُ مِنْ حَقَائِقَ

* * *

يَا حَامِلَ الصَّمْصَامِ لَا يَحْمِي بِهِ حَقًّا، لِمَاذَا تَحِيلُ الصَّمْصَامَا؟
الصَّمْصَامُ: السِّيفُ

جَهْلَ الَّذِينَ عَلَى قَدِيمٍ عَوَّلُوا أَنَّ الزَّمَانَ يُغَيِّرُ الْأَحْكَامَا

* * *

النَّاسُ إِمَّا أَذُوبُ فَتَّائِكَةٌ أَوْ غَنَمٌ
الذُّئْبُ لَا يَرَوِي غَلِيًّا لَمْ جَوْفُهُ إِلَّا الدَّمُ

غَلِيْلٌ: عَطَشٌ

* * *

لَمْ نَكُنْ بِالْأَرْزَاءِ نَعِيباً حَتَّى أَخَذَ الْمَوْتُ قَاهِراً إِدْسُونَا

الأرزاء: المصائب، توماس إديسون: المخترع الأميركي المشهور

أَيُّ شَيْءٍ تَرَكْتَ لِأَخْرِينَا أَيُّهَا الْمَبْدَعُ الْكَثِيرُ الْمَنَاحِي

* * *

وَوَاعِظُ غَارِقٍ فِي لِحْيَةٍ كَبُرَتْ بَاتِي بِكُلِّ قَبِيحٍ لَمْ يَنْهَانَا

لَا وَاللَّحَى، وَالَّذِي فِي الْوَجْهِ أَتْبَتْهَا مَا إِنْ تَكُونُ اللَّحَى لِلْفَضْلِ مِيزَانَا

* * *

يَقُولُونَ إِنَّ الشَّعْرَ نَحْنُ عِمَادُهُ فَمَنْ أَنْتُمْ حَتَّى يَكُونَ لَكُمْ «نَحْنُ»

وَمَنْ لَمْ يَزِنْ عِنْدَ التَّكْلُمِ نَفْسَهُ فَمِنْ حَقِّهِ أَنْ لَا يُقَامَ لَهُ وَزْنُ

* * *

لَقَدْ جَاءَ شَيْطَانٌ مِنَ الْجِنَّ دَاعِياً إِلَى جَنَّةٍ فِيهَا عَذَارَى وَعِلْمَانُ

فَقُلْتُ لَهُ: اغْرُبْ أَنْتَ لَسْتُ بِخَادِعِي فَإِنِّي شَيْطَانٌ كَمَا أَنْتَ شَيْطَانُ

* * *

بِأَعْمَالِهِ الْإِنْسَانُ يُعْرِفُ عَقْلُهُ فَلَيْسَ سِوَاهَا لِلنُّهَى مِنْ مَوَازِينِ

النهي: العقول

سَلِيمًا يَظْلُ الْخَيْطُ بَيْنَ أُولِي النُّهَى وَيَنْقَطِعُ الْجَنْزِيرُ بَيْنَ الْمَجَانِينِ

الجنزير: السلسلة الحديدية. وتسمى البنت المخطوبة السوار الذهبي الذي هو عبارة عن حلقات من ذهب يمسك بعضها ببعض، وتمسك كلها بخناق الخطيب المسكين، جنزيراً

* * *

فَهَتْ بِالْحَقِّ فَجَارَوْ نِي بِسَبِّ وَامْتِئْهَانِ

فهت: نفوّهت

إِنِّي بِأَلَشَّقَائِي جِئْتُ فِي غَيْبِ زَمَانِي

* * *

أَنْتَ فِي صُورَةِ الْأَطْيَافِ لَيْلِي لَيْلِي فِيهِ قَدْ هَاجَتْ شُجُونِي

جَعَلْتُ لِنَوْمِهَا صَدْرِي فِرَاشًا فَعَاقَتْهُ، وَنَامَتْ فِي عُيُونِي
تعلیق صدیقی الشاعر عمران القفینی: (هذا نفسه: بذلت لها المطارف والحشايا - فعافتها ونامت
في عظامي)، وتعلیقي أن بیت المتنبي أشهر من أن يبرق، ولكن كان الزهاوي «استعان» بالكبير
العظيم

* * *

لَقَدْ جُرِنْتُ بِبَلِيلِي فطابَ فيهما جنوني
سَيرُوا... ارجِعُوا، عند ليلي لا تَذْكُرُونِي، اذْكُرُونِي

* * *

فِي حَبَّةِ الرَّمْلِ فَوْقَ الْأَرْضِ سَاكِنَةٌ مِنَ الْقُوَى مَا بِهِ الْأَطْوَادُ تَنْفَطِرُ
لَيْسَ الْقُوَى غَيْرَ بَعْضِ الْجِسْمِ قَدْ لَطَفًا وَالْجِسْمُ إِلَّا قُوَى مَجْمُوعَةٌ كَثَفًا
هذان البيتان يختصران النظرية الذرية الحديثة: الذرات مادة تتحول إلى طاقة تنفطر بها الأطواد،
تحطم الجبال. فالقوى، أي الطاقة، هي مادة في الأصل. والمادة ليست سوى طاقة مجموعة
كثفاً، أي جماعات

* * *

إِنْ طِبْتُ طِبْتُ وَإِنْ هُنَّ تَ، يَا عِرَاقُ، أَهْوَنُ
إِنِّي عَلَى كُلِّ حَالٍ كَمَا تَكُونُ أَكْسُونُ

* * *

أَنَا يَا شِعْرُ كَيْبٌ مَثَلَمَا أَنْتَ كَثِيبٌ
وَكِلَانَا أَيُّهَا الشُّغْ رُبِيفْدَادَ غَرِيبٌ

* * *

أَوْ مِنْ هَمْ تَظَلُّ النَّـ فَنُ فَيُو وَتَبِيبْتُ
لَا تَمُوتِ النَّفْسُ بِالْهَمِّـ وَلَا الْهَمُّ بِمَمُوتِ

* * *

لَا تُطِلْ شِعْرَكَ وَابْذُلْ كُلَّ جَهْدٍ أَنْ تُجَيِّدَ
رَبِّ بَيْتِ هُوَ إِنْ أَحـ سَنَنْتَ خَيْرٌ مِنْ قَصِيدَ

* * *

لَأَسْمَا الْمَرْأَةِ وَالْمَمَرُ سَواءُ فَمِي السَّجْدَارَةُ

عَلِّمُوا الْمَرْأَةَ فَالْمَرْءُ أَهْ عَنَوَانُ الْحَضَارَةِ

* * *

يَرْفَعُ الشَّعْبَ قَرِيبًا ن: إِنَّمَا ذُكُورُ
وَقِيلَ السُّطَّانُ إِلَّا بِجَنَاحَيْهِ يَطِيرُ

* * *

أَضْحَبُ النَّاسِ وَمِنْهُمْ حَذَرِي مَثَلُ وَثُوقِي
كُلُّ إِنْسَانٍ عَدُوِّي، كُلُّ إِنْسَانٍ صَدِيقِي

* * *

لَا تَقِفْ فِي وَجْهِ لَدَا نِكَ مَكْنُوفِ الْبَيْدِي
أَنْتَ لَا تَأْتِي إِلَيَّ دُنَا بِكَ هَذَا مَرَّتَيْنِ

كان عباس العقاد يحب هذين البيتين للزهاوي

* * *

إِنَّ جِسْمَ الْمَرْءِ لِلرُّوحِ حِ التِّي فِيهِ يَفُوتُ
فَإِذَا مَا مَاتَ جِسْمُ الْمَرْءِ فَالرُّوحُ تَمُوتُ

سيظل الزهاوي يكرر هذه المقولة، ومن مجمل شعره فالرجل «مادي» فلسفياً

* * *

الْغَرْبُ يَلْقَاكَ مِنْ مَكُّرِهِ بِوَجْهِ ظَلَمِي
يَا شَرْقُ لَا تَأْتِنِي الْغَرْبُ غَيْرُ صَدِيقِي

* * *

سَمِعْتُ كُلَّ قَدِيمٍ عَرَفْتُهُ فِي حَيَاتِي
إِنْ كَانَ عَنْكَ شَيْءٌ مِنَ الْجَدِيدِ فَهَاتِ

* * *

إِنَّ الْحَقِيقَةَ تَأْتِي لِنَظَرِي أَنْ تَبِينَا

تبيين: تظهر

إِذَا جَمَعْتُ شُكُوكِي فَلَا تُسَاوِي يَقِينَا

مجرد شك في أمور كثيرة لا يعني أنني وصلت إلى معرفة يقينية.. صفر + صفر = صفراً

* * *

قَالُوا لِشَاعِرٍ مِضْرٍ قَمَرُ الإِمَارَةِ يُبْنَى

فَقُلْتُ: يَا أَهْلَ مِضْرٍ، مِنْكُمْ أَمِيرٌ وَمِنَّا..

قال الزهاوي البيهني عندما نصب الناس أحمد شوقي أميراً للشعراء، في حفل كبير عام ١٩٢٧، ويرد الزهاوي قول الأنصار للمهاجرين بعد وفاة الرسول: «منكم أمير ومنا أمير». وحذف الأمير الأخيرة اكفاء.. وظرف في هذين البيتين ما شاء له.. واته القافية أي مواتاة

* * *

قَدْ مَدَحْتُ الَّذِينَ لَمْ يَسْتَحِقُّوا مَدَائِحِي

إِحْسِيْهُهَا عَلَى ضَرُو رَتَّهَا مِنْ قَبَائِحِي

على ضرورتها: أي رغم أنها جاءت لضرورة. والمدح لا يأتي إلا لضرورة نفاقية. قد حسبتها من قبائحك، ولم تقتطف منها شيئاً في مختاراتنا

* * *

إِرْتَجِلْ عَنْ بَلَدٍ أَنْتَ فِيهِ مُهْمَلٌ

إِنَّمَا الْخُرُّ إِذَا سِيمَ خَسَفًا يَرْحَلُ

سيم خفًا: عُرض للذل

* * *

لَيْسَ تَرَقَّى الْإِبْنَاءُ فِي أُمَّةٍ مَا لَمْ تَكُنْ قَدْ تَرَقَّتِ الْأُمَمَاتُ

أَخَّرَ الْمُسْلِمِينَ عَنْ أَسَمِ الْأَرَضِ حِجَابٌ تَشْقَى بِهِ الْمُسْلِمَاتُ

* * *

إِنَّ الْخِيَالَ نِهَايَةٌ فِي أُمَّةٍ لِسُكُونِهَا، وَيَدَاءَةُ الْحَرَكَاتِ

كُنَّا نَذُمُ مِنَ الشُّعُوبِ خِيَالَهَا وَإِذَا الْخِيَالُ مُوَلَّدُ الرِّغْبَاتِ

مشكلة المدارس أنها تقتل في الطفل الخيال، لصالح الواقع، المدرسة تسعى لتحويلك إلى خروف اجتماعي يساهم في تثبيت الأحوال، والخيال يجعلك تسعى لتغيير الأحوال

* * *

لَقَدْ عَلِمْتُ، لَوْ أَنَّ الْعِلْمَ يَنْفَعُنِي، مِنْ طَوْلٍ مَا جِئْتُ قَبْلَ أَدْرُسِ النَّاسِ..

أَنَّ الْجَمَاعَةَ دُونَ الْفَرْدِ مَعْرِفَةٌ وَفَوْقَهُ بِصُرُوفِ الدَّهْرِ إِحْسَاسًا

* * *

مَا زَالَ لِلْمَرْءِ مِنْ لَذَاتِ عَيْشَتِهِ رِضًى، وَلِلْمَرْءِ مِنْ آلاَمِهِ بَرَمٌ

برم: صجر

لَمْ يَعْرِفِ الْمَرْءُ فِي كُلِّ الْحَيَاةِ سِوَى حَقِيقَتَيْنِ هُمَا اللَّذَاتُ وَالْأَلَمُ

* * *

مَنْ اِطْمَأَنَّ بِدَيْنٍ كَانَ يَرْضَعُهُ فَلَيْسَ يَسْمَعُ تَأْنِيْبَ الْبَرَاهِينِ

وَلَيْسَ يَقْبَلُ فِي دَيْنٍ مُعَارَضَةً إِلَّا الَّذِي هُوَ فِي شَكٍّ مِنَ الدِّينِ

في نظر الزهاوي فالدين فكرة ميطرة تستولي على الإنسان استلاء، وتضع سدأ يمنع دخول فكرة أخرى. والمرء يصادف في حياته المتدين الذي يقبل أن يناقش في العقائد، والمتدين الذي يقبل أن يناقش في «المسح على الخفين» ثم يقف عندها. قلت: «المرء»، ولم أقل أنا، فأنا فرغت من مثل هذا النقاش منذ أن كنت في المرحلة الإعدادية، وأعددت نفسي لاستقبال المعلومات عن هذه الدنيا تاركاً الأخرى لصاحب الكون الجليل

* * *

إِنَّهَا الْعَادَاتُ لَا يَخْلَعُهَا غَيْرُ ذَاكَ الْمَارِقِ الْمُتَنَطِّلِقِ

قَدْ تَلَقَّاهَا ثَرَاءُ سَيِّئاً أَحْمَقٌ عَنْ أَحْمَقٍ عَنْ أَحْمَقٍ

* * *

قَدْ اسْتَطَابَ فَوْقَ صَدِّ رَهْمَا السَّهْوَى رُقَادَهُ

مُتَّخِذاً لِنَفْسِهِ مِنْ ثَدِيهَا وَسَادَةً

* * *

جَمَلًا أَبْصَرْتُ فِي حَوْ حَمَانَةِ الدَّرَّاجِ أُمْسٍ

حومانة الدراج: موضع تغنى به قدامى الشعراء

يَتَرَاءَى كَالْكَثِيبِ الْفَرْدُ، فَاسْتَضَعَرْتُ نَفْسِي

* * *

لَيْسَ يَسْتَطِيعُ وَإِنْ جَدَّ ابْنُ آوَى أَنْ يَطِيرَا

قَبْلَ أَنْ يَمْلِكَ رِيشاً كَافِياً أَوْ يَسْتَعْمِرَا

ولماذا اخترت هذين البيتين؟ لا أدري. ربما لأنهما يعبران عن هذا الشاعر المهذار الذي لا يقدر يقعد دون أن ينظم شيئاً. لا يستطيع ابن آوى أن يطير.. لكن، لا تعجلوا.. بإمكانه الطيران إن امتلك الريش.. أو إن استعار ريشاً. بالله عليك يا جميل صدقي ما هذا؟ أرجوك! أرايتم كيف يمكن لعبث صراح أن يكون شعراً؟

* * *

رَأَيْتُ بِالْأَمْسِ شَيْخاً قَدْ انْحَنَى بِاضْطِرَابٍ
فَقُلْتُ: يَا شَيْخُ، مَاذَا أَضَعْتُ؟ قَالَ: شِبَابِي
يَا سَلام!

٣ الجماعة الخشب

لَيْسَ تَسْتَجِثُ حَيَاةَ جَمَاعَةٍ خَشَبُ
مَعِشَرٍ إِذَا وَعَمِدُوا فِي كَلَامِهِمْ كَذَبُوا
أَوْ إِذَا بَسَمِدَا وَمَنْ مِنْ أَخٍ لَهُمْ وَتَبُوا

٤ ذهبت السعادة

سَكُنْنَا حِينَ دُمْنَا وَعَابُوا وَإِنْ سَكَوْنَا عَنْهُمْ جَوَابُ
سَارْحَلُ جَاعِلًا بِغَدَاةٍ خَلْفِي فَمَا عَيْشِي بِهَا إِلَّا عَذَابُ
وَلَا أَرْجُو السَّعَادَةَ بَعْدَ شَيْبِي فَقَدْ ذَهَبَتْ كَمَا ذَهَبَ الشَّبَابُ

٥ الزهاوي يتمشى في دروب بغداد

لَقَدْ كُنْتُ فِي دَرْبٍ بِبَغْدَادَ مَاشِياً وَبَغْدَادُ فِيهَا لِلْمُشَاةِ دُرُوبُ
فَصَادَفْتُ شَيْخاً قَدْ حَنَى الدَّهْرُ ظَهْرَهُ لَهُ فَوْقَ مُسْتَنِّ الطَّرِيقِ دَبِيبُ
مستن الطريق: أي الطريق المستن، أي الممهّد

عَلَيْهِ ثِيَابٌ رَثَّةٌ غَيْرُ أَنَّهَا نِظَافٌ فَلَمْ تَدْنَسْ لَهُنَّ جُيُوبُ
تدنس: تتسخ، جيب الثوب: فتحة العنق فيه

تَدُلُّ عُضُودٌ فِي وَسِيعِ جَبِينِهِ عَلَى أَنَّهُ بَيْنَ الشَّبُوحِ كَثِيبُ
يَسِيرُ الْهُونَا وَالْجَمَاهِيرُ خَلْفَهُ يَسْبُونَهُ، وَالشَّيْخُ لَيْسَ يُجِيبُ
لَهُ وَقْفَةٌ يَفْقَى بِهَا ثَمَّ شَهَقَةً تَكَادُ لَهَا نَفْسُ الشَّفِيقِ تَذُوبُ
فَسَاءَلْتُ مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ مُجَابِبُ هُوَ «الْحَقُّ» جَاءَ الْيَوْمَ فَهُوَ غَرِيبُ
فَقُلْتُ لَهُ: «إِنَّا غَرِيبَانِ هَهُنَا وَكُلُّ غَرِيبٍ لِلْغَرِيبِ نَسِيبُ»

تضمين لبّيت امرئ القيس المشهور

٦ رسالة إلى الدمة

أَنْتِ مَا إِنَّ تُخَفِّفِينَ مُصَابِي دَمَعَتِي؛ فَارْجِعِي عَلَى الْأَعْقَابِ
أَنْتِ لَا تَدْفَعِينَ وَظَاةَ شَيْبِي أَنْتِ لَا تُرْجِعِينَ عَهْدَ شَبَابِي
إِنَّمَا أَنْتِ قَطْرَةٌ سَتَبُلِّي مَنْ إِذَا سَلَّتْ بُقْعَةً مِنْ ثِيَابِي
يَا ابْنَةَ الْهَمِّ إِنَّ عُرْفَتِكَ الْقُلْدُ ب، فَلَا تُخْرِجِي إِلَى الْأَبْوَابِ
أَنَا لَمْ أَسْأَلِ الْعَيُونَ بُكَاءَ لَتَكُونِي عَنِ السُّؤَالِ جَوَابِي

٧ غروبها وشرقها

مَاذَا تُجِئُ الشَّمْسُ عِنْدَ غُرُوبِهَا فَيَكُونُ ذَلِكَ بَاعِثًا لَشُحُوبِهَا؟
مَا إِنَّ رَأَتْ عَيْنِي وَقَدْ رَاقَبْتُهَا كَالْفَرْقِ بَيْنَ طُلُوعِهَا وَغُرُوبِهَا
إِنِّي لَيُخْرِئُنِي الْغُرُوبُ، فَإِنَّهُ لَمَذْكَرٌ نَفْسِي بِكُلِّ كُرُوبِهَا

٨ ميت ابن موني

تَنَاسَيْتَ يَا إِنْسَانُ أَنْكَ مَيِّتٌ وَأَنْتَ مِنَ الْأَمْوَاتِ تَرْفَعُ أَبْيَاتَا
الْإِنْسَانِ بَيْنِي بَيوتًا ويرفعها، والتراب الذي يستخدمه فيه شيء من رفات البشر الذين ماتوا قبل
أزمان

وَتَمْشِي عَلَى الْأَمْوَاتِ فِي كُلِّ خُطْوَةٍ وَتَأْكُلُ أَمْوَاتًا وَتَلْبَسُ أَمْوَاتَا
تَنَاسَلْتَ مِنْ أَمْوَاتِهَا ثُمَّ رُمْتَ أَنْ تَعِيشَ بِهَا عِيشَ الْخُلُودِ وَهَيْهَاتَا
وَأَنَّكَ فِي أَعْمَاقِ قَبْرِكَ لَا تَرَى وَجُوهًا، وَلَا فِي الْقَبْرِ تَسْمَعُ أَصْوَاتًا
وَلَسْتَ بِمَسْئُولٍ إِذَا مَا سَكَنْتَهُ أَكُنْتَ عَبْدَتَ اللَّهِ قَبْلًا أَمْ اللَّاتَا
اللات: اسم صنم

٩ نهاية الحركات

تَبْكِي الشَّبَابَ عَلَى شَيْءٍ بٍ فِي الْحَفَائِرِ بَاتُوا
الشيب: الشيوخ الشائون، الحفائر: القبور
وَالشَّيْبُ تَبْكِي شَبَابًا عَاشُوا قَلِيلًا وَمَاتُوا
إِلَى سَكُونٍ طَوِيلٍ سَتَنْتَهِي الْحَرَكَاتُ

يَرْدَى الصَّدِيقُ وَتَسْبِقُ مِنْ بَعْدِهِ الذِّكْرِيَّاتُ
يردى: يموت

١٠ ورقة الأسئلة

هَاتُوا اذْكُرُوا لِي هَاتُوا مَا هَذِهِ الْكَائِنَاتُ
مَا أَنْتَ، مَا أَنَا، مَاذَا وَجُودُنَا وَالْحَيَاةُ؟
وَمَا الْمَكَانَ، وَمَسَاذَا مِنَ الْمَسْكُونِ السَّجَاهَاتُ؟
مَا الْجِسْمُ، مَا الْجَذْبُ، مَاذَا الشُّدَّ كَوْنٌ وَالْحَرَكَاتُ؟
وَمَا لِشَيْءٍ زَوَالٌ وَمَا لِشَيْءٍ ثَبَاتٌ
لا شيء يزول، بل يتحول إلى صورة أخرى، ولا شيء ثابت فالحركة أساس الكون

وَرَبِّمَا سَوْفَ تَسْتَحْسِلُ هَذِهِ السُّسُوكِلَاتُ
إِذَا تَفَكَّرْتُ كَانَتْ لَشَيْءٍ بِي وَخَرَاتُ
دَعِ السُّسُورَ فَمَا فَبِكَ وَحَدِّكَ الْمَلَكَاتُ
يخاطب الإنسان: لست وحدك صاحب الملكات، أي المواهب والمهارات

إِنْ كُنْتَ طَيْرٌ فَقَدْ طَا رَتْ قَبْلَكَ الْحَشَرَاتُ
أَوْ كُنْتَ عُصْفٌ فَقَدْ عَا صَتْ مِثْلَكَ السُّلْحَفَاتُ
الأكثر في اللغة السُّلْحَفَةُ بفتح اللام، وأورد تاج العروس السُّلْحَفَةُ كما أ جاء الوزن الزهاوي إليها. يومئ عمران القفني إلى أن هذه القصيدة تناظر قصيدة «الطلاس» لإيليا أبو ماضي، فهذه طلاس الزهاوي

١١ النهايات المتشابهة

سَتَجِدُ الْإِبْنَاءَ سَيْرًا لِدَارِ نَزَلَتْهَا الْآبَاءُ وَالْأُمَّهَاتُ
رُبَّ قَوْمٍ عَاشُوا بِأَمْنٍ زَمَانًا ثُمَّ دَارَتْ عَلَيْهِمُ الدَّائِرَاتُ
وَقَبِيلٍ بَاتُوا جَمِيعًا بَلِيلٍ فَإِذَا هُمْ فِي صُبْحِهِ أَشْتَاتُ
قيل: قوم، جميعاً: مجتمعين

١٢ لن أسكت

إِنَّ هَذَا الْحِجَابَ قَبْرٌ كَثِيفٌ حَالٌ بَيْنَ الْفِتَاةِ وَالنِّسَمَاتِ

إن هذا إثمٌ أَقْبَحُهُ، ما جاء حَضُّ عليهِ في الآيات
أَيُّهَا الْمُسْكِنِي عَنِ الْقَوْلِ ما أَدَّتْ بِذِي قُدْرَةٍ عَلَى إِسْكَاتِي

١٣ أسفل الدرجات

جَنَّةٌ عِنْدَ جَنَّةٍ عِنْدَ أُخْرَى هَكَذَا يَمْتَدِّدُنْ مُتَّصِلَاتِ
غَادَرَتْهَا أَيْدِي الْجَهَالَةِ قَفْرًا بَعْدَ تِلْكَ الرِّيَاضِ وَالْجَنَّاتِ
قفراً: فاحلة غير مزروعة

مَنْ رَأَى الْأَرْضَ فِي الْعِرَاقِ مَوَاتًا ذَهَبَتْ مِنْهُ نَفْسُهُ حَسَرَاتِ
وَانْتَهَتْ سُلْطَةُ الْبِلَادِ لِقَوْمٍ خُلِقُوا لِلرُّشَى وَلِلسَّرِقَاتِ
إِزْتَقَتْ سُلَّمُ التَّقَدُّمِ نَاسٌ وَوَقَفْنَا فِي أَسْفَلِ الدَّرَجَاتِ
فَخَرُّوا بِالْعِلْمِ إِذْ رَفَعْتُهُمْ وَقَفَرْنَا بِالْأَعْظَمِ النَّخِرَاتِ

١٤ سوف تاتي!

يَرْجُو وَصَالَ الْخُورِ بَعْدَ هَذِهِاتِ، لَيْسَ لِمَنْ بِهِ
إِلَّا إِذَا أَتَتِ السَّقِييَا مَتَى، وَهِيَ يَوْمًا سَوْفَ تَأْتِي

١٥ الموت ميراثاً

أَخَذْتَنِي الْأَيَّامُ عَنْ غَيْرِ قَصْدٍ فَهِيَ مَدْفُوعَةٌ إِلَى إِخْدَانِي
أَخَذْتَنِي، وَبَعْدَمَا أَخَذْتَنِي أَلْبَسْتَنِي فَلِمَ تُطِلْ إِلْبَاسِي
أحدثني: أوجدتني، إلبائي: إيقائي

إِنَّمَا الْمَوْتُ خَيْرٌ مَا خَلَقْتُهُ لِبَنِيهَا الْآبَاءُ مِنْ مِيرَاثِ

١٦ الامتزاج

نَظَرْتُ إِلَيْهَا، وَهِيَ بِيضَاءُ تَبْهَجُ بِحَذِّهِ مَاءُ الصَّبَا يَتَمَوَّجُ
تبهج: تاللق. قال بيرم التونسي: ليه يا بنفسج بتهج/ وابت زهر حزين

عَلَى صَدْرِهَا نَهْدَانِ قَامَا أَمَامَهَا وَمِنْ خَلْفِهَا أَرْدَافُهَا تَتَرَجَّرُجُ
بل «قاما» وقعدا بك يا جميل صدي

وقد خَرَجْتُ مِنْ دَارِهَا لِلْبَيَانَةِ فَأَحَسَسْتُ مِنْهَا أَنَّ رُوحِي تَخْرُجُ

لبانة : حاجة

مَشْتُ وَمَشَى قَلْبِي الْمَتَيْمُ خَلْفَهَا يُقْبِلُ أَنَارَ الْخُطَى حَيْثُ تَنْهَجُ

تنهج : تسير في النهج أي الطريق

أُرِيدُ إِذَا قَابَلْتُهَا أَنْ أَبْثُثَهَا غَرَامِي بِهَا، لِكِنِّي أَنْتَلِجُ

أنتلج : أنتلص

تَمَنَيْتُ يَا لَيْلَى، وَهَلْ تَنْفَعُ الْمَنَى لَوْ أَنَّ حَيَاتِي فِي حَيَاتِكَ تُنَزَّجُ

كان ابن الرومي، على صراحته، أعف إذ جعل الروحين يمتزجان

١٧ الفرار

بُثِّبْتُني حُبَّ بَغْدَادَ لَازِمٌ وَيَدْفَعُنِي شَوْقٌ إِلَى مِصْرَ مُشْتَدُّ

يُثْبِطُنِي : يفل عزمي ويحبطني

وَلَمْ تَكْ بَغْدَادُ سِوَى دَارِ كُرْبَةٍ نَهَارِي فِيهَا مِثْلُ لَيْلِي مُسَوِّدُ

مَشَيْتُ إِلَى مِصْرٍ أَسَارِعُ قَبْلَمَا طَرِيقِي إِلَى مِصْرَ الْجَمِيلَةِ يَنْسَدُ

شهد الزهاوي الدولة العثمانية شاباً فرجلاً وكانت إستانبول قبلته ورثته الثقافية، يهرب إليها من العراق ويتمتع بالاقتراب من مركز الكون (بالنسبة إلى عربي يعيش في ظل الدولة العثمانية)؛ وفجأة تبخرت إستانبول من عالم الزهاوي. فأصبحت مصر بالنسبة إليه هي الجنة، وهي المهرب: فيها نشر شعره، وفيها لقي التكريم، وهي الملاذ... بعيداً عن بغداد وما يلقى فيها من عنت المتشددین في الدين، وما يعاني فيها من ضيق الأفق الثقافي

١٨ فرار الشيخ

جَعَلْتُ عَلَى سَيَارَةِ ذَاتِ سُرْعَةٍ إِلَى الشَّامِ أَطْوِي قَدْ قَدْ قَدْ ثُمَّ قَدْ قَدْ

جعلت : بدأت، القفد: الأرض الخلاء

فَأَدْرَكْتُهَا مِنْ بَعْدِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَمِنْهَا إِلَى بَيْرُوتَ قَدْ جِئْتُ مُوقِداً

وَكُنْتُ بِبَغْدَادٍ أَكْبَادُ جَفْوَةٍ وَكَانَ يُسَمِّنِي بِهَا الْقَوْمُ مُلْحِداً

وَقَالُوا لِي أَخْمَدُ فِي الْبِلَادِ هُمَامَهَا فَقُلْتُ لَهُمْ هَاتُوا هُمَاماً لِأَخْمَدَا

الهمام، بالمعنى القديم: الزعيم

إذا المرء رامَّ البُعْدَ عن أرضٍ ذلَّةٍ فلا ينبغي للمرء أن يترددا
ولا خيرَ في غمٍّ خلا من حُسامِهِ ولا في حسامٍ ظلَّ بضدًّا مُغمدا
واني على شيخوختي وزمانتي أريدُ بشعري في الحياة التَّجَدُّدا
زمانتي: مرضي المزمن

ولا خيرَ في شعرٍ مضى اليومَ عهدُهُ وفي شاعرٍ إن قالَ قالَ مُقلِّدا
وما شاعرُ العصرِ الجديدِ سوى الذي على دولة الشعرِ القديمِ نَمَرُدا
هذا الزهاوي شيخاً. وكان شهد العز وارتقاء الحال أيام الدولة العثمانية، ثم جاء الإنجليز وجاء فيصل ملكاً على العراق فتعلق الزهاوي بالعصر الجديد متألاً أن يزداد رفعة، وتقرب من الحكم الجديد، ومات فيصل وأحسن الزهاوي بوطاة الشيخوخة، ووطاة الناس الذي ضجوا لأفكاره، فهو الآن شيخ برم بالحياة.. يفر من بغداد إلى الشام وإلى مصر كأنه يفر من زمن لم يعد زمنه

١٩ الفيلسوف المؤمن!

ملأوا صدورَ الصُّخْرِ حِقْداً والحقُّ قد سَمَّوْهُ نَقْداً
قالوا دَخِيلٌ في القَرَبِ ضِ فَمَّا أَجَادَ ولا أَجَدًا
قالوا صَغِيرٌ لا يُعَدُّ مِنَ الفُحُولِ ولن يُعَدَّ
ولهُ جَرَاءَةٌ فِلسَوِ في يُوسُفَ الأديانِ جَحْدا
كَذَبُوا فلأني شاعرٌ وأدينُ بالإسلامِ جَدًّا
إنَّ الحُطُوبَ نَزَلْنَ بي فتركنني عَظْماً وجِلْداً

٢٠ اللامتناهي

لقد صَحَّحْتُ فكان الصُّخْرُ ملءَ فَمِي مِنَ الذي قالَ إنَّ الكونَ محدودٌ
ما الأرضُ بين شُموْسٍ لا عِدادَ لها إلَّا حِصاةٌ حَوَالَيْهَا جَلامِيدُ
جلاميد: صخور

وكم بها سُدْماً تَمْتَدُّ واسِعَةً فيها النجومُ عناقيدُ عناقيدُ
السُّدْم، وواحدها سديم: الغيوم الكونية، مجموعات من الشمس تبدو كأنها غيوم

٢١ القيامة؟

ما لِلْحَيَاةِ وراءَ الموتِ تَجْدِيدُ فلا يَقُومُ مِنَ الأَجْداثِ مَلْحُودُ

فيها النهارُ كَلِيلٌ لا صباحَ له أما الليالي فَنَلَكُمُ كُلُّها سُودُ
القبرُ آخرُ بيتٍ لِلألى هَلَكُوا والحِصْنُ في الهالكِ المَلُحودِ مَفقودُ

٢٢ معاهدات

تُلغى معاهدةٌ وأخرى تُعَقَّدُ والشعبُ يُسْتَفْتَى لها، ويُهَدَّدُ
والشعبُ يُطْرَقُ لِلجهالةِ خِنْجَرًا في صدره عَمًّا قَرِيبٌ يُغْمَدُ
أَمَّا الزعيمُ فما تحرَّكْ، ذايداً عن حقِّهم، منه اللسانُ ولا اليدُ

٢٣ قصيدة عتيقة

يُحوَّلُ عنها العَيْنُ ثم يُعِيدُها حِذارَ عِدَى تَغْلِي عليه حُقودُها
ويُفْضِي خِلَالَ النَّظَرَيْنِ مُحَاوِرًا رَقِيباً لها، إن لم يَكِدْهُ يَكِيدُها
بداية غزلية ثم دخول في معنى آخر

تُنازِعُهُ حَوْضَ المَنِيِّ نَفْسُهُ فَتَطْلُبُ وَرْدًا عَنْتَهُ وَيَذُودُها
نفس الشاعر تنازعه حوض الموت طالبة وروده، ولكنه يذود نفسه ويصدّها عن حوض الموت
إذا هِيَ ماتتْ ماتَ كُلُّ هُمومِها وأَقْلَعَ عنها نَحْسُها وسُعودُها
إذا النفس ماتت انتهى كل شيء

سِوَاةٍ عَلَى مَنْ باتَ في بطنِ حُفْرَةٍ رَهْمِ البلى بِيضُ الليالي وسُودُها
بَعِزٌّ عَلَى عَيْنِي أَنْ تَنْظُرَا إلى بِلادِ تَسومُ الناسَ فيها قُروُدُها

٢٤ شوق إلى المجد

وَهُوَ العِراقُ يَسوؤُنِي أَلَّا يُرى مَتَقَدِّمًا وَلِأَهْلِهِ اسْتِعْدَادُ
لا ريبَ في أن العِراقَ بِأَهْلِهِ يَسْمُو إذا أَهْلُ العِراقِ أَرادوا
يَغْلِي سُرورِي كُلِّما فَكَّرْتُ في مَجْدٍ إلى بَغدادَ سوف يُعادُ
شعور متوقع من ابن مدينة كانت عاصمة الدنيا ذات يوم. على أن المجد الزائل لا يعود، بل يخلق
مجد جديد... إذا أراد الناس

٢٥ قيود الشعر

بِسادتِ شُعوبٌ لا تَريدُ وإذا أَرادَتْ لا تَبِيدُ
لا تريد: ليس عندها إرادة

لا النار تُوقِفُ ما أرا دَنُّهُ الشُّعُوبُ ولا الحَدِيدُ
 العِزُّ في صِدْقِ العَزيزِ مِةً، والشُّعُوبُ كما تُريدُ
 والنَّاسُ إمَّا سَادَةٌ لَهُمُ الإرَادَةُ أو عَبِيدُ
 كُلُّ الفَنُونِ تَجَدَّدَتْ والشُّعُرُ يُعَوِّزُهُ الجَدِيدُ
 ما قَامَ حَتَّى أَثَقَلْتُ هُ مِنْ قَوَافِيهِ القُيُودُ
 وَضَعَ السُّورَى حَدًّا لَهُ والشُّعُرُ لَيْسَ لَهُ حُدُودُ
 ما ضَرَّ سَامِعَهَا لو اُخِرَ تَلَقَّتْ قَوَافِيهَا القَصِيدُ
 مَنْ كَانَ يَنْظِمُ عَنْ شَعْوِ رِ صَادِقٍ فَهُوَ المُجِيدُ
 وفي أخريات حياته كتب الزهاوي قصائد مرسله القوافي، لكنه ظل حبيس الأشطر المتساوية،
 وسيتنظر الشعر في العراق بعد الزهاوي عشرين سنة حتى يكسر شعراؤه قالب الشطرين المتساوين

٢٦ فلسفتي

حَبِرتُكَ الحَيَاةَ وَهِيَ لَعَمْرِي لَيْسَ إِلَّا تَطَوُّراً فِي الجَمَادِ
 فكرة فلسفية عميقة في نفس الزهاوي: الكائن الحي ليس شيئاً مختلفاً نوعياً، بل هو مادة تعقدت
 في تركيبها فنشأت فيها «الحياة»

تَحِذْ النُّوعَ فِي السُّورَى لِلتَّعَالِي سُلِّماً مِنْ جَمَاجِمِ الأَفْرَادِ
 تغذ: اتَّخِذْ، أي أن أجيالاً تموت وتأتي أجيالاً وتتعايقها بتطور الكائن

لَيْسَ مَنْ يَدْرُسُ الطَّبِيعَةَ بَحًّا ثَأً بِنَاجٍ مِنْ تُهْمَةِ الإِلْحَادِ
 أَنْتَ يَا عَقْلُ، فِي جَمِيعِ حَيَاتِي، سَنَدٌ يَنْتَهِي إِلَيْهِ اعْتِمَادِي
 قَدْ تَعَوَّدْتُ أَنْ أَكُونَ صَرِيحاً فَأَقُولُ الَّذِي عَلَيْهِ اعْتِقَادِي
 إِنْ تَكُنْ مِنِّي الصَّرَاحَةُ إِنْمَاءً فَهُوَ جِزْءٌ مَتَمُّ لِحِجَاهِي
 فَقَدْ اخْتَرْتُ لِي جَهَنَّمَ مَثْوًى وَتَرَكْتُ الْجَنَنَانَ لِلزُّهَّادِ
 أَنَا هَذَا، وَلَسْتُ أَقْوَى عَلَى نَفْسِي بِيَرٍ نَفْسِي يَوْمًا أَوْ اسْتِعْدَادِي

٢٧ كُفْر وإيمان

سَبَقْتَنِي إِلَى المَقَابِرِ مَوْتِي أَنَا فِي الرَّاحِلِينَ غَيْرُ وَحِيدِ
 مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَنَامَ بِقَبْرِ لَا يُبَالِي طُولَ اللَّيَالِي السُّودِ

لَسْتُ أَدْرِي أَلِلْفَنَاءِ سَنَمْضِي
حَبْذَا لَوْ حَظِيتُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِي
إِنِّي فِي شَكِّ وَإِنْ مَلَأُوا سَنَمَ
لَا تَثِقُ بِالْجُمْهُورِ يَا عَقْلُ يَوْمًا
يَمُوتُ يَا نَفْسُ السَّمَاءِ فَإِنِّي
أَنْتِ إِنْ تَعَزِمِي يَهْنُ كُلُّ صَغْبٍ
أَحْمَدُ الْبَارِئِ الَّذِي يَتَسَاوَى
قِيلَ إِنَّ الشَّهِيدَ يَحْيَا لَدَى الرَّبِّ
كُلُّنَا مُؤْمِنٌ يَسْبُحُ لِلرَّحْمَنِ
إِنِّي مَا سَجَدْتُ يَوْمًا لِغَيْرِ اللَّهِ

بَعْدَ أَنَا تَمُوتُ أَمْ لِلْخُلُودِ
بِحَيَاتِي الَّتِي انْتَهَتْ مِنْ جَدِيدٍ
عَيَّ بِوَعْدِ يَرُوءُنَهُ وَوَعِيدٍ
إِنَّ رَأْيَ الْجُمْهُورِ غَيْرُ سَدِيدٍ
لَا أَرَى فِي الثَّرَى طَرِيقَ الْخُلُودِ
لَا يَنَالُ الْمَرَادَ غَيْرُ الْمُتَرِيدِ
عِنْدَهُ إِيْمَانِي بِهِ وَجُحُودِي
فَمَنْ ذَا فِي الْأَرْضِ غَيْرُ شَهِيدٍ
مَنْ فِي ظِلِّ عَرْشِهِ الْمَمْدُودِ
هـ، فَالْلَّهُ وَحْدَهُ مَعْبُودِي

٢٨ العربية والحصان

لَيْسَ مِنَّا الْأَجْسَادُ بِالرُّوحِ تَحْيَا
أَنَا بِالشَّعْرِ وَحْدَهُ أَنْسَلَى
وَإِذَا وَاقَتْهُ الْمَنِيَّةُ قَبْلِي
إِنَّمَا يَحْيَا الرُّوحُ بِالْأَجْسَادِ
إِنَّهُ كُلُّ طَارِفِي وَتِلَادِي
فَاحْفَرُوا حَفْرَةً لَهُ فِي فُؤَادِي

٢٩ زجاج المعري

بَعْدَ أَنِّي أَمُوتُ قَلْبُ
لَا تُؤْمَلُ تَسْجِسُودًا
أَتَرَى السُّرُوحَ بَاقِيًا
يَدْفَعُوا بِي إِلَى سَقْفَرٍ
لِسُزْجَسَاجٍ قَدْ انْكَسَرُ
بَعْدَ جِسْمٍ لَهُ ذَكْرُ
قال المعري: يعطنا رب الزمان كاتنا/ زجاج ولكن لا يعاد له سبك

٣٠ درجات الهيام

أَوَّلُ الْحَبِّ فِي الْقُلُوبِ شَرَارَةٌ
ثُمَّ يَرْقَى حَتَّى يَكُونَ حَرِيفًا
ثُمَّ يَرْقَى حَتَّى يُمَثَّلَ بُرْكَاءَ
تُخْتَفِي تَارَةً وَتُظْهَرُ تَارَةً
فِيهِ هُلُكٌ لِأَهْلِهِ وَخَسَارَةٌ
نَا يَرَى النَّاسُ مِنْ بَعِيدِ نَارَةٍ
عَنْ تَفَاصِيلِهَا تُضَيِّقُ الْعِبَارَةَ

٣١ سياسة وشعر

عَامِلَ النَّاسِ بِالْعَدَالَةِ وَالظُّلْمَ سَمِ فَكَانُوا يَلْقَوْنَ نُوراً وَنَاراً
يتحدث عن الوالي العثماني المنصرف

جَرَّ عِزّاً إِلَى الْعِرَاقِ وَذُلّاً وَحَيَاةَ لَأَهْلِهِ وَبَوَاراً
وَأَصَارَ النَّهَارَ لَيْلاً بِهَيْمَاءَ وَأَصَارَ اللَّيْلَ الْبَهِيمَ نَهَاراً
جعل النهار ليلاً بظلمه، ولكنه اهتم بالمرافق العامة فأثار الشوارع ليلاً

أَفْقَرَ الْقَوْمَ بِالْعِرَاقِ، وَأَغْنَى وَسَّعَ الطَّرِيقَ، ضَبَّقَ الْأَفْكَارَ
إِخْتَفَى عَنْ قَوْمٍ وَخَالَطَ قَوْمًا فَأَرَى النَّاسَ خَفَّةً وَوَقَاراً
أَخْضَعَ النَّاسَ، نَقَذَ الْحُكْمَ فِيهِمْ، وَطَدَّ الْأَمْنَ، أَرْخَصَ الْأَسْعَارَ
عَرَّبَ الْأَبْرِيَاءَ، بَثَّ الْجَوَاسِيَةَ سَ عَلَى النَّاسِ، أَسَعَفَ الْفُجَّارَ
مَقَّتَ الْعِلْمَ سَاخِراً مِنْ ذَوِيهِ بَذَّرَ الْمَالَ، جَرَّ الْأَشْرَارَ
قَالَ لِلنَّاسِ إِنَّمَا الْأَمْرُ شُورَى بَيْنُنَا، ثُمَّ إِنَّهُ مَا اسْتَشَارَا
أَيُّهَا الْمُسْتَبِيدُ بِالْأَمْرِ إِيَّاهَا لَا تَحَارِبْ بِظُلْمِكَ الْأَحْرَارَ
إيه: كلمة لا معنى لها

إِنْ شَمَسَ الدِّسْتُورُ لِلْقَوْمِ لَاحَتْ فَأَضَاءَتْ بِشُورِهَا الْأَبْصَارَا
أيها الوالي العثماني... لقد جاء دستور ١٩٠٨، فأضاء الطريق

قَدْ مَشَاهَا خُطًىي تَعَثَّرَ فِيهَا لَا أَقَالَ الرَّحْمَنُ مِنْهُ الْعِثَارَا
لَمْ يَكُنْ مَجْلِسُ الْإِدَارَةِ إِلَّا أَلَةً فِي يَدَيْهِ تُمَضِّي الْقَرَارَا
إِنْ فِي مَجْلِسِ الْإِدَارَةِ عُضْوًا حَيْثَمَا دَارَتْ الزَّجَاجَةُ دَارَا
رَبِّ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ بِبَغْدَا دَ كَثِيرٌ، وَقَدْ أَتَوْا أَضْرَارَا
رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ فَتَمَادَوْا وَأَصْرُوا، وَاسْتَكْبَرُوا اسْتَكْبَارَا
إِنِّي وَالْهَزَارَ فَرَعَانِ مِنْ أَصْدَ لِي كِلَانَا قَدْ مَارَسَ الْأَشْعَارَا
الهزار: عصفور مفرد

وَكِلَانَا بَثَّ الصَّيْبَابَةَ إِلَّا أَنَّنِي قَدْ صَرَّحْتُ وَهَوَّ أَشَارَا
وَكِلَانَا أَجَادَ نَظْمَ الْقَوَافِي غَيْرَ أَنَّنِي قَدْ فُقْتُ فِيهَا الْهَزَارَا

أنا قد طُرْتُ في سماءِ المعاني وَهَوَ في جَوِّ رَوْضَةٍ قد طارا
وجناحُ الهَزَارِ رِيشٌ قَلِيلٌ وجناحي فِكْري الذي لا يُجَارَى
أعشقُ الزَّهْرَ في السَّماءِ فَأَشْدُو وَهَوَ في الأرضِ يعشقُ الأزهارا
الزهر: النجوم اللامعة

هُوَ في نَظْمِهِ يَقلِّدُ طييراً سَبَقَنَّهُ وإنَّ فيَّ ابْتِكارا
يَصِفُ الحُبَّ وحده، ثم إنِّي أَصِفُ النَّاسَ والهوى والديارا
وقُصَارَى أنغامِهِ الوُجْدُ، أمَّا نَغْمَاتِي فما لَهُنَّ قُصَارَى
إنَّهُ شاعرٌ يَكسِرُ ما قَا لَ، وإنِّي لا أَحمَدُ الشُّكْرَارا
شعرُهُ في الحِياةِ وَقَفَ عليه فَهُوَ إنَّ عاشَ عاشٌ أو بَار بارا
بار: هلك

وقَرِيطِي يَعيثُنْ بَعدي طويلاً ويسجوبُ المِسلَدَ والأَمصارا
إيه، يا جميل صدقي - وإيه كلمة لا معنى لها، هي تسليك حنجرة - إيه، قد والله عاش شعرك
بعذك. هذا كلام فصيح غاية الفصاحة، جار على سنن العربية اللطيف جري، دونما إغراب. ما
أجهل من تفتته سهولة الزهاوي عن فصاحته!

٣٢ ثورة في الجحيم

هذه القصيدة تعد ٤٣٣ بيتاً وفيها بقص الزهاوي كيف مات وكيف حوسب، واقتطفنا
منها أبياتاً تحكي القصة ويقدر من التفاصيل. نشرها الزهاوي عام ١٩٣١، وقبل إن
الملك فيصل ملك العراق أنه عليه، فرد الزهاوي: عجزت عن إشعال ثورة في
الأرض فأشعلتها في السماء:

بعد أن مُتُّ واحتواني الحَفِيرُ جاءني يَبْلُو مُنْكَرٌ وَنَكِيرُ
يلو: يتحنن

مَلَكَانِ اسْطَاعَا الظُّهُورَ، ولا أد ري لِمَاذَا وكيف كان الظهورُ
ولكل أنفٌ غليظٌ طويلٌ هُوَ كَالْقَرْنِ بِالنُّطَاحِ جَدِيرُ
كنتُ في رقدةٍ بقبري إلى أن أيقظاني منها، وعادَ الشعورُ
أتيا للسؤالِ فَظَلَّينِ، حيث الـ مَيتُ بعدَ استيقاظِهِ مذعورُ.
عن أمورٍ كثيرةٍ قد أناها يومَ، في الأرضِ، كان حياً يَسِيرُ

صَبِيحَةً نَحْتِ الْأَرْضِ ثُمَّ جَوَّارٌ
وَاقِفًا لِي كَأَنَّمَا هُوَ نَسْرٌ
قَالَ مَنْ أَنْتَ، وَهُوَ يَنْظُرُ شَزْرًا
قَالَ مَاذَا أَتَيْتَ إِذْ كُنْتَ حَبًّا
قَالَ مَا دِينُكَ الَّذِي كُنْتَ فِي الدِّينِ
قُلْتُ كَانَ الْإِسْلَامُ دِينِي فِيهَا
قَالَ مَنْ ذَا الَّذِي عَبَدْتَ فَقُلْتُ اللَّهُ
قَالَ هَلَّا كَسَبْتَ غَيْرَ الْمَعَاصِي
كَانَ إِثْمِي أَنِّي إِذَا سَأَلُونِي
وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنْ أَلَيْكَ رَأْيِي
رُبَّ أَمْرٍ يَقُولُ فِي شَأْنِهِ الْعَقْدُ
قَالَ هَلْ صَدَّقْتَ النَّبِيِّينَ فِيمَا
وَالْكِتَابَ الَّذِي مِنَ اللَّهِ قَدْ جَاءَ
قُلْتُ فِي خَشْيَةٍ: بَلَى، وَقُوَادِي
شُعَاع: دَمٌ مَتَشَرِّبٌ. لَعَلَّه يَقْصِدُ إِنْ قَلْبُهُ أَرَادَ أَنْ يَطِيرَ مَفَارِقًا دَمَهُ؟

بَيْنَ أَقْسَامِنَا وَبَيْنِي يَدُورُ
وَكَأَنِّي أَمَامَهُ عَصْفُورُ
قُلْتُ: شَيْخٌ فِي لَحْدِيهِ مَقْبُورُ
قُلْتُ: كُلُّ الَّذِي أَتَيْتُ حَقِيرُ
يَا عَلَيْهِ وَأَنْتَ شَيْخٌ كَبِيرُ
وَهُوَ دِينَ بِالْاحْتِرَامِ جَدِيرُ
لَهُ رَبِّي، وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ
قُلْتُ إِنْ لَمْ أَكْسِبْ فَرَبِّي غَفُورُ
لَمْ أَقُلْ مَا يَقُولُهُ الْجُمْهُورُ
لِي أَقْضِي بِهِ فَلَا أَسْتَعِيرُ
لَنْ نَقِضَ الَّذِي يَقُولُ الضَّمِيرُ
بَلَّغُوهُ وَلَمْ يَعْشَكَ الْغُرُورُ
ءَ، فَأَذَلَّى بِهِ الْبَشِيرُ النَّذِيرُ
مِنْ شُعَاعٍ بِهِ يَكَادُ يَطِيرُ
شُعَاع: دَمٌ مَتَشَرِّبٌ. لَعَلَّه يَقْصِدُ إِنْ قَلْبُهُ أَرَادَ أَنْ يَطِيرَ مَفَارِقًا دَمَهُ؟

إِنَّهُ مُنْزَلٌ مِنَ اللَّهِ يَهْدِي النَّاسَ
قَالَ: هَلْ كُنْتَ لِلصَّلَاةِ مُقِيمًا؟
إِنَّمَا فِي افْتِنَاءِ حُورٍ حِسَانٍ
قَالَ هَلْ كُنْتَ قَائِلًا بِنُشُورٍ؟
فَإِذَا شَاءَ لِلْعِبَادِ نُشُورًا
قَالَ مَاذَا تَقُولُ فِي الْحَشْرِ وَالْمِيبِ
وَالسُّؤَالِ الدَّقِيقِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ
قُلْتُ مَهْلًا يَا أَبَا الْمَلَكِ الْمُلْدُ

سَ طَرًّا فَهُوَ السَّرَاجُ الْمُنِيرُ
قُلْتُ: عَنْهَا مَا إِنْ عَرَانِي فُنُورُ
بِصَّلَاةٍ، تَجَارَةُ لَا تَبُورُ
قُلْتُ رَبِّي عَلَى النُّشُورِ قَدِيرُ
فَمِنْ السَّهْلِ أَنْ يَكُونَ نُشُورُ
حَزَانٍ، ثُمَّ الْحَسَابِ، وَهُوَ عَسِيرُ
وَالصَّرَاطِ الَّذِي عَلَيْهِ الْمُبُورُ
حِجْفٌ مَهْلًا، فَإِنَّ هَذَا كَثِيرُ

الملحف: الملح

كَانَ إِيمَانِي فِي شَبَابِي جَمًّا
مَا بِهِ نَزْرَةٌ وَلَا تَقْصِيرُ
نَزْرَةٌ: قَلَّةٌ

غَيْرَ أَنْ الشُّكُوكَ هَبَّتْ تُلَاحِيهِ نِي، فَلَمْ يَسْتَقِرَّ مِنِّي الشُّعُورُ

تلاحيني: تتجاذبني

ثُمَّ عَادَ الْإِيمَانُ يَقْوَى إِلَى أَنْ سَلَّهُ الشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ الْعُرُورُ

ثُمَّ آمَنْتُ ثُمَّ أَلْحَذْتُ حَتَّى قَبِلَ هَذَا مُذْبَذَبٌ مَسْرُورُ

ممرور: ملثا، به شيء من اكتاب جنوني

ثُمَّ إِنِّي فِي الْوَقْتِ هَذَا لِيَخُوفِي لَسْتُ أَدْرِي مَاذَا اِعتَقَادِي الْاُخِيرُ؟

لَمْ يَرِنِّي أَمْرُ الصُّرَاطِ مُقَاماً فَوْقَ وَادٍ مِنَ الْجَحِيمِ يَفُورُ

غَيْرَ أَنِّي أَجِلُّ رَبِّي مِنْ إِثَرِ بَيَانِ مَا يَأْبَاهُ الْحِجَا وَالضَّمِيرُ

فَإِذَا صَحَّ أَنَّهُ كَفَرَارِ السَّيْفِ يَفُفُّ أَوْ شَعْرَةً، فَكَيْفَ الْعُبُورُ؟

غرار السيف: حده

وَلَعَمْرُ الَّذِينَ ضَحَّوْا بِأَكْبَا شِ، عَلَيْهِمْ بِهَا يَهُونُ الْمُرُورُ

بها: أي بسبب تلك الأكباش التي ضحوا بها في دنياهم سيهون عليهم المرور على الصراط

أَنَا لَوْ كُنْتُ بِالْبَعِيرِ أَضْحَى سَارَ بِي مُرْقِلاً عَلَيْهِ الْبَعِيرُ

مرقلاً: مسرعاً. عليه: أي على الصراط

قَالَ مَاذَا رَأَيْتَ فِي الْجَنِّ قَبْلًا وَمِنَ الْجِنِّ صَالِحٌ وَشَرِيرٌ

ثُمَّ فِي جِبْرِيلَ الَّذِي هُوَ بَيْنَ اللَّـهِ فِي ذِي الْعَرْشِ وَالرَّسُولِ سَفِيرٌ

قُلْتُ لَلَّهِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُنَّ خَلْقٌ كَثِيرٌ

غَيْرَ أَنِّي أَرْنَابُ فِي كُلِّ مَا قَدْ عَجَزَ الْعَقْلُ عَنْهُ وَالنَّفْكَبِيرُ

لَمْ يَكُنْ فِي الْكِتَابِ مِنْ خَطَأٍ كَلَّا- وَلَكِنْ قَدْ أَخْطَأَ التَّفْسِيرُ

قَالَ هَلْ فِي السُّفُورِ نَفْعٌ يُرْجَى قُلْتُ خَيْرٌ مِنَ الْحِجَابِ السُّفُورُ

إِنَّمَا فِي الْحِجَابِ شَلٌّ لِيَشْعِبَ وَخَفَاءٌ، وَفِي السُّفُورِ ظُهُورُ

كَيْفَ يَسْمُو إِلَى الْحَضَارَةِ شَعْبٌ مِنْهُ نِصْفٌ عَنْ نِصْفِهِ مَسْتُورُ؟

لَيْسَ يَأْتِي شَعْبٌ جَلَاتِلٌ مَا لَمْ تَسْتَقْدِمُ إِنَائُهُ وَالذِّكُورُ

جلاتل: أعمال جليلة

قَالَ هَلْ فِي الْإِلَهِ عِنْدَكَ شَأْنٌ؟ قُلْتُ لَا، وَالَّذِي إِلَيْهِ الْمَصِيرُ

إِنَّمَا هَذِهِ الطَّبِيعَةُ ذَاتُ الْـ لَأَنَّنَاهِيَ كِتَابُهُ الْمَسْطُورُ
 إِنْ هَذَا مَا قَدْ تَلَقَّنْتُهُ وَالـ قَلْبُ مِنْ شَكْوَى يَكَادُ يَخُورُ
 يخور: يضعف

وَأَرَى فِي الصُّفَاتِ مَا هُوَ لِلـ هـ، تَعَالَتْ شُؤُونُهُ، تَصْغِيرُ
 من التصغير لأمر الله أن نصفه بصفات نستعدها من بيتنا

مَا عِقَابِي مِنْ بَعْدِمَا صَحَّ نَفْلًا أَنْ مَا قَدْ أَتَيْتُهُ مَقْلُورًا؟
 ما وجه معاقبتي بعد أن صح ما نقل عن السلف من أن كل أفعالي مقدرة سلفاً، وليس لي فيها
 اختيار؟

وَإِذَا كَانَ مِنْهُ كُفْرِي وَإِيْمَا نِي فَإِنَّ الْجَزَاءَ شَيْءٌ نَكِيرُ
 أَمِنَ الْحَقُّ خَلْقُ إِبْلِيسَ وَهُوَ الـ مُسْتَبِيدُ الْمُضَلَّلِ الشَّرِيرُ
 قَالَ إِنِّي أَرَى بِخَدِّكَ تَضَعِيـ رَأْ فَهَلْ أَنْتَ بَزْدَهِيكَ الْعُرُورُ؟
 التصغير: إمالة الخد، كناية عن التكبر

قُلْتُ مَنْ مَاتَ لَا يُصْعَرُ خَدًّا لَيْسَ بِالمَوْتِ يَخْلُقُ التَّضْعِيرُ
 يخلو: يجدر

إِنِّي أَخْشَى الظَّالِمِينَ فَلَا أَفـ ضِي إِلَيْهِمْ بِمَا بِرَأْسِي يَدُورُ
 لَا تَكُونَا عَلَيَّ فَظًّا فِي قُبـ رِي فَإِنِّي شَيْخٌ، بِعَظْفٍ جَدِيرُ
 إِنْ قَوْلَ الْحَقِّ الصُّرَاحِ عَلَى الْآحـ رَارٍ حَتَّى فِي قَبْرِهِمْ مَحْظُورُ
 الصراح: الخالص الصافي

قَدَعَانِي فِي حُفْرَتِي مُسْتَرِيحًا أَنَا مِنْ ضَوْضَاءِ الْحَيَاةِ نَقُورُ
 إِنَّمَا قَدْ سَأَلْتُمَا عَنْ أَمُورِ هِي لَيْسَتْ تُغْنِي وَلَيْسَتْ تَضِيرُ
 وَلِمَاذَا لَمْ تَسْأَلَا عَنْ ضَمِيرِي وَالْفَتَى مَنْ يَعْقُ مِنْهُ الضَّمِيرُ
 وَلِمَاذَا لَمْ تَسْأَلَا عَنْ جِهَادِي فِي سَبِيلِ الْحَقِّ وَهُوَ شَهِيرُ
 وَلِمَاذَا لَمْ تَسْأَلَا عَنْ وَفَائِي وَوَفَائِي لِمَنْ صَحَبْتُ كَثِيرُ
 وَسَلَانِي عَمَّا نَظُمْتُ مِنَ الشَّعـ رٍ، فَبِالشَّعْرِ يَرْتَقِي الْجُمْهُورُ
 وَسَلَانِي عَنْ جَعْلِي الصَّدَقَ كَالصَّخـ رٍ أَسَاسًا تُبْنَى عَلَيْهِ الْأُمُورُ
 أَسْكُوتُ عَنْ كُلِّ مَا هُوَ حَقُّ وَسُؤَالٌ عَنْ كُلِّ مَا هُوَ زُورُ؟

قَالَ كُلُّ الَّذِي عَرَضْتَ عَلَيْنَا أَيُّهَا الشَّيْخُ الْهَيْمُ شَيْءٌ حَقِيرٌ

الشيخ الهم: الممن الضعيف

نَحْنُ لَسْنَا بِسَائِلِينَ سِوَى مَا قُلْتُ مَا لِي بِكُلِّ ذَلِكَ عِلْمٌ
كَنتُ حَيًّا قُمتُ، والموْتُ حَقٌّ كُنتُ فَوْقَ الثَّرَابِ بِالْأَمْسِ أَمْشِي
قَالَ مَا أَنْتَ أَيُّهَا الرَّجُلُ إِلَّا ثُمَّ ثَلَانِي لِلْجَبِينِ وَقَالَا
كَانَ حَوْلَ الدِّينِ الْمُبِينِ يَدُورُ قَبِجْخَدِي عَقْلِي عَلَيَّ يُشِيرُ
شَاهِدَاتُ بِمَا هُنَاكَ الْقُبُورُ وَأَنَا الْيَوْمَ تَحْتَهُ مَقْبُورُ
مُلْجِدٌ قَدْ ضَلَّ السَّبِيلَ، كَفُورُ لِي: ذُقْ أَنْتَ الْفَيْلَسُوفُ الْكَبِيرُ
ثَلَانِي لِلْجَبِينِ: أَلْقَانِي أَرْضاً

قُلْتُ صَفْحاً فَكُلُّ فِلَسُوفِي قَدْ لَمْ تَكُنْ أَقْوَالِي الْجَرِيئَةُ إِلَّا أَقْوَالِي الْجَرِيئَةُ كَانَتْ نَفَثَاتٍ، بِصَفَاتٍ بَلْغَمٍ، يَرْمِي بِهَا الْمَصْدُورُ، الْمَصَابِ بَدَاءٌ فِي صَدْرِهِ، فَهُوَ يَرْمِي بِالْبَلْغَمِ فَيَسْتَرِيحُ قَلْباً

فَأَجَابَنِي قَائِلِينَ بِصَوْتٍ لَا يَسُرُّ الْأَسْمَاعَ مِنْهُ الْهَدِيرُ
ثُمَّ صَبَّأَ بِمَقْسُومَةٍ فَوْقَ رَأْسِي قَطِرَاناً لِسَوْءِ حَظِّي بِمَقُورُ
القطران: الزفت، مستخرجاً من نَفْطٍ أَوْ مِنْ فَحْمٍ

فَنَسَوَى رَأْسِي ثُمَّ وَجْهِي حَتَّى ثَم طَارَا بِي فِي الْفَضَاءِ إِلَى الْجَنَّةِ
وَأَسْرَأَ فِي أُذُنٍ «رِضْوَانٌ» شَيْئاً فَبَاحَ الْجَوَارِ وَهُوَ عَسِيرُ
رِضْوَانٌ: حَارِسُ الْجَنَّةِ

لَمَسْتُ، إِذْ دَخَلْتُهَا، الْوَجْهَ مِنِّْي جَنَّةٌ عَرَضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ
قَطْعَامٌ لِلْأَكْلَيْنِ لَذِيذٌ سَمَكٌ مَقْلِيٌّ وَطَيْرٌ شَوِيٌّ
وَعَلَى أَرْضِهَا زَرَائِي قَدْ بُشِّرْتُ نَفْحَةً فَاحَ عِطْرُهَا وَالْعَبِيرُ
ضُ بِهَا مِنْ شَتَّى النِّعَمِ الْكَثِيرُ وَشَرَابٌ لِلشَّارِبِينَ طَهُورُ
وَلَذِيذٌ مِنَ الشَّرَاءِ الطَّيِّبُورُ ثَ حَسَانٌ كَأَنَّهُنَّ زُهُورُ
زَرَائِي: سَجَاجِيدُ

وعلليها أسيرةً وفراشن، وعلى نلكم الأسيرة حور
ليس يخشين في العجانة عاراً
وكأن الولدان حين يظوفو
إئت ما شئت ولا تخش بأساً
فإذا ما اشتهيت طيراً هوى من
وإذا رمت أن يحول لك الثب
لو قال حماماً أو إوزاً لكان الطيران معقولاً، فأما الدجاج الذي يطير فهو... لا علينا، ربما كان
دجاج الجنة كذلك

أو إذا شئت أن يصير لك الحص
ولقد رمت شربة من نمير
النير: الماء العذب

وتذكرت أنني رجل جي
قلت عوداً من حيث قد جئتما بي
أخرجاني منها وشدا وثاقي
نسوع: أحزمة من جلد

ثم قاما فدلاني ثلاثاً
ثلاثاً: ثلاث مرات، أو ربما ثلاث قامات... أي بقدر طول الرجل ثلاث مرات

وأخيراً في جوفها قذفا بي
ربّي اضرف عني العذاب فلاني
وأشد العذاب ما كان في الها
حيث لا ينصُر الهضيم أخوه
الهضيم: الضعيف المهزول، العثير: الصاحب

الطعام الرقوم في كل يوم
البحوم: الأسود، البحور: الأحمر

ولقد يسقى الطامئون عصيراً
هو من حنظل وساء العصير

يَضْرَعُ الْمُجْرِمُونَ فِيهَا عِطَاشاً وَالضَّرَاعَاتُ مَا لَهَا تَأْنِيْرُ
وَلَهُمْ مِنْ غَيْظِ تَأَجَّجٍ فِيهِمْ نَظَرَاتُ شَرَارِهَا مُسْتَطَبِرُ
وَلَقَدْ أَبْصَرْتُ الْقِرْدَاقَ يَضُوءاً يَسْتَلُوْىِ وَيُوجِّهُهُ مَغْضُوْرُ
نضوا: مهزولاً

وَالِى جَنْبِهِ، يَقَاسِي اللَّظَى الْآخِرَ مَطْلُ مُسْتَعْفِرٍ، وَيَشْكُو جَرِيرُ
مستعبر: باكياً

قُلْتُ مَا شَأْنُكُمْ؟ فَقَالُوا دَهَانَا مِنْ وَرَاءِ السَّجَّاءِ ضُرٌّ كَثِيرُ
وَلَقَدْ كَانَ آخَرُونَ حَوَالِيَهُمْ جُثُومًا وَكُلُّهُمْ مَوْتُوْرُ
كانوا جثوماً: كانوا جاثمين، مواتين: شاعر بظلم وطالب للثأر

مِنْهُمْ الْعَالَمُ الْكَبِيرُ وَرَبُّ الْفَنِّ وَالْفِيلَسُوفِ وَالنَّخْرِيرِ
التحرير: المتبحر في علمه

لَمْ أَشَاهِدْ، بَعْدَ الثَّلَاثِ، فِيهَا جَاهِلًا لَبِيسَ عِنْدَهُ تَفْكِيرُ
ثُمَّ حَيَّانِي أَحْمَدُ الْمُتَنَبِّيِّ وَالْمَعْرِيَّ الشَّيْخُ، وَهُوَ ضَرِيرُ
وَلَقَدْ كَادَ يَخْنُقُ الْغَيْظُ بَشًّا رَأَى، وَفِي وَجْهِهِ الدَّمِيمُ بُشُوْرُ
وَيَلِيهِمْ أَبُو نُوَاسٍ كَثِيبًا وَهُوَ ذَاكَ الْمِمْرَاحَةُ السَّكْبِيرُ
مِثْلُهُ الْخِيَامُ الْعَظِيمُ، وَدَنْتِي وَإِمَامُ الْقُرْبَيْضِ شَاكِسْبِيرُ
وَلَقَدْ كَانَ لَامِرِي الْقَيْسِ بَيْنَ الْقَوْمِ صَدْرٌ، وَلِلْمُلُوكِ الصُّدُوْرُ
قُلْتُ مَاذَا بِكُمْ؟ فَقَالُوا لَقِينَا مِنْ جَزَاءِ مَا لَا يُطِيقُ قَبِيرُ
ثير: جبل في بلاد العرب كبير

إِنَّا كُنَّا نَسْتَخِفُّ بِأَمْرِ الدَّيْنِ يَنْ فِي شَعْرِنَا، فَسَاءَ الْمَصِيرُ
ثُمَّ إِنِّي سَمِعْتُ سُقْرَاطَ يُلْقِي خُطْبَةً فِي الْجَحِيمِ، وَهِيَ تَفُوْرُ
وَالِى جَنْبِهِ، عَلَى النَّارِ، أَقْلَا طُوْنٌ يُصْغِي كَأَنَّهُ مَسْرُوْرُ
وَأَرِسْطَالِيْسُ الْكَبِيرُ وَقَدْ أَغْدَرَ مِنْهُ الْمَشَاعِرَ التَّفْكِيرُ
ثُمَّ كُوْبَرْنِيْكُ الَّذِي كَانَ قَدْ أَقْدَرَ هَمَمْنَا أَنَّ الْأَرْضَ جِزْمٌ يَدُوْرُ
تَتَّبَعُ الشَّمْسُ أَيْنَمَا هِيَ سَارَتْ وَعَلَيْهَا مِثْلُ الْقَرَّاشِ تَطُوْرُ
تطور: تحوم

ثُمَّ دَرَوَيْنُ وَهُوَ مَن قَالَ إِنَّا
وَيُؤْتُونُ الْحَبِيرُ ثُمَّ رَنَّا
وَزَرَادَشْتُ ثُمَّ مَزْدَكُ يَأْتِي
وَالْحَكِيمُ الْكِندِيُّ ثُمَّ ابْنُ سِينَا

الحفي: العالم المستقصي

كَانَ سُقْرَاطُ أَثَبَّتَ الْقَوْمَ جَاشَأً
قَالَ، مِنْ بَعْدِ شَرْحِهِ مَنْشَأَ النَّارِ،
فَهُوَ ذُو عَزْمٍ فَاتَّقِ لَا يَخْشَوُ
رَ، وَفِي قَوْلِهِ إِلَيْهَا يُنْشِرُ

كان يشرح منشأ النار، وهو يشير بيده نحوها

سَوْفَ يَقْضِي فِينَا التَّطَوُّرُ أَنْ نَقْدُ
إِنْ فِي ذَا الْوَادِي السَّحِيقِ عُيُونًا
وَلَقَدْ تَنْضِبُ الْعَيُونُ، فَلَا نَا
مَكْنُوتًا حَتَّى جَاءَ مِنْهُمْ حَكِيمٌ
آلَةً تُطْفِئُ السَّمِيرَ إِذَا شَا
وَلَقَدْ قَامَ فِي الْآخِرِ فَنِي يَخْشَا
قَالَ يَا قَوْمَنَا جَهَنَّمَ عَصَصَتْ
قَالَ يَا قَوْمَنَا أَرَى الْأَمْرَ مِنْ سُوْر
أَنْتُمْ الْيَوْمَ فِي جَهَنَّمَ أَسْرَى
أَنْتُمْ الْيَوْمَ الْأَكْثَرُونَ وَأَمَّا
فَعَلَا مِنْ أَهْلِ الْجَحِيمِ ضَجِيجٌ

الساعور: التتور

أَطْفَأُوا جَمْرَةَ الْجَحِيمِ فَكَانَتْ
ثَوْرَةً فِي الْجَحِيمِ أَرْجَفَتْ الْعَرْشَ
فَنَسَتْ مَا جَرَى بِهَا التَّقْدِيرُ
شَءٌ، وَكَادَتْ مِنْهَا السَّمَاءُ تَمُورُ

تمور: تتوج

رَحَفُوا ثَائِرِينَ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ
لَكُمْ الْأَكْوَاخُ الْمَشِيدَةُ بِالنَّارِ
إِنْ خَضَعْتُمْ فَمَا لَكُمْ مِنْ نَصِيبٍ
فِي صُفُوفٍ كَأَنَّهِنَّ سَطُورُ
رَ وَلِلْبُلْبُلِ فِي الْجَنَانِ الْقُصُورُ!
فِي طَوَالِ الدَّهْوَرِ إِلَّا السَّعِيرُ

ولقد أَسْرَعَتْ زَبَانِيَةُ النَّارِ
 ثُمَّ جَاءَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ أَنْصَا
 كَانَ إِبْلِيسُ قَائِداً لِلشَّيَاطِينِ
 وَلَقَدْ جَاءَ مِنْ مَلَائِكَةِ الْعَزْ
 وَنَلَقَى فَوْقَ الْجَحِيمِ الْفَرِيقَا
 يَتَرَامُوزَ بِالصَّوَاعِقِ صَفْقِي
 حَارِبُوا بِالْجِبَالِ تُقَذَّفُ بِالْأَبْ
 بِالْبِرَاكِينِ ثَائِرَاتٍ، جَرَتْ مِنْ
 وَقَدْ اهْتَزَّ عَرْشُ رَبِّكَ مِنْ بَعْدِ
 كَانَتْ الْحَرْبُ فِي الْبِدَاءِ سِبْجَالاً
 ثُمَّ لِلْمَنَاطِيرِ بَنَانٌ جَلِيّاً
 وَلَاهِلِ الْجَحِيمِ تَمَّ، بِإِنْجَا
 فَاسْتَرَاخُوا مِنَ الْعَذَابِ الَّذِي كَا
 ثُمَّ طَارُوا عَلَى ظُهُورِ الشَّيَاطِينِ
 بِطَلْبُونِ الْجِنَانِ حَتَّى إِذَا مَا
 طَرَدُوا مَنْ بَهَا مِنَ الْبُلْهِ وَاحْتَلُّوا
 غَيْرَ مِنْ كَانُوا مُصْلِحِينَ، فَهَذَا الـ
 قَرَّ رِضْوَانٌ لِلنَّجَاةِ وَمِنْ أَتَد
 وَأَقَامُوا لِفَتْحِهِمْ حَفْلَةً أَعَد
 إِنَّهُ أَكْبَرُ انْقِلَابٍ بِهِ جَا
 وَتَنَبَّهْتُ مِنْ مَنَامِي صُبْحاً
 وَإِذَا الْأَمْرُ لَيْسَ فِي الْحَقِّ إِلَّا

رِ الْبِهِمْ وَكُلُّهُمْ مَذْعُورُ
 رَأَى، وَمَا جِيئَ الْمَارِدِينَ حَقِيرُ
 مِنْ إِبْلِيسَ، حَيْثُ كَانَ، قَدِيرُ
 شَيْ لِرَجَاعِ الْأَمْسِ جَمَّ غَضِيرُ
 نِ، وَهَذَا نَارٌ وَهَذَا نُورُ
 نِ، فَيَشْتَدُّ الْقَتْلُ وَالتَّدْمِيرُ
 لَدَيْ نِبَاعاً كَأَنَّهُمْ قُشُورُ
 حُمَمٍ فِيهَا أَبْخَرُ وَنُهِورُ
 لِدُ سُكُونِ، وَالذَّائِرَاتُ نَدُورُ
 مَا لِيَصْبِحَ النَّصْرُ الْمُبِينُ سُفُورُ
 أَنَّ جِيئَ الْمَلَائِكِ الْمَذْهُورُ
 وَ الشَّيَاطِينِ، فِي الْقِتَالِ الظُّهُورُ
 نُوا يُقَاسُوتُهُ وَجَاءَ السُّرُورُ
 مِنْ خِفَافاً كَمَا نَطِيرُ النَّسُورُ
 بَلَّغُوهَا جَرَى نِضَالٍ قَصِيرُ
 الْقُصُورِ الْعُلْيَا، وَنَعَمَ الْقُصُورُ
 قِسْمُ مِنْهُمْ، بِالْاحْتِرَامِ جَدِيرُ
 بَاعِ رِضْوَانٍ، مُسْرِعاً، جُمْهُورُ
 قَبْهَا مِنْهُمْ الْهَنَافُ الْكَثِيرُ
 دَتْ عَلَى كَرِّهَا الطَّوِيلِ، الدَّهْورُ
 وَإِذَا الشَّمْسُ فِي السَّمَاءِ تُنِيرُ
 حُلْماً قَدْ أَثَارَهُ الْجَرْجِيرُ

سودنا ما سودنا من الأبيات التي اخترناها من هذه القصيدة الطويلة كي تنسق القصة، وهي قصيدة
 تلبس ثوب الملحمة، لكنه ثوب مرقع بألوان كثيرة من السخرية ومن التندر بالمعتقدات الشائعة،
 ومن آراء الزهاوي المعروفة عن الحجاب والسفور وحرية الرأي، إلخ. ويغفر للزهاوي هذه النثرية
 العالية روحه الفكاهة، وتمرده، وأنه مختلف عن غيره؛ وأما تناوله عرش رب الكون الجليل فلا
 يغفره إلا رب الكون الجليل

٣٣ الهامس والجاهر

وليس بِحُرٍّ مَنْ تَكَلَّمَ هَامِماً وَلَكِنْ مَنْ نَادَى جَهَاراً هُوَ الْحُرُّ
يقولون في الإيمانِ كُلُّ نَجَاتِنَا وَيَا رَبِّ إِيْمَانٍ قَوِيٍّ هُوَ الْكَفَرُ
ويَنْتَظِرونَ الْفَجَرَ فِي لَيْلِ قَبْرِهِمْ وَلَكِنْ لِيَالِي الْقَبْرِ لَيْسَ لَهَا فَجَرُ

٣٤ سفر سفر

أَحْيِيكَ يَا مِصْرُ الْجَمِيلَةَ يَا مِصْرُ بِشَعْرِ يُزَكِّيهِ شَعُورِي وَالْفِكْرُ
إِذَا الشَّعْرُ لَمْ يَهْزُزْكَ عِنْدَ سَمَاعِهِ فَلَيْسَ خَلِيقاً أَنْ يَقَالَ لَهُ شَعْرُ

التشويد من عمران القفني

إِلَى بَلَدٍ يَلْقَى بِهِ الْحَقُّ دَادَةً وَيَنْعُمُ فِي أَكْنَافِهِ الشَّاعِرُ الْحُرُّ
أَسِيرُ إِلَى بَلَدٍ يَلْقَى بِهِ الْحَقُّ مِنْ يَدُودٍ وَيَدَافِعُ عَنْهُ

قَصِدْتُ بِسِيرِي مِصْرَ حَتَّى وَصَلْتُهَا وَلَا بُدَّ مِنْ مِصْرٍ وَإِنْ بَعُدَتْ مِصْرُ
صَبِرْتُ عَلَى ضَيْمِي بِبَغْدَادَ حِقْبَةً فَمَا سِرْتُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَفَدَّ الصَّبْرُ
وَقَدْ ذُقْتُ حُلُوَّ الْعَيْشِ دَهْرًا وَمُرَّةً إِلَى أَنْ تَسَاوَى فِي فَمِي الْحُلُوُّ وَالْمُرُّ

٣٥ الطفل الضربير

أَتَاهُ إِنِّي ضَرِيرُ وَالْقَلْبُ مِنِّي كَسِيرُ
يَا أُمُّ إِنْ شَقَائِي لَوْ تَعْلَمِينَ كَبِيرُ
بَوْمِي وَلَيْلِي سَوَاءُ كِلَاهُمَا لَا يُنِيرُ
يَا أُمُّ إِنْ لَمْ يَضِرْنِي الْـ عَمَى فَمَاذَا يَضِيرُ؟
هَلِ الضَّيَاءُ جَمِيلُ كَمَا يَقُولُ الْبَصِيرُ
وَهَلِ هُنَاكَ خَفَاءُ وَهَلِ هُنَاكَ ظُهُورُ
وَهَلِ هُنَاكَ سَمَاءُ فِيهَا النُّجُومُ تَدُورُ
وَهَلِ إِذَا جَاءَ فَصْلُ الرَّءِ بَيْعِ تَزَهُو الْمَرْهُورُ
وَهَلِ جَمِيلٌ عَلَيْهَا الْـ قَرَّاشُ حَبْنِ يَسْطَبِيرُ
مَا لِي غِنَى عَنْ جَوَابِ يَا أُمُّ إِنِّي ضَرِيرُ

هذه القصيدة تشبه قصيدة أخرى عذبة جداً مطلعها: (يا أم ما شكل السماء وما الضياء وما القمر)، وهي منسوبة إلى ولي الدين يكن، ولم أجدها في ديوانه، وإن وجدت له قصيدة رقيقة عن فتاة ضريبة

٣٦ مهتي كشاعر

إِنِّي أَمَرْتُ لَا أَجْهَرُ إِلَّا بِمَا أَنَا أَشْعُرُ
 إِنَّ نَابِنِي شَرُّ قَائِلٍ بِي مِنْهُ لَا أَتَذَمَّرُ
 أَوْ جَاءَنِي خَيْرٌ فَلَا أَغْنَرُ مِنْهُ وَأَبْطَمَّرُ
 وَلَقَدْ قَنِتُ مِنَ الطَّعَا مِ بِلُفْمَةٍ تَتَيَسَّرُ
 لَا كَالَّذِينَ عَلَى طَعَا مِ وَاحِدٍ لَمْ يَصْبِرُوا

قال العباس بن الأحنف «الكتي جريتم فوجدتكم/ لا تصيرون على طعام واحد» ينهم محبوبته بأنها تواصل سواه

أَوْ كَالَّذِينَ إِذَا تَغَيَّبَ رَتِ الظُّرُوفُ تَفَيَّسُوا
 لَيْسَ الْقَرِيبُ بِطَوْلِهِ بَلْ قَدْ يَفُوقُ الْأَقْصَرُ
 وَإِذَا شَرَعْتُ بِسَنَظْمِهِ لَيْسَ لَذُنْهِ فِيهِ أَخْصَرُ
 فَإِذَا نَظَّمْتُ الْبَيْتَ مِنْهُ لَهُ أَعْسِيسُذُهُ وَأَكْرَرُ
 وَإِذَا رَأَيْتُ السِّلْفَظَ لِي سَ كَمَا أَرُومُ أَغْسِيسُ
 وَأَظْلُ أَصْفُلُهُ إِلَى أَنْ نَسْتَقِيمَ الْأَنْطَرُ
 مَا لِلْأَدِيبِ بِقُظْرِهِ فِي الشَّرْقِ قَدْ يُذَكَّرُ
 وَلَقَدْ يُصَادِفُ عِزَّةً مِنْ بَعْدِمَا هُوَ يُقْبَرُ
 مِنْ بَعْدِمَا فِي قَبْرِهِ أَوْصَالُهُ تَسْتَبَعَّرُ
 مَاذَا مِنَ الشُّكْرِ يَمُرُّ جُومَ مَيْتٍ لَا يَشْعُرُ

٣٧ في المغني عبد الوهاب

وَصَبَوْنَا إِلَى اللَّقَاءِ، وَلَكِنْ حَالٌ دُونَ اللَّقَاءِ شَحْطُ الْمَزَارِ
 شحط المزار: بُعِدَ الْمَكَانُ

ولقد كان صوتك العذب قبلاً فِي الْفُنُغْرَافِ مَالِشاً كُلَّ دَارٍ

الفونوغراف: البك أب، جهاز له إبرة تسلط على قرص مخدد بأخدود لولبي دقيق في جوفه مضاب ووديان، ويدور القرص وتسير الإبرة صاعدة هابطة، وتنقل ذبذباتها إلى سماعة مكبرة مكهربة فتتحول الذبذبات إلى صوت. بهذه الطريقة الميكانيكية تمكن الإنسان لأول مرة في التاريخ من حفظ الصوت (يسمى القرص أسطوانة لأن المخترع إدسون أدار إبرته الأولى على أسطوانة، ١٨٧٧). ودخل الفونوغراف العالم العربي عام ١٩٠٤

فَإِذَا مَا رَفَعْتَ فِي مِصْرَ صَوْتًا رَدَّدْتُهُ بِقِيَّةِ الْأَمْصَارِ
إِنَّ مَنْ لَا يَهْزُهُ مِنْكَ لَحْنٌ حَجَرٌ جَامِدٌ مِنَ الْأَحْجَارِ

٣٨ أنا والمتعصبين

يَا قَوْمَ مَهَلًا مُسَلِّمٌ أَنَا وَمِثْلُكُمْ اللَّهُ ثُمَّ اللَّهُ فِي تَكْفِيرِي

الله: اتقوا الله

أَسْفِي عَلَى مُتَعَصِّبِينَ تَأَلَّبُوا يَحْمُونَ حَوْضَ الْجَهْلِ بِالسَّاطُورِ

الساطور: سكين القصاب الكبير

مَاذَا عَلَيَّ مِنَ الَّذِي قَدْ قَلْبُهُ أَوْلَسْتُ حُرَّ الرَّأْيِ وَالتَّفْكِيرِ
يَا ظَلَمُ إِنْ طَالَتْ يَدُكَ بُرْهَةً فَالْعَدْلُ لَيْسَ ذِرَاعُهُ بِقَصِيرِ

٣٩ رثاء

قال في رثاء صديقه عبد الرحمن عبد آل جميل:

الْقَلْبُ مِنِّي مُضْغَةٌ وَالْهَمُّ أَكْبَرُ مِنْ تُبَيْرِ

تير: جل كبير... يقع في قصائد القدماء

إِنَّ اعْتِمَادَ الْأَكْثَرِ نَ عَلَى الْحَيَاةِ مِنَ الْغُرُورِ
وَلَقَدْ رَأَيْتُ مَصِيرَهُمْ فَعَرَفْتُ حِينَئِذٍ مَصِيرِي
أَمَّا النِّسَاءُ فَقَدْ أَقْمَ نَ مَنَاحَةً حَوْلَ السَّرِيرِ
يَلْسِدُنَّ بِالْأَيْدِي هُنَا لَكَ عَلَى التَّرَائِبِ وَالتُّحُورِ

يلدن: يلطمن

يَنْدُبُنَّ فَقَدْ وَلِيَّهِنَّ وَصَيْعَةَ الْحَامِيِ الْكَبِيرِ
لَمْ يَبْقَ فِي بَغْدَادَ، غَيْبَ رَ الْحَزَنَ، بَعْدَكَ مِنْ كَبِيرِ

٤٠ منتهى العجز

وَأَرَى بَيْنَ الْمَوْتِ وَهُوَ أَمَامِي وَحَيَاتِي فِي كُلِّ يَوْمٍ صِرَاعَا
أَمَهَلْتَنِي الصُّرُوفَ حِينًا مِنَ الدَّهْرِ رَ فَلَمَّا أَتَيْتُ جِئْتُ سِرَاعَا
وَكَأَنِّي أَرَى حَفِيرِي بِمِئْبِي فَاغِرًا قَاهُ يَبْتَنِي لِي ابْتِلَاعَا

وَأَرَى أَيْدِيَّ تُحَاوِلُ دَفْنِي نَمِ إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ دِفَاعًا

٤١ الروح

وَإِذَا تَصَدَّعَ مِنْكَ جِسْمُكَ لِلرَّدى
يَوْمًا قَرُوحُكَ مِثْلَهُ تَتَصَدَّعُ
وَالرُّوحُ لَيْسَ سِوَى الْحَيَاةِ تَشَارَكَتْ
زُمرًا خِلَايَا الْجِسْمِ فِيهَا أَجْمَعُ
هِيَ فِي الْجَمَادِ خَفِيَّةٌ لِبَسَاطَةِ
فِيهَا، فَلَا تَبْدُو وَلَا تَتَفَرَّغُ
الروح لا تظهر في الجماد، ولا تنفرع أي لا تتكاثر الجمادات

أَمَّا النَّبَاتُ فَلِإِنَّهَا مُنْحَطَّةٌ فِيهِ فَلَا يَرْنُو وَلَا يَسْمَعُ
فلسفة الزهاوي ببساطة: الروح هي الحياة لا غير

٤٢ العقل والخلق

قَدْ مَيَّزْتُكَ رَجَاحَةً فِي الْعَقْلِ، وَالْخُلُقِ الْوَسِيعُ
وَصَنَعْتُ مَا بَلَغَتْ يَمْدًا لَكَ وَحَبِئَذَا مِنْكَ الصَّنِيعُ
وَالْمَرءُ لَيْسَ بِفَاعِلٍ إِلَّا لِمَا هُوَ يَسْتَطِيعُ

٤٣ يَا رَبِّ

تَرَأْتُ اسْمَكَ الْمَحْمُودَ فِي اللَّيْلِ وَالضُّحَى
إِذِ الشَّمْسُ تَسْتَخْفِي إِذِ الشَّمْسُ تَطْلُعُ
فَأَبْقَنْتُ أَنَّ الْكَوْنَ بِاللَّهِ قَائِمٌ وَأَمَنْتُ أَنَّ اللَّهَ لِلْكَوْنِ مُبْدِعُ
وَأَنَّكَ مَعْنَى وَالْخَلِيقَةَ لَفُظَةٌ وَأَنَّكَ حُسْنٌ وَالطَّبِيعَةَ بُرْزُوعُ
أَبْذَكَرُكَ الْإِنْسَانُ فِي الْعُسْرِ جَائِعًا وَيَسْأَلُكَ عِنْدَ الْيَسْرِ إِذْ هُوَ يَشْبَعُ
تَعَالَيْتَ أَنْتَ اللَّهُ مُقْتَدِرًا فَمَا يَضُرُّكَ نِسْيَانٌ وَلَا الذُّكْرُ يَنْفَعُ

٤٤ خَرَجَ وَلَمْ يَعُدْ

قَدْ طَلَعْتَ فِي خَيْلِكَ فَيَا لِحُسْنِ الْمَظْلَعِ
الخيلع: البلوز الحفر، الذي بلا أكمام، وهو الخيلع أيضاً، وهو الإثْبُ والشَّوْدَرُ
والقَرَقَرُ والصُّدَارُ والمِجُولُ والشَّامَالُ. وقال قوم السَّامَالُ، وهو العِلْقَةُ. وهو عندنا
اليوم الكَلْبُ، مَسْمُومٌ بِالْكَلِمَةِ الْأَجْنِبِيَّةِ. وهو الحفر، بتسمية الشيء بالمصدر كقولك
حديد سَكَبٌ، وهذه أفصح من كل ما سبق، وقد ترى المرأة نزعَت الكمين ولم
تكتف بهذا فحفرت في قماش قميصها حفرتين أخريين كي تعرض علينا المزيد من
لحم تراثيها، فالحفر على هذا كلمة مناسبة جداً

دَعْنِي بِحَسَنِ وَجْهِهَا لِنَاظِمِي أَمَّتْ
فَلِأَنَّ عَيْنِي بَعْدُ مِنْ رُؤْيِيهَا لَمْ تَشْبَعِ
وَدِدْتُ لَسُو أَنَسِي أَرَا مَا بِمُحِبِّمُونِ أَرْجِعِ
دَعَبْتُ فِي حُبِّي لِلْمُ جِئَاءَ، وَلَسَمَّا أَرْجِعِ

٤٥ المُرْبِيزُ

اِفْتَحُوا لِلْفَتَى الْهَضِيمَ الطَّرِيقَا فَلَقَدْ جَاءَ يَزْبِيزُ حَنِيْقَا

الهضم: التحيل، يزير: يتفش ويتها للصراع

رَافِعاً رَابِعَةَ التَّمَرْدِ تَهْفُو حَامِلاً مِنْ يَرَاغِهِ مَنْجَنِيْقَا
لَا يُبَالِي مِنْ بَعْدِ إِدْرَاكِهِ الشَّأ رَ أَلَا قَى سَلَامَةً أَمْ زُفُوقَا
ذَاكَ خُرٌّ يَأْبَى الْقَبُولَ لِضَيْمٍ وَانْقَاءً فِي صِرَاعِهِ أَنْ يَفُوقَا
جَاءَ بَعْدُو لِيَسْتَرِدَّ بِمَا أَوْ نِي مِنْ قُوَّةِ الْجَنَانِ الْحُقُوقَا

الجنان: القلب

رُبَّ غِرٍّ إِذَا عَلَا أَكْثَمَةً ظَنَّ- غُرُوراً أَنْ صَافَحَ الْعَيْرُوقَا

أكمة: الأكمة التلة، الميوق: نجم بعيد. ويزعم صديقي عمران القفيني أن ناسا تبحث عنه منذ أن سمعت به من الشعراء العرب.. دون جدوى

سَبْلَا قِي الْبُغَاءَ بَوْمًا ثَقِيلًا فِيهِ لَا يَنْفَعُ الصَّدِيقُ الصَّدِيقَا
مَا يَزَالُ الْهَضِيمُ بِشَهَقٍ يَأْسًا ثُمَّ لَا يُشْبِهُ الشَّهِيْقُ الشَّهِيْقَا
أَيُّهَا الدَّائِسُونَ بِالرَّجُلِ حَقِّي لَيْسَ حَقِّي بِأَنْ يُدَاسَ حَقِيقَا
حَقِيقًا: منحفاً

يَحْزَنُ الْعَنْدَلِيبُ أَنْ يَحِدَ الْجَوَّ- جَمِيلاً وَلَا يَكُونُ طَلِيقَا
قُلْ لِمَنْ أَحْفَظْتُهُ زَنْدَقَةٌ لِي سَبْدِي أَنْتَ لَا تَكُنْ زَنْدِيقَا

أحفظته: أغضبه

ذَاكَ أَمْرٌ لَهُ مَسَاسٌ بِنَفْسِي فَمِنْ الْحُمَاقِ أَنْ تَكُونَ حَنِيْقَا
وَهُوَ الْعِلْمُ لَا يَقُولُ بِمَا لَمْ تَأْتِ فِيهِ الْعَيُونُ فَحَصّاً دَقِيقَا
وَهُوَ الْعِلْمُ شَكٌّ فِي حِسِّ مَيِّتٍ مَرَّقَتْهُ أَيْدِي الْبَلَى تَمْرِيقَا

البلى: اهترأنا بعد إذ نموت

إِنِّي مُؤْمِنٌ، عَلَى الشَّكِّ مِنِّي وَمِنَ اللَّهِ أَطْلُبُ التَّوْفِيقَا
 حَيْثُمَا التَّفْتُ أَشَاهِدُ بِمَعْنِي سَاحِقًا فِي الْحَيَاةِ أَوْ مَسْحُوقَا
 وَإِذَا نِمْتُ فِي قَرَارَةٍ رَمْسِي فَمِنَ الْخَيْرِ الْجَمُّ أَلَّا أَفِيقَا
 حَبَّذَا جَنَّةٌ سَتَشْرَبُ فِيهَا لَبِنًا طَابَ طَعْمُهُ وَرَحِيقَا
 وَهَنَاكَ الْخُورُ الْجِسَانُ يُقَعِّقُهُ مَنَ حَوَالَيْكَ الْكَأْسَ وَالْإِبْرِيقَا
 إِنْسِي لَا أَلْتَدُّ إِلَّا بِدَنْيَا يَ، وَإِنْ لَمْ أَكُنْ بِهَا مَرْزُوقَا
 وَإِذَا الْبَاسُ كَظَّ نَفْسِي فُضَاثُ مِنْهُ فَرَجْتُ بِالْخِيَالِ الضَّبِيقَا

كظ: ملا

٤٦ المملوكة

لَسَقْدَ أَضَاعَسْتُ عِنْدَهُ مِّنَ الْحَيَاةِ حَقًّا هَا
 فَهَلْ تَزُوجُنِي بِهِ أَمْ مَلَّسَكُنْتَهُ رَقًّا هَا
 يَسُومُهَا الْخَنْفُ، فَإِنْ تَذَمَّرْتُ طَلَّسَقْسَهَا

يسومها الخنف: يظلمها

٤٧ الحياة حريق

يُودِي الْفَتَى مِنْ حَيْثُ يَسْلُمُ غَيْرُهُ مَا لِلسَّلَامَةِ مَنَهِجُ مَطْرُوقُ
 يودي: يموت

الْكُونُ بَحْرٌ مِّنْ لَّهَيْبٍ لَّهَيْبُ وَالنَّاسُ فِيهِ سَابِغٌ وَغَرِيقُ
 فِي كُلِّ حَيٍّ شُعْلَةٌ مِّنْ نَّارِهِ فَكَأَنَّمَا هَذِي الْحَيَاةُ حَرِيقُ

٤٨ في السياق

إِنَّ أَعْدَائِي فِي الْعِرَاقِ كَثِيرُ كُلُّهُمْ فِيهِ آخِذٌ بِخِنَاقِي
 سَأُولِي رُبُوعٍ بَغْدَادَ ظَهْرِي تَارِكًا خَيْرَهَا لِأَهْلِ النِّفَاقِ
 أَصْلَحَ اللَّهُ ثُلَّةً شَتَمُونِي وَأَطَالُوا فِي مَوَاطِنِي إِرْهَاقِي
 لَيْسَ قَصْدِي مِمَّا ذَكَرْتُ عَنَابًا غَيْرَ أَنِّي أُرْدُّهُ فِي السِّيَاقِ

هذا البيت الأخير تحفة في الخفة واقتناص النكتة

٤٩ الجامعة البائدة

قد أَمُنَا المُسْتَنْصِرِيَّةَ صُبْحاً فوجدناها أَرْسُماً وَطُلُولا
وَكِلَانَا يَا مَعَهْدَ الْعِلْمِ مُبْدِ جسداً ناحلاً وجسماً عليلاً
قد لَعَمْرِي أَمَسْتُ عَلَيْكَ اللَّيَالِي وَعَلَيَّ الْحَيَاةُ عِيشاً ثَقِيلاً
أَيُّهَا الْمَعَهْدُ الْجَلِيلُ سَلامٌ ليس ما قد قاسيت شيئاً قليلاً

٥٠ تأمل

ينسب كتاب إبراهيم الدروبي «البغداديون وأخبارهم ومجالسهم» هذه الأبيات إلى والد الزهاوي. ويقول إبراهيم المازني في مقال له عن شاعرنا إن الزهاوي نفسه أسمع هذه الأبيات - وفيها ما يشير إلى بلوغ صاحبها التسعين - وهو ببغداد، ويزعم المازني أن الزهاوي أسن بكثير مما هو مرقوم في كتاب رفائيل بطني من أنه مولود عام ١٨٦٣. ونظرة إلى ما توفر لنا من صور الزهاوي تجعلنا نرى في افتراض المازني بعض الوجهة، ويقول الزيات عن أول لقاء له بالزهاوي إنه وجد أمامه شيخاً في حوالي الثمانين، وكان عمر الزهاوي عندما التقاه الزيات في عام ١٩٣٠ سبعة وستين عاماً بحسب رفائيل بطني. وليس يعني ورود «التسعين» في القصيدة أن الزهاوي يتحدث عن نفسه:

بأن لي في المرأة شيخٌ كبيرٌ عاشَ حتَّى تَعْرِفَ الأحوال
قلتُ كم عِشْتُ قالَ تَسعينَ عاماً قلتُ ماذا فعلتُ فيها فقَلا:
أَكَلاتُ دَفْعَتُهَا فَضَلاتِ وشُرُوباً أَرَقَّضْتُهَا أَبْوالاً
وثياباً لبسْتُها فَاخِرَاتِ جُدداً وانْتَرَزْتُها أَسْمالاً
كلُّ شيءٍ معَ الجَدِيدَيْنِ يَفْنَى ثم يَبْقَى جِلالُ رَبِّي تَعَالَى
الجديدان: الليل والنهار، فهما يتجددان دوماً ويليان كل شيء

٥١ مقالة

في الغربِ حيثُ كَلا الجنسينِ يَشْتَغِلُ لا يَفْضُلُ المرأةُ المِقدَمةَ الرجلِ
كِلا القَريَينِ مَعْتَرِضاً بِصاحبِهِ عليه إن نالَ مِنْهُ العَجْزُ يَتَّكِلُ
وقد يُطلِّقُها أو قد تَطْلُقُ إذا قَضَى بِالطَّلَاقِ الكُرَّةَ والمَلَلُ
أَمَّا العِراقُ ففِيه الأمرُ مُخْتَلِفٌ فقد أَلَمَ بِنِصْفِ الأُمَّةِ النِشَلُ
وقد يُطلِّقُها في حانةٍ تِلْبالٍ وليس تَدْرِي لِمَذا طَلَّقَ الثَّمِيلُ
كم قد تَزَوَّجَ ذُو السَتِينِ يافِئَةً والشَّيْبُ في رَأْيِهِ كالنارِ يَشْتَعِلُ

يَقْضِي لِبَانَتَهُ مِنْهَا إِلَى أَجَلٍ وَقَدْ يَكُونُ قَصِيراً ذَلِكَ الْأَجَلُ
وَلَمْ تَكُنْ أَزْبَعُ بُشَيْعَتِ نَهْمَتَهُ وَالذَّنْبُ بُشَيْعَةٌ مِنْ جُوعِهِ حَمَلُ

٥٢ المصير

تَؤُولُ حَيَاتِي بَعْدَ الرَّدَى وَلَكِنْ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ تَؤُولُ؟
أَسِيرٌ بَلِيلٌ مِنَ الشُّكِّ دَاجٍ عَلَى ضَوْءِ عَقْلِي، وَهُوَ ضَائِلٌ
دَاجٍ: مظلم

سَيَبْقَى شَقَائِي بَقَاءَ حَيَاتِي فَإِنْ هِيَ زَالَتْ فَهَذَا يَزُولُ
وَأُنِّي عَلَى كِبَرَتِي هَذِهِ أَوْدُ لَوْ أَنَّ حَيَاتِي تَمْطُولُ

٥٣ بيروت الأمل

لَوْلَا تَفَاقُؤُكُمْ شَرٌّ لَيْسَ يُحْتَمَلُ مَا كُنْتُ عَنْ وَطَنِي بَغْدَادَ أَرْتَحِلُ
قَدْ كَفَرُونِي لِأَنِّي فِي مَجَالِسِهِمْ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِمَّا قُلْتُ أَتَكِلُ
إِمَّا قُلْتُ: كلما تكلمت

الْيَأْسُ بِالْأَمْسِ مِنْ بَغْدَادَ أَخْرَجَنِي وَالْيَوْمَ جَاءَ إِلَى بَيْرُوتَ بِي الْأَمَلُ

٥٤ المستبد

فِيَا وَيْحَ قَوْمٍ فَوَّضُوا أَمْرَ نَفْسِهِمْ إِلَى مَلِكٍ عَنْ فِعْلِهِ لَيْسَ يُسْأَلُ
وَذِي سُلْطَةٍ لَا يَرْضَى رَأْيَ غَيْرِهِ إِذَا قَالَ قَوْلًا فَهَوَ لَا يَتَبَدَّلُ
أَيَّامُ ظِلِّ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ بِمَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ وَالْكِتَابُ الْمُنَزَّلُ
فِيُفْقِرُ ذَا مَالٍ وَيَنْفِي مُبْرَأً وَيَسْجُنُ مَظْلُوماً وَيَسْبِي وَيَقْتُلُ
تَمَهَّلْ قَلِيلاً لَا تُخِظْ أُمَّةً إِذَا تَأَجَّجَ فِيهَا الْغَيْظُ لَا تَتَمَهَّلُ
وَأَبْدِيكَ إِنْ طَالَتْ فَلَا تَغْتَرَّرْ بِهَا فَإِنْ يَدُ الْأَيَّامِ مِنْهُنَّ أَظْوَلُ

٥٥ التعايش مع المرض

سَاكِتٌ أَنْتَ وَالْأَعَادِي تَقُولُ وَمُضِرٌّ بِكَ السَّكُوتُ الطَوِيلُ
أَيْنَ ذَاكَ الشَّعْرُ الرَّقِيقُ الْمُنْقَى أَيْنَ ذَاكَ النَّشْرُ النَّفِيسُ الْجَمِيلُ

لَكَ فِي الذَّبِّ مِنْ لِسَانِكَ سَيْفٌ شَهَدَ اللَّهُ إِنَّهُ مَصْقُوقٌ

الذَّبُّ: الدِّفَاعُ

الْقَوَافِي، يَا شَاعِرَ الْعَصْرِ فَاظْنَمْ، بَيْنَ أَيْدِيكَ وَاقْفَاتِ مُثُولُ

إِنْ تُسَالِمَ بِهَا فَنِلْكَ أَغَانِ أَوْ تَحَارَبَ بِهَا فَتِلْكَ نُصُولُ

أَيُّهَا اللَّائِمِي عَلَى الصَّمْتِ إِيهَاءُ أَوْ مَا قَدْ دَرَيْتَ أَنِّي عَلِيلُ

قَبْلَ عِشْرِينَ حِجَّةً جَاءَ دَاءُ نَازِلًا بِي، وَذَاكَ ضَيْفٌ ثَقِيلُ

هُوَ دَاءُ مَبِيتِهِ فِي نُخَاعِي إِنْ دَاءَ النُّخَاعِ دَاءٌ وَبِيلُ

كَانَ الزَّهَاوِيُّ مُضْطَرَبَ الْأَعْصَابِ شَدِيدَ النُّحُولِ، وَالْمُ بِهِ مَرَضٌ فِي النُّخَاعِ الشُّوكِي وَهُوَ فِي الْخَامَةِ وَالْعِشْرِينَ

فَتَهَاوَنْتُ فِي الْبِدَايَاتِ فِيهِ رَاجِيًا أَنْ وَطْأَهُ سَبَرُؤُلُ

فَمَضَتْ تِلْكَ السَّنُونَ وَذَاتِي ذَلِكَ الدَّاءُ نَفْسُهُ لَا يَحْوُلُ

وَتَدَاوَيْتُ عِنْدَ كُلِّ طَبِيبٍ وَنَصِيبِي مِنَ التَّدَاوِي نَحْوُلُ

كُنْتُ فِي أَوَّلِي أَقَاوِيهِ حَتَّى خَارَ جِسْمِي فَقُلْتُ صَبْرًا «جَمِيلُ»

الصَّبْرُ الْجَمِيلُ: الصَّبْرُ الْكَبِيرُ، وَ«جَمِيلُ» هُوَ اسْمُ الشَّاعِرِ

ثُمَّ صَافَحْتُهُ أَدَارِيهِ بِالسَّلْبِ مِنْ كَمَا صَافَحَ الْخَلِيلُ الْخَلِيلُ

٥٦ رثاء العروبيين

قَالَ الزَّهَاوِيُّ فِي رِثَاءِ نَحْوِ أَرْبَعِينَ رَجُلًا شَفَقَهُمْ جَمَالُ بَاشَا فِي بَيْرُوتَ وَدَمَشْقَ بَيْنَ ١٩١٥ وَ ١٩١٧ لِنُخْلِبِهِمُ عَنِ الدَّوْلَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ وَسَمِعِهِمُ لِلْإِسْتِقْلَالِ فِي سَنَاتِ الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الْأُولَى:

عَلَى كُلِّ عَوْدٍ صَاحِبٌ وَخَلِيلُ وَفِي كُلِّ بَيْتٍ رَنَّةٌ وَعَوِيلُ

رَنَّةٌ: نَوَاحٍ

وَفِي كُلِّ عَيْنٍ عَبْرَةٌ مُهْرَاقَةٌ وَفِي كُلِّ قَلْبٍ حَسْرَةٌ وَغَلِيلُ

غَلِيلٌ: غَيْظٌ

كَأَنَّ وَجْهَ الْقَوْمِ فَوْقَ جُذُوعِهِمْ نَجُومُ سَمَاءٍ فِي الصَّبَاحِ أَفْوُلُ

دَنُؤًا فَرَّقُوهَا وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ وَقَالُوا وَجِيزًا لَيْسَ فِيهِ قُضُولُ

افْتَرَبُوا وَرَقُوا، أَيَّ صَعَدُوا، سُدَّةَ الْمَشْتَقَةِ وَكَانَتْ لِكُلِّ مَنَّهُمْ عِبَارَةٌ قَصِيرَةٌ

وَلَلَّهِ مَا كَانُوا يُجْحِسُونَ مِنْ أَدَى إِذِ الْأَرْضِ تَنَأَى تَحْتَهُمْ وَتَزُولُ
سَرَتْ رَوْحُهُمْ تَطْوِي السَّمَاءَ لِرَبِّهَا وَمَا غَيْرَ ضَوْءِ الْمَرْقَدَيْنِ دَلِيلُ
وَلَلَّهِ عِيدَانٌ مِنَ اللَّيْلِ أَثْمَرَتْ رَجَالاً عَلَيْهِمْ هَيْبَةٌ وَقَبُولُ
لَهُ أَمْرُ هَذِهِ الْأَعْوَادِ الْخَشِيَّةِ الَّتِي كَانَهَا أَغْصَانُ لَهَا ثَمَرٌ هُوَ أَوْلَئِكَ الرِّجَالُ الَّذِينَ شَفَعُوا عَلَيْهَا
وَيَا لَكَ مِنْ رُزْءٍ حَمِئْتُ لَهُ الْبُكَاءُ وَقَبَّحْتُ فِيهِ الصَّبْرَ وَهُوَ جَمِيلُ
هذا رزء، مصيبة، يحسن فيه البكاء ويقبح الصبر

فَمَا رَدَّ عَنْهُمْ بِالشَّفَاعَةِ غُضْبَةً وَلَا ذَبَّ عَنْهُمْ بِالسَّلَاحِ قَبِيلُ
ذوب عنهم: دافع

لَعَمْرُكَ لَيْسَ الْأَمْرُ ذَنْباً أَصَابَهُ قِصَاصٌ، وَلَكِنْ يَغْرُبُ وَمَقُولُ
المسألة ليست عقاباً على ذنب ارتكبه، بل هو الصراع بين العرب والمغول، أي الأتراك ذوي
الأصول الآسيوية

وَإِنِّي عَلَى مَا بِي مِنَ الْحَرِّ وَالصَّدَى لَا أَنْظُرُ مَاءً مَا إِلَيْهِ سَبِيلُ
الصدى: العطش

أَفَكُرْ فِي الْمَاضِي فَيَأْتِي خَيَالُهُ جَمِيلًا أَمَامَ الْعَيْنِ ثُمَّ يَزُولُ
كان الزهاوي متعمداً في ظل الدولة العثمانية، ولكنه يرى الآن تفككها، ويرى قومه العرب يريدون
الاستقلال. . . وكان الزهاوي سريع الانصراف عن ولائه العثماني، بخلاف زميله معروف الرصافي
الذي ظل على هذا الولاء زمناً وانتقده الناس لأنه لم يتحرك لشنق الوطنيين، لقد رأى أنهم خانوا
الدولة في وقت محتها

أَبْغَدَ بَنِي قَوْمِي أَنَّهُنَّ عَبَّرَتِي وَأَمْنَعُهَا؟ إِنِّي إِذَنْ لَبَخِيلُ
أنهت عبرتي: أحبس دمعتي

قَدْ اسْوَدَّ لَيْلُ الظُّلُمِ حَتَّى كَأَنَّهُ سِتَارٌ عَلَى الْأَرْضِ الْفَضَاءِ سَدِيلُ
وَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ يَرْوَعُ كَأَنَّمَا بِكُلِّ مَكَانٍ مِنْهُ يَرْقُبُ غَوْلُ

٥٧ حيرة

لَسْتُ أَدْرِي مَا غَايَتِي مِنْ حَيَاتِي مَا وَجُودِي، مَا مَبْدَئِي مَا مَالِي
وَإِذَا مَا قَلْبِي عَصَى حُكْمَ عَقْلِي لَمْ يُفِذْ مَنْطِقِي وَلَا اسْتَدْلَالِي
خَطَلِي بَعْدَ أَنْ ضَلَلْتُ سَبِيلِي هُوَ أَنِّي أَرَى الْهُدَى فِي ضَلَالِي
خطلي: حمقي

٥٨ انهيار الشعر

قد انهَارَ صَرَحُ الشَّعْرِ إِلَّا أَقْلُهُ وقد كَانَ مِلءَ الْعَيْنِ كَالْجَبَلِ الْعَالِي
لقد ظَلَّ هذا الشَّعْرُ خَمْسِينَ حِجَّةً يُهْدَبُ أَقْوَالِي وَيُصْلِحُ أَعْمَالِي
نشأتُ على استقلالِ نفسي تَمَرَّدْتُ فلا أَرْضِي نَسْجاً على غيرِ مِنوَالِي

٥٩ مؤمن نصف إيمان

أنا في حياتي ما كذبتُ تَ لِنَيْلِ شَيْءٍ لَيْسَ لِي
أنا ما كُفِرْتُ بِكُلِّ عُمَدٍ رِيَّ بِالْكِتَابِ الْمُنَزَّلِ
أنا لم أَزَلْ أَشْدُو بِنَعَمٍ تَ لِلنَّبِيِّ الْمُرْسَلِ
أنا لستُ بِالمسؤولِ عن نَزَوَاتِ عَقْلِ مُبْطِلِ
ما زالَ يُسَبِّدِي رَأْيِي سَأَلُوهُ أَمْ لَمْ يُسْأَلِ
قد شاءَ عَقْلِي بِعَدِ نَفْسٍ كَبِيرٍ وَطُولِ نَأْثِلِ
بِاللَّهِ حَلَّ الْمَشْكِلا تَ، فَكَانَ أَكْبَرَ مُشْكِلا
أراد عقلي أن يحل مشكلة الوجود بإرجاع كل أمر إلى الله، فكانت فكرة الله أكبر مشكلة

ما ضَرَرْنَا لَوْ ظَلَّ هـ لَذَا الْكَوْنُ غَيْرَ مُعَقَّلٍ؟
بِالله نَعْلَلُ هَذَا الْكَوْنَ فَهُوَ السَّبَبُ وَالْمَبْدُ، وَلَكِنْ مَاذَا يَضِيرُنَا إِنْ ظَلَّ الْكَوْنَ بِلَا تَعْلِيلٍ؟

الْكَوْنُ ماضِيهِ يَغُو دُ بِنَا إِلَى الْمُسْتَقْبَلِ
وتَعُودُ هَذِي الْأَرْضُ بَعْدَ لَذْ خَرَابِهَا كَالْأَوَّلِ
وتَعُودُ نَحْيَا مِثْلَمَا كُنَّا بِغَيْرِ تَبَدُّلِ
ونَمُوتُ ثُمَّ نَعُودُ فِي أَدْوَارِهَا بِتَسْلُسلِ
كَذِبَ الَّذِي قَدْ قَالَ إِنَّـ الْقَبْرِ آخِرُ مَنْزِلِ
هَذَا لَسَعْمَرِي مَا يَسْرِي عَقْلِي بِوَجْهِ مُجَمَّلِ
عقله يقول له إن المرء يموت ثم تنتشر مكوناته ثم يخلق منها خلق جديد، فليس ثمة فناء

أَمَّا الضَّمِيرُ فَمَقَائِلُ لِي بِالْحِجَا لَا تَخْفِلِ
يقول له ضميره، أي قلبه، لا تخفل بالعقل ولا تهتم بما استنتجته

الذَّيْنِ مَعْقِلُ أَهْلِهِ وَالسَّيِّدُ أَمْنَعُ مَعْقِلِ

وأخافُ ناراً في الجحيمِ هم بها الأثيمُ سيصطلي
أما الصُّرَّاطُ فلأنَّه فوق الجحيمِ كمنْضَلِ
المتصل: اليق

لا يَأْمَنُ الماشي بِأَر جُلِّهِ سُقُوطاً مِنْ عَلِ
إِلَّا إِذَا عَبَرَ الصُّرَّاطَا طَ عَلَى أَغْرَ مُحَجَّلِ
أغر محجل: فرس له غرة وبياض في أسفل قوائمه

أَوْ فَوْقَ كَبِشٍ قَمَرْتُمْه فِي رَأْسِهِ كَالْمِغْمُولِ
يَا رَبِّ، حِينَ أَجْوَرُهُ مَشِيئاً، عَلَيْكَ تَوَكُّلِي
صَفْبٌ عَلَيَّ عِبْوَرُهُ يَا رَبِّ ثَبَّتْ أَرْجُلِي

٦٠ الحمار والجزرة

وَلَسْتُ مِنَ الْمَوْتِ ذَا خَشْيَةٍ وَإِنْ كَانَ حِينَ بُلِيْمٍ رُؤَا
الموت الزؤام: السريع

وَلَكِنْ حَشَوَ الْحَيَاةَ مُنَى تُحَبِّبُهَا لِي عَاماً فَمَا
لَقَدْ عَشْتُ عُمراً أَوْمِلُ أَنْ تُمِيطَ الْحَقِيقَةَ عَنْهَا اللَّثَامَا
وَلَمَّا أَبْتُ أَنْ تُمِيطَ اللَّثَامَا مَ بَاتَتْ شُكُوكِي رُكَاماً رُكَامَا

٦١ الاستقلال

عِشْنِ هَكَذَا فِي عُلُوِّ أَبِيهَا الْعَلَمُ فَلِأَنَّا بِكَ بَعْدَ اللِّوِ نَعْتَصِمُ
عِشْنِ لِلْعُرُوبَةِ، عِشْنِ لِلْهَاتِفِينَ لَهَا عِشْنِ لِلْأَلَى فِي الْعِرَاقِ الْيَوْمَ قَدْ حَكَمُوا
عِشْنِ خَافِقاً فِي الْأَعَالِي لِلْبَقَاءِ، وَثِقْ بِأَنْ تُؤَيِّدَكَ الْأَحْزَابُ كُلُّهُمْ
كَأَنَّمَا النَّاسُ فِي بَغْدَادَ إِذْ هَتَفُوا بَحْرٌ خَضَمَ بِهِ الْأَمْوَاجُ ثَلَاثُ طُمُ
إِنَّ الْعَيُونَ قَرِيرَاتٌ بِمَا شَهِدَتْ وَالْقَلْبُ بِفَرْحٍ وَالْأَمَالُ تَبْتَسِمُ
هَذَا الْهَتَافُ الَّذِي يعلُو فَتَسْمَعُهُ جَمِيعُهُ لَكَ فَاسَلِمَ أَبِيهَا الْعَلَمُ

٦٢ شاك ظان

يُسَائِلُنِي عَنْ مَذْهَبِي وَعَقِيدَتِي فَرِيقٌ مِنَ الْأَشْيَاخِ مَا أَنَا مِنْهُمْ

فقلتُ لَهُمْ أَمَّا السَّوَالُ فَبَارِدٌ وَأَمَّا جَوَابِي فَهُوَ أَنِّي مُسْلِمٌ
ولكنني ما كنتُ يوماً مقلداً يرى أن حُكْمَ العقلِ في الدينِ مأثمٌ
فما القلبُ مِنِّي بِالسَّخَافَاتِ مُوَلِّعٌ ولا الرأسُ مِنِّي بِالْخَرَافَاتِ مُفْعَمٌ
ولم أَكْ يوماً بِالْإِصَابَةِ وَائِقاً فلَئِنِّي فِي دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ أَرْجُمُ
أرجم: ألقي بالظنون

٦٣ أصابني ما أصابك

قد قلتُ «حقاً» فلم تقبلهُ أَذْهَانٌ وحرَّبتُكَ سِيَّاسَاتٍ وَأَدْيَانُ
فَأَنْتَ مِنْ بَعْدِ إِنْكَارِ الْجَمِيعِ «له» شَهْرَتُهُ فَهُوَ مِثْلُ السِّيفِ عُريَانُ
بعد إنكار الجميع للحق شهرته وأبرزته
وكنْتَ أَنْتَ البَصِيرَ الْفَرْدَ يَوْمَئِذٍ وَحَوْلَكَ النَّاسُ كُلُّ النَّاسِ عُميَانُ
تَخِذْتُ بَيْتَكَ سِجْنًا ثَانِيًا فَقَدْ أ وَأَنْتَ فِيهِ سَجِينٌ ثُمَّ سَجَانُ
وألجأ عوامُ بغداد الزهاوي مرة إلى بيته لا يجرؤ يخرج منه لما سمعوه من بعض المتشددين عن
انحراف شاعرنا عن الدين

الشرقُ مَا زَالَ يَخْبُو وَهُوَ مُفْتَمِضٌ والغربُ يركضُ وَتَباً وَهُوَ يَقْظَانُ
الغربُ يَشْعَلُهُ مَالٌ وَمَشْرِيبَةٌ والشرقُ يَشْعَلُهُ كُفْرٌ وَإِيْمَانُ
الغرب منشغل بالمال وبالمتربة، بقضايا الفقر

أصَابَنِي فِي زَمَانِي مَا أَصَابَكَ مِنْ حَبِيفٍ فَمَا رَدَّ هَذَا الْحَبِيفَ إِنْسَانُ

٦٤ يا ضيعة الشعر

مَسْرُوقَةٌ كُلُّهَا تِلْكَ الْمَضَامِينُ وليس منها لهم إِلَّا الْعَنَاوِينُ
لقد أَهَانَكَ مِنْهُمْ غَيْرُ ذِي أَدَبٍ يَا شِعْرُ إِنِّي عَلَيْكَ الْيَوْمَ محزُونُ
قد يَفْضُلُ الْبَيْتُ دِيواناً بِرُمَّتِهِ وقد تُقْصَرُ عَنْ بَيْتٍ دَوَائِينُ

٦٥ في مدح النبي

قالوا امتدِّحْ فخرَ البرِّيَّةِ أَحْمَدَا بقصيدة تشدو بِرِفْعَةِ شَانِهِ
فأَجَبْتُهُمْ مَاذَا أَقُولُ بِمَدْحِ مَنْ أَنْسَى عَلَيْهِ اللُّهُ فِي فُرْقَانِهِ

مَنْ ذَا أَنَا حَتَّى أَقَوْمَ بِمَدْحِهِ بَلْ أَيْنَ شِعْرِي مِنْ عُلُوِّ مَكَانِهِ
كَمْ قَدْ رَدَدْتُ الشَّعْرَ عَنْهُ قَائِلًا هَذَا مَجَالٌ لَسْتُ مِنْ فُرْسَانِهِ

٦٦ المسبة والبرهان

إِلْبِكْ يَا نَفْسُ عَنِّي لَا تَلُومِينِي إِنْ الْمَلَامَ عَلَى مَا جِئْتُ يُؤْذِينِي
يَا نَفْسُ لَوْمُكَ هَذَا مُكَثِّرٌ شَجَنِي أَلَيْسَ مَا بِي مِنَ الْأَشْجَانِ يَكْفِينِي
نَشَرْتُ لِلْقَوْمِ آرَاءَ أُرِيدُ بِهَا إِصْلَاحَ دُنْيَاهُمْ لَا الطَّلْعَ فِي الدِّينِ
فَإِنْ أَصَبْتُ فَهَذَا نَافِعٌ حَسَنٌ أَوْ كُنْتُ أَخْطَأْتُ فِيهَا فَلَيْبَرُؤُونِي
رَدُّوا بِسَبِّي عَلَى مَا خَطَّهَ قَلَمِي كَأَنَّمَا السَّبُّ مِنْ بَعْضِ الْبَرَاهِينِ
إِنَّ الْأُكُفَّ الَّتِي قَدْ كُنْتُ أَمْلُهَا لِلذُّودِ صَارَتْ مَعَ الْأَيَّامِ تَرْمِينِي

للذود: للدفاع

أَمَسْتُ رِمَاحَ بَنِي عَمِّي وَقَدْ غَضِبُوا تَنَوَّشُ جِسْمِي وَكَانَتْ شُرْعًا دُونِي
صَارَتْ رِمَاحُ قَوْمِي تَنَوَّشُ جِسْمِي، تَصِيْبُهُ وَتُؤْذِيهِ، وَكَانَتْ مَرْفُوعَةً مَشْرَعَةً دُونِي، لِلدِّفَاعِ عَنِّي
لِلْجَهْلِ حَقٌّ رُعَاةُ الْجَهْلِ تَضَمَّنُهُ لَهُ، وَلِلْعِلْمِ حَقٌّ غَيْرُ مَضْمُونٍ
قُمْ مِنْ ضَرِيحِكَ يَا مَأْمُونٌ وَاشْكُ إِلَى أَبِيكَ حَامِي ذِمَارِ الشَّعْرِ هَارُونِ
قُمْ أَيُّهَا الْخَلِيفَةُ الْمَأْمُونُ يَا نَاصِرَ الْعُلُومِ، وَارْفَعِ الشُّكُوكَ إِلَى أَبِيكَ هَارُونَ الرَّشِيدِ الَّذِي كَانَ يَحْمِي
ذِمَارَ الشَّعْرِ، وَالذِّمَارَ هِيَ الْأَعْرَاضُ وَالْأَمْلَاكُ، وَذِمَارُ الشَّعْرِ... حِمَاة

وَقُلْ عَنَادِلُ بَغْدَادٍ قَدْ اكْتَأَبَتْ عَلَى الْمَعَالِي قَمَاتَتْ فِي الْبَسَاتِينِ
إِلَّا شَقِيَّيْنِ: هَذَا طَارَ مُرْتَحِلًا وَذَا أَقَامَ ظَرِيدًا لِلشَّوَاهِينِ

ارتحل الشاعر معروف الرصافي، وكانت في دينه رقة كذلك التي في دين الزهاوي،
عن بغداد في العشرينات فأراً بأرائه السياسية والفكرية فمكث في بيروت قليلاً ثم
توجه إلى القدس فعمل في التدريس. وأقام الزهاوي ببغداد والشواهين، الطيور
الكاكرة، تطارده.. وسيفر الزهاوي إلى بيروت فمصر وسيعود.. وسيعود الرصافي
أيضاً. الحال لم تتغير بالمناسبة. ولن تجد في العالم العربي اليوم - وأكتب في يناير
٢٠١٧ - أحداً يقول نصف ما قاله شاعراً العراق. فأما في المهجر فتجد كثيرين

لَهُ بِبَغْدَادَ عَشْرٌ لَا يُضَارِقُهُ بَنَاهُ فِي دَوْحِهَا بَيْنَ الْأَفَانِينِ

الدوح: الشجرة، الأفانين: الأغصان

وَقَدْ يُغَرَّدُ فِي الْوَادِي عَلَى وَجَلٍ مُرْفَرِفًا فَوْقَ أَوْرَاقِ الرِّيَّاحِينِ

٦٧ رثاء أحمد شوقي

خَرَّتْ لِعِرْزَةِ شِعْرِكَ الشُّعْرَاءُ فَكَأَنَّهُمْ أَرْضٌ وَأَنْتَ سَمَاءُ
يَا رَاجِلِينَ لِيَغِيرَ عَزُودَ إِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ فِرَاقُكُمْ فَخُذُونَا
سِيرُوا خِفَافاً إِنْ أَرَدْتُمْ أَوْ قِفُوا إِنَّا عَلَى أَثَارِكُمْ أَتَوْنَا

* * *

مِنْ بَعْدِ دُرٍّ كُنْتَ تَنْظِمُ هِفْدَهُ بَرَزْتَ تُرِيدُ لِيَتَلَمَعَ الْحَضَبَاءُ
عَجَلْتُ فِي التَّرَحُّالِ يَا شَوْقِي وَقَدْ بَقِيتُ هَنَالِكَ، لَمْ تُقَلْ أَشْيَاءُ

القصيدة ملونة القوافي

الأبيات فيما سيلي من شعر الزهاوي منتخبة من ديوان له لم ينشره في حياته، بل تركه كي ينشر بعد موته، لما فيه من أبيات فلسفية قاسية لا يحتملها الناس. وقد نشر هذا الديوان، واسمه «النزغات» أي وساوس الشيطان، الأديب العراقي هلال ناجي، وأبدل كلمات معينة بنقاط بقدر عدد حروف الكلمة المبدلة.. ونحن نصنع صنيعه حتى لا نؤذي مشاعر من مشاعره رقيقة. وقد أشار الزهاوي نفسه إلى ديوان النزغات المخطوط في مقدمة ديوانه المطبوع بمصر عام ١٩٢٤

٦٨ دع المحال

دَعِ الْمُحَالَ وَكَلِّمْ بِلَهْجَةِ الْمُسْتَدِلِّ
دع المحال، المستحيل قبله عقلاً، وكلمني بلهجة المستدل، أي الذي يقدم دليلاً على كلامه
مَا كُنْتُ أَقْبَلُ إِلَّا مَا لَيْسَ بِأَبَاءُ عَقْلِي

٦٩ الخفاء والظهور

هَذِهِ الدُّنْيَا دَارُ كُلِّ جَزَاءٍ فَهِيَ لِلنَّاسِ جَنَّةٌ وَسَعِيرٌ
وَلَقَدْ يُعْقِبُ الظُّهُورَ خَفَاءً ثُمَّ لَا يُعْقِبُ الْخَفَاءَ ظُهُورٌ

٧٠ الترهيب

لَا تَخَفْ بَعْدَ الْمَنَايَا مِنْ عَذَابٍ وَشَقَاءٍ
إِنَّ مَا قَالُوهُ تَرْهِيْبٌ بِبَشَرٍ لِنَاسٍ بُسَطَاءٍ

٧١ الصلاة

الْخَنَسُ مِنْ صَلَّاتِنِي عِيبٌ عَلَيَّ تَسْقِيلُ
أَمَّا لِإِرْضَاءِ رَبِّي غَيْرَ الصَّلَاةِ سَبِيلُ؟

٧٢ الدليل

قَالُوا سَنَحْيَا جَمِيعاً بَعْدَ السَّرْدَى خَالِدِينَ
فَقُلْتُ: هَاتُوا دَلِيلاً إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ

٧٣ أين الدليل؟

فَكَرْتُ فَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ حَادِثٍ وَقَدِيمٍ
فَلَمْ أَشَاهِدْ دَلِيلاً عَمِلَسِي (...) حَكِيمٍ

٧٤ المسير

أَنَا لَوْ كُنْتُ مُسْتَغْنِياً لَسَمَّا جِئْتُ إِلَى الدُّنْيَا
وَأَكْسَبْتُ سَلَوَتِي أَنَا بَعْدَ الْمَوْتِ لَا أَحْيَا

٧٥ التجديد

إِنَّ دِينَ السَّخَسَلَفِ مِنْ ثُرَاتِ السَّسَلَفِ
وَهُوَ السَّيَوْمُ بِحَا جَاتِهِمْ لَيْسَ يَفِي

٧٦ قد بُحْتُ الآن

مَا عَلَى كُفْرِي عَنْ دُخْصُومِي سَسَدُ
أَنَا مَا بُحْتُ لَهُمْ بِالَّذِي أَعَسْتُ قَدْ

٧٧ قد تَزَنَّدْتُ لكن غير متعمد

وَلَا تَحَسَبْنِي قَدْ تَزَنَّدْتُ عَمِداً لِأُخْرِزَ مُكْثاً فِي جَهَنَّمَ خَالِداً
وَلَكِنِّي لَمْ أَفْتِنِغْ بِكَلَامِهِمْ فَأَصْبَحْتُ مِنْ جَرَاءِ ذَلِكَ جَاكِداً

٧٨ مشكلة أكبر

لما جهلت من الحقيقة أمرها وأقمت نفسك في مقام مُعلِّل
أثبت (...) تبغني حلاً به للمُشكلات، فكان أكبر مُشكِـل

٧٩ الجنة والسعير

يرجو أناس أن ينالوا بعدما يعثو الردى فيهم وصال الحور
يعثر: يفسد

أو يبصروا في العالم المَستور ما لم يبصروا في العالم المنظور
أما أنا فإخالني في هذه الدُّـ نبا مُلأني جنني وسعيري

٨٠ غير واثق

توقفت لا أدري تجاه الحقائق أأني خلقت (...) أم هو خالقي
لئن وثق الجمهور (...) خالقاً فرب حكيم بينهم غير واثق
أكفر لما شاء لي الكفر ساعة وأخلد في النيران غير مُفارق

٨١ المستريب

إلى (...) أشكو أنني منه في ريب تمكّن مني في شبابي وفي شببي
إذا كان هذا في عيباً يشينني فإني بإقرارٍ أدل على عيبني
وما رابني (...) الشهادة وحدها ولكنما (...) الشهادة والغيب

هذا البيت الأخير فيه فوق الزندقة مجون

٨٢ اقتناص فرصة

قالوا بئان (...) حيي له على عرشه ثبوت
فقلت ما (...) غير وهم أكبره الوصف والشُعوت
إن حسي العلم في أناسٍ (...) من ذاته يموت
أوسعني المؤمنون سباً فكان بي يحسن السكوت
لكنني فلتها لأنني حبستها فرصة تفوت

٨٣ أهل الديانات السماوية

إِنَّ السِّبْهُودَ أَصَابُوا مِنْ التَّجَارَةِ مَا لَا
وَلِلنَّصَارَى مَكَانٌ مِنْ الرُّقْبَى نَسَالَى
وَالْمُسْلِمُونَ تَرَاهُمْ بِسَكْمَلِ أَرْضٍ كَسَالَى

٨٤ خالق الناس والطاعون

مَا ذَكَّرْتُ (...) ذَا إِلَّا - تَذَكَّرْتُ جَحِيمًا
لَيْسَ (...) النَّاسُ لِنَا سِي كَمَا قَالُوا رَحِيمًا
خَلَقَ الطَّاعُونَ وَالْهَيْدُ ضَةً وَالسَّلَّ الْأَلِيمَا
الهيفة: الكوليرا

٨٥ محنة الإنسان

جَاءَ وَلَمْ يَذْرِ السَّبَبَ وَهُوَ كَمَا جَاءَ ذَهَبَ
جِيءَ بِهِ إِلَى الْوُجُو د، وَهُوَ قَطُّ مَا ظَلَبَ
وَقِيَّذُوهُ بِسَالْسَحْسَلَا لِي وَالسَّحَرَامِ وَالْأَذَبَ

٨٦ عتاب

النَّاسُ إِمَّا غَنَمٌ سَارِحٌ لَيْسَ لَهُ حَوْلٌ، وَإِمَّا ذُنَابَ
لَيْسَ عَلَى الذَّنْبِ إِذَا مَا جَنَى يُزِيلُ جُوعَ بَطْنِهِ مِنْ عِقَابِ
بَلْ إِنَّمَا الْعَثْبُ عَلَى بَارِي قَدْ سَلَحَ الذَّنْبُ بِظُفْرِ وَنَابِ

٨٧ النعيم الديني

مَا النَّاسُ إِلَّا نَسَبَاتٌ بِحُورٍ بَعْدُ هَشِيمَا
فَلَا تَخَافَنَّ يَوْمًا قِيَامَةً وَجَحِيمَا
وَلَا صِرَاطًا كَمَا يَذُ كُورُونَهُ مُسْتَقِيمَا
وَفِي حَيَاتِكَ فَأَنْقَمُ إِذَا أَرَدْتَ نَسْمِيمَا

أَتَى غَيْرَ مُخْتَارٍ وَقَارَقَ مُضْطَرًّا وَلَمْ يَكْ لَمَّا عَاشَ فِي نَفْسِهِ حُرًّا
تَرَأَّفَ وَلَا تَقْدِفَ بِنَارِ جَهَنَّمَ فَتَى غَيْرَ مُسْطَبِعٍ عَلَى حَرِّهَا صَبْرًا
إِذَا لَمْ تَكُنْ دَارٌ يُجَازَى بِهَا الْفَتَى تَسَاوَى إِذْنُ مَنْ يَفْعَلُ الْخَيْرَ وَالشَّرًّا
لَقَدْ قُلْتُ قَوْلًا بَاطِلًا بِجَهَالَةٍ وَالْحَدِثُ قَالَهُمُ يَا خَالِقِي غُفْرًا

٨٩ الدين والحجاب

لَقَدْ جَهِلُوا الْإِسْلَامَ كُلَّ جَهَالَةٍ فَأَذَوْهُ ذَمًّا شَأْنُ مَنْ لَيْسَ يَفْهَمُ
وَقَالُوا بَنَى الْإِسْلَامُ عُمَرَانِ أَهْلِيهِ زَمَانًا، وَأَمَّا الْيَوْمَ فَهَوُ يُهْذَمُ
وَعَدُّوا مِنَ الْأَسْبَابِ، وَهِيَ كَثِيرَةٌ لَدَيْهِمْ، حِجَابَ الْمَسْلَمَاتِ وَأَعْظُمُوا
وَلَيْسَ مِنَ الدِّينِ الْحِجَابُ لَوْ أَنَا رَجَعْنَا إِلَى أَحْكَامِهِ نَتَفَهَّمُ

٩٠ أنا وعقلي

مَا قُلْتُ شَيْئًا بِقَمِي إِلَّا وَعَقْلِي مُلْهِمِي
أَنَا ابْنُ عَقْلِي وَحَدَّة تُنْبِئُ عَنِّي كَلِمِي
بِهِ اهْتَدَيْتُ فِي شَبَا بِي مِثْلَمَا فِي هَرَمِي
وَرَبِّمَا كَانَتْ أُمُو رُ أَنَا عَنْهُنَّ عَمِي
أَوْ قَدْ رَمَيْتُ أَسْهُمًا فَمَا أَصَابَتْ أَسْهُمِي

فهرس القوافي (القافية فرقم القصيدة)

٧	لِشُحُوبِهَا	٢	أَفْيَاءُ
٨	أَيَّاتَا	٦٧	سَمَاءُ
٢	الْأَمْهَاتُ	٢	شِفَائِي
١٠	الكَائِنَاتُ	٧٠	وَشَفَاءُ
٩	بَاتُوا	٢	غَضَابَا
٢	تُبُوتُ	٢	أَغْيَبُ
٨٢	تُبُوتُ	٤	جَوَابُ
١١	وَالْأَمْهَاتُ	٣	خَشَبُ
٢	وَنَبِيْتُ	٥	دُرُوبُ
٢	يَقُوتُ	٢	كَيْبُ
٢	الْحَرَكَاتِ	٢	اِكْتَابِي
٢	الْمُسْكَلاتِ	٦	الْأَعْقَابِ
١٤	بِالصَّلَاةِ	١	السَّرْبِ
٢	حَيَاتِي	١	تَكَهْرُبِ
١٣	مُتَّصِلَاتِ	٨١	شَيْبِي
١٢	وَالنَّسَمَاتِ	٢	وَالرُّتَبِ
١٥	إِخْدَانِي	٢	الصَّخَبِ
١٦	يَتَمَوَّجُ	٨٥	دَهَبُ
٢	مَدَائِحِي	٨٦	ذُنَابُ
٧٧	خَالِدَا	١	أَذْنَابِهِ

٢	والأبرارُ	١٨	فَدَفَدَا
٢	والعشِيرُ	١٩	نَقْدَا
٣٤	والفِكْرُ	٢٤	استَعْدَادُ
٢	وَذُكُورُ	٢٥	تَبِيدُ
٣٢	ونَكِيرُ	٢	تَتَجَدَّدُ
٧٩	المُحَوِّرُ	١	جَمَادُ
٣٧	المَزَارِ	٧٦	سَنَدُ
٣٨	تَكْفِيرِي	٢٠	مَحْدُودُ
٣٩	ثَبِيرُ	١٧	مُشْتَدُّ
٢	صدري	٢١	مَلْحُودُ
٦٩	وسَعِيرُ	٢	وُلْدُوا
٢٩	سَقَرُ	٢٢	وَيُهَدَّدُ
٢	العِجْدَارَةُ	٢	الْأَكْبَادُ
٣٠	نَارَةُ	٢٦	الْجَمَادُ
٢	النَّاسَا	٢٨	بِالْأَجْسَادِ
٢	فَارَسُ	٢	بِالْمَرْصَادِ
٢	أَمْسِ	٢	جَلَدِي
١	نَفْسِي	٢٧	وَحِيدُ
٢	يَطِيئُ	٢	تُجِيدَةُ
٢	الأَرْضِ	٢	رُقَادَةُ
٤٠	صِرَاعَا	٢٣	حُقُودُهَا
٤٢	الْوَسِيعُ	٨٨	حُرًّا
٤١	تَتَصَدَّعُ	٣١	وَنَارَا
٤٣	تَقْلَعُ	٢	يَطِيرَا
٢	جَزْوِعُ	٣٦	أَشْعُرُ
٤٤	الْمَطْلَعِ	٣٣	الْحُرُّ
٢	تَطْوُفُ	٢	الضَّمِيرُ
٧٥	السَّلَفِ	٢	تَنْقَطِرُ
٢	الطَّوَافِ	٣٥	كَسِيرُ

٢	الصَّنْصَامَا	٢	عَفِيفَةٌ
٨٤	جَحِيمَا	٤٥	حَنِيفًا
٦٠	زُؤَامَا	٤٧	مَطْرُوقٌ
٨٧	هَشِيمَا	٢	وَالشَّنْقُ
٢	بَرَمٌ	٢	الْمُنْطَلِقِ
٢	عَنَمٌ	٤٨	يَخْنَأِي
٦٢	مِنْهُمْ	٨٠	خَالِقِي
٦١	نَعْتَصِمُ	٢	طَلِقِي
٨٩	يَفْقَهُمُ	٢	وَتُوقِي
٩٠	مُلْهِمِي	٤٦	حَقَّهَا
٧٣	وَقَدِيمٌ	٢	يَتَحَرَّكُ
٢	إِدِسُونَا	٥٠	الْأَحْوَالَا
٢	تَبِينَا	٢	تَوَلَّى
٧٢	خَالِدِينَا	٨٣	مَا لَا
٢	يُبْنَى	٤٩	وُطِّلُوا
٢	يَنْهَانَا	٥٣	أَرْتَجِلُ
٦٤	الْعَنَاوِينُ	٥١	الرَّجْلُ
٢	أَهْوَنُ	٥٥	الطَّوِيلُ
٢	نَحْنُ	٥٢	تَوَوُّونَ
٦٣	وَأَدْيَانُ	٧١	ثَقِيلُ
٢	وَعِلْمَانُ	٢	مُهْمَلُ
٢	الْبَرَاهِينِ	٥٦	وَعَوِيلُ
٢	الْيَدَيْنِ	٥٤	يُسْأَلُ
٢	جَنُونِي	٢	أَقْوَالِي
٢	شُجُونِي	٥٨	الْعَالِي
٢	مَوَازِينِ	٦٨	الْمُسْتَدِلُّ
٢	وَامْتِهَانِ	٥٩	لِي
٦٦	يُؤْذِنِي	٥٧	مَالِي
٦٥	شَانِهِ	٧٨	مُعَلِّلُ
٧٤	الدُّنْيَا	٢	أَفْعَالُهَا

أحمد شوقي (١٨٦٨م - ١٩٣٣م)

قرأت شعر شوقي، هذه المرة، ويدي قلم. فكلما وقعت على بيت جميل جعلت بإزائه علامة. ولما أنهيت المجلدات العشرة، وعدد صفحاتها أكثر من أربعة آلاف، انتهت المتعة وبدأ الشغل.

رحتُ أنظر في الأبيات التي أخذتها من كل قصيدة، فأزيد بيتاً هنا أو هناك، حتى تقف القصيدة.

ثم دفقت ذلك كله بيدي على الحاسوب، وشكلته. ثم عرضته على المصدر الذي منه أخذت، وهو «الموسوعة الشوقية» لإبراهيم الأبياري، وعارضته بـ «الشوقيات».

وبعد ذلك سميت كل قصيدة باسم من عندي، وأخذت أكتب تحت كل بيت شرحه، وصنعت فهرساً للأشعار على القوافي.

أما معيار الاختيار فهو ذوقي. وأما طريقة الشرح فامش بضع صفحات حتى تراها.

ولا أزعج أنني فتحت فتحاً، فقبلي اختار الناس من أشعار الناس، وقبلي شرحوا. لكنني أرى شرحي متميزاً بثلاث: الاجتهاد، والأمانة، والتفاعل.

فأما الاجتهاد فأنني كنت أقلب البيت المشكل على أوجهه، وأنظر في المعاجم، وفي شروح الشوقيات والموسوعة الشوقية، وفي كتب التاريخ؛ وأنتي قرأت مرات وظللت أصحح حتى اطمأن القلب.

وأما الأمانة فأنني لم أترك معنى بقي غامضاً علي إلا أشرت إلى ذلك؛ ولم أكن أعرض للكلمة السهلة فأشرحها تاركاً الكلمة الصعبة دون شرح. ذلك

عمل لم أعمله. ولم أذكر حادثة أو مناسبة قصيدة إلا وأنا مطمئن إلى صحتها، فإن داخلني شك فيها فإما أن أضرب عن ذكرها، أو أن أذكرها، لطرافتها، مع التنبيه على الشك في صحتها.

وأما التفاعل فأني تعمدت أن أنقل إليك ما أشعر به حيال بعض الأبيات. فالبيت الذي يحسن اقتباسه وحفظه للمذاكرة جعلته بالحرف المشدد، فإذا كانت فيه تورية لطيفة أو علة خفيفة أشرت إليهما. وإذا رأيت القصيدة معبرة عن حادثة ذكرت ذلك في صدرها أو في ذيلها. ومسعاي في كل ذلك أن يحس القارئ أنني أقرأ معه وأشاركه. فإن أحس القارئ في خلال ذلك، ما لا بد أن يحس، من ميل إلى التعالم والتفاصح، فهذه نقيصة ابن آدم، وستزول عني عندما أزل.

شرحت مختاراتي هذه من أبيات شوقي للكبير والصغير والمقمط في السرير. كنت أحياناً أحس أنني أفرط في التبسيط وأنتي أشرح كل كلمة، فأرفع القلم عن الكلمات التي يفهمها عامة المثقفين؛ ثم أعود وأكرر عليها كرة أخرى فيبدو لي فيها، فأشرحها، رفقاً بشاب في مقتبل ثقافته العربية. وألزمْتُ نفسي بشرح الكلمة في كل موضع ترد فيه، فلعل من قرأ شرحها أول ورودها يكون قد نسي معناها عندما ترد مرة أخرى بعد صفحات، ولست افترض أنك تقرأ الباب من أوله إلى آخره، فهذا ليس رواية.

عليّ في هذا الكتاب دينٌ لصاحب الموسوعة الشوقية، إبراهيم الأبياري، فقد أفدت من شرحه الوافي؛ ولئن خالفته في فهم المعنى في أبيات كثيرة، ووجدته لم يعط البيت حقه من الشرح في أبيات أكثر، فذلك لأنه شرح الثلاثين ألف بيت كلها ملزماً نفسه ألا يهرب من بيت مغلق؛ فأما أنا فاخترت ما راقني وما سهل عليّ، وكنت إذا اعترضني بيت عسير تجاوزته مُريحاً نفسي من تمحل وجه له، وجارياً على معتقد لي في الأبيات الصعبة: وهذا المعتقد هو أن البيت المغلق الصعب هو نتاج مخاض صناعي تكبده الشاعر، ويكون بعيداً عن القريحة الحرة، وصفاء الروح. وليس من المصادفات أن البيت الجميل يكون سهلاً قريب المأخذ.

وعليّ دينٌ لشارحي الشوقيات على اختلافهم، فلئن كانت شروحهم قليلة الغناء في معظم الأحيان، فقد اجتهدوا في ضبط الشعر ضبطاً طيباً.

ولا أذكر الكتب الكثيرة التي تحدثت عن شعر شوقي وحياته حتى لا

أغس لساني فيما لا ينفع. وما استفدت منه ذكرته في محله.

أما أن أصنع صنيع الأكاديميين فألملم أسماء الكتب ومؤلفيها في جريدة بآخر الكتاب، فقد كُفيت، وأنا أكل لقمتي من مائدة أخرى غير تلك المعابد التي يسمونها جامعات.

أردت في هذا الكتاب بأبوابه أن أثبت لنفسي طريقة في اختيار الشعر وشرحه، واستندت إلى تراث عربي غني في مضمار الاختيار والشرح. وقد بسطت رؤيتي العامة للشعر العربي في مكان آخر من هذه المقدمة.

سميت أحمد شوقي «شاعر الألف سنة» لأنني لم أجد بين المعري وبينه شاعراً أهم ولا أعظم منه. وكنت أطلقت هذا الاسم على البرنامج التلفزيوني الذي أعدته وأخرجته لقناة «الجزيرة» الزميلة هويدا طه في الذكرى الخامسة والسبعين لوفاة شوقي، ثم اكتشفت أنني لست أول من فكر بهذه الفكرة. فقد كتب الشاعر شفيق جبري بعد أيام من وفاة شوقي مقالاً بعنوان «أحمد شوقي: شاعر لم يظهر مثله من ألف سنة» في جريدة الأيام الديمقراطية.

وقد انغمست في شعر شوقي أكثر وأنا أقدم برنامجاً آخر قصيراً في قناة «الجزيرة» كان اسمه «قال الشاعر» أنتجته الزميلة نغم عيتاني. وقد خصصت شوقي باثنتين وعشرين حلقة من أصل نحو ميتين وعشرين حلقة تم إنتاجها قبل توقف البرنامج، ولو قبض له أن يستمر لأريت الحلقات المخصصة لشوقي على الخمسين.

سميت كل قصيدة أو قطعة في هذه المختارات باسم من عندي. واستندت إلى الطبعة البيروتية الثانية من «الموسوعة الشوقية». فأما الطبعة الأولى - التي ازدانت مجلداتها جميعاً بصورة خليل مطران - فكنزتها على أحفادي حتى يبيعوها بالمال الكثير بيع النادر. وأذكر للناس البيروتي، سوى جودة أحرفه وورقه، أنه ضبط الأبيات بالشكل ضبطاً جيداً، فلم يقصر في هذا عن الطبعة المصرية.

وأما الشوقيات فهي ديوان شوقي الذي نشره بنفسه في مارس عام ١٩٠٠ (وإن كان مؤرخاً في عام ١٨٩٨)، وسماه «الشوقيات» على حياء، لا ثأراً بأن شكيب أرسلان هو من اقترح التسمية، وهذه حقيقة يؤكد أرسالان في كتابه عن شوقي. ثم صدرت طبعة أخرى وشوقي في السابعة والخمسين من عمره

فأضاف إليها الكثير، لكنه - أيضاً - حذف كثيراً من المدح في أولياء نِعم لم يعودوا أولياء نعم. وكانت طبعة الشوقيات الأولى محلاة بمقدمة ثمينة وطويلة من قلم شوقي، فأسقطها في الطبعة الثانية وأبدل بها مقدمة من قلم محمد حسين هيكل. وأضيف إلى الشوقيات الكثير بعدئذ، فطبع منها جزء ثانٍ في حياة شوقي، وجزء ثالث بعد وفاته بأربع سنوات، ثم رابع بعد وفاته بعشر سنوات. وعبثت السياسة بطبعات الشوقيات بعد ثورة ١٩٥٢ في مصر. وجاءت بعدئذ طبعات لبنانية رديئة كثيرة. على أن طبعة إميل كبا محققة تحقيقاً حسناً، ومخدومة بقطع نثرية قد تعين الطلبة. وفيها «مداخلات» تذوقية طيبة. وسعت إلى الالتزام بالطبعات الأصلية، بدلاً من التسكع في تيه الطبعات «المهذبة». وفهرسها ممتاز، بخلاف فهرس الموسوعة الشوقية الذي جعل له مجلد برأسه ولكنه قليل النفع.

وفي الستينات نشر محمد صبري السوربوني كتاب «الشوقيات المجهولة»، فكان جهداً علمياً طيباً. لكن بعض شعر شوقي ظل دفين الجرائد. فكان نشر الموسوعة الشوقية في مطلع الثمانينات خدمة جلييلة للأدب، ولئن سبقتها ولحققتها كتب حاولت جمع شعر شوقي الغنائي ومسرحياته ونثره، فإن الموسوعة الشوقية هي التي جمعت فاستوعبت.

قد بذلتُ جهداً في ترتيب هذه الأشعار التي اخترتها ترتيباً زمنياً صارماً يجعلك تقرأ الكتاب وتتابع فيه حياة الرجل وتطور فنه ومواقفه السياسية والاجتماعية. ولكن التناقض في التأريخ بين كتاب وكتاب حال دون الترتيب الصارم، وحال دونه أيضاً إهمال المؤلفين، وكثرة أغلاطهم. وأكبر المهملين أحمد شوقي. فهذا الرجل الذي عاش لشعره، كان مهملاً في جمعه. كان أحياناً ينشر القصيدة في جريدة أو مجلة باسم مستعار ثم يعود إليها فيحكيكها ويزيد في أبياتها وينقص، ثم ينشرها في طبعة من ديوانه. أو تنشرها له بعلمه أو بدون علمه جريدة أخرى.

وحاد بي عن الترتيب الصارم قليلاً أنني جمعت قصائده التي على لسان الحيوان في مكان واحد. فهو، وإن يكن نظمها كلها تقريباً في سن الشباب الباكر، غير أنه أضاف إليها قصائد قليلة كهلاً. فضممت الشبيه إلى الشبيه.

قد صدعتك بمزايا مختاراتي هذه، وأزيدك في الختام واحدة: اخترت ما اخترته لك بمزاج.

حياة أحمد شوقي

إذا آمنت، مثلما أومن، بأن الشاعر يجيده لا برديته، وبأن أكثر ما يعنينا من سيرة الشاعر شعره، فخير سيرة لأحمد شوقي هي ما يتضمنه هذا الباب من شعر. فقد عرضت لك مختاراتي من شعر الرجل: ما كتب في صباه فشياهه فرجولته فكحولته، مرتباً ترتيباً زمنياً، مشروحاً، مع ذكر المناسبات والمواقف والمعلومات التي تُعينك على فهم الجو السياسي والاجتماعي الذي أحاط بالقصائد.

ولكنك قد تحب أن تعرف عن نشأة الرجل.

نشأته

اسم جده «أحمد شوقي» أيضاً، وهو كردي - عربي، «سمعت أبي، رحمته، يروُّ أصلنا إلى الأكراد فالعرب».

قدم الجد إلى مصر حاملاً رقعة توصية من أحمد باشا الجزار والي عكا إلى محمد علي باشا والي مصر. وكان الجد يتقن العربية والتركية ويكتب بهما، فالتحق بالمعينة؛ وما زال يتقدم حتى صار أميناً للجمارك المصرية في منتصف القرن التاسع عشر. وجمع ثروة طيبة بددها ابنه «علي» سريعاً.

عاش «علي»، أبو شاعرنا، من عمله. وتزوج فتاة أبوها مصري من أصل تركي وأمها يونانية أسرت في الحرب وجيء بها لتكون وصيفة أو شبه ذلك عند إبراهيم باشا ابن محمد علي. وأنجبا ابناً في عام ١٨٦٨ سمي به باسم جده. فهذا «أحمد شوقي» الشاعر. وقيل، استناداً إلى شهادة الليسانس الفرنسية، بل ولد عام ١٨٧٠.

يذكر شوقي جده أم أمه، واسمها تمار، كثيراً. فهي بنت القصر، جاءت سبية وعمرها عشر سنين، واعتنقت الإسلام بالطبع؛ ولعلها نسيت كل ما تعرف من لغتها اليونانية، فكانت تتكلم - فيما أحسب - العربية والتركية. وكبرت، وزوجها القائد الذي أسرها إبراهيم بن محمد علي من رجل عالي المكانة، واحتفظت بصلتها بالقصر. واحتفظت بمعاش زوجها بعد وفاته. وقد أخذت شاعرنا من المهد وكفلته. «حدثني أنها دخلت بي على الخديوي إسماعيل وأنا في الثالثة من عمري، وكان بصري لا ينزل عن السماء من اختلال أعصابه. فطلب الخديوي بكرة من الذهب، ثم نشرها على البساط عند قدميه، فوقعت

على الذهب أشتغل بجمعه واللعب به، فقال لجديتي: اصنعي معه مثل هذا، فإنه لا يلبث أن يعتاد النظر إلى الأرض. قالت: هذا دواء لا يخرج إلا من صيدليتك يا مولاي. قال: جيئي به إليّ متى شئت، إني آخر من ينثر الذهب في مصر». انتهى كلام شوقي في مقدمة الشوقيات.

أدخله أهله في مكتب الشيخ صالح وهو في الرابعة من العمر، «وهي من أهلي جناية على وجداني أغفرها لهم». ثم انتقل للمبتديان فالتجهازية، فكان تربيته الثاني في المدرسة وهو في الخامسة عشرة فحصل على المجانية لتفوقه.

نبوغ شاعر

كان دخوله الكتاب في هذه السن الطرية الشرارة الأولى التي لن تخبو. لقد عرف اللغة العربية الفصحى وهو طفل صغير، وعرف أن هذا هو المضممار الذي يجب أن يركض فيه. وفي المدرستين اللاحقتين التصق بلغة القرآن ولغة الأدب ولغة المثقفين. هنا التقط شوقي فيروس العربية الذي لن يفارقه. ووضع في جيبه المسطرة التي سيقس بها كل أدب. عرف المتنبي والبهاء زهيراً، وقرأ على الشيخ حسين المرصفي صاحب كتاب «الوسيلة الأدبية» «كشكول» العاملي ثم «الوسيلة»، وكان آنذاك في الرابعة عشرة من عمره. وعثر على قلبه في شعر محمود سامي البارودي الذي قرأ منه عدة قصائد في «الوسيلة». ولمصطفى صادق الرافعي تحليل طيب لسبب التأثر الشديد بالبارودي: السبب هو المعاصرة، «فالمعاصرة اقتداء، ومتابعة على الصواب إن كان الصواب، وعلى خطأ إن كان الخطأ». ويعلل الرافعي خروج البارودي عن غثاثة الشعر في زمنه تعليلاً طيباً: «كان البارودي جاهلاً بفنون العربية وعلوم البلاغة، لا يحسن منها شيئاً، وجهله هذا هو كل العلم الذي حوّل الشعر من بعده، فإياها عجيبة من الحكمة. أكبّ البارودي على ما أطاقه وهو الحفظ من شعر الفحول، إذ لا يحتاج الحفظ إلى غير القراءة ثم المعاناة والمزاولة، وكانت فيه سليقة، فخرجت مخرج مثلها في شعراء الجاهلية والصدر الأول. وجاءت بذلك الشعر الجزل الذي نقله المرصفي بإلهام من الله تعالى ليخرج به للعربية حافظاً وشوقي». اهـ.

نظم شوقي وهو في الرابعة عشرة. وجلّي في أول قصيدة وصلتنا، وهي وصف للخريطة، واقتبسنا معظمها هنا، أن هذا التلميذ ذو خيال عجيب، وأنه يمتلك ناصية اللغة، ويتصرف بها باقتدار.

درس شوقي على حسين المرصفي مدة غير قصيرة. قال في مقابلة نشرتها الأهرام عام ١٩٢٧: «أستاذي الوحيد الذي أعد نفسي مديناً له هو الشيخ حسين المرصفي صاحب الوسيلة الأدبية، وتعلمت سنتين لحفني بك ناصف، وهما أستاذاي حقيقة اللذان استفدت منهما».

ثم دخل شوقي مدرسة الحقوق وهو دون السن القانونية، فدرس بها سنتين، وعندما أنشئ بها قسم للترجمة دخله وأقام به سنتين أخريين. ونال إجازة في الترجمة.

كان وهو تلميذ يمدح الخديوي توفيقاً، وكان هذا يصل إلى الخديوي، فتوفيق يتقن العربية ويبدو أنه كان يتذوق أدبها، إذ إنه درس بمصر ولم يتسن له السفر إلى أوروبا للدراسة.

ثم ألحق الخديوي توفيق شوقي في معيته. وعين أباه مفتشاً بعد أن كان فقد وظيفته.

بقي شوقي سنة في معية الخديوي توفيق، ثم أرسله إلى فرنسا للدراسة وخيَّره، فاختر شوقي الحقوق، فنصح له الخديوي توفيق أن يجمع بين «الحقوق وبين الآداب الفرنسية بقدر الإمكان».

الدراسة في فرنسا

ركب شوقي البحر إلى مرسيليا في يناير عام ١٨٩١، وأنفق عامين في موندلبيه، وعاماً في باريس، ورجع إلى مصر في نوفمبر عام ١٨٩٣. ومنعه الخديوي من القدوم إلى مصر في العطلة الدراسية، وطلب منه أن يقيم «أربع سنوات كاملة في أوروبا»، وألا يضيع منها دقيقة واحدة، «ثم أرسل إليّ خمسين جنيهاً لأنفقها في رحلة أزمعها إلى أي بلد أشاء، إلا مصر».

في السنة الثالثة نال شوقي شهادة الحقوق الفرنسية، ولكن الخديوي توفيقاً طلب إليه أن يبقى في باريس ستة أشهر ليتمكن من «معرفة أشياء باريس وأهلها». الخلاصة أن شوقي مكث في فرنسا ثلاث سنوات تنقص شهراً.

موظفاً في القصر

رجع شوقي إلى مصر ليجد توفيقاً قد مات، وابنه الشاب عباس حلمي قد

تولى الحكم. عمل شوقي في القصر. ولا شك أنه أحس بغصة، فالخديوي توفيق كان يحب الآداب، وهو رجل تربى على اللغة العربية. أما عباس حلمي فشاب يصغر شوقي بست سنوات، ودرس في مصر ثم في فيينا مدة قصيرة وقطع دراسته بموت والده ليتولى الحكم بعده.

لكن شوقي نال ثقة عباس حلمي، وتولى له رئاسة القلم الإفرنجي. وبعد سنتين مثل مصر في مؤتمر المستشرقين في جنيف بسويسرا عام ١٨٩٤. وعاد فكتب تقريراً «إلى سيدنا ومولانا، وليّ النعم الأكبر، الخديوي المعظم».

في المؤتمر عرض شوقي قصيدة من ٢٩٠ بيتاً قص فيها تاريخ مصر الفرعوني والإسلامي. وقال كلمة بالفرنسية، ترجمها بنفسه لاحقاً إلى العربية، حث فيها المستشرقين على الاهتمام بالحاضر الأدبي للعرب الذي «دخل في الحركة العصرية من نحو نصف قرن»، ودعاهم إلى ألا يقصروا اهتمامهم على ماضي العرب وتراثهم القديم، وعرض عليهم روايته الشعرية علي بك الكبير، و«مجموعة حكايات منظومة على ألسنة الحيوانات، بإنشاء عربي محض، وفكر مصري خالص». وستظل هذه الحكايات من درر أدبنا العربي زمناً طويلاً. وقد اخترنا منها الكثير هنا، ليس لطرافة موضوعها فحسب، بل لأنها من أجمل الأدب.

تغزل شوقي بالחסان في مصر وفي إستانبول التي كان يزورها كثيراً. ولم يكن في غزله سوى رجل يحب الجمال، و«الجمال البشري سيد الجمال كله» كما قال ناثراً.

وعرف مكائد الوظيفة، ودسائس القصور جيداً، وانطبع هذا في شعره بشكل حِكم كان يقصد إليها قصداً، على أنه كان يغترفها من حياته. وتأثر ولا شك بالأدب الفرنسي، وهو يقول لنا إنه تأثر كثيراً بفكتور هوغو وألفريد دي موسيه ولامرتين، وأما لافونتين القديم فقد تأثر بقصصه وصنع قصصاً على طريقته. وعرف شكسبير باكراً من ترجمات صديقه خليل مطران لبعض مسرحيات شكسبير من الفرنسية إلى العربية. ولكن مثله الأعلى ظل المتنبي «صاحب اللواء، والسماء التي ما طاولتها في البيان سماء، ولو سلم من الغرور، وسلم الناس من لسانه لأجلته إجلال الأنبياء».

الزواج والأولاد

تزوج شوقي خديجة ابنة حسين باشا فهمي شاهين، وأنجبت له أمينة في

الليلة التي مات بها أبوه. ثم وُلد له علي، ثم بعد حين حسين. وأحب أولاده بشغف. وكتب فيهم قصائد فيها مرح وحب وفيها تعلق. وأخذنا معظم أبياتها هنا، ليس فقط لأن مثيلها نادر في شعر العربية، ولكن لأنها جميلة أيضاً. ولم يقل في زوجته شيئاً، ولعله كان في هذا الأمر الرجل الشرقي الذي يتفنن في إخفاء زوجته عن العيون والأذهان، تقرأ شعره في أولاده فلا تملك أن تسأل: وأين أمهم، ولا تملك أن تظن أنه كان يعثر عليهم تحت الشجرة في الحديقة. ويصرح ابنه حسين في كتابه عن أبيه بأن شاعرنا كان يسهر كثيراً ويهمل زوجته، وهي صابرة لا تؤاخذ في شيء.

شوقي شاعراً متميزاً

كان شوقي رجل سماع، يحب الموسيقى الشرقية، ويألف الموسيقى الكلاسيكية. ونحن نرى هذه الألفة من خلال أذن محمد عبد الوهاب الذي رافق شوقي في فرنسا لاحقاً واستمع بمعينه إلى الموسيقى في مسارح باريس.

ونعرف أنه كان يسهر في مجالس الغناء، ويحضر المسرحيات الغنائية في القاهرة. لكن ارتباطه بالقصر يمنعه من التماهي في علاقات نسائية. ولعل الرجل لم يكن شهوانياً. كان يحب الخمر، ويعاقرها بانتقاد. وكان يحب الجمال. ولكنه كان قد أصبح منذ أوائل الصبا راهباً في معبد الشعر.

«كان شوقي يقيد الشوارد ولا يدعها تفوت، ولم يقل لنفسه في وقت من الأوقات: دعينا من هذا الآن لأن لنا ما يشغلنا عنه وسنعود إليه في ساعة أخرى، بل كان المعنى المبتكر هدفاً له كيفما عَنّ وأنى عرض.. لم يخلط شوقي الشعر بالسياسة ولا التجارة ولا الفقه ولا الإدارة ولا الزراعة ولا عمل من الأعمال الأخرى التي يتعاطاها الناس،» كما قال شكيب أرسلان في كتابه «شوقي: صداقة أربعين سنة».

«كان شوقي يفكر في الشعر قاعداً وحاضراً وبادياً وسائراً وسارياً وفي المركبة وماشياً، إلى غير ذلك. فقد أعطى شوقي نفسه للشعر فأعطاه الشعر ما لم يعطه غيره في هذا العصر»، كما قال عنه صديقه خليل مطران.

ولم يكن موسراً. كان موظفاً نافذاً في معية الخديوي. لا بل يرى شكيب أرسلان أنه «في عام ١٩٠٠ كان شوقي ضعيف الحال، لم يحصل على الثروة التي جمعها فيما بعد، والتي كان السبب فيها شعره بدون نزاع». أما أنه كان

ينفق من سعة بسبب ثروة زوجته وأهلها، فأمر مشكوك فيه. لقد كان شوقي محجة لأصحاب الحاجات سنين طويلة. ولعله كان لا ينسى نفسه من عمولة هنا أو هناك على الطريقة التي كانت متبعة كثيراً في ذلك الزمن التركي. وهذه تهمة يؤكدّها محمد كرد علي في كتابه «المعاصرون»، من حيث نفاهاً ضمناً شكيب أرسلان. ولعل «بدون نزاع» هذه التي وردت في عبارة شكيب أجلب للتهمة منها لدفعها.

لا نعرف الكثير عن معتقد شوقي. لكن شعره يوحي بأنه كان مؤمناً دون تمسك بالعبادات. كان منتصباً إلى أمة الإسلام انتماء روحياً وسياسياً، فقد ناصب الإنجليز العداء مجازاة لأميره، وناصر الخليفة عبد الحميد في إستانبول مثلما ناصر أميره في مصر، وكان نصيراً للدولة الخلافة بمعنيها الزمني والديني. على أنه كان في شعره كثير الشك في الحياة الأخرى. ولكن، أليس هذا دأب كثيرين من الشعراء؟ قد لا يحل لنا التعويل على أبياته تلك في رسم خريطة لوجدانه الديني. على أننا نقول إن شوقي انتمى إلى الإسلام حضارياً وعاطفياً بعد إذ قدس اللغة العربية، وليس العكس.

وإذ رأى السفور في كثير من نساء إستانبول، واجتلى جمالهن ووصفه، أخذ يميل إلى السفور كفكرة، وحبه للمرأة العثمانية في قطعة نثرية طويلة كتبها عن زيارته لعاصمة الإسلام، قبل سنة من كتاب قاسم أمين «تحرير المرأة». ولم يسارع إلى تأييد قاسم أمين في مطلع القرن العشرين. فوقف متحفظاً من صاحب كتابي «تحرير المرأة» و«المرأة الجديدة»، ثم رصد في شعره تحول مواقف الأمة، ومال إلى السفور بالتدريج.

ناصر شوقي الحزب الوطني وزعيمه مصطفى كامل، الذي كان منسجماً مع قصر عابدين ومؤيداً لإستانبول والخلافة، لكن شوقي لم يكن سياسياً حزبياً.

دخل القرن العشرون وشوقي أكبر مثقف في مصر. ولئن فاقه أحمد لطفي السيد، الذي يصغره ببضع سنين، في ثقافته الفلسفية والقانونية، فإن شوقي كان يمسك بزمام العربية كما لم يتسنّ لأحد منذ مئات السنين. وكان العقاد وطه حسين، كلاهما، آنذاك مع بدء القرن في الحادية عشرة من العمر.

وسنرى طه حسين بعد ثلاثين سنة يشهد لثقافة خصمه شوقي: «كان شوقي يحسن التركية، وكان متقناً للفرنسية، فقد برع فيها نظقاً وفهماً. وكان في أول أمره كثير القراءة حريصاً على الفهم، فقد قرأ كثيراً وفهم كثيراً وتمثلت نفسه ما

قرأ وما فهم.. العنصر الفرنسي عمل في عقله وخياله ومزاجه كله.. . عاشر شوقي العرب في شعرهم وأدبهم فعظم حظه من العربية، وعاشر الترك في حياته اليومية، واتصل بهم أشد اتصال فعظم العنصر التركي فيه».

وإذا عرفت شح طه حسين في الشهادة لأي أحد - ولا سيما فيما يتعلق بالثقافة الفرنسية - عرفت قدر شهادته هذه في شوقي .

نرى شوقي مُتَقَلِّبَ القرن شاباً تخطى الثلاثين، قصيراً، بدأت صباحة الصبا تنحسر عن وجهه سريعاً، ولم يشفع له من جسمه شافع. يحضر حفلات الرقص في قصر عابدين ويستمتع بالجمال وهو يرى الفتيات يرقصن على أنغام الفالس، وتسيل خصورهن من أكف الرجال، والخديوي، الذي درس في فيينا سنة أو ستين، يعيش الدور بجانب زوجته النمساوية.

ذاق شوقي هجمة نقدية من المويدي وأخرى من البازجي، في مطلع القرن، وكره النقد وسيظل يكرهه. وهاجم سعد زغلول المقرب من المعتمد البريطاني في مصر. وكان صديقاً لزعيم الحزب الوطني مصطفى كامل. فلما مات هذا عام ١٩٠٨، لم يكن شوقي ميالاً لخلفه محمد فريد.

عاد إلى المسرح الشعري وهو في أواخر الثلاثين بعد تلك الرواية المبكرة التي نظمها وهو في أواسط العشرين من عمره. فكتب مسرحيتين هما «الست هدى» و«البخيلة». وانصرف عن الأمر.

رحب بالانقلاب العثماني وبالدستور عام ١٩٠٨، ثم لم يذرف الدموع على عزل ممدوحه السلطان عبد الحميد عام ١٩٠٩، الذي كان أنعم عليه بالبيكوية. وبيكوية إستانبول كانت في ذلك الزمن تجعل صاحبها أهلاً لأن يلقب بصاحب السعادة، وكانت، كما زعم محبو شوقي، مساوية للباشوية المصرية.

وانغمس في السياسة المصرية مع اغتيال بطرس غالي رئيس مجلس النظار عام ١٩١٠، لانهامه بعدم الوقوف بصلابة أمام تجديد ولاية الإنجليز على قناة السويس. وعاش جو مصر وجو الدولة العثمانية المحترضة شاعراً بما يجري شعوراً دفيناً وقوياً. كان يرتفع عن الأحداث الصغيرة ويرى حاضر الأمة الإسلامية، ويراه في انهيار متسارع.

المنفى

عندما قامت الحرب العالمية الأولى كان شوقي في إسطنبول، وفيها كان

عباس حلمي. وطلب الإنجليز من عباس عدم العودة إلى مصر. وأسرعوا فأعلنوا مصر سلطنة وعينوا حسين كامل ابن إسماعيل سلطاناً، ففصلوها بذلك عن الدولة العثمانية التي كانت في المعسكر المعادي.

ورجع شوقي إلى مصر وهنا السلطان الجديد. ولكن سلطات الاحتلال الإنجليزي في مصر أبعدته، مع كثيرين من أصحاب الولاء للدولة العثمانية، إلى مكان يختاره. فاختار إسبانيا لبعدها - على الأرجح - عن الأطراف المتحاربة.

وعاش مع أسرته وأربعة من الخدم في برشلونة. وانقطع إلى كتب العرب ودواوينهم. وكتب شعراً ونثراً، وأرجوزة قص فيها تاريخ عظماء العرب. ولم يكن له نشاط اجتماعي يذكر في إسبانيا. ولم يتميز شعره هناك عن شعره قبل النفي، إلا في قليل. كتب قصيدتين عامرتين واحدة في الحنين إلى مصر، وأخرى في وصف آثار العرب في الأندلس.

كان أولاده قد شبوا، وكانوا له سلوى في منفاه. يقص علينا ابنه الأصغر حسين، في كتابه «أبي شوقي» الذي كتبه بعد موت والده، قصة طريفة عن أبيه في إسبانيا: «ركبنا الحافلة ذات يوم، هو وأنا، فصعد رجل عملاق بادي الترف والثراء، يعلق سلسلة ذهبية بصدرة وفي فمه سيجار ضخمة، ثم ما لبث أن استسلم للنوم في ركن من العرب، وراح يغط غطيظاً يرهق الأعصاب. وصعد نشال في مقتبل العمر جميل الصورة، وهم بأن يخطف السلسلة، لكنه أدرك أن أبي يلمحه، فأشار إليه إشارة برأسه مؤداها: هل آخذها؟ فأجابه أبي برأسه «آخذها»، فنشلها الشاب ونزل، بعدما حيا أبي برفع قبعته! ولم يكذب ينزل حتى التفت إلى أبي وقلت: هل يصح أن تترك النشال يأخذ سلسلة الرجل وهو نائم؟ فأجاب: شيء عجيب يا بني! لو كنت مقسماً الحظوظ فلن كنت تعطي السلسلة الذهبية؟ أكنت تعطيها عملاقاً دميماً أم شاباً جميلاً؟ فقلت: كنت أعطيها الشاب الجميل، فأجاب ببساطة: ها هو ذا آخذها».

هذا شوقي وهو يقترب من الخمسين. شاعر الأخلاق. لكن معياره الأخلاقي داخلي ذاتي. ويصرح ولده حسين بأن أباه كان ذا نزعة بوهيمية دفيئة.

العودة من المنفى

عاد شوقي إلى مصر بعد انتهاء الحرب بقليل، وكانت مصر تخرج من

عقابيل ثورة ١٩١٩، وسعد زغلول لم يعد مقرباً من الإنجليز، بل هو زعيم وطني نفاه الإنجليز، ثم عاد وراح يفاوضهم بعناد.

رجع شوقي إلى مصر وفيها حاكم جديد. السلطان أحمد فؤاد الذي تولى الحكم بعد وفاة السلطان حسين كامل. لم يقرب السلطان أحمد فؤاد أحمد شوقي. ولعل شوقي أحس براحة في البعد عن القصر. وهو الذي كتب قبل عشرين سنة «أو لم يكن من الغبن على الشعر والأمة العربية أن يحيا المتنبي مثلاً حياته العالية التي بلغ فيها أقصى الشباب، ثم يموت عن نحو مئتي صحيفة من الشعر تسعة أعشارها لممدوحيه، والعُشر الباقي، وهو الحكمة والوصف، للناس؟ هنا يسأل سائل: وما بالك تنهى عن خلق وتأتي مثله؟ فأجيب: أني قرعت أبواب الشعر وأنا لا أعلم من حقيقته ما أعلمه اليوم، ولا أجد أمامي غير دواوين للموتى. والقوم في مصر لا يعرفون من الشعر إلا ما كان مدحاً في مقام عالٍ، ولا يرون غير شاعر الخديوي صاحب المقام الأسمى في البلاد، فما زلت أتمنى هذه المنزلة. حتى وفقت بفضل الله إليها، ثم طلبت العلم في أوروبا، فوجدت فيها نور السبيل، من أول يوم، وعلمت أني مسؤول عن تلك الهبة التي يؤتيها الله ولا يؤتيها سواه». انتهى كلامه في مقدمة الشوقيات (١٩٠٠).

لكن شوقي أحس بالمرارة التي يحسها كل امرئ كان قريباً من مركز السلطة ثم صار بعيداً. حقاً لم يتعد عن الملك فؤاد كل البعد، بل ظل يمدحه بين النفية والأخرى مدحاً عارضاً في الأغلب، لكنه لم يعد شاعر القصر، ولا الموظف ذا النفوذ فيه.

انصرف شوقي إلى دنيا من الشعر والفن أوسع. فقال قصيدة في النيل فاخرة. وقال قصائد في رثاء الكبراء كان بها يحافظ على منابره الشعرية، وينفث مخاوفه التي لا تهدأ من الموت. كان يعيش مرتاحاً ثرياً. وأظن أن شوقي الصبي الذي رأى أباه يبدد الثروة ويعيش عيشة عادية عرف كيف يمسك يده على ما نال في زمن الخديوي عباس حلمي من ممتلكات.

بعد المنفى

رجع شوقي إلى تمجيد مصر، وهي نغمة باهى كثيراً بأنه أول من صدح بها. فقد كان وقف على آثار الفراعنة واستوقف وهو شاب في الخامسة والعشرين في قصيدته أمام مؤتمر المستشرقين عام ١٨٩٤.

وقبل الكشف الأثري الباهر عن مقبرة توت عنخ آمون بسنة وقف شوقي يخاطب أبا الهول، ثم جاء الكشف الشهير الذي اهتزت له الدنيا، فتفجر شوقي بشعر كثير في وصف آثار الفراعنة ومناجاتها. وألبس حجارته من فنون القول ما هز النفوس، وكان العصر عصر بحث عن هوية وطنية. لم يتمسح شوقي بمومياءات الفراعنة تمسحاً بليداً، ولا هو تنكر لماضي مصر العربي الإسلامي. لكنه قال شعراً مليئاً بالجمال، وكفى.

كأنما كان في نفس هذا الشاعر حسرة لأنه لن يستطيع أن يقف على الإطلال وقوف شعراء العرب القدماء، الذين كانوا، وظلُّوا، مثله الأعلى وقاله الخالد، فوجد في قبور الفراعنة مناسبة للوقوف والاستيقاف دون أن يتهم بأنه صدى باهت للقدماء. كان أصيلاً في هذا الشعر ليس لدقة الوصف وحسب، ولكن - أكثر - لأنه رأى الموت حياً أمامه في آثار الأقدمين فتحدث عن شعوره تجاه الموت؛ وتحدث - وأسرف في الحديث - عن الخلود الدنيوي وبقاء الذكر.

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى انهارت الدولة العثمانية، فبكاه شوقي. ولكنه أثنى على أتاتورك وتحمس له في حربه مع اليونانيين، وفي مساعيه للحد من أطماع الدول المنتصرة في تركيا. ثم ألغى أتاتورك الخلافة فلامه شوقي ثم انقلب عليه. وأحس شاعرنا أن مصر هي الكيان الوحيد الذي يمكن أن يعده وطناً. ولم يعد إلى إيمانه بدولة الخلافة ولا بالخلافة. ولم يعر أذنًاً للدعوة التي كانت لها جلبة في العشرينات لتجديد الخلافة.

أصبح شوقي قريباً من سعد زغلول يحضر مجالسه، في بيت الأمة ومسجد وصيف، ويمدحه بالشعر. وقربه سعد، وجعله عضواً في مجلس الشيوخ عن محافظة سيناء سنة ١٩٢٤. وكانت هذه السنة بداية الحياة البرلمانية الحديثة في مصر وقد زالت عنها الحماية البريطانية ونالت استقلالاً إسمياً.

في مجلس سعد، وفي جلسات ضاحكة في بار اللوا ومحل صولت، كانت لشوقي جولات ساخرة مع الدكتور محجوب ثابت. واشتهرت قصائده العابثة في حصان الدكتور محجوب وسيارته وعيادته.

شوقي السميع

اتخذ شوقي لنفسه صديقاً شاباً، مطرباً صاعداً لم يبلغ العشرين، هو محمد

عبد الوهاب. آمن بموهبته، وأخذ يصقلها بالمعرفة. كان عبد الوهاب يحضر مجالسه ويلزمه كظله. وكانت له غرفة في قصر شوقي. وأخذ شوقي معه إلى باريس مراراً، وإلى لبنان أخذه، وإلى الشام. وعلى عهدة عبد الوهاب، فيما نقله لنا مجدي العمروسي، فإن شوقي أخذه إلى باريس لأول مرة وعمر عبد الوهاب خمس عشرة سنة. ويروي لنا عبد الوهاب كيف أن شوقي خالف نصيح طبيبه وشرب زجاجة ويسكي كاملة في الباخرة، وذلك عندما علم أن في الباخرة ثقباً وظن أنها غارقة.

وكان لشوقي في باريس معارفه من الناس العاديين في مطعمه وفندقه، تماماً مثلما كان له في القاهرة. وكان يقرأ بالفرنسية كثيراً. وفي إحدى الرحلات الأولى مع عبد الوهاب أحضر كتباً فرنسية كثيرة عن كليوباترا إذ كان ينتها لكتابة مسرحيته الشعرية «مصرع كليوباترا».

لقد عرف شوقي عبد الوهاب ولداً صغيراً يغني بين فصول مسرحية تقدمها فرقة عبد الرحمن رشدي، فكلم حكمدار بوليس القاهرة الإنجليزي لمنعه من الغناء لصغر سنه. كان ذلك فيما يروي عبد الوهاب (في كتاب عن سيرته نشر مرتين: مرة بقلم محمد رفعت المحامي ومرة بقلم لطفي رضوان!) سنة ١٩٢١. ثم في سنة ١٩٢٤ سمع شوقي عبد الوهاب في كازينو سان استفانو بالإسكندرية، واستقبله بحرارة ودعاه لزيارته في مكتبه بشارع جلال بالقاهرة. وبعد ثلاثة أشهر وانقضاء موسم التصنيف ذهب عبد الوهاب إلى مكتب شوقي، وكان لقاءً طيباً أعقبته دعوة عشاء، ثم ثماني سنوات من الالتصاق الشديد بين مغن ناشئ وبين أشهر شاعر في العالم العربي.

من عبد الوهاب عرفنا طرائف لا بأس بها عن شوقي. فهو يتناول إذ ينظم الشعر، ثلاث بيضات نيئة - يرفعها عبد الوهاب، عندما يحكي القصة لسعد الدين وهبة، إلى خمس بيضات - يشربها شرباً. وعندما سأله عبد الوهاب عن سر البيض النيء قال: «علشان بحرق فسفور كثير». وشوقي ينظم الشعر في قلبه ولا يدونه إلا بعد أن ينظم عدة أبيات منه. يمشي هائماً في الشوارع، يدخل صيدلية، ويخرج منها دون أن يطلب شيئاً، ويدخل محلاً ويخرج، ثم يكتب أبياتاً على علبة سجائر، وكان مدخناً شهماً، أو يملئها على أحد، ولا يزال كذلك حتى يفرغ من القصيدة. وبعد ذلك.. «ألاقيه بعدما يولد الولادة وشه أصفر، عرقان تعبان منهوك، ويقول لي حتعمل إيه ما محمد، ها.. تتعشى فين يا محمد؟» كان يناديه كذلك تحبباً.

ومن حديث عبد الوهاب، وغيره، عن شوقي نعرف أن شاعرنا كان يرجع إلى المعجم كثيراً. نجد ذكراً لرجوعه إلى المعجم وهو في بيته بالقاهرة «كرمة ابن هاني» وهو في السفينة مسافراً إلى فرنسا. وفي بيته كان له من يساعد في إعادة ترتيب كتبه على الرفوف. فبعد الخاطر «تيجي هنا عملية الصنعة».

وقد عرفنا عن طريقة شوقي في النظم من مصادر عدة أهمها وأوثقها رواية سكرتيره الشخصي أحمد عبد الوهاب أبو العز الذي حدثنا كيف نظم شوقي قصيدة «فني يا أخت يوشع خيرينا»: «جاء من منزله في المطرية فوجدني في المكتب في الساعة الحادية عشرة والنصف فأملئ علي ثمانية وعشرين بيتاً، ثم قال لي لا تبعد عني حتى إذا جاءني شيء أملئته عليك. وخرج يمشي حول العمارة، فكان كل بضع دقائق يعود فيملئ علي خمسة أو ستة أو سبعة أبيات. وأخيراً دخل المكتب وجلس على مقعده وأخذ يمر براحته اليسرى على رأسه ففهمت أنه ينظم في سره قال: اكتب، فكتبت وكتبت، ونظرنا إلى الساعة فإذا هي الواحدة بعض الظهر فقال: كفى، أعطني ما كتبت لأنني على موعد في هذه الساعة مع داود [بركات] في جريدة الأهرام، فقدمتها له بعد أن عدت أبياتها ووجدتها أربعة وثمانين بيتاً».

وقد وجدنا القصيدة زادت عشرة أبيات فأصبحت أربعة وتسعين بيتاً اقتبسنا لك منها هنا نحو نصفها.

وعرفنا من عبد الوهاب كيف زار سعد زغلول بيت شوقي لتهنئته بعرس ابنه البكر. وكيف التقط لهما المصور صورة. وأثناء التحضير للصورة بمعدات ذلك الزمن قال أحدهم، هذه صورة تجمع الخلودين: خلود الوطنية، وخلود الشعر. فعلق سعد زغلول ويده على كتف شوقي: «هذا الرجل وحده هو الخلود، فبعد خمسين سنة لن تجدوا من يذكر اسم سعد، ولكن ستجدون للأبد من يذكر شوقي ويترنم بشعره».

كان شوقي عاشقاً للغناء، ولفت نظري وصف الناقد الموسيقي كمال النجمي لعبد الوهاب بأنه «آخر مطربي شوقي». فقد كان شوقي متابعاً لفن محمد عثمان وعبد الحامولي، ثم بعد موتهما منقلب القرن تعلق بيوسف المنيلوي وعبد الحي حلمي وسلامة حجازي ومنيرة المهدي وأم كلثوم. وعرف قيمة سيد درويش جيداً، وبرز تذوقه لما أتى به سيد درويش من جديد في القصيدة التي رثاه بها. وكتب الشعر بالعامية لعبد الحامولي وسلامة حجازي

ثم لمحمد عبد الوهاب. وقد أحصى إدوارد ميخائيل في كتابه المتميز بالدقة العلمية عن عبد الوهاب تسعاً وعشرين قصيدة غناها عبد الوهاب من شعر شوقي، عشر منها بالعامية. والعدد قابل للزيادة والنقصان، لأن الكلمات لم تكن تنسب لشوقي إلا بعد حين.

لقد بلغ من حب شوقي للطرب أنه كان يأتي بالأطباء لعلاج المغني الشيخ محمد المسلوب وهو في المئة من عمره. ويبدو أن هذا العلاج كان نافعاً حقاً فقد عاش الشيخ حتى تجاوز المئة والعشرين.

هجمة نقدية شرسة

في أوائل العشرينات تعرض شوقي لأقسى هجمة نقدية. فقد نشر العقاد والمازني كتاب الديوان (١٩٢١)، وفيه حمل العقاد على شوقي حملة قاسية: «كنا نسمع الضجة التي يقيمها شوقي حول اسمه في كل حين فنمر بها سكوتاً كما نمر بغيرها من الضجات في البلد، لا استضحاماً لشهرته ولا لمنعة في أدبه عن النقد، فإن أدب شوقي ورُصفائه من أتباع المذهب العتيق هدمه في اعتقادنا أهون الهينات، ولكن، تعمقاً عن شهرة يزحف إليها زحف الكسبح، ويضن عليها من قول الحق ضن الشحيح، وتطوى دفائن أسرارها طي الضريح. ونحن من ذلك الفريق من الناس الذين إذا ازدروا شيئاً لسبب يقنعهم، لم يبالوا أن يطبق الملاء الأعلى والملاء الأسفل على تبجيله، والتنويه به. فلا يعنيانا من شوقي وضجته أن يكون لهما في كل يوم زفة، وعلى كل باب وقفة». وحمل العقاد حملته منوهاً إلى أن كثيرين يؤيدونه، ومشدداً النكير على شوقي وعلى آله الدعائية. وكان شوقي ممن يحسنون الذب عن أدبهم بتسخير الأقلام لمدحه، والصحف لنشره. كان إذا غضب غضب له ألف قلم مأجور. فمن هذه الناحية لم يتجن العقاد كثيراً. كان شاباً في الثلاثين يرى أن شوقي ينال اهتمام الصحف، فأراد أن ينال قسطاً من الشهرة بالتعرض لشوقي. وأجابه شوقي الإجابة المتوقعة من مشهور يتعرض له أديب ناشئ ليقطع جزءاً من شهرته لنفسه: سكت عنه سكوت قبر.

ثم انثنى العقاد إلى قصائد شوقي فتناول منها قصيدة متوسطة فلسفها بلسانه. ثم أخذ قصيدة رديئة حقاً فأنشأ يسخر من شوقي في نثر مليء بالحيوية والتدفق. وعرج على قصيدة من الجياد هي مرثيته في مصطفى كامل - واخترنا

في كتابنا ثلث أبياتها - فأوسعها تهكماً. وغرس في قلب شاعرية شوقي، بعد التهكم من قصيدته الجيدة، أربعة نصال: التفكك، والإحالة، والتقليد، والولع بالأعراض دون الجوهر. فأما التفكك فقد عالجه العقاد علاجاً عجباً. كتب قصيدة شوقي بأبياتها الأربعة والستين كاملة، ثم عاد وكتبها مرة أخرى بعد أن بدل وغير مواضع الأبيات فبدأ بالبيت الأول ثم الرابع عشر ثم الحادي والعشرين ثم الرابع والستين وهلم جرا. ورأى العقاد بعد أن صنع ذلك أن القصيدة صارت أحسن نسقاً وأقرب نظاماً. وأكد العقاد نظريته المشهورة بأن الشعر العربي العتيق يقوم على وحدة البيت لا وحدة القصيدة. وأن شعر شوقي مفكك.

وأما الإحالة فهي الإتيان بمعنى مستحيل الحدوث في الواقع كقول شوقي:

يزجون نعشك في السناء وفي السنى فكأنما في نعشك القمران

وعلق عليه العقاد قائلاً: «وزعيمنا الفقيد كان فرداً، والقمران اثنان، فمن كان الثاني في ذاك النعش؟»

وكقوله:

مصر الأسيفة، ريفها وصعيدها قبر أبر على عظامك حان

وعلق العقاد: «مصر، أيها القارئ، ولا تخطئ فتحسبها القاهرة المعزية - فإنها مصر بريفها وصعيدها - مصر كلها، ما هي إلا قبر واحد. فله در شاعرها يرثي رجلاً أحيا نهضة في بلاده فيجعلها قبراً. ولأي ضرورة؟ وليدل على ماذا؟ لا شيء».

وأما التقليد فعنى به العقاد ما عبر عنه نقاد الشعر منذ القدم بالسرقة. ولشوقي سرقات كثيرة، ولكنه إذا قيس بالمتنبى كان عفيف الوجه واليد واللسان.

وأما الولع بالأعراض دون الجوهر فضرب له العقاد مثلاً البديع الفرد من أبيات هذه القصيدة:

دقات قلب المرء قائمة له: إن الحياة دقائق وثوان

وعلق قائلاً: «إنه بيت القصيد في رأي عشاق شوقي، فعلى أي معنى نراه يشتمل؟ معناه أن السنة أو مئة السنة التي قد يعيشها الإنسان مؤلفة من دقائق

وثوانٍ. وهذا هو جوهر البيت.. بلاغتهم المزورة لا تتعلق بالحقائق الجوهرية والمعاني النفسية، بل بمشابهات الحس العارضة.

كان العقاد متحاملاً، وآية تحامله أنه لم يرض أن يسلم لشوقي بيت واحد جيد أو حتى متوسط. لقد حكم على الرجل حكماً جارفاً، ولم يعجبه من الثلاثين ألف بيت التي نظمها شوقي في حياته شيء.

كانت هجمة نقدية عاتية. وكانت فيها فائدة للأدب العربي. ولكن شوقي، وهو موضوعنا لم يزل، مضى في طريقه لم يغير شيئاً. ظل الحارس الأمين للطريقة الكلاسيكية في الشعر العربي. وظل شعره «مفككاً»، أو إن شئت قائماً على وحدة البيت. وظل يعارض الشعراء الأقدمين وبياريهم، و«يسرق» منهم.

وظل العقاد يهاجم شوقي، ولكن شوقي راح ينعم بالتكريم في مصر والشام ولبنان، إلى أن توجته تلك الحفلة الكبيرة، سنة ١٩٢٧ في دار الأوبرا بالقاهرة برعاية سعد زغلول، أميراً للشعراء.

لقد اضطر حافظ إبراهيم إلى مبايعة شوقي حتى لا يقال حسده فتخلف. لكن العقاد اعترض بصراخ وزئير. وفي العراق قال الزهاوي:

قالوا للشاعر مصرٍ دار الإمسارة تسبسنسى
فقلت يا أهل مصرٍ منكم أميرٌ ومنا

مستعيداً قولة الأنصار للمهاجرين بعد وفاة الرسول: «منكم أمير ومنا أمير».

وكان الرصافي أكيس. فقال، وأشار إلى محنة طه حسين في كتابه «في الشعر الجاهلي»، ومحنة علي عبد الرازق في كتابه «الإسلام وأصول الحكم»:

إذا احتفلت مصر بشوقي فما لها تقيم على الأحرار في العلم حاجرا
فقد أسمعتنا ضجة أمطرت بها علياً وطه حاصباً متطائرا
إذا لم تك الأفكار في مصر حرة فليس لمصر أن تكرم شاعرا

وفي لبنان كتب مارون عبود بعد ست سنوات من التتويج: «فهل كانت إمارة شوقي - وهو شاعر جيله - غير منهزلة سجلها الدهر؟» على أن الجملة المعترضة عند مارون «وهو شاعر جيله» لم تكن لمجرد المجاملة، فقد ردها بعد أكثر من عشر سنوات عندما جعل شوقي «خلاصة الرؤوس وخاتمة الشعر

الكلاسيكي»، «كان شوقي قويَّ المخيلة، وعَيْنُهُ أَحَدُ من قلبه، فوثب وثبات استولى بها على الأمد فكان شاعر جيله.. فلولا وثبات رائعة فاق بها شوقي شعراء جيله ودنا بها من كبار القدماء لما كان هو ذلك «الرأس» الذي نختم به المدرسة القديمة. إن حظ الشعر القديم المصقول قد ختم بشوقي الذي أعاد عهد الديباجة البحترية». انتهى كلام مارون عبود في كتابه الرؤوس.

سافر شوقي في العقد الأخير من عمره كثيراً، إلى فرنسا حيث كان ولداً علي وحسين يدرسان، وإلى لبنان وسوريا حيث كان يلقي الترحيب الكثير. رأيناه يشكو لمحمد عبد الوهاب كثرة مجاملات أهل لبنان، وكان يعجبه من أهل سوريا ولبنان أنهم يحفظون شعره. وكان يطرب لسماع شعره من أفواه الآخرين. وسنراه يسأل كامل الشناوي في أول لقاء بينهما عام ١٩٣١ إن كان يروي شيئاً من شعره، ويطلب إليه أن ينشده قصيدة «أبو الهول». حدث هذا اللقاء في مسرح الأزيكية عقب حضور شوقي لبروفة إحدى مسرحياته، وكان يقوم عليها زكي طليمات.

في السنوات الخمس الأخيرة من حياة أحمد شوقي عاد إلى المسرحيات الشعرية فكتب خمساً أو ستاً منها، وكان شوقي مولعاً بحضور بروفات مسرحياته. ولعل الممثلين كانوا يذوقون الأمرين من تلك النصوص. فماذا يفعلون بيت من الشعر مقسوم بين ثلاثة أو حتى أربعة ممثلين؟ عليهم أن يتقنوا الأداء وأن يلتزموا بالوزن الصارم! عجب ذلك الذي صنعه شوقي في مسرحياته، فقد التزم بأوزان الخليل، وحاول مع ذلك أن يُبقي على التدفق، وأن يراعي تطور القصة. وقد لاقت مسرحياته من اهتمام النقاد الكثير. ولقي من ثناء النقاد الكثير لأنه فتح هذا الباب في الأدب العربي. ولكن أي باب؟

لقد ولد المسرح الشعري على طريقة شوقي ميتاً. وهو الآن نصوص في الكتب، لا تنفع الممثل، وترهق المطالع. وهي قد لاقت المصيرين، ثناء النقاد والموت الزؤام، للسبب نفسه: فكرة طريفة لكنها فظيرة. استوردت على عجل قبل أن تجد في أوزان الشعر العربي ما يساعدها على النمو. ومن أراد أن يحيل الشعر العربي الغنائي بطبيعته وتاريخه إلى شعر مسرحي عليه أن يجري الكثير من التغييرات ليس فقط على بنية الشعر واللغة، بل أيضاً على نفوس السامعين والمشاهدين. وعندما جاء الرحبانيان فصاعاً مسرحياتهما خالطين الشعر بالثر بالموسيقى نجحا عند الجمهور؛ ثم عاد الجمهور وسقط - الجمهور

هو الذي سقط - لأنه لم يواصل الاهتمام بهذه الأهرامات الفنية الخالدة، وساعد الجمهور في ذلك بلاده ورداءة المؤسسات الإعلامية في الدول العربية.

ارتاد شعرُ شوقي في سنواته الأخيرة موضوعات جديدة، وسافر في بلاد العرب، ولا سيما في سوريا ولبنان، وظل هذا الشعر يؤين الموتى كعادته.

لما مات حافظ إبراهيم رثاه شوقي متمنياً أن يكون حافظ هو الرائي:

قد كنت أؤثر أن نقول رثائي يا منصف الموتى من الأحياء

وبعد حافظ بشهرين وثلاثة أسابيع مات أحمد شوقي، في ١٤ أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٣٢.

لم يكن ناسياً الموت. بل لم تطلع على أحمد شوقي شمس نهار إلا تذكر الموت. ولو اضطرني أحد عشاق التصنيف إلى أن أضع شوقي في زمرة لوضعت في زمرة شعراء «تقديس الحياة»، ولوضعت بجانبه أبا العتاهية وأبا العلاء. فهؤلاء الثلاثة كانوا يحبون الحياة حباً جماً، إلى درجة أنهم نغصوها على أنفسهم بتذكر الموت. فأبو العتاهية شغف بالمال مع شغفه بالحياة وكان زاهداً وبخيلاً في النصف الثاني من حياته؛ وأبو العلاء زهد زهده المشهور في النصف الثاني من حياته ولكنه ظل متعلقاً بالحياة، نعرف ذلك لكثرة ما قال عكسه. وشوقي كان يلهو في النصف الأول من حياته، وفي النصف الثاني أيضاً. ولكنه كان دائماً كالولد الذي أعطته أمه قطعة جاتوه كبيرة، فراح ينظر إليها متحسراً ويفكر في اللحظة التي سوف تنتهي فيها، وظل يكرّم من طرفها قليلاً ويتحسر قليلاً.

نظرة ذاتية في الشعر العربي

ليس مستحيلاً أن تمر بك أبيات للبارودي أو لبديوي الجبل ليس عليها اسم الشاعر فتحسبها لعنترة أو للأعشى. وقد تقرأ نصف ديوان البهاء زهير، الذي مات قبل أكثر من سبعمئة سنة، فتحسب أن هذا الشعر قيل قبل سبعين سنة أو سبع سنين.

تلك مشكلة في اللغة، وفي التقدم، وفي الشعر، وفي صدق الشعور والتعبير. وهي ظاهرة. فرغم أن التبدل في مجتمعات العرب كثير: لأن البداوة والارتحال المستمر طابع مسيطر عليهم في قديمهم، وموجود ملموس في

حديثهم، ولأن بلادهم تقع في وسط العالم، فكثرت في أرضهم الغزو والفتح، منهم وعليهم، ولأن بلادهم واسعة ومرقطة بالجماهر البشرية التي تفصل فيما بينها الفياضي والكثبان، رغم ذلك ثبتت لغتهم ثباتاً عجيباً.

القرآن الذي وحد العرب على لسان واحد قبل أربعة عشر قرناً، جعلهم يلفون لغتهم براية القداسة. والقرآن كتاب أحكام ودين لا كتاب لغة، وهو لا يضم من مفردات اللغة إلا ما شاء ربك أن يضم. لكن أثره كان أن قدّس العرب اللغة العربية. ثم دخل في الإسلام وفي اللغة العربية الأعاجم، فقدسوا العربية أكثر من العرب. ومن عرف لغتين كان في اللغة امرأً لعوباً. لقد وجد الأعاجم في العربية لعبة جميلة، وراحوا «يخدمونها» بتأسيس قاعدة ثابتة لها من النحو والصرف وتحقيق المفردات. وما انقضت مئتا سنة على نزول القرآن إلا والناطقون بالعربية قد اشتعلوا شغفاً بتأصيلها. فأخذوا كالمجانين يجمعون المفردات من ألسنة الأعراب، ويقدسون الشعر الجاهلي تقديساً، ويتخذونه مسطرة يقيسون بها كل شعر.

لغة كل عصر هي بصمته التي لا يمكن لعصر آخر أن يقلدها. وقد أنفق العرب ألف سنة وبضعة قرون يحاولون - سدى - تقليد بصمة العصر الجاهلي. يستعملون الكلمات نفسها والتراكيب نفسها، ثم يفلت منهم الوجدان الجاهلي. البصمة لا تقلد. ولكن الإسراف في محاولة تقليدها يسلب المرء أصالته ويسلكه في المقلدين.

عربية الجرائد اليوم غير عربية الحجاج بن يوسف، وعربية الناس في بيوتهم وأسواقهم غير عربية الجرائد. والتمسك بالفصحى بوصفها جوهراً لم يتغير فيه شيء ألبتة منذ أوقفها الله على لسان آدم، تمسك شكلي بالطبع. فلا قواعد اللغة ظلت على حالها، ولا مفرداتها. فالنحو غير موجود على الألسنة اليوم ومراعاته في الكتابة تقتضي جهداً غير قليل؛ والألفاظ المأنوسة اليوم لا تتعدى عشرين بالمئة مما يضمه «لسان العرب»، فأما الثمانون بالمئة الباقية فمومياءات.

وحالنا في الشعر قريب من هذا في أشياء، بعيد في أشياء.

الشعر العمودي

وصف أبو علي المرزوقي المتوفى قبل ألف سنة (٤٢١هـ/أما ما ورد في

ترجمته في مقدمة شرحه لحماسة أبي تمام من أنه مات سنة ٢٤١، فهو بعض ما فعله المطابع بالأرقام)، وصف «قواعد الشعر التي يجب الكلام فيها وعليها، حتى تصير جوانبها محفوظة من الوهن، وأركانها محروسة من الوهي، إذ كان لا يُحكَّمُ للشاعر أو عليه بالإساءة أو بالإحسان إلا بالفحص عنها وتأمل مأخذه منها...». واستقرأ صفة «عمود الشعر المعروف عند العرب» واستقر على سبع خصال، فالعرب «كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته، والإصابة في الوصف، والمقاربة في التشبيه، والتحام أجزاء النظم والتثامها على تخير من لذيذ الوزن، ومناسبة المستعار منه للمستعار له، ومشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما، فهذه سبعة أبواب هي عمود الشعر». اهـ كلام المرزوقي.

هذا عمود الشعر أي أساسه، مثلما يكون العمود في وسط الخيمة أساسها. ومن هنا تسمية «الشعر العمودي»، فعندما ابتدع الناس في منتصف القرن العشرين طريقة أخرى في رصف التفاعيل وتوزيع القوافي ظنوا أنهم خرجوا على عمود المرزوقي (أو عمود البحري إن صح أنه أول من نطق بالمصطلح)، فسموا كل الشعر العربي القديم عمودياً، وسموا ما ابتدعوه الشعر الحديث. وما صنعه في الواقع هو أنهم خرجوا خروجاً محدوداً عن البحور كما وصفها الخليل بن أحمد. فأما عمود المرزوقي الموصوف أعلاه بكلمات صاحبه فلم يخرج عليه - في جانب المعنى - إلا شعراء السريالية والرمزية المغرقة، أما في جانب المبنى فقد خرج عليه شعراء قصيدة النثر. وسوى ذلك من قصائد شعر التفعيلة فمعظمه يتبع عمود الشعر العربي كما وصفه المرزوقي بدرجة كبيرة.

لقد قام الشعر العربي وقعد كثيراً في القرن العشرين. ودخلنا القرن الحادي والعشرين وكثيرون من شعرائنا مصممون على ألا يكون شعرهم كشعر الألف والخمسة سنة المنصرمة. لا بد من الاعتراف بأن العرب يشتهون أن يكسروا كل قوالب الماضي في الشعر. لقد وجهوا ضربة لبحور الخليل أحسبها قاضية. وأوغل العديد من شعرائهم في الرمزية، وتحللوا من التفعيلة، ومن القافية. أفليست هذه مناسبة لتأبين الشعر القديم؟ أم لعلها مناسبة للوقوف على معالمه البارزة؟ أم هي من مفترقات الطرق تلك التي تمر بها الأمم فتتنظر في عطفها وتتأمل ما مر بها، وما يوشك أن يرد عليها؟

حفل وداع للشعر العمودي

ما نصنعه في هذه السلسلة هو أن نقدم مجموعة كبيرة ومنتقاة من الشعر العربي بحسب تقاليد التي ثبتها أهلها تثبيتاً لعدد من السنوات كبير يفتن العقل ويدهش إدهاشاً، وتتعجب منه الثقافات الأخرى. وكما قدمنا فليس هذا بالأمر الممدوح، فمن يمدح الجمود! ولا هو بالأمر المذموم، فمن ذا الذي يملك الفحة الكافية كي يذم حالة من الحالات دامت هذا الدوام! من يملك أن يذم الماء لأنه يتجمد على درجة الصفر المثوية. إنه أمر واقع، وحال وجدنا شعرنا عليها، ونحن نصفها. هذا وضعنا نحن العرب، وهذا شعرنا. وهو من أعظم الشعر الذي عرفته البشرية.

سلسلتنا الحاضرة تستمد سبب وجودها من هذا الانقلاب الذي يشهده الشعر العربي.

إحياء الشعر القديم: حلاوة الروح

جاء البارودي خاتماً لشعراء القرن التاسع عشر، فكان ملححة الوداع. ثقب ثقباً صغيراً في السد الذي أقامه «علماء» الشعر العربي في وجه الإبداع. لكن رشح الماء، وأصيب الشعر العربي بالبلل الذي لا ينفع فيه سوى تغيير الملابس. وجاء شوقي ففتح ثغرة في السد في موضع المقتل. وسيجيء بعد شوقي شعراء يهدمون السد صخرة صخرة فيكون الري ويكون الفيضان، ويدخل إلى الشعر العربي ماء كثير، ويدخل معه طين وحشرات.

والشعر يحب الثورة ويحب التغيير، وهو بين المخلوقات الأدبية مخلوق بوهيمي. لكنه، ويا للغرابة، مخلوق منضبط بإيقاع هو نصف حلاوته.

بعد شوقي جاء عصر رومنس حالم نام على وسادة الذاتية أعواماً ثم على وسادة العروبة ثم على وسادة الاشتراكية. وكان يتخلله شعراء يديرون الناعورة بالعكس فتسحبهم الناعورة. ثم جاء نزار قباني فكان جسراً عبر عليه الشعر العربي من الإيقاع الرتيب إلى الإيقاع الحر.

وانبهم الوضع العربي انبهاً بعد أن نفق الحصان القومي فلاشترافي. وبعد أن بعثنا رقعة دعوة إلى الاستعمار، أوصلناها إلى باب بيته، وفيها: تفضل بالعودة إلى بلادنا، لأننا لم نستطع أن نصنع شيئاً وحدنا، فنحن مثل الحمار الذي هرب من سيده يريد الصحراء ليتحرر، وفي منتصف الطريق تذكر أنه نسي رسته، فرجع أدراجه.

والتقط نزار قباني الوضع العربي في لحظة انهيار الأمل فتفجر ينبوعاً من الشعر الفاخر في عام ١٩٦٧ وما بعدها.

والآن في عام ٢٠٠٨ يقف الشعر العربي مذهولاً. (معظم هذه المقدمة وما تلاها من شرح كتب عام ٢٠٠٨، وأنا أحرره وأهينه للطباعة في آخر شهر من عام ٢٠١٦).

سمع الشعر العربي صرخات قوية من مظفر النواب في السبعينات والثمانينات، وترددت في جنبات الإنترنت نغمات على ربابة أحمد مطر الرتيبة الحانقة. لكننا لا نزال نجد أبناء يوسف الخال يحاولون دخول السينما بلا تذاكر. وهؤلاء قوم بدأوا سيرتهم بالنفور من اللغة العربية الفصحى، واشتدوا في البحث عن شيء يميزهم فقرروا أن يكون ما يسمونه قصيدة النثر.

وهذا موضع يحسن بي فيه أن أبين حد الشعر عندي. حده عندي الكلام الذي فيه إيقاع. وأما الخيال والصدق وأناقة التعبير والموسيقى الداخلية فتجدها جميعاً في الشعر وفي النثر وفي الرواية. ولست متكلماً عن قصيدة النثر بأكثر من ذلك.

لا، بل يطيب لي أن أتكلم.

جبراً لخواطر الحداثيين

تلك الخواطر التي يتهمونها بأنها شعر أحبُّ لها أن تكتب كتابة النثر لسبب اقتصادي، فإن ما يصنعونه من وضع كلمة أو كلمتين في السطر، وبضعة أسطر في الصفحة، يكلفني شراء كتب كثيرة، ثم لا يكون الكتاب كله سوى بضع مئات من الكلمات أقرأها وأنا أنتظر الباص في طريقي إلى البيت، وأود لو أعود إلى بائع الكتب لكي أرد إليه ما اشتريت منه، فأخجل وأتكبد. ويُخرج عليّ هذا في كل شهر غمماً ثقيلاً. ولانبهام وضعنا العربي صارت هذه الخواطر التي يسمونها قصيدة النثر مغرقة في الرمزية أو في التعقيد، وأظن أن هذا فتح باباً واسعاً للمشعوذين.

ولست، بعد، من محبي اللغة العربية الفصحى على الطريقة القديمة. لست ممن يتمطق بعباراة «اللغة الشريفة». وفي قلبي للشعر المقول بالدارجة موقع جليل. أجُلُّ بيرم وأحمد فؤاد نجم ونخلة وكل زجالي لبنان وفلسطين، ولا أضع شعرهم في مرتبة تنحط عن شعر الفصحى بحال، ويلمس وترأ في قلبي

مدى تعلق أهل العراق والخليج بأشعارهم المقولة بالدارجة وإن لم أستطع تذوقها بدون مساعدة. شعر الدارجة شعر ذو لغة معينة ويلمس قلوب من يفهمونها. إنه شعر وحسب، ولكنه مكتوب بلغة أخرى غير اللغة العربية الفصحى.

ولست من كارهي النافرين من الفصحى. وليوسف الخال في قلبي مكانة. أحب إنسانيته وغضبه القوية على التقليديين، وأرضى تعبيره عن مسيحيته وعن لبنانيته، وأحب عذاباته التي تعذبها على ألسنة القوميين المفلسين، وأقدره تقديراً. فهو ناثر ذو قلم جميل منفعل. ولكنه لم يصنع شعراء. وأزيد أنني عارف بما قيل عن ارتباطه بمؤسسات أجنبية. وعارف أيضاً أن هذا الوطن العربي كله يقف بأبواب الأجنبي سائلاً صدقة. ومن كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر. وفي زمنه كان شعراء القومية يحررون فلسطين كل يوم بما يتقاضونه من ميزانيات وزارات الثقافة والصحف التابعة لها. فلست ممن يصغي إلى الراجمين الناس بالثهم.

مشكلتي مع قصيدة النثر مشكلة تبويب، مشكلة صغيرة. لكنها كبيرة على من يصنف كتاباً يريد أن يقصره على الشعر.

الحمد الذي أرسمه للشعر قائم على الشكل فحسب. وفي هذا كفاية. فالشكل في الشعر عماد.

لا أعرف أحداً يحسنُ يرقصُ على أنغام منشار كهربائي، فلماذا يريدوننا على أن نظرب لشعر لا نحس بإيقاعه ولا نفهم معناه؟

ومثلما كان السدُّ يحجز وراءه ماءً آسناً مليئاً بالديدان فإن السيل الذي جاء بانفجاره جاء بكثيرين مهارتهم في فنون الشعر قليلة، ومعرفتهم باللغة قليلة، وقلوبهم ليس فيها شعر. دخلوا علينا من باب الشللية ومن باب العلاقات العامة. وكان أسلافُ لهم من الدخلاء في مرحلة الركود يدخلون عالم الشعر من باب أنهم يحسنون قول الكلام الموزون المقفى. في الماضي كان إتقان وزن الكلام الشهادة الوحيدة المطلوبة لنيل لقب شاعر. وقد عشنا مئات السنين ولا شعر عندنا إلا ما يقبته أولئك الوزانون. ولعل بعض ثورتنا على الشعر العمودي ثورة على تلك الشهادة. ثم جاء يوسف الخال وعصبته فرفعوا الشرط فجاءنا دخلاء آخرون.

عودة لحلاوة الروح، ووصف للذهول الحاضر

حطم الشعر العربي سد البلادة في مصر. وكان لصوت شوقي وحافظ في مصر رجوع في العراق. ولولا أن الزهاوي كان يشغل نفسه بالحمام المطوق والنظريات العلمية فوق ما يجب، والرصافي يبذل طاقته في نقد الدين والخوض في السياسة، لكان للعراق في الشعر ديباجة أحلى مما كان. على أن الرجلين قالوا شعراً بنكهة تاريخ العراق المضطرب. وجاء بعدهما الجواهري فكان من عبيد الشعر، وجاء السياب فركز راية الشعر العربي في العراق بضعة سنين.

ومثلما كان للعباسيين مشرق ومغرب في الشعر، كان لعرب القرن العشرين موطن ومهجر. من المهجر جاءتنا روح إيليا أبو ماضي ورشيد سليم الخوري وإلياس فرحات. وفي لبنان كان بشارة الخوري قيامة لها صوت عذب، وكان بالشام بدوي الجبل وعمر أبو ريشة كهربي خضر ومنقرع، وكان نزار قباني خوفاً الشعر العربي ثلاثين سنة لا ينازعه أحد.

ولست أعرف عن المغارب سوى ما يعرفه كل الناس عن الشابي. ولا أعرف عن فلسطين سوى أن نكبتها أطلقت إبراهيم طوقان وعبد الكريم الكرمي، ثم تلاهما شعراء المقاومة الذين نكاثفهم على وطنيتهم بلا حساب، ونحاسبهم في الشعر كما نحاسب الأعراب.

يصعب على المرء أن يرسم خريطة إبداع للشعر المعاصر. فهو كثير، وتجعله المعاصرة عصياً على القياس.

نحن العرب نقف على مفترق طرق. دخلنا عهد الافتقار والاستعمار الجديد منذ أربعين سنة، وجاء احتلال العراق مجرد تأكيد لحقيقة معروفة، ولكننا في هذه الأربعين سنة لم نتحرك، وبقينا نحدق في خيبتنا بذهول. وفي الشعر نقف على مفترق أرجو أن أوفق إلى وصفه.

كان المتعلمون في عصر شوقي والرصافي يحسنون الفصحى إلى درجة يطربون معها للشعر العمودي المألوف لأذانهم من ألف وخمسمئة سنة. وكان وزن الشعر يصنع في أجسامهم إيقاعاً.

ثم ازداد عدد المتعلمين ازدياداً كبيراً. وصار محصولهم من العلم موزعاً بين العلوم المختلفة، ولم يعد للفصحى ما كان لها من شأن. وسقطت أوزان الخليل من الأذن العربية. وصرت ترى أساتذة اللغة العربية يقرأون الشعر

العمودي كما يقرأون مقالاً في جريدة، ويكسرون ما طاب لهم. فجاء اتخاذ التفعيلة لبنة لبناء القصيدة «إجراء» منطقياً يستدعيه حال الأذن العربية، فقصيدة التفعيلة قائمة على لَبْنَةٍ واحدة تتكرر حتى النهاية، وليس فيها ذلك الخلط بين التفاعيل الذي تسمعه في البحور الستة عشر. ثم رأينا الناس لا يحسون حتى بالتفعيلة. ومعنى هذا نهاية الشعر، وبدء عصر الخواطر. وقد بدأ.

قد يترك الناس الفصحى تماماً، فعندئذ يصبح لكل قرية قوالها، يصدق بالمواويل في أعراسها، وكفى الله العرب القتال.

وأظن أن هذا لن يكون. بل ستشتد الفصحى كثيراً لأن فيها قدرة تعبيرية كبيرة، ولأنها تصل إلى مسافة أبعد، ولأن المشاعر الإسلامية نهضت كثيراً، وهي تعيد الفصحى إلى الأذهان بحضور القرآن والنصوص الدينية الكبير في أذان ووجدانات الناس، رغم رطانة كثير من الدعاة المتلفزين بالعامية.

لست واثقاً الثقة نفسها من أن الإعراب سيعيش. لا بل أعرف أنه سيضمحل. أقصد سيموت، فأما الاضمحلال فهو يحدث من زمن أبي عثمان الجاحظ المتوفى قبل ألف ومئة سنة شمسية.

ولن يعاني إيقاع الشعر كثيراً بغياب الإعراب. ولكن هذا الإيقاع يعاني أشد المعاناة بسبب الشعراء. والغريبة العجيبة أن أكثر من يذبحون الإيقاع الشعراء الحريصون عليه. ترى نزار قباني يكتب قصيدته بتفاعيلها وقوافيها الرنانة، ثم يقف يلقيها أمام الناس كأنه يلقي قصيدة عدو له. يجردها من كل ما أنعب نفسه في حقنه فيها من إيقاع. قصيدته على الورق رقصة وأغنية، وعلى لسانه مجرد خاطرة. شذواً كان يهتم بإبراز المعنى فينسى الإنشاد. ورأيت محمود درويش يصنع صنعه. أما المذيعات اللاثي يهمنش بالشعر بعد منتصف الليل فهن أخبر بما يردن ويصنعن. ووالله لو قرأنا بدل شعر السياب وقباني افتتاحية جريدة فنلندية لما قل تأثرنا ببحة أصواتهن، وبهمسهن البهيج. وأي حَجَر في ركن السور لا يهتز لهمس امرأة بعد منتصف الليل.

على أن إلقاءهن الهامس ذاك لم يعزز في أذن العرب ضربة الطبل، التي هي تكرار التفعيلة.

وأنا مدرك، من تجربة لي غير قصيرة، أن الذي يلقي الشعر جاهراً به يكون طول الوقت متحيراً بين أن يبرز ضربة الطبل وأن يجلو المعنى. وأنا

مدرك أن الأمر ممكن. وإذا لم يكن الجمع بين الإيقاع والمعنى ممكناً على لسان من الألسنة فخير لي أن أسمع الشعر منه موقعاً توقيعاً بلا معنى من أن أسمعه مجلّو المعاني بلا إيقاع، خلا ما كنت ذكرته عن مذيغات آخر الليل.

الاجتزاء من الشعر

يغضب أحدهم، أحد هؤلاء الحداثيين، إذا اقتبست بيتاً أو بيتين. ويجأ بالشكوى مما اقترفت من تشويه لهذا الخلق المكتمل الذي خلقه الشاعر. يقولون في ذلك نظريات يضحك لها المنكوب في البورصة ليومه، يقولون: القصيدة كائن حي، فكيف تقطع جزءاً منه ولا ينشوه!

تلك دعوى فارغة. ألم يسمعوا العرب يستشهدون بالبيت ونصف البيت؟ وبالأية ونصف الآية؟ ألم يروا كتب الأقوال المأثورة عند أمم الدنيا تقتبس نفعاً نيفة من أشعار الأولين والآخرين. لا أقف عند هذه الدعوى كثيراً، ولكنني أوردتها مثلاً لصراعات ونظريات يطلع بها علينا الطالعون، ويريدون لنا أن ندين بها، اقتنعنا أم لم نقنع.

كتب الاختيارات كثيرة، وزادت كثيراً في الآونة الأخيرة. والموجود في السوق لا يعجبني أبداً. ولذا، مضيت في طبع مختاراتي.

رأيت بعض المؤلفين ينسخون بضع قصائد من هنا وهناك، ويجعلونها بين جلدتين، وتصب المطابع على الغلاف الألوان الفاقعة، وتجعل فيه نتوءات تغري الناس بشراؤه لتزيين رف في صالة البيت. ورأيت بعضهم يهبر من كل قصيدة أبياتاً، أو يهبر قطعة من قطعة أخرى كان هبرها مؤلف قبله، ولا يُشعرني أنه تخير لي. ولا أرى عند الهابر ولا في المهور تحقيقاً ولا ضبطاً ولا شرحاً. وإذا شرح أحدهم بيتاً فسر لك الكلمات التي تعرفها، وترك الكلمات التي لا تعرفها ولا يعرفها.

تكفي ذبابة واحدة لتجعلني أشيح عن الطبق، فكيف بكتاب فيه عشرات الذبابات. وقد وجدت كتب المختارات عامرة بالأغلاط، وجدتها طروحاً ألقاها في وجه الجمهور ناشر مستعجل، ومؤلف عابث ومقصر. فعقدت العزم على أن أمضي في نشر مختاراتي. وقد تعمدت في هذا الباب عن أحمد شوقي أن أشرح وأستقصي، ليكون حجتي فيما أنتقد الناس فيه. ولكنني لا أضمن أن أشرح شرحاً مستفيضاً في كل باب آخر. على أنني لن أرتكب كبيرة «شرح

الكلمة السهلة وترك الصعبة»، فإن عجزت عن كلمة فلن أغادرها إلا وقد أخبرتك بعجزتي. وفي كل مرة مقبلة ستراني اخترت من المصدر الأصلي، وستراني اخترت ما أراه الزبدة. وسترى من التحقيق والضغط ما يرضيك. في هذا الباب عن أحمد شوقي شرحت كثيراً، إلى درجة ثقل الدم. وتصورتم قارئ شاباً في مستقبل العمر محتاجاً إلى شرح كثير.

ليتمس لي القارئ المتمكن من الفصحى العذر.

حياة مليئة بأنصاف المواهب

من حقاك علي وأنا أتصدى لاختيار شعر من أجلك أن أخبرك عن نفسي. عن حياة مليئة بأنصاف المواهب.

حب النكتة، وفهم النكتة، وليرالية الذوق، والنملية مواهب وهبتها الذي خلقتني. وسأشرحها لك في فقرة مقبلة متأخرة.

على أنني أكشف لك عن مواطن قصور عندي كنت اكتشفتها واحداً بعد واحد، وكان لكل اكتشاف لسعة بقي لها في نفسي أثر.

زميل لي يصغرني بنحو عشر سنين، يتذوق الشعر كثيراً، ويقول بالفصحى وبالعامية وعلى كل الموازين. خلطت نفسي به زمنًا. ففضح كماله من قصوري أنني أسمع في الغناء اللحن وحده، لا أبالي أن يكون عبد الوهاب يغني للجندول أو ينادي على البصل في سوق الخضار، فالكلمة في الأغنية تلبس أمامي طاقة الإخفاء، ولست أهتم إلا باللحن. رأيت صاحبي ذاك وثاباً إلى تذوق الكلمة. ثم سمعته يغني، فوجدته يحسن تصيد الطبقة، ويحتفظ بصحة اللحن، ووجدت له صوتاً. ووجدته يتذوق الألحان كما أتذوقها، وأحسن مما أتذوقها.

فتح في عقلي نافذة مقارنة وحسد. وعرفني بما حرمني الله.

وظلمت أسمع الموسيقى والغناء. ومضيت فصنعت برنامجاً للإذاعة عن الموسيقى الكلاسيكية في أربع وخمسين حلقة، وبرامج عن الغناء العربي لأحصيها. ومضيت فصنعت برامج في الشعر العربي رتل فيها آلاف الأبيات.

رأيت بعد صاحبي ذاك أشخاصاً أفضل مني في تذوق الكلمة. أو لعلهم وجهوا طاقتهم هذه الوجهة. ورأيت من يفضلني في الثقافة اللغوية والأدبية وفي قوة الذاكرة.

ضع فوق ذلك كله تلجلج لساني في المذاكرة، وافتقار حججي إلى الصقل في أتون المناظرة، وتشرذم معارفي تشرذماً جعلها في أحيان معلومات من نوع ما يحفل به طلبة المدارس.

ما أكثر ما أوبخ نفسي: ويحك! كأنك لم تبرح مقعد الدراسة، لك في المطالعة وفي التفكير، وحتى في التعبير عن نفسك، طريقة هي أشبه بطريقة المراهق الذي فتح عينيه على الدنيا لتوه فهو مندفع مندهش أبداً، مرتبك عندما يكتشف أنه مسبوق إلى كل فكرة من أفكاره، زائع في أحكامه، متمسك بالقديم كما يتمسك الرضيع بثدي أمه، خواف من الجديد، يغوص في الفكر قليلاً ثم يضيع في اللجة.

أليس يحق لي أن أياس من نفسي؟ وأن أمضي في ترتيب تقاعد يضمن لي أن أعيش عيشة رجل لا يعرف الثقافة ولا تعرفه الثقافة؟

الآن عرفت لماذا أنفقت ثلاثين سنة متسكعاً بين الوظائف، هارباً فيها من مواهي الناقصة، متعللاً بها عن الخوض في استهلاك المعرفة وإنتاجها.

طالت علي «سن اليأس»، فلا أزال منذ خمس عشرة سنة أحاسب نفسي على ما لم أنجز.

أما المواهب التي وهبها الله فهي التلذذ بالنكتة وفهمها، لكن دون روايتها. والشعر نكت كثيرة. وكل بيت رائع فيه نكتة دفيئة أو غير دفيئة. تكون النكتة في المعنى، أو في استخدام اللفظة، أو في كلمة القافية، أو في تورية، أو في جلبة تحدثها ألفاظ البيت إما يتلى أو يُرى بالعين. والنكتة في بيت الشعر ليست زخرفة الجصّ يضيفها البناء إلى سقف البيت بعد الفراغ من بنائه، بل هي بعض البناء، وشمعة يقوم عليها.

لن أضرب لك مثلاً، ثقةً من أنك عرفت ما أقصده بالنكتة، وحتى يبقى لهذه المقدمة عطلها من الأمثلة.

وليبرالية الذوق، وهذه ثانية المواهب، لها علاقة بفهم النكتة. فأنا أجد في كل شعر شيئاً حسناً، وأسعى في البحث عما في القصيدة من دواعي الدهشة. وليست ليبرالية الذوق بالموهبة النادرة، فأنت تجدها عند الملايين، ولكنها في المثقفين أعز منها في عامة الناس. وكائن رأيت من مثقف يقسم الأشعار قسمين: قسماً نفايةً، وقسماً هو شعر شاعره المفضل أو شعره هو، إن كان أخا شعر.

والنميلة موهبة أخرى. فأنا أحب الجمع والتصنيف. وترى هذه الموهبة كثيراً عند صغار الموظفين، وعند قليلي الطموح ومحدودي الذكاء. وهل تشك في أن النملة محدودة الذكاء، وأن سلوكها صادر عن غريزة شبه ميكانيكية؟

بمواهيبي وغيوبي جمعت أبياتاً لشعراء كثر. كتبتها حيناً بالقلم في اثني عشر دفترًا، ثم جعلتها ملفات على الحاسوب الذي فرض نفسه على حياتي. وتوقفت في ترتيبها وشكلها، ونويت أن أشرحها.

فإذا لم يعنَّ لي شيء أجدى على نفسي وعلى عيالي وعلى البشرية من هذا الذي أنتويه، فسوف يجد الناس بين أيديهم مجموعة كبيرة من المختارات الشعرية تراحم مئات الكتب المشابهة التي تختنق بها رفوف المكتبات.

لغز بيت الشعر العربي

كل كائن حي أو ميت يوضع في بيئة مدة من الزمن يتشكل بحسبها، ويصبح آية في الكمال النسبي. فمرور السنين يوائم الأشياء مع بيئاتها، ويجعلها الأصلح. تنظر إلى الشجرة الاستوائية فتري أوراقها وجذعها، وثمارها وجذورها ملائمة تماماً لبيئتها. ازرعها في بيئة أخرى ترها أقل نجاحاً.

البيئة قيد. والقيد خلّاق. والبيئة ليست الشيء السهل دائماً ولا هي الشيء الأمثل. فالبركان في مكان ما يخلق بيئة غريبة عما كان مألوفاً. ومع تراكم السنين تتشكل الأحجار والأشجار على نحو يوافق هذه البيئة، ويصنع معها انسجاماً.

اللبناني في أعراسه وفي سهراته الصيفية على الأسطح، وسهراته الشتوية في أكواخه الجبلية، كان يغني ويباري جاره في فنون القول، وقد قيّد نفسه بقوالب من الإيقاع اللفظي، وأخرى من النغم. وصار هذا القيد يفجر المعاني في نفوس شبانه. صاروا يكدون أذهانهم ليرزوا المعاني الغريبة والجميلة من قمقم الوزن، فتنتلق هذه المعاني موقعة توفيقاً ومحلاة بقافية فيها نكتة. فأنت تنتظر القافية لكي تشعر بسعادة شبيهة بسعادتك وأنت تسمع ختام النكتة فتنفجر ضاحكاً. يهتز جسمك مع إنشاد البيت لأنه موقع، وتهتز نفسك وخيالك مع القافية، والمعنى في أثناء ذلك يتسلل إلى مكانين في وقت واحد: يتسلل إلى عقلك، المكان الطبيعي للمعنى، ولكنه يحاول أن يتفلت ليتسلل إلى قلبك قبل عقلك.

أن المعاني مقيدة بقيد الوزن والقافية يجعلها تنطلق بقوة أكبر.

الوزن والقافية للزجال اللبناني بيثة، وهي قيد. وجدهما، بعد أن أوجدهما أجداده، مفروضين عليه. رأى أبناء قرينته محتاجين إلى أن يهزوا أجسامهم على كلامه، قبل أن تهتز قلوبهم وتدرك عقولهم، فصنع لهم الشعر فطربوا وهزوا أجسامهم ما شاءوا، وما زالوا يهزونها، وما زالوا يابون أن يهزوها إلا على القُرَّادي والمعنَّى ومع قوافٍ رنانة. ولو قلت كلاماً عذباً باللهجة اللبنانية وسرحت بخيالك إلى الأعالي ثم لم تقيد نفسك بالقافية لما صنعت سوى ما يصنعه أي عجوز يجلس بباب الدكان ويحدث الشباب عن سنة الثلجة الكبيرة.

والعربي في صحرائه، وفي مدنه القديمة في الحيرة ودمشق والطائف، كان يرتجز على إيقاع رتيب، ثم صار يلون رجزه ألواناً. وقيد نفسه بقيود وجدها أحفاده حافزاً، وبيثة إبداع.

واليوم، في سنة ٢٠٠٨، ما مبرر التمسك بهذه القيود؟ لا الشعراء يعرفونها، ولا السامعون يهتزون لها. صار الشعر مقروءاً بالعين في معظم الأحيان. وصارت الأمسية الشعرية ترفاً يمارسه طالب الجامعة مرة في السنة. وصار شعراء هذه الأمسيات يترنمون بمعانيهم يوجهونها إلى العقول كاسرين أوزانها التي تعبوا في إقامتها، أو تكون من الأصل أوزاناً مكسورة لأنهم قليلو المعرفة بالوزن. والفصحى نفسها ضعفت في النفوس كما أسلفنا. فكان لا بدّ من الانصراف عن أوزان الخليل.

وجاء الشعر الحديث مبنياً على نظام التفعيلة لكي يواكب حالة فقدان التوازن وفقدان الوزن هذه، ولكن.. لا الشعراء ولا مستمعوهم يهزون أجسامهم على التفعيلة. ودخلنا عصر الخاطرة، أيضاً كما أسلفنا.

وبما أنني بدأت أكرر نفسي فقد آن الأوان للانتقال إلى عنوان جديد.

ما العمل؟

حتى لا تفاجأ في آخر هذه الفقرة، فإن السؤال الذي يطرحه العنوان قد يبقى بدون إجابة شافية.

لست أدعو إلى الرجوع إلى أوزان الشعر العمودي. وما سُميت الرجعية رجعية إلا لأنها رجوع.

ولكن ذخيرتنا من الشعر العربي مليئة بكل ما هو معجّب وجميل . هي ذخيرة ، هي تراث ، وكفى . علينا أن نمشي إلى الأمام ، بشعر أو بدون شعر . الخواطر تكفيننا في هذا الزمن . وليعلم العالم أن أبرع قوم في الشعر في الدنيا قرروا نبذه .

قصتي مع الشعر قصة تستحق سطرين . فقد قرأت منه الكثير ، وصارت أبحاثه تشكل الفواصل والنقط في كتاب عيشتي . صرت أستلهم الشعر العربي في موافقي من الأشياء . به ازددت انتماء إلى العروبة . وبه اهتديت أخلاقياً في كثير من أمري . ومنه صنعت هيكلاً تاريخياً للأحداث . وهو يطربني ، ويسليني .

ولأنني قرأته قراءة جهرية في الإذاعات ، وحتى في التلفزيون ، وأكثر من ذلك ، فقد استولى علي صوتياً ، أي بصورته الأصلية . فالأصل في الشعر أن يقرع طبلة الأذن لا شبيكة العين . وعندما أقرأ شعراً بعيني الآن ، تراني أنقله فوراً إلى لساني لكي أسمعته فأتذوقه . ولهذا تراني ، إذ لا أبالي أن أقرأ الجريدة على أنغام الموسيقى ، لا أستطيع أن أقرأ بيتاً واحداً من الشعر إلا إذا خلا الجو من أي صوت موقّع .

الشعر العربي العمودي ديوان العرب ، ليس في جاهليتهم فحسب ، بل هو ديوان الناطقين بالعربية في كل العصور . وفيه اخترنوا تجربتهم الإنسانية والشعورية . لا ، لن تستطيع صناعة سيارة استناداً إلى مخزونك من الشعر العربي ، ولن تستطيع حتى أن تتخيل شكل الناقه من قراءتك لقصائد الأقدمين - وأنصح للراغبين في معرفة شيء عن النياق أن يتفرجوا على فلم وثائقي في ديسكفري ، فذلك خير لهم - ، لكن الشعر العربي خزان مشاعر ومواقف وأخلاقيات . بعضها منحرف عما نراه صحيحاً ، فعندنا من شعر الغزل بالمذكر الكثير .

لن نستغني عن الشعر العمودي لبضع مئات من السنين . سيظل هو السجلات القديمة التي فيها وجدان العرب .

التمسك الزائد بالشعر العمودي ومحاولات إحيائه دليل رجعية . والطوفان الذي نشهده من كتب المختارات الشعرية القديمة ظاهرة رجعية . فالناس كفروا بالمد القومي والمد اليساري ، وأدركوا مبكراً وبحساسية مدهشة أن الاتصال بأوروبا والتشبه بها في كل شيء ليس الطريق إلى النهضة . والآن يقف العرب مذهولين ، يبتلعون أطناناً من الشطائر السريعة من مكدونالد ، ويستهلكون الفلم

الأميركي بجنون. ويسيرون في ركب هذا العالم. وهم كالغريق الذي يبلع ماء البحر، لكن ليس بإرادته. وتنتابهم صحوات يثوبون فيها إلى الدين فيتمسكون بجوهره حيناً وتفسيرات متشعبة أحياناً، ويثوبون إلى التراث الشعري القديم فيمجدونه حيناً وينبذونه أحياناً.

العرب بحاجة إلى صحوة عاقلة. صحوة يابانية. محتاجون إلى كثير من المعرفة المادية، وإلى غذاء روحي متوازن، وإلى أن يخلقوا الثروة من كدهم، وأرضهم. ستنحسر عنهم مرحلة الذيلية الحاضرة بعد بضع سنوات أو بضعة عقود، وسينهضون. وسيكون لهم صوت شعري لا أقدر أن تكهن بشكله. لكنهم سيجدون دائماً في شعرهم القديم جذوراً ثقافية مهمة.

من هنا يحتاجون إلى التعرف على تراثهم الشعري.

فضيلة هذه المجموعة التي أسعى في تقديمها أنها معاصرة.

أما ما العمل؟ فأرى أن نستمر في تدريس أبنائنا الصغار قصائد أجدادهم، في مختلف العصور، وأن نزيد جرعة الشعر ذي التفعيلة، وأن نضع ما يسمى بقصيدة النثر ضمن باب الخواطر، وألا نكثر منه، فلا الأولاد سيفهمونه، ولا هو ذو شأن كبير. أما لمن يريد أن يكون شاعراً فأقول: منذ متى يأخذ الشاعر نصائح النقاد؟ انصرف.

مقاييس الاختيار

كنت لك كل الكلام السابق وفي ضميري هدف خفي. أردت أن تعرف من أنا وكيف أفكر وكيف أتكلم، وكيف تتداعى أفكاري، وكيف أسكبها في اللغة، وذلك حتى تعرف مقاييسي في اختيار الشعر. فالمقياس هو أنا، إنه مقياس ذاتي محض. إذا أرسلت ابنك إلى السوق فسوف يشتري من المكسرات ما لا يلائم أسنانك المخلخلة، ومن الحلوى ما لا يلائم السكري الذي معك. سيشتري على هواه. وإذا كان بارأ، مثلي، فسوف يحضر لك علبة مياه غازية دايث.

صنعت صنع ذلك الصبي. اخترت أساساً ما يطربني، ثم إنني كنت أمر بالبيت الذي أعرف أنه يستهوي اللاهين فأختاره لهم، ولست باللاهي؛ وقد أمر بالبيت الذي يعجب المتزمتين الجادين كل الجد، فأخذه في طريقي، وما أنا بالمتزمت ولا الكثير الجد.

اخترت الأبيات التي سلمت فيها اللغة، وسلم فيها الخيال، والتي فيها معنى غريب، والتي لها وقع على الأذن جميل، والتي فيها صدق، والتي كانت الصناعة فيها أقرب إلى الفن وأبعد عن التعمل. واضطرنني الربط بين الأبيات الجميلة إلى أبيات ليس فيها رواء. ولا بد بين الروض والروض من ممر مفروش بالحصباء.

كنت أختار الأبيات الرائقة، ويزدهيني عملي. وأتلهذ بحصول هذا الكثر الثمين في قبضتي. ثم أقرأها فأجد في المعنى قفزة هنا أو هناك، فأجد بيتاً يصلح جسراً فأختاره. وأدق القصيدة على الحاسوب بيدي وأراها بدأت تتخلق خلقاً جديداً، وتصنع لنفسها موقعاً في قلبي. وقد أعود إلى القصيدة الأمّ باحثاً عن جسر.

وقد أقرأ قصيدة في ديوان الشاعر تكون مغسولة من أولها إلى آخرها، ليس فيها بيت يهزني. فأهملها الإهمال كله. وقد أقرأ قصيدة ليس فيها سوى بيت واحد فيه بريق، فأختاره ولا أختار غيره، وقد أشد أزره بأخ يسبقه لغير ما علة سوى أن يسمع القارئ رنين القافية تتكرر على أذنه.

قد أجد بيتاً قامت عليه ضجة نقدية، لعيب فيه. فإذا كان سخيلاً مردولاً، كقلاقل المتنبي، تركته دفين ديوانه، فإن بعثه ناقد لغرض فذلك من شغل الناقد. وإن أراد قارئ أن يقرأ رديء المتنبي أو رديء شوقي فالديوانان موجودان، ولم أزعم قط أن مختاراتي تلغيهما. وإن كان البيت المعيب في لفظه يضم فكرة لها بريق اخترته لفكرته، وتشجعتي الضجة النقدية على اختياره. وقد يكون للبيت قصة طريفة، فأتحمس له حتى لا تفوت القارئ هذه القصة. وقد يكون البيت حزيناً باعثاً على الكآبة، فأريد أن أشرك القارئ معي في اكتسابي به. أو باعثاً على الانشراح والسرور، أو مستنهضاً للهمة، أو مادحاً لفضيلة أو لرديلة بأسلوب فيه فن وفيه جمال، فهذا كله مما أريد إشراك القارئ فيه. وما اختياري الخمریات إلا من هذا الباب. وإلا فأبي خير في الخمر؟ لكن الشعراء عبروا في وصفها وفي وصف مجالسها عن كثير من تمردهم ومن بوهيميتهم، واستثمروا في ذلك فناً كثيراً.

كنت أقرأ الشعر في وسيلة إعلام قبل أشهر فقط. فاخترت أبياتاً في مدح جمال عبد الناصر لنزار قباني، واخترت في مرة أخرى أبياتاً في هجائه لبديوي الجبل. وكنت في كلتا الحالتين سعيداً بما اخترت، وقرأت هذه وتلك

بالحماسة نفسها . وأما موقفي من عبد الناصر فلا أظنه يعينك .

أحب من الشعر الجزل . والجزالة هي الصلابة في الحطّ . والحطبة الصلبة تشتعل طويلاً وتدفع كثيراً . والشعر الجزل موجز مكتنز لا ترى به كلمات زائدة . والكلمة فيه مشحونة بالمعنى شحناً .

وأحب من الشعر المهلهل الذي رق نسجه وانساب انسياباً ، فأنت تفهمه بالسرعة التي بها تسمعه . فلا تكذ ذهك في ألفاظه ولا في معانيه .

وأحب الشعر الصادق . يقف أبو الطيب أمام سيف الدولة شاكياً باكياً صارخاً يقول : أنت لا تحبني كما أحبك ، وتحب الآخرين وهم لا يحبونك ، ظلمتني ، وأنا أحسن واحد في الدنيا ! فما هذه المعاني ؟ أليست كأحط ما تسمعه من موظف يزعم أن مديره تخطاه في الترقيات ؟ ثم تجد نفسك تترنم بقصيدة أبي الطيب تلك ، ثم تلقى العرب قد ترنموا بها ألف سنة . هذا لما فيها من صدق . ولما فيها من فن أيضاً .

أنا لا أحاكم معاني الشعر محاكمة عقلية محضة ، وإلا لكنت خسفت الأرض بكل شعر العرب وغير العرب .

أحب ، ككل عاقل متزن ، شعر الهجاء . فهو أصدق من غيره . وفيه فكاهة غالباً . وقد تجر الفكاهة والحدق الشاعر فيكذب في هجائه ويجعل المهجو إيليساً . هذا كذب في الوقائع فقط ، أما في وصف نفسية الشاعر فالمبالغة في الهجاء هي الصدق كله . وشبطنه المهجو ونزع كل صفة حميدة عنه ضرب من الشعر . ولعل الهجاء المقتصد أشد إيلاماً . ووالله للقول إن فلاناً «سخي اليد واسع العلم لكنه جبان» أوجع له من القول إنه «خسيس بخيل جبان» .

أحب من شعر الرثاء والمديح ما كان صادقاً ، وهذا نادر . وأحب منه ما كان عامراً بالفن ، وهذا كثير . وقد رأيت نفسي - عندما اخترت من شعر المتنبي - أخذ من مدحه لسيف الدولة أضعاف ما أخذ من مدحه لكافور ، وذلك لفضل ما بين الصادق الجميل ، والكاذب الجميل .

أبحث عن الأبيات التي تنطلق من لاوعي الشاعر انطلاقاً يتعجب هو نفسه منه . هذه الأبيات التي يعصرها الشاعر من أعماق وجدانه دون جهد الاعتصار . هذه وثبات نادرة . وأنا قاعد لها ، متحفز ، محدق بأذني تحديقاً متواصلاً حتى أتصيدا لك .

وتعجبني أبيات الحكمة، ما كان منها أصيلاً وجديداً، وما كان مصنوعاً.
ويعجبني الشعر في المنيب، وشعر النواح على الشباب؛ صار يعجبني
الآن أكثر. والصادق منه، كالصادق من كل شعر، أحلى.

ويعجبني وصف الخمر؛ ويعجبني أكثر، وصف مجلسها.
أحب الشاعر يباهي بشعره، وأحبه أكثر وهو يصف صنعة ويحدثنا كيف
أدرك النعاس ربة الشعر وهو قد توسط لجة القصيدة، وكيف راح يوقظها،
ويرقق لها الهمس حيناً، ويغلظ لها الشكوى حيناً، وهي تغط في سباتها.
أحب الشاعر يعترف بدناءة اقترفها، ويعجبني المفتخر بسموه من غير
تنفج. والمفتخر بقومه يعجبني إن كان صادقاً. والهاجي عشيرته يعجبني.
الصدق هو المحك.

ويكذب الشاعر، فإن كذب ظريفاً فهذا شعر، وإن كذب ثقيلاً دم تركت
كذبه في ديوانه وسترته عليه.

وقد أتعبني الشعراء وأنا أتعبهم بالستر. أستر رديتهم فلا أشير إليه؛ وأستر
أغلاطهم فيما أخذت منهم من شعر حلوا لكن به خللاً، وأتمحل لهم وجهاً في
غوامضهم. وهدفي على الجملة هو أن أجلو لك الشاعر وأقدم خير ما قال.

وأحسن بالشاعر إن كان ينظم مرتاحاً أو كان يتجشم. وتقاليد الشعر العربي
الصارمة - التي زادها كره الدهور شدة - تقاليد فضيحة، تخبرك عن الشاعر بأكثر
مما يقول من كلمات، وتنبئك إن كان ينحت من صخر أو يغرف من بحر.

يعجبني البيت تقعد في آخره كلمة القافية مرتاحة، كأنها جاءت لموقعها
عبر صندوق الاقتراع، ولا تجد كلمة أخرى تصلح لتحتل مكانها.

يعجبني بعض الشعر الذي لغته صعبة، وأشترط فيه كي يعجبني فأختاره صدقاً
كثيراً وجمالاً كثيراً. فأنا، بعد، أنقي بذوقي المعاصر لقارئ معاصر. فإذا أسرف
الشاعر في الوقوف والاستيقاف تراني اكتفي بأبيات قليلة. وأنا أفضل البيت السهل
على البيت المغلق. فإن انفتح لي المغلق بجهدٍ ويقاموسي وبما تيسر من شروح
القدماء، فلي فيه طريقتان: إن وجدت وراء كلماته الكالحة وأسلوبه الملتوي معنى
بديعاً أخذته وتوكلت على الله في شرحه شرحاً وافياً، وإن وجدته بعد كل ما بذلت
في فهمه عادياً أطرحته أطراحاً واحتسبت عنائي في فهمه. وقد وجدت الصدق
لصيقاً بالبيت السهل، والتصنع لصيقاً بالبيت المغلق المعقد، فهذه من نعم الله.

يعجبني شاعر يجترئ على اللغة، وشاعر يحترم اللغة. وقلّ شاعر اجترأ عليها إلا وهو يحترمها.

ولا أخوض في النحو والصرف في شرحي. وحسبي أن أضبط الأبيات بالشكل، وألا أدخر جهداً في ضبطها الضبط الصحيح. ولا أكثر أن تكون لغتي وأنا أشرح البيت فصيحة كل الفصاحة. لا بل أضطر إلى كثير من الركاقة حتى أظل سائراً مع البيت بنفس ترتيب كلماته وأفكاره. وأسعى أن أضع في مكان الكلمة الصعبة كلمة تطابقها في المعنى وفي الاشتقاق، وفي هذا مشقة غير قليلة. وأرى الشاعر يسهل الهمزة ويصرف الممنوع ويمنع المنصرف، فلا أجاريه، فهو معذور، وأنا غير.

وألقيت القارئ بين الفينة والفينة إلى بيت مشهور، أو بديع، أو إلى بيت أحبه كثيراً، فأجعله بالحرف السميكة.

الشاعر بجيده لا برديته. وقد اخترت أجود الشعر. فمن أراد دراسة حياة شاعر من شعره دراسة أكاديمية فليرجع إلى ديوانه. أما من أراد أن يقرأ خير ما قال هذا الشاعر فأنا له، على المقاييس التي بسطتها فيما مضى.

الشاعر الشاب

في هذا الفصل ما اخترته من شعر شوقي في القرن التاسع عشر، والرجل عاش اثنتين وثلاثين سنة في القرن التاسع عشر، ومثلها في القرن العشرين. والقصائد مرتبة تاريخياً. على أنني جعلت القصائد القصصية، ومعظمها على لسان الحيوان، معاً في آخر هذا القسم، وهي على كل حال تتبع هذه الفترة من حياة شوقي. وقد اعتمدت في الترتيب على ما ذكرته «الموسوعة الشوقية» و«الشوقيات المجهولة». ولكنني لم أذكر التاريخ عندما شعرت بوجود تناقض. وشعر شوقي كله محتاج إلى تحقيق تواريخ نظمه بالاستعانة بصحف ذلك الزمان. وهذه مهمة لم أتصدّ لها.

١ عنقود في ماء ملح

قال شوقي (وهو تلميذ في الثانوية):

إفريقيّا قِسْمٌ مِنَ الْوُجُودِ فِي شَكْلِهِ أَشْبَهُ بِالْعُنْقُودِ

إفريقيا جزء من الكون، وهذا الجزء أشبه ما يكون في شكله بعنقود العنب. في هذا البيت سذاجة شوقي الفنى، لكن فيه أيضاً طريقة القدماء في أراجيزهم التعليمية. وكان شوقي في أيام التلمذة يقرأ كشكول بهاء الدين العاملي المليء بأمثال هذه الأراجيز

وَذَلِكَ الْعُنْقُودُ فِي الْمَاءِ أَنْغَمَرُ مَا أَمْلَحَ الْمَاءُ، وَمَا أَحْلَى الثَّمَرُ
العنقود منغمر في ماء البحار والمحيطات التي تكتفه، فما أملح الماء وما أحلى الثمر! فكرة
حلوة، تنبئ عن أن عقل الصبي فيه شعر وفيه غوص على المعاني. وهل ترى جاءت المطابقة بين
كلمتي «أملح» و«أحلى» عفواً؟ وهل التورية في كلمة «أملح» وحدها جاءت عفواً (فمعناها المقصود
أشد ملوحة، والمعنى الذي تستدعيه عبارة «أحلى الثمر» أشد ملاحظة)؟ لعل كثيراً من ألاعب
شوقي اللقضية يأتيه عفواً، أي يتداعى لاواع. لكنه في الجانب الأعظم صانع صانع

مَدَّتْ إِلَيْهِ يَدَهَا أُرُوبَا مِنْ فَوْقِهِ، كَمَنْ يَرِيدُ الْحَبَا
مدت أوروبا يدها إلى العنقود من الأعلى كأنها تريد أن تأخذ الحب. أهو يصف شكل الخريطة
فقط، أم أنه واعٍ نهب الإنجليز والفرنسيين لمصر، وكان النهب متصلاً من نيف وعشرين سنة؟

وَأَسِيَا بِالْجَنْبِ كَالْمَحْتَالِ تَنْقُصُهُ مِنْ شَرْقِهِ الشَّمَالِي
آسيا من الجانب تقضم جزءاً من إفريقيا من شمالها الشرقي. دقة في وصف الخريطة، فبناء التي
هي جزء من آسيا تبدو وكأنها مقضومة من جسم إفريقيا

وَيَبْنَ هَذَيْنِ تَرَى الْقَنَا لَا يَتَّصِلُ الْمَاءُ بِهِ اتِّصَالَا
بين أوروبا شمالاً، وآسيا في الشمال الشرقي يقع قنال السويس

أَنْشَأَهُ إِسْمَاعِيلُ عُنْوَانَ الظَّفَرُ فَوَقَعَ الْحَافِرُ فِيمَا قَدْ حَفَرَ
أنجز القنال في عهد إسماعيل الذي احتفل بتمام حفره احتفالاً عظيماً، لكنه وقع في شر تبذيره.
في استخدام كلمتي «حافر» و«حفر» دقة في اللغة وخفة روح، فالقنال حفر حفراً، ومن حفر حفرةً
وقع فيها، والحافر أيضاً هو حافر الفرس، ولست على يقين من أن شوقي قصد هذه. قد قال
صاحب «الموسوعة الشوقية» إن القصيدة فيها خلل في الوزن في بيتين هما:
بشت شكواي فذاب الجليد/وأشفق الصخر ولان الحديد - وقلبك القاسي على حاله/هيهات بل
قسوته تزيد

وقال إن القصيدة ارتجال. فأما أنها ارتجال فمحال، فهي مصنوعة صناعة متقنة. وأما الغلط فغلط
في النسخ، والبيان بعد التصحيح يؤولان إلى:
بشت شكواي فذاب لي الجليد/وأشفق الصخر ولان لي الحديد - وقلبك القاسي على حاله/
هيهات بل قسوته تزيد

الصبي الذي قال هذه القصيدة بلغ في «صناعة» الشعر مبلغ من لا يغلط في الوزن هذا النوع من الغلط،
لا بل هو يلمب بالكلمات لعباً يبعث على الدهشة. وليس شوقي، بعد، بالمعصوم عن الغلط في
الوزن، وقد نهه إبراهيم اليازجي سنة ١٨٩٧ إلى أنه خلط بين السريع والمنسرح مرتين في قصيدة

٢ الجدة الحنون

لِي جَدَّةٌ تَسْرُافُ بِي أَحْسَنِي عَلَيَّ مِنْ أَبِي
لي جدة تعطف علي، وهي أشد حُزناً علي من أبي

وَكُلُّ شَيْءٍ سَمَرٌ نِي تَذْهَبُ فِيهِ مَذْهَبِي

وكل شيء يسعدني توافقي عليه

مَشَى أَبِي يَوْمًا إِلَيَّ مَشْشِيَّةَ الْمَسْوَدِّ

مشى أبي يوماً نحوي يريد تأديبي

غَضَبَانِ قَدْ هَدَّدَ بِالضَّرِّ رَبِّ، وَإِنْ لَمْ يَضْرِبْ

وكان غضبان يهدد بضربي، وإن لم يفعل

فَلَمْ أَجْذَلِي مِنْهُ غَيْبَ رَ جَدَّتِي مِنْ مَسْهَرَبِ

فَجَعَلْتَنِي خَلْقَهَا أَنْجُو بِهَا، وَأَخْتَبِي

وَفِي تَقْوُلٍ لِأَبِي بِلَهْجَةِ الْمَوْئِبِ

لم أجد مهرباً سوى جدتي، فوضعتني خلف ظهرها، وأخذت تقول لأبي بلهجة تأنيب:

وَيَسُخُّ لَهُ، وَيَسُخُّ لَهُ هَذَا السَّوْلِدِ الْمَعْدَبِ

مسكين هذا الولد الذي يلاقي منك التعذيب،

أَلَمْ تَكُنْ تَصْنَعُ مَا يَصْنَعُ إِذْ أَنْتَ صَبِي

ألم تكن تصنع مثله وأنت صبي؟ القصيدة ناضجة في مغزاها على سهولتها وخفتها، ولم نتحقق من

تاريخ نظمها، لكنها ليست مما يقوله صبي

٣ كوثر الدنيا

النَّيْلُ الْعَذْبُ هُوَ الْكَوْثَرُ وَالْجَنَّةُ شَاطِئُهَا الْأَخْضَرُ

النيل العذب (وكأن هناك نيلاً بلحاً) هو نهر الكوثر (نهر الجنة)، وشاطئه الأخضر هي الجنة

رِيَّانُ الصَّفْحَةِ وَالْمَنْظَرُ مَا أَبْهَى الْخُلْدَ وَمَا أَنْضَرُ

النيل ريان (جميل) الصفحة (السطح) والمنظر، فما أجمل الخلد (الجنة)، فهو نهر الجنة لا راح ولا جاء. هذا البحر المتدارك ينساب بليقاع يشغل الأذن عما في البيت من حاجة إلى ربط عجزه بصدرة

* * *

الْبَحْرُ الْفَيَاضُ الْقُدُسُ السَّاقِي النَّاسَ وَمَا عَرَسُوا

البحر (نهر النيل) الفياض (المتلئ) القدس (المبارك) هو الساقى الناس والساقى ما زرعوا

وَهُوَ الْمُنَوَالُ لِمَا لَبَسُوا وَالْمُنْعِمُ بِالْقَطَنِ الْأَنْوَرُ

والنيل كأنه المنوال (آلة النسيج) لملابسهم، إذ ينعم عليهم بالقطن الأنور (ذي التوار الأبيض)

* * *

جَعَلَ الْإِحْسَانَ لَهُ شُرْعاً لَمْ يُخْلِ الْوَادِي مِنْ مَرْعَى
 جَعَلَ النَّيْلَ الْإِحْسَانَ شُرْعاً (أُسْلُوباً) لَهُ . وَلَمْ يُخْلِ الْوَادِي (لَمْ يَتْرَكِ الْوَادِي يَخْلُو) مِنْ مَرْعَى
 فَتَرَى زَرْعاً يَتَلَوَّزُ زَرْعاً وَهَنَا يُجْنَى، وَهَنَا يُبْلَزُ
 الحقول متراصة، فهنا يجني الفلاحون الثمار وهناك يذرون

* * *

جَارٍ وَيُرى لَيْسَ بِجَارٍ لَأُنْثَاءٍ فِيهِ وَوَقَارٍ
 النيل يجري، ولا نلاحظ أنه يجري لما فيه من الأنثاء (الثاني) والوقار

يَنْصَبُ كَيْلٌ مُنْهَارٍ وَيَضِجُ فَتَحَسُّهُ يَزَارُ
 ثم إذا به يصب ماءه صباً كالثلج المنهار، ويهدر (يضج) فتحسه يزار كالأسد. ويترك لنا شوقي أن نفهم وحدنا أن الحالة الثانية هي نقيض الأولى، فالنيل الآن غادر وقاره وتأنيه، ولم يمهّد الشاعر للانتقال من الحالة إلى نقيضها

* * *

حَبَشِيٌّ اللَّوْنُ كَجَبْرِتِهِ مِنْ مَنبَعِهِ وَبَحِيرَتِهِ
 النيل معكّر المياه لما حمله من طين، فلو أنه دأب كلون أهل الحبشة الذين هم جيرانه في المنع من جبالهم، وكذا جيرانه الآخرون في بحيرته فكتوريا. سيكتب شوقي في أخريات حياته أغنية لعبد الوهاب تبدأ بـ «النيل نجاشي حلوبة أسمر»

صَبَغَ الشُّطَّيْنِ بِسُمْرَتِهِ لَوْنًا كَالْمَسْكِ وَكَالْعَنْبَرِ
 وهو يلقي طينه على شاطئيه فيسمر لونهما، ويصبح كلون المسك البني الداكن، أو العنبر (وهو داكن اللون في الغالب)

٤ العبث

قال شوقي ضمن رثاء الأميرة نفيدة هانم (١٨٨٩):

النَّفْسُ تَرْغَبُ فِي الدُّنْيَا، وَمَا حَصَلَتْ مِنْ الْحَيَاةِ عَلَى صَفْوٍ يَلَا كَدَرٍ
 النفس ترغب في الدنيا وهي ما حصلت من الحياة على صفو (سعادة) خالص من التكدير

وَلِلْحَيَاةِ مَدًى، وَاللَّهُ يَعْلَمُهُ مَا أَشْبَهَ الطَّوْلَ فِي الْأَعْمَارِ بِالْقَصْرِ

للحياة مدى علمه عند الله. ولكن، بما أن كل الحياة عبارة عن صفو مختلط بالتكدير، فالطول والقصر في العمر سيان. كأني بالعقاد يقف لشوقي قائلاً: «بربك هل الحياة لها مدى؟ كذا والله نظنها أبدية! وهل يعلم الله حقاً هذا المدى؟ ما أعجب

ما أتيت به! ولكن الشعر لا يقوم على المعنى وحده. ومع ذلك فالتصنيف الثاني من البيت له رنة جميلة، ومعناه يفضي إلى تفكير في العمر وطوله. حقاً إذا كانت سنوات العمر أشبه بالخبز البلدي المخلوط بالرمل فلا فرق بين أن تأكل رغيفاً أو خمسة. وقد سخر العقاد في كتابه الديوان من طريقة شوقي في الرثاء سخريه بلغ بها في الإضحاح منك الخواصر. تعليق عمران القفيني: «إعجابنا أنت وأنا بشوقي عجب، حتى إذا أردنا نقده بحثنا عن لسان آخر واستأجرناه للتعليق»

٥ عبدك وابن عبدك

قال يهنئ الخديوي محمد توفيق بعيد الجلوس (١٨٨٩):

شرفاً أبا العباس، هذا مُلْكُ مصر سرّ وذي خزائنُهُ، وذلك دَسْتُهُ
أزدد شرفاً يا أبا العباس، فهذا ملك مصر، وهذي خزائنه (قال يوسف لملك مصر: «اجلني على خزانتي الأرض» يوسف ٥٥)، وهذا الدست (مجلس الحكم) كلها لك. قال البحري «شرفاً بني العباس إن أباكم/عم النبي وعيصه المتفرع»

مُلْكٌ كَبِيرٌ جَاءَ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ قَدْماً نَعْتُهُ
ملك كبير ورد في التوراة والإنجيل والقرآن قَدْماً (في الزمن القديم) نعتُهُ (وصفه)

مولاي! عُذْراً إِنَّ لِي فِكْراً أَبْتُ إِلَّا الرُّفَافَ إِلَى عَفَافِكَ سِنْتُهُ
مولاي! اعذرنني على السكوت حتى الآن فإن لي فكراً أَبْتُ به إلا أن تُرَفَّ إلى مقامك العفيف (جعل «بنات الأفكار» بنتاً وزفها إلى الخديوي)

فاسمِعْ لِعَبْدِكَ وَابْنِ عَبْدِكَ مَنْطِقاً مُتَطَايِراً بِكَ فِي الْقَوَافِي صِبْتُهُ
فاسمع لعبدك وابن عبدك (وأبو شوقي كان في حاشية الخديوي) منطقاً (كلاماً) صيته يتطايّر بذكرك على هيئة قوافٍ. رنين وقمعة. وتكثيف لغوي مفعم بالإيحاء، وإن كان فيه كثير من لِيْ أَعْتِاقِ التعابير. هذا، إلى سِنَادٍ رَدَفَ أَجَازَهُ شَوْقِي لِنَفْسِهِ وَرَكَبَهُ فِي أَكْثَرِ مِنْ مَوْضِعٍ

٦ الوفاء وعدمه

قال شوقي (١٨٩٠):

إِنَّ الْوَفَاءَ سَبَاحُ أَخْلَاقِ الْفَتَى مَنْ حَازَهُ حَازَ الْمُحَامِدَ أَجْمَعاً

الوفاء سباح يحمي أخلاق الإنسان، فمن حازه (مَلَكَهُ) حاز المحامد (الفضائل) كلها

كَمْ مِنْ لَبِيبٍ كَانَ يُرْجَى نَفْعُهُ لَكِنْ أَبَى عَدَمُ الْوَفَا أَنْ يَنْفَعَا
كثيراً ما لقينا عاقلاً رجونا منه النفع، لكنَّ عَدَمَ وفائه منع حصول هذا النفع

٧ لا مثيل لها

قال شوقي يمدح الخديوي محمد توفيق (١٨٩٠):

يا مُكْرَمَ الشُّعراءِ كَمْ مِنْ آيَةٍ لي فيكَ ليسَ لِشاعرٍ تبدِيلُها
يا مكرم الشعراء كم من آية (قصيدة كأنها في بلاغتها آية) قلتها فيك، ليس لشاعر تبديلها. فهي
كأي الكتاب الحكيم الذي لا تبديل له

ويزِيدُها مَرُّ الزَّمانِ حلاوةً حتى يَلْدُ لأهلِهِ ترتِيلُها
يزيد مَرُّ (مرور) الزمن «آياتي» حلاوة، حتى يلدُّ (يطيب) لأهل الزمن ترتيلها، وليس قراءتها فقط

أَلْبَسْتَنِي حُلَّ القَبولِ، فَنَلْتُ شأ وأ في القوافي لَمْ يَنْلُهُ فُحولُها
ألبستني حلل (أنواب) القبول، فملت شأواً (مدى) في القوافي (القصائد) لم ينله فحول القصائد

فإِلَيْكُها عذراء لا يُرجى لها وَضَلَّ، ولا باعُ الشُّيوخِ يطولُها

إليكما (خذها) قصيدة عذراء (مبتكرة) لا رجاء في وصلها (علاقة معها)، كالحال مع
الفتاة العذراء؛ ولا يطولها باع الشيوخ (فحول الشعر). قال «الشيوخ»، ولم يقل
الفحول، لأنه شبه القصيدة بالعذراء فجعل الشعراء شيوخاً كباراً في السن، فزادهم
بعداً عن عذرائه. وهذا من التكثيف اللفظي والمعنوي عند شوقي. وفي الشعر شبه
من الدعاية التلفزيونية، تكون الدعاية مكتظة بالصور وملينة باللفئات الكثيرة فتشاهدها
المرءة تلو المرة وتكتشف في كل مرة شيئاً جديداً

تهتَزُّ أعطافُ الملوكِ لِمثْلِها لو كانَ يوجدُ في القريضِ مثيلُها
تهتز أعطاف (خصور) الملوك طرباً لمثل هذه القصيدة، هذا لو كان يوجد في القريض (الشعر)
مثيل لها

٨ خدعوها

قال شوقي (١٨٩١):

خدعوها بقولهم: حَسَناءُ والقَواني يَفْرُغُنَّ الثَّنَاءُ
خدعوها بقولهم إنها حسناء. والقواني (الجميلات) يفرغن الثناء

أَثَرُها تَناسَتِ اسمي لَمَّا كَثُرَتْ في غَرائِها الأَسْماءُ
هل تناست اسمي عندما كثر المغمرون بها كثرة صاروا معها مجرد أسماء؟

إِنْ رَأَيْتَنِي تَمبِيلُ عَنِّي، كانَ لَمْ تَكْ بَيْنِي وَبَيْنَها أَشْياءُ
إن رأيتني تنحرف عني كأنه لم يكن بيني وبينها أشياء. «أشياء» هذه ملينة بالظرف والشعر، وفيها
فخر الرجل وكذبه وتشدقه

نظرة، فابتسامة، فسلام فكلّام، فموعد، فلقاء

بيت كهذا لا يتاح إلا في الفلوات

ففراق يكون فيه دواء أو فراق يكون منه الداء

ثم الفراق الذي إما أن يشفي الصدر من العلاقة، أو يكون داء (مرضاً) للقلب

يوم كُنّا، ولا تسَلْ كيف كُنّا نَهْادى مِنَ الهوى ما نشاء

أندكر كيف كنا، ولا تسَلْ (تسأل) كيف كنا! كنا نتهادى (نتبادل كالهدايا) ما نشاء من لوازم الغرام كالقبل والهمسات

وعليّنا مِنَ العَفافِ رقيبٌ تعبّت في مِراسِهِ الأهواءُ

وكان علينا رقيب هو عفافنا (والعفاف هو الامتناع الجنسي بانتظار الفرصة الأفضل)، وهو رقيب تعبت في مراسه (مغالبته) أهوائنا (رغباتنا)

جاذبني ثوبي العَصِيّ، وقالتُ: أنتمُ الناسُ أيُّها الشعراءُ

جاذبني (كانت تشد وأنا أشد) ثوبي العصي (الممتنع)، - كما فعلت امرأة العزيز بيوسف عندما جاذبته قميصه طلباً للفعل الجنسي -، وقالت لي: أنتم فقط الناس أيها الشعراء، فلا أحد غيركم جدير بالاهتمام

فاتقوا اللهَ في قلوبِ العذارى فالعذارى قلوبُهُنَّ هواءُ

وقالت: اتقوا الله في قلوب العذارى، فقلوبهن رقيقة كالهواء. كتب أحمد شوقي في مقدمة الشوقيات (١٩٠٠): «رفعت إلى الخديوي السابق [محمد توفيق] قصيدتي التي مطلعها: خدعوها بقلوبهم حسناء/ والغواني يغرهن الشناء، والتي غزلها في أول الديوان، وكانت المدايح الخديوية تنشر يومئذ في الجريدة الرسمية وكان يحررها يومئذ أستاذه الشيخ عبد الكريم سلمان فدفعتم القصيدة إليه، وطلب منه أن يسقط الغزل وينشر المدح فود الشيخ لو أسقط المدح ونشر الغزل. ثم كانت النتيجة أن القصيدة برمتها لم تنشر»

٩ نومة القلم موت

قال شوقي بمدح عباس حلمي الثاني (١٨٩٣):

قُلْ لِرَاجٍ أَنْ يَسْتَرْقَ يِرَاعِي أنا لا أَشْتَرِي بِذَا التَّاجِ قَيْدًا

قل لمن يرجو أن يترق يراعي (يستعبد قلبي) إنني لا أرضى قيداً سوى ارتباطي بتاج مصر

نَوْمَةُ السَّيْفِ قَدْ تَكُونُ حَيَاةً وَرَأَيْتُ الْيِرَاعَ إِنْ نَامَ أَرْدَى

نوم السيف في غمده قد يسبب بقاء الحياة للناس وإبعاد شبح القتل عنهم، وأما القلم فإذا نام عن الكتابة أوردى (قتل) المجتمع بنومه

خَلَقَ اللَّهُ ذَاكَ صَاحِبَ غَمْدٍ وَبَرَا ذَا لَا يَعْرِفُ الدَّهْرَ غَمْدًا
وقد خلق الله السيف وخلق له غمدا (غلافاً)، وبرأ (خلق) القلم لا يُعَمَدُ أبد الدهر

١٠ كبار الحوادث في وادي النيل

ألقاها في مؤتمر المستشرقين المنعقد في جنيف بسويسرا في سبتمبر (١٨٩٤)، وكان مندوباً عن مصر:

هَمَّتِ الْفُلُكُ، واحتواها الماء وَحَدَّاهَا بِمَنْ تُقِلُّ الرِّجَاءُ

همت الفلك (السفينة) بالرحيل، ثم احتواها الماء، وحداها (سيرها) بمن تقل (تحمل) رجاء الوصول بسلام. فكان السفينة ناقة يحدها (يعني لها) الحادي؛ وما الحادي سوى الرجاء. ما أخلق مؤلفي كتب البلاغة المدرسية أن يجدوا في مثل هذا البيت مادة لتعذيب التلامذة!

قُلْ لِبَنِي بَنِي فَشَادَ فَعَالِي: لَمْ يَجْزُ مِصْرَ فِي الزَّمَانِ بِنَاءُ
قل لمن بني الصروح ويبالغ في رفعها: لم يجز (يتفوق على) مباني مصر في كل الزمن أي بناء

زعموا أنها دعائمُ شِيدَتْ بِيَدِ الْبَغْيِ، وَلَوْهَا ظُلُمَاءُ
زعموا أن مباني مصر، كالأهرام، دعائم للملك العظيم شيدت (بُنيت) بيد البغي (الظلم)، وأن المباني مليئة بالظلام - ظلام تسخير الناس -

فَاعْذِرِ الْحَاسِدِينَ فِيهَا إِذَا لَا مَوَا، فَصَعَبٌ عَلَى الْحَسُودِ الشَّاءُ

اعذر الحاسدين في شأنها إذا لا مواء، فصعب على الحسود أن يمنح

لَا رِعَاكَ التَّارِيخُ يَا يَوْمَ قَمْبِيَّةٍ زَرْ، وَلَا طَنْطَنْتُ بِكَ الْأَنْبَاءُ

لا رحمك التاريخ يا يوم (غزو/ وأيام العرب غزواتها) قمبيز (ملك الفرس)، ولا طنطنت (رددت) الأنباء بذكرك

بَنَتْ فِرْعَوْنُ فِي السَّلَاسِلِ تَمْشِي أَزْعَجَ الدَّهْرَ عُرْيُهَا وَالْحَفَاءُ

هذه بنت فرعون تمشي في قبورها، وعريها وحفاؤها يزعجان الدهر (أحرار الناس على مر الدهر)

فَكَأَنَّ لَمْ يَنْهَضْ بِهَوْدَجِهَا الدَّهْرُ رُءُ، وَلَا سَارَ خَلْفَهَا الْأَمْرَاءُ

كأنما لم يحمل الدهر نفسه في أيام العز هودجها (والهودج إنما يحمله الجمل أو الفيل لا الدهر)، وكأنما لم يكن يسير خلفها الأمراء

وَأَبُوهَا الْعَظِيمُ يَنْظُرُ لَمَّا رُدِّيتْ مِثْلَمَا تُرْدَى الْإِمَاءُ

وأبوها العظيم كان ناظراً عندما رُدِّيتْ (أُلْبِست) كما تُلبس الإماء (الجواري)

أَعْطَيْتُ جَرَّةً، وَقِيلَ إِلَيْكَ النَّهْرُ هَرَّ، قَوْمِي كَمَا تَقُومُ النِّسَاءُ

أعطيت بنت فرعون جرة، وقيل: إليك (ها هو) النهر، قومي كنيزك من النساء!

فَمَشَتْ تُظْهِرُ الْإِبَاءَ، وَتَحْمِي الدَّ - مَعَ أَنْ تَنْتَرِقَهُ الضَّرَاءُ

مشت وفي يثيتها الإباء (العِزَّة)، وهي تحمي دمعها من أن تنترقه (تستعبد) الضراء (المصيبة)

وَالْأَعَادِي شَوَاحِصٌ، وَأَبُوهَا بِإِدِّ الْحَطَبِ صَخْرَةٌ صَمَاءُ

والأعداء شاحصون (رافعو الرؤوس)، وأبوها واقع في قبضة الحطب (المصيبة) وكأنه صخرة صماء (مصنعة) لا تعابير على وجهه

فَأَرَادُوا لِيَنْظُرُوا دَمْعَ فِرْعَوْنَ نَ، وَفِرْعَوْنُ دَمْعُهُ الْعَنْقَاءُ

فأراد الأعداء أن يروا دمع فرعون، وفرعون دمه العنقاء (الطائر الخرافي غير الموجود)، فلا وجود لشيء اسمه «دمع فرعون»

فَأَرَوْهُ الصَّدِيقَ فِي ثَوْبٍ فَقِيرٍ يَسْأَلُ الْجَمْعَ. وَالسُّؤَالُ بِلَاءُ

فأروه صديقه في ثوب يدل على الفقر وهو يسأل الناس إحساناً. والسؤال بلاء

فَبَكَى رَحْمَةً، وَمَا كَانَ مَنْ يَبِ - كَيِّ، وَلَكِنَّمَا أَرَادَ الْوَفَاءُ

عندئذ بكى فرعون رحمة له، وما كان ممن يبكون، إنما أراد منه وفاؤه أن يبكي

وَابِكُ عَمْرًا إِنْ كُنْتَ مُنْصِيفَ عَمْرٍو إِنْ عَمُرُوا لَنَيْسَرٌ وَضَاءُ

وابك، أيها السامع، عمرو بن العاص إن كنت منصفاً إياه - وما أكثر أعداء عمرو -، فعمرو نير وضاء (مشرق)

جَادَ لِلْمُسْلِمِينَ بِالنَّيْلِ، وَالنَّيْدُ - لُ لِمَنْ يَقْتَنِيهِ إِفْرِيقِيَاءُ

فقد جاد للمسلمين (تفضل عليهم) بالنيل بفتح مصر، والنيل لمن يقتنيه (يملكه)، مفتاح إفريقية

وَأَذْكَرُ الْعُرِّ آلَ أَيُّوبَ وَامْدُخْ - فَمِنْ الْمَدْحِ لِلرِّجَالِ جَزَاءُ

وأذكر الغر (المشرقين إشراقاً) آل أيوب (الأيوبيين)، وامدحهم - فلئن كان كثير من المدح ترفلاً - فإن من المدح أيضاً جزاء (مكافأة) للرجال

هَكَذَا الْمُسْلِمُونَ وَالْعَرَبُ الْخَا - لُونَ، لَا مَا يَقُولُهُ الْأَعْدَاءُ

هذه حقيقة المسلمين والعرب الخالين (الماضين)، لا ما يقوله الأعداء

لَيْسَ لِلذَّلِّ حِيلَةٌ فِي نُفُوسٍ يَسْتَوِي الْمَوْتُ عِنْدَهَا وَالْبَقَاءُ

لا حيلة للذل في الوصول إلى نفوس - كنفس أولئك العرب الفاتحين - يستوي (يتساوى) بالنسبة لها الموت والحياة. لغة شوقي الشاب (نحو ٢٦ سنة) غنية، مفعمة بالإشارات التاريخية، وتنبئ عن ثقافة عربية متينة، وهو يستعمل اللغة باقتدار ويقبلها بين يديه كيف شاء، متعمقاً حيناً، آتياً بالطريف حيناً. وهو مع ذلك يقول ما يريد، ولا تجره الألفاظ إلى أن يقول ما لا يريد. وهو يعبر عن موقف. وهذه القصيدة فيها نَفَسٌ خطابي هو نَفَسُ الشعر العربي في عصوره الزاهية. هذه القصيدة تعود إلى سنة ١٨٩٤ ففيها انعقد مؤتمر المستشرقين العاشر في جنيف. وفي مقدمة شوقي لديوانه الصادر للمرة الأولى عام ١٩٠٠ قال إن المؤتمر عقد سنة ١٨٩٦، ولعل هذا منه نسيان أو إهمال. وقد تكرر هذا الغلط في إعادة طبع مقدمة الديوان في عدة كتب. لكن مؤتمرات المستشرقين مرصودة في عدة وثائق. أول مؤتمر لهم عقد قبل ذلك بمئة وعشرين سنة في باريس، وآخر مؤتمر - فيما وصل إلى علمنا - كان مؤتمر موسكو ٢٠٠٤، وهو السابع والثلاثون. والمؤتمر الذي حضره شوقي عقد في جنيف سنة ١٨٩٤ خلافاً لما تكاد تجمع عليه الكتب ومواقع الإنترنت. لا بد أن المستشرقين هزوا رؤوسهم دهشة وهم يسمعون مندوب مصر يلقي قصيدة، بدل أن يساهم ببحث علمي. ولكننا نعرف أن شوقي صنع علاقات طيبة مع عدد من المستشرقين، ولعل حماسة هذا الشاب الشرقي لمست ركناً في نفوسهم

١١ العاقبة الأكيدة

أَرَى الْمَوْتَ عَلَى الْغَبْرِ هُوَ الْجَامِعَةُ الْكُبْرَى

أرى الموت على الغبرا (الأرض) هو الجامعة الكبرى (هو العنصر الجامع بين الناس كلهم)، فهو القاسم المشترك بين الناس كلهم

هُوَ الدَّرْبُ إِلَى الدُّنْيَا هُوَ الدَّرْبُ إِلَى الْآخِرَى

الموت هو الدرب إلى الدنيا، فلولا أن هناك ناساً يموتون لما كان ثمة موضع لناس يولدون، وهو الدرب إلى الآخرة (الحياة الآخرة)

فَإِنْ لَمْ يَكْ غَيْرُ الْمَوْتِ مِنْ عَاقِبَةِ تُدْرَى

فإذا لم يكن بعد الموت حياة تُدْرَى (تُعرف)...

فَإِنْ شِئْتَ فَمُتْ عَبْدًا وَإِنْ شِئْتَ فَمُتْ حُرًّا

فإن شئت فمت وأنت عبد، وإن شئت فمت وأنت حر، فما أقل الفرق بين عبد وحر في حياة زائلة لا يترتب عليها شيء

١٢ الدنيا بستان

وروض، كما شاء المُحِبُّونَ، ظِلُّهُ لهُم ولأسرار الغرام مَدِيدُ

رب روض (بستان) هو كما يريده المحبون، فظله تمتد يضمهم ويضم أسرار غرامهم

تُظِلُّلُنَا، والطير، في جَنَابَاتِهِ غصونٌ قيامٌ للنسيم سَجُودٌ

نظللنا، نحن والطيور في جنباته (نواحيه)، غصون ترتفع وتهبط مع النسيم (كما يقوم ثم يسجد المصلي)

وقامتُ لديها الطيرُ شَتَّى فآيَسُ بأهلي، ومفقودُ الأليفِ وحيدُ

ووقفت عند هذه الغصون أنواع الطير، فمنها الأنس (المنشرح) بأهل (بزوج)، ومنها الوحيد الذي لا أليف له

وباكٍ ولا دمعٌ، وشاكٍ ولا جوى وَجَدْلَانُ يشدو في الرُّبى وَيُشِيدُ

ومنها من يبكي لكن بلا دمع، ومنها الشاكي لكن بلا جوى (حزن)، ومنها الجدلان (الفرح) الذي يشدو (يغرد) في الهضاب ويشيد (يتغنى راضياً)

غَشِينَاهُ والأَيَّامُ تَنْدَى شَبِيبَةٌ وَيَقْطُرُ منها العيشُ وَهُوَ رَغِيدُ

غشينا الروض (أنتباه) والأيام تندى (يغلفها الندى) لما نحن فيه من حلاوة الشباب، ويقطر العيش كالعسل من أيامنا رغيداً (هانئاً)

وَنَحْكُمُ حتى يَقْبَلَ الدهرُ حُكْمَنَا وَنَحْنُ لسلطانِ الغرام عَبِيدُ

ونحكم (نصر على رغباتنا) والزمن يقبل حكمنا وينفذ إرادتنا، لكننا عبيد لسلطان الغرام

أَقُولُ لأَيَّامِ الصَّبَا كلما نَأَتْ: أما لك يا عهدَ الشبابِ مُعِيدُ

أقول لأيام الصبا كلما نأت (ابتعدت): أليس هناك من يعيدك يا عهد الشباب؟

وَمِنْ عِبَثِ الدنيا، وما عِثَّتْ سُدَى شَبَبُنَا وشِبْنَا والزمانُ وَلِيدُ

ومن عبث الدنيا، وليس عبثها سدى (جزافاً)، أننا كنا شباباً ثم شبنا والزمان ما زال وليداً. الإنسان الطبيعي كلما تقدمت به السن يظن أن «الدنيا آخر وقت» لأن الزمن تغير كثيراً إلى حد الظن بأن أشرط الساعة أخذت تظهر؛ ولكنه عندما يرى كيف يستقبل أولاده وأحفاده من الدنيا ما استبهر يوقن أن الزمان يبقى طفلاً، وأنه هو فقط الذي شاخ

١٣. دهاء

قد أتعب الأعداء مَنْ دارَهُمُ فَأَوْفَمَ عدوكَ بالليانِ وأَقْعَدَ

قد أتعب أعداءه فعلاً من داراهم. فاجعل عدوك يقوم ويقعد ويضطرب بما تبديه له من الليان (الملاطفة)

إِنَّ الْأَرَاقِمَ لَا يُطَاقُ لِقَاؤُهَا وَتُنَالُ مِنْ خَلْفِ بِأَطْرَافِ الْيَدِ

إن الأفاعي لا يطاق لقاءها من الأمام، لكنها تُنال (تُمسك) من الخلف بأطراف اليد (بالأصابع). اتخذ طه حسين، في مقال له من خمسين صفحة صغيرة سماه «حافظ وشوقي»، من هذين البيتين نكأة لكي يتحدث عن شخصية شوقي وعن نظريته إلى التجديد: «... هو لا يستقبل التجديد ولكن يستديره. وهو لا يدخل البيوت من أبوابها، ولكن يأتيها من ظهورها. وهو لا يجتد في صراحة وشجاعة وثبات للخصوم، ولكنه يجتد في لباقة ومداورة والتواء على المناهضين. وكان هذه القاعدة صيغت من طبع شوقي فسيطرت على حياته الأدبية، وسيطرت على حياته الشخصية أيضاً. فهو لم يواجه الناس بتجديد عنيف في الأدب قط. وهو لم ينهض لخصومة ناقد من نقاده، بل لم يجرؤ على أن يلقي نقاده بالعتب. إنما كان يعاملهم معاملة الأرقام، لا يلقاهاهم ولكن يأخذهم من خلف بأطراف اليد. يغري بهم ويؤلب عليهم، ثم يلقاهاهم باسمًا مراوغاً. ولا يتخرج من زيارتهم واستزارتهم كأنهم من أحب الناس إليه... يُظهر لهم صفحة واضحة نقية، ومن وراء هذه الصفحة صفحات بيض، وصفحات سود». انتهى كلام طه حسين

١٤ صوني جمالك عنا

قال شوقي (١٨٩٤):

اللَّهَ فِي الْخَلْقِ مِنْ صَبٍّ وَمِنْ عَانٍ تَفْنَى الْقُلُوبُ وَيَبْقَى قَلْبُكَ الْجَانِي
الله (أي انتهي الله) في الخلق: الصَّبُّ (المحب) منهم والعاني (الأسير بحبك). القلوب تفنى عشقاً
ويبقى قلبك الجاني (المجرم)

صُونِي جَمَالِكَ عَنَّا، إِنَّا بَشَرٌ مِنْ التُّرَابِ، وَهَذَا الْحَسَنُ رُوحَانِي
احفظي جمالك بعيداً عن نظرنا، فنحن بشر من تراب وحسبك (جمالك) روحاني

١٥ نَبَتْ بَيْنَ جَوَانِحِي

قال شوقي (١٨٩٤):

مُضْنِيَّ وَلَيْسَ بِهِ حَرَكَ لَكِنْ يَخْفُ إِذَا يَرَاكَ
عاشقك مضني (مريض) وليس به حراك، لكن يخف (يشفي/وينشط) إذا رآك

وَيَمِيلُ مِنْ طَرَبٍ إِذَا مَا مِلْتَ يَا غُصْنَ الْأَرَاكِ
ويميل من الطرب إذا ملت يا غصن الأراك (شجر له ساق طويلة)

إِنَّ الْجَمَالَ كَسَاكَ مِنْ وَرَقِ الْمَحَاسِنِ مَا كَسَاكَ
إن الجمال كساك أيها الغصن ورقاً ليس كورق الشجر بل هو المحاسن نفسها

وَتَبَّتْ بِمِنْ جَوَانِحِي وَالْقَلْبُ مِنْ دِمِ سَقَاكَ

وقد نبتَ أيها الفصن داخل جوانحي (أعضائي)، وسقاك قلبي من دمه

حَلَوُ الْوَعُودِا مَتَى وَفَاكَ أَثْرَاكَ مُنْجِرَهَا تُرَاكَ

يا حلو الوعود متى وفائك بها، هل أنت منجزها يا ترى؟

مِنْ كُلِّ لَسْفِظٍ لَوْ أَذْنْتُ لَأَجْلِيهِ قَبَّيْلْتُ فَاكَ

ووعودك مكونة من كل لفظ عذب لو أذنت (سمحت) لي لقبلت فمك لأجله

يُرَوِّي الْحَمْلَاوَةَ عَنْ نَنَا يَاكَ الْعِذَابِ وَعَنْ لَمَّاكَ

وهذا اللفظ يروي (ينقل شفاهاً) الحلاوة عن ثناباك (أسنانك) العذبة، وعن لَمَّاكَ (ريقك)

ظُلْمًا أَقُولُ: جَنَى الْهَوَى، لَسْمُ تَجَنٍّ إِلَّا مُقْلَتَاكَ

أنا أظلم الحق إذ أقول الجاني هو الهوى، ما جنى علي إلا مقتلتك (عينك)

مَنْ عَلَّمَ الْأَجْفَانَ فِي أَهْدَابِهَا مَدَّ الشُّبَاكَ

من الذي علّم الأجفان القابعة خلف أهدابها (رموشها) أن تمد الشُّبَاكَ لنفَعٍ فيها؟

وَتَصَيَّدَ الْأَسَاذَ بِالْأَجَامِ تَسْلُبُهَا الْحَرَكَ

ومن علمها تصيّد الأساذ في الآجام (الأدغال) فتسلبها الحراك؟

١٦ المخاطرة

قال شوقي (١٨٩٥):

عَرَضُوا الْأَمَانَ عَلَى الْخَوَاطِرِ وَاسْتَعَرَضُوا الشُّمْرَ الْخَوَاطِرُ

لقد عرضوا الأمان على الخواطر (النفوس) إذ استعرضوا قاماتهم الرشقة الشبيهة بالسمر (الرماح) الخواطر (المهتزة). يتحدث عن الأغصان ويقصد النساء فمن هنا التذكير وخطاب العاقل

فَوَقَفْتُ فِي حَذَرٍ، وَيَا بِي الْقَلْبُ إِلَّا أَنْ يُخَاطِرُ

فوقفتُ حذراً، والقلب يأبى إلا المخاطرة

يَا قَلْبُ! شَأْنُكَ وَالْهَوَى هَذَا الْغُصُونُ وَأَنْتَ طَائِرُ

يا قلبي الزم شأنك مع الهوى (أنت حر بشأن الهوى)، هذه النساء غصون، وأنت كالطائر

إِنَّ السَّيِّئَ صَادَتْكَ تَسْسُ عَى بِالْقُلُوبِ لَهَا النَّوَاطِرُ

أمر الحسنة التي صادتك هو: أن نواظر الناس (عيونهم) تسوق قلوب أصحابها إليها

١٧ وإنما الأمم الأخلاق

قال شوقي (١٨٩٥):

الصدق أرفع ما اهتزَّ الرجالُ له وخيرُ ما عوَّدَ ابنُنا في الحياة أبُ
الصدق أرفع (أعلى) شيء اهتزَّ له الرجال (حركتهم الشهامة)، وخير ما يعوّد الأب ابنه في الحياة

وإنما الأمم الأخلاق، ما بقيت، فإن هُم ذهبَتْ أخلاقُهُم ذهبوا
والأمم بأخلاقها، طالما بقيت لها أخلاق. فإن لم تبق أخلاق لم تبق الأمم

١٨ الغبي والدني

قال شوقي (١٨٩٥):

أخا الحلم مهلاً في المكارم والندی وفي رحمة الحساد والرفق بالعدى
يا ذا الحلم (يا صاحب الحلم) تمهل ولا تبالغ في العفو والكرم، وفي الرفق بالحساد والأعداء

فلنْ تُدني النفس التي قد قصدتها بحلمك أقصى من هواها وأبعدا
فلن تدني (تقرّب) النفس التي طوقتها بحلمك بأكثر من رغبتها في الاقتراب

ومن حُرمة النعماء ألا تُنيلها غيباً فيَنسى أو دنياً فيَجحدُ
ومن واجب النعماء (النعمة) عليك ألا تنيلها (تمنحها) شخصاً غيباً فإنه ينسى المعروف، ولا دنياً
(دنياً حقيراً) فإنه ينكر المعروف

١٩ مماطلة

قال شوقي (١٨٩٦):

أذعنْ للحُسنِ عَصِيَّ العِنانِ وحاولتْ عيناكِ أمراً فكانْ
أذعن (خضع) للجمال هذا الرجل العصي العنان (المتنوع)، وكأنه الحصان الصعب الإمساك
بعنانه)، وحاولت عيناكِ أمراً (إيقاعه في الحب) فكان لك ذلك

يا مُسْرِفاً في التَّيه ما ينتهي أخاف أن يَفنى علينا الزَّمانُ
أيها المِسرف في التَّيه (المبالغ في التكبر) الذي لا ينتهي (يقطع) عن إسرائه، أخاف أن ينتهي
الزَّمان نفسه وأنت ما تزال في تكبرك

ويا كَثِيرَ الدَّلِّ في عِزِّهِ لا تنسَ لي عِزِّي قُبَيْلَ الهَوَانِ
ويا كثير الدَّلِّ (التدلل)، يا مفتخراً بعزه، لا تنس أني كنت عزيزاً قبل الهوان (الدل) في حيك

٢٠ خير الأمور الوسط

قال في ذكرى الأمير محمد عبد المنعم (١٨٩٦):

وما الدنيا بمشوّى للعبياد فكن ضيف الرعاية والوداد
الدنيا ليست مثوى (مقرراً دائماً) للناس، فكن ضيفاً محاطاً بالرعاية والحب

ولا تستكثر من الأعداء فشر الناس أكثرهم خصوماً
ولا تجعل أعداءك كثيراً، فأسوأ الناس أكثرهم خصوماً

ولا نجعل توددك ابتذالاً ولا نسمح بحلمك أن يذال
ولا تبذل ودك بمنحه لمن هب ودب، ولا تتسامح بحلمك أن يذال (يهان)

وكن ما بين ذاك وذاك حالاً فلن ترضي العدو ولا الحميماً
كن وسطاً، فالمبالغة في التودد أو في التشدد غير مفيدة. وأنت - بعد - لن ترضي العدو والصديق
الحميم معاً

٢١ رب الشعر

قال شوقي (١٨٩٧):

قوافٍ لرب الشعر، لا النظم طائل إذا هي سارت في البلاد ولا النقد
هذه قصائد لرب الشعر (صاحب الشعر)، لا النظم الآخر طائل (نافع) في التفوق عليها إذا هي
سارت (انتشرت) في البلاد، ولا النقد نافع في الحد من أثرها. كان داود عمون انتقد قصيدة
سابقة لشوقي، فشوقي هنا يشير إليه. وقد عاد عمون فرد على شوقي قائلاً:
أكل الذي خطت يمينك مُزّلاً/ وكل الذي يلقي فوقك لنا شهيد - على أنه لو كان خصمي مُنصفي/
لكان جزائي عنده الشكر والحمد - فإني قد داويته من غرويه/ ولولا ي كان الداء ينمو ويشد
أوانس أحياناً، شوارد تارة لها لعب أنا، وأنا لها جد
القصائد أوانس (اليفة) أحياناً، وشوارد (غريبة كالناقة الشاردة) أحياناً، وهي لاهية أحياناً، وجادة أحياناً

وتؤوي يتيمات الدهور بيوتها فتُسمي ومن مبنى الجلال لها مهد
وأبيات قصائدي تؤوي المعاني اليتيمة (الناصرة) التي لا تأتي إلا نادراً في الدهور،
وتسمي هذه المعاني وقد جعل مبنى الجلال (البناء اللفظي الفخم) مهداً لها. إن حل
كلام شوقي (تفسيره بالنشر) يلجئنا إلى الكثير من التحايل. تراه يسمي أبيات الشعر
بيوتاً، ثم ترى ما وراء ذلك، فالبيت «يؤوي» المعاني، فهي أبيات لأنها من شعر،
وهي بيوت لأنها تؤوي. لغة شوقي مركب، ويسير فيها أكثر من تيار في آن معاً. ومن
هنا تكتسب ريناً أقوى، وتشحن المعنى وتكثفه

٢٢ جمدت عيني وعينك

قال شوقي يرثي والده (١٨٩٧):

انْظُرِ الْكَوْنَ وَقُلْ فِي وَصْفِهِ كُلُّ هَذَا أَصْلُهُ مِنْ أَبَوَيْنِ
انظر إلى الكون (يعني أهل الكون) وقل في وصفه: كل هذا أصله من رجل وامرأة

فَقَدَا الْجَنَّةَ فِي إِجَادِنَا وَنَعِمْنَا مِنْهُمَا فِي جَنَّتَيْنِ
فقد آدم وحواء الجنة في سياق عملية إنجابنا، ونعمنا بهما بجنتين: الأب جنة، والأم جنة

يَا أَبِي! وَالْمَوْتُ كَأْسٌ مُرَّةٌ لَا تَذُوقُ النَّفْسُ مِنْهَا مَرَّتَيْنِ..
يا أبي! بما أن الموت كأس مرة تذوقها النفس مرة واحدة..

لَا تَخَفْ بَعْدَكَ حُزْناً أَوْ بُكَاءَ جَمَدَتْ مِنِّي وَمِنْكَ الْيَوْمَ عَيْنُ
فلا تخف علي بعدك حزناً أو بكاء، فبموتك جمدت عيني فلن أبكي غيرك، وجمدت عينك لأنك مت

أَنْتَ قَدْ عَلَّمْتَنِي تَرْكَ الْأَسَى كُلُّ زَيْنٍ مُنْتَهَاهُ الْمَوْتُ شَيْنُ
علمتني ترك الأسى (الحزن)، فكل أمر جميل منتهاه (مصره) الموت هو على الحقيقة قبيح

لَيْتَ شِعْرِي! هَلْ لَنَا أَنْ نَلْتَقِيَ مَرَّةً، أَمْ ذَا افْتِرَاقِ الْمَلَوْنِ
ليت شعري (يا ترى) هل لنا أن نلتقي مرة أخرى، أم هذا الفراق بينا كفراق المَلَوْنِ (الليل والنهار) فهما دائماً مفترقان لا يأتي أحدهما إلا بذهاب الآخر

٢٣ ليلة عجيبة

قال شوقي في مولد ابنته أمينة ووفاة والده (١٨٩٧):

يَا لَيْلَةً! سَمَّيْتُهَا لَيْلَتِي لِأَنَّهَا بِالْإِنْسَانِ مَا مَرَّتْ
يا لها من ليلة، وقد سميتها ليلتي أنا دون غيري لأن مثلها لم يمر بأحد قبلي

نَبَّهَنِي الْمَقْدُورُ فِي جُنْحِهَا وَكُنْتُ بَيْنَ النَّوْمِ وَالْبِقْظَةِ
أيقظني المقدور (القدر المحترم) في وسطها، وكنت نصف نائم

الْمَوْتُ عَجْلاً إِلَى الْوَدِيِّ وَالْوَضْعُ مُسْتَعَصٍ عَلَى زَوْجَتِي
كان أبي يحتضر والموت يعاجله، والولادة متعصية على زوجتي

حَتَّى بَدَا الصَّبْحُ فَوَلَّى أَبِي وَأَقْبَلْتُ بَعْدَ الْعَنَاءِ ابْنَتِي
وبمجيء الصباح ذهب أبي، وجاءت بعد طول التعب ابنتي

فَقُلْتُ: أَحْكَامُكَ جَزْنَا لَهَا يَا مُخْرَجَ الْحَيِّ مِنَ الْمَيِّتِ

فَقُلْتُ: اسْتَبَدْتُ بِنَا الْحَيْرَةَ لِأَحْكَامِكَ يَا رَبِّ، يَا مَنْ يَخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ

٢٤ الحكم للقوي

قَالَ فِي الْحَرْبِ بَيْنَ تَرْكِيَا وَالْيُونَانِ سَنَةِ (١٨٩٧) وَيَخَاطَبُ السُّلْطَانُ عَبْدَ الْحَمِيدِ:

بِسَيْفِكَ يَمْلُو الْحَقُّ، وَالْحَقُّ أَغْلَبُ وَيُنْصَرُّ دِينُ اللَّهِ إِيَّانَ تَضْرِبُ

الحق يملو بسيفك، والحق ذو غلبة، ودين الله يُنصر إيان (أيها) تضرب وتحارب

وَمَا السَّيْفُ إِلَّا آيَةُ الْمَلِكِ فِي الْوَرَى وَلَا الْأَمْرُ إِلَّا لِلَّذِي يَتَغَلَّبُ

وما السيف إلا آية (دليل) الملك عند الناس، وما الأمر (الحكم) إلا لمن يغلب في الحرب

سَهَرْتُ وَنَامَ الْمُسْلِمُونَ بِغَيْطَةٍ وَمَا يُزَعِّجُ النَّوَامَ وَالسَّاهِرُ الْأَبُ

سهرت نرعى شؤون المسلمين فناموا هائنين، ولا يتزعج النائمون أثناء نومهم إذا كان من يسهر عليهم هو أباهم

وَلَمْ يَتَكَلَّفْ قَوْمُكَ الْأَسَدُ أَهْبَةً وَلَكِنْ خُلِقَ فِي السَّبَاعِ التَّأَهُبُ

لم يتكلف قومك الأسود الاستعداد نكلاً، فالاستعداد خلق (طبع أصيل) في السباع

أَسَأْتُمْ، وَكَانَ السُّوءُ مِنْكُمْ إِلَيْكُمْ، إِلَى خَيْرٍ جَارٍ عِنْدَهُ الْخَيْرُ يُطْلَبُ

أسأتم أيها اليونانيون، وارتد السوء إليكم؛ أسأتم إلى أفضل جار، جار يرتجى منه الخير

فَلَوْلَا سَيُوفُ الثُّرُكْ جَرَّبَ غَيْرُكُمْ وَلَكِنْ مِنَ الْأَشْيَاءِ مَا لَا يُجَرَّبُ

ولولا أن للترك قوة لجرب غيركم العصيان، ولكن هناك أشياء لا تجرب لخطورتها

لَقَدْ فَنَيْتَ أَرْزَاقَهُمْ وَرَجَالَهُمْ وَلَيْسَ بِفَانٍ طَيْشُهُمْ وَالتَّقَلُّبُ

هؤلاء اليونانيون نفدت مؤنتهم وقتل رجالهم، ولكن طيشهم وتقلبهم لا ينفدان

فَلِنْ يَجِدُوا لِلنَّفْسِ بِالْعَوْدِ رَاحَةً فَقَدْ يَشْتَهِي الْمَوْتَ الْمَرِيضُ الْمَعْدَبُ

فإذا وجدوا في العودة للعصيان راحة، فهم كالمريض المتألم الذي يشتهي الموت

وَإِنْ هُمْ بِالْعَفْوِ الْكَرِيمِ رَجَاؤُهُمْ فَمِنْ كَرَمِ الْأَخْلَاقِ أَلَّا يُحَيَّبُوا

وأما إن هم بالعمو الكريم رجاءهم بالعمو الكريم، فمن حسن الأخلاق ألا يُحَيَّبُوا طلبهم

٢٥ أَكُفَّ تَسِيلَ بِالْخُصُورِ

قال شوقي بصف حفل رقص في قصر عابدين (١٨٩٧):

حَفَّتْ كَأْسَهَا الْحَبِيبُ فَهِيَ فِضَّةٌ ذَهَبُ

أحاط بكأس الخمر الحب (الفقاع)، فالفقاع مثل الفضة والخمر كالذهب

الْلُيُوثُ مَائِلَةٌ وَالظُّلُبَاءُ تَسْتَسِرُّ

الليوث (الأسود/الرجال) واقفون متأهبون، والظباء (الغزلان/النساء) تسترب (تستأجر) أثناء الرقص

فَالْقُدُودُ بِأَنْ رُبَى بَيْدَ أَنَّهَا تَسُوبُ

وقدودهن مثل أغصان البان، بيد أنها (غير أنها) تقفز في الرقص

وَالْخُصُورُ وَاهِيَةٌ بِالْبَنَانِ تَنْجِزِبُ

وخصورهن واهية (نحيلة ضعيفة)، ويجذبها الرجال بالبنان (أطراف الأصابع)

سَالَتِ الْأَكُفُّ بِهَا فَهِيَ أَغْصُنُ نُهْبُ

أكف الرجال سالت بالخصور، فهي غصون مليئة بالثمر وهي منهوبة على أيدي الرجال

وَالْمُمْدَامُ أَكْؤُسُهَا مَا تَغِيضُ وَالْعُلْبُ

لا كؤوس الخمر تغيض (تنضب)، ولا العلب (الأوعية الأكبر/والعلبة هي الوعاء الذي يحلبون فيه الناقة، ولم تكن البيرة في زمن شوقي تُعَبَأُ في العلب)

وَهِيَ بَيْنَنَا سَلَبٌ وَالنُّهَى لَهَا سَلَبُ

والخمر بين الحاضرين سَلَب (غنيمة)، والنهى (العقول) غنيمة للخمر تأخذها وتذهب بها

لَيْلَةٌ عَالَتْ وَعَلَتْ لَيْتَ فَجَرَهَا كَذِبُ

ليلة عالية القدر وغالية علينا، ليت الفجر الذي جاء بعدها كان فجراً كاذباً (الفجر الكاذب يسبق الفجر الحقيقي بمدة)

٢٥ لَا أَحَدَ بَعْدَكَ

قال شوقي يرثي سليمان أباظة الذي كان وزير المعارف عقب الثورة العربية (١٨٩٧):

مَنْ ظَنَّ بَعْدَكَ أَنْ يَقُولَ رِثَاءَ فَلْيَرِثْ مِنْ هَذَا الْوَرَى مَنْ شَاءَ

من أراد بعدك رثاء أحد فليرث من الورى (الناس) من يشاء فالناس متشابهون، وأنت فقط كنت المميز

فَجَعَّ المَكَارِمَ فَاجَعٌ فِي رَبِّهَا والمجدَ فِي بَانِيهِ والعلياءَ
فجع الموتُ المَكَارِمَ وكانت الفجيمة فِي رب المَكَارِمَ (صاحبها/ أي المرتني)، وفجع الموتُ المجدَ
بأخذهُ باني المجد، وفجع العلياءَ أيضاً

٢٧ أمينة فِي مصيدة البصر

قال شوقي فِي ابنته عندما بلغت سنة من عمرها (١٨٩٨):

أَمِينَتِي فِي عَامِهَا الـ أَوَّلِ مِثْلِ الْمَلَسِكِ
ابنتي أمينة فِي عامها الأول مثل الملاك

صَالِحَةٌ لِلْحُبِّ مِنْ كُلِّ وَلَسِلَسْتَبْرَكِ
جديرة بالحب من الجميع، ويتبركون بها

فَإِنْ مَشَتْ فَخَاطِرِي يَسِفُّهَا كَالْمُوسِكِ
إِنْ مَشَتْ فَفَكْرِي يَسِفُّهَا حَتَّى لِيكَادَ يَسْكُهَا خَوْفًا عَلَيْهَا وَشَغَفًا بِهَا

أَلَسَحَظُّهَا كَمَا سَنَسَهَا مِنْ بَسْصَرِي فَسِي شَرَكِ
ألحظها (أتابعها بصري) كَانَ بصري لها المصيدة فلا تفلت منه

إِنَّ اللَّيَالِي، وَهِيَ لَا تَنفُكُ حَرْبَ أَهْلِكِ
إِنَّ اللَّيَالِي (مشكلات الدنيا) وَهِيَ لَا تَنفُكُ حَرْبًا (معادية) لِأَهْلِكِ..

لَوْ أَنْصَفْتُنِيكَ طِفْئِلَةً لَكُنْتِ بِنْتُ الْمَلِكِ
لو أَنَّ هذه المشكلات كانت منصفة، يَا طِفْلة، لَكُنْتِ بنت الملك

٢٨ أنانية الطفل

قال شوقي فِي ابنته أمينة وكلبها:

يَا حَبِذَا أَمِينَةً وَكَلْبُهَا نَحْبُهُ جَدًّا كَمَا يَحْبُّهَا
يَا حَبِذَا (مَا أَبْدَعُ!) أَمِينَةً وَكَلْبُهَا! وَهِيَ نَحْبُهُ وَهُوَ يَحْبُّهَا

جَاءَتْ بِهِ إِلَيَّ ذَاتَ مَرَّةٍ تَحْمِلُهُ، وَهِيَ بِوَ كَالْبَرَّةِ
أَحْضَرْتُهُ إِلَيَّ مَرَّةً تَحْمِلُهُ وَهِيَ كَأَنَّهَا بَرَّةٌ (بَارَّةٌ) بِهِ

فَقُلْتُ: أَهْلًا بِالْعُرُوسِ وَابْنِهَا مَاذَا يَكُونُ يَا ثُرَى مِنْ شَأْنِهَا
فَقُلْتُ: أَهْلًا بِالْعُرُوسِ وَابْنِهَا، فَمَاذَا شَأْنُكَ؟

قالت: غلامي يا أبي جوعانٌ وما له كما لنا لسانٌ

قالت: غلامي جوعان، وليس له لسان ناطق مثلاً ليطلب الطعام

فَمُرُّهُمْ يَأْتُوا بِخَبِيزٍ وَلَبَنٌ وَيُحْضِرُوا آنِيَةً ذَاتَ ثَمَرٍ

فلأمرهم حتى يحضروا له الخبز واللبن الحليب في وعاء ثمين

فَقِمْتُ كَالْعَادَةِ بِالْمَطْلُوبِ وَجِئْتُهَا أَنْظَرُ مِنْ قَرِيبٍ

فقيمت بما طلبت كالعادة، ووقفت أنظر إليها من كتب

فَعَجَنْتُ فِي اللَّبَنِ اللَّبَابَا كَمَا تَرَانَا نُطْعِمُ الْكِلَابَا

فعمجت لب الخبز في اللبن الحليب، كما كانت ترانا نطعم الكلاب

ثُمَّ أَرَادَتْ أَنْ تَذُوقَ قَبْلَهُ فَاسْتَطَعَمَتْ بِنْتُ الْكِرَامِ أَكْلَهُ

وأرادت أن تذوق قبله، فاستطعمت (ذاقت) أكله

هَنَّاكَ أَلْقَتْ بِالصَّغِيرِ لِلرُّوَا وَانْدَفَعَتْ تَبْكِي بِكَاءٍ مُفْتَرَى

عندئذ رمت الكلب الصغير خلفها، وأخذت تبكي بكاء مفترى (كاذباً)

تَقُولُ: بَابَا أَنَا دَحَّا وَهُوَ كُخَّ مَعْنَاهُ بَابَا لِي وَحَدِي مَا طُبِخَّ

وتقول: أنا دحَّا وهو كخ، ومعزى كلامها هو أن هذا الذي «طبخته» لها وحدها

فَقُلْ لِمَنْ يَجْهَلُ خَطَبَ الْآنِيَةِ قَدْ فُطِرَ الطِّفْلُ عَلَى الْآنَانِيَةِ

المعنى الملموح: نعم، «كل إناء بما فيه ينضح» والإثناء في هذا القول القديم هو نفوس البشر.

فقل لمن يجهل خطب (موضوع) الآية (النفوس)، إن الطفل أناني بفطرته

٢٩ بتي الغالية

قال شوقي وقد أتمت ابنته أمانة السنة الثانية:

أَمِينَةٌ يَا بِنْتِي الْغَالِيَةُ أَهْنِيكَ بِالسَّنَةِ الثَّانِيَةِ

وَأَسْأَلُ أَنْ تَسْلِمِي لِي السَّنِينَ وَأَنْ تُرْزَقِي الْعَقْلَ وَالْعَافِيَةَ

أسأل الله أن تسلمي لي طول السنين، وأن ترزقي العقل والرجح والصحة

وَأَنْ تُقَسِّمِي لِأَبَرِّ الرِّجَالِ وَأَنْ تَلِدِي الْأَنْفُسَ الْغَالِيَةَ

وأن تقسمي (تكونين في قسمة ونصيب) لأبَرِّ رجل (رجل كثير البرِّ والفضل)، وأن تنجي أبناء

نفوسهم متطلعة للأعلى

ولكن، سألتك بالوالدين وناشدتك اللعَب الغالية
ولكن، أسألك بالوالدين، وأحلفك بلبك الغالية عليك (وعلينا أيضاً؟)

أنذرين ما مرَّ من حادثٍ وما كان في السنة الماضية
أتعرفين ما مرَّ من أحداث، وما وقع في السنة الماضية؟

وكم بُليت في حُللٍ من حريرٍ وكم قد كسرت من الأنبة
وكم قد بُليت في حلل (أثواب) من حرير، وكم كسرت من الأواني؟

وكم سهرت في رضاك الجفون وأنت على غصَبٍ غافية
وكم سهرت جفوننا لترضيك، وأنت تنامين غاضبة؟

وكم قد خلَّت من أبيك الجيوب وليست جيوبك بالخالية
وكم مرة خلا جيب أباك من المال، وجيوبك ملأى (بالحلوى)؟

وكم قد شكَا المرء من عيشه وأنت وحلواك في ناحية
وكم شكَا أبوك عيشه المرء، وأنت متبذة مكاناً قصياً ولا هم لك إلا الحلوى؟

وكم قد مرضت فأسقمته وقمت فكننت له شافية
وكم قد مرضت فمرض أبوك لمرضك، وقمت من المرض فشفيت بقيامك؟

ويضحك إن جئت تضحكين ويبكي إذا جئت باكية
ويضحك إن ضحكت، ويبكي إن بكيت

ومن عَجِب مرَّت الحادثات وأنت لأحداثها ناسية
كل هذا مرَّ، وأنت ناسية كل شيء

فلو حسدت مهجةً ولذها حسدتك من طفلة لاهية
لو كان يمكن أن تحسد المهجة (القلب) ولذها، لحسدتك أيتها الطفلة التي تلهو دائماً

٣٠ وقد جنيت على علي

قال شوقي في مولد ابنة علي، حوالي سنة (١٨٩٨):

صار شوقي أبا علي في الزمان التُّرلي
صار شوقي «أبا علي» في هذا الزمان التُّرلي (المتقلب/ كلمة تركية الأصل)

وَجَنَاهَا جَنَائِيَّةٌ لَيْسَ فِيهَا بِأَوَّلُ
وَجَنَى شَوْقِي جَنَائِيَّةٌ عَلَى وَلَدِهِ بَانَ أَنِّي بِهِ لِلدُّنْيَا، وَهُوَ لَيْسَ أَوَّلُ جَانٍ، فَأَبُو شَوْقِي جَنَى عَلَى شَوْقِي

٣١ العبقريّة لا تورث

قال شوقي في مولد ابنه علي، حوالي سنة (١٨٩٨):

رَزَقْتُ صَاحِبَ عَهْدِي وَتَمَّ لِي النِّسْلُ بَعْدِي
رَزَقْتُ وَلِيَّ عَهْدِي، وَضَمَنْتُ أَنْ يَسْتَمِرَّ نَسْلِي

هُمُ يَحْسُدُونِي عَلَيْهِ وَيَغِيْطُونِي بِسَفْهِي
يَحْسُدُونِي عَلَيْهِ، وَيَغِيْطُونِي (يَتَمَنُّونَ لِأَنفُسِهِمْ مِثْلِي بِلَا حَسَدٍ) بَعْدِي (حَظِي)

وَلَا أَرَانِي وَنَجْجَلِي سَنَلْتَقِي عِنْدَ مَجْدِي
وَلَا أَرَى أَنْ ابْنِي سَيَسَاوِينِي فِي الْمَجْدِ وَالْمَكَانَةِ

وَسَوْفَ يَعْلَمُ بَيْتِي أَنِّي أَنَا النِّسْلُ وَحْدِي
سَوْفَ يَعْلَمُ أَهْلُ بَيْتِي أَنَّ النِّسْلَ الْحَقِيقِي الَّذِي سَيَخْلُدُ هُوَ أَنَا فَقَطْ

فِيَا عَلِي لَا تُلْمَنِي فَمَا احْتِقَارُكَ قُضِي
فَلَا تَلْمَنِي عَلَى هَذَا الْقَوْلِ يَا عَلِي، فَلَسْتُ أَقْصِدُ احْتِقَارَكَ (تَصْغِيرَ شَأْنِكَ)

وَأَنْتَ مَنِّي كَمَرْوَحِي وَأَنْتَ مَنْ أَنْتَ عِنْدِي
فَأَنْتَ بِالنِّسْبَةِ لِي مِثْلَ رَوْحِي، وَأَنْتَ هُوَ أَنْتَ عِنْدِي وَكَفَى

فَإِنْ أَسَاءَكَ قَوْلِي كَذَّبْ أَبَاكَ بِرَوْعِي
فَإِنْ سَاءَ قَوْلِي، فَتَفْضَلْ كَذِّبْنِي بِوَعْدِ بَانَ تَكُونُ نَابِعًا

٣٢ ظالم

قال شوقي (١٨٩٨):

عَلِّمُوهُ كَيْفَ يَجْزُو فَجْفا ظَالِمٌ لَا قِيْتُ مِنْهُ مَا كَفَى
عَلِّمُوهُ كَيْفَ يَجْزُو (يَهْجُرُ) فَجْفا، هَذَا الظَّالِمُ لَا قِيْتُ مِنْهُ مَا يَكْفِي

مَسْرَفٌ فِي هَجْرِهِ، مَا يَنْتَهِي أَتُرَاهُمْ عَلِّمُوهُ السَّرْفَا
يَبَالِغُ فِي الْهَجْرِ، وَلَا يَنْتَهِي (لَا يَكْتَفِ)، فَهَلْ تُرَاهُمْ عَلِّمُوهُ أَيْضًا السَّرْفَ (الْإِسْرَافَ)

٣٣ رثاء الجدة

قال شوقي يرثي جدته لأمه واسمها تمزار، وهي من معتوقات إبراهيم باشا وأصلها من بلاد المورة «اليونان»، جلبت منها أسيرة حرب، قالها عام (١٨٩٨):

خَلِقْنَا لِلْحَيَاةِ وَلِلْمَمَاتِ وَمِنْ هَذَيْنِ كُلِّ الْحَادِثَاتِ
خَلَقْنَا لِنَحْيَا ثُمَّ لِنَمُوتَ، وَمِنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ تَشْكَلُ كُلُّ أَحْدَاثِ الدُّنْيَا

صَلَاةُ اللَّهِ يَا تَمَزَارُ تُجْزِي ثَرَاكَ عَنِ التَّلَاوَةِ وَالصَّلَاةِ
صلاة الله (ثناؤه) يا جدتي تمزار تجزي (تُغني) تربتك عن التلاوة والصلاة

تَبَيَّنَاكَ الْمَلُوكُ، وَكَنْتُ مِنْهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْبَنَيْنِ أَوْ الْبَنَاتِ
تبناك الملوك، وكنت منهم (أي بالنسبة لهم) بمنزلة ابن أو بنت حقيقيين

وَمَا مَلِكُوكَ فِي سَوْقٍ، وَلَكِنْ لَدَى ظِلِّ الْقَنَا وَالْمُرْهَفَاتِ
ولم يشترك في سوق العبيد، ولكنهم أخذوك سبية تحت ظل القنا (الرماح) والمرهفات (السيوف)

عَنَنْتَ لَهُمْ بِمُورَةٍ بَنَتْ عَشْرَ وَسَيْفُ الْمَوْتِ فِي هَامِ الْكُمَاةِ
عننت (برزت) لهم في المورة (بلاد اليونان) وعمرك عشر سنين، وكان الموت وقتها يتزل في هام
(رؤوس) الكُماة (المسلحين)

تَبِعْتَ مُحَمَّدًا مِنْ بَعْدِ عِيسَى لِخَيْرِكَ فِي سِنِيكِ الْأُولَيَاتِ
أسلمت بعد أن كنت من أتباع عيسى، وهذا كان خيراً جاءك في سنوات عمرك الأولى

وَلَوْ لَمْ تَظْهَرِي فِي الْعُرْبِ إِلَّا بِأَحْمَدَ كُنْتَ فَخْرَ الْوَالِدَاتِ
ولو لم تظهري (يبرز اسمك) عند العرب إلا بأحمد (أي هو/ حفيدها أحمد شوقي) لكنت فخر
الوالدات (فضلاًهن)

وَأَنْظُرِي فِي تَرَابِكِ ثُمَّ أَغْضِي كَمَا يُغْضِي الْأَبِيُّ عَلَى الْقَدَاةِ
أنظر إلى قبرك ثم أغضي (أخفض بصري)، مثلما يخفض الأب (العزيز النفس) بصره على القداة
(الوسخ في العين/ والمقصود الإهانة التي لا يتطوع ردها)

وَأَذْكُرُ مِنْ حَيَاتِكَ مَا تَقْضَى فَكَمَا مِنْ الْقَدَاةِ إِلَى الْقَدَاةِ

عندما أتذكر ماضي حياتك الذي انقضى أراه كأنما كان من الغداة (الصباح) إلى الصباح التالي، فتمر المرء يمر بلمحة بصر. تعليق عمران القفيني: «شوقي هنا المتنبي لا راح ولا جاء»، يشير إلى قصيدة المتنبي في رثاء جدته.. وعندما رثي شوقي أمه اتخذ قافية المتنبي وبحره، وفي قصيدته «ضخما» أيضاً لكن الضخم عند شوقي كان موكباً لا شخصاً.. انظر القطعة ١٧٢

٣٤ السلام وفطرة السباع

قال شوقي في ديسمبر (١٨٩٩):

صِغَارٌ بِحُلُوانَ تَسْتَبِشِرُ ورؤيئُها الفرخ الأكبر
الصغار في «حلوان» (الضاحية التي كان شوقي يسكن بها آنذاك) مستبشرون (فرحون) بقدوم العيد،
والفرخ الأكبر هو رؤيتنا لهم

تَهْزُ اللِّوَاءَ بِعِيدِ الْمَسِيحِ وَتُخِيهِ مِنْ حَيْثُ لَا تَشْعُرُ
يلوحون بأعلام صغيرة في عيد السيد المسيح، ويحيون العيد غير عارفين بمغزاه

وَمِنْ عَجَبٍ مِنْهُمْ الْمَسْلُومُونَ، أَوِ الْمَسْلُومُونَ هُمْ الْأَكْثَرُ
والعجيب أن منهم مسلمين، بل أكثرهم مسلمون

فَلِاسْفَةً كُلُّهُمْ فِي اتِّفَاقٍ كَمَا اتَّفَقَ الْأَلُّ وَالْمَعْشَرُ
هؤلاء الأطفال فلاسفة في التمايح، ومتفقون على هذا العيد كاتفاق أهاليهم

دِسْمَبَرُ شُعْبَانُ عِنْدَ الْجَمِيعِ وَشُعْبَانُ لِلْكَلِّ دِيسْمَبَرُ
شهر ديسمبر (وقه عيد الميلاد عند الغربيين، أما الأقباط فيحتفلون به في أوائل يناير، ولعل
شوقي يصف هنا احتفال أجانب بمصر بعيد الميلاد) هو بالنسبة للجميع كشعبان (الذي يحتفل
المسلمون في منتصفه)، والعكس بالعكس

فِيَا لَيْتَ شِعْرِي! أَضَلَّ الصِّغَارُ أَمَ الْعَقْلُ مَا عَنْهُمْ يُؤَثِّرُ
فهل يا ترى أخطأ الصغار، أم ما يؤثر عنهم هو العقل بعينه؟

سَوَّالٌ أَقْدَمُهُ لِلْكَبَارِ لَعَلَّ الْكِبَارَ بِهِ أَخْبَرَ
ولي طفلة جازت الستين كـبعض الملائك أو أظهر
ولي طفلة جازت (تخطت) الستين، وهي كملاك من الملائكة أو أظهر من ملاك

بِعَيْنَيْنِ فِي مِثْلِ لَوْنِ السَّمَاءِ وَبِسَنَيْنِ يَا حَبِّذَا الْجَوْهَرِ
عيناها زرقاوان، ولها سنان كجوهرتين

أَتَثْنِي تُسَائِلُنِي لُغْبَةً لَتَكْسِرْهَا ضَمَنَ مَا تَكْسِرُ
جاءت تطلب مني لعبة، لتكسرها ضمن ما تكسر من أشياء

فَقُلْتُ لَهَا: أَيُّهَذَا الْمَلَاكُ تُحِبُّ السَّلَامَ، وَلَا أُنَكِّرُ
فقلت لها: يا أيها الملاك، أنت تحب السلام، ولا أنكر عليك ذلك

وَلَكِنْ قَبْلَكَ خَابَ الْمَسِيحُ وِبَاءَ بِمَنْشُورِهِ الْقَيْصَرُ

ولكن المسيح من قبلك خاب مسعاه السلمي، والقيصر باء (خاب) بمنشوره الداعي لتوحيد المسيحيين. (أصدر القيصر قسطنطين الأول عقب عقده المجمع المسكوني الأول عام ٣٢٥م، منشوراً بتوحيد عيد الفصح بين المسيحيين في الإسكندرية وروما والقدس وغيرها من أعمال روما. وقد التزم الشرقيون بهذا، ولكن الغربيين نقضوه بعد مئات السنين في عهد البابا غريغوري)

فَلَا تَرْجُ سِلْمًا مِنَ الْعَالَمِينَ فَلِإِنَّ السَّبَاعَ كَمَا تُفْطَرُ

فلا ترج (تأمل) سلماً من الناس، فالسباع تبقى كما تُفطر (تخلق)

وَمَنْ يَعْدِمُ الظُّفْرَ بَيْنَ الذَّنَابِ فَلِإِنَّ الذَّنَابَ بِهِ تَمْظَفَرُ

ومن يعدم (يفقد) الظفر (يقصد الترحش) بين البشر، الذين هم كالذئاب، ظفرت به الذئاب

٣٥ ثَارَ الْقُدُسُ

قال شوقي في «آيا صوفيا» الكنيسة التي شيدت عام ٥٣٢م، وَحَوَّلَتْ إِلَى مَسْجِدٍ عام ١٤٥٣م، ثُمَّ حَوَّلَتْ إِلَى مَتَحَفٍ عام ١٩٣٥م، بعد وفاة شوقي بثلاث سنوات، ولا تزال متحفاً. قال القصيدة سنة (١٨٩٩):

كَنِيسَةً صَارَتْ إِلَى مَسْجِدٍ هَدِيَّةُ السَّيِّدِ لِمَسْجِدٍ

كنية تحولت إلى مسجد، فهي هدية السيد المسيح لسيد الإسلام محمد

كَانَتْ بِهَا الْعِذْرَاءُ مِنْ فِضَّةٍ وَكَانَ رُوحُ اللّهِ مِنْ عَنَجِدٍ

كان بها تمثال للعدراء من الفضة، وكان تمثال روح الله (المسيح) من عجد (ذهب)

جَلَاهُمَا فِيهَا وَحَلَاهُمَا مُصَوِّرُ الرُّومِ الْقَدِيرُ الْيَدِ

جلاهما (أبرزهما) في الكنيسة، وحلاهما (زينهما بالخلي) مصور (نحات) الروم ذو اليد الماهرة

فَقُلْ لِمَنْ شَادَ فَهَذَا الْقَوَى قَوَى الْأَجِيرِ الْمُتَعَبِ الْمُجْهَدِ ..

فقل لمن بنى هذا البناء المهيب وهد قوى العمال المتعبين ..

كَأَنَّهُ فِرْعَوْنٌ لَمَّا بَنَى لِرَبِّهِ بَيْتًا فَلَمْ يَقْصِدِ ..

إنه مثل فرعون عندما بنى لربه بيتاً (الأهرام) فلم يقصد (لم يقصد، بل بالغ)

أُغْبِدُ اللَّهَ بِسَنَامِ الْوَرَى مَا لَا يُسَامُ الْعَيْرُ فِي الْمَقْدُودِ

قل له: هل يُعبدُ الله بسنوم (بتكليف) الوري (الناس) ما لا يسام (يكأف) العير (الحمار) وهو مقيد بمثوده

كنيسة كالفَدَنِ الْمُعَلِّي ومسجد كالفَصْرِ مِنْ أَصِيدِ
هذه كنية كأنها الفدن (القصر) العالي، وصارت مسجداً كانه قصر من الأصيد (الحجر اللامع)
وَاللَّهُ عَنْ هَذَا وَذَا فِي غِنَى لَوْ يَعْقِلُ الْإِنْسَانُ أَوْ يَهْتَدِي
والله في غنى عن المعابد لو يعقل الإنسان ويهتدي للحق

قَدْ جَاءَهَا الْفَاتِحُ فِي عُضْبَةٍ مِنْ الْأَسْوَدِ الرُّكْعِ السُّجْدِ
محمد الفاتح جاء إلى الكنية ومعه عصبة (جماعة) من الأسود (الرجال الأشداء) الرُّكْعِ السُّجْدِ
فكَبُرُوا فِيهَا، وَصَلَّى الْعِدَى وَاخْتَلَطَ الْمَشْهُدُ بِالْمَشْهَدِ
فكبروا في الكنية، وصلى الأعداء أيضاً صلاتهم، فاختلط المشهدان

فَخَانَهَا مِنْ قَيْصَرٍ سَعْدُهُ وَأُيِّدَتْ بِالْقَيْصَرِ الْأَسْعَدِ
وفيها خان قيصر الروم البيزنطيين سعدُه (حظه)، ووجدت تأييداً من القيصر الأسعد (ذي الحظ
الأوفر/محمد الفاتح)

وَنَابَ عَمَّا كَانَ مِنْ زُخْرَفٍ جَلَالَةُ الْمَعْبُودِ فِي الْمَعْبَدِ
وناب عما كان فيها من زخارف جلالة الله الذي يُعبد في هذا المعبد

فِيمَا لَشَارٍ بَيْنَنَا بَعْدَهُ أَقَامَ لَمْ يَقْرُبْ وَلَمْ يَبْغُدِ
فيا له من ثار بيننا بعد هذا الفتح، وقد أقام (استمر) الثَّارُ، لم يقرب من التحقق ولم يتعد بل ظل
في النفوس كامناً

بَاقٍ كَثَارُ الْقُدْسِ مِنْ قَبْلِهِ لَا نَنْتَهِي مِنْهُ وَلَا يَنْتَدِي
وهو باق كثار القدس قبله (التي احتلها الصليبيون ثم أخرجوا منها)، ولا تنتهي من أمر هذا الثَّارِ،
ولا هو يتدئ في التحول إلى حرب دموية
قال شوقي هذا قبل أن يجهز الأوروبيون على الدولة العثمانية، وكانوا في زمنه يقضون سيادتها
بشئ الوسائل ويحتلون بعض أطرافها كمصر

فَلَا يَغُرُّكَ سَكُونُ الْمَمَلَا فَالْشَّرُّ حَوْلَ الصَّارِمِ الْمُغْمَدِ
فلا تغترَّ بسكون المملأ (القوم)، فالشر يحوم حول الصارم (السيف) المغمد (الكامن في غمده)

لَنْ يَتْرَكَ الرُّومُ عِبَادَاتِهِمْ أَوْ يَنْزِلَ التَّرْكُ عَنِ السُّودِدِ
لن يترك الروم تعبدتهم في هذه التي كانت كنيسة إلا إن ينزل (يتنازل) الترك لهم عن
السيادة عليها. في القصيدة قراءة للتاريخ تشبه كثيراً ما نجده في هذا الزمن (٢٠٠٨م)
عند الإسلاميين من متشددين ومعتدلين، وعند كثيرين من بسطاء الناس. ولعل هذه
القراءة تحتوي على قدر من الصحة أكبر بكثير مما يظن المثقفون، ولا سيما أولئك

الذين صاغ الغرب ثقافتهم أو أثر في وجدانهم. قد قرأ ماركس التاريخ من جهة الاقتصاد، أما توينبي فنظر إليه من جهة الدين. ولا أشك أن هناك طريقة ثالثة أو رابعة تجمع العوامل في توليفة أقرب إلى الصحة. شوقي هنا شاعر الإسلام الذي يحس بالموجة الأوروبية المقبلة، ولكنه يفسرها من ثقب باب الدولة العثمانية دون التفات كبير للمصالح الاستعمارية

٣٦ المستحيل

قال شوقي (١٨٩٩):

لا والقوام الذي، والأعين اللاتي ما خنث رب القنا والمشرقيات
لا وحق القوام الذي - سباني -، والأعين اللاتي - ذبحني -، ما خنث صاحب القنا (الرمح)
والمشرقيات (السيف). واضح أن قوامها معتدل كالرمح، وعينها ذباحتان كالسيف

ولا أردتُ لِسهمِ اللحظِ في كَيْدي رَدًّا، ولا رأيَ لي في المُستحيلاتِ
ولا أردتُ أن أردُّ سهمَ لحظها (نظرتها) الذي وقع في كيدي، وليس لي حتى رأي (تفكير) في ذلك
فهو من المستحيلات

وَأنتَ تَظَرَّبَ للواشي وتُظْمِعُهُ كالطفل ألقى بِسَمْعٍ للخرافاتِ
وأنت أيها المحبوب تطرب لكلام الواشي (ناقل الكلام)، وتُظْمِعُهُ (تشجعه)، كأنك الطفل الذي يلقي سمعه (يصدق) للخرافات

إن السهامَ إذا ما واصلتْ عَرَضاً كانت خواطِئُها مثلُ المصِيباتِ
إن كلام الواشي كالسهام التي إن ظلت تُرمى نحو المرء تزعجه الخواطئ منها (التي تخطئ الهدف)
كما تزعجه المصيبات (التي تصيب الهدف)
هذا بيت يفهمه من تعرض لحملات تشنيع، ومن اشتغل مديراً

٣٧ زاحم

قال شوقي في دخول ابنه علي السنة الثانية (١٩٠٠):

هـذِهِ أَوَّلُ خُطْوَةٍ هـذِهِ أَوَّلُ كَبْوَةٍ
هذه أول خطوة لك، وأول كبوة (سُقطة)

يا عَلِي! إِنَّ أَوَّلِيَّ أَوْفِيَّ بَعْدَ عَلِيٍّ سِنَّ الْقُوَّةِ
يا علي! إن أوفيت (قاربت) على سن الفتوة، وصرت فتى بافعاً

دافعِ النِّمَاسَ وزاحِمِ وخُذِ العَينِشَ بِقُوَّةِ
فزاحم الناس، وخذ حقك ورزقك بقوة

لَا تَقُلْ: كَانَ أَبِي، إِيَّكَ أَنْ تَحْذُو حَذْوَهُ

لا تقل: كان أبي يفعل كذا، إياك أن تحذو حذوي

أَنَا لَمْ أَغْنَمْ مِنَ النَّاسِ سِوَى فَنَجَانٍ قَهْوَةً

فأنا لم أغنم من الناس شيئاً، ربما فنجان قهوة فقط

أَنَا لَمْ أُجْزَ عَنِ الْمَدْحِ مِنْ الْأَمْلَاكِ قَرُوءَةً

ولم أُجْزَ (أكافأ) عن المدح من الأملاك (الملوك) فروة (كسوة فرو) وكانت الملوك تعطي الشعراء الملابس جوائز لهم

أَنَا لَمْ أُجْزَ عَنِ الْكُتْبِ مِنْ الْقُرَاءِ حُظُوءَةً

ولم أُجْزَ (أكافأ) عن كُتُبِي بحظوة (مكانة) من القراء

ضَيَّعَ الْكُلَّ حَيَاتِي وَعَفَافِي وَالْمُرُوءَةَ

كلهم ضيَّع لي حياتي وعفافي والمروءة (كرم النفس)

٣٨ أنا الغريق ..

قُلْ لِلزَّمَانِ يَصُبُّ مِنْ أَحْدَائِهِ أَوْ لَا يَصُبُّ فَمَا بِنَا إِشْفَاقُ

ليصبَّ الزمان أحداه (مصائبه) إن شاء أو لا يصب فليس بنا إشفاق (خوف)

غَمَرْتُ مَصَائِبُهُ فَأَغْرَقْنَا بِهَا وَالْغَمْرُ فِيهِ نَسْتَوِي الْأَعْمَاقُ

غمرت مصائبه، وفي الغمر نستوي (تساوي) الأعماق، فإن غَمَرْنَا من الماء شبر أو متر فالحال واحدة

٣٩ طعين القدود

لَا تَأْخُذَنَّ مِنَ الْأُمُورِ بِظَاهِرٍ إِنْ الظَّوَاهِرَ تَخْدَعُ الرَّائِيْنَا

لا تأخذ بظواهر الأمور، فهي تخدع الناظرين

فَلَكُمْ رَجَعْتُ مِنَ الْأَيْسَةِ سَالِماً وَصَدَرْتُ عَنْ هَيْبِ الْقُدُودِ طَعِيناً

فكثيراً ما عدتُ سالماً بعد مطاعنة بالأسنة (أطراف الرماح)، وصدرت (رجعت) بعد تعرضي للقدود الهيف (بوزن البيض/القدود الهيفاء الرشيقة) طعيناً (مطعوناً)

٤٠ الشكر

هل ترى أنت، فلاني لَمْ أَجِدْ كجميل الصُّنْع بالشكرِ اقْتِرانا
هل ترى رأيي، فأنا لم أَجد كالاقتِران بين المعروف والشكر عليه

وَإِذَا الدُّنْيَا خَلَّتْ مِنْ خَيْرٍ وَخَلَّتْ مِنْ شَاكِرٍ هَانَتْ هَوَانَا
فَإِذَا خَلَّتْ الدُّنْيَا مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ بِشْكِرِهِ هَانَتْ هَوَانَا (أصبحت تافهة)

٤١ عشق العلياء

هِيَ الْجَزِيرَةُ فَاحْذَرُ فِتْنَةَ النَّظَرِ وَكَيْفَ، وَالْحُبُّ يَأْتِي غَيْرَ مُنْتَظَرٍ
إنها الجزيرة (الجزيرة وسط النيل في القاهرة) فاحذر أن يفتك نظرك، وكيف لك أن تنجح في
حذرك والحب يأتي فجأة

أَرْضُ تَرَى الْأَسَدَ تَرَعَى فِي مَلَاعِبِهَا فَكُلُّ مَا شِ عَلَيْهِمَا رَاكِبُ الْخَطَرِ
هذه أرض ترى الأسود ترعى في ملاعبها (رياضها)، فكل من يمشي فيها يركب الخطر

أَلَيْتُ لَا دَارَتْ الْأَشْوَاقُ فِي خَلْدِي وَلَا قَطَعْتُ اللَّيَالِي وَاصِلَ الْفُكْرِ
آليت (حلقت) ألا تدور الأشواق في خلدي (بالي)، وألا أمضي الليالي مفتكراً..

وَلَا أَجَابْتُ سِوَى دَاعِيِ التَّقَى مُقْلِي وَلَا وَقَفْتُ عَلَى غَيْرِ الْعُلَى سَهْرِي
وَألا تجيب مقلي (عيوني) سوى ما يدعوني إلى التقوى، وألا أقف (أكرس) سهري على غير العلى
(الطموحات الكبيرة) ..

وَلَا عَشَقْتُ سِوَى الْعَلِيَاءِ غَانِيَةً وَلَا كَلِمْتُ بِغَيْرِ الْمَجْدِ وَالْخَطَرِ
وحلفت ألا أعشق غانية (حساء) سوى العلياء (المجد)، وألا أكلمت (أهيم) إلا بالمجد والخطر ..

وَلَا اسْتَعَنْتُ عَلَى دَهْرِي سِوَى قَلَمِي وَلَا صَحِبْتُ سِوَى الصَّمْصَمَةِ الذَّكْرِ
وحلفت ألا أستعين على زمني بغير قلمي، وألا أصحب سوى الصمصامة (السيف) الذَّكْر (ذي
الحديد الصلب)

٤٢ الفجر الضائع

قَلْبٌ يَذُوبُ وَمَذْمَعٌ بِجَرِي بَا لَيْلٌ هَلْ خَبَرَ عَنِ الْفَجْرِ
مثلاً يسأل المرء عن غائب طال أمد غيابه يسأل شوقي الليل: هل جاءك خبر عن الفجر؟

٤٣ العمر ليلة

يا ناعماً رَقَدْتَ جُفُونَهُ مُضْنَاكَ لَا تَهْدَا شُجُونَهُ
يا ناعماً (متنعماً في عيشته) رقد وأغض جفونه، مضناك (عاشقك الذي أضنيه وأمرضته) لا تهديا
شجونه (أحزانه)

حَمَلَ الْهَوَى لَكَ كُلَّهُ إِنْ لَمْ تُعِثْنَهُ فَمَنْ يُعِثْنَهُ
عاشقك حمل وحده ثقل الهوى كله، فإن لم تعنه (تساعده) فمن يعينه؟

مَا الْعَمْرُ إِلَّا لَيْلَةٌ كَانَ الصَّبَاحُ لَهَا جَبِينُهُ
ما العمر إلا ليلة صباحها يطلع من جبين المحبوب

بَيْنَ الرَّقِيبِ وَبَيْنَنَا وَإِذْ تُبَاعِدُهُ حُزُونُهُ
بيننا وبين الرقيب (العدول) وإذ، ويُبعدُ الوادي عنا حزنونه (جباله)

نَفْتَابُهُ، وَنَقُولُ: لَا بَقِيَّ الرَّقِيبُ، وَلَا عِيُونُهُ
نفتاب العدول، وتدعو عليه: «عَدِمْنَاهُ وَعَدِمْنَا عِيُونَهُ». ومن حلاوات الغرام، لمن لم يجربه،
اغتيال العدول

٤٤ أحوال العشق

يُرومونَ سُلُوَانًا لِقَلْبِي يُرِيحُهُ وَمِنْ لِيَّ السُّلُوَانِ أَشْرِيهِ غَالِبًا
يرومون (يريدون) سلواناً (نسباناً) يحل بقلبي ليرريحه، ومن أين السلوان حتى اشتريه ولو غالباً
وما العشقُ إِلَّا لَذَّةٌ ثُمَّ شِقْوَةٌ كَمَا شَقِيَ الْمَخْمُورُ بِالسُّكْرِ صَاحِبًا
وما العشق إلا لذة تليها شقوة (عذاب)، كالمخمور (السكران) يلتذ بالشرب ثم يصحو من سكرته
فيشقى بالصداع

٤٥ الهمشري

يَحْكُونُ أَنَّ رَجُلًا كُرِدِيًّا كَانَ عَظِيمَ الْجِسْمِ هَمَشَرِيًّا
همشري: صانع لامبال، واقع بين البوهية والفتك

وَكُلَّمَا مَرَّ هُنَاكَ أَوْ هُنَا يَصِيحُ بِالنَّاسِ: أَنَا أَنَا أَنَا
نَمَى حَدِيثُهُ إِلَى صَبِيٍّ صَغِيرٍ جَسَمٍ بَطَلٍ قَوِيٍّ
نمى: بلغ

فَقَالَ لِلْقَوْمِ: سَأَدْرِيكُمْ بِهِ فَتَعْلَمُونَ صِدْقَهُ مِنْ كَذِبِهِ

سَأَدْرِيكُمْ بِهِ: سَأَرِيكُمْوهُ، سَأَعْرِضُكُمْ بِحَقِيقَتِهِ

وَمَدَّ نَحْوَهُ يَمِيناً قَاسِيَةً بِضَرْبَةٍ كَادَتْ تَكُونُ الْقَاضِيَةَ

فَلَمْ يُحَرِّكْ سَاكِناً وَلَا ارْتَبَكَ وَلَا انْتَهَى عَنْ زَعْمِهِ وَلَا تَرَكَ

وَقَفَ الِهْمَشْرِي وَمَا ارْتَبَكَ، وَلَكِنَّهُ ظَلَّ عَلَى زَعْمِهِ وَلَمْ يَتْرَكَ

بَلْ قَالَ لِلْغَالِبِ قَوْلًا لَيِّنًا: الْآنَ صَرْنَا اثْنَيْنِ أَنْتَ وَأَنَا

وهكذا الدهاء، لا يخوضون معركة فاصلة، معركة إما قاتلاً وإما مقتولاً، بل يمارسون الخصم مراساً، فإذا أخذ لنفسه حيزاً أعطوه حيزه وناصفوه وتعايشوا معه. قد أعجبني الهمشري أكثر مما أعجبني الصبي

٤٦ نديم الباذنجان

كَانَ لِسُلْطَانٍ نَدِيمٌ وَافٍ يُعِيدُ مَا قَالَ بِلَا اخْتِلَافٍ

نديم السلطان الوفي يساير السلطان في كل ما يقول

فَجَلَسَا يَوْمًا عَلَى الْخَوَانِ وَجِيءَ فِي الْأَكْلِ بِبِإِذْنِجَانٍ

الخوان: المائدة

فَأَكَلَ السُّلْطَانُ مِنْهُ مَا أَكَلَ وَقَالَ هَذَا فِي الْمَذَاقِ كَالْعَسَلِ

قَالَ النَّدِيمُ: صَدَقَ السُّلْطَانُ لَا يَسْتَوِي شَهْدُ وَبِإِذْنِجَانٍ

لا مقارنة بين الشهد (العسل) والباذنجان، فالباذنجان بالطبع أطيب وألذ، أليس هكذا يريد السلطان؟

قَالَ: وَلَكِنْ عِنْدَهُ مَرَارَةٌ وَمَا حَمِئْتُ مَرَّةً أَتَارَةً

السلطان يتم كلامه: الباذنجان مر. وأثره في المعدة سيء

قَالَ: نَعَمْ مُرٌّ، وَهَذَا عَيْبُهُ مُذْ كُنْتُ يَا مَوْلَايَ لَا أَحْبُّهُ

النديم موافق. ويعلن أنه لم يحب الباذنجان قط

هَذَا الَّذِي مَاتَ بِهِ بُقْطَرَاطُ وَسُمِّ فِي الْكَأْسِ بِهِ سُقْرَاطُ

بل يزيد النديم أن الباذنجان قتل بقراط طيب اليونان، وكان هو السم الذي شربه سقراط

فَالْتَفَتَ السُّلْطَانُ فِيمَنْ حَوْلَهُ وَقَالَ: كَيْفَ تَجِدُونَ قَوْلَهُ

يستغرب السلطان من هذا التناقض

قال النديم: يا مليك الناس عُدْراً فما في فعلتي من باسٍ
جُمِلْتُ كني أنادم السلطانا ولم أنادم قطُّ بأذنجانا
أنا أنادمك فأمدحك وأسارك، ولم أكن نديماً للباذنجان فأمدحه

٤٧ ما دام في العالم أم تلد

كَانَ بِرَوْضٍ غُصْنٌ نَاعِمٌ يَقُولُ جَلَّ الْوَاحِدُ الْمُنْفَرِدُ
كان في البستان غصن ناعم يقول: سبحان الله الواحد المفرد

فقامتي في ظرفها قامتي ومثل حُسنِي في الوري ما عُهد
ويقول الغصن: أما قامتي فهي في ظرفها (جمالها) قامتي - وأنتم أعلم بما هي عليه من جمال -،
ومثل حسني (جمالي) ما عُهد (وُجد) في الدنيا

فأقبلتْ حُفُفَةً تَنَشِي وَنَجَلُهَا يَمْشِي بِجَنِبِ الْكَيْدِ
فجاءت خفءاً تنني جسمها (فهكذا مشيها، يتحدث ظهرها ثم ينبط) وابنها يمشي قريباً من كبدها
تقول: يا زينَ رياضِ البَها إِنَّ الَّذِي تَطْلُبُهُ قَدْ وُجِدَ
وهي تقول للغصن المعجب بقامته: إن الحسن الشبيه بحسبك، والذي تفتش عنه، موجود

فَانظُرْ لِقَدْ ابْنِي وَلَا تَفْتَحِرْ مَا دَامَ فِي الْعَالَمِ أُمَّ تَلِدُ
فانظر لقد ابني - وقد ابنتها متحدث مثل قدها بالطبع -، ولا تفتخر علينا ما دام هناك في العالم أم
تلد، فكل أم ترى ابنها في منتهى الجمال

٤٨ من رأيكم في الحمار

الْلَيْثُ مَلِكُ الْقِفَارِ وَمَا تَضُمُّ الصَّحَارِي
الليث: الأسد، القفار: البراري الجرداء

سَعَتْ إِلَيْهِ الرِّعَايَا يَوْمًا بِكُلِّ انْكَسَارِ
الرعايا: أفراد رعيته من مختلف الحيوانات

قَالَتْ: تَعِيشُ وَتَبْقَى يَا دَامِي الْأَظْفَارِ
مَاتَ الْوَزِيرُ فَمَنْ ذَا يَسُوسُ أَمْرَ الصُّوَارِي
يوس: يدبر، الصواري: الحيوانات المفترسة

قَالَ: الْحِمَارُ وَزِيرِي قَضَى بِهَذَا اخْتِيَارِي

فاسْتَضْحَكْتَ ثُمَّ قَالَتْ: ماذا رأى في الحمار؟
استضحكت: ضحكت، ثم قالت الرعايا لنفسها: ماذا رأى في الحمار من مزايأ حتى يجعله وزيراً؟
وخلَّفتْهُ وطارتْ بِمُسْفَحِكَ الْأَخْبَارِ
خلَّفته (تركته) وطارت (انطلقت بسرعة) بالأخبار المضحكة
حتى إذا الشهرُ ولَّى كَسَلِيلَةٍ أو نهارٍ
ومضى شهر بسرعة كأنه ليلة أو نهار

لَمْ يَشْعُرِ الْيَتِيمُ إِلَّا وَالْقِرْدُ عِنْدَ الْيَمِينِ
وَمَلَكُهُ فِي دِمَارِ وَالْكَلْبُ عِنْدَ الْيَسَارِ
وَالسَّقْطُ بَيْنَ يَدَيْهِ يَلْهُو بِعَظْمَةٍ فَارٍ
فَقَالَ: مَنْ فِي جُودِي مِثْلِي عَدِيْمُ الْوَقَارِ
أَبْنُ اقْتِدَارِي وَيَطْشِي وَهَيْبَتِي وَاعْتِسَابِي
فَجَسَاءُ الْقِرْدُ سِرّاً وَقَالَ بَعْدَ اعْتِنَادِ
يَا عَالِي الْجَاؤُ فِينَا كُنْ عَالِي الْأَنْظَارِ
يا صاحب الجاه (المكانة) بين الحيوانات، كن صاحب نظر وتنبُّر

رَأَيْ الرُّعَيْسَةَ فَمِيسَكُم مِّنْ رَّايِكُمْ فِي الْحِمَارِ
رأي الرعية فيكم مشتق من رأيكم في الحمار

٤٩ فوق التفاصيل

كَانَ لِلْغُرَبَانِ فِي الْعَصْرِ مَلِيْكٌ وَلَهُ فِي النَّخْلَةِ الْكُبْرَى أَرِيْكٌ
ملك: ملك، أريك، أريك: سرير، أريكة

فِيهِ كُرْسِيٌّ وَخِذْرٌ وَمُهْرٌ لِصِغَارِ الْمَلِكِ أَصْحَابِ الْعُهُودِ
فيه كرسي (عرش) وخذر (ستر تقيع وراءه النساء) ومهور للصغار أولياء العهد

جَاءَهُ يَوْمًا «تُسْدُورُ» السَّخَايِمُ وَهُوَ فِي الْبَابِ الْأَمِينُ الْحَازِمُ
تسدر: اسم الغراب الخادم الواقف بباب ملك الغرابان

قَالَ يَا فَرَعِ الْمُلُوكِ الصَّالِحِينَ أَنْتَ مَا زِلْتَ تَحِبُّ النَّاصِحِينَ
قال للملك: يا سليل الملوك الصالحين، أنت دوماً كنت تحب الناصحين

سُوسَةٌ كَانَتْ عَلَى الْقَصْرِ تَدُورُ جَازَتْ الْقَصْرَ وَدَبَّتْ فِي الْجُدُورِ

وهناك سوسة (حشرة قارضة) كانت تدور قرب قصركم ثم دبت في الجذور تقرضها

فَابَعَثَ الْغُرَبَانَ فِي إِهْلَاقِهَا قَبْلَ أَنْ نَهْلِكَ فِي أَشْرَاقِهَا

فابعث الغربان لقتلها قبل أن نوقعنا في أشراكها (مصايدها) ونهلك

ضَحَكَ السُّلْطَانُ مِنْ هَذَا الْمَقَالِ ثُمَّ أَذْنَى خَادِمَ الْخَيْرِ وَقَالَ

المقال: القول، أذننى: قرَّب

أَنَا رَبُّ الشَّوْكَةِ الضَّافِي الْجَنَاحِ أَنَا ذُو الْمِنْقَارِ، غَلَّابُ الرِّيحِ

أنا ربُّ (صاحب) الشوكة (القوة) الضافي (الواسع) الجناح، أنا ذو المنقار، وأنا الذي يغلب الرياح

أَنَا لَا أَنْظُرُ فِي هَذِي الْأُمُورِ أَنَا لَا أَبْصُرُ تَحْتِي يَا تُدُورُ

أنا أعالج الأمور الخطيرة فقط

ثُمَّ لَمَّا كَانَ عَامٌ بَعْدَ عَامٍ قَامَ بَيْنَ الرِّيحِ وَالنَّخْلِ خِصَامٌ

اشتدت الرياح وأخذت تهز النخل

وَإِذَا النَّخْلَةُ أَقْوَى جِذْعُهَا فَبَدَا لِلرِّيحِ سَهْلًا قَلْعُهَا

أقوى: صار فارغاً منخوراً

فَهَوَّتْ لِلْأَرْضِ كَالثَّلِّ الْكَبِيرِ وَهَوَى الدِّيَّوَانُ وَانْقَضَّ السَّرِيرُ

فسقطت النخلة أرضاً كأنها «الثل الكبير» (كسقوط جيش عرابي السريع أمام الإنجليز في معركة الثل الكبير، ولا أرى شوقي يعني شيئاً آخر، وهو الذي أسرف في تبكيت عرابي على هذه الهزيمة)،

وهوى ديوان الملك وانقضَّ (سقط) السرير (سرير الملك: العرش)

فَدَهَا السُّلْطَانُ ذَا الْخَطْبِ الْمَهُولِ وَدَعَا خَادِمَهُ الْغَالِي يَقُولُ

فدها (فاعترى) السلطان ذا (هذا) الخطب (الشأن) المهول، ونادى خادمه يقول له: ..

يَا تُدُورُ الْخَيْرِ أَسْعِفْ بِالصَّبَاحِ مَا تُرَى فَعَلْتُ فِينَا الرِّيحَ!

أسعف: ساعد

قَالَ: يَا مَوْلَايَ لَا تَسْأَلُ تُدُورُ أَنَا لَا أَنْظُرُ فِي هَذِي الْأُمُورِ

فالأمر الآن خطير و«ندور» لا ينظر في هذه الكارثة الخطيرة بل ينظر في التفاصيل

٥٠ دودتان

لِدُودَةِ الْقَرِّ عِنْدِي وَدُودَةُ الْأَضْوَاءِ

دودة القز: دودة الحرير، دودة الأضواء: الدودة المضيئة

حكايةٌ تُشسِّهِيهَا مَسَامِغُ الْأَذْكِيَاءِ

لَمَّا رَأَتْ تِلْكَ هَذِي تُشْسِيرُ فِي الظُّلُمَاءِ

سَعَتْ إِلَيْهَا وَقَالَتْ: تَعِيشُ ذَاتُ الضِّيَاءِ

أَنَا الْمُؤَمَّلُ نَفْعِي أَنَا الشَّهِيرُ وَفَائِي

حَلَا لِي السَّنْفَعُ حَسْبِي رَضِيتُ فَبِهِ فَنَسَائِي

فدودة القز تموت أثناء عملية استخراج الحرير، فعندما تنسج حول جسمها شرنقة من الخيوط الحريرية يضعونها في الماء المغلي لتموت وليأخذوا الشرنقة الحريرية

وَقَدْ أَتَيْتُ لَأَحْضِظْسِي بِسُجُودِ الْوُضْءِ

فَهَلْ لِنُورِ الثَّرَى فِي مَوَدَّتِي وَإِحْسَائِي

فهل لك يا نور الأرض أن تقبلي مودتي وإحاثي (صداقتي)

قَالَتْ: عَرَضَتْ عَلَيْنَا وَجْهًا بِغَيْرِ حَيَاءِ

مَنْ أَنْتِ حَسْبِي تُدَانِي ذَاتَ السَّنَا وَالسَّنَاءِ

السا: الضوء، السناء: الرفع

فَامْضِي، فَلَا وَدَّ عِنْدِي إِذْ لَسْتُ مِنْ أَكْفَائِي

وَعِنْدَ ذَلِكَ مَرَّتْ حَسَنَاءُ مَعَ حَسَنَاءِ

تَسْقُؤُ: لَهْ ثَوْبِي فِي حُسْنِهِ وَالْبِسْهَاءِ

كَمْ عِنْدَنَا مِنْ أَبَادٍ لِسِلْدُودَةِ السَّغَرَاءِ

هناك أيام (أفضال) لدودة القز الغراء (المشرقة)

ثُمَّ انْتَشَنَتْ فَأَتَتْ ذِي تَقُولُ لِلْحَمَقَاءِ

ثم انتشت (التفتت) فأنت دودة القز تقول للحمقاء دودة الضياء

هَلْ عِنْدَكَ الْآنَ شَكٌّ فِي رُبِّيَّتِي الْقَفْصَاءِ

هل عندك الآن شك في ربيتي (مرتبتي) القفصاء (العظيمة)

وقد رأيت صنيعةً وقد سمعت ثنائياً
إن كان فيك ضياءً إن الثناء ضيائي

٥١ الغزال والكلب

كَانَ فِيمَا مَضَى مِنَ الدَّهْرِ بَيْتٌ مِنْ بَيُوتِ الْكِرَامِ فِيهِ غَزَالٌ
بَيْتٌ لِأَحَدِ كِرَامِ النَّاسِ فِيهِ غَزَالٌ

يُطْعَمُ اللُّوزَ وَالْفَطِيرَ، وَيُسْقَى عَسلاً لَمْ يَشُبْهُ إِلَّا الزُّلَالُ
يَقْدَمُ لِلْغَزَالِ اللُّوزُ وَالْفَطِيرُ (المخبوز المكلف بالسكر أو الدسم)، ويسقى عسلاً لم يشبهه (يخالطه)
إلا الماء الزلال (العذب)

فَأَتَى الْكَلْبَ ذَاتَ يَوْمٍ يُنَاجِيهِ هـ، وَفِي النَّفْسِ تَرْحَةً وَمَلَالٌ
جاء إلى الكلب يوماً يناجيه (بهامسه) وفي نفس الغزال ترحة (حزن) وملال (ملل)

قَالَ: يَا صَاحِبَ الْأَمَانَةِ قُلْ لِي كَيْفَ حَالُ الْوَرَى وَكَيْفَ الرُّجَالُ
قال الغزال: يا صاحب الأمانة (فالكلب مشهور بها) كيف حال الدنيا والرجال

فَأَجَابَ الْأَمِينُ وَهُوَ الْقَوُولُ الضَّدَّ مَادَقُ الْكَامِلُ النُّهْيُ الْمِفْضَالُ
قال الأمين (الكلب) وهو القول للصدق، الكامل النهي (العقل) المفضال (صاحب الفضل)

لَا يَغُرُّنَكَ يَا أَخَا الْبَيْدِ مِنْ مَوْ لَكَ ذَاكَ الْقَبُولُ وَالْإِقْبَالُ
لا تغترّ يا أخا البيد (صاحب الصحارى) من مولاك (سيدك) بقوله لك، وإقباله عليك

أَنْتَ فِي الْأَسْرِ مَا سَلِمْتَ فَإِنْ تَمَّ رَضٌ تُقَطِّعُ مِنْ جَسَمِكَ الْأَوْصَالُ
فأنت مجرد أسير لديه وستظل أسيراً ما بقيت سالماً، فإذا مرضت ذبحوك وقطعوا أوصالك
(أعضاءك)

فَاطْلُبِ الْبَيْدَ، وَارْضَ بِالْعُشْبِ قُوْتاً فَهَنَّاكَ الْعَيْشُ الْهَنِيَّ الْحَلَالُ
فاطلب البيد (اذهب للصحارى)، وارض بالعشب قوتاً (طعاماً)، فهناك العيش الهنيء الحلال

أَنَا لَوْلَا الْعِظَامُ، وَهِيَ حَيَاتِي لَمْ تَطْبُ لِي مَعَ ابْنِ آدَمَ حَالُ
أنا لولا العظام وهي أصل حياتي، لم تكن لتطيب لي مع ابن البشر الحال

٥٢ سليمان والهدد

وَقَفَ الْهُذُقْدُ فِي بَا بِ سُلَيْمَانَ بِذِلَّةٍ

قَالَ يَا مَوْلَايَ كُنْ لِي عَيْشَتِي صَارَتْ مُمْلَةً

قال الهدهد لسليمان: يا مولاي كن لي معيأ، فعيشتي صارت مملة

مُتُّ مِنْ حَبَبٍ بُرٍّ أَحْدَثْتُ فِي الصَّدْرِ غُلَّةً

كدت أموت من حبة بُرٍّ (قمح) أحدثت في صدري غلّة (عطشاً)

لَا مِيَاهُ النَّيْلِ تَرْوِيهِمْ هَاهُنَا، وَلَا أَمْوَاهُ دَجَلَةٍ

وهذه الغلة (العطش) لا ترويهها مياه النيل ولا أمواه (مياه) دجلة

وَإِذَا دَامَتْ قَمَلِيًّا قَتَلْتَنِي شَرًّا قَمَلَةً

فَأَشَارَ السَّيِّدُ الْعَالِي إِلَى مَنْ كَانَ حَوْلَهُ:

قَدْ جَنَى الْهَيْهَذَا ذَنْبًا وَأَتَى فِي الْيَوْمِ فِعْلَةً

قال سليمان لمن في مجلسه: قد ارتكب الهدهد ذنباً، وجاء بفعلته لثيمة

تِلْكَ نَارُ الْإِثْمِ فِي الصَّدْرِ، وَذِي الشَّكْوَى تَوَلَّى

وما في صدره إنما هي نار الإثم، وأما شكواه فهي نغلة (حجة باطلة)

مَا أَرَى السَّحَابَةَ إِلَّا سُرِقْتُ مِنْ بَيْتِ نَمْلَةٍ

إِنْ لِلظَّالِمِ صَدْرًا يَشْتَكِي مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ

كان من فضل المدرسة عليّ أن جعلتني أحفظ هذه القصيدة، فلما حاق بالحافظ المحقق، واكتفى الذهن بما ضمه وضاق، ظلت هذه القصيدة من المحفوظ القديم الذي أؤدي به صلاة الأدب. وقد عجبت كثيراً لهذا الشاب الذي لم يتجاوز الخامسة والعشرين ينظم، وهو يطلب العلم في فرنسا، أشعاراً عن الحيوان فيها أصالة وظرف وذكاء، وتنم عن تجربة واسعة ومعرفة بأغوار النفس الإنسانية. وقرأت أشعار لافونتين، وبه اقتدى شوقي في قصائده عن الحيوان، وأنا أتمنى ألا يكون شوقي سرق منه شيئاً. قرأت لافونتين بترجمة الأب نقولا أبو هنا، وسعدت به، بخفته وظرفه وجمال حكاياته. وسعدت أكثر لأن قصائد شوقي أحلى منها. وبلغت سعادتي منتهاها عندما وجدت شاعراً مبدعاً في كل قصصه. فهو لم يسرق من الفرنسي شيئاً، بل استوحى الفكرة لا غير. وأما لافونتين فقد تأثر بإيسوب ونقل عنه، وتأثر بكليلة ودمنة ونقل عنها. وشوقي في قصائده التي على لسان الحيوان صنع قصصه وصنع لكل منها حكمتها، وبعضها ليس فيه حكمة ذات بال، بل فيه نكتة أو كشف لنفاق الإنسان. شوقي في هذا الشعر شاعر خطير، وفنان كبير، وظريف من ظرفاء الأدب العربي النادرين، وعبقري نضج في روحه ونفسه مبكراً. وهذه القصائد تصلح للأطفال، وتصلح للكبار أكثر. وكثير منها يحتاج تذوقه إلى نضج ومعرفة بدقائق النفس البشرية لا يتأتى لطفل. على أن شوقي كتب في المقدمة التي جعلها في صدر الشوقيات عندما صدرت أول مرة عام ١٩٠٠: «أتمنى لو وقفني الله لأجعل لأطفال المصريين مثل ما جعل الشعراء للأطفال في البلاد المتقدمة: منظومات قريبة المتناول، يأخذون الحكمة والأدب من خلالها على قدر عقولهم».

٥٣ النملة والمقطم

كَانَتْ النَّمْلَةُ تَمْشِي مَرَّةً تَحْتَ الْمُقَطَّمِ
المقطم: جبل في القاهرة

فَارْتَحَى مَفْصِلُهَا مِنْ هَيْبَةِ الطَّوْدِ السُّعْظَمِ
الطود: الجبل

قَالَتْ الْيَوْمَ هَلَاكِي حَلَّ يَوْمِي وَتَحَنَّنْ
لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ أَنْجُو، إِنَّ هَوَى هَذَا، وَأَسْلَمَ
هوى: سقط

فَسَعَتْ تَجْرِي وَعَيْنَا هَا تَرَى الطَّوْدَ فَتَنْدَمُ
تندم؟ ربما على مجيئها لهذا المكان. ولا أراها إلا ولدت فيه

سَقَطَتْ فِي شَيْبَرِ مَاءٍ هُوَ عِنْدَ النَّمْلِ كَالْيَمِّ
ثم إنها وهي تجري سقطت في شبر ماء، وهو بالنسبة للنمل كاليم (البحر)

فَبِكَتْ يَأْساً وَ ٢١٥ قَبْلِ تَجَرِّي الْمَاءِ فِي الْفَمِ
ثم قالت، وهي أدرى بالذي قالت وأعلم:
البيت كله حشوة طريفة

لَيْتَنِي لَمْ أُنَاخِزْ لَيْتَنِي لَمْ أَتَقَدَّمْ
لَيْتَنِي سَلَّمْتُ، فَالْعَا قُلْ مَنْ خَافَ فَسَلَّمَ
صَاحِ! لَا تَخْشَ عَظِيماً فَالَّذِي فِي الْغَيْبِ أَعْظَمُ
صاح: يا صاحبي

٥٤ الثعلب الزاهد

بَرَزَ الثَّعْلَبُ يَوْمًا فِي شِعَارِ الْوَاعِظِينَا
ظهر الثعلب يوماً في شعار (لباس) الواعظين

فَمَشَى فِي الْأَرْضِ يَهْدِي وَيُسُبُّ الْمَاكِرِينَا
ويقول الحمد للهِ إلى العالَمِينَا

كهف: ملاذ

وازهّدوا في الطّير إنّ الـ عيشَ عيشَ الزّاهدينَا
واطلبوا المديك يوذّنْ لصلاة الصّبح فينا
فأتى المديك رسولٌ مِن إمام النَّاسكِينا
فجاء للمديك رسول من الثعلب الذي ادعى أنه إمام الناسكين

عرَضَ الأمرَ عليهِ وهوَ يرجو أن يَلِينَا
فأجابَ المديك: عُذراً يا أَضَلَّ المُهتَمدينَا
أنت أيها الرسول مهتدٍ وصالح، ولكنك ضال لعدم فهمك لنوايا الثعلب

بَلَّغِ الثعلبَ عني عَنْ جُودِي الصّالحينَا
أنهم قالوا، وخيرُ الـ قول قول العارفينَا:
مُخْطِئٌ مَنْ ظَنَّ يوماً أنَّ للثعلبِ دينَا

٥٥ وجه الشؤم

مرَّ الغرابُ بِشاةٍ قد غابَ عنها الفَطيّمُ
الفتيم: المفطوم، ابنها

تَقولُ والدمعُ جارٍ والقلبُ مِنها كَلِيمُ
كليم: مجروح

يا ليتَ شِعْري يا ابني وواحدِي، هلْ تَدومُ
هل تدوم: هل تعيش لي

فقالَ يا أُمَّ سَعْدٍ هذا عَسَدابُ السِّيمِ
أم سعد: الشاة، وقال الأبياري إن العوام يلقبون الخروف سعداً

لكلِّ يومٍ حُطُوبٌ تكفي، وشغلٌ عَظيمُ
خطوب: مصائب

وبينما هُوَ يَهْذي أتى النَّعْويُّ الذَّمِيمُ
بينما الغراب يهذي (يثرثر) جاء النعي (الناعي) الذميم (المذموم)

يَقُولُ خَلَّفْتُ سَعْدًا وَالْعَظَمُ مِنْهُ هَشِيمٌ

هشيم: مهم

رَأَى مِنَ السَّدْثِ مَا قَدْ رَأَى أَبَوُهُ الْكَرِيمُ

فَقَالَ «ذُو الْبَيْنِ» لِلأَمِّ حِينَ وَلَسْتُ تَهِيمُ

ذو البين: الغراب الذي ينذر بالبين (الفراق)

أَلَمْ أَقُلْ لَكَ تَوًّا لِكُلِّ يَوْمٍ هُمُومُ

قَالَتْ صَدَقْتَ، وَلَكِنْ هَذَا الْكَلَامُ قَدِيمُ

فَإِنْ قَوْمِي قَالُوا: وَجْهُ الْغُرَابِ مَشُومُ

مشوم: مشوم

٥٦ خيانة صغيرة

كَانَ ابْنُ دَاوُدَ يُقَرَّرُ بِي فِي مَجَالِسِهِ حَمَامَةٌ

ابن داود: النبي سليمان، يقرب: يفضل. والحاكم إذا قرب شخصاً بقربه فعلاً في المجلس فيجلسه قريباً منه

خَدَمَتْهُ عُمَرَا مَثَلَمَا قَدْ شَاءَ، صِدْقًا وَاسْتِقَامَةً

فَمَضَتْ إِلَى عُمَالِهِ يَوْمًا تُبَلِّغُهُمْ سَلَامَةً

وَالْكُتُبُ تَحْتَ جَنَاحِهَا كُتِبَتْ لَهَا فِيهَا الْكَرَامَةُ

فقد حملها سليمان كتباً (رسائل) وفيها تكريم لها

فَأَرَادَتِ الْحَمَقَاءُ تَعْرِفَ مِنْ رَسَائِلِهِ كَلَامَةً

عَمَدَتْ لِأَوَّلِهَا، وَكَانَ إِلَى خَلِيفَتِهِ بِرَامَةً

«رامة»: مكان يعرفه سليمان والحمامة وأحمد شوقي

فَرَأَتْهُ بِأَمْرٍ فِيهِ عَامِلَةٌ بِنَاجٍ لِلْحَمَامَةِ

عامله: واليه

وَيُشِيرُ فِي الثَّانِي بِأَنْ تُعْطَى رِيضًا فِي تَهَامَةٍ

تهامة: منطقة في الحجاز

وَأَنْتَ لثَالِثِهَا وَلَمْ تَسْتَحْيِ أَنْ قَضَتْ خِتَامَةً

قضت ختامه: فكّت الختم

فَرَأَيْتُهُ يَأْمُرُ أَنْ تَكُونِ نَ لَهَا عَلَى الطَّيْرِ الرِّعَامَةُ
فَبَكَتْ لَذَاكَ تَسَدُّمًا هَيْهَاتَ لَا تُجِدِي النَّدَامَةَ
وَأَنْتَ نَبِيَّ اللَّهِ وَفِي يَ تَقُولُ: يَا رَبَّ السَّلَامَةَ
قَالَ: فَقَدْ كُتِبَ يَا مَوْلَايَ فِي أَرْضِ الْيَمَامَةِ
لَتَسْرُعَنِي لَمَّا أَتَا نِي الْبَارُ يَدْفَعُنِي أَمَامَةَ
الْبَارُ: طَائِرٌ مِنَ الْكَوَاسِرِ

فَأَجَابَ بَلْ جئتِ الَّذِي كَادَتْ تَقُومُ لَهُ الْقِيَامَةُ
لَكُنْ كِفَاكِ عَقُوبَةً مَنْ خَانَ خَانَتْهُ الْمَكْرَامَةُ
من خَانَ الأمانة خاتته (خذلته) الكرامة (التكريم)

٥٧ الثعلب الساذج

قَدْ سَمِعَ الثَّعْلَبُ أَهْلَ الْقُرَى يَدْعُونَ مُخْتَلًا بِـ «يَا ثَعْلَبُ»
فَقَالَ: حَقًّا هَذِهِ غَايَةٌ فِي الْفَخْرِ لَا تُؤْتَى وَلَا تُطْلَبُ
سُرَّ الثَّعْلَبُ لِأَنَّهُمْ جَعَلُوهُ مَثَلًا فِي الْإِحْتِيَالِ. وَهَكَذَا الطُّفْلُ، وَمَعْظَمُ الْكِبَارِ، إِنْ
تَعَجَّبْتَ مِنْ شَيْءٍ بِصُنْعُونِهِ أَسْرَفُوا فِي صُنْعِهِ. قُلْ عَنْ طِفْلِ إِنْهُ يَوْسُخُ ثِيَابَهُ كَثِيرًا، يَأْتِيكَ
بَعْدَ قَلِيلٍ وَثِيَابُهُ مَلَطُخَةٌ بِالطِّينِ. وَقُلْ عَنْ رَجُلٍ إِنْهُ سَكِيرٌ، تَرَاهُ أَخَذَ يَبَالِغُ فِي السُّكْرِ
حَتَّى يَعْزِزَ هَذِهِ الْمَزِيَّةَ. وَكُلُّ وَاحِدٍ مَنَا يَبْحَثُ عَنْ مَزِيَّةٍ تَجْعَلُهُ مُنْفَرِدًا لَا يَشْبَهُ غَيْرَهُ.
فَإِنْ كَانَتْ مَا يَسْتَحْسِنُ فِيهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ فَهِيَ أَكْثَرُ تَمَيِّزًا لَهُ

مَنْ فِي النَّهْيِ مِثْلِي، حَتَّى الْوَرَى أَصْبَحْتُ فِيهِمْ مَثَلًا يُضْرَبُ
من مثلي في النهي (العقل)، فحتى الآدميون أصبحوا بضربوني مثلاً
مَا ضَرَّ لَوْ وَاقْبَتُهُمْ زَائِرًا أَرِيهِمْ فَوْقَ الَّذِي اسْتَغْرَبُوا
ها هو يريد تعزيز سمته بأنه داهية

لَعَلَّهُمْ يُخَيُّونَ لِي زِينَةً يَخْضُرُهَا الدِّيكُ أَوْ الْأَرْنَبُ
زينة: مَهْرَجَانًا

وَقَصَدَ الْقَوْمَ، وَحَيَّاهُمْ وَقَامَ فِيمَا بَيْنَهُمْ يَخْطُبُ
فَأَخَذَ الْمَزَائِرُ مِنْ أُذُنِهِ وَأَعْطَى الْكَلْبَ بِهِ يَلْعَبُ
فَلَا تَشُقُّ يَوْمًا بِذِي حِيلَةٍ إِذْ رُبَّمَا يَنْخَلِعُ الثَّعْلَبُ

٥٨ الْمَنْصِبُ الْفَصِيحُ

مِنْ أَعْجَبِ الْأَخْبَارِ أَنَّ الْأَرْنَبا لما رأى الديك يسبُّ الثعلبا
وهو على الجدار في أمانٍ يغلبُ بالمكان لا الإمكان
رأى الأرنب (ويبدو أنه أرنب ذكر) الديك وافقاً على الجدار العالي متحصناً بمكانه لا بإمكانه
(بقدرته) يسب الثعلب

دَاخَلَ الظَّنُّ بَأَنَّ الْمَاكِرا أمسى مِنَ الضَّعْفِ يُطَبِّقُ السَّاخِرا
داخله (خالجه) الظن بأن الثعلب صار ضعيفاً ولذلك فهو يطبق (يصبر على) الديك الساخر منه
فجاءه يَلْعَنُ مِثْلَ الْأَوَّلِ عِدَادَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ مُغْفَلٍ
فجاء الأرنب وبدأ يسب الثعلب مثل الأول (يعني الديك) يبه عداد (بعدد) ما في الأرض من
مغفلين (ومن المغفل سوى الأرنب؟)

فَعَصَفَ الثَّعْلِبُ بِالضَّعِيفِ عَصَفَ أَخِيهِ الذِّيبِ بِالْخُرُوفِ
ففتك الثعلب بالأرنب مثلما فتك أخوه الذئب بالخروف
وَقَالَ لِي فِي دِمِكَ الْمَسْفُوكِ تَسْلِيَةٌ عَنْ خَيْبَتِي فِي الدِّيكِ
لي تسلية: لي عزاء

فَالْتَفَتَ الدِّيكُ إِلَى الذَّبِيحِ وَقَالَ قَوْلَ عَارِفٍ فَصِيحِ
فقال الديك من فوق جداره للأرنب الذبيح (المنذوب)

مَا كُنَّا يَنْفَعُهُ لِسَانُهُ فِي النَّاسِ مَنْ يُنْطِقُهُ مَكَانُهُ
ليس المهم الفصاحة، المهم الموقع الذي تتكلم منه. كان ليون تروتسكي أفصح من جوزيف
ستالين، ولكن ستالين صنع لنفسه موقعاً داخل الحزب، وكوّن قاعدة ولاء غلب بها تروتسكي

٥٩ النملة العابدة

كَانَتْ بِأَرْضٍ نَمْلَةٌ تَنْبَالَةٌ لَمْ تَسْلُ يَوْمًا لَذَّةَ الْبِطَالَةِ
كان هناك نملة تنبالة (كسولة)، لم تсл (لم تنس) يوماً لذة البطالة (القعود عن العمل)

وَاشْتَهَرَتْ فِي النَّمْلِ بِالتَّقَشُّفِ وَاتَّصَفَتْ بِالرُّهْدِ وَالتَّصَوُّفِ
لكن، يقوم الليل من يقاته فالبطون لا تملأه الصلاة
لكن - يقول شوقي - يستطيع قيام الليل وإحياءه بالعبادة من يقات (ياكل)، فالبطن لا تملأه الصلاة

وَالنَّمْلُ لَا يَسْعَى إِلَيْهِ الْحَبُّ وَنَمَلْتَنِي شَقٌّ عَلَيْهَا الذَّابُّ
وَالنَّمْلُ يَسْعَى لِلْحَبِّ وَلَيْسَ الْعَكْسُ، وَأَمَّا نَمَلْتَنِي فَقَدْ شَقَّ عَلَيْهَا (صَعِبَ عَلَيْهَا) الذَّابُّ (الاجتهاد)

فَخَرَجْتُ إِلَى التَّمَّاسِ الْقَوْتِ وَجَعَلْتُ تَطَوُّفُ بِالْبَيْوتِ
فَخَرَجْتُ تَلْتَمِسُ (تَطْلُبُ) الْقَوْتَ (الطَّعَامَ) وَتَطَوُّفُ بَبُيُوتِ النَّمَلَاتِ الْأَخْرِيَّاتِ

تَقُولُ: هَلْ مِنْ نَمْلَةٍ تَقِيَّةٌ تُنْعِمُ بِالْقَوْتِ لِذِي الْوَلِيَّةِ
تَقُولُ: هَلْ مِنْ نَمْلَةٍ تَقِيَّةٍ تُنْعِمُ بِالْقَوْتِ (تَمْنَحُ الطَّعَامَ) لِذِي الْوَلِيَّةِ (هَذِهِ الْوَلِيَّةُ). وَلَوْ كَسَرْتَ الْوَاوَ فِي
الْوَلِيَّةِ لَمَا أَخْطَأْتَ فَشَوْفِي يَعْنِيهَا أَيْضاً، وَكَدْتَ أَضْعَ كَسْرَةً عَلَى الْوَاوِ فَرَأَيْتَ شَوْفِي رَافِعاً حَاجِبِهِ

لَقَدْ عَيِيْتُ بِالطَّلَوِيِّ الْمَبْرُحِ وَمَنْذُ لَيْلَتَيْنِ لَمْ أُسَبِّحْ
لَقَدْ عَيِيْتُ (تَعَبْتُ) بِالطَّلَوِيِّ (الْجَوْعَ) الْمَبْرُحِ (الشَّدِيدَ) وَمَنْذُ لَيْلَتَيْنِ لَمْ أَسْبَحْ لِلَّهِ

فَصَاحَتِ الْجَارَاتُ: يَا لِلْعَارِ لَمْ تَتْرُكْ النَّمْلَةَ لِلضَّرْصَارِ
صَاحَتِ الْجَارَاتُ: يَا لِلْعَارِ، لَمْ تَتْرُكْ النَّمْلَةَ شَيْئاً لِلضَّرْصَارِ الْكُفُولِ

مَتَى رَضِينَا مِثْلَ هَذِهِ الْحَالِ مَتَى مَدَدْنَا الْكَفَّ لِلسُّؤَالِ
مَتَى مَتَى نَرْضَى، مَعْتَرِ النَّمْلَ، هَذِهِ الْحَالُ، وَمَتَى مَدَدْنَا أَيْدِيَنَا لِلسُّؤَالِ (لِلشُّحْنَةِ)؟

وَنَحْنُ فِي عَمِينَ الْمَوْجُودِ أُمَّةٌ ذَاتُ اشْتِهَارٍ يَبْلُغُوا الْهِمَّةَ
وَنَحْنُ فِي نَظَرِ النَّاسِ أُمَّةٌ مَشْهُورَةٌ يَبْلُغُوا الْهِمَّةَ (الطُّمُوحَ وَالْجَدَّ)

نَحْمِلُ مَا لَا يَضِيرُ الْجَمَالَ عَنْ بَعْضِهِ لَوْ أَنَّهَا نِمَالٌ
نَحْمِلُ مِنَ الْأَثْقَالِ مَا لَا تَطْلِقُ الْجَمَالَ حَمْلَ جُزْءٍ مِنْهُ لَوْ أَنَّهَا مِثْلَانِ (فِيالنِّسْبَةِ وَالتَّنَاسُبِ) نَحْمِلُ النَّمْلَةَ
أَضَاعَفَ وَزْنَهَا وَالْجَمْلُ لَا يَحْمِلُ هَذَا

أَلَمْ يَقُلْ مَنْ قَوْلُهُ الصَّوَابُ: مَا عِنْدَنَا لِسَائِلِ جَوَابِ
السَّائِلِ: الشَّحَازِ

فَامْضِي، فَإِنَّا يَا عَجُوزَ الشُّومِ نَرَى كِمَالَ الزُّهْدِ أَنْ تَصُومِي
الشُّومُ: الشُّومُ

٦٠ نَقْرَةُ الْمَهْمَازِ

بَغْلٌ أَتَى الْجَوَادَ ذَاتَ مَرَّةٍ وَقَلْبُهُ مُمْتَلِئٌ مَسْرَةً
بَغْلٌ أَتَى إِلَى الْحِصَانِ مَسْرُوراً

فَقَالَ: فَضْلِي قَدْ بَدَا يَا خَلِي وَأَنْ أَنْ تَعْرِفَ لِي مَحَلِّي

فقال البغل: فضلي قد ظهر يا خلي (صديقي)، وأن أن تعرف لي مكانتي

إِذْ كُنْتُ أَمْسٍ مَاشِياً بِجَانِبِي تَفْجَبُ مِنْ رُقْصِي تَحْتَ صَاحِبِي

فأمس كنت أنت تمشي بجانبني، وتعجب من مشي الراقص وصاحبي يركبني

فَضَحَكَ الْحَصَانُ مِنْ مَقَالِهِ وَقَالَ بِالْمَعْهُودِ مِنْ دَلَالِهِ

فضحك الحصان من مقاله (قوله)، وقال له بدلاله المعهود: ..

لَمْ أَرْ رُقْصَ الْبَغْلِ تَحْتَ الْغَازِي لَكِنْ سَمِعْتُ نَقْرَةَ الْمَهْمَازِ

لم أر رقصك تحت صاحبك الغازي (الفاتح)، لكنني سمعت نقرة مهمازه ينخسك به بكعبه، فأت

كنت تعاني الإهانة ولا ترقص بإرادتك

٦١ المستعجل

رَأَيْتُ فِي بَعْضِ الرِّيَاضِ قُبْرَةً تُطِيرُ ابْنَهَا بِأَعْلَى الشَّجَرَةِ

القبرة: طائر يستحسن الناس صوته

وَهِيَ تَقُولُ: يَا جَمَالَ الْعُشْرِ لَا تَعْتَمِدْ عَلَى الْجَنَاحِ الْهَشِّ

وَقِفْ عَلَى عَوْدٍ بِجَنْبِ عَوْدٍ وَافْعَلْ كَمَا أَفْعَلُ فِي الصُّعُودِ

لَكِنَّهُ قَدْ خَالَفَ الْإِشَارَةَ لَمَّا أَرَادَ يُظْهِرُ السَّطَّارَةَ

وَطَارَ فِي الْفُضَاءِ حَتَّى ارْتَفَعَا فَخَانَهُ جَنَاحُهُ فَوْقَمَا

فَانْكَسَرَتْ فِي الْحَالِ رُكْبَتَاهُ وَلَمْ يَنْلُ مِنَ الْعُلَى مُنَاهُ

وَلَوْ تَأْتَى نَالَ مَا تَمْنَى وَعَاشَ طَوَلَ عُمُرِهِ مُهَنَّا

لِكُلِّ شَيْءٍ فِي الْحَيَاةِ وَقْتُهِ وَغَايَةُ الْمُسْتَعْجِلِينَ فَوْتُهُ

فوته: تضييعه

٦٢ فأر الوليمة

فَأَرَى الْفَقْظَ عَلَى الْجِدَارِ مَعْدَباً فِي أَضْيَقِ الْحِصَارِ

وَالْكَلْبُ فِي حَالَتِهِ الْمَعْهُودَةِ مُسْتَجِيعاً لِلْوُثْبَةِ الْمَوْعُودَةِ

رأى الفأر القظ فوق الجدار، والكلب من الأسفل يحاصره ويستجمع قوته للوثوب عليه

فحاولَ الفأرُ اغتنامَ الفرصةَ وقالَ أَكْفِي القَطْ هذِي الغُصَّةُ

حاول الفأر اغتنام الفرصة وقال لنفسه: سأكفي القط (سأجبه) هذه الغصة (المشكلة)

لعله يَكْتُبُ بالأمانِ لي ولأصحابي مِنَ الجيرانِ

لعله يعطيني أنا وأصحابي الفئران الأمان

فسارَ للكلبِ على يديهِ وَمَكَّنَ الترابَ مِنْ عينيهِ

فسار الفأر نحو الكلب، ونعف التراب ومكّنه من إصابة عينيه

فاشْتَغَلَ «الراعي» عَنِ الجِدَارِ وَنَزَلَ القَطْ عَلَى بَدَارِ

فاشغل الراعي (لقب الكلب) بتنظيف عينيه وسها عن الجدار، فنزل القط على بدار (بسرعة)

مَبْتَهَجاً يُفَكِّرُ فِي وَليمَةٍ وَفِي فريسةٍ لَهَا كريمةٌ

كان القط مبتهجاً (مسروراً) وأخذ يفكر في وليمة، وفي فريسة كريمة (كبيرة)

يَجْعَلُهَا لَخَطْبِهِ عَلامَةً يَذْكُرُهَا فَيَذْكُرُ السَّلامَةَ

يريد جعل الوليمة علامة على سلامته، فكلما تذكرها تذكر أنه سلم من الخطر

فجاءَ ذاكَ الفأرُ فِي الأثناءِ وَقَالَ: عاشَ القَطْ فِي هَنا

فجاء الفأر في هذه الأثناء (في هذا الوقت) ودعا له بالعيش بهناء

رَأَيْتَ فِي الشَّدَّةِ مِنْ إخلاصي ما كان فِيهِ سببُ الخَلاصِ

وقال: قد رأيت في الشدة (المصيبة) من إخلاصي ما كان سبب خلاصك

وقد أَتَيْتُ أَطْلُبُ الأمانا فامْنُنْ بِهِ لِمَعْشَرِي إِحسانا

امنن: تفضل علينا

فقالَ: حَقّاً هذِهِ كَرامَةٌ غَنيمَةٌ وَقَبْلُهَا سَلامَةٌ

يكفيكَ فخرًا يا كَرِيمَ الشِمةِ أَنْكَ فَأرُ الخَطْبِ والوليمةُ

يكفيك فخراً يا كريم الشيمة (الخلق)، أنك فأر الخطب (المصيبة) والوليمة أيضاً

وانقَضَ فِي الحالِ عَلَى الضَّعيفِ يَأْكُلُهُ بِالْمِلْحِ والرَّغيفِ

ثم انقض على الفأر الضعيف وأكله بالملح والرغيف. فلم كرتون لتوم وجيري قبل نحو خمسين سنة من ظهورهما

فقلْتُ فِي المَقامِ قولاً شاعاً مَنْ حَفِظَ الأعداءَ يوماً ضاعاً

٦٣ حصائد الألسنة

يَمَامَةٌ كَانَتْ بِأَعْلَى الشَّجَرَةِ أَمْنَةً فِي عُشِّهَا مُسْتَتِرَةٌ
يَمَامَةٌ : حمامة برية

فَأَقْبَلَ الصَّيَادُ ذَاتَ يَوْمٍ وَحَامَ حَزَلَ الرُّوْضِ أَيَّ حَزَمٍ
فَلَمْ يَجِدْ لِلطَّيْرِ فِيهِ ظِلًّا وَهَمَّ بِالرَّحِيلِ حِينَ مَلَأَ
فَبَرَزَتْ مِنْ عُشِّهَا الْحَمَمَاءُ وَالْحُمُقُ دَاءٌ مَا لَهُ دَوَاءُ
تَقُولُ جَهْلًا بِالَّذِي سَيَحْدُثُ : يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ عَمَّ تَبْحَثُ
فَالْتَفَتَ الصَّيَادُ صَوْبَ الصَّوْتِ وَنَحْوَهُ سَدَّدَ سَهْمَ الْمَوْتِ
فَسَقَطَتْ مِنْ عَرِشِهَا الْمَكِينِ وَوَقَعَتْ فِي قَبْضَةِ السَّكِينِ
المكين : المنيع

نَقُولُ قَوْلَ عَارِفٍ مُحَقِّقٍ مَلَكَتْ نَفْسِي لَوْ مَلَكَتْ مَنْطِقِي
منطقي : نُطْقِي

٦٤ الأسد والضفدع

قَالُوا اسْتَوَى اللَّيْثُ عَلَى عَرْشِهِ فَجِيءَ فِي الْمَجْلِسِ بِالضَّفْدَعِ
وَقِيلَ لِلْمَلِكِ هَذَا الَّذِي بِالْأَمْسِ آذَتْ عَالِي الْمِسْمَعِ
قِيلَ لِلْأَسَدِ هَذِهِ الَّتِي آذَتْ الْمِسْمَعَ الْعَالِي (أزعجت أذنك البجلة)
تُنْفِقُ الدَّهْرَ بِلا عِلَّةٍ وَتَدَّعِي فِي الْمَاءِ مَا تَدَّعِي
تَنْفِقُ الضَّفْدَعُ الدَّهْرَ (طَوَّلَ الدَّهْرَ) بِلا عِلَّةٍ (سبب)، وَتَدَّعِي أَنَّهَا سُلْطَانَةُ الْمَاءِ
فَانظُرْ - إِلَيْكَ الْأَمْرُ - فِي ذَنْبِهَا وَنُرْ نَعْلَقُهَا مِنْ الْأَرْبَعِ
مُرْ : فلتأمر

فَنَهَضَ الْفَيْلُ وَزِيرُ الْعُلَى وَقَالَ : يَا ذَا الشَّرَفِ الْأَرْفَعِ
لَا خَيْرَ فِي الْمَلِكِ وَفِي عِرْزِهِ إِنْ ضَاقَ جَاءَ اللَّيْثُ بِالضَّفْدَعِ
جاء : مكانة

فَكَتَبَ اللَّيْثُ أَمَانًا لَهَا وَزَادَ أَنْ جَادَ بِمُسْتَنْقَعِ

كل مؤسسة لا بد أنها تضم بعض الحمقى، ويجب على مدير كل قسم، ورئيس كل شعبة ألا يفتن بهم. وإلا فمن أين يرتزقون؟

٦٥ الضيف المقيم

بَيْنَا ضِعَافٌ مِنْ دَجَاجِ الرُّيْفِ تَخْطُرُ فِي بَيْتٍ لَهَا ظَرِيفٌ
 بينا (بينما) دجاجات ضعاف تخطر (تتمشى) في بيتها

إِذَا جَاءَهَا هِنْدِيٌّ كَبِيرُ الْعُرْفِ فَقَامَ فِي الْبَابِ قِيَامَ الضَّيْفِ
 جاءها ديك هندي (ديك رومي/ ديك الحبش) ذو عرف كبير ووقف منها موقف الضيف الزائر
 يَقُولُ: حَيَّا اللَّهَ ذِي الْوُجُوها وَلَا أَرَاهَا أَبَدًا مَكْرُوها
 يقول حيا الله ذي (هذه) الوجوه، وَلَا أَرَاهَا الله مكروها

أَتَيْتُكُمْ أَنْشُرُ فِيكُمْ فَضْلِي يَوْمًا وَأَقْضِي بَيْنَكُمْ بِالْعَدْلِ
 وكل ما عندكم حرامٌ عليّ إِلَّا الْمَاءَ وَالْمَنَامُ
 فَعَاوَدَ الدَّجَاجُ دَاءَ الطَّيْشِ وَفَتَحَتْ لِلْعِلْجِ بَابَ الْعُشِ
 عاد إلى الدجاج داء الطيش، وفتحت للعلاج (الأجنبي) باب العش

فَجَالَ فِيهِ جَوْلَةَ الْمَلِكِ يَدْعُو لِكُلِّ فَرْخَةٍ وَوَدِيكِ
 وبات تلك الليلة السعيدة مَمْتَعًا بِدَارِهِ الْجَدِيدَةِ
 ممتعًا: ممتعًا

حَتَّى إِذَا تَهَلَّلَ الصَّبَاحُ وَاقْتَبَسَتْ مِنْ نُورِهِ الْأَشْبَاحُ
 تهلل: أطل، الأشباح: المخلوقات التي تبدو في الليل كالأشباح

صَاحَ بِهَا صَاحِبُهَا الْفَصِيحُ يَقُولُ: دَامَ مَنْزِلِي الْمَلِيحُ
 فَاَنْتَبَهَتْ مِنْ نَوْمِهَا الْمَشْؤُومِ مَذْعُورَةً مِنْ صِيحَةِ الْعَشُومِ
 العشوم: الظالم

تَقُولُ: مَا تِلْكَ الشَّرُوطُ بَيْنَنَا غَدَرْتَنَا وَاللَّهِ غَدْرًا بَيْنَا
 بين: واضح

فَضَحَكَ الْهِنْدِيُّ حَتَّى اسْتَلْقَى وَقَالَ: مَا هَذَا الْعَمَى يَا حَمْقَى
 استلقى: استلقى على ظهره من الضحك. في الزمن القديم كان الناس فيما يبدو هائنين أكثر، فكان الواحد منهم إذا استبد به الضحك استلقى على قفاه؛ أو لعلهم كانوا يفعلون ذلك لأنهم كانوا يجلسون على الأرض فيسهل عليهم الاستلقاء على القفا

مَتَى مَلَكَتُمُ السَّنَ الْأَرْبَابَ؟ قَدْ كَانَ هَذَا قَبْلَ فَتْحِ الْبَابِ
 متى تملكون السن أرباب البيت (أصحابه)؟ نعم كان ذلك صحيحاً قبل أن تفتحوا لي الباب

٦٦ عصفورتان

عُصْفُورَتَانِ فِي الْحِجَا زِ حَلَّتَا عَلَى فَسْنُ
فَن: غصن

فِي خَامِلٍ مِنَ الرُّيَا ضِي، لَا تَدِي وَلَا حَسَنُ
في روض من الرياض الخاملة (غير المعروفة)، وهو روض جاف غير ندي

بَيْنَاهُمَا تَنْتَجِيَا نِ سَحَرًا عَلَى الْغُصْنِ
بينما (بينما) هما تنتجيان (نتهامان) وقت السحر على الغصن

مَرَّ عَلَى أَيْكِهِمَا رِيحٌ سَرَى مِنَ الْيَمَنِ
مر على الأيك (الأشجار) ريح سرى (سافر ليلاً) قادماً من اليمن

حَيًّا وَقَالَ: دُرَّتَا نِ فِي وَعَاءٍ مُمْتَهَنُ
حيهما وقال: أنما جوهرتان في وعاء ممتن (مهمّل)؛ أي: أنكما في موضع رديء

لَقَدْ رَأَيْتُ حَوْلَ صَنْدِ عَاءٍ وَفِي ظِلِّ عَدَنُ
خمائلًا كأنَّهَا بَقِيَّةٌ مِنْ ذِي يَزَنُ
رأيت هناك خمائل (بساتين معشوبة) من حذاق الملك القديم ذي يزن

الْحَبُّ فِيهَا سُكَّرُ وَالْمَاءُ شَهْدُ وَلَبَنُ
لَمْ يَرَهَا الطَّيْرُ وَلَمْ يَسْمَعْ بِهَا إِلَّا افْتَنَنُ
هَذَا جَنَاحِي أَرْقِيَا هُ سَاعَةً مِنَ الزَّمَنِ
قَالَتْ لَهُ إِحْدَاهُمَا وَالطَّيْرُ مِنْهُنَّ الْقَطَنُ
القطن: الذكي

يَا رِيحُ أَنْتَ ابْنُ السَّبِي لِي مَا عَرَفْتَ مَا السَّكَنُ
ابن السيل: المسافر

هَبْ جَنَّةَ الْخُلْدِ الْيَمَنُ لَا شَيْءَ يَمْدِلُ الْوُطَنُ
افرض أن اليمن هي جنة الخلد، لا شيء يعدل (يساوي) الوطن

٦٧ من يبكيه؟

سَمِعْتُ أَنَّ فَارَةَ أَنَاهَا شَقِيقُهَا يَنْعَى لَهَا فَنَاهَا
أخو الفأرة جاء ينعي لها ابنها

يَصِيحُ: يَا لِي مِنْ نُحُوسٍ بَخْتِي مَنْ سَلَّطَ الْقِطَّ عَلَى ابْنِ أُخْتِي
ويصيح: يا لنحوس (نحس) حظي، لقد افترس القط ابن أختي!

فَوَلَّوْكَتْ وَعَضَّتِ الثُّرَابَا وَجَمَعْتُ لِلْمَاتِمِ الْأَثْرَابَا
ولوّكت الفأرة وعضت التراب، وجمعت للماتم الأتراب (الصدقات)

وَقَالَتْ: الْيَوْمَ انْقَضَتْ لَذَاتِي لَا خَيْرَ لِي بَعْدَكَ فِي الْحَيَاةِ
انقضت: انتهت

مَنْ لِي بِهَرٍّ مِثْلِ ذَاكَ الْهَرِّ يُرِيحُنِي مِنْ ذَا الْعَذَابِ الْمُرِّ
من لي بهر (ليت هناك هراً) مثل الهر الذي أكل ولدي ليريحني من ذا (هذا) العذاب المر
وكان بالقرب الذي تريدُ يَسْمَعُ مَا تُبْدِي وَمَا تُعِيدُ
وكان بالقرب منها ما تريد (أي الهر) وهو يسمع ما تبدي وتعيد (تكرر) من قول

فَجَاءَهَا يَقُولُ: يَا بُشْرَاكِ إِنَّ الَّذِي دَعَوْتُ قَدْ لَبَّأَكَ
فجاءها يقول: أبشري، فالذي دعوتني قد لي نداءك

فَفَزِعَتْ لِمَا رَأَتْهُ الْفَارَةُ وَاعْتَصَمَتْ مِنْهُ بَبَيْتِ الْجَارَةِ
اعتصمت: تحصنت

وَأَشْرَفْتُ تَقُولُ لِلْمُسْتَفْسِفِ: إِنَّ مُتَّ بَعْدَ ابْنِي فَمَنْ يَبْكِيهِ
أشرفت (أطلت) تقول للقط السفيف: إن مت أنا فمن سيكي ولدي؟ لا أحب أن أختار هذه القصيدة
للتلاميذ في كتاب مدرسي، فالكنته التي فيها تحتاج إلى أن يمارس المرء الحياة حتى يعرف
يضحك عليها ملء شديقه

٦٨ المستر السعيد

أَلَمْ عَصْفُورٌ بِمَجْرَى صَافٍ قَدْ غَابَ تَحْتَ الْغَابِ فِي الْأَلْفَافِ
ألم (زار) عصفور مجرى مياه صافياً، ولكنه مشور تحت الغاب (القصب) في الألفاف (الأدغال)

يَسْقِي الثَّرَى مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي الثَّرَى خَشْيَةً أَنْ يُسْمَعَ عَنْهُ أَوْ يُرَى
يسقي الثرى (التراب الندي) وهو مستر، لا يريد أن يعرف أحد مكانه

فاغترفت العُصفورُ مِنْ إحسانِهِ وحرَّكَ الصنِيعُ مِنْ لسانِهِ
الصنِيعُ : المعروف

فَقَالَ: يَا نَوْرَ عَيُونِ الْأَرْضِ وَمُخْجِلَ الْكَوْثَرِ يَوْمَ الْعَرْضِ
قال العصفور للجدول: يا نور عيون (بنايع) الأرض، وبيا مخجل الكوثر (نهر الجنة) يوم العرض (القيامة). قد خلعت شوقي على جدولك كل صفات البشر وجعله يقول ويسمع، ثم أبى إلا أن يبعثه يوم القيامة ليعرض على الخالق ويحاسب

هَلْ لَكَ فِي أَنْ أُرْشِدَ الْإِنْسَانَ لِيَعْرِفَ الْمَكَانَ وَالْإِمْكَانَا
قال له العصفور هل لك في أن أدل الإنسان على مكانك وإمكانك (قُدراتك)

لَعَلَّ أَنْ تُشْهَرَ بِالْجَمِيلِ وَتُنْسَى النَّاسَ حَدِيثَ النَّيْلِ
فستشتهر بالمعروف وتتفوق على النيل

فَالْتَفَتَ الْغَدِيرُ لِلْعُصْفُورِ وَقَالَ يَهْدِي مَهْجَةَ الْمَغْرُورِ
فقال الغدير للعصفور هادياً مهجته المغرورة (قلبه المغتر بالناس)

يَا أَيُّهَا الشَّاكِرُ دُونَ الْعَالَمِ أَمَّنَكَ اللَّهُ يَدَ ابْنِ آدَمَ
يا من تشكرني دون كل العالم، وقال الله من يد ابن آدم

النَّيْلُ، فَاسْمَعْ وَافْهَمْ الْحَدِيثَا يُعْطِي وَلَكِنْ يَأْخُذُ الْخَبِيثَا
فالنيل يعطي الخير ويأخذ من الناس كل خبيث. يأخذون منه ماء عذباً ويلقون فيه النفايات والمخلفات البشرية والصناعية

مَنْ طُولَ مَا أَبْصَرَهُ النَّاسُ نُسِيَّ وَصَارَ كُلُّ الْفَضْلِ لِلْمُهَنْدِسِ
ولطول عهد الناس بالنيل يبصرونه أمامهم نسوا فضله، وصار الفضل لمهندس المياه

وَقَدْ عَرَفْتَ حَالَتِي وَضَدَّهَا فَقُلْ لِمَنْ يَسْأَلُ عَنِّي بَعْدَهَا
فها قد عرفت يا عصفور حالتي المسترة وضدها (عكسها)؛ أي: حالة النيل المشهور

إِنْ خَفِيَ النَّافِعُ فَالْنَفْعُ ظَهَرَ يَا سَعْدَ مَنْ صَافَى وَصُوفِي وَاسْتَرَى
ليكتب المشاهير هذا البيت الأخير بماء الذهب. كلهم يتمنون لو أن الله ألقى في قلوبهم حب «الستر» وكراهية الشهرة. لكن للشهرة بريقاً عجيماً، ولا يطيقون عنها ابتعاداً. ومن يقع في أسرها تستعبده

٦٩ أحمال الظهر وأحمال الصدر

كَانَ عَلَى بَعْضِ الدُّرُوبِ جَمَلُ حَمْلُهُ الْمَالِكُ مَا لَا يُحْمَلُ

فَقَالَ: يَا لِلنَّحْسِ وَالشَّقَاءِ إِنَّ طَالَ هَذَا لَمْ يَطْلُ بِقَائِي
فَجَاءَهُ الثَّعْلَبُ مِنْ أَمَامِهِ وَكَانَ نَالَ الْقَصْدَ مِنْ كَلَامِهِ
جاء الثعلب إلى الجمل الشاكي من ثقل حملة، وقال له وقد نال (فهم) القصد من كلامه

فَقَالَ: مَهْلًا يَا أَخَا الْأَحْمَالِ وَيَا طَوِيلَ الْبَاعِ فِي الْجِمَالِ
قال: مهلاً يا أخا الأحمال (يا ذا الأحمال)، ويا طويل الباع (أيها المتفوق) في الجمال (بين
الجمال)

فَأَنْتَ خَيْرٌ مِنْ أَخِيكَ حَالًا لِأَنْنِي أَتَعَبُ مِنْكَ بِالْأَلَا
فأنت أفضل مني حالاً، وأنا أتعب منك بالآ

كَأَنَّ قُدَّامِي أَلْفَ دِيكٍ تَسْأَلُنِي عَنْ دِمَهِهَا الْمَسْفُوكِ
يقول الثعلب: أتخيل قدامي ألف ديك عادوا إلى الحياة لیسألوني عن دهم الذي سفكته

كَأَنَّ خَلْفِي أَلْفَ أَلْفِ أَرْنَبٍ إِذَا نَهَضْتُ جَاذِبْتَنِي دَنْبِي
وأتخيل كان خلفي ألف ألف أرنب كلما قمت أخذت تجذبني من دَنْبِي مطالبة بحقها بعد أن أكلتها
وجنيت عليها

وَرُبَّ أُمَّ جِثْتُ فِي مُنَاخِهَا فَجَعْتُهَا بِالْفَشْكِ فِي أَفْرَاخِهَا
ورثة أم من أمات الطير كنت جثت إلى مناخها (مكانها) وفجعتها (دهيتها بداهية) بأن فتكت
بأفراخها

يَبْعَثُنِي مِنْ مَرْقَدِي بُكَاهَا وَأَفْتَحُ الْعَيْنَ عَلَى شَكْوَاهَا
يعتني (يوقظني) من مرقدتي بكأوها، وأفتح عيني على شكواها

وَقَدْ عَرَفْتُ خَافِي الْأَحْمَالِ فَاصْبِرْ، وَقُلْ لَأُمَّةِ الْجِمَالِ
الآن أيها الجمل، وقد عرفت الأحمال الخفية، عليك بالصبر، وقل لأمة الجمال..

لَيْسَ بِجِمْلٍ مَا يَمْلُ الظُّهْرُ مَا الْجِمْلُ إِلَّا مَا يَمَانِي الصَّدْرُ
ليس حملاً ذلك الذي يملأ الظهر، ما الحمل الحقيقي إلا ما يعانیه الصدر من وخز الضمير

٧٠ أخو الوند

كَانَ لِبَعْضِهِمْ حِمَارٌ وَجَمَلٌ نَالَهُمَا يَوْمًا مِنَ الرِّقِّ مَلَلٌ
كان لأحدهم حمار وجمل نالهما (لحق بهما) ملل من الرق (العبودية)

فانتظرا بشائر الظُّلَماءِ وانطلقا معاً إلى البیداءِ

فانتظرا بشار (أوائل) الظلام، وانطلقا إلى البیداء (الصحراء)

يَجْتَلِيَانِ ظُلُمَةَ الْحَرِيَّةِ وَيَنْشَقَانِ رِيحَهَا الذَّكِيَّةُ

يجتليان (يتفرجان على) ظلمة (شكل) الحرية، ويتشقان ريحها (رائحتها) الذكية

فاتفقا أَنْ يَقْضِيَا الْعُمْرَ بِهَا وَارْتَضِيَا بِمَائِهَا وَعُشْبِهَا

واتفقا أن يقضيا عمرهما معاً، وارتضيا (قبلاً) بما في الصحراء من ماء وعشب

وَبَعْدَ لَيْلَةٍ مِنَ الْمَسِيرِ انْتَفَتَحَ الْحِمَارُ لِلْبَعِيرِ

وبعد أن سارا ليلتهما، انتفتح الحمار للبعير (الجمال)

وَقَالَ: كَرْبُ يَا أَخِي عَظِيمٌ فَقِفْ، فَمَشِيي كُفُّهُ عَقِيمٌ

قال له: كرب (مصيبة) عظيم، فقف لأن كل مشي عقيم (سدى)

فَقَالَ: سَلْ فِدَاكَ أُمِّي وَأَبِي عَسَى تَنَالُ بِي جَلِيلَ الْمَطْلَبِ

قال الجمل: سل (اسأل) فديتك بأبي وأبي، لعلك تنال بواسطتي المطلب الجليل (العظيم)

قَالَ: انْطَلِقْ مَعِيَ لِإِدْرَاكِ الْمَنَى أَوْ انتَظِرْ صَاحِبَكَ الْحُرَّ هُنَا

قال الحمار: اذهب معي لإدراك (التحصيل) المنى، أو انتظرنى هنا. الحمار يسمي نفسه حراً..

لَا بُدَّ لِي مِنْ عَوْدَةٍ لِلْبَلَدِ لِأَنِّي تَرَكْتُ فِيهِ مَقُودِي

فلا بد أن أعود للبلد، لأنني تركت هناك مقودي (رَسَنِي)

فَقَالَ: سِرْ وَالزَّمْ أَخَاكَ الْوَتْدَ فَإِنَّمَا خُلِقْتُ كَيْ تُقَبِّدَا

قال له الجمل: سر والزم (وصاحب) أخاك الوتد الذي يربطونك به، فأنت قد خلقت عبداً يقيد بالقيود ولا تليق بك الحرية

٧١ أدب النعجة

كَانَ لِبَعْضِ النَّاسِ نَعَجَتَانِ وَكَانَتَا فِي الْغَيْطِ تَرْعِيَانِ

الغيط: الحقل

إِحْدَاهُمَا سَمِينَةٌ، وَالْأُخْرَى هُزَالٌ مِنَ الْهُزَالِ بَادِيَةٌ

الهزال: النحافة، بادية: ظاهرة

فَكَانَتْ الْأُولَى تُبَاهِي بِالسُّمَنِ وَقَوْلُهُمْ بِأَنَّهَا ذَاتُ الثَّمَنِ

نعجة تباهي الأخرى بأنها سمينة وغالية الثمن

فتصبرُ الأخرى على الإذلالِ حامِلةٌ مسرارةَ الإذلالِ
الإدلال: الترفع

حتى أتى الجزَّارُ ذاتَ يومٍ وَقَلَّبَ النعجةَ دونَ القَومِ
جاء الجزار، وَقَلَّبَ النعجة (تفحصها) دون (أمام) القوم

فقالَ للمالِكِ: أَشترِها، وَنَقَدَ الكيسَ النفيسَ فيها،
وانطلقتُ مِنْ فورِها لأختِها وَهِيَ تَشْكُ في صلاحِ بَختِها
تقولُ: يا أختاهُ خَبِّرِني هل تعرفينَ حاملَ السَّكِينِ
قالتُ: دعيني وَهْزالي والزمنُ وَكَلَمِي الجَزَّارَ يا ذاتَ الثَّمنِ
لِكُلِّ حالٍ حلُّها ومُرُّها ما أدَبَ النعجةَ إِلَّا صبرُها
حسن الأدب للنعجة هو صبرها

٧٢ الذي أضحك الحمار الصغير

غزالةٌ مرَّت على أَتانٍ تُقَبِّلُ الفَطِيمَ في الأُسنانِ
غزالة مرّت على أتان (حمارة) تقبل ولدها الفطيم (المفطوم) في فمه ومن أسنانه

وكان خلفَ الظبيةِ ابنُها الرِّشا يُوَدِّها لو حَمَلَتْهُ في الحشا
وخلف الظبية (الغزالة) كان يمشي الرشا (ولد الغزال)، وهي من جِها له تود لو حملته في الحشا
(داخل جسمها)

ففعَلْتُ بِسَيِّدِ الصَّغارِ فَعَلَ الأتانِ بابِئِها الحمارِ
فعلته مثلما فعلت الحمارة بابنها الحمار

فأسرَعَ الحمارُ نحوَ أمِّهِ وجاءها يضحكُ ملءَ فَمِهِ
فركض الحمار نحو أمه ضاحكاً

يُصيحُ: يا أمّاهُ! ماذا قَدِّدَها حتى الغزالةُ اسْتَحَفَّتْ ابنَها
يقول: يا أمي! ماذا قددها (حصل)، فحتى الغزالة استخفت ابنها (وجدته خفيف الدم)

٧٣ مصرع الغراب

وَمَمَّهَدٍ في الوُكْرِ مِنْ وَلَسِدِ الغرابِ مُزَقَّقِي
رب م مهد (جالس في المهد) من أولاد الغراب، مزقق (يَزُقُّ له الحَب في فمه)

كَرُوَيْهَبٍ مُتَقَلِّسٍ مُتَأَزَّرٍ مُتَمَنِّطٍ
كرويهب (راهب صغير)، متقلّس (يلبس قلنسوة أي طاقية)، متأزّر (يلبس إزاراً)، متمنطق (يضع
نطاقاً؛ أي: حزاماً)

لَيْسَ الرَّمَادُ عَلَى سِوَا دِجْنَاهِ وَالْمَفْرِقِ
اتخذ لوناً رمادياً يوشح سواد جناحه ومفرقه (رأسه)

كَالْفَحْمِ غَادَرَ فِي الرَّمَا دِ بَقِيَّةٌ لَمْ تُحْرِقْ
فكانه الفحم الذي ترك بقايا منه لم تحترق وسط الرماد

ثُلَاثُهُ مُنْقَارٌ وَرَأْسُهُ، وَالْأُظْفَارُ مَا بَقِيَ
منقاره ورأسه ثلثا جسمه، والبقية الأظافر

ضَخُمُ الدِّمَاغِ عَلَى الْخُلُودِ مِنْ الْحِجَابِ وَالْمَنْطِقِ
رأه ضخمة وإن لم يكن فيه حجب (عقل) أو منطق

مِنْ أُمِّهِ لَقِيَ الصَّغِيرَ رُ مِنْ الْبَلِيَّةِ مَا لَقِيَ
لقي هذا الصغير من أمه من البلية (المصيبة) ما لقي

جَلَبَتْ عَلَيْهِ مَا تَذُو ذُ الْأُمّهَاتِ وَتَنَقَّى
جلبت عليه أمه الأمر الذي تذوده (تبعده) الأمهات عن أولادهن ويتقن شره

فَتَيَنَّتْ بِهِ، فَتَوَهَّمَتْ فِيهِ قُوَى لَمْ تُخْلَقِ
أعجبت به فتوهمت أن فيه قوى غير موجودة

قَالَتْ: كَبُرَتْ، فَثَبَّ كَمَا وَثَبَ الْكِبَارُ، وَحَلَّقِي
قالت له: كبرت ثوب (فاقفز) كالكبار وحلّق (طرّز)

وَرَمَتْ بِهِ فِي الْجَوِّ، لَمْ تَحْرِصْ وَلَمْ تَسْتَوْثِقِ
ورمت به في الجو دون أن تحرص عليه أو تستوثق (تتأكد)

فَهَوَى، فَمُرَّقَ فِي فِنَا ءِ الدَّارِ شَرًّا مُمَرَّقِي
فسقط فتمزق شر تمزق

وَسَمِعَتْ قَاقَاتٍ تَرَدَّدَ دُ فِي الْفَضَاءِ وَتَرْتَقِي
وقد سمعت قاقاتٍ (نعبات عُرابية) تردد في الفضاء وتصعد فيه

وَرَأَيْتُ غَرِبَاناً تَفَرَّ - قُ فِي السَّمَاءِ وَتَلْتَقِي
 ورأيت الغريبان مضطربة في الجو تفرق وتلتقي
 وَعَرَفْتُ رَنَّةَ أُمِّهِ فِي الصَّارِخَاتِ النَّعْنَعِ
 وعرفت رنة (صوت) أمه بين إناث الغريبان الناعقات
 فَأَشْرْتُ، فَالْتَفَتْتُ، فَقُلْتُ لَهَا مَقَالَةً مُشْفِقِي:
 فأومأت إليها وقلت لها قول مشفق عطوف لما حدث لابنها:
 أَطْلَقْتِهِ، وَلَوْ امْتَحَنُ - حَتَّ جَنَاحَهُ لَمْ تُطْلَقِي
 لقد أطلقته دون أن تمتحنه، ولو امتحنته لما أطلقته
 وَكَمَا تَرْفُقُ وَالِدَاكَ عَلَيْكَ لَمْ تَتَرْفُقِي
 ولم تترفقي به كما ترفق بك والداك

٧٤ إياك أن تغتر بالزهاد

أَلْقَى غُلامٌ شَرَكاً يَصْطَاذُ وَكُلُّ مَنْ فَوْقَ الشَّرَى صَيَّادُ
 وضع غلام شركاً (مصيدة)، وكل من على ظهر الأرض صياد يسمى لرزقه
 فَانْحَدَرْتُ عَصْفُورَةٌ مِنَ الشَّجَرِ لَمْ يَنْهَها النَّهْيُ، وَلَا الْحَزْمُ زَجَرَ
 فنزلت عصفورة من الشجر لم ينهها (يمنعها) النهي الطبيعي لمثلها عن مثل ذلك الفعل، ولم
 يزجرها (يمنعها) الحزم (التعقل)
 قَالَتْ: سَلامٌ أَيُّها الْغَلامُ قَالَ: عَلى الْعَصْفُورَةِ السَّلامُ
 قَالَتْ: صَبِيٌّ مَنَحَنِي الْقَنَاةَ! قَالَ: حَنَّتْها كَثْرَةُ الصَّلَاةِ
 القناة: القامة

قَالَتْ: أَرَأَيْكَ بَادِيَ الْعِظَامِ قَالَ: بَرَّتْها كَثْرَةُ الصَّيَامِ
 عظامه مبرية لكثرة الصيام
 قَالَتْ: أَرَى فَوْقَ التُّرابِ حَبًّا وَمَا أَشْتَهِي الطَّيْرُ وَمَا أَحَبُّ
 قَالَ: تَشَبَّهْتُ بِأَهْلِ الْخَيْرِ وَقُلْتُ أَقْرَبِي بِائِسَاتِ الطَّيْرِ
 أقربى بائسات الطير: أطعم الطيور البائسة
 قَالَتْ: فَجَدُّ لِي يَا أَخَا التَّنَشُّكِ قَالَ: الْقُطَيْبِ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ
 قالت: جد لي (اسمح لي) يا صاحب التنسك (العبادة)، فقال: القطيب الحَب

فَصَلَّيْتُ فِي الْفَخِّ نَارَ الْقَارِي وَمَصَّرَعُ الْعُصْفُورِ فِي الْمِنْقَارِ
 فصليت (اصطلت) في الفخ بنار هذا القاري (الطميم)، ومقار العصفور الذي يريد التقاط الحب
 هو سبب مصرعه

وَهَتَفْتُ تَقُولُ لِلْأَغْرَارِ مَقَالَةَ الْعَارِفِ بِالْأَسْرَارِ
 صاحت تقول للأغرار (للمغفلين) قول العارف بالأسرار

إِيَّاكَ أَنْ تَفْتَمَّرَ بِالزُّهْدِ كَمْ تَحْتَ ثَوْبِ الزُّهْدِ مِنْ صَبَادٍ

٧٥ الحالة القديمة

لَمَّا أَتَمَّ نُوْحُ السَّفِينَةَ وَحَرَّكَتُهَا الْقُدْرَةُ الْمُعِينَةُ
 لما صنع نوح سفينته وحركتها قدرة الله المعينة (المساعدة)

جَرَى بِهَا مَا لَا جَرَى بِبَالٍ فَمَا تَعَالَى الْمَوْجُ كَالْجِبَالِ
 جرى لها ما لا يخطر ببال، فما إن علا الموج وصار كالجبال..

حَتَّى مَشَى اللَّيْثُ مَعَ الْحَمَارِ وَأَخَذَ الْقِطُّ بِأَيْدِي الْفَارِ
 .. حتى ترافق من الحيوان ما لم يكن يترافق

وَاسْتَمَعَ الْفِيلُ إِلَى الْخِنْزِيرِ مُؤْتَنَسًا بِصَوْتِهِ النَّكِيرِ
 مؤتنساً: منشرحاً

وَجَلَسَ الْهَرُّ بِجَنْبِ الْكَلْبِ وَقَبَّلَ الْخُرُوفُ نَابَ الذَّنْبِ
 حتى إذا حَطُّوا بسفح الجودي (اسم الجبل الذي رست عليه سفينة نوح بعد أن غيض الماء) وأيقن
 ثم رست السفينة على الجودي الجميع بعودة الحياة الطبيعية

عَادُوا إِلَى مَا تَقْتَضِيهِ الشَّيْمَةُ وَرَجَعُوا لِلْحَالَةِ الْقَدِيمَةِ
 فعادوا إلى ما تقتضيه الشيمة (تطلبه) الشيمة (الطبيعة)

فَقَسَّ عَلَى ذَلِكَ أَحْوَالَ الْبَشَرِ إِنَّ شَمْلَ الْمَحْذُورِ أَوْ عَمَّ الْخَطَرِ
 وكذلك يصنع البشر إن شملهم المحذور (الشر الذي منه يحذرون) أو عمهم الخطر

٧٦ النملة فارس الميدان

قَدْ وَدَّ نُوحٌ أَنْ يُبَاسِطَ قَوْمَهُ فَدَعَا إِلَيْهِ مَعَاشَرَ الْحَيَّوَانِ
 بباسط: يرفع الكلفة

وَأَشَارَ أَنْ يَلِيَّ السَّفِينَةَ قَائِدٌ مِنْهُمْ يَكُونُ مِنَ النَّهْيِ بِمَكَانٍ

دعا نوح إلى أن يلي (يتولى) السفينة قائد من الحيوانات يكون معروفاً بالنهى (العقل)

فَتَقَدَّمَ اللَّيْثُ الرَّفِيعُ جَلَالُهُ وَتَعَرَّضَ الْفِيلُ الْفَخِيمُ الشَّانِ

وَتَلَاهُمَا بَاقِي السَّبَاعِ، وَكُلُّهُمْ خَرُّوا لِهَيْبَتِهِ إِلَى الْأَذْقَانِ

اجتمعت حوله الحيوانات، وخرروا (سجدوا) لهيبته حتى مست أذقانهم الأرض

حَتَّى إِذَا حَيُّوا الْمُؤَيَّدَ بِالْهُدَى وَدَعَوْا بِطَوْلِ الْعِزِّ وَالْإِمْكَانِ

فلما أدوا التحية للنبي المؤيد (المدعوم) بالهدى (الرباني)، ودعوا له بطول العز والإمكان (القدرة)

سَبَقَتْهُمْ لِحِطَابِ نُوحٍ نَمْلَةٌ كَانَتْ هُنَاكَ بِجَانِبِ الْأَرْدَانِ

سبقتهم في التحدث إلى نوح نملة كانت تقف قريباً من أردانه (أكمامه)

قَالَتْ: نَبِيَّ اللَّهِ، أَرْضِي فَارِسٌ وَأَنَا يَقِينُ فَارِسُ الْمِيدَانِ

قالت: يا نبي الله أرضي بلاد فارس، وأنا خير من يتولى الأمر

سَأَدِيرُ دَفَّتِهَا وَأَحْمِي أَهْلَهَا وَأَقْرُدُهَا فِي عَصْمَةٍ وَأَمَانٍ

وسأدير دفة السفينة في عصمة (حماية) وأمان

ضَحَكَ النَّبِيُّ وَقَالَ: إِنَّ سَفِينَتِي لَهِيَ الْحَيَاءُ وَأَنْتِ كَالْإِنْسَانِ

قال نوح: سفينتي هذه مثال مصغر للحياة، وأنت أيتها النملة مثل الإنسان

كُلُّ الْفَضَائِلِ وَالْعِظَائِمِ عِنْدَهُ هُوَ أَوَّلُ وَالْغَيْرُ فِيهَا الثَّانِي

فهو الأول في كل الفضائل والعظائم (الأمور المهمة)

وَيَوَدُّ لَوْ سَاسَ الزَّمَانَ، وَمَا لَهُ بِأَقْلٍ أَشْغَالِ الزَّمَانِ يَدَانِ

ويود الإنسان لو ساس (أدار) الزمان، في حين ليس له بأقل أشغال (شؤون) الزمان يدان (ليس له

يدان بالشيء: عاجز عن الشيء)

٧٧ غير مهضوم

سَقَطَ الْحِمَارُ مِنَ السَّفِينَةِ فِي الدُّجَى فَبَكَى الرِّفَاقُ لِفَقْدِهِ وَتَرَحَّمُوا

سقط الحمار من سفينة نوح في الدجى (الظلام)، فبكت الحيوانات وترحمت عليه

حَتَّى إِذَا طَلَعَ النَّهَارُ أَتَتْ بِهِ نَحْوُ السَّفِينَةِ مَوْجَةٌ تَتَقَدَّمُ

ومع النهار جاءت به موجة تتقدم باتجاه السفينة

قالت: تُخَذَوُهُ كَمَا أَتَانِي سَالِمًا لَمْ أُبْتَلِغْهُ لِأَنَّهُ لَا يُهْضَمُ
قالت: خذوه كما جاءني، فهو لا يهضم (ثقل الظل، غير مهضوم!)

٧٨ تكفيك منه صحبة السفينة

أَبُو الْحُصَيْنِ جَالَ فِي السَّفِينَةِ فَعَرَفَ السَّمِينَ وَالسَّمِينَةَ
أَبُو الْحُصَيْنِ (الثعلب) تجول في سفينة نوح، وعرف السمين من الفراع والسبنة
يَقُولُ إِنَّ حَالَهُ اسْتَحَالَ وَإِنْ مَا كَانَ قَدِيمًا زَالَا
وهو يقول إن حاله استحال (تبدل)، وإن ما كان يفعله في الماضي من افتراس الطيور قد انتهى
لِكَوْنِ مَا حَلَّ مِنَ الْمَصَائِبِ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ عَلَى الثَّعَالِبِ
وقد أدرك أن مصيبة الطوفان كانت لغضب الله على الثعالب
وَيُغْلِظُ الْأَيْمَانَ لِلدُّيُوكِ لِمَا عَسَى يَبْقَى مِنَ الشُّكُوكِ
وأقسم الأيمان الغليظة للدبوك حتى يزيل شكوكها
قِيلَ فَلَمَّا تَرَكُوا السَّفِينَةَ مَشَى مَعَ السَّمِينَ وَالسَّمِينَةَ
وعندما انتهى الطوفان، وغادروا السفينة مشى مع السمين والسمينة
حَتَّى إِذَا مَا نَصَفُوا الطَّرِيقَا لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ حَوْلُهُ رَفِيقَا
وفي منتصف الطريق، هربوا منه، ويبدو أنه يادهم بمحاولة اعتداء
وَقَالَ، إِذْ قَالُوا عَدِيمُ الدِّينِ، لَا عَجَبُ أَنْ حَنِثْتُ بِمِينِي
وقالوا له: أنت عديم الدين، فقال: لا عجب أن يميني حثت (بظلت)
فَإِنَّمَا نَحْنُ بَنِي الدَّهَاءِ نَعْمَلُ فِي الشَّدَّةِ لِلرَّخَاءِ
فنحن أهل الدهاء (الحيلة) نخطط في أيام الشدة (الأزمة) لكي نتفج بتخطيطنا في أيام الرخاء
وَمَنْ خَشِيتَ أَنْ يَبِيعَ دِينَهُ تَكْفِيكَ مِنْهُ صُحْبَةُ السَّفِينَةِ
والحكمة: الذي ليس ثابتاً على مبدأه، تكفيك صحبته في وقت الضرورة كما في سفينة نوح

٧٩ ضع رأسك بين الرؤوس

الدُّبُّ مَعْرُوفٌ بِسُوءِ الظَّنِّ فَاسْمَعْ حَدِيثَهُ الْعَجِيبَ عَنِّي

لَمَّا اسْتَطَالَ الْمُكْتُ فِي السَّفِينَةِ مَلَّ دَوَامَ الْعَيْشَةِ الظَّنِينَةِ
عندما طال المكث (المكوث) في سفينة نوح، مل الدب العيشة الظنينة (المشكوك في مصيرها)

وَقَالَ إِنَّ الْمَوْتَ فِي انْتِظَارِي وَالْمَاءَ لَا شَكَّ بِهِ قَرَارِي
وقال لنفسه: الموت في انتظاري، وسيكون قراري (مستقري) في قاع الماء

ثُمَّ رَأَى مَوْجاً عَلَى بُعْدٍ عَلا فَظَنَّ أَنَّ فِي الْفَضَاءِ جَبَلا
ورأى موجاً يعلو كأنه جبل في الفضاء

فَقَالَ: لَا بُدَّ مِنَ النُّزُولِ وَصَلْتُ أَوْ لَمْ أَحْظَ بِالْوُصُولِ
فقرر النزول سواء حظي بالوصول إلى الشاطئ أم لم يحظ

قَدْ قَالَ مَنْ أَذْبَهُ اخْتِبَارُهُ السَّعْيُ لِلْمَوْتِ وَلَا انْتِظَارُهُ
فقد قال من أذبه (علمه) اختباره للحياة إن السعي للموت أهون من انتظاره

فَأَسْلَمَ النَّفْسَ إِلَى الْأَمْوَاجِ وَهِيَ مَعَ الرِّيحِ فِي هَيْجِاجٍ
فسلم الدب نفسه للأمواج وهي في هياج (صخب) مع الرياح

فَشَرِبَ التَّعْيِسُ مِنْهَا فَانْتَفَخَ ثُمَّ رَسَا عَلَى الْقَرَارِ وَرَسَخَ
وشرب من الأمواج ماء حتى انتفخ، ورسا في قرار (قعر) البحر

وَبَعْدَ سَاعَتَيْنِ غِيَضَ الْمَاءُ وَأَقْلَعَتْ بِأَمْرِهِ السَّمَاءُ
وسريعاً غيض (أنضب) الماء، وأقْلَعَتْ (صحت) السماء بأمر الله

وَكَانَ فِي صَاحِبِنَا بَعْضُ الرَّمَقِ إِذْ جَاءَهُ الْمَوْتُ بَطِيئاً فِي الْقَرَقِ
وكان في الدب رمق (بقية حياة)، حيث إن الموت جاءه بطيئاً بعد غرقه

فَلَمَحَ الْمُرْكَبُ فَوْقَ الْجُودِي وَالرَّكْبُ فِي خَيْرٍ وَفِي سُعُودٍ
فرأى المركب قد رسا على الجودي (اسم الجبل الذي رست عليه سفينة نوح)، والركب (الركاب) بخير وسعود (حظ طيب)

فَقَالَ: يَا لِحَدْيِ التَّعْيِسِ أَسَأْتُ ظَنِّي بِالنَّبِيِّ الرَّئِيسِ
فقال يا لجدي (حظي) التعس إذ أسأت الظن بنوح

مَا كَانَ ضَرْنِي لَوْ امْتَلَأْتُ وَمَثَلَمَا قَدْ فَعَلُوا فَعَلْتُ
هلا كنت امتلأت (أطمت) وفعلت مثل كل الحيوانات!

شوقي شاعر البلاط

في هذا الفصل ما اخترته من شعر شوقي منذ بداية القرن العشرين وحتى إبعاده إلى إسبانيا. كان شوقي شاعر بلاط منذ أن كان في المدرسة، فقد كان ينشر مدائحه في الخديوي وهو تلميذ، ثم دخل المعية الخديوية في السنوات العشر الأخيرة من القرن التاسع عشر. وظل حتى وفاته يمدح الخديوي، ثم السلطان، ثم الملك. فتقسيم الفصول، كما ترى، تقسيم لغرض التقسيم؛ وكيلا يبدو الباب قطعة كبيرة في عينك. ولعل فيه تنشيطاً على القراءة، أو معونة للقارئ في الاهتداء إلى طريقه.

٨٠ كرمة المسلمين

قال شوقي في ثورة البوكسر على المستعمرين في الصين (١٩٠٠):

لَحْمِنِ الْمَسَاكِنُ كَالْمَقَابِرِ يَاوِي لَهَا حَيٌّ كَغَايِرِ
لن هذه المساكن التي كأنها مقابر، ويأوي لها حي كأنه غابر (ميت)

مُتَجَنِّبُ الدُّنْيَا عَدُوٌّ لِسُلَّالِ الْأَوَائِلِ وَالْأَوَاخِرِ
من يتجنب المشاركة في أمور الدنيا يصبه الانحطاط، ويصيح عدواً للأوائل (الأجداد) وللأواخر (لنفسه ولن سبائني بعده)

وُلُغَاتُهُ لَا لِأَمْنَا بِرِ قَدْ خُلِقْنَ وَلَا الْمَحَابِرِ
ولغات هؤلاء الذين يتجنبون الدنيا لا تصلح للخطابة من على المنابر ولا للكتابة باستخدام المحابر (آية الحبر)

وَعِلْمُهُ دَرَسَتْ وَعَقَا هَا مِنْ الْأَزْمَانِ دَائِرُ
ومتجنب الدنيا علومه قديمة دَرَسَتْ (اتحت)، وعَقَاها (محها) الزمان الدائر

وَالْأَمْرُ فِيهِ لِكَاهِنِ وَالنَّهْيُ مَرْجِعُهُ لِسَاحِرِ
وصاحب الأمر فيه كاهن، وصاحب النهي ساحر مشعوذ، وهذه هي حال المتخلفين

وَمِنْ الْعَجَائِبِ مَا لَوِي ذَنْباً وَلَا رَفَعَ الْعَقَائِرِ
وعجيب أن الأمم المتخلفة لا تلوي ذنباً (لا تعترض) ولا ترفع عقائرها (أصواتها بالاحتجاج)

بَيْنَ الْعِبَادِ وَبَيْنَهُ عَوْرٌ مِنَ الْأَحْقَادِ غَائِرِ
وبين المتخلف وبين بقية العباد غور (واد) غائر (عميق) من الأحقاد

أُمٌّ يُكَاثِرُهَا الْحَصَى عَدَاً، وَلَيْسَ لَهَا بِكَائِرِ
في الصين أمم يكثرها الحصى (بنافسها في الكثرة) وليس كاثراً لها (متغلباً في الكثرة)

هيهاتَ قَدْ نَفَذَ الْقَضَا ءُ وَصِرْتُمْ فِي حَكْمِ قَادِرٍ
 انتهى الأمرُ أيها الصينيون فقد نفذ القضاء وصرتم محكومين لحاكم قادر (للأمم الأوروبية)
 مَتَلَهَّبِ الطَّغْمَى إِذَا أَخَذَ الْفَرِيسَةَ لِمِ يُغَادِرُ
 هذا الحاكم متلهب الطغوى (شديد الطغيان)، إذا أخذ فرسة لم يتركها
 يَا لَيْتَ شِعْرِي مَنْ تَدُو رُ عَلَيْهِ بَعْدَكُمْ الدَّوَائِرُ
 يا ترى من تدور عليه الدوائر (المصائب) بعدكم؟
 الْوَقْتُ أَضْيَقُ أَنْ تُنْغَا لَطَفُ فِي الْحَقَائِقِ أَوْ نَكَابِرُ
 أمامنا وقت قصير ولا مجال للمغالطة والمكابرة
 لَمْ يَسْبِقْ إِلَّا كَرَمَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ بِغَيْرِ نَاطِرٍ
 بقي للمسلمين كرمة (بستان) وليس لها ناظر (ناطور/ حارس)
 إِنْ نَامَ عَنْهَا الْحَافِظُو نَ فَإِنَّ جَفْنَ الشَّرِّ سَاهَرُ
 إن نام حافظو البستان عنه فإن عين الشر ساهرة متربصة به
 مَنْ كَانَ يَرْقُبُ فُرْصَةً فَلْيَغْنِمِ الْفُرْصَ الْخَوَاضِرُ
 إن كنا نريد انتهاز الفرصة، فلنغنم الفرصة الحاضرة
 لَا يَمْشِيَنَّ السُّلْحَفَا ءُ وَغَيْرُهُ لِّلْمَجْدِ طَائِرُ
 ولا نمش السلحفاة (مشي السُّلْحَفَاة) بينما غيرنا يطير طياراً في تقدمه العلمي

٨١ حكمة

أَتَغْلِبُنِي ذَاتُ الدَّلَالِ عَلَى صَبْرِي إِذْنُ أَنَا أَوْلَى بِالْقِنَاعِ وَبِالْخَذْرِ
 هل تغلبني الفتاة ذات الدلال وتجعلني أفقد صبري؟ إذن فأنا أولى بالقناع (الخمار) وبالخدر
 (الستار الذي «كان» يفصل الحريم عن الرجال)
 تَسِيَهُ، وَلِي جِلْمٌ إِذَا مَا رَكِبْتُهُ رَدَدْتُ بِهِ أَمْرَ الْغَرَامِ إِلَى أَمْرِي
 تبه (تكبر) ولي جلم (طول بال) إذا ما ركبته (استعملته) أرجعت الأمر ليكون في يدي أنا
 وَمَا دَفَعِي السُّلُومَ فِيهَا سَامَةً وَلَكِنَّ نَفْسَ الْحُرِّ أَزْجَرَ لِلْحُرِّ
 ولست أرد كلام اللاتمين بشأنها ملأ منهم، ولكن لأن نفس الحر هي الأزجر (الأكثر ردة) له
 إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمَرْءِ مِنْ عَيْشَةٍ غِنَى فَلَا بُدَّ مِنْ يُسْرِ وَلَا بُدَّ مِنْ عُسْرِ
 وبما أن المرء لا غنى له عن العيشة فلا بد أن يأخذها يسرها ويعسرها

وَمَنْ يَخْبِرُ الدُّنْيَا وَيَشْرَبُ بِكَاسِهَا يَجِدُ مُرَّهَا فِي الْحُلُوِّ، وَالْحُلُوَّ فِي الْمُرِّ
والذي يعرف الدنيا حقاً ويشرب من كأسها يجد حلوها ممزوجاً بالمر، ومرها ممزوجاً بالحلو
وَمَنْ كَانَ يَغْزُو بِالتَّعَلَّاتِ فَقَرُهُ فَإِنِّي وَجَدْتُ الْكَدَّ أَقْتَلَ لِلْفَقْرِ
ومن يحارب فقره بالتعلات (بالحجج)، فإنني وجدت الكد (الاجتهاد والتعب) أحسن لقتل الفقر
وَمَنْ يَسْتَعِينُ فِي أَمْرِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ يَخُذُ الرِّفِيقُ الْعَوْنَ فِي الْمَسْلَكِ الْوَعْرِ
والذي يستعين في شؤونه بالآخرين يخونه الرفيق العون (المعين) في لحظة الضيق وفي المسلك
(الممر) الوعر

وَمَنْ لَمْ يُقِمَّ سِتْرًا عَلَى عَيْبٍ غَيْرِهِ يَعِشُ مُسْتَبَاحَ الْعَرَضِ مِنْهَتِكَ الْبَيْتِ
والذي لا يستر عيوب الآخرين يعيش مستباح العرض ومنهتك السر
وَمَنْ لَمْ يُجْمَلْ بِالتَّوَاضُعِ فَضْلُهُ يَبِينُ فَضْلُهُ عَنْهُ، وَيَعْظُلُ عَنِ الْفَخْرِ
والذي لا يزين معروفة بالتواضع يبين (يُعْد) فضله عنه، ويعطل (يتجرد) عن الفخر

٨٢ شاعر لا يجارى

قال شوقي (١٩٠٠):

بَدَأَ الطَّيْفُ بِالْجَمِيلِ وَزَارَا يَا رَسُولَ الرِّضَا وَقِيَتَ الْعِثَارَا
بدأني طيف (خيال) المحبوب بالجميل (المعروف) فزارني وأنا غاف. فيا أيها الطيف، يا أيها
الرسول الذي يحمل رضا المحبوب، وفاقك الله العثار (التعثر)

حَسَنٌ يَا خِيَالَ صَنَعَكَ عِنْدِي أَجْمَلُ الصَّنْعِ مَا يُصِيبُ افْتِقَارَا
حسن يا خيال صنعك (معروفك) عندي، وأجمل المعروف ما يصيب (بصادف) افتقاراً (حاجة
ماسة)

أَيُّهَا الْعَاذِلُونَ نِمْتُ وَرَامَ السُّدَّ هَذَا مِنْ مُقْلَتِي أَمْرًا فَصَارَا
أيها العاذلون نمتم أتم، ورام (طلب) السهد (النوم الخفيف) من مقْلَتِي (عينِي) أمراً فحدث الأمر

آفَةُ النَّصْحِ أَنْ يَكُونَ جِدَالًا وَأَذَى النَّصْحِ أَنْ يَكُونَ جِهَارًا
آفة (مشكلة) النصح أن يكون جدالاً، ويتحول النصح إلى أذى عندما يكون جهاراً (علانية)

سَأَلْتَنِي عَنِ النَّهَارِ جُفُونِي رَجِمَ اللَّهْ يَا جُفُونِي النَّهَارَا
سألتني جفوني متى يطلع النهار، ألا رحمة الله على النهار (يبدو أن النهار مات ولم يعد يطلع
لطول ليلي)

قُلْنَ: نَبِيْهِ، قُلْتُ: هَاتِيْ دُمُوعاً قُلْنَ: صَبِراً، فَقُلْتُ: هَاتِيْ اصْطَبَاراً
 قَالَتِ الْجَفَوْنَ: هَلُم نَبِيْكِ النَّهَارَ، قُلْتُ هَاتِي دُمُوعاً فَقَدْ نَفَدَتْ دُمُوعِيْ؛ فَقُلْنَ اصْبِرِيْ، فَقُلْتُ: هَاتِي
 اصْطَبَاراً (صَبِراً)

لَمْ نُفِقْ مِنْكَ يَا زَمَانُ فَنَشْكُو مَدْمَنُ الْخَمْرِ لَيْسَ يَشْكُو الْخُمَارُ
 أَهِيَ الزَّمَانُ لَمْ نَفِقْ (نَضِجْ) بَعْدَ مِنْ مَصَائِبِكَ حَتَّى نَفْرُغَ لِلشَّكْوَى، وَمَدْمَنُ الْخَمْرِ يَتَعَوَّدُ عَلَى الْخَمَارِ
 (صَدَاعُ السُّكْرِ) فَلَيْسَ يَشْكُوهُ

فَاصْرِفِ الْكَأْسَ مُشْفِقاً، أَوْ فَوَاصِلُ خَرَجَ الرَّشْدُ مِنْ أَكْفِ السُّكَارَى
 فَاصْرِفْ (أَبْعِدْ) الْكَأْسَ رَفَقاً بِي، أَوْ فَوَاصِلَ سَقْيِي، فَقَدْ خَرَجَ الْأَمْرُ مِنْ أَيْدِي السُّكَارَى وَلَمْ يَعُودُوا
 يَهْتَمُّونَ بِشَيْءٍ

شُعْرَاءُ الزَّمَانِ مَهْلَأٌ زُوَيْدٌ إِنَّ فِي مِصْرَ شَاعِراً لَا يُجَارَى
 يَا شُعْرَاءَ الزَّمَانِ مَهْلَأٌ، وَتَرِيثُوا، إِنَّ فِي مِصْرَ شَاعِراً لَا يُجَارَى (يُنَافَسُ)

حَامِلاً فِي الصَّبَا لَوَاءَ الْقَوَانِي مُنْتَرَقاً لِمُلْكِهِ الْأَشْعَارِ
 حَامِلاً مِنْذُ صَبَاهُ لَوَاءَ (رَايَةَ) الْقَوَانِي (الشُّعْرَى)، مُنْتَرَقاً (مُسْتَعْبِداً) لِمُلْكِهِ الْأَشْعَارِ

٨٣ الغواني السوافر

قال شوقي بصف (كوك صو) وهو موضع في الآتانة (١٩٠٠):

تَحِيَّةُ شَاعِرٍ يَا مَاءَ جُكْسُو فَلَيْسَ سِوَاكَ لِلْأَرْوَاحِ أَنْسُ
 تَحِيَّةٌ مِنْ شَاعِرٍ لَكَ يَا مَاءَ (مَوْضِع) جُكْسُو فَأَنْتَ وَحْدَكَ أَنْسُ الْأَرْوَاحِ

وَرَدَدْنَاكَ كَوْتِراً وَسَفَرْنَا حُوراً وَهَلْ بِالْحَوْرِ إِنْ أَسْفَرْنَا بِأَسْ؟
 وَرَدَدْنَاكَ الْحَانَ فَكَأَنَّكَ نَهْرُ الْجَنَّةِ «الْكُوْتِر» إِذْ يَتَرَقَّقُ، وَسَفَرْنَا عَنْ وَجُوْهِنَ فَإِذَا بِهِنَ كَحُورِ الْجَنَّةِ،
 وَهَلْ هُنَاكَ بِأَسْ إِذَا أَسْفَرْنَا الْحَوْرَ؟

فَقُلْ لِلْجَانَحِينَ إِلَى حِجَابٍ أَتَحَجَّبُ عَنْ صَنِيعِ اللَّهِ نَفْسُ
 فَقُلْ لِلْجَانَحِينَ (الْمَالِيْنَ) إِلَى حِجَابِ الْمَرْأَةِ: هَلْ تَحَجَّبُ النَّفْسُ عَنْ رُؤْيَا خَلْقِ اللَّهِ الْبَدِيعِ؟

إِذَا لَمْ يَسْتُرِ الْأَدَبُ الْغَوَانِي فَلَا يُغْنِي الْحَرِيرُ وَلَا الدَّمَقْسُ
 إِذَا الْأَدَبُ لَمْ يَسْتُرِ الْغَوَانِي (الْحَانَ) فَلَا يُغْنِي الْحَرِيرُ وَلَا الدَّمَقْسُ (نَوْعٌ مِنَ الْحَرِيرِ)

تَأْمَلْ هَلْ تَرَى إِلَّا جَلالاً تُحِسُّ النَّفْسُ مِنْهُ مَا تُحِسُّ
 تَأْمَلْ هَذِهِ الْوُجُوْهَ الْحَانَ تَرَى جَلالاً تُحِسُّ النَّفْسُ مِنْهُ بِأَحَاسِيْسٍ حُلُوَّةٍ

عَشِيَّتُكَ وَالْأَصِيلُ يَفِيضُ نَبْرًا وَيَنْسُجُ لِلرُّبَى حُلَلًا وَيَكْسُو
عَشِيَّتَكَ (أَتَيْتَكَ) وَالْأَصِيلُ (الغروب) يَفِيضُ تَبْرًا (ذهباً)، وَيَنْسُجُ مِنْ أَشْعَتِهِ حُلَلًا (أثواباً) وَيَكْسُو
الرُّبَى

عَلَى فُلُكٍ تَسِيرُ بِنَا الْهُوَينَى وَمِنْ شِعْرِي نَدِيمٌ لِي وَجِلْسُ
أَتَيْتَكَ عَلَى فُلِكَ (مَفِينَة) تَسِيرُ الْهُوَينَى (بِطء)، وَشِعْرِي هُوَ نَدِيمِي وَجِلْسِي (جَلِيسِي)

٨٤ نهاية المسرحية

قال شوقي يرثي بشارة نقلا أحد مؤسسي جريدة الأهرام (١٩٠١):

حَلَّ بِالْأَمْتَيْنِ خَطْبٌ ثَقِيلٌ رَجُلٌ مَاتَ، وَالرَّجَالُ قَلِيلُ
الْأَمْتَانِ: الثَّوَامِ وَالْمَصْرِيَّانِ

زَالَ عَنْ سُورِيَا فَتَاهَا الْمُرَجَّى وَعَنِ النَّيْلِ جَارُهُ الْمَأْمُولُ
وَكَانَتْ بِلَادُ الشَّامِ كُلُّهَا تَسْمَى آنَذَاكَ سُورِيَا

هَذِهِ الْأَرْضُ وَالْأَنَامُ عَلَيْهَا مَلْعَبٌ، ثُمَّ يَنْقُضِي التَّمْثِيلُ
مَلْعَبٌ: مَسْرَحٌ

٨٥ الهوى قدر

قال شوقي (١٩٠١):

لَكَ أَنْ تَلُومَ، وَلِي مِنَ الْأَعْذَارِ أَنَّ الْهَوَى قَلْبٌ مِنَ الْأَقْدَارِ
لَكَ يَا عَاذِلِي أَنْ تَلُومَنِي، وَلَكِنْ أَحَدُ أَعْذَارِي أَنَّ الْهَوَى قَدَرٌ مُحْتَمٌ

يَا قَلْبُ شَأْنُكَ، لَا أَمُدُّكَ فِي الْهَوَى أَبَدًا، وَلَا أَدْعُوكَ لِلْإِقْصَارِ
أَنْتَ وَمَا تَرِيدُ يَا قَلْبِي، لَا أَمْلِكُ بِمُسَاعَدَةِ فِي الْحُبِّ، وَلَا أَدْعُوكَ لِلْإِقْصَارِ (الْكُفْتُ عَنْهُ)

أَمْرِي وَأَمْرُكَ فِي الْهَوَى بَيْنَ الْهَوَى لَوْ أَنَّهُ بِيَدِي فَكُكْتُ إِسَارِي

٨٦ ضد عرابي

قال شوقي منشقياً بأحمد عرابي بعد عودته إلى مصر (١٩٠١):

صَغَارَ فِي الذُّهَابِ وَفِي الْإِيَابِ أَهَذَا كُلُّ شَأْنِكَ يَا عَرَابِي؟
صَغَارَ: حَقَارَة

عفا عنكَ الأبعدُ والأداني فَمَنْ يعفو عنِ الوطنِ المُصابِ

الأبعد: الإنجليز، والأداني: الخديوي (وبعض هذين الطرفين عاد عرابي إلى مصر من منفاه)

٨٧ شكوى العظام إلى عرابي

قال شوقي متشفياً بأحمد عرابي بعد عودته من منفاه (١٩٠٢):

عُرابي كيف أوفيك المَلاما جمعتَ على ملامَتِكَ الأناما

فَقِفْ «بالتل» واستمعِ العظاما فإنَّ لها، كما لَهُم، كلاما

التل: هو التل الكبير الذي وقعت عليه معركة مع الإنجليز احتلوا بعدها مصر، ويطلب شوقي من عرابي أن يستمع إلى عظام الذين استشهدوا في معركة التل الكبير، فإن للعظام مثلاً للأنام (للناس) كلاماً تقوله

* * *

تقولُ لكَّ العظامُ مقالَ صدقٍ ورُبَّ مقالةٍ مِنْ غيرِ نُظقي:

قتلتَ المسلمينَ بغيرِ حقٍّ وضَيَّعتَ الأمانةَ والذماما

* * *

نَجِيشُكَ يومَ يحضُرُكَ الجِمامُ يَسْأَلُ حُسامَهُ، ولنا حِسامُ

وتسبِّحُ سهمَهُ مِنَّا سِهامُ لهما بالحقِّ رامٍ لا يُرامى

لا يُرامى: لا ينافس في رمي السهام. يريد شوقي لعظام الشهداء أن تلاحق عرابي حتى سرير الموت فتسابق عزرائيل عليه. لقد خجل الوطنيون كثيراً من بضع قصائد لشوقي ضد عرابي، ومن عشرات القصائد الأخرى في مدح توفيق وعباس حلمي، وعُثِمَت ثورة ٥٢ ما استطاعت على هذه القصائد. ولعل سبب عداوة شوقي لعرابي ولاء شوقي للخديوي توفيق، أما قال له في قصيدة: «فاسمع لعبدك وابن عبدك؟» فتوفيق هو الذي أرسله إلى فرنسا ليتعلم، وكان يراعيه، فعندما أتم شوقي تعليمه أمره توفيق بالمكوث في باريس بعض الوقت لتوسيع آفاقه. يقول شوقي في مقدمة الشوقيات: «فرأى لي الجنب العالِي أيده الله أن أقضي في العاصمة ستة شهور أتمكن فيها من معرفة أشياء باريز وأهلها». وما صنعه عرابي هو أنه تحدى توفيقاً ووقف يدافع عن مصر في وجه الغزاة الإنجليز. وكان تحدى توفيقاً قبلها في ملاسنة مشهورة لها روايات عديدة. ومعركة التل الكبير موقعة حامية قتل فيها نحو ٥٥٠ من الإنجليز، و١٤٠٠ من المصريين. وكان الإنجليز أكثر عددَ جنودٍ وعدة مدافع. وبعد انتصارهم نفى الإنجليز عرابي إلى سيلان مع عدد من قادة حركته، وظل منفياً نحو عشرين سنة

٨٨ لؤلؤة على خد المويلحي

عندما نشر شوقي ديوانه في نحو عام ١٩٠٠ تعرض له بالنقد محمد المويلحي الذي انتقد تصدير شوقي اللبوان بمقدمة يروي فيها سيرته. وسخر المويلحي من شوقي لأنه روى حادثة جرت له في صباه مع الشيخ علي الليثي. ودافع عن شوقي صديقه شكيب أرسلان، فكتب إليه شوقي يشكره: «دفعت عني البازجي بيد هدمت كيانه وألفت بيانه؛ وتحامل علي المويلحي فرددت عني الرد الذي قطع حجتة. فسبحان من جعلك جلاداً لأعدائي وروبرساً لحسادتي» يشير إلى روبرتس قائد الإنجليز الذي غلب الأفريقان البيض في جنوب أفريقيا. ثم حدث بعد حين أن صفع شاب محمداً المويلحي لأنه مازحه، فكانت فرصة لشوقي كي يتقم. فاتخذ الحادثة مادة للتفكه والشماتة في قطع كثيرة كان ينشرها باسم مستعار. هذه واحدة منها. (١٩٠٢)

لقد صفعوه صفعةً جلَّ شأنها وأعيا على حذق الطبيب علاجها
أعيا: أنعب، حذق الطبيب: مهارته

ولو أتبعوا صفعاً بصفع لأحسنوا وزان اللآلي في النحور ازدواجها
فالعقد مكون من صفي من اللآلي، والصف الأيمن يناظر الأيسر، وهذا الازدواج يجعل العقد جميلاً. المصراع الأخير من البحري: فإن تُلحِقِ النُعمى بِنُعمى فإنه/ يَزِين اللآلي في النظام ازدواجها

٨٩ الحال كما صورتها

في ذكرى مئة سنة على مولد فكتور هوغو (١٩٠٢)

الحالُ باقيةٌ كما صَوَّرَتْهَا مِنْ عَهْدِ آدَمَ، ما بها تغيُّيرُ
البؤسُ والنُّعمى على حالَيْهِمَا وَالْحِطُّ يَعْدِلُ نَارَةً وَيَجْورُ
وَمِنْ الْقَوِيَّ عَلَى الضَّعِيفِ مَسِيطِرُ وَمِنْ الْغَنِيِّ عَلَى الْفَقِيرِ أَمِيرُ
وَالنَّفْسُ عَاكِفَةٌ عَلَى شَهَوَاتِهَا تَأْوِي إِلَى أَحْقَادِهَا وَتَشْوُرُ
النفس منكبة على الشهوات، وأحياناً تلجأ إلى الحقد وإخفاء البغض، وأحياناً تنور وتظهر البغض
وَالْعَيْشُ أَمَالٌ تَجِدُّ وَتَنْقُضِي وَالْمَوْتُ أَصْدَقُ، وَالْحَيَاةُ غُرُورُ
العيش آمال تنجد ثم تنتهي، والموت أصدق من العيش فهو وحده الدائم

٩٠ حريق ميت غمر

قال شوقي في حريق ميت غمر (١٩٠٢):

اللَّهُ يَحْكُمُ فِي الْمَدَائِنِ وَالْقُرَى يَا مَيْتَ غَمْرٍ خُذِي الْقَضَاءَ كَمَا جَرَى

ما جَلَّ خَطْبُ ثم قيسَ بغيرِهِ إلا وهوئُهُ القِياسُ وصَفَرُ
 قد جئتُ أبكيها، وأخذُ عِبرَةً فوقفتُ مُعتَبِراً بها مُستَعْبِراً
 مستعبراً: باكياً. نشرت القصيدة في مايو/أيار ١٩٠٢ وقالت المجلة التي نشرتها: «إن شوقي اهتم
 بحادثة ميت غمر اهتماماً زائداً فسافر لمحل الحادثة ونظم قصيدته»

والأمهاتُ بغيرِ صبرٍ: هذه تبكي الصغيرَ، وتلك تبكي الأصغرا
 من كلِّ مُودَعَةِ الطُّلولِ دُموعُها من أجلِ طفلٍ في الطُّلولِ استأخرا
 استأخرا: تأخر

كانت تُؤمِّلُ أن تطولَ حياتُهُ واليومَ تسألُ أن يعودَ فيُقبَرا
 مدُّوا الأكفَّ سخيَّةً، واستغفري يا أمةً قد آن أن تستغفِرا
 أُولى بمعطِفِ المُوِيرينَ وبرِّهم من كان مثْلهمُ فأصبحَ مُغفِرا
 يا أيُّها السُّجناءُ في أموالِهم أأَينتُمُ الأيامُ أن تنفِيرا
 لا يملكُ الإنسانُ من أحوالِهِ ما تملكُ الأقدارُ، مهما قَدرا

٩١ الوئش

قال شوقي يرثي عبده الحمولي (١٩٠٢):

لا يجاريهِ في تَفَنُّهِ العو دُ، ولا يشنكي إذا لم يجارِ
 لشدة تفننه يعجز العود أن يلحق بصوت عبده الحمولي، وهو لا يحتاج إلى العود
 حتى يُظهر له تفرعات المقامات. كنت سألت الملحن المرحوم سيد إسماعيل: ترى
 هل كان عبده صالح يفتح أبواب النغم لأم كلثوم بقانونه، ويقود خطواتها، فقاطعتني
 صارخاً: «أم كلثوم كانت زي الوئش»، والوئش هي الشاحنة التي تسحب السيارات
 المعطلة، ولا شيء يسحبها

يُسَمِّعُ اللَّيْلُ في الفجرِ «يا ليـ لُ»، فيُصغِي مُستَمهِلاً في فِرارةِ
 الليل يولي هارباً بقدوم الفجر، فيقول عبده الحمولي «يا ليل»، فيقف الليل ويتهمل
 حتى يسمعها قبل أن ينصرف. الله! على هذا البيت. ليقُل شوقي آلاف الأبيات
 المغسولة بعد هذا وقبله، الشاعر بجيِّده لا برديته. وقد أحب سعد الدين وهبة هذا
 البيت وأفرده من القصيدة في مقابلته المطولة مع عبد الوهاب. وقال السوربوني عن
 البيت: «هذا بيت واحد لشوقي من شعر الوجدان تنضال بجانبه قصائد ودواوين
 بعض المجددين»

٩٢ صليبيّة

قال شوقي من قصيدة يهنئ بها عبد الحميد بعيد الجلوس. وانتعشت في ذلك الوقت حركات في البلاد التي يحكمها الأتراك في أوروبا تطالب بالانفصال، وتتلقى الدعم من الروس والإنجليز والفرنسيين والنمساويين. وفي سنة ١٩٠٣ قمعت إستانبول بقسوة المدن البلغارية والمقدونية في سياق ثورة مقدونيا على الحكم العثماني (١٩٠٣)

عِشْ للخلافة ترضاهما وتَرْضِيها وتنشئ السكّة الكبرى وتحميها
وقعت الدولة العثمانية مع ألمانيا، في مارس ١٩٠٣، لإنشاء سكة حديد إستانبول - بغداد

وتحمِلُ الملك والإسلامَ عن أُممٍ شَلَاءَ لا تحمِلُ الأشياءُ أيديها
فالأمم الإسلامية من عرب وغيرهم يحتاجون لعبد الحميد لكي يحمل عنهم الملك والدين، فهم مشلولون وأيديهم لا تقدر على حمل الأشياء. وكلمة «الأشياء» هنا أحلى من الأعباء أو الأثقال، ليس لأنها ترجع صدى شلاء - أو ما يحب النقاد أن يسموه الموسيقى الداخلية - ولكن لمعناها

إِنْ أَضْحَكَ المَلَأَ المفتونَ حاضِرُها أبكى الأجنّة في الأرحام آتِيها
وحاضر هذه الأمم جيد ويضحك له مستبشراً المَلَأَ المفتون (القوم المخدوعون)، ولكن الآتي (المستقبل) سيكون مظالمًا إلى درجة أن تبكي له الأجنة في الأرحام

توهّموا العِزَّ في ذُلٍّ يُرادُ بِهِمُ وشُبّهَتْ لَهُمُ النِّعماءُ تشبيها
توهم المسلمون الذل الذي يريده الغرب لهم عزاً واستقلالاً. ورأوا في وعود الغرب ما يشبه النعم وليس بنعيم

لا عِيشَ في الذلِّ إلّا للذليل، ولا حياة للنفسِ إِنْ ماتَتْ أمانِيها
ما هذه الحرب، في زِيّ السلام، لكم إلّا صليبيّة والكُلُّ صالِيها
أمم الغرب منذ ذلك الوقت يكثر في كلامها الحديث عن السلام؛ وهي كانت تساعد ثورات الأمم الكارهة للحكم العثماني ومنها أمم مسلمة، باسم السلام، ولكن القصد الدفين للغرب كما يرى شوقي صليبي ومتصل بحروب قامت قبل مئات السنين ولما تهدأ ثاراتها

يا أُمَّةَ المصطفى جَلَّتْ حوائِجُكُمْ فقدّموا الخيرَ علَّ اللّهُ يَقْضِيها
لا تَسمَعوا لِمرِيبٍ في خلافتِكُم كفى الخلافة ما يأتِي أعاديها

٩٣ .. ناحية في الهرم

قال شوقي يصف حفلاً راقصاً في قصر عابدين (١٩٠٣):

طالَ عَلَيْها السَّيِّدَمُ فَهِيَ وَجودٌ عَدَمُ
الخمرة القديمة انعدمت فيها كل خواص العنب واكتسبت كل خواص الخمر. معنى قديم لا يمل الشعراء من تكراره

خَبَّأَهَا كَاهِنٌ نَاحِيَةً فِي الْهَرَمِ

قال عشرات الشعراء هذا المعنى، وجعلوا الخمر كسروية، وجعلوها من عهد نوح ومن عهد آدم. ولكن بيت شوقي هذا ظريف كل الظرف. فقد خبأها كاهن من كهنة الفراعنة في ناحية من الهرم ونسبها

نَمَّ بِهَا ذُنُوبُهَا وَهِيَ عَلَيْهِ أَنْتَمُ

الذن وعاء الخمر الكبير، وقد نم عن الخمر (وشى بوجودها)، ولكنها برائحتها نمت على الدن أكثر مما نم عليها بحجمه

بِي رَشَاءٍ نَاعِمٍ مَا عَرَفَ الْعُمُرَ هَمَّ

بي (أي موكل بي لا يفارق ذهني) رشأ (غزال) ناعم (متعم في عيشه)، لم يعرف همًا

أَخْرَجَهَا اللَّئَةُ كَالزَّرَةِ هُمْرَةً، وَالْحَسَنُ كَمَّ

هذه الفتاة كالزهرة، وكماها (أكمامها التي تكون مضمومة عليها) هو الجمال بعينه

تَخْطِطُ عَمَّنْ عَادِلٍ لِمَنْ يُرَى إِلَّا ظَلَمَ

قدما الذي تخطط به عادل (مستو)، وهو ظالم لكل من يراه لما يترك من حسرة في النفوس. وهذا المعنى القديم ظل الشعراء يعالجونه ألفي سنة حتى جاء إبراهيم ناجي وقال (فيما تغني أم كلثوم): «ظالم الحسن شهى الكبرياء»

تَسْأَلُ أَتْرَابَهَا مُؤَمِّئَةً بِالْعَنَمِ

تسأل صديقاتها، وهي تشير بأطراف أصابعها الشيعة بالعنم (ثمر أحمر)

أَيُّ فِتْنَةٍ ذَلِكُمُنَّ- الْمَعْرَبِيُّ الْعَلَمُ

يَشْرُبُهَا سَاهِرًا لَيْلَتُهُ لِمَنْ يَنْتَمُ

قُلْنَ: تَجَاهَلْنَ؟ ذَلِكَ رَبُّ الْقَلَمِ

شَاعِرٌ مَصْصَرُ الْمَذِي لَوْ خَفِيَ النُّجُومُ لَمْ..

أي لو خفي النجم لم يخف شاعرنا لشهرته

قُلْتُ لَهَا: لَيْتَ لِمَ نُرَمَ وَلِمَ نُتَّهِمُ

قلت لها: ليت لم نُرَمَ (ليتك لا ترميتني بالتهمة لشرب الخمر)

عَادِلَتِي فِي الظُّلَا لَوْ أَنْصَفْتُ لِمَ أُلِّمُ

التي تعذلني في الظلا (الخمر) ليست منصفة

إِنْ عَبَسَ الْعَيْشُ لِي عَذْتُ بِهَا فَايْتَسَمُ

فأنا إن عبس الدهر لي عذت (لجأت) بالخمر فابسم الدهر لي

يَشْرِبُهَا كَابِرٌ بَيْنَ ضُلُوعِي أَشْمٍ

يشرب الخمر كابر (سيد) أشم (معتز بنفسه) وهو يقيم بين ضلوعي، أي أنا

يُكْسِبُهَا خُلُقَهُ يَمْزِجُهَا بِالنَّيَمِ

وهذا الذي يشرب الخمر يضيف عليها من خلقه الحميد، ويمزجها بشيئه (بصفاته النبيلة)

تِلْكَ شَمُوسُ الدُّجَى أَمْ ظَلَبَاتُ الْخَيْمِ

أهذه الفتيات شمس طلعت ليلاً؟ أم هي رشاقتهن كفتيات البدو التي تكون كالغزلان في الخيام؟

اجْتَمَعَتْ فَالْتَقَتْ حَوْلَ خِوَانٍ نُسْظَمِ

وقد اجتمعن الآن حول خوان (مائدة) منصوب

مَائِدَةٌ مَدَّهَا بِحَرُ نَوَالٍ خِضَمِ

هذه المائدة مدّها الخديوي، بحر النوال (العطايا) الخضم (العظيم)

تَحَسَّبُهَا صُورَتْ مِنْ شَهَوَاتِ النَّهْمِ

والمائدة كأنها تحقّق لحلم شخص نهم، فمهما تخيل هذا النهم فهو موجود عليها. قرأها الأياري «النهم» بفتح الهاء (وأرادها أحمد محفوظ وعلي شوقي اللذان أعدا ذلك الجزء من الشوقيات في حياة شوقي نهماً أيضاً)، ونرى فيها تجريداً لا مسوغ له، ونريدك أن تقرأها النهم بكسر الهاء

٩٤ الجد واللعب

قال شوقي يرثي علي رفاعة باشا، ابن رفاعة الطهطاوي (١٩٠٣):

كُلُّ الْحَقَائِقِ فِيهَا الشُّكُّ مُحْتَمَلٌ إِلَّا الْمَنِيَّةُ تَأْبَى الشُّكَّ وَالرَّيْبَا

وما رأيتُ، على علمي وتَجَرِبَتِي، كَالْمَوْتِ جِذْأً، وَلَا مَا قَبْلَهُ لَوْبَا

٩٥ النشور المبكر

رآه ولده علي وحسين خارجاً من البيت في زورة (زيارة) فيكيا

بَكَيْتُ لِأَجْلِ خُرُوجِهِ فِي زَوْرَةٍ يَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ يَوْمَ فِرَاقِهِ

لَوْ كَانَ يَسْمَعُ يَوْمَئِذٍ بُكَاءَهُمَا رُدَّتْ إِلَيْهِ الرُّوحُ مِنْ إِشْفَاقِهِ

٩٦ آدم العنب

قال شوقي يصف حفل رقص في عابدين (١٩٠٤):

مَا لَ وَاحْتَجَبَ وَأَدْعَى الْقَضْبَ

مال بوجهه عني وابتعد مدعياً الغضب

لَيْتَ هَاجِرِي يَشْرَحُ السَّبَبَ
مَاءٌ خَذَهُ شَفَّ عَنْ لَهَبِ
ماء خذه (وماء الوجه نضارته) يشف عن لهب لحرمة الخد وتورده

سَاقِي الطَّلَا شُرْبُهَا وَجَبَ
يا ساقِي الطلا (الخمير) وجب شربها الآن

هَاتِيهَا مَشَتْ فَوْقَهَا الْحَقَبُ
هاتها خمرة مشت فوقها الحقب (الأزمان) . . أي أنها معتقة

بَابِلِيَّةٌ تَنْفُثُ الْحَبَّ
خمرة من بابل المشهورة بالخمور، تُخرجُ الحب (الفقايع)

إِنَّ كَرْمَهَا أَدُمُ الْعَرَبِ
وكرمها (بستان العنب الذي منه أخذت) هو أول كرم خلقه الله، فهو، في الكروم، كآدم في البشر

هُذَّبْتُ قَفِي دَنَاهَا الْأَدَبُ
لقد صفت هذه الخمر وراقت فكانها هُذِّبَتْ، وأما هذا التهذيب والتأديب فقد تم في الدن (خاية
الخمير)

إِسْقِيهَا فَتَى خَيْرَ مَنْ شَرِبَ
كُلَّمَا طَلَعَتْ رَاضَهَا الْحَسَبُ

كلما طلعت الخمرة ولعبت برأسه فإن حسب النبيل يروضها ويجعلها لا تنفسي به إلى
العريضة. الأبياري يريد في شرحه «حسب الخمرة»، فهي ذات حسب عريق وهو الذي
يمنعها من الطغيان. وهذا تفسير جميل، وإن كنت أرى البيت الذي قبل هذا البيت
يستدعي المعنى الذي شرحته أعلاه، وبني ميل شديد إلى تفسير الأبياري فالبيت عليه
أحلى: الخمرة تطنى وتعصف بشاربها، والذي يروضها هو حسبها، فهي مهذبة ومن
أصل كريم وعريق

رَبِّ مَصْرَ عِشْنِ وَأَبْلُغِ الْأَرْبَ
رب مصر: صاحب مصر عباس حلمي الثاني

هَآكْ مِذْحَةُ الثَّاعِبِ الْأَرْبِ
الأرب: الماهر

لَمْ يَجِئْ بِهَا شَاعِرٌ ذَهَبَ

ولم يَجِئْ بمثل هذه القصيدة شاعر قبل شوقي لأن وزنها مبتدع، وأما بعد شوقي فقد ارتجل حافظ إبراهيم وعبد العزيز البشري وهما يتمشيان على الكوبري أبياتاً فكاهية على هذا الوزن منها: شال وانخط/ وادعى العبط، ليت هاجري/ يبلغ الزلط. وينهني صديقي الشاعر عمران القفيني إلى أن شوقي ليس أول من نظم على هذا الوزن: «أعرف أبياتاً للبارودي (المتوفى آخر ١٩٠٤)، سبقت أبيات شوقي (التي قالها في ١٩٠٤)، إلا أن يكون البارودي قالها في آخر عام في حياته بعيد قصيدة شوقي، وهذا صعب. أول القصيدة: أملاً القدح - واعص من نصح// وارو غلتي - بابتة الفرح»

٩٧ أسلمتهم لعيون الله

وقال وهو في الآستانة في عيد جلوس عبد الحميد (١٩٠٤):

بِاللَّهِ يَا نَسَمَاتِ النِّيلِ فِي السَّحْرِ هل عِنْدَكُنَّ عَنِ الْأَحْبَابِ مِنْ خَبِيرٍ
مَصْرُ الْعَزِيزَةِ، مَالِي لَا أُوذِّعُهَا وَدَاعٍ مُحْتَفِظٍ بِالْعَهْدِ مُذَكِّرٍ
مُذَكَّر: متذكَّر للعهد

خَلَقْتُ فِيهَا الْقَطَا مَا بَيْنَ ذِي زَعَبٍ وذِي تَمَائِمَ لَمْ يَنْهَضْ وَلَمْ يَطِيرِ
القطا (من الطيور): يعني أبناءه، بعضهم له زغب (ريش نابت)، وبعضهم عليه التمايم (الحَرَازَاتِ توضع على الطفل لرد العين)

أَسْلَمْتُهُمْ لَعْيُونِ اللَّهِ تَحْرُسُهُمْ وَأَسْلَمُونِي لظِلِّ اللَّهِ فِي الْبَشْرِ
سلمت أبنائي لعيون الله، وهم سلموني لظل الله بين البشر وهو السلطان عبد الحميد
ودبعةٌ لَهُمْ عِنْدَ الْإِمَامِ، وَمَنْ يَسْتَوْدِعُ الرُّوْضَ يَسْتَثْمِرُ وَيَذْخِرُ
وأنا ودبعة أودعها أبنائي عند إمام المسلمين، ومن يضع ودبعة عند الروض (يذر بذوراً) فهو يستثمر ويدخر للمستقبل

يَا ابْنَ الْخُلَافَةِ مِنْ عُمَانَ! فَضْلُكُمْ كَوَاضِحِ الصَّبْحِ عِنْدَ الْبَيْتِ وَالْحَجَرِ
فضل بني عثمان كالصبح الذي يشرق في بيت الله بمكة عند الحجر الأسود المبارك

حَفِظْتُمْ الدِّينَ دَهْرًا فِي كِرَامِيهِ مَجْمَلًا بِحُجُولِ الْفَتْحِ وَالْغُرَرِ
جملتكم الدين بفتحكم التي هي كالحجول والغرر (الحجول: هي البياضات في قوائم الفرس، والغرر البياضات في جبهته)

خِلَافَةُ اللَّهِ كَالْعِنَقَاءِ فِي يَدِكُمْ فَوْقَ الْحَبَائِلِ وَالْأَرْزَاءِ وَالْفَيْرِ
الخلافة بيدكم كالعنقاء (طائر قبل إنه لا يمكن أن يصاد)، فهي فوق الجبال (المصائد) والأرزاء (المصائب)، والفير (النكبات)

تَظَلُّ فِي فَلَكِ الْعَلْبَاءِ هَالَتْهَا بِرُؤُفِهَا قَمَرٌ مِنْكُمْ إِلَى قَمَرٍ
فَالْخَلَاةُ هَالَةٌ (دائرة الضوء التي حول القمر) وخلفاء بني عثمان هم الأقطار يتوارثون هذه الهالة
لَمَّا اضْطَلَعَتْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِهَا مَلَكَتْ نَاصِيَتَيْهَا مِلْكٌ مُقْتَدِرٍ
لَمَّا اضْطَلَعَتْ بِالْخَلَاةِ (توليتها) مَلَكَتْهَا مِنْ نَاصِيَتَيْهَا (جانبيها) بِقُدْرَةٍ
حَمَلَتْهَا وَاثِقًا بِاللَّهِ مُصْطَبِرًا يَنْوُشُكَ الدَّهْرُ فِيهَا غَيْرَ مُصْطَبِرٍ
بنوشك: يتناولك بالمكروه

٩٨ شاعر النيل!

قال شوقي (١٩٠٤):

أُبْهِهَا النَّفْسُ تَجْدِبْنَ سُدًى هَلْ رَأَيْتِ الْعَيْشَ إِلَّا لَعِبًا
جُرْبِي الدُّنْيَا تَهْنُ عِنْدَكَ؛ مَا أَهْوَى الدُّنْيَا عَلَيَّ مِنْ جَرْبَا
نَلَبْتُ فِيمَا نَلَبْتُ مِنْ مَظْهَرِهَا وَمُنَحَّتِ الْخُلْدُ ذِكْرًا وَنَبَا
نَلَبْتُ يَا نَفْسِي ضَمَنْ مَا نَلَتْهُ مِنَ الْأَشْيَاءِ مَظَاهِرِ الدُّنْيَا، وَنَلْتُ أَيْضًا الْخُلُودَ فِيهَا بِالذِّكْرِ وَالنَّبَا (الخبر
الطيب)

أَنَا فِي دُنْيَايَ أَوْ آخِرَتِي شَاعِرُ النَّيْلِ، وَخَسْبِي لَقَبًا
هكذا لُقِبَ شوقي نفسه بشاعر النيل في سنة ١٩٠٤، وهو صريح في أن هذا خير لقب يرجوه،
وبعد ذلك بعدة سنوات نال حافظ إبراهيم «نيلان النيل» - بعد سنة ١٩١٢ - ولقب إثر ذلك بشاعر
النيل، وانتظر شوقي حتى سنة ١٩٢٧ لينال لقباً آخر هو أمير الشعراء

٩٩ رمضان ولَّى

قال شوقي (١٩٠٤):

رَمَضَانُ وَلَّى، هَاتِهَا يَا سَاقِي مُشْتَاقَةٌ تَسْعَى إِلَى مُشْتَاقِي
جعل الخمرة مشتاقة أيضاً لشاربها

مَا كَانَ أَكْثَرُهُ عَلَى الْأَفْهَامِ وَأَقْلَهُ فِي طَاعَةِ الْخَلَاقِ
كم كان رمضان طويلاً على آلاف (محبّي) الخمرة، وكم كان قصيراً في طاعة الله

اللَّهُ غَفَّارُ الذُّنُوبِ جَمِيعِهَا إِنْ كَانَ ثَمَّ مِنَ الذُّنُوبِ بَوَاقٍ
الله يغفر الذنوب، هذا إن كان ثَمَّ (هناك) ذنوب ليتغفرها بعد صيام رمضان. أرايت إلى هذه الروح
التي تثب خفة؟ شوقي يتصيد النكتة الخفية ببراعة، وهو رغم خوفه من الله، شديد التوق إلى العبت

بالأَمْسِ قَدْ كُنَّا سَجِينِي طَاعَةِ وَالْيَوْمَ مَنَّ الْعَبْدُ بِالْإِطْلَاقِ
هو والخمر كانا حتى يوم أمس سجينني طاعة الله، واليوم من (تفضل) عليهما العيد بإطلاق
سراحهما

ضَحِكْتُ إِلَيَّ مِنَ السُّرُورِ، وَلَمْ تَزَلْ بِنْتُ الْكُرُومِ كَرِيمَةَ الْأَعْرَاقِ
الأعراق: الأصول

حَمَرَاءُ أَوْ صَفَرَاءُ، إِنَّ كَرِيمَهَا كَالْغَيْدِ، كُلُّ مَلِيحَةٍ بِمِذَاقِ
الخمر تكون حمراء أو صفراء؛ والخمر الكريمة (الجيدة) مثل الغيد (الحسان) فكل امرأة حسنة
فريدة في حسنها ولا تماثل امرأة أخرى. في يومنا هذا يقولون: نبذ أحمر ونبذ «أبيض»، مراعاة
للغة الأجنبية التي عنها ينقلون، ومراعاة للأجنبي الذي منه يستوردون النبيذ، ولكن النبيذ «الأبيض»
هو أصفر على التحقيق

لَا تَسْقِنِي إِلَّا دِهَاقًا، إِنَّنِي أَسْقَى بِكَأْسٍ فِي الْهَمُومِ دِهَاقٍ
دهاقاً: مثقلة

فَلَعَلَّ سُلْطَانَ الْمُدَامَةِ مُخْرَجِي مِنْ عَالَمٍ لَمْ يَحْوَ غَيْرَ نِفَاقٍ

١٠٠ الميراث

قال شوقي في مدح عباس حلمي (١٩٠٤):

النَّيْلُ يَا ابْنَ عَلِيٍّ، وَهُوَ مِنْ ذَهَبٍ، مَصَّبُهُ لَكَ مِيرَاثٌ وَمَنْبَعُهُ
النيل يا ابن علي (عباس حلمي وهو حفيد محمد علي) كأنه الذهب لما يعطي من خيرات؛ ومنبعه
ومنبعه (أي كله) ميراث لك

جَرَى يُحَاكِيكَ إِحْسَانًا وَعَارِفَةً فَقَصَّرْتُ عَنْ نَدَى كَفِّيكَ أَذْرُعُهُ
يحاكيك النيل (يقلدك) في الإحسان والعارفة (الإحسان)؛ ولكن، قصرت أذرعك بكاملها عن ندى
(كرم) كفئك وحدهما

أَهْدَى لَكَ الْحَمْدَ وَادِيَهُ وَشَاطِئَهُ وَأَمَّةٌ فِي ظِلَالِ الْأَمْنِ تَزْرَعُهُ

١٠١ الترامي

قال شوقي بنعي على مصطفى رياض، وولي رئاسة الوزارة ثلاث مرات، تعلقه المعتمد
البريطاني كرومر. وكان الخديوي عباس قد انتقد شيئاً على القائد البريطاني كشنر فغضب
كرومر وطلب من القصر اعتذاراً فأبى الخديوي عباس، فقدم رياض الاعتذار (١٩٠٤):

كَبِيرَ السَّابِقِينَ مِنَ الْكِرَامِ بِرُغْمِي أَنْ أَنَالَكَ بِالْمَلَامِ

إذا ما لم تكن للقول أهلاً فما لك في المواقف والكلام
خطبت فكنت خطباً لا خطيباً أضيف إلى مصائبنا الجسام
الخطب: النكة، الجسام: الكبيرة. قال محمد صبري السوري: (الشرط الأول: الخطب
فكنت خطباً لا خطيباً، كنت أسمع الكبار يهتفون به في كل مناسبة في السنوات التي أعقبت
القصيدة)

وهل تركت لك السبعون عقلاً لعرفان الحلال من الحرام
كان المهجو في السبعين، فهو قد ولد عام ١٨٣٤. وعندما مات عام ١٩١١ نال مراثية من شوقي،
ولم نختر منها شيئاً

لهجت بالاختلال وما أتاه وجرحك منه، لو أحسنت، دام
لهجت: أغرمت

وما أغناه عن قال فيه وما أغناك عن هذا الترامي

١٠٢ تأليب

قال شوقي يستصرخ السلطان عبد الحميد من عسف شريف مكة «عون الرفيق»
بالحجاج (١٩٠٤):

ضجّ الحجاز وضجّ البيت والحرّم واستصرخت ربّها في مكة الأمم
استصرخت: استجدت

قد مَسّها في حماك الضّرُّ فاقض لها خليفة الله، أنت السيّد الحكّم
لك الربوع التي ريع الحجيج بها، أليسّريف عليها أم لك العلّم؟
ريع: أخيف

أهين فيها ضيوف الله واضطهدوا إن أنت لم تنتقم فالله منتقم
يدّ الشريف على أيدي الولاء علّت ونعلّه دون ركن البيت تستلم
سلطة شريف مكة صارت أعلى من ولائه للخليفة، وصارت نعله تستلم (تقبل) بدلاً من ركن البيت
الحرام

عزّ السبيل إلى طه وتربّته فَمَن أراد سبيلاً فالطريق دَم
صار صعباً الوصول إلى طه (أي الرسول)، وتربته (قبره) في المدينة المنورة

١٠٣ تفسير آية

قال شوقي بنى محمد عبده (١٩٠٥):

مُفَسِّرَ آيِ اللَّهِ بِالْأَمْسِ بَيْنَنَا قَمِ الْيَوْمَ فَسَّرَ لِلوَرَى آيَةَ الْمَوْتِ
لم يكن محمد عبده على وفاق مع الخديوي، فاكتفى شوقي شاعر الخديوي بثلاثة أبيات في رثائه

١٠٤ أحمد الوقت

قال بهنئ السلطان عبد الحميد بنجائه من قبلة قذف بها سنة (١٩٠٥):

بَلَوْنَاكَ يَقْظَانَ الصَّوَارِمِ وَالْقَنَا إِذَا ضَبَّعَ الصَّيْدَ الْمَلُوكِ سُبَاتُ
بلوناك (خبرناك) يقظان الصوارم (السيوف) والقنا (الرماح)، في حين يضجع السبات (النوم) الملوك
الصيد (الشامخين)

فَلَوْلَاكَ مُلْكُ الْمُسْلِمِينَ مُضَيِّعٌ وَلَوْلَاكَ شَمْلُ الْمُسْلِمِينَ شَتَاتُ
أَكَانَ لِهَذَا الْأَمْرِ غَيْرُكَ صَالِحاً وَقَدْ هَوَّئْتُهُ عِنْدَكَ السَّنَوَاتُ؟
أكان يصلح غيرك للخلافة، وقد ملأتك السنوات خبرة وهونت عليك الحكم؟

وَمَنْ يَسُسِ الدُّنْيَا ثَلَاثِينَ حِجَّةً تُعِينُهُ عَلَيْهَا حِكْمَةٌ وَأَنَاةُ
من ظل يسوس الدنيا ثلاثين سنة، فإن ما اكتسبه من الحكمة والأناة (التأني) يكون له مُعِيناً
وَمَا زِلْتُ حَسَنَانَ الْمَقَامِ، وَلَمْ تَزَلْ تَلِينِي، وَتَسْرِي مِنْكَ لِي النَّفَحَاتُ
وأنا مثل حسان بن ثابت شاعر الرسول، وأنت ظللت تليني (توليني الرعاية)، وتأتيني النفحات
(النسائم) منك (الإيماءات والبودار كالاستضافة في إستانبول والثناء)

زَهْدْتُ الَّذِي فِي رَاحَتِكَ، وَشَاقَنِي جَوَائِزُ عِنْدَ اللَّهِ مُبْتَغِيَاتُ
لست طامعاً في المال الذي في كفيك، وأنا مشتاق إلى ثواب الله لقاء تأييدي لك، فتأييدك واجب
ديني

وَمَنْ كَانَ مِثْلِي أَحْمَدَ الْوَقْتِ لَمْ تَجْزُ عَلَيْهِ، وَلَوْ مِنْ مِثْلِكَ، الصَّدَقَاتُ
ومن كان مثلي أحمد الوقت (أحمد الوقت هو الرسول الذي جاء في ميعاد مضروب، أي أن
شوقي هو نبي الشعر الذي ساقه القدر في وقته)، لم يجز له أن يأخذ الصدقة (ولم تجز الصدقة
للنبي)

وَلِي دُرُّ الْأَخْلَاقِ فِي الْمَدْحِ وَالْهَوَى وَلِلْمُنْتَبِي ذُرَّةٌ وَحَبَاةُ
وعندما جعل نفسه «أحمد الوقت» تداعى إلى ذهن شوقي أحمد بن الحسين المتنبي، فجعل شوقي
لنفسه الدرر في المدح والغزل، وأما المتنبي فله أبيات عظيمة وأخرى رديئة أخذها النقاد عليه

محمد علي علم الشرق ١٠٥

قال في ذكرى مرور مئة عام على تولي محمد علي مصر (١٩٠٥):

عَلِمَ أَنْتَ فِي الْمَشَارِقِ مُفَرِّدٌ لَكَ فِي الْعَالَمِينَ ذِكْرٌ مَخْلَّدٌ
حَبِذَا دَوْلَةً وَمُلْكًا كَبِيرٌ أَنْتَ بَانِي رُكْنَيْهِمَا يَا مُحَمَّدُ
تَمَلَّأُ الْأَرْضَ صَافِيَاتٍ، وَيُجْرَى لَكَ فِي الْبَحْرِ كُلُّ بُرْجٍ مُنَيَّدٍ
يا محمد علي باشا كنت تملأ الأرض بالصفاءات (الخيول)، وكان قوادك يسيرون لك في البحر
السفن التي هي كالبروج المشيدة (الحصون العالية)

هَكَذَا فَلْيَلَيْلُ سَمَاءِ الْمَعَالِي مَنْ سَعَى فِي الْوَرَى لِمَجْدٍ وَسُودَدُ
هِمَّةٌ تَبْتَنِي الْمَمَالِكَ شَمًّا ءَ، وَرَأْيِي يَسُوسُهُنَّ مُسَدَّدُ
وَثَبَاتٌ فِي الْحَادِثَاتِ، وَعَزَمَ مِثْلُ رَبِّ الزَّمَانِ لَا يَتَرَدَّدُ
عزم مثل رب الزمان (مصائبه) لا يتردد

لَا تَبَالِي بِحَاسِدٍ وَعَدُوٍّ آيَةُ الْفَضْلِ أَنْ تُعَادَى وَتُخَسَدُ
كنت لا تهتم بالحاسد وبالعدو، وآية (علامة) الفضل العداوة والحسد

هِمَّةُ الْفَاتِحِينَ حُكْمٌ وَقَهْرٌ وَلَكَ الْهِمَّةُ الَّتِي هِيَ أَبْعَدُ
همة الفاتحين (طموحهم) السلطان وقهر البشر، ومنتك أبعد من ذلك فانت باني دولة

يَا مُدِيمَ الرُّقَادِ فِي خَيْرٍ مَرْقَدُ قُمْ فَمَا حَلَّ قَبْلَكَ الْأَرْضَ فَرَقَدُ
يا مديم (مواصل) الرقاد في قبرك، قم من قبرك فما سكن الأرض قبلك فرقد (الفرقد نجم معين)
وَانْظُرِ الشَّرْقَ كَيْفَ أَصْبَحَ يَهْوِي وَانْظُرِ الْغَرْبَ كَيْفَ أَصْبَحَ يَضَعُدُ

١٠٦ منك يا هاجر دائي

قال شوقي (١٩٠٥):

مَنْكَ يَا هَاجِرُ دَائِي وَبِكَفِّئُكَ دَوَائِي
يَا مُنَى رُوحِي، وَدُنْيَا يَ وَسُؤْلِي وَرَجَائِي
سؤلي: مطلبي

أَنْتَ، إِنْ شِئْتَ، نَعِيمِي وَإِذَا شِئْتَ شَقَائِي
كُلُّ مَا تَرْضَاهُ، يَا مَوْ لَائِي، يَمْرُضَاهُ وَلَا ئِي

١٠٧ حسبنا الله ونعم الوكيل

نقل عن فلهم الثاني إمبراطور ألمانيا قوله إنه يريد للإمبراطورية الألمانية أن تكون مثل الإمبراطورية الرومانية قوة وسعة. وأنه يريد لابن إمبراطوريته أن يقول في أي مكان حل به: «أنا مواطن ألماني»، تماماً مثلما كان الروماني يقول «سيفيك رومانوس سوم»، وهذه باللاتينية، ومعناها «أنا مواطن روماني». ويبدو أن صحف ذلك الزمان نقلت العبارة موحية أن فلهم الثاني يريد أن يقسم العالم بين الرومان والألمان. وفي هذا الإيعاء قدر من الصحة، ففي هذا العام ١٩٠٦، وقعت «الأزمة المغربية الأولى» التي تنافس فيها الفرنسيون والإنجليز والإسبان والألمان على المغرب، وكان فلهم، أو غليوم بالتهجئة الفرنسية، ماضياً في تكوين إمبراطورية ألمانية. فقال أحمد شوقي (١٩٠٦):

يا ربّ ما حكمك؟ ماذا ترى	في ذلك الحُلم العريض الطويل
قد قام غليوم خطيباً فما	أعطاك من مُلكك إلا القليل
فالتُصّف للجِرماني في رُعيه	والنصف للرومان فيما يقول
يا ربّ قل: سيفك أم سيفه؟	أيهما، يا ربّ، ماضٍ صقيل
إن صدّقت يا ربّ أحلامه	فإنّ خطب المسلمين الجليل
لا نحن جرّمان لنا حصّة	ولا برومان فنُعطى قتيلاً

فتيل: الشيء الصغير الحقير

يا ربّ، لا تنسَ رعاياك في	يوم رعاياك الفريق الذليل
جناية الجهل على أهله	قديمة والجهل بثس الدليل
يا ليت لم نمدد لشرّ يداً	وليت ظلّ السُّلم باقي ظليل
جنى علينا عُصبة جازفوا	فحسبنا الله ونعم الوكيل

١٠٨ زائر لندرة

قال شوقي لسعد زغلول عند سفره إلى لُنْدَرَة (لندن) للتفاوض (١٩٠٦):

يا سعدُ إنَّ أنتَ دَخَلْتَ لُنْدَرَة مُنْتَصِراً مُظَفَّراً كَعَنْتَرَة
يسخر شوقي من سعد زغلول، هذا في زمن كان فيه شوقي صديقاً لمصطفى كامل زعيم الحزب الوطني وخصماً لسعد زغلول. وكان سعد قريباً من المعتمد البريطاني كرومر

وسِرتَ محمولاً على الأكتاف بينَ قِيامِ الناسِ والهُتافِ
وقيلَ تلميذُ الإمامِ مَرّاً يا مَرحباً به وألفَ هُوراً

كان سعد زغلول تلميذ الإمام محمد عبده، هوراً: مرحى بالإنجليزية

فَقُمْ خَطِيباً فِي بَنِي التَّامِيزِ وَامْدُخْ مُذِلَّ الْوَطَنِ الْعَزِيزِ
بَنُو التَّامِيزِ: الْإِنْجِلِيزِ، نَسَبُهُ إِلَى نَهْرِ لَنْدَنِ الْيَمِيزِ، مُذِلُّ الْوَطَنِ: الْلُورْدُ كِرُومِرُ

١٠٩ جسر البسفور

قال شوقي في جسر البسفور (١٩٠٦):

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! رَأَيْتُ جِسْراً أَمُرُّ عَلَى الصَّرَاطِ، وَلَا عَلَيْهِ
الصَّرَاطُ الْمُسْتَقِيمَ مَرْعَبٍ، وَالسَّقُوطُ مِنْ عَلَيْهِ سَقُوطٌ فِي الْجَحِيمِ

وَأَسْمَجُ مِنْهُ فِي عَيْنِي جُبَاةً تَرَاهُمْ وَشَطَطُهُ وَبِجَانِبِيهِ
يُفِيدُ حُكُومَةَ السُّلْطَانِ مَالاً وَيُعْطِيهَا الْغِنَى مِنْ مَعْدِنِيهِ
الجسر يجلب للحكومة المال، ويعطيها المعدنين (الذهب والفضة)

وَعَايَةُ أَمْرِهِ أَنَا سَمِعْنَا لِسَانَ الْحَالِ يُنْشِدُنَا لَدَيْهِ:
أَلَيْسَ مِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّ مِثْلِي يُرَى مَا قُلَّ مِمَّنْ نَعَا عَلَيْهِ
يقول الجسر: أليس عجباً أن مثلي يكون الشيء القليل ممتعاً عليه (محزناً عليه)

وَتَوَخَّذْ بِاسْمِهِ الدُّنْيَا جَمِيعاً وَمَا مِنْ ذَاكَ شَيْءٍ فِي يَدَيْهِ
نجى الأموال الطائلة باسم الجسر، ولا ينال شيئاً. اليتان الأخيران قالهما الخليفة المعتمد على الله
العباسي (خلافته من ٢٥٦هـ - ٢٧٩هـ) الذي حجر عليه أخوه الموفق طلحة، وفرض عليه ما يشبه
الإقامة الجبرية

١١٠ فداديني الثلاثون

من مسرحية «الست هدى»، (١٩٠٦):

يَقُولُونَ فِي أَمْرِي الْكَثِيرَ، وَشَغْلُهُمْ حَدِيثُ زَوَاجِي أَوْ حَدِيثُ طَلَاقِي
يَقُولُونَ إِنِّي قَدْ تَزَوَّجْتُ تِسْعَةً وَإِنِّي وَارِثُ الثَّرَابِ رِفَاقِي
وَمَا أَنَا «عَزْرِيلٌ»، وَلَيْسَ بِمَالِهِمْ تَزَوَّجْتُ، لَكِنْ كَانَ ذَاكَ بِمَالِي
وَتِلْكَ فِدَادِينِي الثَّلَاثُونَ، كُلُّهَا تَوَلَّى رَجَالٌ جِئْتَنِي بِرَجَالِ

١١١ لَا حُرْمُوا خَيْرَكَ

قال شوقي من مسرحية «البخيلة» على لسان الجدة الغنية، وقد ادَّعى حفيدها - كما
يفعل كل مرة - أن نفوده نُشِلَتْ، (١٩٠٧):

لَمْ تَلْقَنِي وَتَنْصَرِفَ بِمَالِي إِلَّا وَعَادَتْ قِصَّةُ النَّثَالِ
لَا حَرَمَ اللَّهُ اللَّصُوصَ خَيْرَكَا مَا بِالْهَمِّ لَا يَسْرِقُونَ غَيْرَكَا
هذا بيت في غاية غايات الظرف، فيه نهكم مر في شطره الأول، وتخوين مبطن وماكر في شطره الثاني

١١٢ والله لا

قال شوقي يعرض بفارس نمر صاحب جريدة المقطم، الذي أراد الالتفاف على حكم قضائي (١٩٠٧):

بِأَفَارِسَاءَ نَرَجُّعًا وَانْحِطَّ بِعَدَمِهَا
هَلِ الْقَضَاءُ لِمَبَّةٍ تَلْهُو بِهَا، وَاللُّوْلَا

١١٣ الهوى

وقال شوقي (١٩٠٧):

وَمَا الْحُبُّ إِلَّا طَاعَةٌ وَتَجَاوُزٌ وَإِنْ أَكْثَرُوا أَوْصَافَهُ وَالْمَعَانِيَا
الحب طاعة المحبوب والتجاوز (التغاضي) عن سيئاته

وَلَا هُوَ إِلَّا الْعَيْنُ بِالْعَيْنِ تَلْتَقِي وَإِنْ نَوَّعُوا أَسْبَابَهُ وَالذَّوَاعِيَا
ولا تفسير له سوى أن العين تلتقي بالعين

وعندي الهوى، موصوفه لا صفاته إذا سألتوني: ما الهوى، قلت: ما بي
عندي الموصوف بالهوى (أي الهوى نفسه)، ولا أعرف صفاته، فإذا سئلت ما الهوى قلت: هو ما بي

١١٤ دنشواي

قال شوقي بعد مرور عام على فظيعة دنشواي (١٩٠٧):

بَا دِنْشَوَايَ! عَلَى رُبَاكَ سَلَامٌ ذَهَبَتْ بِأَنْسِ رِبْوَعِكَ الْإِيَامُ
كَيْفَ الْأَرَامِلُ فِيكَ بَعْدَ رَجَالِهَا وَبِأَيِّ حَالٍ أَصْبَحَ الْإَيْتَامُ
عِشْرُونَ بَيْتًا أَقْفَرَتْ وَانْتَابَهَا، بَعْدَ الْبَشَاشَةِ، وَخَشَنَ وَظِلَامُ
بَا لَيْتَ شِعْرِي فِي الْبُرُوجِ حَمَائِمُ أَمْ فِي الْبُرُوجِ مَنِيَّةٌ وَجِمَامُ
يَسِيرُونَ! لَوْ أَدْرَكْتَ عَهْدَ كُرُومِي لَعَرَفْتَ كَيْفَ تُنْفَذُ الْأَحْكَامُ

نُوحِي حَمَائِمَ دِنْشَوَايَ، وَرَوِّعِي شَعْباً بُوَادِي النِيلِ لَيْسَ يَنَامُ
وَالْمُسْتَشَارُ إِلَى الْفُظَائِحِ نَاطِرٌ تَذْمَى جُلُودَ حَوَلَهُ وَعِظَامُ

في ١٣/٧/١٩٠٦ توفي جندي إنجليزي في قرية دنشواي بالمنوفية عندما كان يصطاد الحمام مع أربعة من زملائه. مات بضربة شمس بعد وقوع صدام بين الجنود وأهل دنشواي. إثر وفاة الجندي اعتقل الإنجليز اثنين وخمسين من أهالي القرية، وأقيمت محكمة صورية قضت بشنق أربعة رجال، وسجن وجلد ستة وعشرين رجلاً. والجندي المصري الذي كان يرافق الإنجليز أفاد في شهادته بغير ما يرضي المحكمة فرفضت شهادته وحكم عليه بالحبس سنتين. كان رئيس المحكمة المستشار أحمد فتحي زغلول (أخا سعد زغلول). وكان المعتمد الإنجليزي في مصر اللورد كرومر. من بين من شنق حسن محفوظ، وشنق عند باب بيته وعلى مرأى من أولاده وأحفاده.

كتب جورج برناردشو في مقدمة مسرحيته «جزيرة جون بول الأخرى» وصفاً بعنوان «فضيحة دنشواي»: «كانت مشقة واحدة، وكانوا يتركون المشنوق عليها نصف ساعة لينأكدوا من موته، ولينحوا أسرته ما يكفي من الوقت لمشاهدته متديلاً. لذا استمرت العملية ساعتين لقتل الرجال الأربعة. وللترويح عن أنفسهم في هذا الوقت كانوا يجلدون ثمانية رجال، خمسين جلدة لكل منهم».

١١٥ وداع كرومر

استقال اللورد كرومر على إثر فضيحة دنشواي، بعد أربع وعشرين سنة في منصبه معتمداً بريطانياً بمصر. وأقيم حفل لوداعه، فخطب خطبة كان فيها قليل الأدب مع مصر ومع الإسلام. وتكهن أن نظل مصر بلداً متخلفاً. فقال شوقي يذكره أن مصر شهدت ازدهاراً.. لكن قبل الاحتلال البريطاني (١٩٠٧):

أَيَاكُمْ أُمَ عَهْدُ إِسْمَاعِيلَا أُمَ أَنْتَ فِرْعَوْنُ يَسُوسُ النِيلَا
أُمَ حَاكِمٌ فِي أَرْضٍ مُضَرَّ بِأَمْرِهِ لَا سَائِلَا أَبَدَا وَلَا مَسْؤُولَا؟
أُمَ أَنْتَ كَالْحَاكِمِ بِأَمْرِ اللَّهِ الْفَاطِمِي الْمُسْتَبِدِّ الْأَمْوَجِ

يَا مَالِكَا رِقِّ الرِّقَابِ بِبَاسِهِ هَلَّا اتَّخَذْتَ إِلَى الْقُلُوبِ سَبِيلَا
لَمَا رَحَلْتَ عَنِ الْبِلَادِ تَشْهَدْتُ فَكَأَنَّكَ الدَّاءُ الْعِيَاءُ رَحِيلَا
الدَّاءُ الْعِيَاءُ: الذي لا يبرء منه

أَوْسَعَتْنَا يَوْمَ الْوَدَاعِ إِهَانَةً أَدَبٌ لَعَمْرُكَ لَا يُصِيبُ مَثِيلَا!
أَوْسَعَتْنَا (ملأتنا) يوم توديعك إهانة، وهذا أدب لا يصيب (يلقي) مثيلاً له!

هَلَّا بَدَا لَكَ أَنْ تُجَامِلَ بَعْدَمَا صَاعَ الرَّئِيسُ لَكَ الشَّنَا إِكْلِيلَا
الرئيس: رئيس الوزراء مصطفى فهمي، الذي أثنى في الحفل على كرومر

أَنْذَرْتَنَا رِقًّا بَدُومٌ وَذِلَّةً تبقى، وحالاً لا ترى تحويلاً
أَحْيَيْتَ أَنْ اللَّهَ دُونَكَ قَدْرَةً لا يملك التغيير والتبديلاً
قَالُوا: جَلِبَتْ لَنَا الرِّفَاهَةُ وَالْغِنَى جَحَدُوا إِلَهَهُ وَصُنْعَهُ وَالنِّيْلَا
وَحَيَاةَ مَصْرَ عَلَى زَمَانٍ مُحَمَّدٍ ونهوضها من عهد إسماعيل
وَمَنْ قَالَ ذَلِكَ جَحَدَ مَا كَانَ مِنْ نَهْضَةٍ عَلَى زَمَانٍ مُحَمَّدٍ (محمد علي) والخديوي إسماعيل
وَمَدَارِساً تَبْنِي الْبِلَادَ حَوَافِلًا حظُّ الفقيرِ بهنَّ كان جَزِيلاً
حَوَافِلُ: حافلة، مثقلة، ولم تكن لأبناء الأغنياء فقط

وَمَعَاqِلًا لَا تَمُحِي آثَارَهَا وجيوش إبراهيم والأسطولا
وَجَدَاوِلًا بَيْنَ الضِّيَاحِ جَوَارِيَا تَذُرُّ الْيَبَابَ مَزَارِعاً وَحُقُولَا
الجداول الجواري: الجداول الجارية، بين الضياع: المزارع، الياب: الأرض الخراب غير المزروعة

وَالْقَطَنَ مَزْرُوعاً بِفَضْلِ مُحَمَّدٍ في مصرَ محلوجاً بها مغزولا
لَمْ يَزِرْعِ الْقَطَنَ بِهَا فَقَطْ، بَلْ أَدْخَلَ تَصْنِيعَ الْقَطَنِ أَيْضاً. لِلْبَيْتِ رَنَةٌ جَمِيلَةٌ، وَمَعْنَى جَمِيلٌ
قَدْ مَدَّ إِسْمَاعِيلُ قَبْلَكَ لِلوَرَى ظلُّ الحضارة في البلاد ظليلاً
إِنْ قِيسَ، فِي جُودٍ وَفِي سَرَفٍ، إِلَى مَا تُنْفِقُونَ الْيَوْمَ عُذُّ بَخِيلَا
أَوْ كَانَ قَدْ صَرَعَ الْمَفْشُشَ مَرَّةً فَلَكُمْ صَرَعَتْ بِدُنْشَوَايَ قَنِيلاً
كان الخديوي إسماعيل قد قتل إسماعيل باشا مفتش الأقاليم في حادثة شنيعة

فِي كُلِّ تَقْرِيرٍ تَقُولُ خَلَقْتُكُمْ أَفَهْلُ تَرَى تَقْرِيرَكَ التَّنْزِيلَا؟
هَلْ مِنْ نَدَاكَ عَلَى الْمَدَارِسِ أَنَّهَا تَذُرُّ الْعُلُومَ وَتَأْخُذُ الْقُتُبُولَا
نَدَاكَ: كرمك، الفتبول: كرة القدم

أَمْ مِنْ صِبَايَتِكَ الْقَضَاءُ بِمُضَرٍّ أَنْ تَأْتِي بِقَاضِي دُنْشَوَايَ وَكَيْلَا
المستشار أحمد فتحي زغلول كان رئيس المحكمة التي قضت بإعدام وجلد وسجن الناس في قطيعة دنشواي، وكافاه كرورم بأن جعله وكيل وزارة الحفانية «العدل»

فَارْحَلْ بِحَفِظِ اللَّهِ جَلَّ صَنِيعُهُ مُسْتَعْفِيَاً إِنْ شِئْتَ أَوْ مَعْزُولَا
إِنَّا تَمَنَّيْنَا عَلَى اللَّهِ الْمُنَى وَاللَّهُ كَانَ يَنْيِلُهُنَّ كَفِيلَا
مَنْ سَبَّ دِينَ مُحَمَّدٍ، فَمُحَمَّدٌ مُتَمَكِّنٌ عِنْدَ الْإِلَهِ رَسُولَا

١١٦ باض وفرخ

قال شوقي، ونشر هذين البيتين باسم مستعار، وما أكثر ما صنع ذلك، ولكن محمد صبري السوربوني في كتابه الكبير «الشوقيات المجهولة» رصد لنا الكثير مما نشره شوقي باسم مستعار ثم لم يضمه في ديوانه (١٩٠٧):

أَيْهَا الْبَحْرُ! أَلْقِي فِي مَصْرٍ أَمْلًا حَكَ حَتَّى تُرَابُهَا بَنَسَبْخُ

يسخ: يصح سبخة (متفعلاً) غير صالح للزراعة

كُلُّ مَنْ ضَاقَتْ الْحَيَاةُ عَلَيْهِ جَاءَ مَصْرًا، وَبَاضَ فِيهَا وَفَرَّخَ

يعرض شوقي بالأجانب ذوي الامتيازات من الطليان واليونانيين والإنجليز، وأستبعد أن يكون قصد أيضاً اللبنانيين الذين كان لهم في المجتمع الثقافي المصري شأن. فمن هؤلاء كان له أصدقاء خلّص كثير، وكانوا - مثله - متمصرين لا منطقلين

١١٧ أرجوزة الحكم

قال شوقي يخاطب النشء (١٩٠٧):

اطْلُبِ الْعِلْمَ لِدَاتِ الْعِلْمِ، لَا لظَهْوٍ بِاطْلٍ بَيْنَ الْمَلَا

عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ لِلْعِلْمِ مَذَاقُ فَلِذَا فَاتَكَ هَذَا فَافْتَرِاقُ

طَلَبُ الْمَحْرُومِ لِلْعِلْمِ سُدى لَيْسَ لِلْأَعْمَى عَلَى النُّورِ هُدًى

المحروم من تذوق لذة العلم لا فائدة من طلبه للعلم

فَلِذَا فَاتَكَ تَوْفِيقُ الْعَلِيمِ فَاْمْتَنِعْ عَنْ كُلِّ تَحْصِيلٍ عَقِيمٍ

وَاطْلُبِ الرِّزْقَ هُنَا أَوْ هُنَا كَمْ مَعَ الْجَهْلِ يَسَارٌ وَغْنَى

فليطلب الإنسان رزقه من غير طريق العلم، وكم من جاهل أصاب بساراً (غنى)

إِنَّ لِلْعِلْمِ جَمِيعاً فَلَسَفَةُ مَنْ تَغَيَّبَ عَنْهُ تَفْتَهُ الْمَعْرِفَةُ

قُلْ إِذَا خَاطَبْتَ غَيْرَ الْمُسْلِمِينَ لَكُمْ دِينٌ وَرَضِيْتُمْ وَلِيَّ دِينٍ

خَلَّ لِلدِّيَانِ فِيهِمْ شَأْنُهُ إِنَّهُ أَوْلَى بِهِمْ سَبْحَانَهُ

كُلُّ حَالٍ صَائِرٌ يَوْمًا لِضِدِّ قَدَحِ الْأَقْدَارِ تَجْرِي وَاسْتَعِدَّ

فَلَنْكَ بِالسَّعْدِ وَالنَّحْسِ يَدُورُ لَا تُعَارِضُ أَبَدًا مَجْرَى الْأُمُورِ

كُلُّ حَيٍّ، مَا خَلَا اللَّهَ، بِمَوْتٍ فَاتُرْكُ الْكِبَرَ لَهُ وَالْجَبَرُوتُ

اطْلُبِ الْحَقَّ بِرَفْقٍ تُحْمَدِ طَالِبُ الْحَقِّ بِمَعْنٍ مُعْتَدِ

أَحِبِّ الطِفْلَ، وَإِنْ لَمْ يَكْ لَكَ إِنَّمَا الطِفْلُ عَلَى الْأَرْضِ مَلَكٌ
عَظْفَةٌ مِنْهُ عَلَى لُعْبَتِهِ تُخْرِجُ الْمَحْزُونِ مِنْ كُرْبَتِهِ
وَاجْعَلِ الْحَجَّ إِلَى أُمِّ الْقُرَى غِبَّ حَجَّ لِبَيْوتِ الْفُقَرَا

غب: بعد

لَيْسَ لِي فِي طَبِّ جَالِينُوسَ بَاغٌ بَيْنَدُ أَنَّ الْعَيْشَ دَرْسٌ وَأَظْلَاغٌ
أَحْذَرِ الثُّخْمَةَ إِنْ كُنْتَ فَهَيْمٌ إِنْ عِزُّرَائِيلَ فِي خَلْقِ النَّهْمِ
وَأَتَّقِ الْبَرْدَ فَكَمْ خَلَقَ قَتْلٌ مَنْ تَوَقَّاهُ أَتَقَى نَصَفَ الْعِلَلِ
وَاتْرِكِ الْخَمْرَ لِمَشْغُوفٍ بِهَا لَا يَرَى مَسْدُوحَةً عَنْ شُرْبِهَا
وَتَعَشَّقُ وَتَعَفِّقُ وَأَتَّقِ مَا دَرَى اللَّذَّةُ مَنْ لَمْ يَعْشَقِ

سخر العقاد من هذه الأرجوزة كثيراً. ولعل المرء لا يملك إلا أن يكتب ابتسامة وهو يقرأ نصائح شوقي في اجتناب التخممة والبرد. على أن شاعرنا ربما كان يريد فقط مباراة أبي العتاهية في أرجوزته المعروفة بذات الأمثال، التي امتدح الجاحظ بيتها: (يا للشباب المرح التصابي/روائح الجنة في الشباب). وأنا أمتدح، مجيزاً لنفسى القعود بجانب أبي عثمان، البيت: (إن الشباب والفراغ والجدة/مفسدة للمرء أي مفسدة)، أو لعله كان يقلد ابن الوردي في لاميته النصحية (اعتزل ذكر الأغاني والغزل/وقل الفصل وجانب من هزل) وهي على بحر الرمل كقصيدة شوقي

١١٨ النفوس حرائر

قال شوقي (١٩٠٨):

إِنَّ النُّفُوسَ، كَمَا عَلِمْتُ، حَرَائِرٌ كَذَبَ الْأَلَى قَالُوا: النُّفُوسُ إِمَاءُ
النُّفُوسُ حُرَّةٌ، وَقَدْ كَذَبَ الْأَلَى (الَّذِينَ) قَالُوا إِنَّهَا إِمَاءُ (جَوَارٍ مُسْتَعْبِدَةٍ)

وَالشَّعْبُ إِنْ مَلَّ الْحَيَاةَ ذَلِيلَةً هَانَ الرِّجَالُ عَلَيْهِ وَالْأَشْيَاءُ
إِذَا مَلَ شَعْبُ الْحَيَاةَ مَعَ الذَّلَّةِ هَانَتْ عَلَيْهِ النُّفُوسُ وَالْأَشْيَاءُ (الْمَمْلُوكَاتُ)

١١٩ الصعب والسهل

قال شوقي (١٩٠٨):

مَا أَصْعَبَ الْفِعْلَ عَلَى مَنْ رَأَى وَأَسْهَلَ الْقَوْلَ عَلَى مَنْ أَرَادَ

١٢٠ سبحانهم

قال شوقي ينتقد الحزب الوطني، ويؤيد أحمد زكي باشا شيخ العروبة في خصومته مع الحزب بعد وفاة زعيمه مصطفى كامل وتزعّم محمد فريد للحزب (١٩٠٨):

سَرُّ الْبَلْبَةِ أَنْ يَكُونَ زَعِيمَا مَنْ لَا يُسَالِمُ فِي الرِّجَالِ كَرِيمَا
عَابُوكَ إِذْ وَجَدُوا صَنِيعَكَ بَارِعَا وَرَأَوْا سَبِيلَكَ فِي الْحَيَاةِ قَوِيمَا
فَتَحُوا لِحِزْبِهِمُ الْجَنَانَ، وَأَعْتَدُوا سُبْحَانَهُمُ لِلْكَافِرِينَ جَحِيمَا

كان شوقي صديقاً لزعيم الحزب الوطني مصطفى كامل، وعندما مات انصرف عن الحزب ولم يكن شديد التحمس لمحمد فريد. وكان شوقي يناصر سعد زغلول العداء لقربه من الإنجليز الذين يقطعون قطعة كبيرة من نفوذ الخديوي عباس حلمي ولي نعمة شوقي. ورأينا شوقي يسخر من سعد زغلول عندما زار لندن سنة ١٩٠٦، ويسخر من أخيه الذي كان رئيس محكمة دنشواي، وسرى شوقي يقترب من الأحرار الدستوريين بعض الاقتراب، وهو رجل غير حزبي، حزبه الخديوي فحسب. وسنراه يقترب من سعد زغلول بعد سنوات، بل ويصبح كثير التردد على مجالسه، ثم ينال مقعداً في مجلس الشيوخ عن الوفد، حزب سعد، سنة ١٩٢٤

١٢١ النفس الكريمة

قال شوقي (١٩٠٨):

اللَّهُ يَعْلَمُ مَا نَفْسِي بِجَاهِلِيٍّ مَنْ أَهْلُ خُلَّتِيهَا مِمَّنْ يُعَادِيهَا
علم الله أنني لا أجهل أهل خلتي (صداقتي) من أعدائي
والنفسُ إنْ كَبُرَتْ رَقَّتْ لِحَاسِدِهَا واستغفرتُ، كَرَمًا مِنْهَا، لِشَانِيهَا
شانيها: كارها

١٢٢ إِنَّ الْحَيَاةَ دَقَائِقُ وَثَوَانِ

قال شوقي يرثي مصطفى كامل (١٩٠٨):

الْمَشْرِقَانِ عَلَيْكَ يَنْتَحِبَانِ قَاصِيَهُمَا فِي مَآتَمٍ وَالذَّانِي
الشرق الأقصى والشرق الأدنى يتحبان عليك
يتساءلون: أِبَالَسَلَالٍ قُضِيَتْ، أَمْ بِالْقَلْبِ، أَمْ هَلْ مُتْ بِالسَّرَطَانِ
السلال: مرض السل

اللَّهُ يَشْهَدُ أَنَّ مَوْتَكَ بِالْحِجَا وَالْجِدِّ وَالْإِقْدَامِ وَالْعِرْفَانِ
سبب موتك توقد الحجي (العقل)، والنشاط المفرط

إِنْ كَانَ لِلْأَخْلَاقِ رُكْنٌ قَائِمٌ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا فَأَنْتَ الْبَانِي
وَالْخُلْدُ فِي الدُّنْيَا، وَلَيْسَ بِهَيِّينَ، عَلَيَا الْمَرَاتِبِ لَمْ تُتَّخِ لِحَبَانِ
وَأَحَبُّ مِنْ طَوْلِ الْحَيَاةِ بِذَلِكَ قَصَرُ يُرِيكَ تَقَاصُرَ الْأَقْرَانِ
مات مصطفى كامل عن ٣٤ سنة، وقصر حياته يبرز تفوقه على أقرانه

دَقَاتُ قَلْبِ الْمَرْءِ قَائِلَةٌ لَهُ: إِنَّ الْحَيَاةَ دَقَائِقٌ وَثَوَانِ

أنفق العقاد صفحة من كتاب «الديوان» في نقد هذا البيت. ولكن العقاد، في كل كتابه الذي سخره
لنقد وشمث شوقي، كان يغفل أن مما يحبه المرء في الشعر إيقاعاً تفهمه الأذن دون الدماغ. هذا
بيت بديع في معناه، بديع في إيقاعه، وأحب أن أقرأه جهراً مشدداً على قافاته الخمسة

فَارْفَعْ لِنَفْسِكَ بَعْدَ مَوْتِكَ ذِكْرَهَا فَالذِّكْرُ لِلْإِنْسَانِ عُمُرٌ ثَانِ
لَوْ كَانَ لِلذِّكْرِ الْحَكِيمِ بَقِيَّةٌ لَمْ تَأْتِ بَعْدُ، رُئِيتَ فِي الْقُرْآنِ
وَلَقَدْ نَظَرْتُكَ وَالرَّذَى بِكَ مُخْدِقٌ وَالدَّاءُ مَلَأَ مَعَالِمَ الْجِثْمَانِ
محدث بك: محيط بك

يَبْغِي وَيَطْعَى وَالطَّبِيبُ مُضَلَّلٌ قَنِطٌ، وَسَاعَاتُ الرَّحِيلِ دَوَانِ
قنط: قانط يائس، دوان: دانية قريبة

وَنَوَاطِرُ الْعُودِ عَنْكَ أَمَالُهَا دَمْعٌ تُعَالِجُ كَثْمَهُ وَتُعَانِي
العواد (الزوار الذين يعودونك في مرضك) مالت نواظرهم (عيونهم) بعيداً عنك وهم يعالجون
(يغالون) الدمع لمنعه من الهمول

تُغْلِي وَتُكْثِبُ وَالْمَشَاغِلُ جَمَّةٌ وَيَدَاكَ فِي الْقِرطَاسِ تَرْتَجِفَانِ
أما أنت فتشتغل رغم مرضك

فَهَشِشْتَ لِي حَتَّى كَأَنَّكَ عَائِدِي وَأَنَا الَّذِي هَذَا السَّقَامُ كِبَانِي
رحبت بي منشرحاً كأنك أنت الذي تعودني، وكأنتي أنا الذي هذ السقام (المرض) كيباني
وَرَأَيْتُ كَيْفَ تَمُوتُ آسَادُ الشَّرَى وَعَرَفْتُ كَيْفَ مِصَارِعُ الشَّجَعَانِ
رأيت فيك كيف تموت أسود الشرى (الشرى مأسدة كانت عند الفرات)

وَجَعَلْتَ تَسْأَلُنِي الرِّثَاءَ فَهَاكُهُ مِنْ أَدْمُعِي وَسَرَايِرِي وَجَنَانِي
طلبت مني أن أرتبك فهاك (خذ) الرثاء من دموعي وسرايري (ضميري) وجناني (قلبي)

لَوْلَا مِغَالِبَةُ الشُّجُونِ لَخَاطَرِي لَنَظَّمْتُ فِيكَ يَتِيمَةَ الْأَزْمَانِ
لولا مغالبة (منازعة) الشجون (الأحزان) لخاطري (لقريحتي) نظمت فيك قصيدة هي الدرة اليتيمة

وأنا الذي أرثي الشمسَ إذا مَوَتْ فتعودُ سيرَتَها إلى الدَّورَانِ
قد كنتَ تهتِفُ في الورى بِقِصائِدِي وتُحِلُّ فوقَ النِّيراتِ مَكَانِي
النيرات: النجوم

ماذا دهاني يومَ بِنْتُ فَعَقَنِي فبكَ القريضُ، وخانَنِي إمكاني
بنت: فارقت، عني القريض: خاتني الشعر، وخاتني إمكاني (قدرتي)

يا صَبَّ مصرَ وبأَ شهيدَ غرامِها هذا ثرى مِضرٍ فنمُ بأَمانِ
ص: ص: محب

أفسنُ أَنتَ في التُّرابِ طهارةً مَلَكٌ يهابُ سؤالَه الملكانِ

١٢٣ العدل بين الأولاد

قال شوقي في أولاده الثلاثة (١٩٠٩):

يقولون: لِمَ تُظَرِّي عَلِيًّا وأختَهُ وتنسى حُسَيْنًا، والحسينُ كريمُ
يقولون لِمَ (لماذا) تطري (تنتي على) عليًّا وأخته أمينة، وتنسى حسينًا، وإنه لعزيز علي

فقلتُ: فؤادي للثلاثةِ منزلٌ هُما طُنباءُ، والحسينُ صَمِيمُ
فقلت قلبي منزل (المنزل في العربية القديمة هو الخيمة) الأولان طنبان في (حبلان يشدان الخيمة)
والحسين صميم (الأصل)

إذا ما بدا لي أنْ أفاضِلَ بينهم أبى لي قلبٌ عادِلٌ ورحيمُ
أُحِبُّ صغارَ العالمينَ لأجلِهِم وَيَعِطِفُ قلبي ذو أبٍ، ويتيمُ
أحب الصغار جميعاً لأجل أولادي، ويعطف قلبي (يستمله) الطفل ذو الأب والطفل اليتيم

١٢٤ ريم على القاع

قال شوقي (١٩٠٩):

ريمُ على القاعِ بينَ البانِ والعَلَمِ أحلَّ سفكَ دمي في الأشهرِ الحُرُمِ
ريم (غزال) على القاع (السهل) بين موضعي «البان» و«العلم» أحل لنفسه أن يسفك دمي في
الأشهر الحرم (ذي القعدة وذي الحجة والمحرم ورجب التي لم تكن العرب تحترب فيها)

رمى القضاء بِعَيْنَيَّ جُودِرَ أَسَدًا يا ساكنَ القاعِ أدركِ ساكنَ الأَجَمِ
رمى قضاء الله عن طريق عيني جودِر (صغير البقر الوحشي) أسدًا (أي رمانى، وأنا الأسد، بسهام
العشق التي انطلقت من عيني هذه الفتاة الجميلة)، فيا ساكن السهل أدرك (ارحم) ساكن الأَجَمِ
(الغابة)، أي يا أيتها الفتاة ارحمني هذا العاشق

لَمَّا رَنَا حَدَّثْتَنِي النَّفْسُ قَائِلَةً يا وَنَحْ جَنِيكَ بِالسَّهْمِ الْمُصِيبِ رُمِي
عندما رنا (نظر) قالت لي نفسي: يا وِيع جَنِيكَ فقد رماه هذا الحبيب بسهم صائب

جَحَدْتُهَا، وَكَتَمْتُ السَّهْمَ فِي كَبِدِي جَرَحُ الْأَحَبَّةِ عِنْدِي غَيْرُ ذِي أَلَمٍ
جحدت (تجاهلت) نفسي وقولها، وكتمت السهم في كبدي، فضرب الحبيب مثل أكل الزبيب.
يقول عمران القفيني: «لو كنا سننوه بكل بيت، ونكشف من أين أخذه شوقي لاحتاج الكتاب
عشرين صفحة إضافية على الأقل. على أنها «وُلِّعْتُ معي» عند هذا البيت! أليس هذا من قول
المتنبي «وما لجرح إذا أرضاكم ألم؟»

رُزِقْتُ أَسْمَحَ مَا فِي النَّاسِ مِنْ خُلُقٍ إِذَا رُزِقْتَ «التَّمَّاسَ الْعُذْرَ» فِي الشَّيْمِ
أيها الإنسان تكون قد رزقت أسمح خلقٍ إذا رزقت التماس العذر للناس ضمن الشيم (الخصال)
التي في نفسك

يا لَائِمِي فِي هَوَاهُ، وَالْهَوَى قَدَرٌ لو شَفَّكَ الْوَجْدُ لَمْ تَعْدِلْ وَلَمْ تَلَمْ
يا لائمي في حبه، والعشق قدر، لو شَفَّكَ (أوجعك) الوجد (الغرام) لم تعدل (لم تلم)

لَقَدْ أَنْلَسْتُكَ أَذْنًا غَيْرَ وَاعِيَةٍ وَرُبَّ مُنْتَصِبٍ وَالْقَلْبُ فِي صَمَمٍ
لقد أعطيتك أذنًا ولكنها غير مصغية، وكثيراً ما يظهر على المرء أنه منتصب (منصب)، ولكن قلبه أصم
يا ناعسَ الطَّرْفِ! لَا ذَقْتَ الْهَوَى أَبَدًا أَسْهَرْتَ مُضْنَاكَ فِي حِفْظِ الْهَوَى فَنَمَ
ويا أيها المحبوب، يا من طرفه (عيناه) ناعس، أدمعوك ألا تذوق الهوى رحمة بك. لقد أسهرت
مضناك (المريض بحبك) فَنَمَ

يا نَفْسُ! دُنْيَاكَ تُخْفِي كُلَّ مُبْكِيَةٍ وَإِنْ بَدَا لَكَ مِنْهَا حَسَنٌ مُبْتَسِمٍ
يا نفسي! دنياك تخفي لك كل ما يبكي، وإن بدا لك منها ميسم (ابتسام) حسن

صَلَّاحُ أَمْرِكَ لِلْأَخْلَاقِ مَرْجِعُهُ فَقَوْمُ النَّفْسِ بِالْأَخْلَاقِ تَسْتَقِيمُ
إِنْ جَلَّ ذَنْبِي عَنِ الْغُفْرَانِ لِي أَمَلٌ فِي اللَّهِ يَجْعَلُنِي فِي خَيْرٍ مُعْتَصِمٍ
المعتصم: الحصن المنيع

وإنْ تَقَدَّمَ ذُو تَقْوَى بِصَالِحَةٍ قَدَّمْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ عَبْرَةَ النَّدَمِ
إن قدم ذو التقوى عملاً صالحاً قدمت عبرة (دمعة) الندم على معاصي

يَا أَفْصَحَ النَّاطِقِينَ الضَّادَ قَاطِبَةً حَدِيثُكَ الشَّهْدُ عِنْدَ الذَّائِقِ الْفَهْمِ

يا محمدا! حديثك النبوي هو الشهد عند الذائق (المتنوق) الْفَهْمِ (الذكي)

أَتَيْتَ وَالنَّاسُ فَوْضَى، لَا تَمُرُّ بِهِمْ إِلَّا عَلَى صَنْمٍ قَدْ هَامَ فِي صَنْمٍ
أتيت برسالتك والناس فوضى لا ترى فيهم إلا رجلاً جاهلاً كالصنم هانماً بصنم يعبد

أَسْرَى بِكَ اللَّهُ لَيْلًا إِذْ مَلَائِكَتُهُ وَالرُّسُلُ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى عَلَى قَدَمِ
أسرى بك الله ليلاً إذ الملائكة (الملائكة) والرسل قد قاموا واقفين في المسجد الأقصى لتصلي بهم

حَتَّى بَلَغَتْ سَمَاءً لَا يُطَارُّ لَهَا عَلَى جَنَاحٍ، وَلَا يُسَعَى عَلَى قَدَمِ
ثم عرج بك إلى السماء التي لا يصلها واصل، طائراً بجناح أم سائراً بقدم

وَقِيلَ: كُلُّ نَبِيٍّ عِنْدَ رُتَبَتِهِ وَيَا مُحَمَّدُ هَذَا عَرْشُ اللَّهِ فَاسْتَلِمِ
وقيل فليزِم كل نبي رتبته، ويا محمد هذا عرش الله فاستلمه (قُبِّلْهُ)

يَا أَحْمَدَ الْخَيْرِ لِي جَاءَ بِتَسْمِيَّتِي وَكَيْفَ لَا يَتَسَامَى بِالرَّسُولِ سَمِي
يا أحمد (من أسماء الرسول) لي شرف بتسميتي فانا أحمد، وكيف لا يتسامى (يعلو) بالرسول
سمي (المسمى بنفس الاسم)

الْمَادِحُونَ وَأَرْيَابُ الْهَوَى تَبَعُ لِصَاحِبِ الْبُرْدَةِ الْفِيحَاءِ ذِي الْقَدَمِ
كل من مدح الرسول وأرياب الهوى (ذوو الحب للرسول) تبع (تابعون) لصاحب البردة الفيحاء
(العطرة) ذِي الْقَدَمِ (السابق/المقدم زماناً)

وصاحب البردة هو البوصيري الذي عارضه شوقي في قصيدته هذه

اللَّهُ يَشْهَدُ أَنِّي لَا أُعَارِضُهُ مَنْ ذَا يُعَارِضُ صَوْبَ الْعَارِضِ الْعَرِمِ
إذن فشوقي لا يعارضه (ينافسه)، ومن ذا الذي ينافس صوب (انهمار) العارض (السحاب) العرم
(المتدفق)

قَالُوا: غَزَوْتَ، وَرُسُلُ اللَّهِ مَا بُعِثُوا لِقَتْلِ نَفْسٍ، وَلَا جَاءُوا لِسَفْكِ دَمٍ
قالوا إنك يا رسول الله غزوت، والرسل ما بعثوا للقتل

جَهْلٌ وَتَضْلِيلٌ أَحْلَامٌ وَسَفْسَظَةٌ، غَزَوْتَ بِالسَّيْفِ بَعْدَ الْغَزْوِ بِالْقَلَمِ
وما قالوه جهل وسفسطة (حجج ملفقة)

وَالشَّرُّ إِنْ تَلَّقَهُ بِالْخَيْرِ ضِيقَتْ بِهِ ذَرْعًا وَإِنْ تَلَّقَهُ بِالشَّرِّ يَنْحَسِمِ
إن واجهته الشر بالخير ضقت به ذراعاً، وإن واجهته بشر مثله حسمته (قطعت دابره)

دَعَوْتُهُمْ لِحِجَاهٍ فِيهِ سَوْدُ دُهُمٍ والحربُ أَسُّ نِظَامِ الْكَوْنِ وَالْأَمَمِ
دَعَوْتُ يَا مُحَمَّدَ الْعَرَبِ لِحِجَاهٍ فِيهِ سَوْدٌ (سيادة) لَهُمْ، والحرب هي أساس نظام الكون والأمم

يَا رَبِّ هَبَّتْ شُعُوبٌ مِنْ مَنِيَّتِهَا واستيقظتْ أُمَمٌ مِنْ رَقْدَةِ الْعَدَمِ

يا رب قد هبت (استيقظت) شعوب أخرى من منيتها (من موتها)، واستيقظت من رقدة
الفناء. وكانت البايان قبل سنوات قلائل من هذه القصيدة قد أكدت نهضتها الباهرة
بنصر مؤزر على روسيا، واستيقظ الوعي القومي عند اليونان والبلغار والصرب الذين
يحكمهم الترك، وبدا جلياً أن دولة الترك التي يناصرها شوقي أبلة للتفكك

فَالطُّفُفُ لِأَجْلِ رَسُولِ الْعَالَمِينَ بِنَا وَلَا تَزِدْ قَوْمَهُ خَسْفًا وَلَا تَسْمِ

لا تزدنا خسفاً ولا تُسْمِنا (لا تُذِلُّنا)

يَا رَبِّ أَحْسَنْتَ بَدْءَ الْمُسْلِمِينَ بِهِ فَتَمِّمِ الْفَضْلَ وَامْنَحْ حُسْنَ مُحْتَمِّمِ

١٢٥ الرقيب

قال شوقي في الرقيب على الصحف في تركيا، وذلك بعد أن ألغى رجال العهد الجديد
منصبه (١٩٠٩):

لَنَا «رَقِيبٌ» كَانَ مَا أَثْقَلَهُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَحَّلَهُ

لَوْ ابْتَلَى اللَّهَ بِهِ عَاشِقًا مَاتَ بِهِ لَا بِالْجَوَى وَالْوَلَةِ

الرقيب رقيب الصحف، والرقيب أيضاً الشخص المكلف بمراقبة العاشقين، فلو ابتلى الله برقيب
الصحف التركي هذا عاشقاً لمات العاشق منه لا من الجوى (ألم العشق) ولا من الوله (شدة العشق)

لَوْ دَامَ لِلصُّحُفِ وَدَامَتْ لَهُ لَمْ تَنْجُ مِنْهُ الصُّحُفُ الْمُنْزَلَةُ

لو دام هذا رقيباً على الصحف لامتد أذاها فأصاب «الصحف» المنزلة (الكتب السماوية/ صحف
إبراهيم وموسى)

لَوْ خَالَ «بِسْمِ اللَّهِ» فِي مُصْحَفٍ تُغْضِبُ تَحْسِينًا مَحَا الْبِسْمَلَةَ

لو ظن أن البسملة في المصحف تغضب تحسناً (حسن تحسين باشا القائد البحري التركي) لمحاحا

جَرَائِدُ الثُّرُكِ عَلَى عَهْدِهِ كَانَتْ بِلاَ شَأْنٍ وَلَا مَنْزِلَةٍ

الشرُّ بِالشَّرِّ، فَيَا قَوْمُ لَا إِثْمَ إِذَا رَاقِبْتُمْ مَنْزِلَةَ

فقابلوا شره بشر، وراقبوا منزله جزاء ما كان يراقب الصحف

فَحَاصِرُوا الْأَبْوَابَ وَاسْتَوْقَفُوا مَنْ أَخْرَجَ الرِّدَّادَ وَمَنْ أَدْخَلَهُ

وأوقفوا للتفتيش من يحمل إليه الطعام

إِنْ كَانَ فِي السَّلَّةِ تَفَاحَةٌ ضَعُوهَا لَهُ مَوْضِعَهَا حَنْظَلَةٌ

فَإِنْ وَجَدْتُمْ فِي الطَّعَامِ تَفَاحَةً فَأَبْدِلُوا بِهَا حَنْظَلَةً (الثمرة المرة)

ذَلِكَ يَا قَوْمُ جَزَاءُ امْرِئٍ كَمُ غَيْرِ الْحَقِّ، وَكَمْ بَدَلَهُ

تبدیل بتبدیل

١٢٦ انقلاب شوقي على عبد الحميد

قال شوقي في الانقلاب العثماني (١٩٠٩):

عَبْدَ الْحَمِيدِ! حَسَابُ مِنْهُ لِيكَ فِي يَدِ الْمَلِكِ الْخَفُورِ

سُدَّتِ الثَّلَاثِينَ الطُّوَا لَ وَلَسُنَ بِالْحُكْمِ الْقَصِيرِ

حكم عبد الحميد الثاني تركيا ٣٣ سنة (١٨٧٦ - ١٩٠٩). إذا قرأ هذا الشرح معلم مدرسة، ورأى أن يدرّس القصيدة لتلاميذه، فليعلم أنني ما وضعت التواريخ حتى يفرضها على ذاكرتهم. وضعتها زيادة في الشرح، وحتى أريحك من عناء البحث

تَنْهَى وَتَأْمُرُ مَا بَدَا لَكَ فِي الْكَبِيرِ وَفِي الصَّغِيرِ

لَا تَنْشِيرُ، وَفِي الْحِمَى عَدَدُ الْكَوَاكِبِ مِنْ مُشِيرِ

لا تنشر أحداً رغم أن في البلد عدد الكواكب من العقلاء المشيرين بالصواب

أَيَسَّ الرُّوِيَّةُ وَالْأَنَسَا ؤُ وَحِكْمَةُ الشَّيْخِ الْخَبِيرِ

إِنَّ الْقَضَاءَ إِذَا رَمَى ذَلِكَ الْقَوَاعِدَ مِنْ نُبِيرِ

القضاء حين يرمي بهمه يدك قواعد جبل ثبير

دَخَلُوا السَّرِيرَ عَلَيْكَ يَحْرَ تَكْمُونَ فِي رَبِّ السَّرِيرِ

دخل الانقلابيون السرير (قاعة الحكم) وتحكموا في رب (صاحب) الديوان، فأسروه ونفوه إلى سالونيك (ومات هناك بعد تسع سنين/ ليست للحفظ)

أَعْظَمُ بِهِمْ مِنْ أَسِيرِ بَيْنَ وَبِالْخَلِيفَةِ مِنْ أَسِيرِ

فما أعظمهم، وما أعظم الخليفة الأسير!

١٢٧ الصابر على معتقداته

قال في أربعين قاسم أمين، الذي مات في ١٩٠٨، ونشرت القصيدة في (١٩٠٩):

يَا غَائِبِينَ وَفِي الْجَوَانِحِ طَيْفُهُمْ أَبْكِيكُمْ مِنْ غُيْبِ حُضَارِ

يا غائبين وفي الجوانح (الصدور) صورتهم، أبكيكم وأنتم غائبون عن العين حاضرون في الذهن

بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَإِنْ طَالَ الْمَدَى سَفَرٌ سَأُزِمُّهُ مِنَ الْأَسْفَارِ
والذي يفصلني عنكم سَفَرٌ سوف أزمعه (أقوم به)

إِنِّي أَكَادُ أَرَى مَحَلِّي بَيْنَكُمْ هَذَا قَرَارُكُمْ وَذَاكَ قَرَارِي
هذا قراركم (مكان استقراركم/ قبركم) وذاك بقره قراري الذي سأنزل به

أَوْفَى الرِّجَالِ لِعَهْدِهِ وَلِرَأْيِهِ وَأَبْرُهُمْ بِصَدِيقِهِ وَالْجَارِ
قاسم أمين كان أوفى الرجال وأبرهم

وَأَشَدُّهُمْ صَبْرًا لِمَعْتَقِدَاتِهِ وَتَأْدِبًا لِمَجَادِلِ وَمُمارِ
المماري (المجادل المكابر)

١٢٨ شعوبك يا محمد في سبات

قال شوقي يهنئ الخديوي عباس حلمي بالحج. يقول حسين أحمد شوقي في كتابه «أبي شوقي» إن الخديوي عباس حلمي عزم على شوقي أن يحج معه، ولكن شوقي تغلّت من الموكب ولم يذهب للحج، وكانت هذه الاعتذارية (١٩١٠):

إِلَى عَرَافَاتِ اللَّوْ يَا خَيْرَ زَائِرٍ عَلِمِكَ سَلَامُ اللَّوْ فِي عَرَافَاتِ
لَكَ الدِّينُ يَا رَبَّ الْحَجَّيجِ جَمَعَتْهُمْ لَبَيْتِ ظَهْوِ السَّاحِ وَالْعَرَاصَاتِ
الساح: الساحات، العرصات: الساحات

أَرَى النَّاسَ أَصْنَافًا، وَمِنْ كُلِّ بَقْعَةٍ إِلَيْكَ انْتَهَوْا مِنْ غُرْبَةٍ وَشَتَاتِ
تَسَاوَوْا، فَلَا الْأَنْسَابُ فِيهَا تَفَاوُتٌ لَدَيْكَ، وَلَا الْأَقْدَارُ مُخْتَلِفَاتِ
دَعَانِي إِلَيْكَ الصَّالِحُ ابْنُ مُحَمَّدٍ فَكَانَ جَوَابِي صَالِحَ الدَّعَاوَاتِ
دعاني الخديوي «عباس بن محمد توفيق» إلى بيتك الحرام يا رب، فدعوت له بالخير

وَحَيَّرَنِي فِي سَابِحٍ أَوْ نَجِيْبَةٍ إِلَيْكَ، فَلَمْ أَخْتَرْ سِوَى الْعَبْرَاتِ
وخيرني في ركوب سابع (فرس) أو نجبية (ناقة)، فاخترت عبرات الاعتذار (دموع الاعتذار)
وَقَدَّمْتُ أَعْدَارِي وَذُلِّي وَخَشْيَتِي وَجِئْتُ بِضَعْفِي شَافِعًا وَشُكَاكِي
اعتذرت وقدمت خضوعي، وجعلت الشافع لي ضعفي وشكائي (مرضي)

رَكَائِبُ عَبَّاسٍ الْعُلَا كِسْرِيَّةٌ وَلَكِنْ لِيْذِي سَيْفٍ وَرَبِّ قَنَاقَةٍ
ركائب عباس (دوابه) كسروية (فاخرة التجهيز كدواب كسرى)، ولكنها تصلح لذي السيف، وربّ
(صاحب) الرمح

وفي راجتي ماضٍ إذا ما هزَّزْتُهُ تركتُ عدوَّ اللّهِ في السَّكراتِ
 وأما أنا ففي يدي قلم ماضٍ، إذا حركته تركت أعداء الله في سكرات الموت

أتيتَ به يا ربَّ نوراً وحكمةً ونزَّهْتُهُ عن رِيبَةٍ وأذاةٍ
 أنت جتني يا رب بهذا القلم لتفيض منه الحكمة، ونزهته عن الريبة (العبث) والأذى

ويا ربَّ لو سَحَرْتَ ناقةً صالح لعبدك ما كانت من السَّلَساتِ
 وحظي سيء، فلو سخر لي الله ناقة النبي صالح المعطاء السلسة، لما كانت سلسة معي

ويا ربَّ هل تُغني عني العبد حَجَّةً وفي العمر ما فيه من الهَفَواتِ
 وماذا ينفعني الحج وقد ارتكبت هفوات كثيرة

إذا زُرْتَ يا مولاي قبرَ محمدٍ وقبِلْتَ مَثْوَى الْأَعْظَمِ الْعَطِرَاتِ
 مولاي الخديوي عندما تزور قبر محمد، وتُقبَل مَثْوَى (موضع) عظامه الطاهرة

فقلْ لرسولِ اللّهِ: يا خيرَ مُرْسَلٍ أبشُّك ما تُدري من الحَسَرَاتِ
 قل له: أبشك (أخبرك بـ) حشرات قلبي

شعوبك في شَرْقِ البلادِ وغربِها كأصحابِ كهفٍ في عميقِ سُبَاتِ

١٢٩ مَضْنَاكَ جَفَاهُ مَرْقَدُهُ

قال شوقي يهني الخديوي عباس حلمي (١٩١٠):

مَضْنَاكَ جَفَاهُ مَرْقَدُهُ وَبَكَاهُ وَرَحَّمَ عُمُودُهُ
 مضناك (المريض بحبك) جفاه (نبَّهه) مرقده (سريره) فهو ساهر، وبكاه عُمُودُهُ (زائروه) وترحموا عليه

حيرانُ القلبِ مُعَذِّبُهُ مقروحُ الجَفَنِ مُسَهِّلُهُ
 جفنه مقروح (مجرَّح) من بكائه ومسهِّل (ساهر)

أودَى حُرْقاً إِلَّا رَمَقاً يُبْقِيهِ عَلَيْكَ وَتُنْفِذُهُ
 أودى (مات) من الحُرْق (حُرقة في إثر حُرقة)، ولم يبق فيه سوى رمق (بقية حياة)، وهو يحافظ على هذه البقية من أجلك وأنت تُنفِذ هذه البقية (تفنيها)

يَسْتَهْوِي الْوُزُقُ تَأْوُهُ وَيُذِيبُ الصَّخَرِ تَنْهَدُهُ
 يستهوي الورق (الحمام) تأوُّهه، ويذيب الصخر تنهده

ويناجي النجمَ وَيُتَعَبُهُ وَيَقِيمُ اللَّيْلَ وَيُنْفِذُهُ
 لكثرة سهره يتعب النجم وهو يناجيه (يحدثه)، ويتعب الليل أيضاً

الْحَسَنُ حَلَفْتُ بِيُوسُفَهِ وَالسُّورَةَ أَنْتَ مُقَرَّدُهُ
 حلفت بأحسن الحسن (يوسف النبي مضرب المثل في الحسن)، وحلفت بسورة يوسف أيضاً،
 أنك أنت المقرّد بالحسن

قَدْ وَدَّ جَمَالَكَ أَوْ قَبَسًا حَوْرَاءُ الْخُلْدِ وَأَمْرُدُهُ
 وقد تمنى جمالك أو قبساً منه (بعضاً منه) حوراء الجنة (ذات العينين الجميلتين) وأمرد الجنة
 (الغلام ولما ينبت شعر وجهه)

وَتَمَنَيْتُ كُلَّ مُقْطَعَةٍ يَدَهَا لَوْ تَبَعْتُ تَشْهَدُهُ
 وتمنت كل واحدة من تلك النسوة اللاتي قطعن أيديهن لما أذهلهن جمال يوسف، لو بعثها الله
 لتشهد جمالك أنت

جَحَدْتَ عَيْنَاكَ زَكِيَّ دَمِي أَكْذَلِكَ خَدُّكَ يَجْحَدُهُ
 أنكرت عيناك دمي الزكي الذي سأل في حيك، فهل خدك ينكر دمي؟ (وخدك محمر من دمي
 النازف فكيف له أن ينكر؟)

قَدْ عَزَّ شُهُودِي إِذْ رَمَا فَأَشْرْتُ لِحَدِّكَ أَشْهَدُهُ
 عز علي العثور على شهود يشهدون لي عندما رمت عيناك بهميها قلبي، فأشرت لخدك المحمر
 حتى يكون شاهداً على هذه الجريمة

بَيْنِي فِي الْحَبِّ وَبَيْنَكَ مَا لَا يَفْقِدُ وَاشِ يُفْسِدُهُ
 ما بال العاذل يفتح لي باب السُّلُوانِ وَأَوْصِدُهُ
 العاذل (اللائم) يسهل علي السلوان (النِّيان)، لكنني أوصد (أسد) هذا الباب

وَيَقُولُ: تَكَادُ تُجَنُّ بِهِ فَأَقُولُ: وَأَوْشِكُ أَعْبُدُهُ
 مؤلاي، وروحي في يده، قد ضيَّعَهَا سَلِمْتُ يَدُهُ
 ناقوس القلب يدقُّ له وحنايا الأضلع معبده
 يا سيف الدولة عِشْ أَبَدًا لِلْعَصْرِ يَهْزُوكَ أَحْمَدُهُ

سيف الدولة عباس حلمي الثاني، والذي يهز السيف في هذا العصر ويشير نخوته هو أحمد شوقي.
 وكان الذي يهز سيف الدولة الحمداني في العصر المنصرم أحمد آخر هو أحمد بن الحسين المتني

كُرْسِيِّكَ أَثْبَتُ مِنْ أَحَدٍ مَمْدُودُ الْعِزِّ مُؤَبَّدُهُ
 كرسي حكمك ثابت كجبل أحد، وعزك منمر للأبد

١٣٠ لو لم يقتل لمات

اغتيال بطرس غالي رئيس مجلس النظار (ما يعادل رئيس الوزراء)، على يد الصيدلي إبراهيم الورداني بست رصاصات أصابته اثنان منها، لأنه كان - فيما قيل - يدبر لتمديد امتياز قناة السويس. وكان غالي يسائر الإنجليز، مثله في ذلك مثل معظم كبار الموظفين، ويسمى للتوفيق بينهم وبين الوطنيين (أنصار الحزب الوطني، وكان الورداني منهم) والمرابيين قبل ذلك. وأدى اغتيال بطرس غالي إلى استياء كبير في نفوس القبط (١٩١٠):

بني القبط! إخوانَ الدهور! رُوَيْدُكُمْ هَبْوَهَ يَسُوعاً فِي الْبَرِيَّةِ ثَانِياً
أَيُّهَا الْقِبطُ! يَا إِخْوَانَنَا عَلَى مَدَى الدَّهْوَرِ، رُوَيْدُكُمْ (تمهلوا)، وهَبْوَهَ يَسُوعاً ثَانِياً (أي افرضوا أنه يسوع) فِي الْبَرِيَّةِ (العالم)

حَمَلْتُمْ لِحُكْمِ اللَّهِ صَلَبَ ابْنِ مَرْيَمَ وَهَذَا قَضَاءُ اللَّهِ قَدْ غَالَ غَالِيَا
احتملتم صلب عيسى بن مريم لأنه قضاء الله، واغتيال بطرس غالي كان بقضاء الله

سَدِيدُ الْمَرَامِي قَدْ رَمَاهُ مَسَدُّ وَدَاهِيَةُ السُّوَّاسِ لَاقَى الدَّوَاهِيَا
كان غالي سديد المرامي (الغايات)، ورماه بالرصاص رجل مسدد (بحسن التسديد)، وغالي داعية السراس (السياسيين) لاقى الدواهي

وَاللَّهِ لَوْ لَمْ يُطْلَقِ النَّارُ مُطْلَقٌ عَلَيْهِ لَأَوْدَى فَجْأَةً أَوْ تَدَاوِيَا
والله لو لم تُطْلَقْ عليه النار لأودى (مات) فجأة أو بعد التداوي من المرض. أهنأك في الرثاء أوقع من هذا البيت؟

قَضَاءٌ وَمِقْدَارٌ وَآجَالُ أَنْفُسٍ إِذَا هِيَ حَانَتْ لَمْ تُؤَخَّرْ ثَوَانِيَا
أَلَمْ تَكُ مَصْرُ مَهْدَنَّا ثُمَّ لَحَدَّنَا وَبَيْنَهُمَا كَانَتْ لِكُلِّ مَغَانِيَا
المغاني: الربوع

أَلَمْ تَكُ مِنْ قَبْلِ الْمَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمَ وَمُوسَى وَطَهَ نَعْبُدُ النَّيْلَ جَارِيَا
فَهَلَّا تَسَاقَيْنَا عَلَى حُبِّهِ الْهَوَى وَهَلَّا قَدَيْنَاهُ ضِفَافاً وَوَادِيَا
فهلا سقى بعضنا بعضاً من كأس محبتنا للنيل

وَمَا زَالَ مِنْكُمْ أَهْلٌ وَدٌّ وَرَحْمَةٌ وَفِي الْمُسْلِمِينَ الْخَيْرُ مَا زَالَ بَاقِيَا
فَلَا يَتْنِيْكُمْ عَنْ ذِمَّةٍ قَتْلُ بَطْرُسٍ فَقَدْ مَأْ عَرَفْنَا الْقَتْلَ فِي النَّاسِ فَاشِيَا
فلا يجعلكم قتل بطرس غالي ترجعون عن العهد، فقدماً (منذ القديم) عرفنا القتل فاشياً (مشتراً) في الناس

قال شوقي يتوجع عندما حكم على إبراهيم الورداني بالإعدام، لاغتياله بطرس غالي
رئيس مجلس النظار/ الوزراء، والقصيدة مشحونة بالنقبة (١٩١٠):

صَدَّاحُ يَا مَلِكَ الْكِنَا رِ يَا أَمِيرَ الْبُلْبُلِ
أيها الصдах يا ملك الكنارات وأمير البلبل

يَا لَيْتَ شِعْرِي يَا أَسِيرَ رُ شَيْحِ فَوَادِكُ أَمْ خَلِي
ليت شعري أيها الطائر الأسير هل فوادك شيج (حزين) أم خلتي من الهم؟

وَحَلِيفُ سُهْدٍ أَمْ تَنَا مُ الْلَيْلِ حَتَّى يَنْجَلِي
هل أنت حليف سهد (سهر)، أم تنام الليل بطوله؟

يَا ظَيْرُ وَالْأَمْثَالُ تُضْ رُبُّ لَلْبَيْبِ الْإِمْتَلِ
يا أيها الطائر إنما نحن نضرب مثلاً لليب

دُنْيَاكَ مِنْ عَادَاتِهَا أَلَّا تَكُونَ لَأَعَزَلِ
الدنيا عاداتها أن لا تكون للأعزل

جُعِلَتْ لِحُرٍّ يُبْتَلَى فِي ذِي الْحَيَاةِ، وَيَبْتَلَى
الدنيا للحر الذي يبتلى ويبتلى أعداءه بنضاله

يَرْمِي وَيُرْمَى فِي جِهَا دِ الْعَيْشِ غَيْرَ مُعْقَلِ
أَسِمَفَتْ بِالْحَكَمَيْنِ فِي الْإِسْلَامِ يَوْمَ الْجَنْدَلِ
هل سمعت بقصة الحكمين في دومة الجندل (عندما خدع عمرو بن العاص أبا موسى الأشعري)

رَضِيَ الصَّحَابَةُ آنَذَ لَكَ بِالْكِتَابِ الْمُنَزَّلِ
فالصحابة رضوا بالمصحف حكماً

وَهُمُ الْمَصَابِيحُ الرُّوَا ةٌ عَنِ النَّبِيِّ الْمُرْسَلِ
حَتَّى إِذَا وَسِعَتْ مُعَا وِيَةً، وَضَاقَ بِهَا عَلِي
حتى إذا جاءت نتيجة التحكيم لصالح معاوية بعد الخدعة، قُوسِعَتِ الأمور معاوية وضاق علي
بها...

رَجَعُوا لِظُلْمٍ كَالْظُلْمِ رَجَعُوا فِي النَفُوسِ مُؤَصِّلِ
لم يرض الناس، فالظلم من طابعهم

نَزَلُوا عَلَى حُكْمِ الْقَوِيِّ - وَعِنْدَ رَأْيِ الْأَخْيَلِ

وكان الأمر للقوي والأحيل (الأكثر حيلة)

صَدَّاحُ حَقِّ مَا أَقْوُو لُ حَقَلْتِ أَمْ لَمْ تَخْفَلِ

فيا صداح ما أقوله هو الحق، فالدنيا للقوي ولصاحب الحيلة، وأنت قمت بفعل وأخذت طريق القوة ولا يعني أكان الحق معك أم لم يكن، فالشريعة في هذه الغاية هي أن الدنيا «تؤخذ غلاباً»

صَبَّحَ بِالصَّبَاحِ وَيَشْرِ الـ أَبْنَاءَ بِالمُسْتَقْبَلِ

وَاسْأَلْ لِمَصْرَ عَنَائَةً تَأْتِي وَتَهْطُ مِنْ عَلِ

نشرت القصيدة في الشوقيات المطبوعة سنة ١٩٢٦ بعنوان «بين الحجاب والسفور» إمعاناً في التموه على موضوعها الأصلي. وشوقي لم يضطر إلى كل هذا التموه خوفاً من الإنجليز فحسب، بل مراعاة للأقباط أيضاً

١٣٢ بساط الريح

قال شوقي يحيي الطيارين الفرنسيين (١٩١٠):

قَم سَلِيمَانُ، بِسَاطُ الرِّيحِ قَامَا مَلَكَ الْقَوْمُ مِنَ الْجَوِّ الزَّمَامَا

قَم يا سليمان يا من سحر لك الله الريح، فقد قام بساط الريح، وقد امتلك القوم زمام الأمور من الجو. هذا ولما تقم بعد حروب الجو، فلو عرف شوقي ما حدث عام ٦٧ عندما انتصرت إسرائيل في ساعة لأنها «ملكتم من الجو الزمام» لظن نفسه نبياً

حِينَ ضَاقَ الْبَرُّ وَالْبَحْرُ بِهِمْ أَشْرَجُوا الرِّيحَ وَسَامُوها اللَّجَامَا

وضعوا سرجاً على الريح كأنها فرس، وساموها (أذلوها ب) اللجام

صَارَ مَا كَانَ لَكُمْ مَعْجَزَةً آيَةً لِّلْعَلَمِ آتَاهَا الْأَنَامَا

ما كان عندكم يا سليمان معجزة، صار آية (برهاناً) أعطاه العلم للأنام (للإنس)

قَدْرَةٌ كُنْتَ بِهَا مِنْفَرِداً أَصْبَحْتَ حِصَّةً مِّنْ جَدِّ اعْتِزَامَا

طَلَبَةٌ قَدْ رَامَهَا آبَاؤُنَا وَابْتَغَاهَا مَن رَأَى الدَّهْرَ غُلَامَا

الطيران طلبه (هدف) طلبها آبائنا، وابتغاه الأقدمون الذين شهدوا الزمن وهو يافع

أَسْفَطْتُ إِسْكَارَ فِي تَجَرِبَةٍ وَابْنَ فِرْنَاسٍ فَمَا اسْطَاعَا قِيَامَا

هذه الأمتية أسقطت اليوناني إيكاروس، والعربي العباس بن فرناس، من الأعالي فماتا في شهوة الطيران

فِي سَبِيلِ الْمَجْدِ أَوْدَى نَفَرٌ شُهِدَاءُ الْعِلْمِ أَغْلَاهُمْ مَقَامَا

في سبيل المجد أودى (مات) نفر (أناس)، وشهداء العلم هم أغلاهم مقاماً

خلفاء الرسل في الأرض هُمْ يَبْعَثُ اللَّهُ بِهِمْ عَاماً قَعَاماً

شهداء العلم هم خلفاء الأنبياء في الأرض، والله يبعث بهم حيناً بعد حين

قَطْرَةٌ مِنْ دِمِهِمْ فِي مُلْكِهِ تَمَلَأُ الْمَلِكُ جَمَالاً وَنِظَاماً

والقطرة الواحدة من دمهم تثير الدولة وتزين الملك

أَيُّهَا الشَّرْقُ انْتَبِهْ مِنْ غَفْلَةٍ مَا تَمَنْ فِي طُرُقَاتِ السَّيْلِ نَاماً

الشرق غافل، وهو مثل النائم في طريق السيل، يأتيه السيل ليلاً فيجره

١٣٣ قصر أنس الوجود

قبلت هذه القصيدة في قصر أنس الوجود، معبد إيزيس على جزيرة فيلة، وبعد بناء السد العالي نقلت أحجاره وشيد من جديد على مبعده نصف كيلومتر من موقعه الأصلي. وكان الرئيس الأميركي المنصرف لتوّه من المنصب تيودور روزفلت (١٩٠١ - ١٩٠٩) زار مصر وقصد أسوان ضمن جولة صيد إفريقية قتل فيها مع رفاقه ١١ ألف حيوان أرسلوا كثيراً منها معلّحة إلى واشنطن لتغمر المتاحف. وقبل أسوان كان روزفلت في الخرطوم، وفيها قال كلاماً مؤيداً للاحتلال الإنجليزي، وغاضباً من الثقافة الشرقية والإسلامية. (١٩١٠):

أَيُّهَا الْمُنْتَحِي بِأَسْوَانِ دَاراً كَالثَّرِيَّا تُرِيدُ أَنْ تَنْقُضَا

يا روزفلت! أيها المنتحي (القاصد) داراً (قصر أنس الوجود) في أسوان كأنها نجوم الثريا توشك أن تنقض على الأرض

اخْلَعْ النُّعْلَ وَاخْفِضِ الطَّرْفَ وَاخْشَعْ لَا تُحَاوِلِ مِنْ آيَةِ الدَّهْرِ غَضّاً

اخلع نعلك احتراماً (كما فعل موسى إذ كلم ربه) واخفض بصرك، ولا تحاول الغض (الانتقاص من) آية الدهر (معجزته)

قِفْ بِتِلْكَ الْقُصُورِ فِي الْيَمِّ عَرَقِي مُنْسِكاً بَعْضُهَا مِنَ الدُّعْرِ بَعْضَا

هذا الأثر مكون من عدة مبان بعضها فرعوني وبعضها بطلمي، وهي متشابكة متجاورة

كَعَذَارَى أَخْفَيْنَ فِي الْمَاءِ بَضّاً سَابِحَاتٍ بِهِ، وَأَبْدَيْنَ بَضّاً

كان تلك القصور والمياه تغمر أسافلها فتيات سابحات أخفين بضاً (طرياً) من أجسامهن في الماء يسبحن به، وأظهرن بضاً فوق سطح الماء

مُسْرِفَاتٍ عَلَى الزَّوَالِ وَكَانَتْ مُسْرِفَاتٍ عَلَى الْكَوَاكِبِ نَهَضَا

الآن تشرف (توشك) هذه القصور على الزوال، وكانت في الماضي تشرف (تطل) على الكواكب ناهضة شامخة برؤوسها

شَابَ مِنْ حَوْلِهَا الزَّمَانُ وَشَابَتْ وَشَبَابُ الْفَنُونِ مَا زَالَ غَضًّا
 الزمان شاب والقصور شابت، ولكنها تثبت أن الفن ما زال متمتعاً شاباً غضاً (طري العود)
 رَبِّ نَفْسٍ كَأَنَّمَا نَفَضَ الصَّاءُ نَعُ مِنْهُ الْيَدَيْنِ بِالْأَمْسِ نَفْضًا
 وضحايا تكاد تمشي وترعى لو أصابت من قدرة الله نبضا
 النقوش تصور الحيوانات المذبوحة على المعبد وهي تكاد تمشي لبراعة النحت، وكل ما ينقصها
 النبض

وَمَحَارِبَ كَالْبُرُوجِ بَنَتْهَا عَزَمَاتٌ مِنْ عَزَمَةِ الْجَنِّ أَمْضَى
 ورب محارب عالية في المعبد بنتها هم أمضى من همة الجن (الذين سخرهم سليمان فنوا له
 الصروح ومات وهم في كد وتعَب)

سَقَتِ الْعَالَمِينَ بِالسَّعْدِ وَالنَّحْصِ سِ إِلَى أَنْ تَعَاظَتِ النُّحُصُ مَحْضًا
 هذه المحارب كان يدها، ويبد كتهتها، حظوظ الناس من سعد ونحس، ثم حل بها النحس
 وزالت قدسيتها

صَنَعَةٌ تُدْهِشُ الْعُقُولَ، وَفَنٌّ كَانَ إِتْقَانُهُ عَلَى الْقَوْمِ قَرَضًا
 وأنا المُخْتَفِي بِتَارِيخِ مِصْرٍ، مَنْ يَصْنُ مَجْدَ قَوْمِهِ صَانٌ عَرَضًا

١٣٤ تولستوي يلتقي بالمعري

قال شوقي برئي ليف نيكولايفيتش تولستوي الذي مات في سنة ١٩١٠. ونشرت
 القصيدة (١٩١١):

تُولِستوي! تُجْزِي آيَةُ الْعِلْمِ دَمْعَهَا عَلَيْكَ، وَيَبْكِي بَائِسٌ وَفَقِيرُ
 نبيك يا تولستوي آية العلم (برهانه) والفقراء الذين تخلت لهم عن أملاكك. لا أدري لماذا بكى
 العلم تولستوي، إلا إن كان شوقي يعني المعرفة الإنسانية بأوسع مفهوم

إِذَا أَنْتَ جَاوَزْتَ الْمَعْرِيَّ فِي الثَّرَى وَجَاوَرَ رَضْوَى فِي التَّرَابِ نَبِيرُ
 إذا جاورت المعري في التراب، كما تجاور جلا رضى ونبيير، فأنتم جيلان كبيران من جبال
 الحكمة..

فَقُلْ: يَا حَكِيمَ الدَّهْرِ حَدِّثْ عَنِ الْبَلَى فَأَنْتَ عَلِيمٌ بِالْأُمُورِ خَبِيرُ
 قل للمعري: حدثنا عن البلى (تحلل الجسم بعد الدفن) فانت عليم بالأمور

أَرَى رَاحَةً بَيْنَ الْجَنَادِلِ وَالْحَصَى وَكُلُّ فِرَاشٍ قَدْ أَرَاخَ وَثِيرُ
 يقول تولستوي: أرى راحة بين الجنادل (الصخور) والحصى

نَظَرْنَا بِنُورِ الْمَوْتِ كُلَّ حَقِيقَةٍ وَكُنَّا كِلَانَا فِي الْحَيَاةِ ضَرِيرٌ
 الموت لكلينا كان نوراً رأينا فيه الحقائق، وفي الحياة كنا كلانا، وليس أبو العلاء وحده، ضارين
 إِلَيْكَ اعْتِرَافِي لَا لِقَسٍّ وَكَاهِنٍ وَنَجْوَايَ بَعْدَ اللَّهِ وَهُوَ غَفُورٌ
 اعترف لك يا أبا العلاء، وليس للقس كما يعترف المسيحيون، وأناجيك أنت بعد مناجاتي لله
 فَرُهِدْكَ لَمْ يَنْكَرْهُ فِي الْأَرْضِ عَارِفٌ وَلَا مَتَعَالٍ فِي السَّمَاءِ كَبِيرٌ
 وزهدك أقر به العارفون في الأرض، وأقر به رب السماء المتعالي
 بَيَانٌ يُشَمُّ الْوَحْيِ مِنْ نَفَحَاتِهِ وَعِلْمٌ كَعِلْمِ الْأَنْبِيَاءِ غَزِيرٌ
 وبيانك يشم المرء من عطر الوحي، فكأنه من التنزيل، وعلمك غزير كعلم الأنبياء
 تُسَائِلُنِي هَلْ غَيَّرَ النَّاسُ مَا بِهِمْ وَهَلْ حَدَّثْتَ، غَيْرَ الْأُمُورِ، أُمُورٌ
 وإنك تسألني، أنا القادم عليك بعد ألف سنة من موتك، هل تغير الناس؟
 وَهَلْ آنَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ تَسَامُحٌ خَلِيقٌ بِأَدَابِ الْكِتَابِ جَدِيرٌ
 وهل آن (حان) بين أهل الكتاب (أصحاب الأديان السماوية) وقت التسامح الذي هو خليق (جدير)
 بالكتاب (الكتب المتزلة)
 أَنْاسٌ كَمَا تَدْرِي، وَدُنْيَا بِحَالِهَا وَدَهْرٌ رَخِيٌّ تَارَةً، وَعَسِيرٌ
 الناس كما تعرفهم، والدنيا كما هي، والزمن رخي (فيه رخاء) تارة، وعسير أخرى
 وَأَحْوَالٌ خُلِقَ غَابِرٌ مُتَجَدِّدٌ تَشَابَهَ فِيهَا أَوَّلٌ وَأَخِيرٌ
 وأحوال الخلق الماضي والمتجدد متشابهة، الأول يشبه الأخير
 وَقَامَ مَقَامَ الْفَرْدِ فِي كُلِّ أُمَّةٍ عَلَى الْحُكْمِ جَمٌّ يَسْتَبِدُّ غَفِيرٌ
 وبذل حكم الفرد، قام في كل أمة على شؤون الحكم جم (جمع) غفير يستبد بالامر
 وَخَوَّرَ قَوْلُ النَّاسِ مَوْلَى وَعَبْدُهُ إِلَى قَوْلِهِمْ: مُسْتَأْجِرٌ وَأَجِيرٌ
 وخوّر (بُدّل) قول الناس مولى وعبد (سيد وعبد) إلى قولهم: مستأجر وأجير
 وَأَضْحَى نَفُوذُ الْمَالِ لَا أَمْرَ فِي الْوَرَى وَلَا نَهْيَ إِلَّا مَا يَرَى وَيُشِيرُ
 وصار لا يوجد أمر أو نهى بين الناس إلا بحسب ما يرى نفوذ المال وما يشير به

١٣٥ أمم الهلال

قال شوقي في مولد هلال العام الهجري الجديد (١٩١١):

أُمَّمُ الْهَلَالِ! مَقَالَةٌ مِنْ صَادِقٍ وَالصَّدَقُ أَلِيقٌ بِالرَّجَالِ مَقَالًا
 يا أمم الهلال (والهلال رمز الدولة العثمانية ورمز الإسلام) هذا قول رجل صادق، والصدق أليق بالرجال

مِنْ عَادَةِ الْإِسْلَامِ يَرْفَعُ عَامِلًا وَيُسَوِّدُ الْمَقْدَامَ وَالْفَعَالَا

الإسلام من عادته أن يرفع شأن من يعمل، وأن يسود (يعطي السيادة) الجريء الفعّال

ظَلَمْتُهُ أَلْسِنَةُ تَوَاجِهْتُهُ بِكُمْ وَظَلَمْتُمُوهُ مُفَرِّطِينَ كُسَالَى

ظلمت الإسلام الألسنة التي تواخذه بسبيكم، وأنتم ظلمتموه بتفريطكم في الحقوق وكلكم

هَذَا هَلَالُكُمْ تَكْفُلَ بِالْهُدَى هَلْ تَعْلَمُونَ مَعَ الْهَلَالِ ضَلَالَا

هلالكم، رمز دينكم، يكفل لكم الهداية، ولا ضلال مع وجود الهلال (فالسائر ليلاً يهتدي بهلال السماء، وهلال الإسلام يهدي المسلمين)

سَرَّتِ الْحَضَارَةُ حَقِيقَةَ فِي ضَوْئِهِ وَمَشَى الزَّمَانُ بِتُورِهِ مُخْتَالَا

الحضارة مشّت في ضوء الهلال (دولة الإسلام) حقبة، وكان الزمان يشي بنور هذا الهلال مختالاً (فخوراً)

وَبَنَى لَهُ الْعَرَبُ الْأَجَاوِدُ دَوْلَةً كَالشَّمْسِ عَرْشًا وَالنَّجُومِ رَجَالَا

وبنى العرب الأجاود (الكرام) للهلال دولة عرشها (حكومتها) كالشمس، ورجالها (قوادها) كالنجوم

حَتَّى إِذَا انْقَسَمُوا تَقَوَّضَ مُلْكُهُمْ وَالْمَلِكُ إِنْ بَطَلَ التَّعَاوُنُ زَالَا

١٣٦ نعالج الأيام

قال شوقي في ذكرى وفاة بطرس غالي الذي اغتيل عام ١٩١٠، (١٩١١):

الذِّبْنُ لِلذِّبَّانِ جَلَّ جَلَالُهُ لَوْ شَاءَ رَبُّكَ وَحَدَّ الْأَقْوَامَا

يا قومُ بَانَ الرُّشْدُ فَاقْضُوا مَا جَرَى وَخُذُوا الْحَقِيقَةَ وَانْبُذُوا الْأَوْهَامَا

ظهر الحق فاقضوا (أبعدوا) ما جرى من خلاف بين المسلمين والقبط بعد اغتيال بطرس غالي، وافهموا حقائق الوضع وانبذوا التوهيل

هَذَا رِبُوعُكُمْ وَتِلْكَ رِبُوعُنَا مُتَقَابِلَيْنِ نَعَالِجُ الْأَيَّامَا

هذه أمانتكم أيها القبط وهذه أمانتنا، فنحن نعالج الأيام (نسمى في الدنيا) متقابلين متجاورين

هَذَا قَبُورُكُمْ وَتِلْكَ قَبُورُنَا مُتَجَاوِرَيْنِ جَمَاجِمًا وَعِظَامَا

فَبُحْرَمَةِ الْمَوْتِ وَوَجِبَ حَقُّهُمْ عِشُوا كَمَا يَقْضِي الْجَوَارُ كَرَامَا

١٣٧ حشرات الناس

قال شوقي يؤين عمر لطفي، وهو من رواد النهضة التعاونية في مصر، وله كتب في حق المرأة وحرية المساكن وإنشاء شركات التعاون. (١٩١١):

نَمَّ مَا بَدَأَ لَكَ أَيْمَاناً فِي مَنْزِلٍ أَلْدَهْرُ أَقْصَرُ فِيهِ مِنْ سِنَةِ الْكُرَى
نم كما شئت في منزل (يقصد القبر)، الدهر الطويل فيه أقصر من سنة (غفوة) الكرى (النوم)
لَا تَشْكُكُونُ الضَّرَّ مِنْ حَشَرَاتِهِ، حَشَرَاتُ هَذَا النَّاسِ أَقْبَحُ مَنْظَرًا
لا تشكك الضّر (الأذى) من حشرات القبر، فحشرات البشر أقبح

لَمْ تَذَرِ نَفْسَكَ مَا الْغُرُورُ، وَطَالَمَا دَخَلَ الْغُرُورُ عَلَى الْكِبَارِ فَصَغُرَا
كنت متواضعاً، وكثيراً ما دخل الغرور نفوس الكبار فصغروهم

فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ تَحُطُّ نِقَابَةٌ فِيهَا حَيَاةُ أَخِي الزَّرَاعَةِ لَوْ دَرَى
في كل ناحية رحت تؤسس نقابات، فيها الحياة لأخي (الصاحب) الزراعة

هِيَ كِيمِيَاؤُكَ لَا خِرَافَةُ جَابِرٍ تَذَرُ الْمُقِلَّ مِنَ الْجَمَاعَةِ مُكْثِرًا
كيمياؤك (سرك) وكانت الكيمياء علماً سرياً هدفه تحويل المعادن الخسبة إلى ذهب) وليس خرافة
جابر بن حيان (الذي مارس الكيمياء) هي التي ترك المقلّ (الفقير) من الجماعة مكثراً (موسراً).
وكيمياء عمر لطفي كانت النقابات والعمل الجماعي

وَالْمَالُ لَا تُجَبَى ثِمَارُ رُؤُوسِهِ حَتَّى يُصِيبَ مِنَ الرُّؤُوسِ مُدَبِّرًا
رؤوس الأموال لا تؤتي ثمارها حتى يصيب (يجد) المال مدبراً له هو عبارة عن رؤوس الناس المبدعين

وَالْمَلِكُ بِالْأَمْوَالِ أَمْنَعُ جَانِبًا وَأَعَزُّ سُلْطَانًا وَأَصْدَقُ مَظْهَرًا
الملك بوجود الأموال يصبح أحسن تحصيناً وأعز (أقوى) سلطاناً، وأصدق تعبيراً عن حقيقته

إِنَّا لَفِي زَمَنِ سَفَاهٍ شَعُوبِهِ فِي مُلْكِهِمْ كَالْمَرْءِ فِي بَيْتِ الْكِرَاءِ
نحن في زمنٍ سفاء شعوبه (الشعوب السفينة الحمقاء) تعيش في بلدانها كالمرء في بيت الكراء
(الأجرة)، فهي مفقودة السيادة كالمتأجر

١٣٨ حيلة المصلوب في المسمار

قال شوقي في مؤتمر المستشرقين في أثينا (١٩١٢):

وَتِلْكَ ثَلَاثَةُ شَبِّ الزَّمَانِ حَيَالُهَا تُشَمُّ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ كِبَارُ
رُبُّ ثَلَاثَةِ (الأهرامات الكبرى) شب الزمان (صار شاباً) حيالها (بجانبتها) فقد كانت - لقدماها -
موجودة والزمان صغير في السن، وهي تُشَمُّ (شاهقة) وكبيرة على مدى الدهر

مِنْ كُلِّ مَرْكُوزٍ كَرَّضَوَى فِي الثَّرَى مُتَطَاوِلٍ فِي الْجَوِّ كَالْإِعْصَارِ
والواحد منها مركوز (ثابت) كجبل «رضوى» في التراب، وذهب في السماء صاعد في الأعالي كالإعصار
الجنُّ فِي جَنَابَاتِهَا مَطْرُوفَةٌ بِبَدَائِعِ الْبَنَاءِ وَالْحَفَّارِ
الجن (التي كانت بارعة في البناء إذ سخرها سليمان لبناء قصوره) تقف مطروفة (مبهورة) في جنبات
الأهرامات لما أبدع البناء والحضار

وَالْأَرْضُ أَضْبَعُ حِيلَةً فِي نَزْعِهَا مِنْ حِيلَةِ الْمَصْلُوبِ فِي الْمِسْمَارِ
والأرض حيلتها ضائعة (أي أنها عاجزة) في نزع الأهرامات، كحيلة المصلوب في نزع المسمار
المدفوق في جسمه

تِلْكَ الْقُبُورُ أَضْنُ مِنْ غَيْبٍ بِمَا أَخْفَتْ مِنَ الْأَغْلَاقِ وَالْأَذْخَارِ
الأهرامات قبور، وهي أضن (أخفت) من الغيب (والغيب حافظ كنوم فلا أحد يعرف ما يخفي) بما
أخفته من الأغلاق (الكنوز) والأذخار (الكنوز)

١٣٩ فرحانُ بالحب

قال شوقي (١٩١٢):

بِي مِثْلُ مَا بِكَ يَا قُمْرِيَّةَ الْوَادِي نَادَيْتُ لَيْلِي، فَقُومِي فِي الدُّجَى نَادِي
بي مثل ما بك من الحزن يا قمرية (حمامة) الوادي، ناديتُ ليلي (قلت «يا ليل» كالمطربين)،
فقومي في الدجى (الليل) نادي

تَذَكَّرِي قُبْلَةَ فِي الشَّعْرِ حَائِرَةً أَضَلَّهَا، فَمَشَتْ فِي فَرْقِكَ الْهَادِي
يخاطب حبيبته: تذكري قبله حائرة طبعنها على شعرك فأضلها شعرك (أضاع لها طريقها)، ثم مشت
في فرق الشعر مهتدية بخطه المستقيم

تَذَكَّرِي مَنَظَرَ الْوَادِي وَمَجْلِسَنَا عَلَى الْغَدِيرِ كَعُضْفُورَيْنِ فِي الْوَادِي
والغصنُ يَحْنُو عَلَيْنَا رِقَّةً وَجَوًى وَالْمَاءُ فِي قَدَمَيْنَا رَائِحٌ غَادٍ
الجوى: العشق. «الماء في قدمينا رائح غاد»، هذا من نحاس شوقي المطلي بالذهب. فالعبارة
ذات رنة حلوة. لكن تخيل كيف يروح الماء ويجيء في اتجاهين تر الصورة اهتزت، فكان شوقي
وحبيبته كانا يغمسان أقدامهما في حوض غسالة نصف أوتوماتيك لا في جدول يسير باتجاه واحد
ككل جداول رب العالمين. على أن المطلي بالذهب يسر العين، وكذا بيت شوقي فهو يسر الأذن

تَذَكَّرِي مَوْعِدًا جَادَ الزَّمَانُ بِهِ هَلْ طَرُثُ شَوْقًا، وَهَلْ سَابَقَتْ مِيعَادِي
فَنَلْتُ مَا نَلْتُ مِنْ سُؤْلِ وَمِنْ أَمَلٍ وَرُخْتُ لَمْ أَخْصِ أَفْرَاحِي وَأَعْيَادِي
سؤل: مطلب

١٤٠ متقاصاً البحرى

قال شوقى فى مهرجان جمعية الهلال الأحمر (١٩١٢):

جَبْرِيلُ هَلَّلَ فى السماءِ وَكَبَّرَ واكْتُبْ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ وَسَطِّرِ
يا جبريل هَلِّلْ (قل لا إله إلا الله) فى السماءِ وَكَبِّرْ (قل الله أكبر)، وسجِّلْ الثَّوَابَ لِلْمُحْسِنِينَ
وَادْعُ الَّذى جَعَلَ الْهَلَالَ شِعَارَهُ يَفْتَحْ عَلَى أُمَمِ الْهَلَالِ وَيَنْصُرِ
وَادْعُ اللهَ الَّذى جَعَلَ الْهَلَالَ شِعَاراً لَهُ (للإسلام) أَنْ يَفْتَحْ عَلَى أُمَمِ الْإِسْلَامِ بِالنَّصْرِ

يا مَهْرَجَانَ الْبِرِّ أَنْتَ تَحِيَّةٌ لِّلَّهِ مِنْ مَلَأَ كَرِيمٍ خَيْرِ
يا مهرجان البرِّ (الخير) أَنْتَ تَحِيَّةٌ لِلْخَالِقِ مِنْ مَلَأَ (جَمَعَ) كَرِيمٍ خَيْرِ

يا بِنْتَ الْهَامِي دُعَاءُ مُعْظَمِ لِسَمَاءٍ عَزَلَتْ فى الْبَرِّيَّةِ مُكْبِرِ
يا بنت إلهامى (أم الخديوى عباس حلمى) هَذَا الدُّعَاءُ الَّذى يَدْعُو بِهِ الْمَهْرَجَانُ هُوَ دُعَاءُ مَنْ يَعْظُمُ
سَمَاءَ عَزَلَتْ فى الْبَرِّيَّةِ (بَيْنَ النَّاسِ) وَدُعَاءُ مَنْ يُكَبِّرُكَ

أَحْيَيْتِ، فى فَضْلِ الْمُلُوكِ وَعِزِّهِمْ، مَا مَاتَ مِنْ أُمِّ الْخُلَيفَةِ جَعْفَرِ
أَحْيَيْتِ فى جَانِبِ فَضْلِ الْمُلُوكِ وَكَرَمِهِمْ وَعِزِّهِمْ مَا ذَهَبَ زَمَنُهُ مِنْ أَعْمَالِ الْخَيْرِ الَّتى قَامَتْ بِهَا أُمُّ
الْخُلَيفَةِ جَعْفَرِ (الْمُتَوَكِّلِ)

إِنَّ الَّذى قَدْ رَدَّهَا وَأَعَادَهَا فى بُرْدَتَيْكَ أَعَادَ فى الْبُحْثَرِ
اللهُ الَّذى أَحْيَا ذِكْرَهَا فى بُرْدَتَيْكَ (فى ثَوْبِكَ، أى مِمَّا لَكَ) أَعَادَ فى شَخْصِي ذَكَرَ الشَّاعِرِ
الْبَحْثَرِ

فَنَظَّمْتُ مَا نَثَرْتَ يَمِينُكَ شَاكِراً لَا يَخْشُنُ الْإِحْسَانُ مَا لَمْ يُشْكَرْ
فَأَنَا نَظَّمْتُ شِعْراً مَا نَثَرْتَهُ يَمِينُكَ مِنْ مَالٍ وَأَنَا لَكَ شَاكِرٌ، وَالْإِحْسَانُ لَا يَكُونُ جَمِلاً إِنْ لَمْ يَر_اقَقَهُ
الشُّكْرُ

١٤١ وَلَدَ الْهَدَى

فى ذِكْرِ الْمَوْلَدِ النَّبَوِيِّ (١٩١٢):

وُلِدَ الْهَدَى، فَالْكَائِنَاتُ ضِيَاءٌ وَفَمُ الزَّمَانِ تَبَسُّمٌ وَنِجَاءٌ
زَانَتْكَ فى الْخُلُقِ الْعَظِيمِ شَمَائِلُ يُغْفِرُ بِهِنَ وَيُوَلِّعُ الْكُرَمَاءُ
يا رَسُولَ اللهِ زَانَتْكَ (زَيْنَتُكَ) فى خُلُقِكَ الْعَظِيمِ شَمَائِلُ (خِصَالُ) يُغْفِرُ (يُحْسِنُ بِالْإِعْرَاءِ) الْكُرَامَ
بَاتِبَاعِهَا، وَيُوَلِّعُونَ بِهَا

وَإِذَا رَجِمَتْ فَأَنْتَ أُمُّ أَوْ أَبُ هَذَانِ فى الدُّنْيَا هُمَا الرُّحَمَاءُ

وَإِذَا حَمَيْتَ الْمَاءَ لَمْ يُورَدْ، وَلَوْ أَنَّ الْقِيَاصَرَ وَالْمَمْلُوكَ ظَمَاءُ
 إِذَا حَمَيْتَ الْمَاءَ (مَنْعْتَهُ) لَمْ يَرِدْ أَحَدٌ، وَلَوْ أَنَّ الْقِيَاصِرَ وَالْمَمْلُوكَ ظَمَاءَ (عِطَاشُ)
 فِي كُلِّ نَفْسٍ مِنْ سَطَاكَ مَهَابَةٌ وَلِكُلِّ نَفْسٍ فِي نَدَاكَ رَجَاءُ
 سَطَاكَ (سَطَوْتِكَ)، نَدَاكَ (كَرَمَكَ)

١٤٢ ردت الروح

قال شوقي بحبي المطربة ليلي لزمي (١٩١٢):

رُدَّتِ الرُّوحُ عَلَى الْمُضْنَى مَعَكَ أَحْسَنُ الْأَيَّامِ يَوْمٌ أَرْجَعَكَ
 بَعْدَتِكَ يَا حَبِيبِي رَدَّتِ الرُّوحُ عَلَى الْمُضْنَى (الْمَنْعَب) مَعَكَ، وَأَجْمَلُ يَوْمٍ هُوَ الَّذِي رَجَعْتَ فِيهِ
 مَوْقِعِي عِنْدَكَ لَا أَعْلَمُهُ أَوْ لَوْ تَعْلَمُ عِنْدِي مَوْقِعَكَ

١٤٣ عشوائية النبوغ

قال شوقي في جماعة رعاية الطفل (١٩١٢):

خَلَقَ اللَّهُ جُمَانًا وَحَصَى خَالِقُ الْإِنْسَانِ مِنْ مَاءٍ وَطِينٍ
 خَلَقَ اللَّهُ النَّاسَ جَمَانًا (لَوْلَا) وَحَصَى فَمَنْهُمْ النَّابِغُ وَالْخَامِلُ، مَعَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْ مَاءٍ
 وَطِينٍ

وَلَأَمْرًا، وَسِرٌّ غَامِضٍ تَسْعَدُ النُّظْفَةُ أَوْ يَشْقَى الْجَنِينُ
 لِأَمْرٍ مَا تَسْعَدُ (تَنَالُ الْحِظَّ السَّعِيدَ) النَّظْفَةُ (أَصْلُ الْجَنِينِ) أَوْ يَشْقَى الْجَنِينُ، يَقُولُ إِنْ الْمُسْتَقْبَلُ
 الْمَكْتُوبُ سَعْدًا أَوْ شَقَاءً لِلْإِنْسَانِ قَبْلَ وَلَادَتِهِ سِرٌّ غَامِضٌ

رُبَّ مَهْدٍ أَزْرَتْ الْبُوسَى بِهِ فِيهِ كَنْزٌ خَبَاءً الْغَيْبِ ثَمِينٌ
 فَهناك مهد أزرت البوسى به (عابه البوس) فيه طفل هو كنز ثمين خباء الغيب

مُرْضَعٌ يَفْطُرُ بُوسًا يَوْمُهُ مُغْدِقُ التُّعْمَى غَدًا فِي الْعَالَمِينَ
 هَذَا الطِّفْلُ الْمُرْضَعُ (الرَّضِيعُ) يَوْمُهُ مَلِيٌّ بِالْبُوسِ، وَهُوَ نَفْسُهُ سَيَصْبِحُ مُغْدِقًا التُّعْمَى فِي الْغَدِ عَلَى
 الْعَالَمِ

أَوْ طَوِيلُ الصَّمْتِ أَعْمَى فِي الصُّبَا بَيْنَ بُرْدَيْهِ الْمَعْرِيَّ الْمُبِينِ
 أَوْ يَكُونُ صَيًّا طَوِيلُ الصَّمْتِ وَأَعْمَى، وَلَكِنْ بَيْنَ بَرْدِيهِ (فِي ثَوْبِهِ/أَيُّ هُوَ نَفْسُهُ) مَعْرِيَّ الْمُسْتَقْبَلِ
 الْمُبِينِ (الْبَلِغِ)

١٤٤ لا وجدان للبخیل

قال شوقي (١٩١٢):

إِنَّ الحَيَاةَ نَهَارٌ أَوْ سَحَابَةٌ فَمِثْنُ نَهَارِكَ مِنْ دُنْيَاكَ إِنْسَانًا
الحياة كالنهار (سريعة الزوال) أو كسحابة النهار (وسحاب النهار سريع الانقشاع)، فمِثْنُ هذا النهار
من دنياك إنساناً

أرى الكريمَ بِوَجْدَانٍ وعاطفِيٍّ ولا أرى لبخيلِ القومِ وَجْدَانًا
لم أجد شعراً قسا على البخيل قسوة هذا البيت: البخيل لا وجدان له. والبخلاء عندي نوعان:
بخيل كمريض الفصام، الذي يعرف أنه مريض، فيداري مرضه ويتكلم متكلفاً؛ وبخيل كمريض
الذهان (البارانويا) الذي تتحطم دفاعاته النفسية ولا يعود يعترف بمرضه؛ فهو يرى كل الناس
مصرفين مجانيين ولا يقدر يفهم كيف ينفق الواحد من ماله درهماً، وأنا مشفق عليهما كليهما

١٤٥ أخت الأندلس

قال شوقي في استيلاء البلغار على أدرنة من الدولة العثمانية (١٩١٢):

يَا أُخْتَ أُندُلُسِ! عَلَيْكِ سَلَامٌ هَوَتْ الخِلاَفَةُ عَنْكِ وَالْإِسْلَامُ
يا أدرنة، يا أخت الأندلس (التي سقطت وزال عنها حكم الإسلام) عليك سلام، قد هوت
(سقطت) الخلافة والإسلام عنك. ما أكثر ما في عبارة «أخت أندلس» هذه من إيجاز. ففيها موقف
إسلامي، وفيها تفجع وفيها إبلاغ بسقوط المنطقة

نَزَلَ الْهَلَالُ عَنِ السَّمَاءِ، فَلَيْتَهَا طُويْتُ وَعَمَّ الْعَالَمِينَ ظِلَامُ
الهلال (وهو الشعار على علم الدولة العثمانية) نزل عن سماءك يا أدرنة بعد أن كان يرقد فيها،
فليت السماء طويت (كما ستطوى يوم القيامة) وعم الظلام العالم

وَالْيَوْمَ حُكِّمَ اللَّهُ فِي مَقْدُونِيَا لَا نَقْضَ فِيهِ لَنَا وَلَا إِيرَامُ
واليوم حكم الله في مقدونيا غير موجود، ولا نقض ولا إيرام (لا حل ولا عقد) لنا هناك

وَمُسْطَرِيقَ عَلَى الْمَمَالِكِ سُخَّرَتْ لَهُمُ الشُّعُوبُ كَأَنَّهَا أَنْعَامُ
رب مسطرين على الممالك (ملوك أوروبا) سُخِّرَتْ لهم الشعوب كأنها الأنعام (المواشي)

مِنْ كُلِّ جَزَارٍ بِرُومِ الصَّدْرِ فِي نَادِي الْمُلُوكِ، وَجِدُّهُ عَنَامُ
كل واحد منهم جزار في جلافته، وبروم (يطلب) الصدر في نادي (مؤتمر) الملوك، بينما كان جده
غَنَاماً (راعياً)

سَكَبْنَاهُ وَيَمِينُهُ وَجَزَامَهُ وَالصَّوْلَجَانِ جَمِيعُهَا آثَامُ
هذا الملك الأوروبي سكبناه ويده وحزامه وصولجانه (عصا الملك) كلها ملطخة بالآثام

عيسى! سبيلك رحمة ومحبة في العالمين وعصمة وسلام

يا عيسى! نهجك رحمة ومحبة في الدنيا وأهلها وعصمة من الخطأ وسلام

ما كنت سفاك الدماء، ولا أمرأ هان الضعاف عليه والأيتام

يا حامل الآلام عن هذا الوري كثرت عليه باسمك الآلام

يا حامل آلام الوري (الناس)، كثرت الآلام على الوري باسمك (باسم الدين ناصر الأورويون رعايا الدولة العثمانية المسيحيين في ثوراتهم على إستانبول)

أنت الذي جعل العباد جميعهم رَحِمًا، وباسمك تُقطع الأرحام

أنت يا عيسى جعلت الناس جميعاً رَحِمًا (أقارب)، والآن باسمك تقطع الأرحام وتهم تهجير الناس وتبديد شملهم. التسويد من عمران القفيني

واليوم يهتَف بالصليب عَصَائِبُ هُم لَإِلِهِ وَرُوحِهِ ظَلَامُ

اليوم تنادي عصابات (جماعات) باسم الصليب، وهم ظالمون لله ولروح الله (عيسى)

خَلَطُوا صَليْبَكَ وَالْخَنَاجِرَ وَالْمُدَى كُلُّ أَدَاةٍ لِّلْأَذَى وَجَمَامُ

جعلوا صليبك أداة حرب وسياسة. مع الخناجر والمدى (السكاكين)، وبها جميعاً أوقعوا الأذى والحمام (الموت)

أَوَمَا تَرَاهُمْ دَبَّحُوا جِيرَانَهُمْ بَيْنَ الْبُيُوتِ كَأَنَّهُمْ أَغْنَامُ

كَمْ مُرْضِعٍ فِي حَبْرٍ نِعْمَتِهِ غَدَا وَلَهُ عَلَى حَدِّ السِّيفِ فِطَامُ

كم طفل مرضع (رضيع) في حجر (حضن) النعمة والرزق أصبح مفطوماً بحد السيف

وَصَبِيَّةٌ هُتِكَتْ خَمِيلَةُ طَهْرِهَا وَتَنَاسَرَتْ عَنْ نَوْرِهِ الْأَكْمَامُ

وكم صبية هُتِكَتْ خَمِيلَةُ (روضة) طهرها، وتناثرت عن نوار هذا الطهر البتلات (كما تناثر ورق الورد)، هذا التشبيه المزدوج، الذي أعجب شكيب أرسلان، كتابة عن تعرض الفتيات للاغتصاب. يقول شكيب أرسلان: «تقضي أمانة التاريخ أن نذكر كون الجيش الصربي تجنب الآثام في معاملة المسلمين أكثر من الجيشين البلغاري واليوناني». وتقضي أمانة التاريخ علينا أن نذكر أن الصرب في تسعينات القرن العشرين ارتكبوا ضد مسلمي البوسنة أفظع المذابح، واغتصبوا النساء
بوخشيّة

وأخي ثمانين استُبيحَ وقارُهُ لَمْ يُغْنِ عَنْهُ الضَّعْفُ وَالْأَعْوَامُ

ورب شيخ ثمانيني انْهَكَ وقاره، ولم يشفع له ضعفه وعمره

ومهاجِرِينَ تَنَكَّرَتْ أوطَانُهُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ مِنَ الذُّهُولِ وهاموا
 ورب مهاجرين تنكرت أوطانهم (تغيرت معالمها) ضلوا سبيلهم وهاموا. يقول شكيب أرسلان،
 وكان عضواً في لجنة الإعانات المصرية لتكويي الأزمة: «بلغ عدد الذين هاجروا من مسلمي
 البلقان مئة وخمسين ألف نسمة دخلوا الأستانة حتى غصت بهم الجوامع والمدارس، وكان ذلك
 في قلب الشتاء، وفشت فيهم الكوليرة».

السيفُ إن رَكِبُوا الْفِرَارَ سَبِيلُهُمْ وَالنَّطْعُ إنْ طَلَبُوا الْقَرَارَ مُقَامُ
 فإذا فروا فالسيف سبيلهم، وإذا اختاروا الإقامة فلهم النطع (البساط الجلدي يفرش تحت السيف
 وضحيته)

يَتَلَقَّتُونَ مُودَّعِينَ دِيَارَهُمْ وَاللَّحْظَ مَاءً، وَالذِّيَارَ ضِرَامُ
 يتلقفون لإلقاء نظرة وداع على ديارهم، واللحظ (العين) دموع، والديار ضرام (نار) لأن المحتلين
 أحرقوها

يَا أُمَّةً بِفُرُوقٍ فَرَّقَ بَيْنَهُمْ قَدَّرَ تَطْيِيشُ - إذا أتى - الْأَحْلَامُ
 يا أمة بفروق (إستانبول) فرق بينهم قدر تطيش الأحلام (المقول) إذا أتى، (فروق هي إستانبول،
 وكأنها لم يكفها أن سميت ببزنطة، والقسطنطينية، والأستانة، وإستانبول، فها اسم خامس،
 وأطرف أسمائها «تخت الروم»)

فِيمَ التَّخَاذُلِ بَيْنَكُمْ، وَوَرَاءَكُمْ أُمَمٌ تُضَاعُ حَقُوقُهَا وَتُضَامُ
 لماذا التخاذل بينكم (تقاعس بعضكم عن نجدة بعض)، ووراءكم أمم تضاع حقوقها وتضام (تظلم)

هَذَا جَنَاهُ عَلَيْكُمْ أَبَاؤُكُمْ، صَبِراً وَصَفْحاً فَالْجُنَاءُ كِرَامُ
 هذا سببه لكم بناء الدولة الأوائل، فصبراً وغفراً لهم فهؤلاء الجناة كرام

رَفَعُوا عَلَى السَّيْفِ الْبِنَاءَ فَلَمْ يَدُمْ؛ مَا لِلْبِنَاءِ عَلَى السَّيْفِ دَوَامُ
 بنوا الدولة على القوة العسكرية فليس لها دوام

أَبْقَى الْمَمَالِكُ مَا الْمَعَارِفُ أَثَرُ وَالْعَدْلُ فِيهِ حَائِظٌ وَدِعَامُ
 أكثر الممالك بقاء وصموداً ما أساسه العلم، وما يدعمه العدل

فَإِذَا جَرَى رُشْدًا وَيُمْنًا أَمْرُكُمْ فَاغْتَبُوا بِنُورِ الْعِلْمِ فَهُوَ زِمَامُ
 فإذا وفقتم بعد هذه الأزمة فاستثيروا بالعلم فهو الزمام (المقود) الذي يقودكم إلى الأمان

وَدَعُوا التَّفَاخَرَ بِالتُّرَاثِ وَإِنْ عَلَا فَاَلْمَجْدُ كَسْبُ، وَالزَّمَانُ عِصَامُ
 واتركوا التفاخر بالتراث (ما ورثتموه عن الأجداد)، فالمجد الحق مكتسب لا موروث، والزمان
 عصامي (أي هو لمن يصنع نفسه بنفسه)

صَبْرًا أَدْرَنَةً! كُلُّ مُلْكٍ زَائِلٌ يَوْمًا، وَيَبْقَى الْمَالِكُ الْعَلَامُ
فَصَبْرًا يَا أَدْرَنَةَ، فَكُلْ مَلِكٌ زَائِلٌ يَوْمًا، وَالْبَقَاءُ لِلَّهِ

١٤٦ الحب كل صباية بمذاق

قال شوقي (١٩١٢):

ولقد يقولُ ابنائِي في نَجَواهُمَا ماذا يُكَابِدُ في النُّوى وَيُلَاقِي
يَتَعَجَّب وَلَدَايَ في نَجَواهُمَا (تَهَامِسُهُمَا) لَمَّا أَكَابَدَهُ (أَعَانِيَهُ) في النُّوى (الفراق)

ولدي! مصرُّ لها، كما لَكُما، هَوَىَّ والحُبُّ كُلُّ صَبَابَةٍ بِمَذَاقِ
فِي وَلَدِي، مَصْرُ لَهَا حُبٌّ فِي قَلْبِي كَحُبِّي لَكُما، والحبُّ هَكَذَا: لكل صباية (شغف) مذاق مختلف

١٤٧ نكبة بيروت

قال شوقي يرثي بيروت بعدما أُنْزِلَ بها الأسطول الإيطالي. وبعد هذا القصف صار أهل
بيروت يرجعون سبب كل مشكلة إلى القصف الإيطالي، ومن هنا المثل اللبناني
«كل الحق ع الطليان» (١٩١٢):

بِירוْتُ مَاتَ الْأَسَدُ حَتَفَ أَنْوْفُهُمْ لَمْ يَشْهَرُوا سَيْفًا، وَلَمْ يَحْمُوكِ
مَاتَ أَبْنَاؤُكَ الْأَسُودَ حَتَفَ أَنْوْفُهُمْ (بَلَا قِتَال)، إِذْ لَمْ يَتَحَ لَهُمْ أَنْ يَقَاتِلُوا عَنْكَ

كُلُّ يَصِيدُ اللَّيْلِ وَهُوَ مُقَيَّدٌ وَيَعْرِضُ صَيْدُ الضَّيْفِ الْمَفْكُوكِ
بِإِمْكَانِ كُلِّ وَاحِدٍ أَنْ يَصِيدَ الْأَسَدَ الْمُقَيَّدَ، وَيَعْرِضُ (يَصْعَبُ) صَيْدُ الضَّيْفِ (الْأَسَدُ) الطَّلِيقِ

سَالَتْ دِمَاءٌ فِيكَ حَوْلَ مَسَاجِدٍ وَكُنَائِسٍ وَمَدَارِسٍ وَيُسُوكِ
تعلّق عمران القفيني: «جاءت بنوك ههنا كأنها مخلوق فضائي نزل من المريخ، وهبط
بجانب مسجد بعد صلاة الجمعة وتحلق الناس حوله ينظرون إليه مندهشين». وتعلّقني:
«أحياناً أختار أبياتاً لا لون لها ولا طعم ولا رائحة. وعندما أمر بها شارحاً
أو مشكّلاً - وأنا قد قلت لك مراراً إنني أشكل كل كلمة بيدي حتى تعرف مقدار ما
أنفقه من نور عينيّ عليك يا قارئ - أقول في نفسي: ما أسخف هذا البيت! ثم لا
تواتيني الشجاعة كي أحذفه. أعود وأقول: لا أريد تشويه الحالة الشعورية التي كنت
فيها عندما اخترته أول مرة. وأمر بالبيت السخيف ثلثة، وربما رابعة، ويصبح - وبها
للعجب - كأنه طفل مشوه رزقته، فانا أحمد الله عليه، وأدعوه أن يرزقني به رزقاً
وفيراً. فكيف إذا كان في هذا البيت «بنوك» حشو غزائنها مال وفير؟»

لَكَ فِي رُبَا النِّيلِ الْمُبَارَكِ جِيرَةٌ لَوْ يَفْقِدُونَ بِدَمْعِهِمْ عَسَلُوكِ
أبناء مصر لو تمكنوا لفسلوك بدموعهم لشدة حزنهم عليك

١٤٨ ميثاق الغواني

قال شوقي (١٩١٣):

دُقْتُ مِنْهَا حُلُوءاً وَمُرَّاً وَكَانَتْ لَذَّةُ الْعِشْقِ فِي اخْتِلَافِ الْمَذَاقِ
ضَرَبْتُ مَوْعِداً فَلَمَّا التَقِينَا جَانِبَتْنِي، تَقُولُ: فِيمَ التَّلَاقِ
قُلْتُ: مَا هَذَا الْمَوَائِقُ، قَالَتْ: لَيْسَ لِلْغَانِيَاتِ مِنْ مِيثَاقِ

١٤٩ إن السيوف قليل

قال شوقي، ويذكر عزيز المصري واعتقال الحكومة التركية له، (١٩١٤):

اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ فِي خُلَفَائِهِ عِدلاً يُقِيمُ الْمُلْكَ حِينَ يَمِيلُ
وَالْعَدْلُ يَرْفَعُ لِلْمَمَالِكِ حَانِطاً لَا الْجَيْشُ يَرْفَعُهُ وَلَا الْأَسْطُولُ
بِاللَّهِ، بِالْإِسْلَامِ، بِالْجِرْحِ الَّذِي مَا انْفَكَّ فِي جَنْبِ الْهَلَالِ يَسِيلُ
أَسْتَحْلِفُ بِاللَّهِ، بِالْإِسْلَامِ، بِالْجِرْحِ فِي جَنْبِ (خاصرة) الْهَلَالِ (شعار الدولة العثمانية) الَّذِي مَا
انْفَكَّ يَسِيلُ مِنْهُ الدَّمُ

هَلَّا حَلَلْتُ عَنِ السَّجِينِ وَثَاقَهُ إِنَّ الْوِثَاقَ عَلَى الْأَسْوَدِ ثَقِيلُ
أَيَقُولُ وَاشِ أَوْ يَرُدُّ شَامَتُ صَنْدِيدُ بُرْقَةٍ مُوْتَقٌ مَكْبُولُ
أترك الواشي والشامت يقولان إن صنديد (بطل) برقة (وكان عزيز المصري قد حارب الإيطاليين
الغزاة في برقة بليبيا قبل الفصيدة بنحو ثلاث سنين ثم حكم عليه في إستانبول بالإعدام لدوره في
الحركة العربية، وألغى الحكم) موثق (مقيد) مكبول (مقيد)

فَاذْكُرْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِلَاءَهُ وَاسْتَبْقِهِ، إِنَّ السِّيُوفَ قَلِيلُ
فاذكر جهاده، واستبقه (دعه يبقى لخدمك) يا أمير المؤمنين (السلطان محمد رشاد) فالرجال الذين
هم سيوف قلة

١٥٠ صناديق بأقفال

قال شوقي برثي جرجي زيدان (١٩١٤):

لَا تَجْعَلُوا الدِّينَ بَابَ الشَّرِّ بَيْنَكُمْ وَلَا مَحَلَّ مُبَاهَاةٍ وَإِذْلالِ
إِذْلال: زهو
مَا الدِّينُ إِلَّا ثَرَاتُ النَّاسِ قَبْلَكُمْ كُلُّ امْرِئٍ لِأَبِيهِ تَابِعٌ نَالِ

لي دولة الشعرِ دونَ العَصْرِ وائِلَةٌ مَفَاخِرِي جَكَمِي فِيهَا وَأَمْثَالِي
 المعنى الذي ألمحه: لي دولة الشعر وائلة (راجعة/ فانا مؤثلاها) دون عصري كله، ومفاخري فيها
 الحكم والأمثال الموجودة في شعري

وَأَشْكُرُ الصَّنْعَ فِي سِرِّي وَفِي عَلَنِي إِنَّ الصَّنَائِعَ تَزُكُّو عِنْدَ أَمْثَالِي
 أشكر الصنع (المعروف) سراً وعلانية، والمعروف يزكو (يطيب) عند أمثالي

وَأَتْرُكُ الْغَيْبَ لِلَّهِ الْعَلِيمِ بِهِ إِنَّ الْغُيُوبَ صِنَادِيْقُ بَأَفْئَالِ
 بيت فيه من قعقة اللفظ ما جعلني أسوّه لك. فأما معناه فلا أكثر من وصف الناس عندنا
 للمستقبل بأنه: «بطيخة مسكرة» أي مقفلة

١٥١ أمة واحدة

قال شوقي في تكريم واصف بن بطرس غالي (١٩١٤):

رُبَّ مَدْحٍ أَذَاعَ فِي النَّاسِ فَضْلاً وَأَتَاهُمْ بِقُدْوَةٍ وَمِثَالِ
 رب مدح نشر في الناس ذكر الفضل، وأعطاهم قدوة حسنة

وثناءً عَلَى فَنَى عَمِّ قَوْمًا قِيَمَةُ الْعَقْدِ حُسْنُ بَعْضِ اللَّأَلِي
 ورب ثناء على رجل كان ثناء على قومه، فالفقد ثمين ببعض لآله، فهي تجمل غيرها

إِنَّمَا نَحْنُ، مُسْلِمِينَ وَقَبْطًا، أُمَّةٌ وَحَدَّثَ عَلَى الْأَجْبَالِ
 سَبَقَ النَّيْلُ بِالْأَبُوَّةِ فَبِنَا فَهُوَ أَصْلٌ وَأَدَمُ الْجَدُّ نَالِ
 النيل سبق غيره في الأبوة لنا، وتلاه جدنا آدم أباً لاحقاً

نَحْنُ مِنْ طِينِهِ الْكَرِيمِ عَلَى الدِّهْنِ، وَمِنْ مَائِهِ الْقَرَّاحِ الزُّلَالِ
 نحن من طين النيل المكرم لدى الله، وحياتنا هي بسبب مائه القراح (الصابي) الزلال (العذب)
 مَرَّ مَا مَرَّ مِنْ قُرُونٍ عَلَيْنَا رُسْفًا فِي الْقُبُورِ وَالْأَغْلَالِ
 رُسْفٌ: ماشون مقيدون

وَانْقَضَى الدَّهْرُ بَيْنَ زَغَرْدَةِ الْعُرَى سِي وَحَثُوِ التَّرَابِ وَالْإِغْوَالِ
 طول الزمن ونحن بين زغرودة عرس وبين حثو (نثر) التراب على الرؤوس والإغوال (النوح)

مَا تَحَلَّى بِكُمْ يَسُوعُ، وَلَا كُنْتُ مَا لَطَفَ وَدِينُو بِجَمَالِ
 لا يسوع ازدان بكم، ولا نحن ازدان بنا الرسول ودينه

وَتَضَاعُ الْبِلَادُ بِالنُّومِ عَنْهَا وَتَضَاعُ الْأُمُورُ بِالْإِهْمَالِ

١٥٢ سلوا قلبي

قال شوقي في ذكرى المولد (١٩١٤):

سلوا قلبي، غداةً سلا وتاباً لعلَّ على الجَمالِ لَهُ عِتَاباً
أيها العاذلون اسألوا قلبي بعد أن سلا (نسي) وتاب عن الحب، فلعل لقلبي عتَباً على جمال
المحبوب لكثرة ما عذب هذا الجمال قلبي

وَيُسْأَلُ فِي الْحَوَادِثِ ذُو صَوَابٍ فَهَلْ تَرَكَ الْجَمَالَ لَهُ صَوَاباً
والذي يُسأل في الشؤون المهمة هو الذي لديه صواب (عقل)، فهل ترك الجمال لقلبي صواباً (عقلاً)؟

وَكُنْتُ إِذَا سَأَلْتُ الْقَلْبَ يَوْمًا تَوَلَّى الدَّمْعُ عَنْ قَلْبِي الْجَوَابَ
وكنْتُ كلُّما سَأَلْتُ قَلْبِي عَنِ السُّلُو وَنِسْيَانِ الْمَحْبُوبِ، بَكَيتُ وَتَوَلَّى (تَكْفَلَ) دَمْعِي الْجَوَابَ بَدَلًا مِنْ قَلْبِي

وَلِي بَيْنَ الضُّلُوعِ دَمٌّ وَلَحْمٌ هُمَا الْوَاهِي الَّذِي تُكِلُّ الشَّبَابَ
ولي بين ضلوعي دم ولحم هما الواهي (الضعيف) لأنه تكل (عديم) الشباب

تَسَرَّبَ فِي الدَّمْعِ فَقُلْتُ وَلَّى وَصَفَّقَ فِي الضُّلُوعِ فَقُلْتُ ثَابَا
تسرب قلبي من خلال دموعي، فحسبته ولى (ذهب)، ثم صفق (خفق) في ضلوعي فقلت: قد تاب
(رجع)

وَلَوْ خُلِقَتْ قُلُوبٌ مِنْ حَدِيدٍ لَمَا حَمَلَتْ كَمَا حَمَلَ الْعَذَابَا
وَكُلُّ بِسَاطٍ عَيْشٍ سَوْفَ يُطْوَى وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ بِهِ وَطَابَا
وَلَا يُنْبِئُكَ عَنْ خُلُقِي اللَّيَالِي كَمَنْ فَقَدَ الْأَحِبَّةَ وَالصُّحَابَا
لا يخبرك عن خلق (طبع) الليالي (الزمن)، مثل الذي فقد أحبابه وأصحابه

أَخَا الدُّنْيَا! أَرَى دُنْيَاكَ أَفْعَى تُبَدِّلُ كُلَّ أَوْنَةٍ إِهَابَا
يا أخا الدنيا (صاحبها) أرى دنياك أفعى (تبدل كل أونة (حين) إهاباً (جلداً))

فَمَنْ يَغْتَرَّ بِالدُّنْيَا فِلَاطِي لَيْسَتْ بِهَا فَأَبْلَيْتُ الشَّبَابَا
فلمن يغتر بالدنيا أقول إنني جريت أحوالها كمن يلبس ثوباً بعد ثوب، وقد أبليت (هزأت) الشباب

لَهَا ضَحْكُ الْقِيَانِ إِلَى غَيْبِي وَلِي ضَحْكُ اللَّيْبِ إِذَا تَغَابَى
تضحك الدنيا ضحكاً مصطنعاً كما تضحك القيان (مغنيات المجالس) للغيبي، ولي أنا ضحك
اللييب (العاقل) عندما يتغابي (يدعي الغباء)

جَنَيْتُ بِرَوْضِهَا وَرَدًّا وَشَوْكًا وَذَقْتُ بِكَاسِهَا شَهْدًا وَصَابًا
 حيث في بستان الدنيا الورد والشوك، وذقت بكأسها الشهد والصاب (عصير شجر الصاب المر)

فَلَمْ أَرْ غَيْرَ حُكْمِ اللَّهِ حُكْمًا وَلَمْ أَرْ دُونَ بَابِ اللَّهِ بَابًا
 وَلَمْ أَرْ مِثْلَ جَنِّحِ الْمَالِ دَاءً وَلَا مِثْلَ الْبَخِيلِ بِؤْمُصَابًا
 وَسَوَّى اللَّهُ بَيْنَكُمْ الْمَنَابَا وَوَسَّدَكُمْ مَعَ الرُّسُلِ الثَّرَابَا
 سوى الله (وزع بالتساوي) بينكم المنايا (الموت)، ووسدكم (مئدكم) مع الرسل في التراب.
 والموت نعمة نفسية لأنه يجعل القهر محدوداً بعدد، وفي البيت حوم على هذا المعنى

وَأَرْسَلَ عَائِلًا مِنْكُمْ يَتِيمًا دَنَا مِنْ ذِي الْجَلَالِ فَكَانَ قَابًا
 وأرسل الله من البشر عائلاً (فقيراً/ هو النبي كما وصفه القرآن) يتيمًا، دنا من الله فكان قاب..
 (قريباً جداً: قاب قوسين)

وَكَانَ بَيَانُهُ لِلْحَقِّ سُبُلًا وَكَانَتْ خِيُولُهُ لِلْحَقِّ غَابَا
 وكان بيان (بلاغة) الرسول سُبُلًا (طُرُقًا) للحق، وكانت خيوله غابة يحتمي فيها الحق

وَعَلَّمَنَا بِنَاءَ الْمَجْدِ حَتَّى أَخَذْنَا إِمْرَةَ الْأَرْضِ اغْتِصَابَا
 وَمَا نَيْلُ الْمَطَالِبِ بِالْتَمَنِّي وَلَكِنْ تُؤْخَذُ الدُّنْيَا غِلَابَا
 غلاباً: انتزاعاً

وَمَا اسْتَعَصَى عَلَى قَوْمٍ مَنَالٌ إِذَا الْإِقْدَامُ كَانَ لَهُمْ رِكَابَا
 ما استعصى على قوم منال (هدف) إذا كان الإقدام (الشجاعة) ركابهم (وسيلة ركوبهم/ فالناقة ركاب)

أَبَا الزُّهْرَاءِ قَدْ جَاوَزْتُ قَدْرِي بِمَدْحِكَ بَيْدَ أَنْ لِيْ ائْتِسَابَا
 يا محمد، يا أبا فاطمة الزهراء، تجاوزت قدري بأن مدحتك، إلا أن لي ائتساباً (صلة) بك؛
 والصلة هي البلاغة التي لي منها نصيب

فَمَا عَرَفَ الْبَلَاغَةَ ذُو بَيَانٍ إِذَا لَمْ يَتَّخِذْكَ لَهُ كِتَابَا
 ولا يعرف البلاغة صاحب بيان إلا إذا جعلك له كتاباً يستمد منه

مَدَحْتُ الْمَالِكِينَ فَرِزْتُ قَدْرًا فَحِينَ مَدَحْتُكَ اقْتَدْتُ السَّحَابَا
 مدحت المالكين (الملوك) فارفع قدري، وحين مدحتك انتشيت حتى لقد اقتدت (ووجهت)
 السحب

سَأَلْتُ اللَّهَ فِي أَبْنَاءِ دِينِي فَإِنْ تَكُنِ الْوَسِيلَةَ لِي أَجَابَا
 طَلَبْتُ مِنْ اللَّهِ الرَّفْقَ بِأَبْنَاءِ دِينِي، فَإِنْ تَكُنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسِيلَتِي لِهَذَا الطَّلَبِ فَهُوَ سَيَجِيبُنِي. «كَلَّمْتُهُ
 فِي فُلَانٍ» فِي الْأَسَالِيبِ الْقَدِيمَةِ مَعْنَاهَا «تَوَسَّطْ لِفُلَانٍ»، وَمِثْلُهَا هُنَا «سَأَلْتُ اللَّهَ فِي أَبْنَاءِ دِينِي» وَقَدْ
 يَكُونُ شَوْفِي قَاسَ عَلَيْهَا قِيَاسًا جَمِيلًا أَوْ يَكُونُ أَخَذَهَا عَنْ كَاتِبِ قَبْلِهِ؛ وَمَا أَكْثَرَ مَا عِنْدَ شَوْفِي مِنْ
 هَذِهِ الْأَسَالِيبِ، وَمَا أَحْسَنَ مَا يَسْتَعْمَلُهَا!

وَمَا لِلْمُسْلِمِينَ سِوَاكَ حِصْنٌ إِذَا مَا الضَّرُّ مَسَّهُمْ وَنَابَا
 وَلَيْسَ لِلْمُسْلِمِينَ حِصْنٌ سِوَاكَ يَا مُحَمَّدُ إِذَا مَسَّهُمْ (حَلَّ بِهِمْ) الضَّرُّ (الْأَذَى) وَنَابَهُمْ (اتَّابَهُمْ)

١٥٣ الباكياتك حين ينقطع البكا

قال شوقي يرثي مصطفى فهمي باشا (١٩١٤):

أَبَا الْبِنَاتِ! رَزَقْتَهُنَّ كَرَامًا وَرَزَقْتَ فِي أَصْهَارِكَ الْكُرَمَاءَ
 يَا أَبَا الْبِنَاتِ قَدْ رَزَقْتَهُنَّ كَرِيمَاتٍ، وَرَزَقْتَ رِزْقًا آخَرَ يَتِمُّلُ فِي أَزْوَاجِهِنَّ الْكِرَمَاءَ

إِنَّ الْبِنَاتِ ذَخَائِرٌ مِنْ رَحْمَةٍ وَكَنُوزٌ حُبٌّ صَادِقٍ وَوَفَاءٍ
 الْبِنَاتِ ذَخَائِرُ (كُنُوزُ) مِنَ الرَّحْمَةِ..

وَالسَّاهِرَاتُ لِعِلَّةٍ أَوْ كِبَرَةٍ وَالصَّابِرَاتُ لَشِدَّةٍ وَبِلَاءٍ
 وَهِنَّ السَّاهِرَاتُ عَلَيْكَ لَعَلَّةَ (لِلْمَرَضِ) تَحْيِيْقُ بِكَ أَوْ كِبَرَةَ (شَيْخُوخَةٍ) ..

وَالْبَاكِاتُكَ حِينَ يَنْقَطِعُ الْبُكَاءُ وَالزَّائِرَاتُكَ فِي الْعِرَاءِ النَّائِي
 وَهِنَّ الْبَاكِاتُ يَاكَ حِينَ تَجْفُ دُمُوعُ الْآخَرِينَ، وَالزَّائِرَاتُ يَاكَ فِي الْعِرَاءِ النَّائِي (الْبَرِيَّةِ الْبَعِيدَةِ) ..
 (فِي مَكَانٍ دَفِكَ)

عُذْرًا لَهُنَّ إِذَا ذَهَبْنَ مَعَ الْأَسَى وَطَلَبْنَ عِنْدَ الدَّمْعِ بَعْضَ عَزَائٍ
 اطْلُبْ لَهُنَّ الْعِزَّ إِذَا ذَهَبْنَ مَعَ الْأَسَى (الْحُزْنَ)، وَطَلَبْنَ الْعِزَّ بِذَرْفِ الدَّمْعِ

مَا كُلُّ ذِي وَلَدٍ يَسْمَى وَالِدًا كَمِنْ مِنْ أَبٍ كَالصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ
 لَكِنَّ الْأَبَ نَفْسُهُ قَدْ لَا يَكُونُ جَدِيرًا بِالْأُبُوءِ، فَمِنْ الْآبَاءِ مَنْ هُوَ كَالصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ (الصَّلْبَةِ)

١٥٤ أسخطوا الله ولم يرضوا البشر

قال شوقي ينعي على الطلبة جنوحهم للانتحار (١٩١٥):

رَوَّحُوا الْقُلُوبَ بِلَذَّاتِ الصَّبَا فَكَفَى الشَّيْبُ مَجَالًا لِلْكَدَرِ
 رَوَّحُوا الْقُلُوبَ (رَفَّحُوا عَنْهُ) بِمَتْنِ الشَّبَابِ، فَفِي الشَّيْبِ الَّذِي سَيَحِلُّ بِكُمْ مَا يَكْفِي مِنَ الْكُدْرِ (الْكَاثَةِ)

وَاطْلُبُوا الْعِلْمَ لِذَاتِ الْعِلْمِ، لَا لِشَهَادَاتٍ وَأَرْابٍ أُخْرَ
اطلبوا العلم لذاته، لا للشهادات وللأرب (الأهداف) الأخرى

كَمْ غَلَامٍ خَامِلٍ فِي دَرَسِهِ صَارَ بَحْرَ الْعِلْمِ أَسْتَاذَ الْعُصْرِ
كثيراً ما نجد صيًّا خاملاً في دروس المدرسة، ثم إذا به يصير بحر العلم وأستاذ العُصر (الزمن)
وَمُجِدِّ فِيهِ أَمْسَى خَامِلاً لَيْسَ فِيهِ مَنْ غَابَ أَوْ فِيهِ مَنْ حَضَرَ
وكثيراً ما نجد مجتهداً في الدرس صار خاملاً.. لا هو معدود في الغائبين ولا في الحاضرين
قَاتِلُ النَّفْسِ، وَلَوْ كَانَتْ لَهُ، أَسْخَطَ اللَّهَ وَلَمْ يُرْضِ الْبَشَرَ
والمتحر - وإن تكن نفسه ملكه - يسخط الله، ولا يرضي البشر

١٥٥ أخت الحوت

قال شوقي في إغراق غواصة ألمانية الباخرة لوزيتانيا (أغرقت ١٩١٥):

وَدَّبَابَةٌ تَحْتَ الْعِبَابِ بِمَكْمَنِ آمِينَ، تَرَى السَّارِي وَلَيْسَ يَرَاهَا
رَبٌّ دَبَّابَةٌ (بهيمة تدب).. لكنها تدب تحت العباب (الموج) في مكن (مخبأ) أمين، ترى الساري
(السائر) ولا يراها

وكانت الدبابة، ذلك السلاح، اختراعاً جديداً في عام ١٩١٥، ورآها العرب في بلادهم مع قدوم
جيوش الاستعمار بعد سنة ١٩١٨، ووصفها شوقي في رثائه عمر المختار ١٩٣١ وسماها بالاسم
الإنجليزي «التنك»، واستخدم اللفظ نفسه «التنك» الشاعر القروي عام ١٩٢٥ في وصف هجوم
سلطان باشا الأطرش على التنك الفرنسي. فدَّبَابَةٌ شوقي في هذا البيت ليست ذلك «السلاح
المعروف» كما قال بعض الشارحين

هِيَ الْحَوْتُ، أَوْ فِي الْحَوْتِ مِنْهَا مَشَابَهُ فَلَوْ كَانَ فُولاذاً لَكَانَ أَخَاهَا
هي الحوت، أو لنقل: في الحوت منها مشابه (مواضع شبه)، فلو كان جسم الحوت من الفولاذ
لَكَانَ أَخَاهَا

خَوْوُنٌ إِذَا غَاصَتْ، غَدُورٌ إِذَا طَفَّتْ مُلْعَنَةٌ فِي سَبْحِهَا وَسُرَاهَا
القواصة خوون (خاتنة) إذا غاصت وغدور (غادرة) إذا طفت فوق الماء، وملْعَنَةٌ (ملعونة) في
سباحتها وفي سراها (سيراها)

فَلَا كَانَ بَانِيهَا، وَلَا كَانَ رَكْبُهَا وَلَا كَانَ بَحْرٌ ضَمَّهَا وَحَوَاهَا
فلتب انعدم من الوجود بانيتها وركبها (راكبوها) والبحر الذي يضمها

وَأُفَّ عَلَى الْعِلْمِ الَّذِي تَدْعُوهُ إِذَا كَانَ فِي عِلْمِ النَّفْسِ رَدَاها
وأفَّ على العلم الذي يدَّعيه الغرب إذا كان علم الناس سبياً في رداهم (هلاكهم)

١٥٦ ولقد ولدت بباب إسماعيل

قال شوقي يهنئ حسين كامل بتولية الحكم سلطاناً، ويقول زكي مبارك إن هذه القصيدة هي التي سببت نفي شوقي إلى إسبانيا بعد نشرها بأسبوعين، (١٩١٥):

الْمَلِكُ فَيُكْنَمُ آلَ إِسْمَاعِيلَا لَا زَالَ بَيْتُكُمْ يُظَلُّ النَّيْلَا
الملك باق فيكم يا آل الخديوي إسماعيل (والسلطان الجديد ابن إسماعيل)، وأدعو أن يبقى بيتكم
الملك بظلل مصر

هذي أصولُكُمْ وتلكَ فروغُكُمْ جاء الصَّمِيمُ مِنَ الصَّمِيمِ بَدِيلَا
إسماعيل أصل والسلطان الجديد ابنه، والخديوي المعزول عباس حلمي فرع منه (حفيدة)، فأتت يا
حسين كامل وعباس حلمي كلاهما صميم (أصيل)

النَّيْلُ إِنْ أَحْصَى لَكُمْ حَسَنَاتِكُمْ مَلَأَ الزَّمَانَ مُحَاسِنًا وَالْجِيلَا
أحباً أبوكُم شاطِئِيهِ، وابْنِي مجدداً لمصرَ على الزمانِ أثيلا
أبوكم: الخديوي إسماعيل، أثيل: أصيل

نَشَرَ الحَضَارَةَ فَوْقَ مِصْرَ وَسُورِيَا وَامْتَدَّ ظِلًّا لِلْحِجَازِ ظَلِيلَا
حَفَظَ الإِلَهَ عَلَى الكِنَانَةِ عَرْشَهَا وَأَدَامَ مِنْكُمْ لِلْهَلَالِ كَفِيلَا
حفظ الله للكنانة (مصر) عرش أسرتكم، وأدامكم كفلاء للهِلال (الهِلال كان يتوسط علم مصر آنذاك)

أَخُونُ إِسْمَاعِيلَ فِي أَبْنَائِهِ وَلَقَدْ وَلِدْتُ بِبَابِ إِسْمَاعِيلَا

كان والد شوقي يعمل في حاشية الخديوي إسماعيل عند مولد شوقي؛ وكان شوقي في شبابه مقرباً من الخديوي توفيق ثم من الخديوي عباس حلمي؛ والآن بعد عزل عباس حلمي يقول شوقي لخلفه إنه سيواصل الولاء للأسرة المالكة لأنه ولد بباب إسماعيل والسلطان الجديد هو ابن إسماعيل بينما المعزول حفيدة

وَلَيْسْتُ نِعْمَةً وَنِعْمَةٌ بَيْتِهِ فَلَيْسْتُ جَزْلاً وَارْتَدَيْتُ جَمِيلَا
الجزل: الكثير

يَا أَكْرَمَ الْأَعْمَامِ حَسْبُكَ أَنْ نَرَى لِلْعَبْرَتَيْنِ بِوَجْهَتَيْكَ مَسِيلَا
أيها السلطان الجديد، وهو عمُّ الخديوي المخلوع، يكفي أن نرى للعبرتين (الدفعتين) بوجهتيك
(بخديك) مسيلاً

مِنْ عَثْرَةِ ابْنِ أَخِيكَ تَبْكِي رَحْمَةً وَمِنْ الْخُشُوعِ لِمَنْ حَبَاكَ جَزِيلَا
تبكي من عثرة (نكبة) ابن أخيك راحماً إياه، وتبكي أيضاً من الخشوع المفروض عليك للإنجليز
الذي حبوك (أعطوك) حياء جزيلاً وهو السلطنة

هَلْ كَانَ ذَلِكَ الْعَهْدُ إِلَّا مَوْقِفًا لِلسُّلْطَتَيْنِ وَلِلْبِلَادِ وَبِيَلَا

وهل كان العهد الماضي سوى موقف وبيل (ثقل مزعج) للسلطين (الخديوي والإنجليز)؟

وَانْفَضَّ مَلْعَبُهُ وَشَاهِدُهُ، عَلَى أَنَّ الرِّوَايَةَ لَمْ تَتِمَّ فُصُولًا

وانفض ملعب (مسرح) العهد الماضي وشاهد (المتفرج)، على أن (ولكن) الرواية لم تتم فصولاً. لا نظن أن هذه القصيدة كانت سبباً في نفي أحمد شوقي إلى إسبانيا، رغم ما فيها من إشارات تقدر في الإنجليز، فشوقي قد نفي في عصبة من الرجال. تفتح وعي شوقي وهو في الرابعة عشرة على الإنجليز يحتلون مصر، مع بقائها إسمياً جزءاً من الدولة العثمانية. ولكن عاطفته اتجهت نحو الخديوي توفيق بتأثير جو بيته، فقد كان أبوه في المعية الخديوية كاتباً أو حاسباً أو نحو ذلك. وحقد شوقي، ولداً غراً، على عرابي ورفاقه الذين شاقوا الخديوي قبل الاحتلال، وتصدوا للاحتلال وفشلوا في درته، وظل شوقي على موقفه من عرابي، ربما عناداً. ومات الخديوي توفيق الذي كان يحاسن الإنجليز بعد عشر سنوات (١٨٩٢)، وتولى عباس حلمي الذي كان أصغر من شوقي بضع سنوات. وكان يتملص من نفوذ الإنجليز المتعاطف. وكان شوقي يتملص معه، فهو شاعره. وبعد اثنتين وعشرين سنة مليئة بالمناخ لعباس حلمي وبالغمز من الإنجليز قامت الحرب العالمية الأولى. وكان الخديوي آنئذ في إستانبول. وإستانبول في هذه الحرب في صف ألمانيا والنمسا، ضد إنجلترا وفرنسا. قررت إنجلترا أنه آن الأوان لفصل مصر عن جسم الدولة العثمانية. فعزلت الخديوي عباس حلمي فقي في إستانبول، وعينت عمه حسين كامل ولقبته بالسلطان. وفي هذا اللقب إشارة واضحة إلى تغير في وضع مصر من ناحية ارتباطها بإستانبول. كان شوقي في هذه الأيام في إستانبول وكان يلتقي الخديوي المعزول باستمرار ولا سيما بعد تعرضه لاعتداء بالرصاص وإصابته بجراح. وقد حاول شوقي تغيير زيارة يقوم بها الخليفة العثماني السلطان محمد رشاد للخديوي، ولكنه لم يفلح في مسعاه. وعاد شوقي إلى مصر ونشر قصيدته هذه في تهنة سلطان مصر الجديد حسين كامل. ولكن الإنجليز كانوا قد قرروا إبعاد عدد كبير من المصريين البارزين من أعوان الخديوي المعزول. وبعبارة شكيب أرسلان: «دفع الإنجليز إلى مالطة جمّاً غفيراً وأزعجوا آخرين إلى أوروبا وكان فيمن أزعج عن بلاده إلى أوروبا أحمد شوقي فانتجع إسبانية، وناح على الأندلس، ولكنه خَفَضَ في عيشة راضية، وبينة هادية، ولم يعد إلى وطنه إلا بعد أن انطفأت نار الحرب». ويحدثنا حسين أحمد شوقي، ابن الشاعر، في كتابه «أبي شوقي» أن الأسرة ذهبت بأفرادها الستة ومعها أربعة من الخدم إلى المنفى

شاعر الأمة

في هذا الفصل شعر شوقي في منفاه، وبعد منفاه إلى حين وفاته عام ١٩٣٢. وكانت فترة خصبة في حياته الشعرية، تحلل فيها من الارتباط الوثيق بالحاكم، فعبّر عن الأمة: المصرية، والعربية (وهذا جديد هذه المرحلة)، والإسلامية

١٥٧ يا نائح الطلح

قال شوقي في مفاه في إسبانيا (١٩١٥):

يا نَائِحَ الطَّلَحِ أَشْبَاهُ عَوَادِينَا نَشْجَى لَوَادِيكَ أَوْ نَأْسَى لَوَادِينَا

يا ذُكْرَ الحمام، أيها النائح بوادي الطلح (وادي إشبيلية فيه شجر الطلح) أشباه (متشابهة) عوادينا (مصائبنا)؛ فهل نشجى (نحزن) لواديك، وادي الطلح، أم نأسى (نحزن) لوادينا، وادي النيل؟

مَاذَا تَقْصُّ عَلَيْنَا؟ غَيْرَ أَنْ يَدَا قَصَّتْ جَنَاحَكَ جَالَتْ فِي حَوَائِينَا

ماذا تخبرنا؟ سوى أن اليد التي قصت جناحك (فخرج العرب من الأندلس) هي التي عشت بجوانب وطننا. والغرب عند شوقي أمة واحدة، وعداوتهم للشرق والمسلمين متصلة منذ الحروب الصليبية ومحاكم التفتيش في إسبانيا، إلى الحرب العالمية الأولى التي كانت مشتعلة وقت هذه القصيدة وانجلى غبارها عن هدم دولة الخلافة العثمانية

كُلُّ رَمْتُهُ النَّوَى، رِيَشَ الْفِرَاقِ لَنَا سَهْمًا، وَسُلَّ عَلَيْكَ الْبَيْنُ سِكِّينَا

كل منا رمت (أصابته) النوى (الفراق)؛ فالفرق كان سهمًا ريش (ذُيِّلَ بالريش) ليصينا نحن، واليّن (الفراق) سُلَّ سِكِّينَا عليك أنت

فَإِنْ يَكُ الْجِنْسُ، يَا ابْنَ الطَّلَحِ، فَرَقْنَا إِنَّ الْمَصَائِبَ يَجْمَعُنَ الْمُصَابِينَا

فإن كان الجنس يا ساكن وادي الطلح فرقنا (فأنت من جنس الحمام، ونحن من البشر) فالمصائب تجمع المصابين بها

لَمْ نَسْرِ مِنْ حَرَمٍ إِلَّا إِلَى حَرَمٍ كَالْخَمْرِ مِنْ بَابِلٍ سَارَتْ لِدَارِينَا

لم نسر (ما سرينا ومشينا) من حرم (مكان مقدس/ وادي النيل) إلا لنحل حرمًا في الأندلس؛ فنحن كالخمر نقلت من بابل بالعراق إلى دارين بالبحرين، وكلاهما موطن للخمر الجيدة

لَمَّا نَبَا الْخُلْدُ نَابَتْ عَنْهُ نَسَخَتُهُ تَمَائِلَ الْوَرْدِ خَيْرِيًّا وَنَسْرِينَا

عندما نبا عنا (ابتعد) الخلد (الجنة)، أي مصر، نابت عنه نسخة منه في الأندلس؛ والخيري (المتور الأصفر) يماثل النسرين (الورد الأبيض)

نَسَقِي ثَرَاهُمْ ثَنَاءً، كُلَّمَا نُثِرَتْ دَمُوعُنَا نُظِمَتْ مِنْهَا مَرَاثِينَا

نسقي تراب أهل الأندلس القدماء بثنائنا، وكلما انتثرت الدموع من عيوننا نثرًا نظمناها نظمًا في قصائد رثاء

كَادَتْ عَيُونُ قَوَائِينَا تُحَرِّكُهُ وَكَذَنْ يَوْقُظَنَّ فِي الثَّرْبِ السَّلَاطِينَا

كادت عيون قوافينا (قصائدنا الجيدة) تحرك التراب، وكادت توقظ السلاطين المدفونين في هذا التراب

جئنا إلى الصبر ندعوه كعادتنا في النائبات، فلم يأخذ بأيدينا

النائبات: المصائب

ونابغي كأن الحشر آخره ثمبئنا فيه ذكراكم وتحيينا

ورب نابغي (أي ليل مخيف طويل كليل الشاعر النابغة) كأنه يقضي إلى الحشر (يوم القيامة)، كانت فيه ذكراكم أيها الأحبة بمصر تميتنا حزناً ثم تحيينا أملاً

نطوي دجاء بجرح من فراقكم يكاد في غلس الأسحار يطوبنا

نقضي الوقت في دجى هذا الليل وفينا جرح من فراقكم يكاد في غلس (ظلمة) الأسحار (أواخر الليل) يطوبنا (يقتلنا)

نحن اليواقيت خاض النار جوهرنا ولم يهن ييد التشتيت غالينا

نحن اليواقيت (أحجار الياقوت) التي خاض النار جوهرها (حجرها الأصلي)، والنار هي المنفى؛ ولم تنهن (ترخص) اليواقيت الغالية بالتشتيت بل تجوهرت به

ولا يحول لنا صبغ ولا خلُق إذا تلَوْنَ كالجرباء شائنا

ولا يحول (يتغير) لنا صبغ (لون) ولا خلُق، في حين يتلون كالجرباء شائنا (كارهنا)

لم تنزل الشمس ميزاناً، ولا صعدت في ملكها الضخم عرشاً مثل وادينا

المعنى الملموح: لم تنزل الشمس برج الميزان (ليتصف النهار)، ولا ارتقت عرشاً في ملكها الضخم، الذي هو العالم كله، يشبه وادي النيل

وهذه الأرض من سهل ومن جبل قبل القياصر دناها قرايعنا

والأرض سهلهما وجبلها، قبل عهد قياصرة الرومان دناها (أخضعناها) في عهد الفراعنة

ولم يصنع حجراً بان على حجر في الأرض إلا على آثار باينا

ولم يبن أحد في الأرض بناءً إلا على آثار (تالاً ل) بانينا الفرعوني

كأن أهرام مصر حائط نهضت به يد الدهر، لا بُنيان فائينا

فكان الأهرام جدار رفعت يد الزمن، وليس من بناء الإنسان الغائين

١٥٨ كل ميت أخوك

قال شوقي في مصرع اللورد كتشتر (١٩١٦):

كلّ محمول على النعش أخ لك، صافٍ وده بعد الكدر

إن تكن سلماً له لم ينتفع أو تكن حرباً فقد فات الضرر

سلماً له: مسالماً إياه، حرباً عليه: محارباً إياه

وإذا الموتُ إلى النفسِ مشى وركبتِ النجمَ، بالموتِ عَثَرُ
إذا جاءك الموت وأردت الهروب منه فركبت النجم؛ فإن النجم، وهو الذي لا يتعرّش شيء، يجد نفسه قد تعرّش بالموت

رُبَّ ثَاوٍ فِي الطَّبِي مُتَمَنِّعٍ سَلَّهَ الْمِقْدَارُ مِنْ جَفْنِ الْحَذَرِ
رب ثاوٍ (قايح) داخل طوق من الطّبي (نصال السيوف) متمنع (محتّم) استلّه المقدار (القدر)، وأخذته الموت من جفن الحذر
و«جفن الحذر» هذه يعرف يقولها أبو تمام وشوقي والمتنبي. هي من شوقي بديعة، وإن يكن لها عند أبي الطيب أصل

١٥٩ زواج الزنى

قال شوقي في زواج الكبار بصغيرات (١٩١٦):

الْمَالُ حَلَّلَ كُلَّ غَيْرٍ مُحَلَّلٍ حَتَّى زَوَاجَ الشَّيْبِ بِالْأَبْكَارِ
الشَّيْبُ: الرجال الشائبون، الأبكار: العذارى

سَحَرَ الْقُلُوبَ، قَرَّبَ أُمَّ قَلْبُهَا مِنْ سِخْرِهِ حَجَرٌ مِنَ الْأَحْجَارِ
المال سحر القلوب، قرب أُم حوّل هذا السحر قلبها إلى حجر

دَفَعْتُ بُنْيَتَهَا لِأَشَامٍ مَضْجَعٍ وَرَمَتْ بِهَا فِي غُرْبَةٍ وَإِسَارِ
دفعت هذه الأم بابنتها لمضجع (سرير) مشؤوم، ورمتها في غربة وأسر مع هذا المعجوز

وَتَعَلَّلْتُ بِالشَّرْعِ، قُلْتُ: كَذَبْتِهِ مَا كَانَ شَرْعُ اللَّهِ بِالْجَزَارِ
وتعللت (تججبت) الأم بالشرع، وأقول لها: كذبت على الشرع في تأويلاتك، فليس شرع الله جزاراً

مَا زُوِّجَتْ تِلْكَ الْفَنَاءُ وَإِنَّمَا بَيْعُ الصَّبَا وَالْحُسْنُ بِالْذِّينَارِ
بَعْضُ الزَّوْاجِ مُذْمَمٌ، مَا بِالزَّنَى وَالرَّقْ، إِنْ قَبِيسَا بِهِ، مِنْ عَارِ
بعض الزواج مذمّم (مذموم)، ولكثرة ما به من العار فلو قيس به الزنى والرق (العبودية) لما رأينا بهما عاراً

فَقَسَّيْتُ، لَمْ أَرْ فِي الزَّوْاجِ كِفَاءً كَكِفَاءَةِ الْأَزْوَاجِ فِي الْأَعْمَارِ

الكفاءة في الزواج: مفهوم فقهي يجعل النسب والمال المقياس الأهم لتكافؤ الزوجين، وشوقي يرى التقارب في العمر خير معيار للكفاءة. هذا لا يعني أن شوقي كان ضد الزواج المبكر للفتاة، فقد زوج ابنته أمينة وهي دون الخامسة عشرة من عمرها حسبما أخبرنا أخوها حسين في كتابه «أبي شوقي»

١٦٠ رثاء شكسبير

قال شوقي في ذكرى ٣٠٠ سنة على وفاة شكسبير، (١٩١٦):

أعلى الممالك ما كُرِّسِيَهُ الماءُ وما دِعَامَتُهُ بِالْحَقِّ شَمَاءُ
أعلى الدول ما كان كُرسِيه (عرشه) على الماء، وما كانت دعامة عرشه شماء (عالية) بالحق.
وإنجلترا كانت سيدة البحار (في عهد شوقي، وقبله بثلاثمئة سنة أيضاً في عهد شكسبير الذي شهد
الأرمادا وسيطرة إنجلترا على البحار)

دستورُهُمْ عَجَبُ الدُّنْيَا، وشاعرُهُمْ يَدُّ عَلَى خَلْقِهِ لَوَّ بِبِضَاءِ
دستور الإنجليز، وهو غير مدون في صورة دستور كقبة البلاد، من الأعاجيب، وشاعرهم يد
بيضاء الله (نعمته منه) على خلقه

نالَتْ به وحدهُ إنْجِلْتِرا شَرْفاً ما لَمْ تَنْلُ بالنجومِ الكُثْرَ جِوزاءُ
شَرَّفَتْ إنجلترا بشكسبير أكثر مما شَرَّفَ برج الجوزاء بنجومه

لَمْ تُكْشَفِ النفسُ لَوْلَاهُ، ولا بُلِيَتْ لها سرائِرُ لا تُحْصَى وأَهْواءُ
لولا شكسبير لما كُشِفَتْ حقائق النفس البشرية، ولا بُلِيَتْ (اُخْتُبِرَتْ) سرائِر (خفايا) النفس وأهواءها التي لا تحصى. قد طالبني الصديق الشاعر عمران القفيني أن أثبت ههنا شيئاً عن شكسبير وما أودع مسرحياته من تدسس في خبايا النفس البشرية. وقد صنعت بعض ذلك في شرحي لقصيدته حافظ إبراهيم في ذكرى شكسبير، القطعة رقم ٥٠ في باب حافظ إبراهيم، ولن أكرر نفسي هنا، بل ألقط طرف خيط تركته هناك: مسرح شكسبير شعري، ويحس به أهل اللغة الإنجليزية، ويقطفون تسعين بالمئة من حلاوته، وأما نحن فنفهم القصة والمغزى فهذه عشرة بالمئة نستمتع بها. رأيتنا عندما لخص لنا المنفلوطي مسرحية يوليوس قيصر بلغته المنفلوطية ههنا بتلخيصه هياماً، وطربنا لنثره العذب، وبيانه العربي. نعم، عزيزي عمران، شكسبير مشهور بأنه كان يتغلغل في عواطف ومصالح البشر، ويكشف عن دوافعهم، وخصوصاً ما كان منها دنيئاً شريئاً، وتميز بهذا عن كتاب مسرحيين كثر في زمنه وبعد زمنه انصرفوا إلى عناصر أخرى كالحبكة والمفاجأة والإثارة

شِعْرٌ مِنَ النَّسَقِ الْأَعْلَى يُؤَيِّدُهُ مِنْ جَانِبِ اللَّهِ إِلَهَامٌ وَإِيحَاءُ
شعر من النسق (النظم) الأعلى (الأرقى) يرفده إلهام إلهي

يَمَنْ أَمَاتَكَ قُلْ لِي: كَيْفَ جُمُجُمَةٌ غِبْرَاءُ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ جَوْفَاءُ
بحق الله الذي أَمَاتَكَ قل لي: جمعتمك هذه التي أصبحت مغبرة مجوفة مدفونة في التراب..

كانت سماء بيانٍ غيرَ مُقْلَعَةٍ شُؤِبُوبُهَا عَسَلٌ صَافٍ وَصُهْبَاءُ
 كيف كانت هذه الجمجمة سماء بلاغة غير مقلمة (لا ينقطع مطرها)، وكان شؤيوبها (مطرها) عسلاً
 وخمراً.. تعليق عمران القفيني: (في مارس/ آذار ٢٠١٦، اكتشفوا بعد مسح بالرادار أن جمجمة شكسبير
 سرقت من قبره المكتوب عليه بيتان لأديب إنجلترا الأشهر أحدهما «ملعون من حرك عظامي»
 والناسُ صِنْفَانِ: موتى في حياتِهِمْ وآخرونَ ببطنِ الأرضِ أحياءُ
 لاموْكٌ في جعلِكَ الإنسانِ ذَنْبٌ دَمٌ واليومَ تبدو لهمِ مِنْ ذاكِ أشياءُ
 كانوا يلومونك لأنك صورت الإنسان ذنباً متعطشاً للدم؛ واليوم - وكانت الحرب العالمية الأولى
 في أوجها - تبدو لهم أشياء مما كنت قلت

١٦١ دول العرب وعظماء الإسلام

قال شوقي من أرجوزة «دول العرب وعظماء الإسلام» وهي أرجوزة تاريخية طويلة من
 مزدوج الرجز، ونظمها في مثاه ياسانيا (بلغت أبياتها ١٥٢٦ بيتاً):

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْقَدِيمِ الْبَاقِي ذِي الْعَرْشِ، وَالسَّبْعِ الْعُلَى الطَّبَاقِ
 الطباق: طبقات السماوات

وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى أَجَلِ رُسُلِ السَّلَامِ
 صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ فِي سَمَائِهِ وَعَرْشِهِ السَّابِحِ فِي أَسْمَائِهِ
 صلى على النبي عرش الله الذي يسبح في أسمائه الحسنى

لَمَّا رَمَى اللَّهُ بِهِذِي الْحَرْبِ عَلَى بَنِي الشَّرْقِ وَأَهْلِ الْغَرْبِ
 وكانت الحرب العالمية الأولى مستعرة وقت قلت الأرجوزة

تَحَرَّكَتْ سَوَاكِنُ الْأَقْدَارِ وَأَظْهَرَدَتْ عَوَامِلُ الْأَكْدَارِ
 تحرك من الأقدار ما كان ساكناً، وأطردت (تتابعت) أسباب الأقدار (المنقصات)

وَحَكَّمَ اللَّهُ بِهَجْرَةِ الْوَطَنِ وَطَالَمَا ابْتَلَى بِهَا أَهْلَ الْفُطُنِ
 حكم الله عليّ بأن أهاجر عن مصر، والهجرة كثيراً ما ابتلى الله بها أهل الفطن (الناهين)

فَكُنْتُ أَسْتَعْدِي عَلَى الْهُمُومِ بِنَاتٍ فِكْرٍ لَيْسَ بِالْمَلُومِ
 فكنت في مهجري أستعدي (أستعين) على الهموم بنات فكر ليس بالملوم (فكر مشتت)

أَسْتَدْفِعُ الْفِرَاقَ وَالْعَطَالََةَ، وَيَقْتُلُ مَنْ يَقْتُلُ الْبِطَالََةَ
 أستدفع (أبعدُ شبح) الفراغ والعطالة (قلة العمل)، وإنه ليطل من يستطع قتل البطالة

حَتَّى أَرَادَ اللَّهُ أَنْ نَظْمُتُ مِنْ سِيرِ الرِّجَالِ مَا اسْتَعْظَمْتُ

نظمت سير (قصص حياة) الرجال الذين استعظمتهم (عددتهم عظماء)

وَاخْتَرْتُ بَحْرًا وَاسِعًا مِنَ الرَّجَازِ قَدْ زَعَمُوهُ مَرْكَبًا لِمَنْ عَجَزَ

اخترت بحر الرجز للنظم وفيه جوازا كثيرة وسعة، وزعموا أنه مركب سهل للعاجز. أما سماه
الأقدمون حمار الشعراء؟

يَرَوْنَ رَأْيًا وَأَرَى خِلَافَةً الْكَاسُ لَا تُقَوِّمُ السُّلَافَةَ

ورأي غير رأيهم، فالكأس لا تقوم (تحدد قيمة) السلافة (الخير)، وكذا فالبحر الشعري لا يحدد
قيمة معنى الشعر

وَقِيَمَةُ اللَّوْلُوِّ فِي النُّحُورِ بِنَفْسِهِ وَلَيْسَ بِالْبُحُورِ

واللؤلؤ وهو في نحور (أعناق) الحسان بقوم بنفسه وليس بالبحور التي منها أتى. و«البحور» هذه عذبة -
إن جازت على البحور العذوبة - فهي «البحور» التي أتى منها اللؤلؤ، لكنها أيضاً «بحور» الشعر

شِعْرٌ لَزِمْتُ فِيهِ مَا لَا يَلْزَمُ وَتَرَكْتُهُ أَلِيقَ بِي وَأَخْزَمُ

ولزمت في شعري ما لا يلزم، وكان أحزم لي (أكثر حصافة) ألا أفعل ذلك. وشوقي التزم بحرني
روي بدل حرف واحد كما ترى

وَمَا أَيْسَتْ مِنْ كَرِيمٍ يُغْضِي وَلَا أَمِنْتُ حَاسِدًا ذَا بُغْضٍ

وما أيست (يسيت) من وجود كريم يغضي (يتجاهل) على أغلاطي، كما أنني لم آمن حاسداً مبغضاً

رُبَّ لِسَانٍ جَمَعَ الْأَقْوَامَ وَكَانَ كَالْجَنَسِ لَهُمْ قِوَامًا

رب لسان (لغة) جمع شمل الأقوام وكان لهم قواماً كالعرق، وهذا اللسان هو اللغة العربية

وَقَدْ حَبَاهُ اللَّهُ بِالْجَزِيلِ وَاخْتَارَهُ لِلْوَحْيِ وَالتَّنْزِيلِ

هذا اللسان حباه (أعطاه) الله بالجزيل (الكثير)، واختاره للوحي والتنزيل (القرآن)

لِسَانُكَ الْأَوَّلُ فِي الْكُتَابِ وَلِغَةُ الصَّبُورَةِ وَالْعِتَابِ

لسانك (لفتك) الأول في الكتاب (المدرسة)، ولغة الصبورة (الشوق) والعتاب ..

لَا تَرْضَ مِنْهُ مَبْلَغَ الرُّعَاعِ وَحِصَّةَ الْأَعْمَى مِنَ الشُّعَاعِ

.. هذا اللسان لا ترض أن تقف في إتقانه عند مبلغ (مستوى) الرعاع (الجهلة)، ولا تكتف منه
بحصة تشبه حصة الأعمى من النور

النَّفْسُ تَرْجُو هِمَّةَ الْخُلُودِ فِي الْعِلْمِ وَالْبُنْيَانِ وَالْمَوْلُودِ

النفس تطمح إلى الخلود: بالعلم الذي تورثه للأجيال، وبالبنيان الشامخ الذي يخلد الذكر،
وبالأولاد الذين يحيون ذكر آبائهم

تَوَهَّمُ الْحَيَاةَ بَعْدَ مَوْتٍ وَتَزَعُمُ الْوُجُودَانَ بَعْدَ قَوْتٍ
وتوهم النفس وجود حياة بعد الموت، وتزعم أن هناك وجداناً (وجوداً) بعد القوت (قوات)
الأوان)

ضَاقَتْ عَلَى النَّوَائِغِ الْأَجَالَ فَكَانَ فِي الذِّكْرِ لَهُمْ مَجَالٌ
ضاقت على النوايغ آجالهم (أعمارهم)، فكان خلود الذكر مجالاً لإطالة العمر

انْظُرْ إِلَى الْأَبَاءِ كَيْفَ هَامُوا بِالْخُلْدِ، وَاحْتَالَتْ لَهُ الْأَفْهَامُ
انظر كيف هام القدماء بالخلود، وكيف احتالت أفهامهم (عقولهم) لتخليد ذكهم

مَنْ دَرَسَ التَّارِيخَ أَوْ مَنْ دَرَسَهُ يَمْضِي الزَّمَانُ وَهُمَا فِي الْمَدْرَسَةِ
لَا يَبْلُغَانِ فِي الْكِتَابِ غَايَةً وَلَا الْكِتَابُ بَالِغُ النَّهَائَةِ
إِيَّاكَ وَالْمُؤَرِّخُ الْمِقْصَصُ مَا كُلُّ مَنْ قَصَّ فَقَدْ تَقَصَّى

احذر المؤرخ الذي يقتطع الأحداث كالمقص بلا تثبت، وما كل من قص (روى) قد
تقصى (تحقق). وفي زمننا هذا صار للمقص معنى آخر مع دخول ثقافة القص
واللرزق. ولعل شوقي كان سيقول في الأكاديمي الذي يللمم بحوثة من أردأ مواقع
الإنترنت: (ذاك الذي يقصّ ثم يلزق/مُؤَقِّلُ المنتديات المزق/أكبل ما قد حَرَّتُوا
وعَرَقُوا/أو لاحس الذي بها قد بَرَقُوا/بومٍ بغير صوته يزقزق)

مَضَى أَبُو بَكْرٍ، وَوَلَّاهَا عُمَرُ الشَّمْسُ لَا تُخْلَفُ إِلَّا بِالْقَمَرِ
ذهب أبو بكر الصديق وولّى الخلافة عمر، والشمس لا يخلفها إلا القمر

وُلَاثُهُ فِي مُلْكِهِمْ رُهْبَانٌ وَالْقُلُكُ حَيْثُ سَاقَهَا الرُّبَّانُ
الولاء الذين ولّاهم عمر فقراء عفيفون كالرهبان، والقلك (السفينة) تذهب إلى حيث يسوقها
الربان، فهم كالسفينة وعمر كالربان

أَمَّا الْإِمَامُ فَالْأَغَرُّ الْهَادِي حَامِي عَرِيْنِ الْحَقِّ وَالْجِهَادِ
الإمام علي بن أبي طالب هو الأغر (المشرق) الهادي، حامي عرين (بيت الأسد) الحق والجهاد

لَوْ صَانَعَ الْإِمَامُ أَوْ تَأَنَّى مَا بَلَغَ الشَّامِيُّ مَا تَمْنَى
لو كان علي صانع (داري) أو تمهل، لما بلغ الشامي (معاوية والي الشام) ما تمنى

وَقِيلَ إِنْ عَلِمَ مَا لَهُ انْتِهَاءٌ لَمْ يَجْرِ فِيهِ الرَّأْيُ وَالذَّهَاءُ
وقيل إن علم علي غزير لا نهاية له، ولكن هذا العلم لم يجر معه في تباريه رأي ودهاء

١٦٢ حال الغريب

قال شوقي في منفاه :

قالت: تَغَرَّبَ الرجال، فقلتُ: في ضَيْمٍ أُرِيدُ بجانبِي فَأُبَيِّنُهُ
قالت: تغربت الرجال فقلت: ذلك في (بسبب) ضيم (ظلم) أريد إلحاقه بجانبِي (بي) فأبيته
(فرفضته)

قالت: أَخِفَّتِ الموتَ، قلتُ: أَمُفِلْتُ أَنَا مِنْ حَبَائِلِهِ إِذَا مَا خَفَّتُهُ؟

حبائله: مصائله

قالت: لَقَدْ شَمِتَ الحسودُ، فقلتُ: لَوْ دَامَ الزمانُ لِشامِتٍ لَحَفِلْتُهُ

لحفلته: لحفلت به

قالت: كَأَنِّي بِالهِجَاءِ قلائدًا سارث، فقلتُ: هممْتُ، ثم تَرَكْتُهُ

قلائد: عقود (وكانوا يشبهون القصائد بالعقود التي يرتديها المدحج أو المهجو فتظل معلقة بمنقه)

١٦٣ المال

قال أحمد شوقي في كتابه الثري «أسواق الذهب» الذي كتبه وهو في منفاه بإسبانيا
على شكل فقرات مسجوعة فيها الوصف والحكمة:

«يا مال! الدنيا أنت، والناس حيث كنت. حالك وحال الناس عجب، تَمْلِكُهُمْ مِنْ
المهْدِ، ويقولون أَصَبْنَا وَمَلَكْنَا؛ وَتَرْكُهُمْ عِنْدَ اللَحْدِ، ويقولون وَرَكْنَا وَتَرَكْنَا؛ مَنْ عَاشَرَ
قَوْمَهُ بِمَا مَلَكَ، وَمَنْ مَلَكَ تَسَاءَلُوا كَمْ تَرَكَ؟ المحرومُ مَنْ أَوْفَقَكَ، والضائعُ مَنْ
أُطْلِقَكَ، وهما فقيران: مَنْ جَمَعَكَ وَمَنْ فَرَّقَكَ. كثيرُكَ مَمٌّ، وقليلُكَ غَمٌّ، وَمَعَ
التوسُّطِ الخوفُ والطمعُ، والحرصُ والجشعُ، حَذَرُ الثَّغَاذِ، ورغبةٌ في الازديادِ.
الملكُ شوقٌ إِذَا نَزَلَ إِلَيْكَ، والشُّوقُ مَلِكٌ إِذَا عَلَا عَلَيْكَ. فسبحانَ مَنْ قَهَرَ بِكَ
الخلقُ، وقَهَرَكَ بِرجالِ الخُلُقِ».

١٦٤ الجمال

قال أحمد شوقي في كتابه الثري «أسواق الذهب» الذي كتبه وهو في منفاه بإسبانيا
على شكل فقرات مسجوعة فيها الوصف والحكمة، وهذه القطعة كانت تغلي في رأس
شوقي غلياناً، لأنه يعشق «الجمال» فجاءت من بين أخواتها في الكتاب.. غير مسجوعة،
وقد سودناها لك كي تمتع بهذا النثر الذي جل عن السجع فصار كأنه الشعر (بين
١٩١٥ و١٩١٩):

«جمعت الطبيعة حبرتها فكانت الجمال. وكان أحسنه وأشرفه ما حلّ في الهيكل الأديمي، وجاوز العقل الشريف والنفس اللطيفة والحياة الشاعرة. فالجمال البشري سيد الجمال كله، لا المثال البارغ استطاع أن يخلعه على الدمي الجسان، ولا للتيرات الزهر في ليالي الصحراء ما له من لمحة وبهاء، ولا لبديع الزهر وغريبه في شباب الربيع ما له من بشاشة وطيب. وليس الجمال يلمح العيون، ولا يبرق الشفوف، ولا هيّف القدود، ولا أسالة الخدود، ولا لؤلؤ الثنايا وراء عقيق الشفا، ولكن.. شعاع علويّ بسطه الجميل البديع على بعض الهياكل البشرية، يكسوها روعة ويجعلها سحراً وفنة للناس».

١٦٥ الأمس واليوم والغد

قال أحمد شوقي في كتابه الثري «أسواق الذهب» الذي كتبه وهو في منفاه بإسبانيا على شكل فقرات مسجوعة فيها الوصف والحكمة (بين ١٩١٥ و ١٩١٩):

الأمس: «أمس ما أمس، خطوة إلى الرّمس. جزء من عمرك حُضرت وفاته، وقبرت بيدك رفته. وهو أبو يومك، والولد سر أبيه، وجدك غدك، فاجعله النبيل في الجدود النّبية».

اليوم: «طلعت الشمس، ونفضت الخمس من ثراب أمس. فسبحان الذي ألهى بالأمل، وشغل بالعمل، واستنهض الإنسان لأعباء اليوم فحمل».

الغد: «يريد الملك القهار، مؤعده حواشي الأسحار، أو غرة النهار، حملت الفجاءات نجائبه، واشتملت على المستجدات حقايبه. هو الشخص الثالث في رواية الأيام والحوادث، والخلف من صاحبه والوارث».

١٦٦ مقتطفات

قال أحمد شوقي في كتابه الثري «أسواق الذهب» الذي كتبه وهو في منفاه بإسبانيا على شكل فقرات مسجوعة فيها الوصف والحكمة (بين ١٩١٥ و ١٩١٩):

المسجد الحرام: «حرم الله المظهر، وبيتة العتيق المُستّر، الذي وجّه إليه الوجوه، وفرص على عبادو أن يحجّوه؛ نظرت إليه المساجد في كلّ خمس، وقامت إليه قيام الحرياء للشمس».

الطلاق: «حلال.. عليه بشاعة الحرام، وحق.. يشره إليه اللثام، ويكره عليه الكرام».

الأسد: «طاغية الصَّحراء، وجبارُ العَراء، وأجرأُ مَنْ وَطِئَ الغبراء. عرشُهُ غابته، وِجْجَابُهُ مهابتُهُ، والوَحدةُ مجلسُهُ وصَحَابَتُهُ».

الكاتب العمومي: «يُمَثِّلُ مِنَ الجَهْلِ العامِّ، صنعتهُ القرونُ والأجيالُ. حَفَّارُهُ عَبَثُ الحاكم، وطَبِئَتُهُ غَفْلَةُ المحكوم، وَهُوَ الأُمِّيَّةُ على قارعةِ الطريق، لا يَجْمَعُهُ والحضارةُ مكانٌ».

السجع: «السَّجْعُ شعرُ العربيَّةِ الثاني؛ وكلُّ موضعٍ للشعرِ الرَّصِينِ محلٌّ للسَّجْعِ».

الشيخ المهندم: «أَيُّهَا الشَّيْخُ الْمُهَنْدَمُ، مَا عَرَّكَ بِالسَّنِّ حَتَّى لَبَسْتَ لِلصُّبَا ثِيَابَهُ، وَنَارَزْتَ حَفِيدَكَ شَبَابَهُ؟ إِنَّمَا مَثَلُكَ كَمَثَلِ الضَّرْسِ المَحْشُوِّ المَكْسُوِّ: نَزَعَ مِنْهُ العَصَبُ، وَخُلِيعَ عَلَيْهِ الدَّهَبُ».

١٦٧ خواطر

قال أحمد شوقي في كتابه الثري «أسواق الذهب» الذي كتبه وهو في منفاه بإسبانيا على شكل فقرات مسجوعة فيها الوصف والحكمة (بين ١٩١٥ و ١٩١٩):

ما نَبَّهَ عَلَى الفُضْلِ الكاذِبِ مِثْلُ الشَّائِ الكاذِبِ.

هَلَكْتُ أُمَّةً تَحْيَا بِفَرْدٍ وَتَمُوتُ بِفَرْدٍ.

الصَّالِحُونَ يَتُونُ أَنْفُسَهُمْ، وَالْمُضِلِّحُونَ يَتُونُ الْجَمَاعَاتِ.

الْمُنْتَحِيزُ لَا يُمَيِّزُ.

لَا سُلْطَانَ عَلَى الذَّوْقِ فِيمَا يُحِبُّ وَيَكْرَهُ.

الغَنِيُّ مَعَ الْفَقِيرِ فِي كِبْدٍ: إِذَا مَنَعَهُ حَسَدٌ، وَإِذَا أَعْطَاهُ حَقْدٌ.

قَدْ يُدَاوِيكَ مِنَ الْمَرَضِ اتِّقَاؤُهُ، وَلَا يُنْجِيكَ مِنَ الْمَوْتِ إِلَّا لِقَاؤُهُ.

قَلَمًا طَارَ اسْمُ الشَّاعِرِ فِي حَيَاتِهِ، فَوَقَعَ بَعْدَ مَمَاتِهِ.

عِنْدَ الْكَمَالِ، يَتَدَيُّ الْجَمَالُ.

لِلْجَمَالِ حِينَ يَزُولُ، جَلَالَةُ الْمَلِكِ الْمَعزُولِ.

رُبَّ اسْتِخْيَاءٍ تَحْتَهُ رِيَاءٌ.

كَأَدَ صَفْحُ الْوَالِدِ يَسْبِقُ ذَنْبَ الْوَلَدِ.

لو حَطَمَتِ السُّنُّ المرأةَ ما حَطَمَتْ مِرَاتَهَا.
 مِنْ عَاشَرَ وَعَاشَرَ أَمَلٌ مُحِبًّا أَوْ مَلٌّ مَحْبُوبًا.
 كَبُرَ الصَّغِيرِ قَبِيحٌ كَتَوَاضُعُهُ، كَلَامُهُمَا فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ.
 شُورَى مِنَ الْحَجَّاجِ وَزِيَادٍ، خَيْرٌ مِنَ الْقَرْدِ وَلَوْ كَانَ عَمْرُ.
 اللَّهُ أَعْيُنٌ، وَالنَّاسُ أَلْسُنٌ، فَأَيْنَ الْمَقَرُّ؟
 تَكَثَّرَ مِنَ الْحُسَادِ بِفَضْلِكَ، وَلَا تَتَكَثَّرُ مِنَ الْأَعْدَاءِ بِجَهْلِكَ.

١٦٨ ما أبعد النيل!

بعث شوقي، من منفاه بإسبانيا، إلى حافظ إبراهيم بواسطة داود بركات رئيس تحرير
 الأهرام ثلاثة أبيات (١٩١٧):

يا ساكني مِصْرَ إِنَّا لَا نَزَالُ عَلَى عَهْدِ الْوَفَاءِ، وَإِنْ غِبْنَا، مُقِيمِينَا
 يَا أَهْلَ مِصْرَ! نَحْنُ مُقِيمُونَ عَلَى الْعَهْدِ رَغْمَ غِيَابِنَا

هَلَّا بَعَثْتُمْ لَنَا مِنْ مَاءِ نَهْرِكُمْ شَيْئاً نَبْلُ بِهِ أَحْشَاءَ صَادِينَا
 هَلَّا بَعَثْتُمْ لَنَا مِنْ مَاءِ النَّيْلِ حَتَّى نَبْلُ أَحْشَاءَ صَادِينَا (القلب العطشان فينا)

كُلُّ الْمَنَاهِلِ، بَعْدَ النَّيْلِ، آيِنَةٌ مَا أَبْعَدَ النَّيْلُ إِلَّا عَنْ أَمَانِينَا
 كل المناهل (موارد الماء) بعد النيل آسنة (فاسدة)، والنيل بعيد إلا أننا نتمنى قربه كثيراً فهو قريب
 في أمانينا

رد حافظ إبراهيم يقول:

«عَجِبْتُ لِلنَّيْلِ يَدْرِي أَنَّ بُلْبُلَهُ/ صَادٍ، وَيَسْقِي زَيْبِي مِصْرَ وَيَسْقِينَا
 وَاللَّهُ مَا طَابَ لِلْأَصْحَابِ مَوْرَدُهُ/ وَلَا ارْتَضَوْا بَعْدَهُ مِنْ عَيْشِهِمْ لَنَا
 لَمْ تَتَأَنَّ عَنْهُ وَإِنْ فَارَقْتُ شَاطِئَهُ/ وَقَدْ نَأَيْنَا وَإِنْ كُنَّا مُقِيمِينَا»

١٦٩ أردتُ أعرفها من أنا

كان شوقي يردد هذه الأبيات كثيراً (١٩١٧):

رَأَيْتُ عَلَى صَخْرَةٍ عَقْرَباً وَقَدْ جَعَلَتْ ضَرْبَهَا دَيْدَنًا
 رَأَيْتُ عَقْرَباً عَلَى صَخْرَةٍ وَقَدْ جَعَلَتْ الْعَقْرَبُ ضَرْبَ الصَّخْرَةِ دَيْدَنًا (عادةً لها

فقلت لها: إِنَّهَا صَخْرَةٌ وطبعك مِنْ طبعِهَا أَلَجِنَا
فقلت لها: يا مجنونة! هذه صخرة، وهي أفسى من جسمك، وطبعك (بخلفتك) والين منها، فلا
فائدة من لسعها. وجد عمران الفضي مشكلة في نصب «ألينا» ودعاني إلى التأول لها. وأشار إلى
أنه رأى الأبيات في حياة الحيوان الكبرى للدميري. فهي إذن ليست لشوقي. حسناً، فلنضمر قبلها
«ما انفك» ولنصبها خبراً لها، أو لنضمر - وهذا اقتراح عمران - «وجدت»

فقالت: صدقت، ولكنني أردتُ أَعْرِفُهَا مَنْ أَنَا

١٧٠ رثاء أمه

وقال يرني والدته، ومات وهو في غربته بالأندلس، (١٩١٨):

إلى الله أشكو مِنْ عَوَادِي النَّوَى سَهْمَا أَصَابَ سُودَاءَ الْفَوَادِ وَمَا أَضْمَى
إلى الله أشكو سهماً من عوادي (مصائب) النوى (الفراق) أصاب سويداء (حبة) القلب، ولكنه لم
يُضْم (يقتل)

ولم أَرْ حُكْمًا كَالْمَقَادِيرِ نَافِذًا وَلَا كَلِفَاءِ الْمَوْتِ مِنْ بَيْنِهَا حُثْمَا

١٧١ وطني لو شغلت بالخلد عنه..

قال شوقي (١٩١٩):

إِخْتِلَافُ النَّهَارِ وَاللَّيْلِ يُنْسِي اذْكُرَا لِي الصَّبَا وَأَيَّامَ أَنْسِي
اختلاف النهار والليل على الإنسان (سير الزمن) يُنْسِي الأيام الحلوة، فاذكرا لي يا صاحبي أيام
الصبا والأنس

وسلا مصرَ هل سلا القلبُ عنها أو أسَا جَرَحَهُ الزَّمَانُ الْمُؤَسِّي
وسلا (أسألا) مصر هل سلا (انصرف) القلب عنها، أو هل أسَا (شغى) جرح القلب الزمان
المؤسي (الشافي)

كَلَّمَا مَرَّتِ اللَّيَالِي عَلَيَّ رَقَّ، وَالْعَهْدُ بِاللَّيَالِي تُقَسِّي
كلما مرت الليالي (الزمن) على قلبي صار أرق، والمعهود بمرور الزمن أن يُقَسِّي لا أن يرق

أَحْرَامٌ عَلَى بِلَابِلِهِ النَّوَى حُلَالٌ لِلطَّبِيرِ مِنْ كُلِّ جِنْسٍ
هل الدوح (الشجر) حرام (محرم) على بلابله، وحلال (محلل) للطير من الأجناس الأخرى؟
فشوقي منفي عن مصر، وبها من الأجانب أشكال وألوان

كُلُّ دَارٍ أَحَقُّ بِالْأَهْلِ إِلَّا فِي خَبِيثٍ مِنَ الْمَذَاهِبِ رَجِسٍ
البلد أحق بأهله إلا في مذهب (سلوك) المستعمرين الخيث الملوث بالرجس (الدنس)

وطني، لو شُغِلْتُ بالخلدِ عنه نازَعْتَنِي إليه في الخلدِ نَفْسِي

وطني! لو انشغلت عنه بالخلد (الجنة) لنازعني نفسي وأنا في الجنة تريد الوطن

وهَما بالفؤادِ في «سَلْسَبِيلٍ» ظمًا للسَّوادِ في عينِ شمسٍ

وفي عين السلسيل في الجنة سارى فؤادي قد هفا به (حرَّكه) الظمًا للسواد (الأرض المخضرة) في عين شمس (الضاحية القاهرة). البيت فيه عبث بالكلمات غير قليل، فعين شمس اسم مكان وسوادها أرضها المخضرة، وعين الإنسان لها سواد في وسطها، وعين الشمس ليس بها سواد بل هي مشرقة كل الإشراق؛ والسلسيل في البيت عين ماء في الجنة، وكلمة «سلسيل» هي التي جلبت كل هذا التداعي وإن لم يصفها الشاعر بكلمة عين. وشعر شوقي مراد للتداعي الحر. تراه يقول كلمة ثم تندفق كلمات وأفكار منبثقة من هذه الكلمة، ويشحن هذه الأفكار التي جاءت بطريق التداعي الباطني بمشاعره وآرائه

شَهِدَ اللَّهُ لَمْ يَغِبْ عَنْ جُفُونِي شَخْصُهُ سَاعَةً، وَلَمْ يَخْلُ جَسِي

لم يغيب عن جفوني سواد (خضرة) «عين شمس» بشخصه (بشكله المادي)، كما لم يخل إحساسي من أثره

يا فؤادي لكلِّ أمرٍ قرارٌ فيه يبدو وينجلي بَعْدَ لُبْسٍ

لكل أمر قرار (نهاية)، ولا بد للنفى من أن ينتهي

أَيْنَ مَرْوَانُ، فِي الْمَشَارِقِ عَرْشٌ أَمْوِيٌّ وَفِي الْمَغَارِبِ كُرْسِي

أين عهد مروان (يقصد بني مروان، وفي عهد الوليد بن عبد الملك بن مروان فتحت الأندلس؟) كان له عرش في دمشق شرقاً، وكُرسي (عرش) في المغرب، في الأندلس

وَعَظَّ الْبَحْتَرِيُّ إِيوَانُ كِسْرَى وَشَفَّنِي الْقُصُورُ مِنْ عِبْدِ شَمْسٍ

وعظ إيوان كسرى الشاعر البحتري، عندما ذهب إليه في خلوة روحية بعد مقتل الخليفة المتوكل؛ وأنا شفت نفسي قصور عبد شمس (بني أمية) في الأندلس

لَمْ يَرْعُنِي سَوَى ثَرَى قَرْطُطِي لَمَسْتُ فِيهِ عِبْرَةَ الدَّهْرِ خَمْسِي

لم يُدْخِلِ الروح (الرَّهبة) إلى قلبي سوى تراب قرطبة الذي لمسْتُ فيه عبرة الزمن بأصابعي الخمس كلها

قَرِيبَةٌ لَا تُعَدُّ فِي الْأَرْضِ، كَانَتْ تُمَسِّكُ الْأَرْضَ أَنْ تَمِيدَ، وَتُرْسِي

قرطبة الآن قرية لا قيمة لها في العالم، ولكنها كانت تمسك الأرض حتى لا تميد (تهتز) وترسيها على قواعدها، هذا في أيام عزها

سِنَّةٌ مِنْ كَرَى وَطِيفُ أَمَانٍ وَصَحَا الْقَلْبُ مِنْ ضَلَالٍ وَهَجَسِ

ذلك العز سنة من كرى (غفوة)، وطيف جاء في الأحلام بالأمان الجميلة، ثم صحا القلب من الضلال والهواجس

وَإِذَا الدَّارُ مَا بِهَا مِنْ أَنْبِيٍّ وَإِذَا الْقَوْمُ مَا لَهُمْ مِنْ مُجَسٍّ

فإذا الدار ما بها إنسان، وإذا القوم ليس لهم من يُجسُّ بهم، فقد رحلوا

مَشَتْ الْحَادِثَاتُ فِي غُرَفِ الْحَمْرِ رَاءَ مَشْيِ النَّعِيِّ فِي دَارِ عُرْسٍ

مشت الحادثات (المصائب) في غرف قصر الحمراء، كمشي النعي (خبر الموت) في دار بها عرس

لَا تَرَى غَيْرَ وَافِدِينَ عَلَى النَّارِ رِيحٌ سَاعِيَيْنَ فِي خُشُوعٍ وَنَكْسٍ

والآن ليس بقصر الحمراء سوى السياح الوافدين لمشاهدة قطعة من التاريخ، تراهم يمشون

خاشعين منكبين رؤوسهم

خَرَجَ الْقَوْمُ فِي كِتَابِ صُمٍّ عَنْ حِفَافٍ، كَمَوْكِبِ الدَّفَنِ خُرْسٍ

خرج العرب في كتاب صمّت آذانها عن حفاظ (غيرة على الشرف)، وكانت كتابهم خرساء

(صامتة) كموكب الدفن

رَكِبُوا بِالْبَحَارِ نَفْسًا، وَكَانَتْ تَحْتَ أَبَائِهِمْ هِيَ الْعَرْشُ أَمْسٍ

ركبوا البحر منهزمين إلى المغرب كأنما ركبوا النفس، والبحر نفسه ركبها آبأؤهم عرشاً عندما فتحوا

الأندلس

رَبِّ بَانٍ لِهَادِمٍ، وَجَمُوعٍ لِمُثِثٍ، وَمُخْسِنٍ لِمُخْسٍ

رب بانٍ يبنى الملك لحفيذه الذي يهدمه، ورب جموع (كثير الجمع) يجمع المال لمن يشته،

ومحسن يؤوز الفضائل لمخس (لمن يجعلها خيبة)

إِمْرَةُ النَّاسِ هِمَّةٌ لَا تَأْتِي لَجْبَانَ، وَلَا تَسْنَى لِحَبْسٍ

إمرة (قيادة) الناس همة (طموح) لا تأتي لجبان، ولا تسنى لحبس (ضعيف). قصيدة عامرة بأبيات الحكمة. عرف شوقي أن أبيات الحكمة تجلب لشعره السيورة، فتعمدها وصار يرصدها، وأقر بذلك. والقصد إلى الحكمة قصداً أضعف شعر شوقي. فهو إذ يعمل فكره في استخراج أبيات الحكمة يستهلك جزءاً من طاقته الشعرية فتبرد قصيدته، ولا تندفق. وفي هذه القصيدة يعارض شوقي البحري في سينته (صنت نفسي عما يندس نفسي وترفعت عن جلا كل

جبر)

١٧٢ ثورة ١٩١٩

قال شوقي في ثورة مصر (١٩١٩):

عَظَفَ الدَّهْرُ عَلَى ثَوَرِيكُمْ وَلَوَى النَّاسَ عَلَيْهَا مُعْجَبِينَ

عطف (أَمَالَ) الزمن على ثورتكم قلوب الناس، ولوى (أمال) الناس عليها وهم متعجبون منها، لأنها...

هَزَبَ اللَّيْثَ وَلَمَّا يَضُحُ مِنْ دَمٍ غَلِيْمٍ وَصِيْدٍ آخِرِينَ
هزت الأسد (أي إنجلترا، وشعارها الأسد)، ولما يَضُحُ من نشوة البطش بغليوم فيصر ألمانيا
وبالصَّيْدِ (الأسياذ) الآخرين الذين هُزموا في الحرب العالمية الأولى

قَامَ رَهْطٌ مِنْكُمْ فَاقْتَحَمُوا كِبْرِيَاءَ الْفَاتِحِينَ الظَّافِرِينَ
قام رهط (جماعة) منكم فاقتحموا كبرياء المتصرين. حلَّو تعبير «اقتحموا كبرياء الفاتحين»

اسْتَحَفَّ اللَّيْثُ إِجْمَاعَكُمْ وَهُوَ نَابُ الْعَجَمِ الدَّاهِي الرَّزِينَ
واستخفت إنجلترا بإجماعكم، وهي رأس الحربة في الأجانب، والداهية الرزينة

مُسْتَعِيدًا مِنْكُمْ بِاللَّوْ أَنْ تُصْبِحُوا الْهِنْدَ وَتُمْسُوا الصِّينَ فَيَنْ
استعاذ الأسد الإنجليزي بالله منكم لثلاث تصبحوا (في بدء أمركم) كالهند (وآنذاك كانت المقاومة
السلمية قد بدأت هناك)، وتُمْسُوا (بعد ذلك) مثل الصين - فين (منظمة «الشن فين» الإيرلندية التي
استخدمت العنف ضد الحكم البريطاني)

١٧٣ .. إذا أخلاقهم كانت خرابا

قال شوقي في اجتماع لجنة التموين، بُعيدَ عودته من منفاه بإسبانيا، (١٩٢٠):

وَدَاعَا أَرْضَ أَنْدَلُسٍ، وَهَذَا ثَنَائِي إِنْ رَضِيَتْ بِهْ ثَوَابَا
وَيَا وَطَنِي لَقِيْتُكَ بَعْدَ بَأْسٍ كَأَنِّي قَدْ لَقِيتُ بِكَ الشَّبَابَا
وَكُلُّ مُسَافِرٍ سَيُزْوِبُ يَوْمًا إِذَا رُزِقَ السَّلَامَةَ وَالْإِيَابَا
أُدِيرُ إِلَيْكَ قَبْلَ الْبَيْتِ وَجْهِي إِذَا فَهْتُ الشَّهَادَةَ وَالْمَتَابَا
أدير إليك يا وطني وجهي إذا تفوهت بالشهادة والمتاب (دعاء التوبة)

فَصَفْحًا لِلزَّمَانِ لَصَبْحِ يَوْمٍ بِهِ أَضْحَى الزَّمَانُ إِلَيَّ ثَابَا
صفحت عن الزمان ومصائبه لأنه ساق إليّ هذا الصباح الذي ثاب (عاد) الزمان إليّ به وصافاني

وَحَيَّا اللَّهَ فَثِيَانًا سِمَاحًا كَسَوْا عِظْفَيَّ مِنْ فَخْرِ ثِيَابَا
حيا الله الفتيان السّماح (السمحين الكرام) الذين كسوا عِظْفَيَّ (جانيّ) ثياباً من الفخر

عِبَادُكَ رَبِّ قَدْ جَاعُوا بِمَصْرِ أَنْيَلَا سُفَّتَ فِيهِمْ أَمْ سَرَابَا؟
أَمَّنْ أَكَلَ الْيَنِيمَ لَهُ عِقَابٌ وَمَنْ أَكَلَ الْفَقِيرَ فَلَا عِقَابَا؟
وليس بمامرٍ بُنْبَانٍ قَوْمٍ إِذَا أَخْلَقَهُمْ كَانَتْ خَرَابَا

١٧٤ مطبة لا تستريح

قال شوقي يرثي محمد فريد (١٩٢٠):

كُلُّ أَعْوَادٍ مِنْجَبِرٍ وَسَرِيرٍ بِاطْلٍ غَيْرَ هَذِهِ الْأَعْوَادِ

كل أعواد (أخشاب) منبر أو سرير (عرش) هي باطل سوى أعواد التابوت

تَسْتَرِيحُ الْمَاطِيَّ يَوْمًا، وَهَذِي تَنْقُلُ الْعَالَمِينَ مِنْ عَهْدٍ عَادٍ

كل الماطي (الدواب) تستريح يوماً، وأما هذه الماطية (التابوت) فهي تنقل الناس إلى القبر من عهد
قبيلة «عاده» البائدة

لَا وَرَاءَ الْجِيَادِ زِيدَتْ جَلَالًا مِنْذُ كَانَتْ، وَلَا عَلَى الْأَجْيَادِ

والتابوت منذ الأزل لا يزداد هبة إن مشى وراء الجياد (الخيول) في جنازة فخمة، ولا إن رُفِعَ فوق
الأجياد (الأعناق)، فهبة الجنازة هي هبة الموت لا هبة الموكب

هَلْ تَرَى كَالْتِرَابِ أَحْسَنَ عَدْلًا وَقِيَامًا عَلَى حُقُوقِ الْعِبَادِ

ما أعدل التراب وأحسن قيامه على حقوق الناس! أليس هو الذي يسوي بينهم؟

نَزَلَ الْأَقْوِيَاءُ فِيهِ عَلَى الضَّعْفِ وَحَلَّ الْمُلُوكُ بِالزُّهَادِ

١٧٥ المهد جسر المقبرة

قال شوقي يرثي الأميرة فاطمة إسماعيل (١٩٢٠):

لَا يَنْفَعُ الْمَيِّتَ سَوَى صَالِحَةٍ مُدْخَرَةٍ

لا ينفع الميت سوى صالحة (عمل صالح) يدخرها لآخرته

فَاطِمُ! مَنْ يَوْلَدُ يَمُوتُ الْمَهْدُ جَسْرُ الْمَقْبَرَةِ

يا فاطمة! كل من يولد يسموت، فالمهد ما هو إلا جسر يوصل للمقبرة

وَكُلُّ نَفْسٍ فِي غَدٍ مَيِّتَةٌ فَمُنْشَرَةٌ

كل نفس ستموت غداً، ثم يأتي النشور (البعث)

وَلِأَنَّهُ مَنْ يَعْمَلِ الْـ خَيْرَ أَوْ الشَّرَّ يَرَهُ

وَلِأَنَّمَا يُنَبِّئُهُ الْـ غَافِلٌ عِنْدَ الْفَرَاغَةِ

الغافل الأحق لا يتنبه للخير والشر إلا عند الفراغة (لفظ النفس الأخير)

يَلْفِظُهَا حَنْظَلَةً كَانَتْ بِفِيهِ سَكْرَةً

يلفظ روحه مرة كالحنظلة؛ وقد كانت من قبل حلوة في فمه كالسكر

وَلَنْ نَزَالَ مِنْ يَدٍ إِلَى يَدِ هَذِي الْكُورَةِ

الحياة كالكرة، وسنظل تنتقل من يد إلى يد

١٧٦ الشجاعة الحققة

قال شوقي (١٩٢٠):

إِنَّ الشَّجَاعَ هُوَ الْجَبَانُ مِنَ الْأَذَى وَأَرَى الْجَرِيءَ عَلَى الشُّرُورِ جَبَانًا

١٧٧ ليس بالقطن وحده

قال شوقي (١٩٢٠):

العَصْرُ حُرٌّ وَالشُّعُوبُ طَلِيْقَةٌ مَا لَمْ يَحْزُهَا الْجَهْلُ فِي أَرْسَانِهِ
العصر عصر حرية، والشعوب طليقة ما لم يحزها (بضمها) الجهل في أرسانه (الرسن: مقود الفرس)

أَيْنَ الزَّرَاعَةُ فِي جَنَّانٍ تَحْتَكُمُ كَحِمَائِلِ الْفِرْدُوسِ أَوْ كَجَنَّانِهِ
أين الزراعة في الجنان التي تعيشون فوقها والتي تشبه خمائل (بساتين) الفردوس

أَيْذَا أَصَابَ الْقُطْنُ كَاسِدُ سَوْقِهِ قُمْنَا عَلَى سَاقِي إِلَى أُنْمَانِهِ
أئذا أصابت القطن السوق الكاسدة، قمنا على سيقاننا فزعاً نراقب بورصة القطن وأسعاره

يَا مَنْ لَشَعْبٍ رَزُوهُ فِي مَالِهِ أَنْسَاهُ ذِكْرَ مُصَابِهِ بِكَيَانِهِ
يا من ينقذ هذا الشعب الذي أنساه رزؤه (مصيبته) في ماله مصابه (مصيبته) في كيانه

الْمُلْكُ كَانَ وَلَمْ يَكُنْ قُطْنٌ، فَلَمْ يُغْلَبْ أَبَوْتُنَا عَلَى عُمرَانِهِ
كان لنا ملك ولم يكن القطن يزرع في مصر، فلم يفشل أبوتنا (آباؤنا) في تعبير الملك

الْفَاطِمِيَّةُ شَيَّدَتْ مِنْ عِزِّهِ وَبَنَى بَنُو أَيُوبَ مِنْ سُلْطَانِهِ
الحكم الفاطمي شيد جزءاً من عز هذا الملك، وبني الأيوبيون جانباً من سلطانه

بِالْقُطْنِ لَمْ يَرْفَعْ قَوَاعِدَ مُلْكِهِ فِرْعَوْنٌ، وَالْهَرَمَانِ مِنْ بُنْيَانِهِ

وفرعون لم يرفع قواعد ملكه بالقطن، ومع ذلك فالهرمان من تشييده. يتابع شوقي المتنبي في الاكتفاء بهرمين، وهكذا صنع علي محمود طه في «الجنندول». ورأيت مؤرخين عرباً فعلوا ذلك، «قال الحوقلي في صفة مصر: وبها الهرمان اللذان ليس على وجه الأرض لهما نظير». على أن بمصر من الأهرام عدداً يزيد عن ٨١، ويوصله بعضهم إلى ١١٢. وقد زرت الأهرام مرة؛ جرتني صديقي إليها جراً لأنه «لا يجوز للإنسان أن يزور القاهرة ولا يزور أهرام الجيزة». كانت الحادية عشرة ليلاً، ونظرت إلى هرم خوفو فأرأيت منطلقاً فاستصغرت، ربما لأنني متمود على البنايات الواقعة عمودياً. على أن كتابي يقول إن هرم خوفو أكبر بناء شيد الإنسان على وجه الدهر

١٧٨ القريض الأصيل

قال شوقي (١٩٢١):

الشَّعْرُ صِنْفَانِ: قَبَاقٍ عَلَى قَائِلِهِ، أَوْ ذَاهِبٍ يَوْمَ قَبْلُ

الشعر صنفان: شعر يبقى أبد الدهر مفخرة لقائله، وشعر يتبخر يوم نظمه

مَا فِيهِ عَصْرِيٌّ وَلَا دَارِسٌ الدَّهْرُ عُمُرٌ لِلْقَرِيضِ الْأَصِيلِ

ليس في الشعر عصري ودارس (قديم)، فالقريض (الشعر) الأصيل عمره طويل بطول الزمن، أي أنه خالد

١٧٩ النيل

قال شوقي (١٩٢١):

مِنْ أَيِّ عَهْدٍ فِي الْقَرْيِ تَتَدَقَّقُ وَيَأْيُ كَفَّ فِي الْمَدَائِنِ تُغْدِقُ

من أي عهد وأنت تتدقق في القرى أيها النيل؟ ويأي كف تغدق (تمنح) على المدن الخيرات

وَمِنْ السَّمَاءِ نَزَلَتْ، أَمْ فُجِّرَتْ مِنْ غُلْبِ الْجِنَانِ جَدَاوِلًا تَتَرَفَّرُ

وهل نزلت من السماء، أم تفجرت من الجنة على هيئة جداول تترقق

وَبِأَيِّ نَوَلٍ أَنْتَ نَاسِجٌ بُرْدَةً لِلضَّفَّتَيْنِ جَدِيدُهَا لَا يَخْلُقُ

وبأي نول (آلة النسج) تنسج بردة (ثوباً/ من البات) لضفتيك، وهي جديدة دوماً لا تخلق (تهترئ)

دَيْنُ الْأَوَائِلِ فِيكَ دَيْنٌ مُرَوِّعٌ لِمَنْ لَا يُؤْلُهُ مَنْ يَقُوتُ وَيَرْزُقُ

دين القدماء الذين عبدوك دين مروءة وعرفان، فلم لا يؤله من يقوت (يطعم) ويرزق الناس!

مُتَقَفِّدٌ بَعْهُودِهِ وَوَعُودِهِ يَجْرِي عَلَى سَنَنِ الْوَفَاءِ وَيَضْدُقُ

النيل متقيد بوعوده فيفيض في مواسمه جارياً على سَنَنِ (طريقة) الوفاء

وَلِمَنْ هِيَ أَكَلُ قَدْ عَلَا الْبَانِي بِهَا بَيْنَ الثَّرِيَّا وَالثَّرَى تَتَنَسَّقُ

ولمن هذه الهياكل التي شيدها بُنائها؟ وهي منسقة واحداً بعد الآخر وتبدو، لارتفاعها، كالمعلقة بين التراب ونجوم الثريا

مِنْهَا الْمَشِيدُ كَالْبُرُوجِ، وَبَعْضُهَا كَالظُّوْدِ مُضْطَجِعٌ أَشْمٌ مُنْطَقٌ

منها ما هو كالبروج العالية، ومنها ما هو منبطح مفلطح كالجبل الأشم (العالي) المنطق (المحلّى) بنطاق أي حزام/ربما من السحب أو الشجر

أهو يشير إلى هرم منقرع وحوله حزام من ثلاثة أهرام صغيرة، أم إلى كل هرم تبدو حجارتها كالنطاق الملفت عليه؟

جُدُّدٌ كَأَوَّلِ عَهْدِهَا، وَحَيَالُهَا تَتَقَادَمُ الْأَرْضُ الْفَضَاءُ وَتَعْتَقُ

هذه الهياكل تبدو جديدة، وحيالها (بجانبها) الأرض الفضاء (الفسحة) تتقدم وتصبح عتيقة

مِنْ كُلِّ ثِقَلٍ كَاهِلُ الدُّنْيَا بِهِ تَعِيبُ، وَوَجْهُ الْأَرْضِ عَنْهُ ضَيِّقُ

هذه الهياكل مكونة من كل ثقل يتعب منه كاهل (ظهر) الأرض، ويضيق به وجهها

مَتَمَكَّنٌ كَالطُّودِ أَصْلًا فِي الثَّرَى، وَالْفَرْعُ فِي حَرَمِ السَّمَاءِ مُحَلَّقُ

هذا الثقل أصله (قاعدته) متمكن في الثرى (التراب) كالطود (الجبل)، وأما فرعه (رأسه) فمحلق

في حرم السماء (والسما محرمة على الإنسان لعدم الجناح، فهي إذن حرم)

هِيَ مِنْ بِنَاءِ الظُّلَمِ، إِلَّا أَنَّهُ يَبْيَضُّ وَجْهُ الظُّلَمِ مِنْهُ وَيُشْرِقُ

هذه الهياكل بناء مؤسس على الظلم والسخره، لكنها مفخرة تُخَسِّنُ وجه الظلم لعظمتها

وَنَجِيَّةٌ بَيْنَ الطُّفُولَةِ وَالصَّبَا عِذَاءُ تَشْرِبُهَا الْقُلُوبُ وَتَعْلَقُ

وربّ فتاة نجية بين سن الطفولة والصبا، أُنيسة حتى لتشربها القلوب وتعلقها (تعشقها)

كَانَ الرِّفَافُ إِلَيْكَ غَايَةً حَظًّا وَالْحِظُّ إِنْ بَلَغَ النِّهَايَةَ مُوَبِّقُ

هذه الفتاة كانت نهاية حظها أن رُفَّتْ إليك، والحظ إن بلغ بالإنسان النهاية موبق (ميت)

فِي كُلِّ عَامٍ دُرَّةٌ تُلْقَى بِهَا ثَمَنِي إِلَيْكَ، وَحُرَّةٌ لَا تُصَدَّقُ

في كل عام كان قدماء المصريين يلقون إليك أيها النيل بتأ كالدره بلا مقابل، ويعطونك امرأة حرة

لا تُصَدَّقُ (لا تأخذ مهرًا)

والحرة من النساء لها صداق، والأمة المسكينة صداقها عتقها في قول من قال ذلك

وَالْمَجْدُ عِنْدَ الْغَانِيَاتِ رَغِيْبَةٌ يُبْعَى كَمَا يُبْعَى الْجَمَالُ وَيُعْتَقُ

والحسان يرغبن في المجد، وهن يسمعن إليه سعيهن إلى الجمال (التجميل) . . والتجميل

مَا أَجْمَلَ الْإِيمَانَ لَوْلَا ضِلَّةٌ فِي كُلِّ دِينٍ بِالْهَدَايَةِ تُلْصَقُ

الإيمان جميل لولا ضلة (خرافة) في كل دين تلتصق بالهداية

مَجْلُوءَةٌ بِالْفُلْكِ يَحْدُو فُلُكُهَا بِالشَّاطِئِينَ مُرْغَرِدٌ وَمُصَفَّقُ

وهذه الفتاة مجلوة (مزينة) في الفلك (السفينة) ويحدو (يغني) للسفينة على الشاطئين المزغردون

والمصفقون

أَلَقْتُ إِلَيْكَ بِنَفْسِهَا وَنَفْسِهَا وَأَتَشَكُّ شَيْقَةَ حَوَاهَا شَيْقُ

ألقت إليك الفتاة بنفسها وبما عليها من نفس الجواهر، وجاءتك مشتاقة للموت في سبيل المجد،

وأنت تهتلعها مشتاقاً إليها

خَلَعْتَ عَلَيْكَ حَيَاءَهَا وَحَيَاتَهَا أَأَعَزُّ مِنْ هَذَيْنِ شَيْءٌ يُنْفَقُ

أعطتك حياءها وحياتها، فهل هناك أعز من هذين؟

قَوْمٌ وَقَارُ الدِّينِ فِي أَخْلَاقِهِمْ وَالشَّعْبُ مَا يَعْتَادُ أَوْ يَتَخَلَّقُ

المصريون تَأصل في أخلاقهم وقار الدين، والشعب هو ما يعتاده ويتخلق به من أخلاق

أَصْلُ الْحَضَارَةِ فِي صَعِيدِكَ ثَابِتٌ وَنَبَاتُهَا حَسَنٌ عَلَيْكَ مُخَلَّقٌ

أيها النيل أصل الحضارة ثابت في صعيدك (ترابك)، ونبات هذه الحضارة من هياكل وأهرام زين لك مخلوق (مطيب بالخلوق وهو من الزعفران)

وَوَدَائِعُ الْفَارُوقِ عِنْدَكَ دِينُهُ وَلِوَاءُهُ وَبَيَانُهُ وَالْمَنْطِقُ

وقد أودع الفاروق عمر بن الخطاب عندك دينه (الإسلام) ولواءه (حُكْمَهُ) وبيانه ومنطقه (لغته/ اللغة العربية)

بَعَثَ الصَّحَابَةَ يَحْمِلُونَ مِنَ الْهُدَى وَالْحَقِّ مَا يُحْيِي الْعُقُولَ وَيَفْتُقُّ

بعث القاروق الصحابة يفتحون مصر، وحملوا إليها الدين الذي أحيا العقل وفتق اللسان باللغة العربية

يَبْنُونَ لِلَّهِ الْكِنَانَةَ بِالْقِنَا وَاللَّهُ مِنْ حَوْلِ الْبِنَاءِ مُوَفَّقٌ

ينون بالقنا (بالرماح) الكتانة (مصر) لله بعد أن كانت لألهة أخرى، والله يحوطهم ويوفقهم

وَالْفَتْحُ بَغْيٌ لَا يَهُونُ وَقَعُهُ إِلَّا الْعَفِيفُ حَسَامُهُ الْمَتَرَفُّ

الفتح ظلم، ولكن ما هوئه عفة الحسام وترفق الفاتحين بأهل البلد

مَا كَانَتْ الْفُسْطَاطُ إِلَّا حَائِطًا يَا أَوِي الضَّعِيفُ لِرُكْنِهِ وَالْمُرْهَقُ

ولم تكن القسطاط (وهي أول ما اختط عمرو بن العاص بمصر من مدائن) إلا جداراً يحتمي به كل ضعيف أرهقته ضرائب البطالة

وَبِهِ تَلُودُ الطَّيْرِ فِي طَلَبِ الْكُرَى وَبِيبِئْتُ قَبِصْرُ وَهُوَ مِنْهُ مُؤَزَّقٌ

وحتى الطير تلود (تلجأ) بهذا الجدار طلباً للكرى (النوم)، وأما قبصر البطالة فيبت بسبب بناء القسطاط مؤزقاً (ساحراً قلناً)

لِي فِيكَ مَدْحٌ لَيْسَ فِيهِ تَكْلُفٌ أَمَلَاهُ حُبٌّ لَيْسَ فِيهِ تَمَلُّقٌ

أمدحك أيها النيل بلا تكلف، ويملي هذا المدح علي حب ليس فيه تملق

مِمَّا يُحْمَلُنَا الْهَوَى لَكَ أَفْرَحُ سَنَطِيرُ عَنْهَا وَهِيَ عِنْدَكَ تُرَزَّقُ

والذي يحملنا بالحب لك أبناؤنا الذين سنموت وتركهم ورزقهم عليك

تَهْفُو إِلَيْهِمْ فِي التَّرَابِ قُلُوبُنَا وَتَكَادُ فِيهِ بِغَيْرِ عِرْقٍ تَخْفُقُ
تَهْفُو (تتحرك) قلوبنا ونحن موتى في التراب إشفافاً على أبنائنا، وتكاد قلوبنا الميتة تخفق بلا
عروق

تُرْجَى لَهُمْ، وَاللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ مَنَّا وَمِنْكَ بِهِمْ أَبْرُ وَأَرْفَقُ
وأنت المرجو لهؤلاء الأبناء؛ والله أبرُّ وأرفقُ بهم منا ومنك

فَاحْفَظْ وَدَائِعَكَ الَّتِي اسْتَوْدَعْتَهَا أَنْتَ الْوَفِيُّ إِذَا أُوْتِمِنْتَ الْأَصْدَقُ
فاحفظ يا نيل ما استودعناك من ودائع، أي أبنائنا، فأنت الوفي

١٨٠ نشيد مصر

قال شوقي:

بَنِي مِصْرٍ مَكَانُكُمْ تَهْيَا فَهَيَّا مَهْدُوا لِلْمُلْكِ هَيَّا
يا بني مصر! مكانكم تها، فمهّدوا للملك

خُذُوا شَمْسَ النَّهَارِ لَهُ حُلِيًّا أَلَمْ تَكُ تَاجَ أَوَّلِكُمْ مَلِيًّا
وخذوا الشمس جليلة لملككم، فقد كان قرص الشمس تاج الفراعنة ملياً (طويلاً).
ويصر العقاد، ويتبعه مصطفى صادق الرافعي، على أن قرص الشمس لم يكن قط
حلية لتاج مصر بل معبود وحسب. وقد قص علينا العقاد في كتاب الديوان قصة
طويلة عن ظروف فوز هذا النشيد بجائزة اللجنة المشكلة لاختيار كلمات نشيد وطني.
وهو يتقد كل حرف فيه، وقال في نقده للبيت الأول: «فمن الذي يأمر المصريين هنا
ويناقدونهم هذه المناقشة؟ أأجني يخاطبهم؟»

١٨١ تحرك أبا الهول

قال شوقي (١٩٢١):

أَبَا الْهَوْلِ! طَالَ عَلَيْكَ الْعُصْرُ وَبُلُغْتَ فِي الْأَرْضِ أَقْصَى الْعُمُرِ
يا أبا الهول طال عليك العصر (الزمان)، وبُلُغْتَ الله عمراً طويلاً

فِيَا لِدَّةَ الدَّهْرِ! لَا الدَّهْرُ شَبٌّ وَلَا أَنْتَ جَاوَزْتَ حَدَّ الصَّغَرِ
فيا لدة الدهر (رفيق الدهر/ الذي ولد معه)، لا الدهر بلغ شبابه، ولا أنت تجاوزت طفولتك

إِلَامَ رَكُوبِكَ مَثَرُ الرَّمَالِ لِظَيِّ الْأَصِيلِ وَجُوبِ السَّحَرِ
إلام (إلى متى) نظل راكباً متن (ظهر) الرمال لكي تطوي الأصيل (الغروب) وتجوب وقت السحر
(قبيل الفجر)

تُسَافِرُ مُنْتَقِلًا فِي الْقُرُونِ فَأَيَّانَ تُلْقِي غِبَارَ السَّفَرِ
وبهذا الطي والجوب تسافر في القرون وأنت ماكت مكانك؛ فأبان (فتى) تنفض عنك غبار السفر
وتصل إلى غايتك؟

أَبَيْتَكَ عَهْدٌ وَبَيْنَ الْجِبَالِ تَزُولَانِ فِي الْمَوْعِدِ الْمُنتَظَرِ
هل بينك وبين الجبال عهد ألا تزولا إلا معاً في الموعد المنتظر (يوم القيامة)

أَبَا الْهَوْلِ مَاذَا وَرَاءَ الْبَقَاءِ إِذَا مَا تَطَاوَلَ غَيْرُ الضَّجَرِ
يا أبا الهول! ماذا بعد طول البقاء سوى الضجر؟

عَجِبْتُ لِلْقِمَامَانِ فِي حَرْصِهِ عَلَى «لَبِيدٍ» وَالنَّسُورِ الْأَخْرِ
عجبت للقمان الحكيم في حرصه على البقاء، فقد أعطي عمراً بعمر سبعة نُسُور متعاقبة، وكان
آخرها النسر «لَبِيد» وكان عليه حرصاً

وَشَكَوَى «لَبِيدٍ» لِطُولِ الْحَيَاةِ وَلَوْ لَمْ تَطُلْ لَتَشَكَّى الْقِصَرِ
وعجبت لشكوى «لبيد» الشاعر من طول الحياة، ولو لم تكن حياته طويلة لاشتكى قصرها

وَلَوْ وَجَدْتَ فِيكَ يَا ابْنَ الصَّفَاةِ لَحِقْتُ بِصَانِعِكَ الْمُقْتَدِرِ
ولو وجدت الحياة فيك يا ابن الصفاة (الصخرة)، لكنت لحقت بصانعك المقتدر الذي
نحتك ومات

فَإِنَّ الْحَيَاةَ تَقُلُّ الْحَدِيدَ إِذَا لَبَسَتْهُ، وَتُبْلِي الْحَجَرَ
فالحياة تقل الحديد إذا لبسته (لزمته)، وتبلي (تهراً) الحجر

كَأَنَّ الرَّمَالَ عَلَى جَانِبَيْكَ وَبَيْنَ يَدَيْكَ ذُنُوبُ الْبَشَرِ
كَأَنَّكَ فِيهَا لَوَاءُ الْقَضَاءِ عَلَى الْأَرْضِ أَوْ دِيدَانُ الْقَدَرِ
كَأَنَّكَ فِي الرمال لواء (عَلَم) القضاء، أو ديدانُ (حارس) القدر

فَحَدَّثَ فَقَدْ يُهْتَدَى بِالْحَدِيثِ وَخَبِرَ فَقَدْ يُؤْتَسَى بِالْخَبَرِ
فحدثنا بما مر بك فقد يُهْتَدَى بحديثك، وخبرنا فقد يُؤْتَسَى (يُتَعَطَّ) بما تخبر

أَلَمْ تَبْلُ فِرْعَوْنَ فِي عِزِّهِ إِلَى الشَّمْسِ مُعْتَزِيًّا وَالْقَمَرِ
أَلَمْ تَبْلُ (تخبر) فرعون في أيام عزه وهو يعتري (يتسبب) إلى الشمس والقمر، فهو ابن إلهي
الشمس والقمر

وراعَكَ ما راعَ مِنْ خيلٍ قَنَبِيٍّ زَرَّ تَرْمِي سَنابِكُها بالسَّوَرِ
وقد راعك (أخافك) ما راعك من خيل قنبيز ملك الفرس التي راحت سنابكها (أطراف حوافرها)
ترمي الشرر إذ ترتطم بالصخور

وأبصرتْ إِسْكَندراً في المَلا قَنَيبَ العُلا في الشَّبابِ النَّضِرِ
وأبصرت الإسكندر في الملا (في الجمع من جنوده) وهو قنيب (جديد) العلا (المجد)، وكان في
شبابه النضر

تَبَلَّجَ في مِصرَ إِكْلِيلُهُ فلم يَغْدُ في المُلْكِ عُمَرَ الرَّهَرِ
تبلج (أشرق) في مصر إكليله، ثم لم يغد (يتجاوز) في الملك عمر الأزهار

وشاهدتْ قَيْصَرَ كيف استَبَدَّ وكيف أذَلَّ بِمِصرَ القِصَرَ
القَصْر: (الرقاب)

وكيف تَجَبَّرَ أَعوانُهُ وساقُوا الخلائِقَ سَوْقَ الحُمُرِ
ورأيت كيف تجبر أعوان قيصر الرومان وساقوا الناس سوق الحمير

وكيف ابْتَلُوا بِقَلِيلِ العَدِيدِ مِنْ الفاتِحِينَ كَرِيمِ النَّفَرِ
وكيف ابتلي هؤلاء الأعوان من الرومان بالعدد القليل من الفاتحين، وهذا العديدُ كريمُ نفرًا

رَمَى تاجَ قَيْصَرَ رَمِي الزُّجاجِ وَقَلَّ الجُمُوعَ وَقَلَّ الشُّرُرُ
هذا العديد القليل من الفاتحين رمى تاج قيصر فانكسر كأنه الزجاج، وقرق الجموع وتل (هدم)
الشُّرُر (العروش/فسرير الحكم هو العرش)

فَدَعُ كُلَّ طاعِيَةٍ لِلزَّمانِ فَإِنَّ الزَّمانَ يُقِيمُ الصَّعَرَ
فاترك يا أبا الهول كل طاعة للزمان، فالزمان يقيم (يقوم) الصَّعَر (ميل الرؤوس/والمتكبر يُميل
رأسه ميلاً خفيفاً)

أبا الهولِ لو لم تكن آيَةً لكان وفاؤُكَ إحدى العِبرِ
ولو لم تكن أنت آية (برهاناً) لكان وفاؤك عبرة

أظَلَّتْ على الهَرَمَيْنِ الوقوفَ كَشاكِلَةٍ لا تَرِيْمُ الحُفَرَ
فمن وفائك وقوفك طويلاً بجانب الهرمين كأنك المرأة الفاقد التي لا تريم (تبتعد) عن الحُفَر التي
دفن في إحداها ابنها

تُرَجِّي لِبانِيهِما عَوْدَةً وكيف يعودُ الرَمِيمُ النَّخِرَ
وأنت قاعد بجانبهما كأنك تُرَجِّي (ترجو) لمن بناهما عودة للحياة، وكيف يعود الجثمان الرميم
(البالي) النخر (المنخور الأجوف)

فَهَلْ مَنْ يُبْلَغُ عَنَّا الْأُصُولُ بِأَنَّ الْفُرُوعَ اقْتَدَتْ بِالسَّيَرِ
 فهل ثمة من يبلغ الأصول (الأجداد) بأن الفروع (الأحفاد) اقتدوا بسيرة أجدادهم
 وَلَمْ تَفْتَحِرْ بِأَسَاطِيلِهَا وَلَكِنْ بِدُسُورِهَا تَفْتَحِرْ
 وأن الأحفاد لم يفتخروا بأساطيلهم بل بدسورهم

تَحَرَّكَ أبا الهول! هذا الزمان تَحَرَّكَ ما فيه حتى الحجر

١٨٢ الضاد سر الجمال

قال شوقي في حفل ترحيب بأمين الريحاني (١٩٢٢):

إِنَّ الَّذِي مَلَأَ اللُّغَاتِ مَحَاسِنًا جَعَلَ الْجَمَالَ وَسْرَهُ فِي الضَّادِ

١٨٣ سماح لضيق الوقت

قال شوقي (١٩٢٢):

اغْفِرْ لِحَاسِدٍ نَعْمَةٍ بِالْأَمْسِ نَالَكَ، أَوْ وَقَعَ
 وقع: وقع فيك، أي ذمك ونال منك

ما في الحياة لَإِنْ تُعَا نَبْ أَوْ تُحَاسِبَ مُتَّعِ

١٨٤ دستور وبرلمان

جاء نصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ ليلغي الحماية عن مصر، ويعترف بها مملكة مستقلة، ذات سيادة، مع احتفاظ بريطانيا بالدفاع عنها وعن السودان في حال التدخل الأجنبي. أما الاستقلال فقد أعلن رسمياً في ١٥/٣/١٩٢٣ وشكلت لجنة من ٣٠ مصرياً بارزاً لوضع الدستور. قال أحمد شوقي في نصريح إلغاء الحماية (١٩٢٢):

أَعِدَّتِ الرَّاحَةُ الْكَبِيرَى لِمَنْ تَعَبَا وَفَارَ بِالْحَقِّ مَنْ لَمْ يَأْلُهُ طَلِبَا
 لم يأله طلباً: لم يقصُر في طلبه

لَا تُثَبِّتِ الْعَيْنُ شَيْئاً أَوْ تَحَقُّقُهُ إِذَا تَحَبَّرَ فِيهَا الدَّمْعُ وَاضْطَرَبَا
 لا تبصر العين بوضوح إذا تفرق فيها الدمع، وكذلك فإن الإنسان المتفعل لا يكون ذهنه واضحاً

وَالصَّبْحُ يُظْلِمُ فِي عَيْنِكَ نَاصِعُهُ إِذَا سَدَلْتَ عَلَيْكَ الشُّكَّ وَالرَّيْبَا
 والصبح الناصع يصبح ظلاماً في عينيك إذا سَدَلْتَ (أُنزَلَتْ) على نفسك الرَّيْبَ (الشكوك)

إذا طلبتَ عظيماً فاضِبرْهُ لَهُ أو فاحشِذَنَّ رِمَاحَ «الْخَطِّ» وَالْقُضْبَا
إذا أردتَ تحقيقَ أمرٍ عظيمٍ فعليك بالصبر، أو بحشد رماح «الخط» (الرماح المنوية إلى مرفأ
«الخط» في البحرين) والقُضْب (السيوف)

ولن تَرَى صُحْبَةً تُرَضَى عَوَاقِبُهَا كالحقِّ والصبرِ في أمرٍ، إذا اصطَحَبَا
ولن تجد صحبة ترضيك عواقبها (نتائجها) كاصطحابك الحق والصبر معاً

لا تَعْدَمُ الهِمَّةُ الكبرى جَوَازِهَا سَيَّانٍ: مَنْ غَلَبَ الْأَيَّامُ أَوْ غُلِبَا
لا تعدم (لا تفتقد) الهمة الكبيرة جوازها (ثمراتها)، ويستوي في ذلك من حقق النصر على مصائب
الأيام أو من هُزم

وكلُّ سَعْيٍ سَيَجْزِي اللَّهُ سَاعِيَهُ هيهات يذهب سَعْيُ الْمُحْسِنِينَ هَبَا
هَبَا: هباء

لم يُبْرَمْ الأمرُ، حتى يستبينَ لَكُمْ أساءَ عَاقِبَةً أَمْ سَرَّ مُنْقَلَبَا
لم يتم إبرام الأمر (نيل السيادة) بعد، ولذلك لم يستبين (لم يظهر) لكم بعد هل عاقبت (نتيجته) سيئة
أم سارة

تَمَهَّدَتْ عَقَبَاتٌ غَيْرُ هَيِّنَةٍ تلقى رِكَابُ السُّرَى مِنْ مِثْلِهَا نَصْبَا
تمهدت حتى الآن عقبات (طرق جبلية صعبة) غير سهلة، وهي عقبات تلاقي رِكَابُ السُّرَى (الإبل)
المائرة (ليلاً) من أشباهها نصباً (نعباً)

وَأَقْبَلْتُ عَقَبَاتٌ لَا يُذَلِّلُهَا، في موقف الفصلِ، إِلَّا الشَّعْبُ مُتَخِجَا
وأقبلت علينا عقبات أخرى لا يذللها (يسهلها) في موقف الفصل إلا الشعب عندما يتخبط مثليه

إذا رَأَيْتَ الهوى في أمةٍ حَكَمًا فاحْكُمْ هُنَالِكَ أَنَّ الْعَقْلَ قَدْ ذَهَبَا
إذا رأيت الهوى (المصلحة الشخصية) متحكماً في أمة فاحكم عندئذ بأن عقلها قد ذهب

قالوا: الحمايةُ زالت، قلتُ: لا عجبُ بل كان باطلُها فيكم هو العجبا
قالوا: الحماية البريطانية زالت، فقلت: لا عجب في ذلك، بل العجب كان وجود هذا الباطل

يا ابنَ السَّنا عالياً، والعزُّ مُمْتَنِعَا والبأسُ مُحْتَدِمَا، والعُرفُ مُنْسَكِبا
يا ابن السنا (الشرف)، وابن العز المصون، وابن البأس المحتدم (المُتَقَدِّم)، والعُرف (المعروف) المتدفق . .

بإِ الْمَلُوكِ بهذا التاجِ، إِنَّ لَهُ في جَوْهَرِ الشَّمْسِ، لا في الناسِ، مُتَسَبَا
بإِ (قم بالمباهاة) الملوك بتاج مصر، فهو تاج يرجع في نسبه إلى جوهر (أصل) الشمس وليس إلى
الناس، والشمس معبود الفراعنة

وَبَقِيَ عَلَيْهِمْ بِعَرْشٍ غَيْرِ ذِي لَدَّةٍ مِنْ عَهْدِ «خوفو» عَلَى الْمَاءِ اسْتَوَى عَجَبًا
وَبَقِيَ (لَكَ أَنْ تَبْقَى وَتَفْخَرُ) عَلَى الْمُلُوكِ بِعَرْشٍ لَيْسَ لَهُ لَدَّةٌ (مِثْلُ)، وَهُوَ عَرْشٌ اسْتَوَى (اسْتَقَرَّ مُسْتَوِيًّا)
عَلَى الْمَاءِ (النَّيْلِ) مِنْ عَهْدِ «خوفو»

وَإِنْ لِلْمَجْدِ آفَاتٌ إِذَا جُمِعَتْ وَجَدْتَهُنَّ اثْنَتَيْنِ: الْحَقْدَ وَالْغَضْبَا
وَلِلْمَجْدِ آفَاتٌ (عُيُوبٌ) تَتَلَخَّصُ فِي عَيْنَيْنِ: الْحَقْدَ وَالْغَضْبَ

إِنْ سَرَّكَ الْمُلْكُ تَبْنِيهِ عَلَى أُسْرِ فَاسْتَنْهَضِ الْبَائِيَّيْنِ: الْعِلْمَ وَالْأَدْبَا
اسْتَنْهَضَ (ادْفَعْ لِلنَّهْوضِ) الْعَنْصَرَيْنِ اللَّذَيْنِ يَبْنِيَانِ الْمُلْكَ وَهُمَا الْعِلْمُ وَالْأَدَبُ

وَارْفَعْ لَهُ مِنْ بِنَاءِ الْحَقِّ قَاعِدَةً وَمُدَّ مِنْ سَبَبِ الشُّورَى لَهُ طُنْبًا
وَارْفَعَ لِلْمُلْكِ قَاعِدَةً هِيَ الْحَقُّ، وَمُدَّ لَهُ مِنْ سَبَبِ (خَبَلِ) الشُّورَى طُنْبًا (حِجَالِ الْخِيَمَةِ)، فَكَانَ الْمُلْكُ
خِيَمَةً أَرْضَهَا الْحَقُّ وَالْحِجَالُ الَّتِي تُشَدُّهَا هِيَ الشُّورَى

دَارُ النِّيَابَةِ قَدْ صُفِّتْ أَرَائِكُهَا لَا تُجْلِسُوا فَوْقَهَا الْأَحْجَارَ وَالْخَشَبَا

دَارُ مَجْلِسِ النَّوَابِ اكْتَمَلَتْ وَصِفَتْ فِيهَا الْأَرَاثُكُ (الْمَقَاعِدُ)، فَلَا تُجْلِسُوا فَوْقَهَا الْجِهْلَةَ
الَّذِينَ هُمْ كَالْحِجَارَةِ وَالْخَشَبِ. الْبِرْلَمَانُ الْمِصْرِيُّ الْأَوَّلُ افْتَتَحَ فِي ١٩٢٤/٣/١٥،
كَانَ النَّوَابُ ٢١٤، وَالشُّيُوخُ ١١٩، وَأَمَامَهُ حَلَفَ الْمُلْكُ الْمَمْدُوحُ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ
أَحْمَدُ فُؤَادُ الْيَمِينِ: «أَحْلَفَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ أَنْ أَحْتَرِمَ الدِّسْتُورَ وَقَوَانِينِ الْأُمَّةِ الْمِصْرِيَّةِ،
وَأَحَافِظُ عَلَى اسْتِقْلَالِ الْوَطَنِ وَسَلَامَةِ أَرْضِيهِ». وَكَانَ رَئِيسُ الْوُزَرَاءِ آنَئِذٍ سَعْدُ زُغَلُولُ

١٨٥ رثاء كارنارفون

يُرْتِي شَوْقِي اللَّوْرِدَ كَارْنَارْفُون، الَّذِي مَوَّلَ كَشْفَ مَقْبَرَةِ تَوْتِ عَنخْ آمُون، بَيْنَمَا قَامَ بِالْحَفْرِ
وَالْبَحْثِ الْأَثَارِيِّ هُوَارْدُ كَارْتَر، وَحَدَّثَ الْكَشْفَ فِي ١٩٢٢/١١/٤. وَمَاتَ كَارْنَارْفُونُ
بَعْدَ الْكَشْفِ بِأَسَابِيعٍ مِنْ بَعْوَضَةِ لِسَعْتِهِ بِأَسْوَانٍ فِي الصَّعِيدِ. وَكَانَتْ بَرِيطَانِيَا الَّتِي تَحْتُلُ
مِصْرَ أَعْطَتْ كَارْنَارْفُونُ امْتِيَازَ التَّنْقِيبِ فِي وَادِي الْمُلُوكِ. (١٩٢٣):

فِي الْمَوْتِ مَا أَعْيَا وَفِي أَسْبَابِهِ كُلُّ امْرِئٍ رَهْنٌ بِطَبِّي كِتَابِهِ
فِي الْمَوْتِ مَا أُنْعَبُ (أَعْيَا) الْفِكْرَ، وَكَذَا فِي أَسْبَابِ حَدُوثِ الْمَوْتِ! وَالْمَرْءُ مَرْهُونٌ بِطَبِّي
(بِمَضْمُونِ) كِتَابِهِ (قَدَّرَهُ)

إِنْ نَامَ عَنْكَ فَكُلُّ طَبِّ نَافِعٌ أَوْ لَمْ يَنْمَ فَالطَّبُّ مِنْ أَذْنَابِهِ

إِنْ نَسِيتَ الْمَوْتَ ظَنَنْتَ الطَّبَّ نَافِعًا، وَإِنْ تَذَكَّرْتَ الْمَوْتَ فَكَانَ الطَّبُّ - وَأَخْطَاءُ الْأَطْبَاءِ - مِنْ أَذْنَابِهِ
(مِنْ أَعْوَانِ الْمَوْتِ)

داء النفوس، وكلُّ داءٍ قبلَهُ هَمٌّ نَسِينَ مَجِيئَهُ بِذَهَابِهِ
الموت هو مرض النفوس الحقيقي، وكل مرض يلم بالنفوس قبل الموت هو مجرد هم تنسى
النفوس مجيئه فور ذهابه

وشفاء هذي الروح من آلامها ودواء هذا الجسم من أوصابه
والموت أيضاً شفاء، فهو يخلص الروح من آلامها، ويخلص الجسم من أوصابه (أوجاعه)، إذ لا
مرض بعد الموت

من سرَّهُ ألا يموتَ . . فيالعلّا خَلَدَ الرجالُ، وبالفعلِ النَّابِ
من أحب أن لا يموت، فإن الرجال يخلدون بالعلّا (بالمجد) وبالفعل الناب (بالأفعال الحسنة
الذائعة الصيت)

ما ماتَ مَنْ حازَ الثَّرَى آثارَهُ واستولتِ الدنيا على آدابه
لم يمت من له في التراب آثار، ومن تخاطفت الدنيا آدابه، كتوت عنخ آمون

هذا فتى يمشي عليه مُجَدِّدٌ دِيْباجَتِيهِ، معمرٌ بِخَرابِهِ
ها هو فتى (اللورد كارنافون) يمشي فوق تراب المدفن مجدداً ذكر توت عنخ آمون وكاشفاً وجهه
للعالم مجدداً ديباجتيه (خديته)، ومعمرٌ مدفته الذي كان مطموراً

صَادَتْ بِقَارَعَةِ الصَّعِيدِ بِعَوْضَةٍ فِي الْجَوِّ صَائِدٌ بَازٍ وَعُقَابُهُ
صادت بعوضة في قارعة (وسط) الصعيد ذلك الرجل الذي صاد باز توت عنخ آمون
وعقابه (والباز والعقاب طيران من الجوارح)، والطيور الجارح من شعارات ملوك مصر
القدماء

لَا تَسْمَعَنَّ لِعُضْبَةِ الْأَرْوَاحِ مَا قَالُوا بِبَاطِلٍ عِلْمِهِمْ وَكَذَابِهِ
لا تأبه لما قالت عصابة الأرواح (جماعة قالوا إن كارنافون لحقته لعنة الفراعنة وطاردته
أرواحهم)، فما قالوه باطل وكذاب (كذب)

الرُّوحُ لِلرَّحْمَنِ جَلٌّ جَلَالُهُ هِيَ مِنْ ضَنَائِنِ عِلْمِهِ وَغِيَابِهِ
فالروح لله، وهي من ضنائن علمه (الفائس المخبأة). فالروح من أمر ربي

أَفْضَى إِلَى خَتْمِ الزَّمَانِ فَقَضَهُ وَحَبَا إِلَى التَّارِيخِ فِي مُحَرَابِهِ
أفضى (وصل) كارنافون إلى ختم الزمان ففضه (كسره) فانفتح له الزمان، وحبا (زحف) إلى
التاريخ في محرابه (أهم موضع منه)

وطوى القرون القَهْقَرَى حَتَّى أَتَى فِرْعَوْنَ بَيْنَ طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ

وطوى القرون القَهْقَرَى (إلى الخلف)، حتى أتى فرعون مسجى وعن جانبيه الطعام والشراب. وكان يوضع في مدافن ملوك مصر طعام وشراب، ومدفن توت عنخ آمون مدفن بكر لم يهتد إليه اللصوص القدماء، وعندما اكتشف كانت فيه كل محتوياته، وجاءت بعدئذ لصوصية المستعمر الجديدة. والبيتان الماضيان (أقصى.. وطوى) قال فيهما حافظ إبراهيم، على ذمة زكي مبارك، «قتلني شوقي بهذين البيتين»

أَخْرَجْتَ مِنْ قَبْرِ كِتَابِ حَضَارَةٍ الْفَنِّ وَالْإِعْجَازِ مِنْ أَبْوَابِهِ

يا كارنارفون أخرجت من قبر أشياء هي بمثابة كتاب حضارة؛ وإن الفن والإعجاز (كالتحنيط، ودقة الصنعة) من أبواب (فصول) هذا الكتاب

فَرَفَعْتَ رُكْنًا لِلْقَضِيَّةِ، لَمْ يَكُنْ سَخْبَانُ يَرْفَعُهُ بِسِحْرِ خِطَابِهِ

فدعمت بذلك قضيتنا الوطنية بركن مكين، لم يكن خطيب العرب (سخبان) ليرفع هذا الركن ببلاغته. فبهذا الاكتشاف تبين العالم أن مصر بلد مُعْرِق في الحضارة، ولا يجوز أن يسمّر احتلاله

١٨٦ نبل أخلاق

قال شوقي يرثي سعيد زغلول ابن أخت سعد زغلول (١٩٢٣):

لَمْ يَكُنْ فِي غُلُوِّهِ ضَيْقُ الصَّدْرِ، وَلَا كَانَ عَاجِزًا فِي اعْتِدَالِهِ

لم يكن في غلوه (مبالفته) ضيق الصدر بمخالفته، ولم يكن في اعتداله عاجزاً

لَا يَسْعَادِي وَيَتَّقِي أَنْ يُعَادَى وَيُخَلِّي سَبِيلَ مَنْ لَمْ يُؤَالِهِ

لا يعادي الناس ويتقي (يتجنب) أن يعاديه الناس، ولا يشغب على من لم يواله (لم يناصره)

١٨٧ سرقة الآثار

قال شوقي في الكشف عن مقبرة توت عنخ آمون (١٩٢٣):

قَفِي يَا أختَ «يُوشَعَ» خَبْرِينَا أَحَادِيثَ الْقُرُونِ الْغَابِرِينَ

قفي يا أخت يوشع (الشمس) وخبرينا أحاديث القرون (الأجيال) الغابرين (الماضين).

وسمى الشمس «أخت يوشع» لأن نبي اليهود المحارب «يوشع بن نون» أراد القضاء

على أعدائه قبل غروب الشمس والدخول في السبت المحرم فيه القتال، وعندما

جنحت للغروب أمرها الرب.. «فوقفت الشمس في كبد السماء ولم تعجل للغروب

نحو يوم كامل» - يَشُوع/أصحاح ١٠، آية ١٣ -، وقضى عليهم

وَقُضِيَ مِنْ مَصَارِعِهِمْ عَلَيْنَا وَمِنْ دَوْلَاتِهِمْ مَا تَعَلَّمِينَا

وقُضِيَ علينا قصص مصارع (كيفية موت) الأجيال السابقة، وقصص دُولَاتِهِمْ (مصابيهم التي

تداولت عليهم)

نرى لك في السماء خَضِيبَ قَرْنٍ ولا نُحْصِي على الأرضِ الطُّمِينَا
نرى لك أيتها الشمس قرناً (ظفر الشمس حين يبرز) خضيباً (مصبوغاً بالحمرة)، ولا نحصى الطمين
(المطمونين) بهذا القرن على الأرض فالشمس في شروقها وغروبها تجعل الزمن يمر، ويمروره
يموت الناس

مَشَيْتِ على الشَّبَابِ شُواظَ نَارٍ وَدُرَّتِ على المَشِيبِ رَحَى طَحُونَا
مشيت أيتها الشمس على أيام الشباب شواظ نار (لهباً)، ثم درت على أيام المشيب كالرحى (حجر
الطاحون) الطَّحُونِ (الشديدة الطحن)

تُؤَمِّنِينَ المَوَالِدَ والمَنَايَا وَتَبْنِينَ الحَيَاةَ وتَهْدِمِينَ
بدورانك تساعدين الموالد (الولادات) وتساعدين المنايا (الميتات)، فدورانك هو الزمن وهو سبب
ولادة الحياة وحدث الموت

فِيَا لَكَ هِرَّةً أَكَلْتَ بَنِيهَا وَمَا وَلَدُوا، وَتَنْتَظِرُ الجَنِينَا
فيا لك من هرة أكلت أولادها، وأكلت أولاد أولادها، وتنتظر الجنين القادم

أُمُّ المَالِكِينَ بني آمونٍ لِيَهْنِكَ أَنَّهُمْ نَزَعُوا آمُونَا
أيتها الشمس، يا أم الفراعين من أبناء الإله آمون، هنيئاً لك أنهم نزعوا آمون (أشبهوه)

وَلَدَتْ لَهُ المَآمِينَ الدَّوَاهِي وَلَمْ تَلِدْ لَهُ قَطُّ الأَمِينَا
ولدت لآمون المآمين (الأبناء الشبهين بالأمون الخليفة العباسي الحازم)، ولم تلدي قط (أبداً)
الأمين (الخليفة العباسي العاث المهزوم)

مَشَتْ بِمَنَارِهِمْ فِي الأرضِ رُومَا وَمِنْ أَنوَارِهِمْ قَبَسَتْ أَثِينَا
هؤلاء الملوك من سلالة آمون مشت بنورهم حضارة روماً، ومنهم اقتبست أثينا

مُلُوكُ الدَّهْرِ بالوادي أَقَامُوا على وادي الملوك مُحَجَّجِينَا
ملوك الزمان في الوادي (وادي النيل/أي ملوك مصر)، أقاموا الآن في «وادي الملوك» (موضع عند
الأقصر) مدفونين محججين عن الأنظار

قَرُبَ مُصَفَّدٍ مِنْهُمْ، وَكَانَتْ تُسَاقُ لَهُ المُلُوكُ مُصَفَّدِينَا
رب ملك هو الآن مصفد (مقيد) في قبره، وكان الملوك الآخرون المهزومون في المعارك يساقون
إلى حضرته مقيدين

تَقَيَّدَ فِي التَّرَابِ بِغَيْرِ قَيْدٍ وَحَلَّ على جَوَانِبِهِ رَهِينَا
لقد تقيد في مدفته ولكن دون أغلال، وحل التراب رهيناً (مرهوناً بمكانه لا يبرحه)

تعالى الله! كان السحرُ فيهم أَلَيْسُوا لِلْحَجَارَةِ مُنْطَقِينَا

سيحان الله! كانوا بارعين في السحر، أو لم يجعلوا الحجارة تنطق في تماثيلهم؟

ولستُ بِقَائِلٍ ظَلَمُوا وَجَارُوا عَلَى الْأَجْرَاءِ أَوْ جَلَدُوا الْقَطِينَا

ولا أقول إن أولئك الملوك ظلموا الأجراء (العمال المأجورين)، أو أنهم جلدوا القطين (الخدم)

فإِنَّا لَمْ نُوقِ النِّقْصَ حَتَّى نَطَالِبَ بِالْكَمَالِ الْأَوَّلِينَ

فنحن لم نوقِ النقص حتى نطالب الأولين بالكمال

وَمَا «الْبَسْتِيلُ» إِلَّا بِنْتُ أَمْسٍ وَكَمْ أَكَلَ الْحَدِيدُ بِهَا سَجِينَا

وما سجن «الباستيل» سوى بنت الأمس، وكانت قيود الحديد في الباستيل تأكل أجسام السجناء

وَرَبَّةٌ بِبَعَّةٍ عَزَّتْ وَطَالَتْ بَنَاهَا النَّاسُ أَمْسٍ مُسَخَّرِينَا

وربة (رُب) ببيعة (كنيسة) عزيزة (منبعة) وعالية بناها الناس أمسٍ مسخَّرينا

مُسَيِّدَةٌ لِشَافِي الْعُمَى عَيْسَى وَكَمْ سَمَلَ الْقُسُوسُ بِهَا عُيُونَا

وقد شيدت تلك الكنيسة لعيسى شافي العمي (العميان)، ولكن كثيراً ما سمل (فقا) القس فيها عيون الناس

أَخَا اللُّوردَاتِ مِثْلُكَ مَنْ تَحَلَّى بِحِلْيَةِ آلِهِ الْمُتَطَوِّلِينَ

يا أخا اللوردات (أبها اللورد كارنارفون)! يُنتظر من مثلك أن يتحلى بحلية (بزينة) آله (قومه) المتطولين (القادرين)

أَبُوْنَا وَأَعْظَمُهُمْ ثَرَاتٌ نَحَازِرُ أَنْ يُوُولَ لِأَخْرِينَا

أبوتنا (آباؤنا) وعظامهم تراث ورثاء ونحائر (نمانع) أن يوول (يؤول) للآخرين

وَنَأْبَى أَنْ يَحُلَّ عَلَيْهِ ضَيْمٌ وَيَذْهَبَ نُهْبَةً لِلنَّاهِبِينَ

ونرفض أن يقع على هذا التراث ضيم (ظلم)، وأن ينهبه الناهبون

سَكَّتْ فَحَامَ حَوْلَكَ كُلُّ ظَنٍّ وَلَوْ صَرَّخَتْ لَمْ تُثِرِ الظُّنُونَا

لقد سكَّت عندما اكتشفت مدفن توت عنخ آمون ولم تفصح عن محتوياته، فحامت حول مقاصدك الظنون بسبب صمتك

يَقُولُ النَّاسُ فِي سِرٍّ وَجَهْرٍ وَمَا لَكَ حِيلَةٌ فِي الْمُرْجِفِينَ . .

وقال الناس سرّاً وجهراً - ولا حيلة لك في المرجفين (المشككين) - قالوا . .

أَمَنْ سَرَقَ الْخَلِيفَةَ وَهُوَ حَيٌّ بَعِثَ عَنِ الْمُلُوكِ مُكَفِّرِينَ
هل الذي سرق الخليفة حياً، سيف (يترفع) عن الملوك وهم في أكفانهم. وكانت بارجة بريطانية
حملت الخليفة العثماني وحيد الدين إلى منفاه عام ١٩٢٢، بعد أن ثار به الكماليون

خَلِيلِيْ أَهْبطَا الْوَادِي، وَوَيْلَا إِلَى غُرَفِ الشَّمْسِ الْغَارِبِينَ
يا صاحبي (والشاعر العربي له دائماً صاحبان يكلمهما) اهبطا وادي الملوك، ويملا معي (عُرجاً
معي) إلى غرف الفراغة المدفونين الذين هم كالشمس الغاربة

وَحُصَّ بِالْعَمَارِ وَبِالْتَحَايَا رُفَاتِ الْمَجْدِ مِنْ تَوْتِ تَشْحَمِينَا
وحصا بالعمار (الريحان) والتحية رفات (بقايا) المجد من توت عنخ آمون

وَقَبْرًا كَادَ مِنْ حُسْنٍ وَطِيبٍ يُضِيءُ حِجَارَةً وَيَضُوعُ طِينَا
وحياً قبراً كاد من جماله ورائحته الزكية يضيء بحجارته، ويتضوع العير من طينه

وَكَانَ نَزِيلُهُ بِالْمَلِكِ يُدْعَى فَصَارَ يُلَقَّبُ الْكَنْزَ الثَّمِينَا
ونزيل القبر كان يدعى المَلِكُ (الملك)، وأما الآن وهو ميت فصار يدعى الكنز الثمين

فَنَمَّ جَلَالَةُ قَرَّتْ وَدَامَتْ عَلَى مَرِّ الْقُرُونِ الْأَرْبَعِينَا
فَنَمَّ (فهناك) جلاله استمرت واستمرت أربعين قرناً

وَقُولَا لِلنَّزِيلِ: قَدُومَ سَعْدٍ وَحَيَّا اللَّهَ مَقْدَمَكَ الْيَمِينَا
وقولا يا صاحبي لنزيل القبر، جئت إلينا الآن فقدمك قدوم سعد علينا (وكانت مصر أيامئذ تستقبل
عهداً دستورياً، وفكاكاً من الحماية البريطانية) فحيا الله قدومك اليمين (اليمنون)

سَلَامٌ يَوْمَ وَارْتِكَ الْمَنَايَا بِوَادِيهَا، وَيَوْمَ ظَهَرْتَ فِينَا
سلام عليك يوم وارتك (حجبتك) المنايا (الموت) في واديه (وادي الملوك الذي هو مقبرة كبيرة)،
وسلام عليك يوم ظهورك الآن بالكشف عن مدفئك

خَرَجْتَ مِنَ الْقُبُورِ خُرُوجَ عَيْسَى عَلَيْكَ جَلَالَةُ فِي الْعَالَمِينَا
خرجت كما خرج عيسى من قبره ورفعته الله إليه

وَأَقْسِمُ كُنْتُ فِي لُوزَانَ شُغْلًا وَكُنْتُ عَجِيبَةَ الْمُتَفَاوِضِينَ
وأقسم أنك كنت شغلاً شاغلاً للمفاوضين في لوزان بسويسرا (المؤتمر دام نحو ثلاثة أشهر وعقد
لاقتسام تركة الدولة العثمانية)، وكلهم تعجبوا من هذا الكشف

أَتَعْلَمُ أَنَّهُمْ صَلَفُوا وَتَاهُوا وَصَدُّوا الْبَابَ عَنَّا مُوَصِّدِينَ
هل تعلم أنهم صلفوا (تفطرسوا) وتاهوا (تكبروا)، وأوصدوا الباب دون الوفد المصري الذي
ذهب يطالب بجلاء الإنجليز

وَلَوْ كُنَّا نَجُرُّ هُنَاكَ سَيْفًا وَجَدْنَا عِنْدَهُمْ عَظْفًا وَلِينَا
سَيَقْضِي كِرْزَنٌ بِالْأَمْرِ عَنَّا وَحَاجَاتُ الْكِنَانَةِ مَا قُضِينَا
سيفضي في شأننا اللورد جورج كيرزون (وزير خارجية بريطانيا)، وحاجات الكنانة (مصر) لم يتم
قضاؤها

زَمَانُ الْفَرْدِ يَا فِرْعَوْنَ وَلَى وَدَالَتْ دَوْلَةُ الْمُتَجَبِّرِينَ
فيا فرعون الدفين اعلم أن زمان حكم الفرد ولّى، وانتهت دولة المتجبرين بالناس

وَأَصْبَحَتِ الرَّعَاءُ بِكُلِّ أَرْضٍ عَلَى حُكْمِ الرَّعِيَةِ نَازِلِينَ
وأصبح الرعاة (الحكام) في كل بلد نازلين عند رأي الرعية (الشعب)

فَوَإِذَا أَجَلَ بِالْدُسْتُورِ دُنْيَا وَأَشْرَفَ مِنْكَ بِالْإِسْلَامِ دِينَا
الملك أحمد فؤاد بوجود الدستور أكثر جلالاً منك في دنياه يا فرعون، وهو بالإسلام أشرف منك
في دينه

وَأَهْدَى فِي بِنَاءِ الْمُلْكِ جَدًّا وَأَجْوَدُ وَالِدًا فِي الْمُحْسِنِينَ
وأحمد فؤاد جدّه أكثر هداية (حكمة) في بناء الملك (وجده هو إبراهيم باشا ابن محمد علي)،
ووالده أجود من فرعون إحصاناً (ووالده الخديوي إسماعيل)

بَنَى الدَّارَ الَّتِي لَا عِزَّ إِلَّا عَلَى جَنَابَاتِهَا لِلْمَالِكِينَ
بنى أحمد فؤاد الدار التي لا عز للملوك إلا في جنباتها (نواحيها)، وهي دار البرلمان

فَعَجَّلْ يَا ابْنَ إِسْمَاعِيلَ عَجَلْ وَهَاتِ النُّورَ وَاهْدِ الْحَائِرِينَ
عجل يا أحمد فؤاد بالدستور ليهدي الحائرين

مَلَائِينَ تَجُرُّ الْجَهْلَ قَبْدًا وَتُسَحِّبُ بِالْقَلِيلِ الْمُطْلَقِينَ
الملايين تمشي ويقيدها الجهل، والذين يسحبون ملايين الجهال هم القلة من المطلقين (الذين نالوا
حرية عقولهم بالعلم)

فَدَاوِ بِهِ الْبَصَائِرَ، فَهَوَ عَيْسَى وَفَكَ بِرَاحَتَيْنِ الْمُفْعَعِدِينَ
فداوِ بالدستور البصائر (العقول) فالدستور مثل عيسى شافي المرضى، وفك يديّ الدستور
الكسجين

وَمَنْ يَرِ دَوْنَهُ حَقًّا فَإِنِّي أَرَاهُ وَخَذَهُ الْحَقُّ الْمُبِينَا
ولمن يرى الحق في أمر سوى الدستور، فإنني أرى الدستور وحده الحق الواضح.
نقد طه حسين هذه القصيدة بادئاً بأن شوقي «قد شبع ثناءً وتقريظاً، وأحسبه لم يشبع
نقداً بعد»، وبالطبع فقد أحب طه النعمة الفرعونية في القصيدة. وأخذ شوقي في الفاظ

كلمة «نزعوا» في البيت السابع مما اخترنا، فقد اضطر شوقي إلى أن يشرحها عندما نشر قصيدته في الأهرام، وما كان طه ليفهمها لولا الشرح، كما قال. وأثنى طه على اللطف وخفة الروح في البيت: «أمن سرق الخليفة وهو حي/ يعف عن المملوك مكفنيا». وعن كلام شوقي عن الشأن المصري إزاء عفو المحتل الإنجليزي قال طه حسين: «الحكومة المصرية خليفة أن تقرأ وخليفة أن تمنع وخليفة أن تعمل». وقال: «ثم ينتقل الشاعر أحسن انتقال، ويشب ويخيل إليك أنه يخطو. يشب من عصر الفراعنة إلى العصر الذي نعيش فيه. فتراه شاعراً مصرياً يعيش في هذه السنة، يحس ما نحس، ويشفق مما نشفق منه. يحب الدستور ويكلف به، ويتمنى على صاحب الجلالة في الذ لفظ وأعذبه، وفي أمتن أسلوب وأصفاه، وفي أشد العبارات تمثيلاً لأصدق العواطف، يتمنى على صاحب الجلالة إصدار الدستور». انتهى كلام طه حسين

١٨٨ عصركم بطل

قال شوقي (١٩٢٣):

قُلْ لِلشَّابِّ بِمَصْرِ عَصْرُكُمْ بَطْلٌ بِكُلِّ غَايَةِ إِقْدَامٍ لَهُ وَلَعُ
عصركم بطل جريء، مولع بالتأثير التي تجرأ الشجاعة

الْبَرُّ لَيْسَ لَكُمْ فِي طَوْلِهِ لُجْمٌ وَالْبَحْرُ لَيْسَ لَكُمْ فِي عُرْضِهِ شُرْعُ
وليس لكم في طول البر لُجْم (خيل على كل منها لجام)، وليس لكم في عرض البحر (وسطه) شُرْع (سفن لها أشعة)، يريد القول إنه ليس لمصر قوة برية أو بحرية

هَلْ تَنْهَضُونَ! عَسَاكُمْ تَلْحَقُونَ بِهِ فَلَيْسَ يَلْحَقُ أَهْلَ السَّيْرِ مُضْطَجِعُ
فهل تنهضون! لعلكم تلحقون بعصركم، لأن المضطجع (المستلقي) لا يلحق الماشين

لَا يُعْجِبَنَّكُمْ سَاعٍ يَنْفَرِقِي إِنَّ الْمِقْصَصَ خَفِيفٌ حِينَ يَفْتَنُطَعُ
لا تصبوا إعجابكم على من يسعى للفرقة، فالفرقة سهلة ولكنها تؤدي إلى تخريب دائم، كالمقصص الذي يسهل عليه أن يقطع القماش ولا إصلاح لما قطع

مَا لِلشَّابِّ وَلِلْمَاضِي! تَمَرُّ بِهِمْ فِيهِ عَلَى الْجَيْفِ الْأَحْزَابُ وَالشَّيْعُ
والشباب، ما لهم وللماضي! والأحزاب والشيع (المنظمات السياسية) تأخذ الشباب وتعطو بهم على الماضي وترهبهم ما به من الجيف (الجثث) وتلاهم أحمقاً

لَا يَمْنَعَنَّكُمْ بِرُّ الْأَبْوَةِ أَنْ يَكُونَ صُنْعُكُمْ غَيْرَ الَّذِي صَنَعُوا
الوفاء للأبوة ليس معناه الامتناع عن صنع شيء لم يصنعه آباؤكم

وَكُلُّ بُنْيَانٍ قَوْمٌ لَا يَقُومُ عَلَى دَعَائِمِ الْعَصْرِ مِنْ رُكْنَيْهِ مُنْصَدِعُ
وكل بناء للأمم لا يكون مدعماً بمفاهيم عصرية يتصدع من ركنيه (جانيه)

كَمْ فِي الْحَيَاةِ مِنَ الصَّحَرَاءِ مِنْ شَبَوٍ يَكِلْتَاهُمَا فِي مُفَاجَأَةِ الْمَتَى شَرَعُ

ما أشبه الحياة بالصحراء . كلتاها شرع (سواء) في مفاجأة الإنسان

وَلَسْتُ تَدْرِي، وَإِنْ كُنْتَ الْحَرِيصَ، مَتَى تَهْبُ رِيحَاهُمَا أَوْ يَظْلُعُ السَّبْعُ

مهما كنت حريصاً فأنت لا تعرف متى تهب ريح الصحراء وريح الحياة، أو متى يطلع عليك السبع

وَلَسْتُ تَأْمَنُ عِنْدَ الصَّخْرِ فَاجِئَةً مِنْ الْعَوَاصِفِ فِيهَا الْخَوْفُ وَالْهَلَعُ

ولا تأمن عاصفة مفاجئة فيها خوف لك وهلك

وَلَسْتُ تَدْرِي، وَإِنْ قَدَّرْتَ مُجْتَهِدًا، مَتَى تَحْطُ رِحَالًا أَوْ مَتَى تَضَعُ

وأنت لا تدري، مهما تحببت، متى ستخط (ستنزل) رحلك من على ظهر مطبك، ومتى تضعه عليها . أنت تأني للعالم وترحل عنها وتساوفاً فيها مُسْبِرًا لا مخيراً

وَلَسْتُ نَمْلِكَ مِنْ أَمْرِ الدَّلِيلِ سِوَى أَنْ الدَّلِيلَ وَإِنْ أَزْدَاكَ مُنْتَبِعُ

وفي الصحراء - وأيضاً في الحياة - ليس في يدك من أمر المرشد إلا أنه يجب عليك اتباعه وإن أزداك (أهلكك)

وَمَا الْحَيَاةُ إِذَا أَظْلَمَتْ وَإِنْ خَذَعَتْ إِلَّا سَرَابٌ عَلَى صَحَرَاءٍ يَلْتَمِعُ

والحياة نظمتك (تمطشك) وتخدعك، مثل سراب يلعب في الصحراء

١٨٩ يومٌ كبدري

قال شوقي يهنئ الأتراك بانتصارهم على اليونانيين سنة (١٩٢٣):

اللَّهُ أَكْبَرُ! كَمْ فِي الْفَتْحِ مِنْ عَجَبٍ يَا خَالِدَ التُّرْكِ جَدُّ خَالِدِ الْعَرَبِ

يا خالد الترك (مصطفى كمال) جدك ذكرى خالد العرب (خالد بن الوليد)

سُئِلْتُ سِلْمًا عَلَى نَصْرِ فَجُدْتُ بِهَا وَلَوْ سُئِلْتُ بِغَيْرِ النِّصْرِ لَمْ تُجِبْ

طلب منك السلم بعد انتصارك، فمناحتهم السلم وجنت لها، ولو لم تكن قد انتصرت عليهم فلن ترضى بالسلم

قَذَفْتَهُمْ بِالرِّيَّاحِ الْهُوجِ مُسْرَجَةً يَحْمِلُنَ أَسَدَ الشَّرِّ فِي الْبَيْضِ وَالْيَلْبِ

وفي الحرب كنت قد قذفت اليونانيين بالرياح الهوجاء المرسجة (التي عليها السروج/يعني الخيل)، وهي تحمل أسود الشرى (والشرى مكان قرب الفرات كثير الأسود) التي تلبس البيض (المخوذ) واليَلْبِ (الدروع)

يَوْمَ كِبَرٍ، فَخَبِلَ الْحَقُّ رَاقِصَةً عَلَى الصَّعِيدِ، وَخَبِلَ اللَّهُ فِي السُّحُبِ

هذا اليوم (المعركة) مثل يوم بدر، فخبيل الترك التي معها الحق ترقص على التراب، وخبيل الله ترقص في السحب، يقول إن الله أيد مصطفى كمال في حربه مع اليونانيين بجند من عنده كما حدث يوم بدر. انتقد طه حسين هذه القصيدة في مقالين. فأبو تمام صاحب «السيف أصدق أنباء من الكتب» هو الذي «قدم إلى شوقي قوافيه وشيئا غير قليل من ألفاظه ومعانيه». وللحق فإن قصيدة شوقي لا تصمد طويلاً لملمحة أبي تمام العظيمة. ويمضي طه حسين في لهجة نذكرنا بلهجة العقاد في الديوان: «هذه القصيدة أصدق دليل وأقواء على عجز القديم عن تصوير الحياة الحديثة، وفشل الشعر العربي المعصري فيما قصد إليه من إمتاع النفوس وإشعارها لذة الجمال الفني.. هذه القصيدة هي أشبه شيء بالتمرين المدرسي يذهب به الأطفال مذهب المحاكاة للنماذج الفنية التي تلقى إليهم فيوفون في الصورة ويخطون في الموضوع»، انتهى كلام طه. وليذكر القارئ أن النقد موجه إلى قصيدة من ثمانية وثمانين بيتاً، أما ما اخترناه هنا فهو زبدتها

١٩٠ شمس الخلافة

قال شوقي بهنئ الثائرين بأنقرة (١٩٢٣):

قُمْ نَادِ أَتَقَرَّةً، وَقُلْ: بَهْنِيكَ مُلْكٌ بَنَيْتَ عَلَى سِيُوفِ بَنِيكَ
قُمْ أَيُّهَا الْمَنَادِي وَنَادِ أَنْقَرَةَ، وَقُلْ هُنَيْئاً لَكَ هَذَا الْمَلِكُ الَّذِي بَنَيْتَ عَلَى سِيُوفِ أَبْنَائِكَ. وَأَنْقَرَةَ كَانَتْ
عَاصِمَةَ مُصْطَفَى كِمَالِ أَتَا تُورُوكَ فِي الْمَعَارِكِ الَّتِي خَاضَهَا بَعْدَ انْتِهَاءِ الْحَرْبِ الْعَالَمِيَةِ الْأُولَى لِكِي
يَنْشِئَ تَرْكِيَا الْحَدِيثَةَ، ثُمَّ ظَلَّتْ عَاصِمَةَ لَتَرْكِيَا

مَنْنِي لِعَهْدِكَ يَا فَرُوقُ تَحِيَّةً كَعَيُونِ مَائِكَ أَوْ رُبَى وَادِيكَ
ولفروق (إستانبول) مني تحية جميلة كعيون مائها وربى واديه

إِنْ أَنْسَ لَا أَنْسَ الشَّبِيبَةَ وَالْهُوَى وَسَوَالِفَ اللَّذَاتِ فِي نَادِيكَ
مهما نسيت فلن أنسى عهد الشباب والحب، وسوالف اللذات (ما سلف من لذات) في مجالسك

وَلِيَا لِيَا لَمْ نَذِرْ أَيْسَ عِشَاؤُهَا مِنْ فَجْرِهَا لَوْلَا صِيَاخُ الدِّيَكِ
ولن أنسى ليالي مرت سريعة فلم نعرف وقت العشاء من وقت الفجر فيها لولا صياح الديك

قُلْ لِلْخِلَافَةِ قَوْلَ بَاكِ شَمْسُهَا بِالْأَمْسِ لَمَّا آذَنْتَ بِدُلُوكِ
قل للخلافة قول من يبكي شمسها بالأمس لما آذنت بدلك (أوشكت على الغروب)

إِنَّ الَّذِينَ تَوَارَثُوكَ عَلَى الْهُوَى بَعْدَ ابْنِ هِنْدٍ طَالَمَا كَذَّبُوكَ
إن الذين توارثوك أيها الخلافة على الهوى (لمصالحهم) بعد ابن هند (معاوية أول خليفة ورث الحكم لمن بعده تورثاً) كثيراً ما كذبوك (تصرفوا بغير ما يتطلبه معنى الخلافة)

لَمْ يَلْبَسُوا بُرْدَ النَّبِيِّ، وَإِنَّمَا لَبَسُوا طَقُوسَ الرُّومِ إِذْ لَبَسُوا
لَمْ يَلْبَسُوا بُرْدَ النَّبِيِّ (عباءة النبي/ التي كان الخلفاء يتوارثونها)، أي أنهم لم يسلكوا مسلك النبي،
وإنما لبسوا (اتخذوا) طقوس الروم عندما آلت إليهم الخلافة

١٩١ أعلمت للقمرين من أسلاف؟

قال شوقي يرثي الشاعر إسماعيل صبري (١٩٢٣):

شَرَفَ الْعَصَائِيَّينَ صَنَعَ نَفْسِهِمْ مَنْ ذَا يَقْبِسُ بِهِمْ بَنِي الْأَشْرَافِ
قُلْ لِلْمَشِيرِ إِلَى أَبِيهِ وَجَدَهُ: أَعْلِمْتَ لِلْقَمَرَيْنِ مِنْ أَسْلَافِ

القمران: الشمس والقمر، وهما عزيزا المنال ولا أسلاف (أجداد) يفتخران بهم

١٩٢ إتقان

قال شوقي (١٩٢٣):

أَيُّهَا الْعَمَالُ أَفْنُوا الْـ عُمرَ كَدًّا وَاكْتِسَابَا
يخاطب العمال ويريد منهم إفاء العمر كدًّا (تعبًا). وهل يملكون سوى ذلك؟ هَلَّا خاطب أولاد
الباشوات في زمنه!

واعْمُرُوا الْأَرْضَ قَلُولَا سَفِيْكُكُمْ أَمْسَتْ يَبَابَا
يباباً: خراباً

أَيَّنَ أَنْتُمْ مِنْ جُدُودِ خَلَدُوا هَذَا الْمَتْرَابَا
أَتَقَنُوا الصَّنْعَةَ حَتَّى أَخَذُوا الْخُلْدَ اغْتَصَابَا
قدماء المصريين أتقنوا الصنعة (الفن) حتى نالوا بمخلفاتهم الخلود غصباً من الزمن

إِنْ لِلْمُتَقِنِ عِنْدَ اللَّـهِ وَالنَّاسِ ثَوَابَا
هذا بيت بسيط، وليس فيه لا معنى بديع، ولا... ولا شيء. لكنَّ إتقان العمل أمر نفتقده في
مجتمعاتنا كثيراً، فرأيت في هذا البيت صدى لمعنى يتردد في نفسي

١٩٣ كُفِّنَتْ فِي ثَوْبِ الزَّفَافِ

قال شوقي ينعي الخلافة (١٩٢٤):

عَادَتْ أَغَانِي الْعُرْسِ رَجَعَ نَوَاحِ وَنُعِيَتْ بَيْنَ مَعَالِمِ الْأَفْرَاحِ
عادت (أصبحت) أغاني العرس (الفرحة بانتصار الترك على اليونانيين وتأسيس تركيا الحديثة) رجع
(صدى) نواح، ونُعِيَتْ الخلافة وسط مظاهر الفرح

كُفِّنَتْ فِي لَيْلِ الزُّفَافِ بِشَوْبِهِ وَدُفِنَتْ عِنْدَ تَبْلُجِ الْإِصْبَاحِ
تَبْلُجُ الْإِصْبَاحِ : ظهور الفجر

وَالشَّامُ تَسْأَلُ وَالْعِرَاقُ وَفَارِسُ أَمَحَا مِنْ الْأَرْضِ الْخِلَافَةُ مَاحٍ
تَسْأَلُ هَذِهِ الْبِلَادُ هَلْ مَحَا الْخِلَافَةُ أَحَدًا مِنَ الْوُجُودِ مَحْوًا

أَسْتَغْفِرُ الْأَخْلَاقَ! لَسْتُ بِجَاحِدٍ مَنْ كُنْتُ أَدْفَعُ دُونَهُ بِسِلَاحِي
عِذْرًا أَيْتَهَا الْأَخْلَاقُ، فَلَسْتُ جَاحِدًا! لَا أَجِدُ فَضْلَ مُصْطَفَى كِمَالِ «أَنَاتُورُك» الَّذِي كُنْتُ أَدْفَعُ عَنْهُ
بِسِلَاحِي (وَسِلَاحُ شُوقِي قَلَمُهُ)

مَا لِي أَطَوِّقُهُ الْمَلَامَ، وَطَالَمَا طَوَّقْتُهُ الْمَأْثُورَ مِنْ أَمْدَاحِي
مَا لِي أَطُوقُ عُنُقَهُ بِاللُّومِ، وَكَثِيرًا مَا طَوَّقْتُهُ بِمَدَائِحِي الْمَأْثُورَةِ (الَّتِي يَبْقَى أَثَرُهَا بَيْنَ النَّاسِ)

أَدُّوا إِلَى الْغَازِيِ النَّصِيحَةَ يَنْتَصَحُ إِنْ الْجَوَادَ يَشُوبُ بَعْدَ جِمَاحٍ
أَدُّوا (أَعْطُوا) إِلَى الْغَازِيِ (أَنَاتُورُك) النَّصِيحَةَ، وَالْحِمَاةَ الْأَصِيلَ يَثُوبُ (يَعُودُ) إِلَى طَبِيعَتِهِ بَعْدَ
الْجِمَاحِ (الْجُمُوحِ)

١٩٤ يَا رَبِّ قُوَّ يَدَهَا وَشُدَّهَا

قال شوقي في افتتاح البرلمان المصري (١٩٢٤):

مَصْرُ الْفِتْنَةِ بَلَعَتْ أَشُدَّهَا

وَأَثَبَتِ الدَّمُ الزَّكِيَّ رُشْدَهَا

يَا رَبِّ! قُوَّ يَدَهَا وَشُدَّهَا

وافتتح لها السُّبُلَ وَلَا تَسُدَّهَا

بعد انحسار الحرب العالمية الأولى عن انهيار الدولة العثمانية التي كان شوقي يرى فيها ركناً تستند إليه مصر لحمايتها من أطماع أوروبا، وبعد نفيه وعودته إلى مصر وتولي السلطان (ثم الملك) أحمد فؤاد الحكم، ولم يكن متحمساً لشوقي، بدأ شوقي يرى أن مصر هي الأمل وهي ركن نفسها. آمن أكثر بالشعب، ولكنه رأى بعين ثاقبة ما يتقص مصر من وسائل النهوض. أجدهم الأشطر من أجمل الشعب، ثمة هنا دعاء وضراعة لله كي يقوي مصر وهي مقدمة على مرحلة الاستقلال، وألمس في الأشطر إحساس شوقي بعدم الأمان

١٩٥ استبداد باسم الجماعة

قال شوقي (١٩٢٤):

الْفِرْدُ بِالشُّورَى وَبِاسْمِ نَدِيَّهَا لَفَظَ الْخَلِيفَةَ فِي الظَّلَامِ شَرِيدًا

هذا الفرد (مصطفى كمال) بالشورى وباسم نادية (الجمعية العامة التي كان يرجع إليها) لفظ (رمى) الخليفة في ظلام النسيان وشرده

خَلَعَتْهُ دُونَ الْمُسْلِمِينَ عِصَابَةً لَمْ يَجْعَلُوا لِلْمُسْلِمِينَ وَجُوداً
 خلعت، دون أن يخلعه المسلمون كلهم، عصابة (جماعة) تجاهلت وجود المسلمين
 إني نظرتُ إلى الشعوبِ فلم أجدُ كالجَهِلِ داءٌ للشعوبِ مُبيداً
 وإذا سبى الفردُ المسلَّطُ مَجْلِساً أَلْفَيْتُ أحرارَ الرجالِ عبيداً
 الفرد المسلط إذا سبى (استولى على) مجلساً، فإنك تجد الرجال الأحرار صاروا عبيداً

١٩٦ فإنك شمس

قال شوقي في مكسويني حصان محبوب ثابت، ولقبوا الحصان، فيما نظن، باسم تيرنس
 ماك سويني Terence MacSwiney المجاهد الإيرلندي الذي صام حتى الموت في سجن
 الإنجليز عام ١٩٢٠، فقد كانت الشلة تزعم أن الدكتور محبوب ثابت لا يملف حصانه،
 وأن الحصان سيموت من الجوع. وقد يكون ورد معك في بعض الكتب أن مكسويني هذا
 عداءٌ إيطالي. لعل أصحاب تلك الكتب رأوا الاسم ذا جرس إيطالي فصنعوا ذلك التأويل.
 على أنني سألت وفداً إيطالياً مكوناً من نحو سبعة صحافيين عن مكسويني هذا فلم يعرفوه،
 وراجعت سجلات الألعاب الأولمبية، وسجلات الرياضيين الطلاب فلم أجد له أثراً، فلا بدَّ
 أن يكون ماك سويني الإيرلندي هو جالب اللقب على ذلك الحصان (١٩٢٤):

تُقَدِّيكُ يَا مَكْسُ الْجِيَادُ الصَّلَادُمْ وَتُقَدِّي الْأَسَاءَةَ التُّطُسُ مَنْ أَنْتَ خَادِمُ

تفديك يا مكسويني (لقب حصان الدكتور محبوب ثابت) الجياد (الخيول) الصلادم (صلاب
 الحوافر)، وتفدي الأساءة (الأطباء) التُّطُس (المأهرون) الشخص الذي أنت خادم إياه وهو الدكتور

كَأَنَّكَ إِنْ حَارَبْتَ فَوْقَكَ عَنَتَرٌ وَتَحْتَ ابْنِ سِينَا أَنْتَ حِينَ تُسَالِمُ

في الحرب يكون فوقك عنتر (الدكتور ثابت)، وفي السلم تكون أنت تحت ابن سينا (د. أيضاً)،
 فالدكتور في حالي الحرب والسلم بارع

فإنَّكَ شَمْسٌ، وَالْجِيَادُ كَوَاكِبُ وَإِنَّكَ دِينَارٌ، وَهَنَّ الدِّرَاهِمُ

فأنت يا مكسويني شمس والجياد (الخيول) الأخرى كواكب، وأنت دينار والجياد الأخرى دراهم

مِثَالٌ بِسَاحِ الْبِرْلَمَانِ مُنْصَبٌ وَآخِرُ فِي بَارِ اللَّوَا لَكَ قَائِمُ

ولك مثال (تمثال) في ساحة البرلمان، وآخر في بار اللوا (وكانت الشلة ترتاده). وكان
 محبوب ثابت من شخصيات ذلك العصر التي تستدر فكاهة الشعراء. كانت له دعاوى
 عريضة، وصوت عالٍ في المجالس، وصار نائباً في البرلمان، وكان يُمنّي النفس بوزارة
 الصحة. والفصيدة دعابة ثقيلة على البحر الطويل، وفيها إيماء فكه إلى قصيدة جاهلية في
 مدح النعمان. والشعر عند العرب ديوان لحياتهم، ويدخل فيه الظرف والسخرية والدعابة
 والتهكم والحزن والفرح وكل شيء. كل ما يحسن بالمرء أن يقوله نثراً، وما لا يحسن،
 داخل في حد الشعر. والمدار بعد ذلك على الإجابة والفن ووفرة ما في الشعر من شعور

١٩٧ الدنيا الغدارة

قال شوقي يداعب محجوب ثابت، وقد استبدل بحصانه مكسوبيني سيارة، (١٩٢٤):

لَكُمْ فِي الْخَطِّ سَيَّارَةٌ حَدِيثُ الْجَارِ وَالْجَارَةِ
وَقَدْ تَخَرُّنُ أَحْيَاناً وَتَمْشِي وَحْدَهَا تَارَةً

نحرن: تعاند ولا تمشي

وَلَا تُشْبِعُهَا عَيْنٌ مِنَ السَّبَنَزِينِ قَوَّارَةٌ
تَرَى الشَّارِعَ فِي دُغْرِ إِذَا لَاحِثٌ مِنَ الْحَارَةِ
فَقَدْ تَمْشِي مَتَى شَاءَتْ وَقَدْ تَرْجِعُ مُخْتَارَةً
قَضَى اللَّهُ عَلَى السَّوَّا قِي أَنْ يَجْمَعَهَا دَارَةً
يُقَضِّي يَوْمَهُ فِيهَا وَيَلْقَى اللَّيْلَ مَنْ زَارَةً

الليل: أي في الليل

أَدْنِيَا الْخَيْلِ يَا مَكْسِي كَدْنِيَا النَّاسِ غَدَّارَةٌ؟

مكسي: مكسوبيني، حصان الدكتور محجوب ثابت

فَصَبِراً يَا فَتَى الْخَيْلِ فَنَفْسُ الْحُرِّ صَبَّارَةٌ
وَلَا وَاللَّهِ مَا كَلَّفُ سَتَ مَحْجُوبِياً وَلَا بَارَةً

البارة: قطعة عملة فضيلة القيمة

فَلَا الْبَرْسِيْمُ تَدْرِيسُهُ وَلَا تَعْرِفُ نُوَّارَةً

١٩٨ انتحار الحصان

قال شوقي يعزي محجوب ثابت في نفوق حصانه (١٩٢٤):

يَا مَكْسُ دُنْيَاكَ عَارَةٌ وَالْمَوْتُ كَأْسُ مُدَارَةٍ
يَا مَكْسُ (مكسوبيني: حصان الدكتور محجوب ثابت) دُنْيَاكَ عَارَةٌ (شيء مستعار)، وَالْمَوْتُ كَأْسُ
تَدُورُ عَلَى الشَّارِبِينَ

إِذَا بَلَغْتَ الْتَّرَاقِي فَكُلُّ رِيحٍ خَسَارَةٌ
إِذَا بَلَغْتَ الْأَرْوَاحَ التَّرَاقِي (الترقوة عظيمة في أعلى الصدر)، فَكُلُّ مَا رِيحُهُ الْمَرْءُ يَتَحَوَّلُ إِلَى خَسَارَةٍ

لَمَّا جَفَاكَ ابْنُ سَيْنَا وَهَامَ بِالسَّيَّارَةِ
عندما جفاك (هجرك) ابن سينا (أي الدكتور محبوب ثابت)، وهام هياماً بيارته التي ..

تَفِرُّ مِنْهُ وَتَجْرِي كَالنَّحْلَةِ الدَّوَّارَةِ
فلا إلى البوق تُصغي ولا إلى الرِّمَّارَةِ
وقد تَهْتِكُ فِيهَا حَتَّى أَضَاعَ وَقَارَةَ
حَمَلَتْ مِنْ ذَاكَ غَمًّا أَذَابَ مِنْكَ الْمَرَارَةَ
حتى انتحرت جريئاً والانتحارُ جَسَارَةُ

١٩٩ .. ويكي البلشفي والاشتراقي

قال شوقي مضحكاً، والقصيدة على لسان الدكتور محبوب ثابت بعد أن نفق حصانه مكسويني:

يَمِيناً بِالطَّلَاقِ وَبِالْعِتَاقِ وَبِالدُّنْيَا الْمُعْلَقَةِ الْمَذَاقِ
أحلف بالطلاق وبالعناق (بعتق عبيدي)، وبهذه الدنيا المعلقة (المرّة) المذاق، والكلام على لسان
الدكتور محبوب ثابت

وَكُلُّ فِقَارَةٍ فِي ظَهْرِ مَكْسِي بِصَحْرَاءِ الْإِمَامِ، وَعَظَمِ سَاقِ
وأحلف بكل فقرة في ظهر الحصان النافق مكسويني والمدفون في صحراء الإمام (الشافعي)،
وأحلف بعظام ساقه

وُثْرِيَّةً، وَكُلُّ الْخَيْرِ فِيهَا، وَنَسَبِيَّةُ الشَّرِيفَةِ لِلْبُرَاقِ
وأحلف بثرته، ونسبه الذي يعود للبراق (الدابة التي عرجت بالرسول إلى السماء). لا تُرضي هذه
الفكاهة المتزمتين في أيامنا، ولكن عصر شوقي كان عصراً يضحك فيه الأزهريون، وشامرون مع
الأدباء ويروون خمرياتهم، وينقدونها نقداً أدبياً لا دينياً، تماماً كما كان الفقهاء يفعلون في عصور
الإسلام الزاهية

وَبِالْخُطْبِ الطَّوَالِ وَمَا حَوْتُهُ وَإِنْ لَمْ يَبْقَ فِي الْأُذْهَانِ بَاقِي
وأحلف بالخطب الطويلة وما فيها من معان، وإن نسيها الجميع

وَكُسْرِي الشُّعْرَ إِنْ أَنْشَدْتُ شِعْرًا وَنُطْقِي الْقَافَ وَاسِعَةَ النُّطَاقِ
وأحلف بكسري للشعر وأنا أرويه، ونطقي القاف الفخمة (وقد شبه حافظ إبراهيم قاف محبوب
ثابت بطلقات المدفع)

أَيْشْتُمْنِي «سَلِيمَانُ بْنُ فُوزِي» وَيَبِي فِي يَدِي وَمَعِي طِبَاقِي
بعد هذا الحلف كله لا يقول لنا الدكتور ماذا سيفعل، بل يشكو من أن سليمان فوزي (صاحب
مجلة الكشكول المعادية للوفد) يشتمه وهو في كامل أُلُبهته يحمل بيته (غليونته) ومعه طباقه (تَبَعُهُ)

تُقَاقِي ذَقْنَهُ مِنْ غَيْرِ بَيْضٍ وَلِي ذَقْنٌ تَبِيضٌ وَلَا تُقَاقِي
ذقن سليمان فوزي تقاقي (تخرج كصوت الدجاج): يتكلم وذقنه تتحرك ولكنها لا تبيض، وأما
ذقني أنا - والكلام على لسان محبوب - فهي تبيض دون أن تقاقي

أَنَا الطَّيَّارُ: رَجُلٌ فِي دِمَشْقٍ إِذَا اشْتَدَّتْ وَرَجُلٌ فِي الْعِرَاقِ
أنا أطير (أسافر سريعاً) فرجل في دمشق ورجل في العراق إذا اشتدت الأزمات

أَلَا طُرٌّ عَلَى الْعَيْهَوْرِ طُرٌّ وَإِنْ أَبْدَى مَجَامِلَةَ الرَّفَاقِ
طر على العيهور (الفاجر) رغم ما يبدي من مجاملة

بِقَارِعَةِ الطَّرِيقِ يَنَالُ مَنِّي وَيُوسِعُنِي عِنَاقاً فِي الرِّقَاقِ
بقارة الطريق (وسط الطريق وأمام الناس) ينال مني (يؤذيني)، ويوسعني (يملأني) عناقاً في الرقاق
بعيداً عن الأنظار

وَلَيْسَ مِنَ الْغَرِيبِ سَوَادٌ حَظِّي وَبِالسُّودَانِ قَدْ طَالَ التَّصَاقِي
والدكتور محبوب أصل أبيه من دنقلة بالسودان، وظل يناصر قضية ارتباط مصر بالسودان

فَسَبْحَانَ الْمُفْرَقِ! حَظٌّ قَوْمٍ فَنَاطِيرٌ، وَأَقْوَامٌ أَوَاقٍ
فسبحان المفرق (الموزع للرزق)! فحظ البعض قناطر، وحظ آخرين أواق (الأوقية عيار وزن ضئيل
جداً بالقياس إلى القنطار)

أُمُورٌ يَضْحَكُ السُّعْدَاءُ مِنْهَا وَيَبْكِي الْبَلْشَفِيُّ وَالْإِشْتِرَاقِي
السعداء: الأغنياء المعدون. الاشتراقي هذه فيها ظرف كثير، رجوت ألا يكون فائت

٢٠٠ سحر الدرهم

قال شوقي يداغب الدكتور محبوب ثابت:

قُلْ لَابِنِ سَيْنَا: لَا طَبِيبَ بَ الْيَوْمَ إِلَّا الدَّرْهَمُ
قل لابن سينا (يسخر من الدكتور محبوب ثابت) إن الطبيب الحقيقي اليوم هو الدرهم

هُوَ قَبْلَ «بُقْرَاطٍ» وَقَبْلَ لَكَ لِلْجِرَاحَةِ مَرْهَمُ
فهو قبل بقراط (طبيب اليونان) وقبلك يا دكتور محبوب مرهم الجراح

وَالنَّاسُ، مُذْ كَانُوا، عَلِيَّ دَائِرُونَ وَحُـوْمٌ

والناس، منذ كان ناس، يدورون ويحومون حول الدرهم

وَيَسْخِرُهُ تَعْلُو الْأَسَا فُلٌ فِي الْعِيُونِ وَتَعْظُمُ

بسر الدرهم يعلو أسافل الناس ويعظمون في العيون

٢٠١ براغيث محجوب

قال شوقي يداعب الدكتور محجوب ثابت:

بِرَاغِيثَ مَحْجُوبٍ لَمْ أَنْسَهَا وَلَمْ أَنْسَ مَا طَعِمْتَ مِنْ دَمِي

طعمت: أكلت

تَشْقَى خِرَاطِيمُهَا جَوْرِي وَتَنْفُذُ فِي اللَّحْمِ وَالْأَعْظَمِ

تُرْحَبُ بِالضَّيْفِ فَوْقَ الطَّرِيقِ فَبَابِ الْعِبَادَةِ فَالْسُّلَمِ

قَدْ انْتَشَرَتْ جَوْقَةٌ جَوْقَةٌ كَمَا رُشَّتِ الْأَرْضُ بِالسُّنَمِ

وَتَرْقُصُ رَقْصَ الْمَوَاسِي الْحَدَادِ عَلَى الْجِلْدِ، وَالْعَلَقِ الْأَسْحَمِ

ترقص رقص المواسي (المكاكين) الحداد (الحادة)، على الجلد، وترقص مثل العلق (الحشرات الماصة للدم) الأسحم (الأسود)

إِذَا مَا ابْنُ سِينَا رَمَى بَلْعَمًا رَأَيْتَ الْبِرَاغِيثَ فِي الْبَلْعَمِ

وَتُبْصِرُهَا حَوْلَ بَيْبَا الرِّئِيسِ وَفِي شَارِبِيهِ وَحَوْلَ الْفَمِ

بيبا: غليون، والرئيس لقب ابن سينا

وَبَيْنَ خَفَائِرِ أَسْنَانِهِ مَعَ الشُّوسِ فِي طَلَبِ الْمَطْعَمِ

خفائر: حُقر، المطعم: الطعام

٢٠٢ رثاء المنفلوطي

قال شوقي يرثي المنفلوطي، ومات يوم أطلق الرصاص على سعد زغلول في محاولة

اختياله. (يوليو/تموز ١٩٢٤):

اخْتَرْتُ يَوْمَ الْهَوْلِ يَوْمَ وَدَاعٍ وَنَعَاكَ فِي عَصْفِ الرِّيحِ النَّاعِي

اخترت، وكان المنفلوطي هو الذي اختار يوم موته!، يوم الهول (يوم إطلاق النار على سعد زغلول) لتودعنا، ونعاك الناعي والرياح عاصفة (قيل كان يوماً عاصفاً)

هَتَفَ النُّعَاةَ ضُحًى فَأَوْصَدَ دُونَهُمْ جُرْحُ الرَّئِيسِ مَنَافَذَ الْأَسْمَاعِ
جاء النُّعَاةُ (ناقلو خبر وفاة المنفلوطي) بالخبر عند الضحى، ولكن إصابة سعد بجرح سدت أَسْمَاعَ
الناس، وشغلتهم عن وفاة المنفلوطي

مَنْ مَاتَ فِي فَرْعِ الْقِيَامَةِ لَمْ يَجِدْ قَدَمًا تُشْبِعُ أَوْ حَفَاوَةً سَاعِ
من مات في يوم القيامة لم يجد قدماً تسير في تشييعه؛ وإصابة سعد جعلت مصر كيوم القيامة.
وشوقي في هذه الفترة من أصدقاء سعد، بعد أن كان عَرَضَ به في شعر سابق، وقد مكثه حزب
سعد «الوفد» في هذه الفترة من مقعد في مجلس الشيوخ

مَا ضَرَّ لَوْ صَبَرْتَ رَكَابُكَ سَاعَةً كَيْفَ الْوُقُوفُ إِذَا أَهَابَ الدَّاعِي
ماذا كان يضر لو صبرت ركابك (مطيتك) التي تأخذك إلى العالم الآخر ساعة (بعض الوقت) كي
يعطيك الناس ما تستحق من التوديع، ولكن هل يمكن الوقوف إذا أهَابَ (حُتَّ) داعي الآخرة؟

خَلَّ الْجَنَائِزَ عَنْكَ، لَا تَحْفِلْ بِهَا لَيْسَ الْغُرُورُ لِمَيْتٍ بِمَتَاعِ
دع الجنائز والاهتمام بها، فالغرور الذي يجعل المرء حريصاً على جنازة فخمة لا يفيد الميت شيئاً

مَنْ ضَاقَ بِالدُّنْيَا فَلَيْسَ حَكِيمَهَا إِنْ الْحَكِيمُ بِهَا رَحِيبُ الْبَاعِ
حكيم الدنيا الحقيقي من كان رحيب الباع (واسع الصدر)

مَنْ شَوَّهَ الدُّنْيَا إِلَيْكَ فَلَمْ تَجِدْ فِي الْمُلْكِ غَيْرَ مُعَذِّبِينَ جِبَاعِ؟
بخطب المنفلوطي: من ذا الذي شوه الدنيا في عينك فلم تكن ترى في الملك (ملك الله/أي
الدنيا) سوى المعذبين والجباع، وهذا كان حال المنفلوطي في نظراته وعبراته وما ترجم من
روايات جميعاً

لَا الْفَقْرُ بِالْعَبْرَاتِ خُصٌّ، وَلَا الْغِنَى غَيْرُ الْحَيَاةِ لَهْفٌ حَكْمُ مَشَاعِ
ليست العبرات (الدموع/ وهو اسم كتاب للمنفلوطي) خاصة بالفقر ولا بالغنى، وَغَيْرُ (مضائب)
الدنيا مشاع

مَا زَالَ فِي الْكُوخِ الْوَضِيعُ بَوَاعَتْ مِنْهَا، وَفِي الْقَصْرِ الرَّفِيعِ دَوَاعِ
يوجد في الكوخ دائماً بواعث تبعث على الدموع، وفي القصر الفخم ما يدعو للدموع أيضاً

فِي الْفَقْرِ حَيَاتٌ يَسِيْبُهَا بِهِ حَاوِي الْقَضَاءِ، وَفِي الرِّيَاضِ أَفَاعِ
كأن القضاء له حاوٍ ماهر من الحواة يسبب (يترك) الأفاعي تسرح في الفقر وحياة الفقراء؛ لكن
أيضاً في الرياض (البساتين) أفاعٍ

وَلَرَّبُّ بُؤْسٍ فِي الْحَيَاةِ مُقَنَّنِ أَرْبَى عَلَى بُؤْسٍ بِغَيْرِ قِنَاعِ
وئمة بُؤْسٍ مُقَنَّنِ أَرَبَى (زاد) على بُؤْسٍ صريح

سَكَنَ الْأَحْبَةَ وَالْعَدَى، وَفَرَّغَتْ مِنْ حِقْدِ الْخُصُومِ وَمِنْ هَوَى الْأَشْيَاعِ
الآن بموتك سكن (هدأ) الأحبة والأعداء، واسترحت من حقد الخصوم ومن ميل الأشياء
(الأنصار) على حد سواء

فَافْزَعْ إِلَى الزَّمَنِ الْحَكِيمِ، فَعِنْدَهُ نَقْدٌ تَنْزَرُّ عَنْ هَوَى وَنِزَاعٍ
فافزع (فالجأ) إلى الزمن الحكيم، فالتقد الذي يوفره كُرُ السنين نقد منزّه عن الغرض وعن
الخصومة. وكان شوقي يكره النقاد كراهية شديدة، وفي هذه السنة كانت قد مرت ثلاث سنين على
الهجمة القوية التي شنّها العقاد على شوقي في كتاب الديوان. وقبل إن شوقي كان يدفع للصحف
لتمدح شعره، أو لتمتّع عن نقده

فَإِذَا قَضَى لَكَ أَثْبَتَ مِنْ شُمِّ الْعُلَى بَثْنِيَّةٍ بَعُدَتْ عَلَى السُّطَّلَاعِ
فإذا حكم لك الزمن بالتفوق أثبت (رجعت) من الجبال العالية سالكاً ثنية (طريقاً جبلياً) بعيدة على
السطلاع (الطالعين)، يقصد المتقدين

وَأَجَلٌ مَا فَوْقَ التُّرَابِ وَتَحْتَهُ قَلَمٌ عَلَيْهِ جَلَالَةُ الْإِجْمَاعِ
وأجل ما فوق التراب وتحتَه قلم يجمع الناس على عبقرية

٢٠٣ نجاة سعد

قال شوقي عندما اعتدى على سعد زغلول شاب أطلق الرصاص فأصابه في ذراعه،
(١٩٢٤):

نَجَا وَتَمَائِلَ رُبَّانِهَا وَدَقَّ الْبِشَائِرَ رُكْبَانِهَا
نجا ثم تمائل للشفاء ربان السفينة، ودق ركبان السفينة (ركابها) الطبول بإعلان البشائر (الأخبار
الطيبة)

وَهَلَّلَ فِي الْجَوْ قَيْدَوْمُهَا وَكَبَّرَ فِي الْمَاءِ سُكَّانُهَا
وهلل (قال لا إله إلا الله) قيدوم السفينة (مقدمتها)، وكبّر (قال الله أكبر) سكان السفينة (دفعها)؛
والقيدوم أول السفينة والسكان في آخرها

تَحَوَّلَ عَنْهَا الْأَذَى، وَأَنْشَى عُبَابُ الْخُطُوبِ وَطُوفَانُهَا
تحول الأذى بعيداً عن السفينة التي هي مصر، وأنشئ بعيداً عباب (موج) الخطوب (المصائب)
وطوفانها

نَجَا نَوْحُهَا مِنْ يَدِ الْمُعْتَدِي وَضَلَّ الْمَقَاتِلَ عُذْوَانُهَا
نجا نوحها (قائد السفينة وبشبه بنوح النبي) من يد المعتدي، وقد ضلّ (أخطأ) المقاتل (أجزاء
الجسم التي تسبب إصابتها في الموت قتلاً) عدوان هذه اليد

وَقَى الْأَرْضَ شَرَّ مَقَادِيرِهِ لَطِيفُ السَّمَاءِ وَرَحْمَانُهَا

وقى (حمى) الله الأرض شرَّ مقاديره (الشورود التي كتبها علينا)

وَنَجَّى الْكِنَانَةَ مِنْ فِتْنَةٍ تَهْدِذُ النَّبِيلَ نِيرَانُهَا
ونجى الكنانة (مصر) من فتنة كانت ستحدث لو قتل سعد، وقد هددت نيران هذه الفتنة النيل (مصر)

يَسِيلُ عَلَى قَرْنِ شَيْطَانِهَا عَقِيقُ الدَّمَاءِ وَعَقِيَانُهَا
وكانت ستسيل على قرن شيطان هذه الفتنة (والشيطان، حسيما يتخيله الأوروبيون، ذو قرنين)
الدماء التي تشبه العقيق (الحجر الكريم الأحمر) وتشبه العقيان (الذهب الأحمر)، فالدماء ثمينة
كهذين الشينين وحمراء مثلهما

فِيَا سَعْدُ! جُرِّحْكَ سَاءَ الرِّجَالِ فَلَا جُرْحَ فِيكَ أَوْطَانُهَا

جرحك ساء الرجال، وأدعو أن لا تجرح بجرحك أوطان هؤلاء الرجال

وَقَفَّكَ الْعِنَايَةَ بِالرَّاحَتَيْنِ وَطَوَّقَ جِيدَكَ إِحْسَانُهَا

وقفك (خفك) العناية الإلهية براحتيها، وطوَّقَ جيدك (عفك) إحسان الله

أَرَى مَصْرَ يَلْهُو بِحَدِّ السَّلَاحِ وَيَلْعَبُ بِالنَّارِ وَلَدَانُهَا

وراح بخير مجال العقول يُجِيلُ السِّيَاسَةَ غِلْمَانُهَا

وراح الغلمان بمصر يجيئون (يدبرون) السياسة في مجال غير مجال العقل

وَأَيْنَ النَّبُوغُ وَأَيْنَ الْعُلُومُ وَأَيْنَ الْفَنُونُ وَإِتْقَانُهَا

فأين اعتبار النبوغ والعلم والفن والإتقان. وهذه الأربعة جميعاً مهمة عند شوقي الذي اطلع على ما حققته فرنسا من كل ذلك. وهو يردد هذه النغمة كثيراً في قصائده

وَأَيْنَ مِنَ الْخُلُقِ حَظُّ الْبِلَادِ إِذَا قَتَلَ الشَّيْبَ شُبَّانُهَا

وما حظ بلدنا من الأخلاق عندما يقتل الشبان الشيب (الشائين/المسنين)

وَأَيْنَ الْمَعْلَمُ، مَا خَطْبُهُ؟ وَأَيْنَ الْمَدَارِسُ، مَا شَأْنُهَا؟

وما شأن المعلم، وشأن المدارس؟ وهل تربي النشء على الخلق السليم

لَقَدْ عِبَتْ بِالنِّيَاقِ الْحُدَاةُ وَنَامَ عَنِ الْإِبِلِ رُغِيَانُهَا

لقد عبث الحداة (الجمالون الذين يغنون لجمالهم وهي تير) بالنياق (إناث الجمال)، ونام الرعاة
وأهملوا الإبل

وَيَا سَعْدُ! أَنْتَ أَمِيرُ الْبِلَادِ قَدْ امْتَلَأَتْ مِنْكَ أَيْمَانُهَا

أيمانها: أياديها اليمنى، فقد ملأت مصر يدها بسعد واكتفت بقيادته

وَلَنْ تَرْضَى أَنْ تُقَدَّ الْقَنَاةُ وَبُئِثَ مَنْ مَصَرَ سَوْدَانُهَا
لن ترضى أن تقد (تقطع) القناة منها، وفي ذلك الوقت كان الكلام كثيراً بشأن سيادة مصر على قناة
السويس، ولن ترضى أن يبتز السودان فلا تعود لمصر سيادة عليه

وَحُجَّتُنَا فِيهِمَا كَالصَّبَاحِ وَلَيْسَ بِمُعْجِزِكَ تَبْيَانُهَا
وحجة مصر، في القناة والسودان كليهما، واضحة ولا يعيك (يعجزك) تبيانها (توضيحها)

فَمَصْرُ الرِّيَاضِ، وَسَوْدَانُهَا عِيُونُ الرِّيَاضِ وَخُلُجَانُهَا
فمصر هي الرياض، والسودان هو عيون الماء والخلجان (الأنهار) لهذه البساتين. البس من
السودان يأتي النيل لمصر؟

وَمَا هُوَ مَاءٌ، وَلَكِنَّهُ وَرِيدُ الْحَيَاةِ وَشَرِيَانُهَا
وليس النيل ماء فحسب بل شريان حياة

وَأَمَّا الشَّرِيكَ فَعِلَاتُهُ هِيَ الشَّرِكَاتُ وَأَقْطَانُهَا
وأما الشريك (إنجلترا، شريكة مصر في السيادة على السودان) فعلاته (حججه) في عدم إعطاء
السيادة لمصر وجود شركات تحتاج إلى القطن. وقد أصيب سعد بالرصاص في ساعده الأيمن وهو
في طريقه إلى إنجلترا للتفاوض على الاستقلال مع رئيس الوزراء البريطاني رمزي مكدونالد، وقد
سافر بعيد شفائه واجتمع مع مكدونالد في سبتمبر أيلول ١٩٢٤، وتمسك الإنجليز بالسيطرة شبه
المنفردة على السودان

وَحَرْبٌ مَضَتْ نَحْنُ أَوْزَارُهَا وَخَيْلٌ خَلَّتْ نَحْنُ فَرَسَاتُهَا
ومن حجج الإنجليز الحرب ضد المهدي في السودان لكننا كنا نحن أوزارها (أسلحتها)، ومن
حججهم الخيل التي خلت (مضت)، ولكننا كنا نحن فرسان هذه الخيل

فَأَيْنَ مِنَ الْمَنْشِ بِحَرِّ الْغَزَالِ وَفَيْضُ نِيَانِزَا وَتَهَاتُهَا
فأين من بحر المنش (القنال الإنجليزي بين فرنسا وإنجلترا) بحر الغزال (منطقة نيلية في السودان)
ونيانزا (بحيرة من منابع النيل، واسمها الأشهر بحيرة فكتوريا) وفيضا وتهاتنا (مطولها بالمطر)،
فقد نفهم مطالبة الإنجليز بحصة في بحر المنش أما بحر الغزال فما أبعد عنهم!

وَأَيْنَ التَّمَاسِيحُ مِنْ لُجَّةِ يَمُوتُ مِنَ الْبَرْدِ حَيْثَانُهَا
وأين تماسيح النيل من لجة (بحر) يموت من البرد حيثانها، فالتماسيح يعيش في جو إفريقيا الحار
فقط

وَلَكِنْ رُؤُوسٌ لَأَمْوَالِهِمْ يَحْرُكُ قَرْنِيَهُ شَيْطَانُهَا
ولكن الأمر هو أن رؤوس أموالهم كرؤوس الشياطين التي تحرك قرونها

ودعوى القوي كدعوى السباع مِنْ النَّابِ وَالظُّفْرِ بُرْهَانُهَا
ودعوى (قضية) القوي هي قضية السباع لا برهان عليها إلا الناب والظفر

٢٠٤ العلم والخلق

قال شوقي (١٩٢٤):

وَجَدْتُ الْعِلْمَ لَا يَبْنِي نَفْسًا وَلَا يُغْنِي عَنِ الْأَخْلَاقِ شَيْئًا
ولم أر في السَّلاحِ أَضْلَّ حَدًّا مِنْ الْأَخْلَاقِ إِنَّ صَحَبَتْ غَوِيًّا
كنت أحب لو كان شوقي قال غياً بدل غوياً

٢٠٥ الروح

قال شوقي (١٩٢٤):

ضُمِّي قِنَاعَكَ يَا سَعَادُ أَوْ ارْفَعِي هَذِي الْمَحَاسِنُ مَا خُلِقْنَ لِبُرْقِعِ
ضمي قناعك واستري به وجهك يا سعاد، أو ارفعيه، لكن.. محاسنك ما خلقها الله لكي تبتري وتجبها

بَلْ مَا يَضُرُّكَ لَوْ سَمَحْتَ بِجَلْوَةٍ إِنَّ الْعُرُوسَ كَثِيرَةُ الْمُتَطَلِّعِ
ولماذا لا تسمحين بجلوة (انكشاف العروس في عرسها)، والعروس كثيرة المتطلع (المتطلعين الناظرين إليها)

لَيْسَ الْحِجَابُ لِمَنْ يَعِزُّ مَنَالُهُ إِنَّ الْحِجَابَ لِهُيِّنٍ لَمْ يُمْنَعِ
الحجاب ليس لمن يكون عزيز المنال، بل للفتاة التي ليس هناك من يمنعها ويحميها، وأنت ممتنعة محمية ولست بحاجة لقناع. شوقي هنا يتغزل، لكنه يتحدث أيضاً عن «الروح» التي هي محجوبة عنا مع أنها في حفظ الله

أَنْتِ الَّتِي اتَّخَذْتَ الْجَمَالَ لِعِزِّهِ مِنْ مَظْهَرٍ، وَلِسِرِّهِ مِنْ مَوْضِعِ
أنت اتخذك الجمال (ذات الجميل/الله) مظهراً لعزه وموضعاً لسره

لِمَسِّكَ رَاحَتَهُ، وَمَسِّكَ رَوْحُهُ فَأَتَى الْبَدِيعُ عَلَى مِثَالِ الْمَبْدَعِ
لمسك يد الله وروحه، فجئت بدیعة لأنك مخلوقة المبدع

مَا بَالُ أَحْمَدَ عَيَّ عَنْكَ بَيَانُهُ بَلْ مَا لِعِيسَى لَمْ يَقُلْ أَوْ يَدَّعِ
كيف عَيَّ أحمد (عجز بيان الرسول محمد) عن شرحك، بل ما لعيسى لم يقل فيك شيئاً ولا ادعى معرفة بك أينها الروح

ولسان موسى انحلَّ إِلَّا عُقْدَةً مِنْ جَانِبِكَ علاجُها لم يَنْجِعِ
ولسان موسى النبي كان فيه لغة ثقيلة فانحلت عقده (بأن رافقه أخوه السَّيْن هارون) ولكن العقدة
التي به من جانبك لم ينجع (يفد) فيها العلاج

٢٠٦ قم للمعلم

قال شوقي في حفل نادي المعلمين، وكان هذا الحفل قبل أسبوع من افتتاح البرلمان
(١٩٢٤):

قُمْ لِلْمَعْلَمِ، وَقُوِ التَّبْجِيلَا كَادَ الْمَعْلَمُ أَنْ يَكُونَ رَسُولَا
قم للمعلم موفياً له التبجيل، فالمعلم كاد أن يكون رسولاً. ما أكثر ما يأمر شوقي قراء شعره
بالقيام، حتى لكأننا قاعدون على قلبه

أَعْلِمْتَ أَشْرَفَ أَوْ أَجَلَّ مِنَ الَّذِي يَبْنِي وَيَنْشِئُ أَنْفُساً وَعُقُولَا
سَبِّحَانَكَ اللَّهُمَّ! خَيْرَ مُعَلِّمٍ عَلَّمْتَ بِالْقَلَمِ الْقُرُونِ الْأُولَى
القرن: الأجيال، يشير إلى الآية: ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾

أَخْرَجْتَ هَذَا الْعَقْلَ مِنْ ظُلُمَاتِهِ وَهَدَيْتَهُ النُّورَ الْمُبِينِ سَبِيلَا
عَلَّمْتَ يُونَانًا وَمِصْرَ، فزالتا عَنْ كُلِّ شَمْسٍ مَا تُرِيدُ أَفُولَا
علمت يا رب اليونان ومصر، فزالتا عن (خلفنا) شمساً من الحضارة لا تريد أفولاً (غيباً)،
بخلاف شمس السماء التي تأفل كل يوم

وَالْيَوْمَ أَصْبَحْنَا بِحَالِ طُفُولَةٍ فِي الْعِلْمِ تَلْتَمِسَانِي تَطْفِيلَا
ورجعت اليونان ومصر إلى حال الطفولة الحضارية، وهما الآن تلتسان (تطلبان) العلم تطفيلاً
(تطفلاً)

ذَهَبَ الَّذِينَ حَمَوْا حَقِيقَةَ عِلْمِهِمْ . وَاسْتَعَذَّبُوا فِيهَا الْعَذَابَ وَبِيلَا
ذهب الذين حموا حقيقة علمهم واستعذبوا (استطابوا) في سيلها العذاب الوبيل (الشديد)

سَقْرَاطُ أَعْطَى الْكَاسَ، وَهِيَ مَنِيَّةٌ، شَفَتْنِي مُجِبٌ يَشْتَهِي التَّقْبِيلَا
سقراط اليوناني أعطى كأس السم - وهي منية (موت) - شفتني محب

عَرَضُوا الْحَيَاةَ عَلَيْهِ، وَهِيَ غَبَاوَةٌ، فَابِي، وَآثَرَ أَنْ يَمُوتَ نَبِيلَا
عرضوا عليه التراجع عن آرائه أو الهرب من سجنه، ولكنه وجد الحياة غباوة بغير مبادئ، فرفض
وآثر (فضل) أن يموت نبيلاً

إن الشجاعة في القلوب كثيرةٌ ووجدتُ شجعانَ العقولِ قليلاً
شجاعة القلب (التحسُّ وخوض القتال مثلاً) شائعة، وشجاعة العقل (الصمود في سبيل المبدأ)
نادرة

أَوْكُلُ مَنْ حَامَى عَنِ الْحَقِّ اقْتَنَى عِنْدَ السَّوَادِ ضَعْفَانًا وَدُحُولًا
هل كل من حامى (دافع) عن الحق صار عليه أن يقتني (يجتلب) لنفسه عند السواد (عامّة الناس)
الضعفان (الأحقاد) والدحول (الثارات)

لَوْ كُنْتُ أَعْتَقِدُ الصَّلِيبَ وَخَطْبَهُ لَأَقِمْتُ مِنْ صَلْبِ الْمَسِيحِ دَلِيلًا
لو كنت مؤمناً بالصلب وخطبه (شأنه) أن المسيح صلب ومات على الصليب كما يعتقد المسيحيون
لجعلت من صلبه دليلاً على قولِي

وَنَيْتُ خُطَى التَّعْلِيمِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ وَمَشَى الْهُوَيْنَى بَعْدَ إِسْمَاعِيلَا
ويت (ضعفت) خطى التعليم في مصر بعد محمد علي باشا، ومشى التعليم الهوينى (بطيئاً) بعد
الخدوي إسماعيل

حَتَّى رَأَيْنَا مَصْرَ تَخْطُو إِصْبَعَا فِي الْعِلْمِ إِنْ مَشَتْ الْمَمَالِكُ مِيلَا
تلك الكُفُورُ، وحشوها أُمِّيَّةً، مِنْ عَهْدِ خَوْفُو، لَمْ تَرَ الْقِنْدِيلَا
هذه الكفور (القرى) المحشوة بالأمية من عهد الفرعون خوفو، لم تعرف الكهرباء بعد

تَجَدُّ الَّذِينَ بَنَى الْمِسَلَّةَ جَدُّهُمْ لَا يُخْخِصِنُونَ لِإِبْرَةِ تَشْكِيْلَا
هؤلاء الذين بنى جدهم الفرعوني المسلة (نصب على شكل إبرة ضخمة) لا يحسنون تشكيل
(صناعة) إبرة

رَبُّوْا عَلَى الْإِنْصَافِ فِتْيَانُ الْجَمَى تَجَدُّوهُمْ كَهَفَ الْحَقُوقِ كُھُولَا
أيها المعلمون: ربوا الفتيان على العدل تجدوهم في كهولتهم (رجولتهم المتقدمة) كهفاً (ملاذاً)
لحفظ الحقوق

وَإِذَا أُصِيبَ الْقَوْمُ فِي أَخْلَاقِهِمْ فَأَقِمْ عَلَيْهِمْ مَأْتَمًا وَعَوِيْلَا
إِنِّي لَأَعِذُّكُمْ، وَأُخَسِّبُ عِبَتَكُمْ، مِنْ بَيْنِ أَعْبَاءِ الرِّجَالِ، ثَقِيلَا
لكم العذر فعبثكم، من بين كل الرجال، ثقیل

وَجَدَ الْمُسَاعِدَ غَيْرَكُمْ، وَحُرْمَتُمْ، فِي مَصْرَ، عَوْنُ الْأَمْهَاتِ جَلِيلَا
غيركم وجد من يساعده في عمله، وأنتم حرمتكم المساعدة الجليلة المنتظرة من الأمهات في التربية
وإذا النساءُ نشأن في أُمِّيَّةٍ وَرِثَ الرِّجَالُ جَهَالَةً وَخُمُولَا

لَيْسَ الْيَتِيمُ مَنِ انْتَهَى أَبَوَاهُ مِنْ هَمِّ الْحَيَاةِ، وَخَلَّفَاهُ ذَلِيلًا
إِنَّ الْيَتِيمَ هُوَ الَّذِي تَلْقَى لَهُ أُمًّا تَخَلَّتْ، أَوْ أَبًا مَشَنُوعًا

اليتيم الحقيقي هو الذي تجد له أمًا تخلت عن واجباتها، وأبًا شغلته المشاغل عن العناية بابنه

مَصْرًا إِذَا مَا رَاجَعْتَ أَيَّامَهَا لَمْ تَلَقَ لِلْسَبْتِ الْعَظِيمِ بَدِيلًا
السبت العظيم: ١٥/٣/١٩٢٤ اليوم الذي سيفتح فيه البرلمان بعد أسبوع من إلقاء القصيدة

الْبَرْلَمَانُ غَدًا يُمَدُّ رُواقُهُ ظِلًّا عَلَى الْوَادِي السَّعِيدِ ظَلِيلًا
غداً يمدُّ رواق (مظلة) البرلمان ليظلل وادي النيل

حَيُّوا مِنَ الشَّهَدَاءِ كُلِّ مُعَيِّبٍ وَضَعُوا عَلَى أَحْجَارِهِ إِكْلِيلًا
ناشدتكم تلك الدماء زكية لا تبعثوا للبرلمان جهولا

٢٠٧ عزة الموت

قال شوقي في أربعين عاطف بركات، وكيل وزارة التعليم، (١٩٢٤):

خَفَضْتُ لِعِزَّةِ الْمَوْتِ الْبِرَاعَ وَجَدَّ جَلَالُ مَنْطِقِهِ فَرَاعًا
خفضت البراع (القلم) لعزة (سطوة) الموت، وكان منطق الموت (كلام الموت) جاداً وجليلاً
فراعتي (أخافتي)

فَإِنْ تَقَلَّ الرِّثَاءَ فَقُلْ دُمُوعًا يُصَاغُ بِهِنَّ، أَوْ حِكْمًا تُرَاعَى
فإن تقل الرثاء فليكن من الدموع يصاغ منها، أو من الحكم التي تراعى (تتبع)

وَلَا تَكُ مِثْلَ نَادِيَةِ الْمُسَجَّى بَكَتْ كَسْبًا، وَلَمْ تَبْكُ التِّياعَا
ولا تكن مثل النادية التي تنوح على العثمان المسجي (الممدد)، فهي تبكي لكسب المال وليس
لالتباعا (حرقها)

خَلَّتْ دُولُ الزَّمَانِ، وَزُلْزِلَ رُكْنُهَا وَرُكْنُ الْأَرْضِ بَاقِي مَا تَدَاعَى
خلت (زالت) دول الزمان، وزالت أركانها، ولكن الأرض باقية لا تتداعى أركانها

وَلَوْ أَبَتْ ثَوَاكِلُ كُلِّ قَرْنٍ وَجَدَنَّ الشَّمْسَ لَمْ تُثْكَلْ شُعَاعًا
ولو رجعت النساء الثواكل (الفاقدات للأبناء) من كل قرن مضى لوجدن الشمس على حالها
لم تفقد شعاعاً واحداً من أشعتها

٢٠٨ من خاتنه الدهر

قال شوقي في المؤتمر الجغرافي (١٩٢٥):

يا لَيْلِيَّيْ لِإِسْمَاعِيلَ مِنْ بَيْنَةِ طَالَتْ، وَخَيْنٍ مِنَ الْأَقْدَارِ قَدْ حَانَا
أَسْتَعِثَّ بِاللَّيَالِي لَذِكْرِ الْخُدْيُوِي إِسْمَاعِيلَ مِنْ هَذِهِ الْبَيْنَةِ (الغفوة) الَّتِي طَالَتْ، وَهَذَا الْخَيْنِ
(الهِلَاك) الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الْأَقْدَارُ وَحَانَ (اقْتَرَب) وَقْتَهُ

قَدْ خَطَّ شِعْرِي عَلَى الشَّعْرَى لَهُ جَدًّا وَخَاطَ مِنْ لَمَحَاتِ الشَّمْسِ أَكْفَانَا
لَقَدْ خَطَطْتُ (بَنَيْتُ) بِشْعَرِي عَلَى الشَّعْرَى (النَّجْمَ الْمَعْرُوفَ) جَدًّا (قَبْرًا) لِلْخُدْيُوِي إِسْمَاعِيلَ، وَخَاطَ
(حَاكَ حَيَاكَةَ) شِعْرِي لَهُ مِنْ لَمَحَاتِ (بَرِيقِ) الشَّمْسِ كَفْنَا، فَقَدْ مَدَحْتَهُ وَنَوَّهْتَ بِذِكْرِهِ

وَلَوْ مَشَتْ بِي اللَّيَالِي تَحْتَ كَوْكَبِهِ غَادَرْتُ أَحْمَدَ نِسِيًّا، وَابْنَ حَمْدَانَا
وَلَوْ قُدِّرَ لِي أَنْ تَمْشِيَ اللَّيَالِي (الزَّمَنَ) بِي تَحْتَ كَوْكَبِهِ (فِي ظِلِّ حُكْمِهِ)، لَكُنْتُ غَادَرْتُ (تَرَكْتُ)
أَحْمَدَ (أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْمُتَنَبِّيِّ) نِسِيًّا (مَنْسِيًّا) وَكَذَلِكَ ابْنَ حَمْدَانَ (سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْحَمْدَانِيَّ)، وَنَحْنُ
نَتَذَكَّرُهُ بِسَبَبِ الْمُتَنَبِّيِّ؛ فَلَوْ أَفْلَحَ شَوْقِي فِي شَطْبِ الْمُتَنَبِّيِّ لَشَطَبَ مَعَهُ سَيْفَ الدَّوْلَةِ تَلْقَائِيًّا

مَدَّ الْكِنَانَةَ أَطْرَافًا، وَوَسَّعَهَا مُلْكًا، وَأَتْرَعَهَا خَيْلًا وَقُرْسَانًا
وَسَّعَ إِسْمَاعِيلُ مِصْرَ، وَأَتْرَعَهَا (مَلَاهَا) خَيْلًا وَفُرْسَانًا

خَيْالٌ مُلْكٌ تَلَمَّسْنَا حَقِيقَتَهُ فَأَخْطَأْنَا، وَكَانَتْ حَظُّ يَابَانَا

وَكَانَ ذَلِكَ التَّوَسُّعُ خَيْالٌ (شَيْخٌ) مُلْكٌ أَرَدْنَا لَهُ أَنْ يَكُونَ حَقِيقًا، وَلَكِنْ حَقِيقَتُهُ أَخْطَأْنَا
(لَمْ تَصْبُنَا) وَكَانَتْ مِنْ حَظِّ الْيَابَانِ. يَطْرَحُ هَذَا الْبَيْتُ سُؤَالَ يَحْتَاجُ إِلَى كِتَابٍ كَبِيرٍ لِتَوْفِيرِ
الْإِجَابَةِ. وَلَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الْإِجَابَةِ لِذَا أَكْتَفِي بِتَفْسِيرِ السُّؤَالِ: قَدْ نَهَضَتْ مِصْرُ
فِي عَهْدِ مُحَمَّدٍ عَلِيٍّ، وَكَانَتْ لَهَا نَهْضَةٌ فِي عَهْدِ إِسْمَاعِيلَ (وَرَأَى إِسْمَاعِيلُ فِي أَوَاسِطِ
سِنِي حُكْمِهِ السَّتَّةَ عَشَرَ الْيَابَانِ تَنْهَضُ بِقُوَّةٍ)، وَفِي بَدَايَا الْقَرْنِ الْعِشْرِينَ ظَلَمْنَا نَحْسُ أَنْ
مِصْرُ سَخَّرَ مِنْ قِمَمِ الدُّوَلِ الْمُتَخَلِّفَةِ وَاسْتَلْحَقَ بِالْيَابَانِ، لَكِنْ نَهْضَةُ مِصْرٍ انْتَكَسَتْ كَمَا
يَقُولُ شَوْقِي فِي هَذَا الْبَيْتِ (وَالْبَيْتُ يَسْبِقُ ثَوْرَةَ ١٩٥٢ وَحُكْمَ الْعِسْكَرِ بِسَبْعِ عَشْرِينَ
سَنَةً). فَلَمَّاذَا لَا تَنْهَضُ مِصْرُ كَالْيَابَانِ وَمَالِيزِيَا وَكُورِيَا الْجَنُوبِيَّةِ؟ فِي الْبَيْتِ التَّالِيِّ سَيَكُونُ
جَوَابُ شَوْقِي أَنَّ الدَّهْرَ خَانَ مِصْرَ. وَهُوَ جَوَابُ شَاعِرٍ. وَهُوَ كَلَّا جَوَابٍ. عَلَى أَنَّ هَذَا
الْبَيْتَ، الْحَالِيَّ، يَحْمِلُ إِحْسَاسًا عَمِيقًا بِأَنَّ قَطَارَ النِّهْضَةِ فَاتَ مِصْرَ

مَنْ خَانَهُ الدَّهْرُ خَانَتُهُ صَنَائِعُهُ وَعَادَ ذَنْبًا لَهُ مَا كَانَ إِحْسَانًا
مَنْ خَانَهُ الدَّهْرُ خَانَتَهُ صَنَائِعُهُ (حَسَنَاتُهُ)، وَعَادَ (هَارَ) يُعَدُّ ذَنْبًا مِنْ ذُنُوبِهِ مَا كَانَ مِنْ إِحْسَانِهِ

٢٠٩ سباق في التنويه بالسباقين

قال شوقي متذكراً الكشف عن مقبرة توت عنخ آمون قبل ثلاث سنوات (١٩٢٥):

دَرَجْتُ عَلَى الْكَنْزِ الْقُرُونُ وَأَنْتَ عَلَى الدَّنِّ السَّنُونُ

دَرَجْتُ (مَشْتُ) عَلَى الْكَثَرِ الْقُرُونِ (مِائَاتِ السِّنِينَ)، وَأَنْتَ (مَرْتُ) عَلَى الدَّنِّ (وَعَاءِ الْخَمْرِ) السَّنَوَاتِ

حَتَّى أَتَى الْعِلْمُ الْجَسُو رُ، فَفَضَّ خَاتِمَهُ الْمَصُونُ

حتى جاء العلم الجريء ففض (فتح) ختم هذا الكثر المصون (المحمي)

وَالْعِلْمُ بِدْرِيٍّ أَحْلَى لَأَهْلِهِ مَا يَصْنَعُونَ

والعلم بدريٍّ (مثل مقاتلي بدر الذين غفرت لهم ذلاتهم السابقة واللاحقة، لذا فلهم أن يصنعوا ما يشاؤون)، وحلال لأهل العلم كل ما يصنعون

وَأَنْدَسَ كَالْمَصْبَاحِ فِي حُفْرِ مِنَ الْأَجْدَاثِ جُونُ

اندس العلم كأنه المصباح في حفر جُون (سود) هي حفر الأجداث (القبور)

خَانَتْ أَمَانَةً جَارَهَا وَالْقَبْرُ كَالدُّنْيَا يَخُونُ

هذه القبور خانت أمانة جارها (ساكنها)، بأن سلمت جثمانه للآثاريين

يَا ابْنَ الثَّوَاقِبِ مِنْ رِعٍ وَابْنَ الزَّوَاهِرِ مِنْ أُمُونِ

يا توت عنخ آمون، يا ابن النجوم الثاقبة (المتقلة) من نسل رِع (إله الشمس)، وابن النجوم الزاهرة من نسل آمون (إله الخصب)

هَذَا الْقِيَامُ، فَقُلْ لَنَا الْيَوْمَ الْأَخِيرُ مَتَى يَكُونُ

ظهورك بمثابة القيام (قيام المسيح من قبره، بحسب معتقد المسيحيين)، فمتى يا ترى يكون يوم القيامة؟

الْبَيْعُ غَايَةُ زَائِلٍ فَإِنْ، وَأَنْتُمْ خَالِدُونَ

البيع من القبور ودخول حياة الخلود غاية كل إنسان زائل فإن، وأما أنتم فخالدون أولردي بما تركتم من معالم

السَّبْقُ مِنْ عَادَاتِكُمْ أَتَرَى الْقِيَامَةَ تَسْبِقُونَ؟

وعادتكم هي السبق، فهل بقيامك هذا تريد أن تسبق يوم القيامة؟

دَهَبٌ بِبَطْنِ الْأَرْضِ لَمْ تَذْهَبْ بِلَمَحَةِ الْقُرُونِ

غثر على ذهب في جوف الأرض لم تذهب القرون بلمحة (بريقة)

مَلِكُ الْمَمْلُوكِ! تَحِيَّةٌ وَوَلَاءٌ مُخْتَفِظٌ أَمِينُ

يا ملك الملوك تحية مني أنا الذي حفظت لك حسانتك وكنْتُ أميناً على تراثك

هَذَا الْمَقَامُ عَرَفْتُهُ وَسَبَقْتُ فِيهِ الْقَائِلِينَ

فأنا عرفت مقام (مكانة) الفراغة، وسبقت كل الشعراء في التنويه بذكرهم وآثارهم

سَالَتْ عَيُونُ قَصَائِدِي وَجَرَى مِنَ الْحَجَرِ الْمَعِينُ

سالت عيون قصائدي (بنايع قصائدي) بالآليات العذبة، وجرى المعين (الماء) من الحجر (الآثار الحجرية للفراغة). تلعب لفظي متداخل. فعيون القصائد جيادها، وعيون الوجه هي التي تسيل بالدموع، والعيون هي البنابيع؛ والمعين نبع وقد يخرج من الحجر بقدرة الله، والحجر أيضاً هو آثار الفراغة، وكلّ أولئك قصد شوقي

أَقْعَدْتُ جَيْلاً لِلْهَوَى وَأَقَمْتُ جَيْلاً آخَرِينَ

أنا أقعدت الجيل السابق بقصائد الغزل، وأقمت الجيل الحاضر بشعري الفرعوني، يقول إنه أقام الدنيا وأقعداها بالوان شعره المختلفة. وفي حديث صحفي لأحمد شوقي، للأهرام عام ١٩٢٧، قال إن هذه القصيدة هي الأثيرة عنده. كانت جديدة آنذاك وكان ممتازاً بها

٢١٠ تحرش

قال شوقي بذكر ربوع لبنان (١٩٢٥):

دَخَلَ الْكَنِيسَةَ، فَارْتَقَبْتُ فَلَمْ يُطَلْ فَأَتَيْتُ دُونَ طَرِيقِهِ فَزَحَمْتُهُ

دخل محبوبي الكنيسة فارتقبت (انتظرت) فلم يُطل المكوث، وعندما خرج تحرشت به وزاحمتني في الطريق

فَارْزَوْرَ غَضْبَاناً وَأَعْرَضَ نَافِراً حَالٌ مِنَ الْخَيْدِ الْمِلَاحِ عَرَفْتُهُ

فارزور (أشاح عني) غاضباً وتفر مني، وهذا الحال أعرفه من الخيد (الحسان) الملاح (الجميلات)

فَصَرَفْتُ تَلْعَابِي إِلَى أَتْرَابِي وَزَعَمْتُهُنَّ لُبَانَتِي، فَأَغَرْتُهُ

فصرفت تلعابي (لهوي وغزلي) عنه إلى الفتيات الأخريات، وزعمت أنني لبانتي (غابتي) فأغرتني (أشعرته بالغيرة)

فَمَشَى إِلَيَّ، وَلَيْسَ أَوْلَ جُؤْذُرٍ وَقَعْتُ عَلَيْهِ حَبَائِلِي فَقَنَضْتُهُ

فأتى المحبوب إلي عندئذ، وليس هو أول جؤذر (ولد بقر الوحش) رميت عليه حبالتي (شباكي) فقنصته (صدته)

٢١١ قم ناج جلق

قال شوقي في حفل تكريمه بالمجمع العلمي العربي بدمشق (١٩٢٥):

قُمْ نَاجَ جِلْقَ، وَانْشُدْ رَسَمَ مَنْ بَانُوا مَشَتْ عَلَى الرَّسْمِ أَحْدَاثُ وَأَزْمَانُ

على طريقته التي لا يدعها يطلب شوقي من قارئه أن يقوم لبناجي (بحداث) جلق (دمشق) ولنشد (يتعقب) رسم (أثر) من بانوا (رحلوا)، وقد مشت الأحداث والسنوات على هذا الأثر

بنو أميةً للأنبياء ما فَتَحُوا وللأحاديث ما سادوا وما دانوا
 بنو أمية فتوحاتهم صارت نبأ من الأنبياء، وما سادوا ودانوا (أخضعوا) من أقوام صار للأحاديث
 كانوا ملوكاً سريرُ الشرقِ تحتهُم فهل سألتَ سريرَ الغربِ ما كانوا
 كانوا ملوكاً تحتهُم سرير (عرش) الشرق، فهل سألتَ عرش الغرب أيضاً ماذا كان شأنهم؟ فهم
 أيضاً ملوكوا عرش الأندلس في الغرب

بالأمسِ قمْتُ على الزَّهراءِ أُنْذِبُهُم واليومَ دمعي على الفيحاءِ هَتَانُ
 بالأمس (وأنا منفي في إسبانيا) ندبت بني أمية في «الزهراء» قرب قرطبة، واليوم دمعي هتان
 (هطال) على الفيحاء (دمشق)

لولا دمشقُ لما كانت طَلَيْطَلَةٌ ولا زَهَتْ ببني العباسِ بَغْدَانُ
 لولا دمشق لما فتح العرب طليطلة بالأندلس، ولا زمت (ازدانت) بغداد ببني العباس
 مررتُ بالمسجدِ المحزونِ أسأله هل في المُصلَّى أو المحرابِ مَرْوَانُ
 مررت بالمسجد الأموي الحزين أسأله عن مروان (مروان بن الحكم أبو الخلفاء الأمويين بعد
 معاوية الثاني)

تَغَيَّرَ المسجدُ المحزونُ، واختلَفَتْ على المنابرِ أحرارٌ وعُبدانُ
 تغير المسجد الأموي وتعاقبت على منابر السادة والعبيد يحكمون دمشق
 خَلَفْتُ لِبْنَانَ، جناتِ النعيمِ، وما نُبِئْتُ أَنَّ طريقَ الحُلْدِ لِبْنَانُ
 تركت لبنان وهو في عيني الجنة، ولم يخبرني أحد أنه هو الطريق إلى الجنة لا الجنة نفسها..
 حتَّى انحدرْتُ إلى فيحاءٍ وارفَةٍ فيها الندى، وبها طيٌّ وشَيَّبانُ
 حتَّى انحدرت (نزلت) إلى فيحاء (زكية الرائحة/الفيحاء لقب دمشق) وارفة الظلال، وبها قوم
 أصولهم من عرب طيء وشيخان، فهنا الجنة

نزلْتُ فيها بِفَتَيانٍ جَاحِجَةٍ أبَاؤُهُمْ، في شبابِ الدهرِ، عَسَّانُ
 نزلت ضيفاً بفتيان جاحجة (سادة)، أبائهم الأقدمون - عندما كان الزمن في شبابه - قبيلة غسان.
 ما كان ضر شوقي لو أبعد هذه الجاحجة عن شعره. إنها لكالذباة في طبق المهلبية

بِیضُ الأُسْرَةِ، باقٍ فيهِمْ صَبَدٌ مِنْ عَبدِ شَمْسٍ، وإنْ لَمْ تَبَقْ تِيجَانُ
 بيض الأسرة (الوجوه) فيهم صَبَد (شموع) باقٍ من زمن عبد شمس (جد بني أمية)، وإن لم تبق
 لهم التيجان

المُلْكُ أَنْ تَعْمَلُوا ما اسْتَطَعْتُمْ عملاً وَأَنْ يَبِينَ على الأعمالِ إِتْقَانُ
 الملك هو أن تعملوا بجد، ويأتقان

الْمُلْكُ أَنْ تَخْرُجَ الْأَمْوَالُ نَاشِطَةً لِمَطْلَبٍ فِيهِ إِصْلَاحٌ وَعُمْرَانُ

الملك هو أن تُنفق الأموال في الإصلاح والعمران

الْمُلْكُ نَحْتٌ لِسَانٍ حَوْلَهُ أَدَبٌ وَتَحْتِ عَقْلٍ عَلَى جَنْبَيْهِ عِرْفَانُ

الملك يحتاج إلى لسان يدعمه الأدب، وإلى عقل مدعوم من جانبيه بالمعرفة

الْمُلْكُ أَنْ تَتَلَقَّوْا فِي هَوَى وَطَنِ تَفَرَّقَتْ فِيهِ أَجْنَسٌ وَأَبْدَانُ

الملك هو الالتقاء في حب الوطن، وإن تفرقت (اختلفت) أجناس وأشكال المواطنين

نَصِيحَةٌ مِلْؤُهَا الْإِخْلَاصُ صَادِقَةٌ وَالنَّصِيحُ خَالِصُهُ دِينٌ وَإِيمَانُ

والشُّغْرُ، مَا لَمْ يَكُنْ ذِكْرِي وَمَوْعِظَةٌ أَوْ حِكْمَةٌ، فَهُوَ تَقْطِيعٌ وَأَوْزَانُ

٢١٢ على قبر نابليون

قال شوقي بعد زيارة لقبر نابليون (١٩٢٥):

لَيْسَ فِي قَبْرِ إِنْ نَالَ الشُّهَاءُ مَا يَزِيدُ الْمَيِّتَ زِنًا وَيَزِينُ

ليس في أي قبر، حتى وإن رفعوا بنيانه ليعمل إلى نجمة «الها»، ما يزيد من قيمة الميت أو يزينه (يُزَيِّنُهُ)

فَانْزِلِ التَّارِيخَ قَبْرًا، أَوْ قَنَمٌ فِي الثَّرَى غُفْلًا كَبَعْضِ الْهَامِدِينَ

فانزل التاريخ واتخله قبراً (ليكن التاريخ هو موضع ذكراك فهذا هو الخلود في الدنيا)، وسوى ذلك فلتنم في الثرى (التراب) غفلاً (نكرة مجهولاً) كبعض الناس الهامدين (المنطفئين)

وَإِخْدَعِ الْأَحْيَاءَ مَا شِئْتَ، فَلَنْ تَجِدَ التَّارِيخَ فِي الْمُنْخَدِعِينَ

اخدع الأحياء ما شئت، ولكن التاريخ لا ينخدع

لَا يَقُولَنَّ امْرُؤٌ أَصْلِي، فَمَا أَصْلُهُ مِنْكَ وَأَصْلُ النَّاسِ طِينُ

لا يبنّا امرؤ بأصله، فكلنا من طين وليس أحد مخلوقاً من المسك

قَدْ تَنَوَّجْتَ، فَقَالَتْ أُمَمٌ: وَلَكِنَّ الشُّورَةَ عَقَى الشَّائِرِينَ

يا نابليون! عندما وضعت التاج على رأسك وأعلنت نفسك إمبراطوراً قالوا إن ابن الثورة عق (خان) الشائرين

وَتَزَوَّجْتَ، فَقَالُوا: مَا لَهُ وَلِحُورٍ مِنْ بَنَاتِ الْمُلْكِ عَيْنُ

وعندما تزوجت من بيت مالك قالوا: ما لهذا الرجل ذي الأصل العادي ولبنات الملوك الحور (الجميلات الميون) العين (الجميلات الميون)

قَسَمًا لَوْ قَدَرُوا مَا احْتَشَمُوا، لَا يَمِثُّ النَّاسُ إِلَّا عَاجِزِينَ
وأقسم لو أن هؤلاء المعترضين قدروا على ما صنعت لما احتشموا (خجلوا) من الشيء نفسه،
والناس لا يعفون (يترفعون) إلا عندما يعجزون عن نيل الشيء

أَرَأَيْتَ الْخَيْرَ وَافَى أُمَّةً لَمْ يَنَالُوا حَظَّهُمْ فِي النَّابِغِينَ
هل وجدت أمة نالها الخير والازدهار دون أن تنال نصيبها من الأفراد النابغين؟

يَضْلُحُ الْمُلْكُ عَلَى طَائِفَةٍ هُمْ جَمَالُ الْأَرْضِ حِينَئِذٍ بَعْدَ حِينٍ
الملك يصبح صالحاً على طائفة (بوجود جماعة) من المتميزين الذين هم جمال الأرض، والذين
يأتون حيناً بعد حين

قُمَ إِلَى الْأَهْرَامِ وَاخْشَعْ وَأَطْرِخْ خَيْلَةَ الصَّيْدِ وَزَهْوُ الْفَاتِحِينَ
قم يا نابليون من قبرك وتعال إلى الأهرام واخشع أمامها، وأطرح (اخلع) خيلة (تكبر) الصيد
(الأسياء) وزهو (تكبر) الفاتحين

وَأَعِزَّهَا كَلِمَاتٍ أَزْبَعًا قَدْ أَحَاطَتْ بِالْقُرُونِ الْأَرْبَعِينَ
وأعد كلماتك الأربع المشهورة التي قلتها لجنودك عند الأهرام (أربعون قرناً تطل عليكم) والتي
أحاطت بـ (لخصت) أربعين قرناً من الزمان

قَدْ عَرَضْتَ الدَّهْرَ وَالْجَيْشَ مَعًا، غَايَةً قَصَّرَ عَنْهَا الْفَاتِحُونَ
قد استعرضت جيشك والزمان معاً، وهذه غاية قصر عنها الفاتحون قبلك

عِظَةٌ قَوْمِي بِهَا أَوْلَى، وَإِنْ بَعْدَ الْعَهْدِ، فَهَلْ يَعْتَبِرُونَ
والأهرام عظة (عبرة)، وقومي من بني مصر أولى بها من غيرهم رغم بعد عهد الفراعنة، فهل
نراهم يعتبرون؟

هَذِهِ الْأَهْرَامُ تَارِيخُهُمْ، كَيْفَ مِنْ تَارِيخِهِمْ لَا يَسْتَحُونَ
الأهرام تاريخهم، فكيف لا يستحون منه، إذ هم مقصرون عن إنجازات أجدادهم

قُسِمَ نَرُّ الدُّنْيَا كَمَا غَادَرَتْهَا مَنْزَلُ الْغَدْرِ وَمَاءُ الْخَادِعِينَ
قم يا نابليون، وسترى الدنيا كما غادرتها، سترها مكان الغدر، وماء الخادعين (موضع
الخادعين). وكانت العرب تنزل في المكان وتسميه ماء كذا أو كذا لوجود عين ماء فيه، فكلمة
«ماء» صارت تعني «موضعا»

وَسَرَّ الْحَقُّ عَزِيزًا فِي الْقَنَا هَيْنَا فِي الْعُرْلِ الْمُسْتَضَعَفِينَ
وسترى الحق عزيزاً (قوياً) وسط القنا (الرماح)، وهيناً (ثباتاً) في صحبة العرْل المستضعفين
(الضعفاء)

وَتَرَ الْعِزَّ لِسَيْفِ نَزِقٍ فِي بِنَاءِ الْمُلْكِ، أَوْ رَأَى رَزِينَ
وسرى العز للسيف التزق (الخفيف) في تشييد الملك، وللراي الرزين (الحكيم)

سُنَنُ كَانَتْ، وَنَظَّمْ لَمْ يَزَلْ وَفَسَادٌ فَوْقَ بَاعِ الْمَصْلِحِينَ
هذه سنن (قوانين) كانت موجودة دائماً، ونظام لم يزل على حاله، نظام «الحق للقوي»، وهناك
فساد فوق باع (قدرة) المصلحين

٢١٣.. وهذي الضجة الكبرى علاماً؟

قال شوقي في الذكرى السابعة عشرة لوفاة مصطفى كامل (١٩٢٥):

إِلَامَ الْخُلْفِ بَيْنَكُمْ إِلَامَا وَهَذِي الضَّجَّةُ الْكُبْرَى عَلَامَا
إلى متى الخلف (الاختلاف) بينكم؟ وهذه الضجة الكبرى على ماذا؟

وَفِيمَ يَكِيدُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ وَتُبْدُونَ الْعِدَاوَةَ وَالْخِصَامَا
وفي ماذا يكيد بعضكم لبعض، وتظهرون العداوة والخصومة؟

وَأَيْنَ الْفُوزُ؟ لَا مَصْرُ اسْتَقَرَّتْ عَلَى حَالٍ، وَلَا السُّودَانُ دَامَا
وأين الفوز (النجاح)؟ فلا مصر استقرت على حال، ولا السودان دام تحت السيادة المصرية
الحقيقية

وَأَيْنَ ذَهَبْتُمْ بِالْحَقِّ لَمَّا رَكِبْتُمْ فِي قَضِيَّتِهِ الظُّلَامَا
وأين ذهبتُم بالحق بعد أن انتهجتم في المطالبة به طريق التآمر والدسائس؟

شَبَبْتُمْ بَيْنَكُمْ فِي الْقَطْرِ نَاراً عَلَى مُحْتَطِّهِ كَانَتْ سَلَامَا
شبيتم (اشعلتم) بينكم ناراً في مصر من الفتن، ولكنها كانت سلاماً على المختلين

إِذَا كَانَ الرُّمَاءُ رُمَاءَ سُوءٍ أَحَلُّوا غَيْرَ مَرْمَاهَا السُّهَامَا
والرماة إذا كانوا ذوي نية سيئة لم يصوبوا سهامهم إلى الرمي (الهدف)

وَلَيْسَا الْأَمْرَ حِزْباً بَعْدَ حِزْبٍ فَلَمْ نَكُ مُصْلِحِينَ وَلَا كِرَامَا
ولينا الأمر (تولينا الحكم) حزباً بعد حزب، فلم نكن مصلحين ولا كراماً

وَسُنَّسْنَا الْأَمْرَ حِينَ خَلَا إِلَيْنَا بِأَهْوَاءِ النُّفُوسِ فَمَا اسْتَقَامَا
وسننا الأمر (سيرنا الحكم بالسياسة) حين خلا إلينا (آل إلينا) بعد رفع الحماية البريطانية بأهواء
النفوس (حسب مصالحها) فما استقام الحكم

٢١٤ خير جليس

قال شوقي في الكتاب (١٩٢٥):

أَنَا مَنْ بَدَّلَ بِالْكُتُبِ الصُّحَابَا لَمْ أَجِدْ لِي وَافِياً إِلَّا الْكِتَابَا

تركت أصحابي واتخذت الكتب أصحاباً، فلم أجد وافياً سوى الكتاب

صُحْبَةً لَمْ أَشْكُ مِنْهَا رِيْبَةً وَوَدَادٌ لَمْ يُكَلِّفْنِي عِتَابَا

وصحبة الكتاب لت أشكو منها أي ريبة (شك)، ووداد الكتاب ليس فيه عتاب كوداد الأصحاب

٢١٥ تصفير المسألة

قال شوقي في تأبين عبد اللطيف الصوفاني، من رجال الحزب الوطني، (١٩٢٥):

شَأْنُكَ وَالْدمْعَ وَالْبِكَاءَ لَا تَدْخِرْ فِي الشُّؤُونِ مَاءَ

حرر الدمع وأطلق البكاء على هواك، ولا تدخر في الشؤون (مجاري الدمع في العيون) ماء (دمعاً)

مَا كَانَ قُصَّاً وَلَا زِيَاداً وَلَا بَسِخَرِ الْبَيَانِ جَاءَ

المرثي لم يكن فصيحاً كقص بن ساعدة الإيادي، ولا كزياد بن معاوية المعروف بالناطقة الذبياني، ولم يأت بسحر البيان

لَكِنْ إِذَا قَامَ قَالَ صِدْقاً وَجَانِبَ الزُّورِ وَالرِّيَاءِ

لكنه كان صادق القول، ويجانب (يتجنب) الزور (الكذب) والرياء (الادعاء). يقول زكي مبارك ما

معناه: كنت مع شوقي وقد مات الصوفاني، وأخذ شوقي يردد متحيراً متبرماً: أكان الرجل فيلسوفاً، أم خطيباً؟ أم أي شيء كان؟ ثم جاءت القصيدة فإذا بها «ما كان قساً ولا زياداً...».

سَبَحَانَ مَنْ قَاتَهُ غُدُوّاً وَكَفَّ عَنْ قُوْتِهِ عِشَاءً

فسبحان الله الذي قاته (رزقه طعامه) غدوياً (صباحاً)، ومنعه قوته عشاءً، لأنه مات في يومه

يَا لَكَ دُنْيَا لَذْتُ نَعِيماً لِلْقَوْمِ، وَاسْتُعْذِبْتُ بِبَلَاءِ

يا لك من دنيا لذت للقوم (طابت لهم) وهي نعيم، واستعذبت (طابت) لهم أيضاً وهي بلاء، فنحن نحب الحياة في كل أحوالها

إِذَا انْتَهَيْنَا مِنْهَا تَسَاوَى مَا سَرَّ مِنْ حَالِهَا وَسَاءَ

إذا انتهينا من الدنيا تساوى طرفا المعادلة وأصبح الجواب صفراً، وصار ما سرّاً وما

سأماً من الدنيا متساوين. روي القصيدة الهمزة المفتوحة، وأبياتها الثلاثة والأربعون

مفتوحة الهمزة، ولكن الموسوعة الشوقية قيدت القافية وأضاعت تعب الشاعر في

اجتناب الكسر والضم واصطيد الموقع الإعرابي الذي يأذن بالفتحة

٢١٦ قم في قم الدنيا وحي الأزهر

قال شوقي في حفل إصلاحات الأزهر (١٩٢٥):

قُم في قم الدنيا وحي الأزهر وانثُر على سَفح الزَّمانِ الجُوهرا
قم يا هذا كأنك لسان يلعلع داخل قم الدنيا، وحي الأزهر، وانثر الجواهر من كلمات هذه التحية
على سمع الزمان

واخشع مَلِيًّا، واقضِ حَقَّ أئمةٍ طَلَعُوا بِهِ زُهرًا وماجوا أَبْحرا
واخشع ملياً (طويلاً)، واقض حق الأئمة الذي طلَعوا في الأزهر كالنجوم الزُّهر (المضيئة) وماجوا
(تدفقوا) بالعلم كأنهم البحار

لا تحذُ حذو عصابةٍ مفتونةٍ يجدونَ كلَّ قديمٍ شيءٍ مُنْكَرا
ولا تحذ حذو عصابة (جماعة) مفتونة (غاوية) تستكر كل قديم

ولو استطاعوا في المجامع أنكروا مَن ماتَ مِنْ آبائِهِمْ أو عُمرَا
وهؤلاء لو استطاعوا في المجامع (المجالس) لأنكروا آبائهم، من مات منهم ومن عُمر

مِنْ كلِّ ماضٍ في القديمِ وهدمِهِ وإذا تَقَدَّمَ لِلْبِنايةِ قَصْرا
وهؤلاء يتألفون من كل شخص ماض في هدم القديم، وأما إذا جاء ليبنى فهو يقصر

وأتى الحضارةَ بالصَّنْاعةِ رثَةً والعلمَ نِزْراً، والبيانَ مَثَرِثْرا
ويأتي الواحد منهم ليساهم في الحضارة الحديثة فيساهم بصناعة رثة (غير متقنة)، ويعلم نزر
(قليل)، وبيان مثرثر (ضحل المعنى)

يا معهداً أفنى القرونَ جِدارُهُ وطوى اللبالي ركنُهُ والأعْصُرَا
أيها الأزهر! يا معهداً عتيقاً أفنى جداره الزمن، وطوى ركنه اللبالي والعصور

عينٌ مِنَ الفُرْقانِ فاضَ نَميرُها وَحَيًّا مِنَ الفُصحى جرى وتحدَّرا
الأزهر نبع فاض نميره (ماؤه العذب) من القرآن، وهو حياً (مطر) من الفصحى جرى وتحدرا
(انكسب)

اللَّهُ أَكْبَرُ يا ابنَ إسماعيلَ، لم تتركْ لُصْناعِ المآثرِ مَفْخَرا
الله أكبر يا ابن إسماعيل (الملك أحمد فؤاد)، فانت لم تترك لمن يصنعون المآثر (الإنجازات)
شيئاً يفخرون به إلا وسبقتهم إليه

أزْعَيْتَهُ عَيْنُ العِنايةِ مُصْلِحاً وأَجَلَّتْ فِيهِ يَدُ البِناءِ مُعَمِّرا
لقد أزعيت الأزهر (منحته) عين العناية، وأصلحت بناءه، وأجلت فيه يد البناء مُعَمِّرا

وَبَلَغَتْ بِالْمَعْرُوفِ غَايَةَ صَفْوِهِ أَيْ كَوْنُ مَعْرُوفِ الْمُلُوكِ مُكْتَرَا

وَكَانَ مَعْرُوفُكَ صَافِياً بِلَا ثَمَنٍ، وَهَلْ لِمَعْرُوفِ الْمُلُوكِ مَقَابِلُ؟

لَمْ تَبِغْ بِالضُّعْفَاءِ عُذْوَانَا، وَلَمْ تَقْذِفْ عَلَى حَرَمِ الشَّرِيعَةِ عَشْكِرَا

لَمْ تَبِغْ (تُرِدْ) عُدْوَاناً عَلَى الضُّعْفَاءِ مِنْ طَلَبَةِ الْأَزْهَرِ، وَلَمْ تَقْذِفْ بِالْعَسْكَرِ عَلَى حَرَمِ الْأَزْهَرِ الَّذِي هُوَ حَرَمُ الشَّرِيعَةِ، كَمَا فَعَلْتَ السُّلْطَانُ سَابِقاً عِنْدَمَا وَجَّهَتْ الْجُنُودُ ضِدَّ الْمُنْتَظَاهِرِينَ الْأَزْهَرِيِّينَ

نَظَرَا وَإِحْسَانَا إِلَى عُثْمَانِيَةٍ وَكُنِ الْمَسِيحُ مُدَاوِيَاً وَمُجَبَّرَا

فَلْتَنْتَظِرْ نَظَرَا وَلْتَحْصِنْ إِحْسَانَا إِلَى مَنْ فِيهِ مِنَ الْكَافِيَيْنِ، وَكُنْ كَالْمَسِيحِ يَدَاوِي الْجِرَاحَ وَيَجِيرُ الْكُسُورَ

وَاللَّهُ مَا تَدْرِي، لَعَلَّ كَفِيفَهُمْ يَوْمًا يَكُونُ أَبَا الْعَلَاءِ الْمُبْصِرَا

وَلَسْتُ تَدْرِي لَعَلَّ أَحَدَ الْكَافِيَيْنِ يَكُونُ ذَاتَ يَوْمٍ كَأَبِي الْعَلَاءِ الْمَعْرِي الْكَافِي الْمُبْصِرَ بِذِكَايِهِ. كَانَ شَوْقِي يَعْرِفُ حِينَئِذٍ عَنْ طَه حَسِينِ الَّذِي كَانَ فِي السَّادَةِ وَالْثَلَاثِينَ، وَكَانَ طَه قَاعِداً فِي وَقْتِ إِقْلَاءِ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ يَكْتُبُ كِتَاباً يَهَاجِمُ فِيهِ طُرُقَ التَّدْرِيسِ بِالْأَزْهَرِ لِيُنْشِرَهُ فِي الْعَامِ الْمُقْبِلِ، وَلِيَكُونَ لَهُ صَدَى مَدُونًا. كَانَ بَيْنَ طَه حَسِينِ وَشَوْقِي نَفُورٌ، لَا بَلْ قَدْ نَقَلَ عَلَى لِسَانِ طَه حَسِينِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ١٩٢٥ أَنَّهُ وَصَفَ نَفْسَهُ بِالْعَدُوِّ لِلدُّدُودِ لَشَوْقِي. قَالَ طَه حَسِينُ لَزَكِيِّ مَبَارَكٍ (عَلَى عَهْدَةِ الْآخِيرِ): «مَجْنُونُونَ أَنْتُمْ! تَرْفُضُونَ كِتَابَةً مُقَدِّمَةً لِلطَّبِيعَةِ الْمُقْبِلَةِ مِنْ دِيْوَانِ شَوْقِي. هَذَا تَشْرِيفٌ لَا يَنْالُهُ أَحَدٌ، وَلَوْ أَنَّ شَوْقِي طَلَّبَ إِلَيَّ ذَلِكَ، وَأَنَا مِنْ أَوْلَادِ أَعْدَائِهِ، لِأَجَبْتُهُ شَاكِراً. فَشَوْقِي أَعْظَمُ شَاعِرٍ عَرَفْتُهُ الْعَرَبِيَّةَ مِنْذُ الْمُنْتَبِئَةِ». وَلَعَلَّ طَه كَانَ فِي ذَهْنِ شَوْقِي فِي الْقَصِيدَةِ، لَكِنْ ضَمِنَ الْهَدَامِينَ، لَا ضَمِنَ الْكَافِيَيْنِ الْعَبَاقِرَةَ. عَلَى أَنَّا سَنَرَى طَه حَسِينًا يَلْتَقِي بِشَوْقِي وَيُجَالِسُهُ فِي بَعْضِ الصُّفُوفِ الَّتِي كَانَ يَزُورُهَا شَاعِرُنَا حِفَافاً عَلَى عِلَاقَاتِهِ الطَّيْبَةِ مَعَ رُؤَسَاءِ تَحْرِيرِهَا، وَسَنَرَاهُمَا يَلْتَقِيَانِ فِي «عَالِيَةِ» بَلْبَنَانَ فِي فَتْلَقِ شَاهِينَ بَعْدَ سِتِّينَ وَمَعَهُمَا مُحَمَّدُ عَبْدِ الْوَهَّابِ وَفَكَرِي أَبَاظَةَ

لَوْ تَشْتَرِيهِ بِنِصْفِ مُلْكِكَ لَمْ تَجِدْ غَنِيًّا، وَجَلَّ الْمَشْتَرِي وَالْمَشْتَرَى

لَوْ تَشْتَرِي الْأَزْهَرَ أَبَاهَا الْمَلِكُ بِنِصْفِ مَمْلُوكِكَ لَمْ تَجِدْ غَنِيًّا (خَسَارَةً)، وَإِنَّكَ لَجَلِيلٌ وَالْأَزْهَرُ جَلِيلٌ

الْيَوْمَ صَرَّحَتْ الْأُمُورُ فَأُظْهِرْتُ مَا كَانَ مِنْ خِدَعِ السِّيَاسَةِ مَضْمَرَا

الْيَوْمَ صَرَّحَتْ (تَوَضَّعَتْ) الْأُمُورُ فَأُظْهِرْتُ مَا أَضْمَرْتَهُ (سَتَرْتَهُ) خِدَعِ السِّيَاسَةِ

قَدْ كَانَ وَجْهُ الرَّأْيِ أَنْ نَبْقَى يَدَاً وَنَرَى وَرَاءَ جُنُودِهَا إِنْجِلْتِرَا

كَانَ الرَّأْيُ الْحَصِيفُ أَنْ نَبْقَى يَدَاً وَاحِدَةً وَنَحْنُ نَرَى إِنْجِلْتِرَا تَأْتِيْنَا قَادِمَةً وَرَاءَ جُنُودِهَا

فَإِذَا أَتَيْنَا بِالضُّفُوفِ كَثِيرَةٍ جِئْنَا بِصَفٍّ وَاحِدٍ لَنْ يُكْسِرَا

فَرِغْ صُفُوفَ الْجُنُودِ الْكَثِيرَةِ لِإِنْجِلْتِرَا فَصَفْنَا صَفَّ وَاحِدٍ، وَلِذَا لَنْ يُكْسِرَا

٢١٧ قدرة ابن آدم

قال شوقي في احتفال وضع حجر الأساس لمبنى بنك مصر، وأسس طلعت حرب البنك قبلها بخمس سنوات، (قيل القصيدة عام ١٩٢٥):

تَأْتِي حِينَ أَسَّسَكَ ابْنُ حَرْبٍ وَحِينَ بَنَى دَعَائِمَكَ الشُّدَادَا
تَأْتِي طَلَعَتْ حَرْبٌ حِينَ أَسَّسَكَ يَا مَبْنَى الْبَنْكِ، وَحِينَ بَنَى دَعَائِمَكَ الشَّدِيدَةَ

وَلَا تُرْجَى الْمَتَانَةُ فِي بِنَاءٍ إِذَا الْبِنَاءُ لَمْ يُغَطَّ اثْنَادَا
وَلَا تُرْجَى الْمَتَانَةُ فِي بِنَاءٍ إِذَا لَمْ يُرْزَقِ الْبِنَاءُ اثْنَادًا (تَأْنِيًا)

وَلَمْ يَبْعُدْ عَلَى نَفْسٍ مَرَامٌ إِذَا رَكِبَتْ لَهُ الْهَيْمَمَ الْبِعَادَا
وَلَا يَبْعُدُ عَلَى نَفْسٍ مَرَامٍ (مَطْلَب) إِذَا اتَّخَذَتْ لَهُ الْهَيْمَمَ (الطُمُوحَاتِ) الْبَعِيدَةَ (الْكَبِيرَةَ)

وَلَمْ أَرْ بَعْدَ قُدْرَتِهِ تَعَالَى كَمَقْدِرَةِ ابْنِ آدَمَ إِنْ أَرَادَا

٢١٨ صاحب القضية الدُّووب

قال شوقي بملح سعد زغلول (١٩٢٦):

سَلُّوْا عَنْهُ الْقَضِيَّةَ هَلْ حَمَاهَا وَكَانَ جِمَى الْقَضِيَّةِ مُسْتَبَاحَا
اسْأَلُوْا قَضِيَّةَ حَرِيَّةِ مِصْرَ هَلْ حَمَاهَا (سعد زغلول)، وَكَانَ جِمَاهَا (وُطْنَهَا) مُسْتَبَاحًا

هُوَ الشَّيْخُ الْفَتْيَى، لَوْ اسْتَرَاخْتُ عَنِ الدَّأْبِ الْكُوكَابُ مَا اسْتَرَاخَا
إِنَّهُ شَيْخٌ مَسْنٍ وَلَكِنَّهُ فَتْيٌ فِي عِزِّهِ، وَلَوْ اسْتَرَاخْتُ عَنِ الدَّأْبِ (الْمَثَابِرَةِ) الْكُوكَابُ فَهُوَ لَا يَسْتَرِيحُ

٢١٩ ناع من الإسكندرية

قال في رثاء أحمد لطفي، وكان نقيباً للمحامين ووكيلاً للحزب الوطني (١٩٢٦):

لَا تَنْهَيَنَّ الشَّاكَلَاتِ عَنِ الْبُكَاءِ فَلْعَلَّ فِي ذَرْفِ الدَّمْعِ شِفَاءَهَا
لَا تَنْهَيْنِ (تَمْنَعْنِ) يَا صَاحِبِي الشَّاكَلَاتِ (الْفَاقِدَاتِ) عَنِ الْبُكَاءِ، فَرُبَّمَا كَانَ فِي ذَرْفِ الدَّمْعِ شِفَاءٌ
لِنَفُوسِهِنَ الْحَزِينَةِ

وَلِيَمَثِلِ نَارَ الثُّكُلِ، وَهِيَ شَدِيدَةٌ، خَلَقَ الرَّحِيمُ لَنَا الشُّؤُونََ وَمَاءَهَا
وَلِيَمَثِلِ نَارَ الثُّكُلِ (الْفَقْدَ) - وَهِيَ شَدِيدَةٌ -، خَلَقَ اللَّهُ الرَّحِيمُ لَنَا الشُّؤُونََ (مَجَارِي الدَّمْعِ فِي الْعَيْنَيْنِ)
وَخَلَقَ مَاءَهَا (دَمْعَهَا)

أَوْحَى إِلَى الْحُزْنِ اللَّجُوجِ شُبُوبَهَا وإلى الدُمُوعِ سَوَاكِبَ إِطْفَاءِهَا
الله أَوْحَى إِلَى الْحُزْنِ اللَّجُوجِ (الْمَلُوحِ) أَنْ يَشْعَلَ النَّارَ فِي الْقُلُوبِ، وَأَوْحَى إِلَى الدُمُوعِ وَهِيَ
سَوَاكِبُ (مَنْهَرَةٌ) إِطْفَاءِ هَذِهِ النَّارِ

نَاعٍ مِنَ الْإِسْكَندَرِيَّةِ هَاتِفُ رَاعَ الْكِنَانَةَ: أَرْضَهَا وَسَمَاءَهَا
ثُمَّ نَاعٍ مِنَ الْإِسْكَندَرِيَّةِ هَتَفَ بِخَيْرِ مَوْتِ الرَّاحِلِ فِرَاعَ (أَخَافَ) الْكِنَانَةَ (مِصْرَ) أَرْضاً وَسَمَاءً
وَإِذَا الْبِلَادُ تَذَكَّرَتْ خُدَامَهَا لَمْ تَنْسَ مَوْتَهَا وَلَا أَحْيَاءَهَا
وَالْبِلَادُ تَتَذَكَّرُ مِنْ خِدْمَتِهَا أَكَانَ مَيِّتاً أَمْ حَيًّا

إِنْ الشُّعُوبَ كَيْأَنَّهَا حَرِيَّةٌ تَحْيَا عَلَيْهَا، أَوْ تَمُوتُ فِدَاءَهَا

٢٢٠ ودفنتها ودفنت خير قصائدي معها

قَالَ شَوْفِي يَمْنَى الْخِلَافَةَ، وَقَدْ انْعَقَدَ مُؤْتَمَرٌ فِي مِصْرَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ لِلنَّظَرِ فِي أَمْرِ
الْخِلَافَةِ، وَكَانَ الْمَلِكُ فُؤَادُ يَمْنَى نَفْسَهُ بِالْحَصُولِ عَلَى هَذَا اللَّقَبِ (١٩٢٦):

بَعَثُوا الْخِلَافَةَ سِيرَةً فِي النَّادِي: ابْنُ الْمُبَايَعِ بِالْإِمَامِ يُنَادِي؟
بَعَثُوا (أَثَارُوا) سِيرَةَ الْخِلَافَةِ فِي الْمَحَافِلِ، وَسَأَلُوا: أَيْنَ مِنْ يَبَايَعُ لَكَ يَسْمِي لَنَا خَلِيفَةً؟

وَمَنْ ابْتِغَاهَا صَاحِباً فَمَحَلُّهَا بَيْنَ الْقَوَاضِي وَالْقَنَا الْمَيَّادِ
وَمَنْ ابْتِغَى الْخِلَافَةَ لِيَكُونَ صَاحِبُهَا فَإِنَّ مَكَانَهَا هُوَ بَيْنَ الْقَوَاضِي (السُّيُوفِ) وَالْقَنَا (الرِّمَاحِ) الْمَيَّادِ
(الْمَهْتَرِ)

لَمْ تَسْتَقِمْ لِلْقَوْمِ خَلْفَ عِمَادِهِمْ هَلْ تَسْتَقِيمُ وَهُمْ بِغَيْرِ عِمَادٍ
لَمْ تَسْتَقِمِ الْخِلَافَةُ لِلْمُسْلِمِينَ وَهُمْ مُتَرَاصُونَ وَرَاءَ عِمَادِهِمْ (سُنْدِهِمْ/أَيِ الْخَلِيفَةِ الَّذِي كَانَ مَوْجُوداً)،
فَهَلْ تَسْتَقِيمُ وَقَدْ ذَهَبَ الْخَلِيفَةُ؟

أَتَحَاوِلُونَ بِلَا جِهَادٍ خُطَّةً لَمْ يَسْتَطِيعُوا التُّرُكُ بَعْدَ جِهَادٍ
هَلْ تَحَاوِلُونَ إِنْجَاحَ خَطَّتِكُمْ بِلَا جِهَادٍ، وَالْأَتْرَاكُ لَمْ يَسْتَطِيعُوا إِنْجَاحَهَا بَعْدَ جِهَادِهِمْ؟

جَعَلُوا الْهَوَى سُلْطَانَهَا، وَدَعَوْا لَهَا مَنْ لَا يُسَدُّ بِهِ مَكَانُ الْهَادِي
جَعَلُوا سُلْطَانَ (قُوَّةَ) الْخِلَافَةِ - وَهُمْ يَرِيدُونَ تَجْدِيدَهَا - قَائِماً عَلَى الْهَوَى (الْمَصَالِحِ)، وَدَعَوْا
لِتَسْلَمَهَا مِنْ لَا يَسُدُّ مَسَدَ مَنْ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ

وَأَنَا الَّذِي مَرَضْتُهَا فِي دَائِهَا وَجَمَعْتُ فِيهِ عَوَاطِفَ الْعُودِ
وَأَنَا مَرَضْتُهَا (اعْتَبَيْتُ بِهَا) وَهِيَ فِي أَوَاخِرِ أَيَّامِهَا، وَجَمَعْتُ فِي مَرَضِهَا ذَلِكَ عَوَاطِفَ الْعُودِ
(زُورِ الْمَرِيضِ)

ونصرُتها نصرَ المجاهدِ في ذَرَا عَبدِ الحميدِ وفي جناحِ رشادٍ
ونصرتها كالمجاهد في ذَرَا (حماية) السلطان عبد الحميد، وفي جناح (كتف) السلطان محمد رشاد

ودفنتُها، ودفنتُ خَيرَ قصائدي مَعَهَا، وطالَ بَقَرِها إنشادي

وعندما أُلغيت الخلافة دفنتها ودفنت معها خير قصائدي في مدحها، ورثتها بعد موتها

حتى أَتَهَمْتُ، فقبِلَ تُركيُّ الهوى، صَدَقُوا؛ هوى الأبطالِ ملءُ فؤادي

حتى لقد اتهمني الناس بأنني تركي الهوى، وقد صدقوا فحب الأبطال يملأ قلبي

اللَّهُ يعلمُ ما انفردتُ وإنما صَوَّرْتُ شِعْري مِنْ شعورِ الوادي

ولم أكن، علم الله، وحدي في ذلك، وإنما صورت في شعري ذاك شعور وادي النيل كله

وقَدَ الخلافةِ! لا أَنبَهُكُمْ على بَلَدِ حَفِيٍّ بِالزَّيْلِ جَوادِ

فيا أيها الوفد الذي قدم مصر لمؤتمر الخلافة، لستم بحاجة لأن أنبهكم إلى بلدنا الحفي (المضيف) بالزيل (بالضيف)، وبلدنا الجواد (الكريم)

٢٢١ وزدته حبتين

قال شوقي في حفيد له اسمه أحمد (١٩٢٦):

رُوحِي وَلَدُهُ عَيْنِي عَوَّذْتُهُ بِالْحَسَنِ

حفيدي هو روعي ومُتعة عيني، عوذته (رَفَيْتُهُ) بالحسين (مشهد «الحسين» في مصر)

سَلَّاتِي مِنْ عَلِيٍّ وَلَمَسْتُهُ مَمَرَّتَيْنِ

هذا الطفل هو نسلي أنا من ابني علي، فكأنني أنجبت علياً مرتين

أَحَبُّهُ كَمَا بِمِوِ وَزِدْتُهُ حَبَّتَيْنِ

أحبته كحبي لأبيه وزيادة

طِفْلٌ عَلَيْنَا أَمِيرٌ مُقَبَّلُ الرُّكَبَتَيْنِ

كالأمير علينا هذا الطفل لما نحوه به من اهتمام، وركبناه للتقيل

رِضَاهُ غَيْرُ قَلِيلٍ وَسُخْطُهُ غَيْرُ هَيْنِ

رضاه ليس قليلاً، وسخطه (غضبه) ليس هيناً (هيناً)

٢٢٢ صحة المكتب

قال شوقي (١٩٢٦):

أَلَا حَبَّذا صُحْبَةُ الْمَكْتَبِ وَأَخْيَبُ بِأَيَّامِهِ أَخْيَبُ
أَلَا حَبَّذا (ما أبدع!) صحة المكتب (الكتاب)، وما أحبُّ أيامه!

وَيَا حَبَّذا صِبْيَةٌ يَمْرُحُونَ عِنانَ الْحَيَاةِ عَلَيْهِمْ صَبِي
وما أجمل أولئك الصبية الذين يمرحون، وعِنان الحياة (أي مقودها، كأنه مقود الحصان) خفيف
عليهم فكانه صبي مثلهم (هكذا فهمت المعنى)

وَيُغْدَى بِهِمْ، وَيُرَاحُ قَطِيعاً عَلَى مَشْرِقِ الشَّمْسِ وَالْمَغْرِبِ
يؤخذون في الغدو (الصباح)، ثم في الرواح (عند الغروب) كأنهم القطيع، عند الشروق وعند
الغروب ..

إِلَى مَرْتَعٍ أَلْفُوا غَيْرَهُ وَرَاحَ غَرِيبِ الْعَصَا أَجْنَبِي
يؤخذون إلى مرتع (موضع الرعي/ وقد شبههم بالقطيع) لم يألفوه بل ألفوا غيره، ليجدوا راعياً
عصاه هي عصا الغريب، وهو أجني (من غير أهلهم)

وَمُسْتَقْبَلٍ مِنْ قِيودِ الْحَيَاةِ شَدِيدٍ عَلَى النَّفْسِ مُسْتَضْعَبٍ
يؤخذون إلى مستقبل مكون من قيود الحياة، وهو شديد تستصعبه النفس

فِرَاحٌ بِأَيْلُكُ، فَمِنْ نَاهِضٍ يَرُوضُ الْجَنَاحَ، وَمِنْ أَرْغَبِ
إنهم فراخ في الأيك (الشجر)، منهم من نهض يروض (يدرب) جناحه، ومنهم الأزغب (الذي نبت
له ريش صغير)

عَصَافِيرُ عِنْدَ تَهَجِّي الدُّرُوسِ مِهَارٌ عَرَابِيدُ فِي الْمَلْعَبِ
عند تهجي الدروس يكونون كالعصافير فعلاً، وفي الملعب مِهَارٌ عَرَابِيدُ (كلُّ منهم مهر صاحب)

حَلِيُونَ مِنْ تَبِعَاتِ الْحَيَاةِ عَلَى الْأُمِّ يُلْقُونَهَا وَالْأَبِ
خليون (فارغون) من تبعات (مسؤوليات) الحياة، ويلقونها على الأم والأب

لَهُمْ جَرَسٌ مُطْرَبٌ فِي السَّرَاحِ وَلَيْسَ إِذَا جَدَّ بِالْمُطْرَبِ
جرس المدرسة مطرب لهم في السراح (وقت الانصراف)، وعند الجد والدرس لا يطربهم

وَتِلْكَ الْأَوَاعِي بِأَيْمَانِهِمْ حَقَائِبُ فِيهَا الْغَدُ الْمُخْتَبِي
وتلك الأوعية (الحقائب) التي بأيمانهم (أيديهم اليمنى)، هي حقائب يختبئ فيها المستقبل

وفيها المؤخَّرُ خَلْفَ الرِّحَامِ وفيها المَقْدَّمُ في المؤكِّدِ
وفي الحَقَائِبِ (أي في المستقبل) بعضهم يتأخَّرُ ويتخلَّفُ في زحمة الناس، وبعضهم يتقدَّمُ المؤكِّدِ

جَمِيلٌ عَلَيْهِمْ قَشِيْبُ الثِّيَابِ وما لم يَجْمَلْ ولم يَفْشِبِ
الثياب القشِية (التنظيفة/الجديدة) جميلة عليهم، وكذا الثياب التي هي لا جميلة ولا قشِية، فهي
جميلة عليهم أيضاً

كسَاهُمْ بَنَانُ الصَّبَا حُلَّةٌ أَعَزُّ مِنَ الْمُخْمَلِ الْمُذْهَبِ
كساهم بنان (أصابع) الصبا حلة (ثوباً) أعز (أندر وأغلى) من المخمل المذهب

فِيَا وَيَحَهُمُ هَلْ أَحْسُوا الْحَيَاةَ لَقَدْ لَعِبُوا وَهِيَ لَمْ تَلْعَبِ
فويل لهم هل يشعرون بالحياة؟ إنهم يلعبون وهي لا تلعب

تُجَرَّبُ فِيهِمْ، وما يعلمون، كَتَجَرِبَةِ الطَّبِّ فِي الْأَرَبِ
الحياة تجرب أحداثها عليهم، وهم غافلون، كما يجرب العلماء عقاقرهم في أرباب المختبرات

وَدَارَ الزَّمَانِ فَدَالَ الصَّبَا وَشَبَّ الصَّغَارُ عَنِ الْمَكْتَبِ
ثم دار الزمان، فдал (انتهى) الصبا، وشب الصغار عن المكتب (الكُتَّابِ)

وَعُذِّبَ بِالْعِلْمِ طَلَابُهُ وَعَصُّوا بِمَنْهَلِهِ الْأَعْدَبِ
وأخذوا يدرسون في الثانويات والمعاهد ويتعذبون بطلب العلم، ويفصون (يشرقون) بمنهله (بنيعه)
العذب

رَمَتْهُمْ بِهِ شَهَوَاتُ الْحَيَاةِ وَحُبُّ النَّبَاهَةِ وَالْمَكْسَبِ
رمتهم (ورطتهم) بالعلم رغبات الحياة، وحب النباهة (الشهرة)، والسعي للمكسب

وَزَهْوُ الْأَبْوَةِ مِنْ مُنْجِبٍ يُفَاخِرُ مَنْ لَيْسَ بِالْمُنْجِبِ
وكذلك ورطتهم في العلم زهو (فخر) الأبوة، فالأب المنجب (ذو الابن النجيب) يفاخر من ليس
ابنه نجيباً

قَدْ انصَرَفُوا بَعْدَ عِلْمِ الْكِتَابِ لِجَابِ مِنَ الْعِلْمِ لَمْ يُكْتَبِ
وبعد انتهاء الطلبة من علم الكتب، يدخلون باباً من العلم ليس موجوداً في أي كتاب..

حَيَاةٌ يَغَامَرُ فِيهَا امْرُؤٌ تَسْلَحَ بِالنَّابِ وَالْمِخْلَبِ
إنها الحياة. والمرء يغامر فيها وقد تسلح بناب ومخلب من العلم أو من غيره

وصارَ إلى الفاقة ابنُ الغنيِّ ولاقى الغنى وَلَدُ المُتْرَبِ

وقد يصيح ابن الغني فقيراً، وقد يحصل على الغنى ابن المترب (الفقير)

وقد ذهبَ المُتَمَلِّي صحَّةً وصحَّ السقيمُ فلم يذهبِ

وقد يموت الذي كان ممتلئاً صحةً، وقد يصح المريض ويعيش

وكم مُنْجِبٍ في تَلَقِّي الدروسِ تَلَقَّى الحياة فلم يُنْجِبِ

وكثيراً ما ترى منجياً (نجياً) في الدروس، تلقى درس الحياة فلم يكن نجياً

وغابَ الرفاقُ كأنَّ لم يَكُنْ بِهِمْ لك عهدٌ ولم تَضَحِبِ

ثم إن رفاق الدراسة غابوا عنك، فكانه لا عهد لك بهم، ولم تصحبهم

إلى أن فَتَوُا ثَلَّةً ثَلَّةً فَناء السرابِ على السَّبَسِ

وأخيراً.. يفنون ثلة (جماعة) بعد جماعة، مثلما يفنى السراب على السبب (الصحراء). لا تفوت

شوقي فرصة يتعجب فيها من عبث الحياة إلا اقتنصها. قال محمد صبري السوربوني عن هذه

القصيدة: «كلها درر.. ولا أعرف لها نظيراً في الشعر قديمه وحديثه في بكاء الشباب وزمن

الدرس والمكتب»

٢٢٣ زلزال القيامة

قال شوقي في زلزال طوكيو ويوكاهاما (١٩٢٦):

قَفْ بِطُكْيُو وَطُفْ عَلَى يُكُهَامَةَ وَسَلِ الْقَرِيتَيْنِ: كَيْفَ الْقِيَامَةُ

قف بإزاء طوكيو وطف على يوكوهاما، واسأل القرينتين (البلدين) كيف تكون القيامة،

فقد شهدا شبيها في الزلزال

دَنَبِ السَّاعَةِ الَّتِي أَنْذَرَ النَّاسُ، وَحَلَّتْ أَشْرَاطُهَا وَالْعَلَامَةُ

عندئذ اقتربت الساعة التي أنذر الله الناس بقدمها، ووقعت أشراطها (دلائلها) والعلامة (العلامة

التي بها يعرف قيام الساعة)

حَازَهُمْ مِنْ مَرَاجِلِ الْأَرْضِ قَبْرٌ فِي مَدَى الظَّنِّ عَمَقُهُ أَلْفُ قَامَةٍ

حازهم (احتواهم) من المراحل (خزانات الغليان) قبر يظن المرء أن عمقه ألف قامة (ألف مرة

طول الإنسان)

تَحَسَّبُ الْمَيِّتَ فِي نَوَاحِيهِ يُغَيِّي نَفْخَةَ الصُّورِ أَنْ تَلَمَّ عِظَامَهُ

تحسب أن الميت في هذا القبر الجماعي يعمي نفخة الصور (يجعل نفخة البوق التي تفتخ في يوم

القيامة عاجزة)، فلا تستطيع هذه النفخة أن تلم عظامه

دولة الشرق وهي في ذروة العز. تحار العيون فيها فخامة
اليابان دولة الشرق العظيمة وهي في ذروة (قمة) العز، والعيون تحار من فخامة نهضتها. . هذه
الدولة

لو تأملتَها عشيّة جاشت خلّتها في يد القضاء حمامة
لو رأيتها في ذلك المساء عندما جاشت (اهتزت) لخلتها (ظنتها) حمامة صغيرة في يد القضاء

٢٢٤ شروط الملك

قال شوقي (١٩٢٦):

يا طالباً لمعالي المُلْكِ مجتهداً خُذْها مِنَ العلمِ أو خُذْها مِنَ المالِ
يا من يطلب أمجاد الملك مجتهداً (مُثابراً في طلبها)، عليك بالعلم أو بالمال

بالعلمِ والمالِ يَبْنِي الناسُ مُلْكَهُمْ لَمْ يُبْنِ مُلْكٌ عَلَى جَهْلٍ وإِقْلَالٍ
بهما كليهما يَبْنِي الناسُ الملك، فلا ملك بجهل ولا بإقلال (فقر)

٢٢٥ سلام أرق من صبا بردى

قال شوقي بذكر قصف الفرنسيين دمشق جواً وبراً في أكتوبر تشرين الثاني ١٩٢٥،
قالها عام (١٩٢٦):

سَلامٌ مِنْ صَبَا بَرْدَى أَرَقُّ وَدَمْعٌ لَا يُكْفِكُفُ يَا دِمَشْقُ
سلام أرق من صبا (نسب) بردى (نهر دمشق)، ودمع لا يكفكف (يُمنع من الهمول) لك يا دمشق
ومعذرةُ اليراعةِ والقوافي! جلالُ الرُّزءِ عَنْ وَصْفٍ يَدْفَعُ
ولك معذرة من اليراعة (القلم) والقوافي (القصائد) فهما لا يفياك حقك، فجلال (ضخامة) الرزء
(المصيبة) يدق (يصعب) عن الوصف

وَبِيٍّ مِمَّا رَمَتْكَ بِهِ اللَّيَالِي جِرَاحَاتُ لَهَا فِي الْقَلْبِ عُمُقُ
وقد حل بي مما رمتك به الليالي (أحداث الزمن) جراح عميقة الغور في القلب

دَخَلْتُكَ وَالْأَصِيلُ لَهُ اثْتِلَاقٌ وَوَجْهُكَ ضَاكُ الْقَسَمَاتِ طَلْقُ
دخلتك قبل حين من الزمن وكان للأصيل (الغروب) اثتلاق (بريق)، وكان وجهك - آنذاك -
ضاحك القسَمَاتِ (التقاطيع) طلقاً (مستبشراً)

وَتَحْتَ جَنَانِكَ الْأَنْهَارُ تَجْرِي وَمِلءُ رُبَاكَ أَوْرَاقُ وَوُزُقُ
وكانت الأنهار تجري تحت جنانك (بساتينك)، وملء ربك أوراق الشجر والوُزُق (الحمام)

وَحَوْلِي فِتْيَةٌ غُرٌّ صَبَاحٌ لَهُمْ فِي الْفَضْلِ غَايَاتٌ وَسَبْقُ
وَحَوْلِي فِتْيَةٌ غُرٌّ (بيض الوجوه) صَبَاحٌ (مشرقون)، سباقون للفضل يصلون فيه إلى الغايات البعيدة

عَلَى لَهَوَاتِهِمْ شُعَرَاءُ لُسْنٍ وَفِي أَعْطَافِهِمْ خُطَبَاءُ شُدُقُ
على لهواتهم (الستهم/ اللهاة لحمه الحلق المتدلية) شعراء لسن (فصحاء)، وفي أعطافهم (جنوبهم)
خطباء شُدُق (فصحاء). وهو إذ يقول في أعطافهم خطباء إنما يقصد هم خطباء، ومن بيان العربية
أنك إن قلت «بين جنبيك خير صديق» فالمعنى «أنت خير صديق»

رُؤَاةٌ قِصَائِدِي، فَاَعْجَبْ لِشِعْرِ بِكُلِّ مَحَلَّةٍ يَرْوِيهِ خَلْقُ
هؤلاء رؤاة قصائدي يحفظونها ويرددونها، فاعجب لهذا الشعر الذي يرويه خلق (ناس) في كل
محلة (بلدة)

عَمَزْتُ إِيَاءَهُمْ حَتَّى تَلَطَّتْ أَنْوْفُ الْأَسَدِ وَاضْطَرَمَّ الْمَدَقُ
عمرت إياههم (أثرت نخوتهم) حتى تلطت (اشتعلت) أنوف الأسد واضطرم (اشتعل)
(التهب) المدق (أرنية الأنف). عندما سأل شوقي محمد عبد الوهاب عن أجمل بيت
في القصيدة اختار هذا البيت، سألته شوقي: فهمته؟ قال لا. فقط لجرسه. وغنى
عبد الوهاب أبياتاً من القصيدة وتجنب هذا البيت

وَضَجَّ مِنَ الشَّكِيمَةِ كُلُّ حُرٍّ أَبِي، مِنْ أُمِّيَّةٍ فِيهِ عَتَقُ
وضج (سئم) من الشكيمة (حديدة اللجام بعضها الحصان) كل حر أبي (رافض)، فيه عتق (أصالة)
موروثه من عهد بني أمية

لَحَاها اللَّهُ أَنْبَاءُ تَوَالَتْ عَلَى سَمْعِ الْوَلِيِّ بِمَا يَشُقُّ
لحأها (لعنها) الله هذه الأنباء التي توات على سمع الولي (الصديق) بما يشق (يؤذي)

تَكَادُ لِرُوعَةِ الْأَحْدَاثِ فِيهَا تُخَالُ مِنَ الْخُرَافَةِ وَهِيَ صِدْقُ
تكاد هذه الأنباء لما فيها من روعة الأحداث (الأحداث المريعة) تخال (تُظَلُّ) من الخرافات،
ولكنها للأسف صادقة

وَقَبِلَ مَعَالِمُ التَّارِيخِ دُكَّتْ وَقِيلَ أَصَابَهَا تَلَفٌ وَحَرَقُ
قبل معالم دمشق التاريخية قد دكت، وأصابها الخراب والحرق

الْأَسْبِ، دَمَشْقُ، لِلإِسْلَامِ ظُفْرًا وَمُرْضِعَةً الْأُبُوَّةَ لَا تُعَقُّ
الأسب يا دمشق ظفر للإسلام؟ (ودمشق احتضنت الإسلام باكراً)، وإن مرضعة الأبوة
(الآباء) لا يجوز عقوبها

صَلاَحُ الدِّينِ، تَاجُكَ، لَمْ يُجَمَّلْ وَلَمْ يَوْسَمْ بِأُزَيْمٍ مِنْهُ فَرَّقَ
صَلاَحُ الدِّينِ (المدفون في دمشق) تَاجُكَ، وَهُوَ تَاجٌ لَمْ يُجَمَّلْ وَلَمْ يَوْسَمْ (يُزَيْنُ) بِأَجْمَلٍ مِنْهُ فَرَّقَ
(رَأْسُ)

وَكُلُّ حَضَارَةٍ فِي الْأَرْضِ طَالَتْ لَهَا مِنْ سَرَاحِ الْعُلُويِّ عِرْقُ
وَكُلِّ حَضَارَةٍ فِي الْأَرْضِ طَالَتْ عِزُّهَا أَخَذَتْ عِرْقًا (غَصَنًا) مِنْ سَرَاحِ (شَجَرِ) الْعُلُويِّ (الْمَجِيدِ)
بَنَيْتِ الدَّوْلَةَ الْكُبْرَى، وَمُلْكًا غِبَارُ حَضَارَتَيْهِ لَا يُشَقُّ
بَنِيَتْ بِأَمْشَقِ دَوْلَةِ كُبْرَى، وَمُلْكًا فِي الْمَشْرِقِ وَآخَرُ فِي الْأَنْدَلُسِ، فَلِكِ بِهَذَا حَضَارَتَانِ لَا يُشَقُّ
غِبَارُهُمَا (لَا يَلْحَقُ بِهِمَا أَحَدٌ)

لَهُ بِالشَّامِ أَعْلَامٌ وَعُرْسٌ بِشَائِرُهُ بِأَنْدَلُسٍ تُدَقُّ
هَذَا الْمَلِكُ لَهُ بِالشَّامِ أَعْلَامُ الْفَرَحِ وَالزَّيْنَةِ وَالنَّصْرِ، وَهُوَ عَرَسَ نَسَمَ فِي الْأَنْدَلُسِ بِشَائِرِهِ (أَخْبَارُهُ)
(السَّارَةُ) تَدُقُّ بِهَا الطُّبُولُ

رِبَاعُ الْخُلْدِ، وَنَحَاكَ، مَا دَهَاهَا أَحَقُّ أَنَّهَا دَرَسَتْ، أَحَقُّ؟
يَخَاطَبُ دِمَشْقَ: رِبَاعُ (رَبِيعِ) الْخُلْدِ (الْجَنَّةِ) مَا الَّذِي دَهَاهَا؟ وَهَلْ صَحِيحٌ أَنَّهَا دَرَسَتْ (مُحِيتُ)؟
وَأَيْنَ دُمَى الْمَقَاصِرِ مِنْ حِجَالِ مُهَيَّكَةٍ وَأَسْتَارِ تُشَقُّ
وَأَيْنَ دُمَى (عَرَائِسُ/يَقْصِدُ نِسَاءَ) الْمَقَاصِرِ (الْبُيُوتِ)؟ أَيْنَ هِيَ مِنْ هَذِهِ الْحِجَالِ (النُّتُورِ) الْمُهَيَّكَةِ
(الْمَمْزُوقَةِ) الْمَشْقُوقَةُ؟

بَرَزْنَ وَفِي نَوَاحِي الْأَيْكِ نَارٌ وَخَلْفَ الْأَيْكِ أَفْرَاحٌ تُزَقُّ
بَرَزَتِ النِّسَاءُ (خَرَجْنَ) مِنْ بُيُوتِهِنَّ بَعْدَ حَرْقِ دِمَشْقَ عَلَى أَيْدِي الْفَرَنْسِيِّينَ، وَكَانَ فِي نَوَاحِي الْأَيْكِ
(الْغَابِ) نَارٌ، وَخَلْفَ الْغَابِ أَطْفَالُهُنَّ كَالْأَفْرَاحِ الَّتِي تَزُقُّ بِالْحَبِّ زَقًّا

إِذَا رُمِنَ السَّلَامَةُ مِنْ طَرِيقٍ أَتَتْ مِنْ دُونِهِ لِلْمَوْتِ طُرُقُ
إِذَا رَمَنَ (طَلَبَنَ) السَّلَامَةَ بِسُلُوكِ طَرِيقٍ، كَانَ لِلْمَوْتِ قَبْلَ هَذَا الطَّرِيقِ طَرِيقٌ أُخْرَى يَأْتِي مِنْهَا لِلْهَوَلَاءِ
النِّسَاءِ

يَلْبَلُ لِلْقَذَائِفِ وَالْمَنَايَا وَرَاءَ سَمَائِهِ خَطَفٌ وَصَعَقُ
حَدَّثَ لَهُنَّ هَذَا فِي لَيْلٍ لِلْقَنَابِلِ وَالْمَوْتِ فِي سَمَائِهِ خَطَفٌ لِلْأَرْوَاحِ وَصَعَقٌ لِلنَّاسِ

إِذَا عَصَفَ الْحَدِيدُ أَحْمَرَ أَفْقٍ عَلَى جَنَابَتِهِ، وَأَسْوَدَ أَفْقٍ
إِذَا عَصَفَ حَدِيدُ الْمَدَافِعِ أَحْمَرَ الْأَفْقِ عَلَى جَنَابَاتِ اللَّيْلِ بِالنَّارِ، وَأَسْوَدَ الْأَفْقِ مَرَّةً أُخْرَى بِالدِّخَانِ

سَلِي مَنْ رَاعَ غَيْدَكَ بَعْدَ وَهْنٍ أَبْيَنَ فَوَادِهِ وَالصَّخْرَ فَرَقُ
فاسألني يا دمشق من راع (أخاف) غيدك (جميلاتك) بعد وهن (بعد حلول الظلام): هل يوجد فرق
بين قلبه وبين الصخر؟

وَلِلْمُسْتَعْمَرِينَ، وَإِنْ الْأَتُونَا، قُلُوبٌ كَالْحِجَارَةِ لَا تَرِقُ
وللمستعمرين - وإن ألتونا (أظهروا اللين) - قلوب مثل الحجارة لا ترق (تلين)

رِمَاكِ بِطَيْشِهِ، وَرَمَى فَرَنْسَا، أَخُو حَرْبٍ بِهِ صَلَفٌ وَخُمُقُ
رماك بطيشه - ورمى بلده فرنسا أيضاً - صاحب حرب (هذا الجنرال) به صلف (تكبر) وحمق

إِذَا مَا جَاءَهُ طُلَّابُ حَقٍّ يَقُولُ عَصَابَةٌ خَرَجُوا وَشَقُّوا
إذا جاءه أصحاب الحق يطلبونه بعدهم عصابة (جماعة) خرجوا على السلطة وشقوا عصا الطاعة

دُمُ الثَّوَارِ تَعْرِفُهُ فَرَنْسَا وَتَعْلَمُ أَنَّهُ نَوْرٌ وَحَقُّ
فرنسا تعرف خير المعرفة دم الثوار وتضحياتهم، وهي تعلم أن هذا الدم مجيد وينير طريق الحرية،
فهي صاحبة ثورة مجيدة

جَرَى فِي أَرْضِهَا، فِيهِ حَيَاةٌ كَمُنْهَلِ السَّمَاءِ وَفِيهِ رِزْقُ
وقد جرى دم الثوار في أرض فرنسا، وكان فيه حياة، كان مثل منهل السماء (المطر) الذي يأتي
بالخير

بِلَادُ مَاتَ فَنَشِئْتُهَا لِنَحْيَا وَزَالُوا دُونَ قَوْمِهِمْ لَيَبْقُوا
تلك بلاد مات شبابها لنحيا، وزالوا (ماتوا) دون قومهم (دفاعاً عن قومهم) ليبقى القوم
وَحُرَّرَتِ الشُّعُوبُ عَلَى قَنَاها فَكَيْفَ عَلَى قَنَاها تُسْتَرْقُ
وقد تحررت الشعوب على قنا (رماح) فرنسا عقب ثورتها ١٧٨٩، فكيف تسترق (تستعبد) الشعوب
على هذه الرماح نفسها؟

بَنِي سُوْرِيَّةَ، أَطْرَحُوا الْأَمَانِيَّ وَأَلْقُوا عَنْكُمُ الْأَحْلَامَ أَلْقُوا
يا بني سورية أطرحوا (اتركوا جانباً) الأمانى، وألقوا عنكم الأحلام

فَمَنْ خَدَعَ السِّيَاسَةَ أَنْ تُعْرُوا بِالْقَابِ الْإِمَارَةِ وَهِيَ رِقُ
فمن خدع السياسة أن يُقرَّ المرء بالقاب الإمارة، بينما هي رق (عبودية). وكانت فرنسا تسعى في
تفتيت سوريا إلى لبنان الكبير، ودولة جبل الدروز، وحكومة العلوين. وسأيرها في هذا المسعى
عدد من الساسة

وَكَمْ صَيِّدٌ بَدَأَ لَكَ مِنْ ذَلِيلٍ كَمَا مَالَتْ مِنَ الْمَصْلُوبِ عُتْقُ
وكثيراً ما يظهر لعينيك صَيِّدٌ (فخر وإمالة عتق) من شخص ذليل، فهو يُميل عنقه لا فخرأ ولكن
كالمصلوب

فُتُوقَ الْمُلْكُ تَحَدُّثٌ ثُمَّ تَمْضِي وَلَا يَمْضِي لِمُخْتَلِفِينَ فَتُقْ
فتوق الملك (الشفوق في بنيانه) تحدث ثم يمكن إصلاحها، ولكن المختلفين من أبناء البلد لا
يسهل إصلاح الفتق بينهم

نَصَحْتُ وَنَحْنُ مُخْتَلِفُونَ دَاراً وَلَكِنْ، كُلُّنَا فِي الْهَمِّ شَرْقُ
نصحت لكم مع اختلافنا في القطر، ولكننا جميعاً نشترك في الهم، فالشرق كله مظلوم والغرب له
ظالم

وَيَجْمَعُنَا إِذَا اخْتَلَفَتْ بِلَادُ بَيَانٌ غَيْرُ مُخْتَلِفٍ وَنُطْقُ
ولئن اختلف بلدي عن بلدكم فإن ما يجمعنا هو البيان الذي لا نختلف فيه والنطق باللغة العربية

وَقَفُّكُمْ بَيْنَ مَوْتٍ أَوْ حَيَاةٍ فَإِنْ رُمْتُمْ نَعِيمَ الدَّهْرِ فَاشْقُوا
أنتم بين الموت والحياة، وإذا رمت (أردتم) النعيم والعز طول الدهر فاشقوا (اتعبوا). وحق كلمة
«اشقوا» أن تكون بفتح القاف، ومثلها كانت قبل بضعة أبيات كلمة «يقوا». ولكن هذا إقواء لا
تقبله الأذن

وَلِلْأَوْطَانِ فِي دَمٍ كُلِّ حُرٍّ يَدٌ سَلَفَتْ وَدَيْنٌ مُسْتَحَقُّ
وللأوطان في دم كل حر من أبنائها يدٌ (معروف) سابق، ولها عليه دين مستحق الوفاء

وَمَنْ يَسْقِي وَيَشْرَبُ بِالْمَنَايَا إِذَا الْأَحْرَارُ لَمْ يُسْقَوْا وَيَسْقَوْا
ومن ذا الذي يسقي عدوه الموت ويشرب الموت إذا لم يفعل ذلك الأحرار

وَلَا يَبْنِي الْمَمَالِكَ كَالضَّحَايَا وَلَا يُدْنِي الْحَقُوقَ، وَلَا يُحِقُّ
ولا شيء يبني الدول مثل الضحايا من أبنائها، ولا شيء مثلهم يدني (يقرب) الحقوق لأصحابها
وينجزها

فَفِي الْقَتْلَى لِأَجْيَالِ حَيَاةٍ وَفِي الْأَسْرَى فِدَى لَهُمْ وَعِثْقُ
ففي قتلى الحرية حياة للأجيال اللاحقة، وفي الأسرى عتق (تحرر) وفداء

وَلِلْحُرِّيَّةِ الْحَمْرَاءِ بَابٌ بِكُلِّ يَدٍ مُضَرَّجَةٍ يُدَقُّ
وللحرية الحمراء المصبوغة بدم الفداء بابٌ يُدَقُّ عليه أبناء الوطن بأيديهم المضرجة (المصبوغة
بالدم)

جَزَاكُمُ ذُو الْجَلَالِ بَنِي دِمَشْقٍ وَعِزُّ الشَّرْقِ أَوَّلُهُ دِمَشْقُ
جَزَاكُمُ اللَّهُ ذُو الْجَلَالِ يَا أَبْنَاءَ دِمَشْقٍ، فَأَنْتُمْ كُنْتُمْ بِدَايَةِ عِزِّ الشَّرْقِ فِي عَصْرِ بَنِي أُمَيَّةَ

٢٢٦ كان شعري الغناء في فرح الشرق

قال شوقي في حفل مبايعته بإمارة الشعر (١٩٢٧):

مَرْحَباً بِالرَّبِيعِ فِي رَيْعَانَةٍ وَيَأْنَوَارِهِ وَطَيْبِ زَمَانِهِ
رَيْعَانَهُ: أوله، أنواره: نَوَارِ الشَّجَرِ وَزَهْرُهُ

أَيْنَ نَوْرُ الرَّبِيعِ مِنْ زَهْرِ الشَّعْرِ رِ إِذَا مَا اسْتَوَى عَلَى أَفْنَانِهِ
لا مقارنة بين نَوْر (نَوَّار) الربيع وزهر (نَوَّار) الشعر عندما يستوي على أفنانه (أغصانه)

سَرَمَدُ الْحَسَنِ وَالْبَشَاشَةِ، مَهْمَا تَلْتَمِسُهُ تَجِدُهُ فِي إِيَّانِهِ
فالشعر سرمد الحسن (أبدي الجمال)، ومهما (في أي وقت) تلتبس (تطلب) الشعر تجده يانماً كأنه
في إِيَّانِهِ (في موسمه)

حَسَنٌ فِي أَوَانِهِ كُلُّ شَيْءٍ وَجَمَالُ الْقَرِيضِ بَعْدَ أَوَانِهِ
كل شيء جميل في أَوَانِهِ، والقريض (الشعر) جماله يزيد بعد انقضاء زمن عليه

أَمَرَ اللَّهَ بِالْحَقِيقَةِ وَالْحُكْمِ حَمَةً فَالْتَقَتَا عَلَى صَوْلَجَانِهِ
أمر الله الحقيقة والحكمة فالتقتا على صولجان الشعر تراقفانه دوماً. أحقاً؟ الشعراء يتبعهم
المهتدون؟

لَمْ تَنْزُرْ أُمَّةً إِلَى الْحَقِّ إِلَّا يَهْدِي الشَّعْرُ أَوْ خُطَى شَيْطَانِهِ
لم تنزُرْ أُمَّةً للمطالبة بحقها إلا والشعر يهديها ملاكاً أو يثيرها شيطاناً

وشيطان الشاعر هو الذي يوحى إليه بالشعر في الخرافة الأدبية المعروفة، وشوقي هنا يرمي إليها

لَيْسَ عَزْفُ النِّحَاسِ أَوْقَعَ مِنْهُ فِي شُجَاعِ الْفَوَادِ أَوْ فِي جَبَانِهِ
عزف الآلات النحاسية ليس أشد وقعاً من الشعر في قلوب الشجعان والجبنة

ظَلَّلْتُنِي عَنَايَةً مِنْ فَوَادٍ ظَلَّلَ اللَّهُ عَرْشَهُ بِأَمَانِهِ
ظللتنني عناية الملك أحمد فؤاد، وأدعو الله أن يظل عرشه بأمان منه

مَلِكُ النَّيْلِ مِنْ مَصْبِيهِ بِالشُّطِّ إِلَى مَنْبَعِيهِ مِنْ سُودَانِهِ

هو ملك النيل من مصبِّهِ (فرعي دمياط ورشيد اللذين يصبان ماء النيل في شاطئ المتوسط) وحتى
منبعيه في السودان (فالنيل الأبيض والأزرق بمثابة المنبعين اللذين يؤلفان النيل وكلاهما يمر
بالسودان قبل دخول مصر)

يَا عُكَاطُ تَأَلَّفَ الشَّرْقُ فِيهِ مِنْ فِلِسْطِينِهِ إِلَى بَغْدَادِهِ

أيها الحفل الشبيه بعكاظ، وقد تألف (تجمّع) الشرق فيه من فلسطين إلى بغداد (بغداد)

قَلَّدْتَنِي الْمُلُوكُ مِنْ لَوْلُو الْبَحْرِ رَيْنِ آلَاءِهَا وَمِنْ مُرْجَانِهِ

لقد قلدني (طوق عتقي) الملوك آلاءهم (نعمهم) من لؤلؤ ومرجان (لؤلؤ) البحرين، مشيراً إلى هدية حاكم البحرين له آنذاك

مُوكِبُ الشَّعْرِ حَرَّكَ الْمُتَنَبِّيَ فِي ثَرَاهُ، وَهَزَّ مِنْ حَسَّانِهِ

هذا الحفل كان موكباً للشعر، وقد حرك المتنبي في ثراه (تريته)، وهز حسان الشعر (حسان بن ثابت)

رُبَّ سَامِي الْبَيَانِ نَبَّهَ شَأْنِي أَنَا أَسْمُو إِلَى نِبَاهَةِ شَائِنِهِ

رب رجل سامي البيان (عالي الفصاحة) يشير إلى محمود سامي البارودي الذي سبقه في الشعر زمناً وفتح له الطريق) وأنا أسمو (أتطلع) إلى نباهة شأنه (أهميته)

كَانَ بِالسَّبْقِ وَالْمِيَادِينِ أُولَى لَوْ جَرَى الْحِظُّ فِي سَوَاءٍ عِنَانِهِ

كان أولى مني بالسبق في الشعر وفي ميادينه لو أن الحظ جرى في سواء عتانه (واتاه). كان البارودي رجل ميادين، كان محارباً ووزيراً للحرية، وكان شاعراً مهماً

إِنَّمَا أَظْهَرُوا يَدَ اللَّهِ عِنْدِي وَأَذَاعُوا الْجَمِيلَ مِنْ إِحْسَانِهِ

ما يصنعه هؤلاء المحفظون هو أنهم يبرزون يد (نعمة) الله علي، ويذيعون جميل إحسان الله علي

مَا الرَّحِيقُ الَّذِي يَذُوقُونَ مِنْ كَرِّ مَيِّ، وَإِنْ عَشْتُ طَائِفاً بِدِنَانِهِ

ورحيق شعري الذي يذوقونه ليس من كرمي (بستاني)، وإن عشت وأنا أطوف بدنان الكرم (جزار الخمر). فشوقي يطوف حول أوعية الخمر الكبيرة يستقي منها خمرة الشعر ليقدمها للناس وليس له سوى فضل الاستقاء لغيره

وَهَبُونِي الْحَمَامَ لَذَّةَ سَجْعٍ أَيْنَ فَضْلُ الْحَمَامِ فِي تَحْنَانِهِ؟

وهبوني (افرضوا أني) كالحمام في لذة سجمه (لحنه)، أين فضل الحمام في تحنانه (غنائه)؟ فالحمام من طبعه السجع وليس له فضل فيه

وَتَرَّ فِي اللَّهَافِ مَا لِلْمُغْنِيِّ مِنْ يَدٍ فِي صَفَائِهِ وَلِيَانِهِ

الشعر كأنه وتر في اللهاء (اللحمة المتدلية في آخر الحلق بين اللوزتين)، وليس للمغني يد (فضل) في أن يكون للوتر صفاء أو ليانة (لين)

كَانَ شُعْرِي الْغَنَاءَ فِي قَرَحِ الْبُشْرِ قِي وَكَانَ الْعِزَاءُ فِي أَحْزَانِهِ

كان شعري غناء في قرح البشر، وعزاء للناس لينسوا أحزانه

قد قضى الله أن يُؤلفنا الجُبر حُ، وأن نلتقي على أشجانِه

قضى الله أن يؤلفنا (يجمنا) الجرح، وأن نلتقي على أشجانِه (أحزانه)

كلُّما أنَّ بالعراقِ جريحٌ لَمَسَ الشرقَ جنبَه في عُمانِه

كلما أنَّ (ناوه) بالعراقِ جريح، لمس الشرقِ خاصرته في عُمانِ إذ يحس بالآلم

وعليُّنا كما عليَّكم حديدٌ تَنَزَّى الليوثُ في قُضبانِه

وتجبنا قضبان الحديد مثلما تجبكم، وداخلها تنتزى (تتواهب) الليوث طلباً للحرية

٢٢٧ يحسدون الميت

قال شوقي يرثي إسماعيل أباطة، أحد الأعيان، وعضو الجمعية التشريعية، (١٩٢٧):

يقولون: يرثي الرَّاحِلِينَ، فَوَيْحَهُمْ أأَمَلْتُ عِنْدَ الرَّاحِلِينَ الْجَوَازِيَا

يلومني بعضهم لأنني أرثي الراحلين، فالويل لهم، هل أنا أوّل عند الراحلين الجوازي (المكافآت)

أبْوَا، حَسِداً، أَنْ أَجْعَلَ الْحَيَّ أَسْوَةً لَهُمْ، وَمِثَالاً قَدْ يُصَادَفُ حَازِيَا

هؤلاء الحاسدون رفضوا أن أجعل الشخص الحي أسوة (قدوة) ومثالاً، وكان أملي إذ أمدح الأحياء أن يصادف الممدوح بشعري حاذياً (شخصاً يحذو حذوه)

فلَمَّا رَثِيتُ الْمَيِّتَ أَقْضِي حَقَّوْهُ وَجَدْتُ حَسُوداً لِلرَّفَاتِ وَشَانِيَا

فعندما رثيت الميت لقضاء حقه وتكريمه، وجدت حسوداً للرفات وشانئاً (مبغضاً) للميت

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرَعْ الْعَهْدَ لِهَالِكٍ فَلَسْتُ لِحَيٍّ حَافِظَ الْعَهْدِ رَاعِيَا

إذا أنت لم ترع (تحفظ) العهد لهالك (ميت)، فأنت لن ترعى عهد الحي

فَلَا يَطْلُوِيَنَّ الْمَوْتُ عَهْدَكَ مِنْ أَخٍ وَهَبَهُ بِوَادٍ غَيْرِ وَادِيكَ نَائِيَا

فلا تدع الموت يطوي عهدك إزاء أخ لك، وهبه يا شوقي (افترض أنه) رحل ليعيش في واد بعيد غير واديك ولم يمت موتاً

أَقَامَ بِأَرْضٍ أَنْتَ لَا قِيَمَ عِنْدَهَا وَإِنْ بِشُّمَّا تَسْتَبْعِدَانِ التَّلَاقِيَا

وافترض أن الميت سكن أرضاً ستلاقيه فيها، وإن كان اللقاء مستبعداً الآن، فالموت سيجعلنا كلنا تتلاقى في التراب

وَلَيْسَ الْبَيَانُ الْهَجَوُ إِنْ كُنْتَ سَاخِطاً وَلَا هُوَ زُورَ الْمَدْحِ إِنْ كُنْتَ رَاضِيَا

والبيان ليس الهجاء في وقت سخطك، ولا المدح الكاذب وقت رضاك

ولكن هُذَى اللئى الكريم ووخيه حَمَلَتْ به المصباح فى الناس هاذيا
ولكن البيان هدى الله والهامه ، وانت يا شوقي - يخاطب نفسه - حملت مصباح البيان تهدي الناس به
تُفِيضُ على الأحياء نوراً ، وتارة تُضِيءُ على الموتى الرجاء الدواجيا
تُفِيضُ على الأحياء نوراً ، وأحياناً تثير على الموتى الرجاء (حجارة القبر) الدواجيا (المعمنة)
هياكل تُفْنِي ، والبيان مُحَلَّدٌ ألا إنَّ عِثْقَ الحَمرِ يُنْسِي الأوانيا
أجسام الناس هياكل فانية ، والبيان خالد ، كالخمر العتيقة فإن عبقها يجعلها جيدة ونسى معه دنائها
وخوابيها المسودة المطلبة بالقار

٢٢٨ الشاعر والرواة

قال شوقي فى الحفل الخمسينى لدار العلوم (١٩٢٧):

نَظَّمَ اللّهُ مُلْكَهُ بِعَبَادٍ عَبْقَرِيَّينَ أَوْرَثُوا المَلِكَ حُسْناً
نظم الله ملكه (كما ينظم المرء العقد من اللآلئ) بالعابرة من خلقه الذين أورثوا الملك حناً
(تركوا له زينة)

شغلتُهُم عَنِ الحَسودِ المعالي إنما يُحَسِّدُ العَظيمُ ويُسْنا
شغلت هؤلاء العابرة عن الحسود الأمجاد ، والعظيم دائماً يُحسد ويُسنا (يُمَقّت)

كُلُّما صارَ لِلْكَهولةِ شعري أنشدوه فعادَ أَمْرَ لَدُنّا
كلما صار شعري كهلاً (كبير السن) أنشده هؤلاء الشباب الذين يتعلمون ليصبحوا عابرة المستقبل ،
فعاد (فصار) أمر (فتياً) لدنّا (طري العود)

أسرهُ الشاعرُ الرواة ، وما عَنَّ هُوَ ، والمرءُ بالقريبِ مُعَنَّى
الرواة هم أسرة الشاعر ، وهم لا يُعْتَوْنَه (لا يتعبونه) ، بينما الإنسان يتعب من أقارب النسب
هُم يَصْنُونَ فى الحياة بما قا ل ، وَيُلْفَوْنَ فى المماتِ أَصْناً
فى حياة الشاعر يضئ الرواة بما قال (يحرصون على شعره) ، وتلفيهم (تجدهم) بعد موته أضئاً
(أحرص) على شعره

وإذا ما انقضى ، وأهلوه ، لم يَغْ حَمَّ شقيقاً مِنَ الرواةِ أو ابناً
وإذا ما انقضى (مات) ومات أهله ، لم يعدم الشاعر من الرواة من يكون كالشقيق أو الابن

نحنُ فى صورةِ الممالِكِ ما لم يصبحِ العلمُ والمعلمُ مِنّا
نحن لسا مملكة حقيقية بل شبح مملكة إلا إذا أصبح العلم والمعلم نابعين من بلدنا

لَا تُنَادُوا الْحُصُونَ وَالسُّفُنَ وَادْعُوا إِلَهُكُمْ يُنْشِئُ لَكُمْ حُصُونًا وَسُفُنًا
 لَا تَنَادُوا مَنْ يَنْشِئُ لَكُمْ الْحُصُونَ وَالسُّفُنَ، بَلْ نَادُوا الْعِلْمَ لِكَيْ تَنْشِئُوا بِهِ حُصُونًا وَسُفُنًا بَأَنْفُسِكُمْ
 إِنَّ رَكِبَ الْحَضَارَةَ اخْتَرَقَ الْأَرْضَ ضَمَّ وَشَقَّ السَّمَاءَ رِيحًا وَمُزْنًا
 موكب الحضارة اخترق أعماق الأرض، وشق السماء بريحها ومزنها (غيمها)
 وَصَحْبِنَاهُ كَالْعُبَارِ فَلَا رَحْمَ لَّا شَدَدْنَا وَلَا رِكَابًا زَمَمْنَا
 ونحن! لقد صحبنا موكب العلم كأننا الغبار الذي يصاحب الموكب، فلم تكن جزءاً من الموكب،
 فما شددنا رحلاً (خرج الدابة) ولا زممنا ركاباً (ربطنا ركاب الحصان)

٢٢٩ جارة الوادي

قال شوقي يذكر رحلة بلبان، (١٩٢٧):

شَيَّعْتُ أَحْلَامِي بِقَلْبٍ بَاكِ وَلَمَمْتُ مِنْ طُرُقِ الْمِلَاحِ شِبَاكِي
 شيعت (ودعت) أحلامي بقلب باكِ، ولممت شبكي التي كنت أنصبها في طرق الملاح
 (الجميلات)

وَيْحَ ابْنِ جَنْبِي، كُلُّ غَايَةٍ لَذَّةٍ بَعْدَ الشَّبَابِ عَزِيزَةٌ الْإِدْرَاكِ
 مكين ابن جنبي (قلبي)، فكل لذة كبيرة تصل الغاية تصبح بعد انقضاء الشباب عزيزة الإدراك
 (صعبة التحقيق)

لَمْ تَبْقَ مِنَّا يَا فُوَادُ بَقِيَّةٌ لِفُتُوَّةٍ، أَوْ فَضْلَةٌ لِعِرَاكِ
 لم تبق منا يا قلبي بقية لفتوة (لاعتزاز الشباب بقوته) ولا فضلة لعراك (مقارعة اللهو)

كُنَّا إِذَا صَفَّقْتَ نَسْتَبِقُ الْهَوَى وَنَشُدُّ شَدَّ الْعُضْبَةِ الْفُتَّاكِ
 كنّا وأصحابي يا قلبي إذا صفقت (خفقت) نسابق الهوى، ونشد إثراً الملاهي اشتداد عصبه
 (جماعة) من الفتاك (المنغمسين في اللهو)

وَالْيَوْمَ تَبَعْتُ فِي حِينٍ تَهْزُنِي مَا يَبْعَثُ النَّاقُوسُ فِي النَّسَاكِ
 واليوم! تبعث في نفسي يا فؤادي عندما تهزني مشاعر هادئة كالتي يبعثها الناقوس (جرس الكنيسة)
 في النساك (المتريهين)

يَا جَارَةَ الْوَادِي طَرِبْتُ، وَعَادَنِي مَا يُشْبِهُ الْأَحْلَامَ مِنْ ذِكْرَاكِ
 يا جارة الوادي (بلدة رحلة بلبان) طربت، وعادني ما يشبه الأحلام من ذكراك ما يشبه الأحلام

مَثَلْتُ فِي الذِّكْرَى هَوَاكَ وَفِي الْكَرَى وَالذِّكْرِيَّاتُ صَدَى السَّنِينِ الْحَاكِي
أكرر ذكراك في ذهني وفي نومي، والذكريات كأنها صدى السنين الحاكمي (المقلد)، فهي تشبه
الحدث الأصلي وتحاكيه كما يشبه الصدى الصوت الأصلي

وَلَقَدْ مَرَرْتُ عَلَى الرِّيَاضِ بِرَبْوَةٍ غَنَاءَ، كُنْتُ حَيَالَهَا أَلْفَاكِ
مررت الآن وأنا على الرياض (البساتين) بربرة غناء (تلة جميلة) كنت حيالها (عندها) كأنني ألقاك

ضَحِكْتُ إِلَيْ وَجْهِهَا وَعَيُونُهَا وَوَجَدْتُ فِي أَنْفَاسِهَا رَيَّاكِ
ضحكت إلي وجوه الربوة (أزهارها) وعيونها (السواد في وسط الأزهار)، ووجدت في أنفاس
(رائحة) الربوة رياك (عطرك)

لَمْ أَذْرِ مَا طِيبُ الْعِنَاقِ عَلَى الْهَوَى حَتَّى تَرَفَّقَ سَاعِدِي فُطُوكِ
لم أكن أدري ما طيب (لذة) العناق مع وجود الحب حتى ترفق (ثاني) ساعدي فطواك في ضمة حب

وَتَأَوَّدْتُ أَعْطَافَ بَانِكٍ فِي يَدِي وَاحْمَرَّ مِنْ خَفَرَيْنِهِمَا خَدَّاكِ
وتأودت (تمايلت) أعطاف (جنيات) بانك (شجر البان) في يدي، واحمر خدأك من خفريهما
(خجلتهما). احمر الخدان من «خفريهما» أي خجلتهما، ولكن الوزن جعلها «خفريهما» فكان لكل
خد خجلاً خاصاً به

وَدَخَلْتُ فِي لَيْلَيْنِ: فَرَعِكَ وَالْدُّجَى، وَلَثَمْتُ كَالصُّبْحِ الْمُتَوَرِّ فَالِكِ
ومع العناق دخلت في ليلتين: فرعك (شعرك)، والدجى (الليل)؛ ولثمت (قبلت) فاك الذي كان
كالصبح المشرق

وَتَعَطَّلْتُ لُغَةَ الْكَلَامِ، وَخَاطَبْتُ عَيْنِي فِي لُغَةِ الْهَوَى عَيْنَاكِ
وتعطلت لغة الكلام، وتخطبت عيوننا بلغة الهوى

وَمَحَوْتُ كُلَّ لُبَانَةٍ مِنْ خَاطِرِي وَنَسِيتُ كُلَّ تَعَائِبٍ وَتَشَاكِ
ومحوت كل لبانة (رغبة) أخرى من خاطري، ونسيت كل تبادل للعتاب والشكوى

لَا أَمْسِي مِنْ حُمُرِ الزَّمَانِ وَلَا غَدُ جُمِعَ الزَّمَانُ فَكَانَ يَوْمَ رِضَاكِ
فلا الأمس ولا الغد محسوبان في عمر الزمن، فكل الزمن هو اللحظة الحاضرة، لحظة رضاك

إِنْ تُكْرِمِي، يَا زَحْلَ، شِعْرِي إِنْ نِي أَنْكَرْتُ كُلَّ قَصِيدَةٍ إِلَّاكِ
إن تكرمي شعري يا زحلة فإنني أنكرت كل القصائد إلا ياك أيتها القصيدة

أَنْتِ الْخِيَالُ، بَدِيعُهُ وَغَرِيبُهُ، اللَّهْ صَاغَلِكِ، وَالزَّمَانُ رَوَاكِ
فأنت قصيدة مكونة من الخيال البديع الغريب، وقد صاغك الله وزدّدك الزمان

٢٣٠ البناء بالحاسدين

قال شوقي في بناء الدار الجديدة لبنك مصر، ويخاطب طلعت حرب (١٩٢٧):

مَا زِلْتَ أَنْتَ وَصَاحِبَاكَ بِرُكْنَيْهِ حَتَّى اسْتَقَامَ عَلَى أَعَزِّ دَعَامِ
مَا زِلْتَ أَنْتَ وَصَاحِبَاكَ (مدحت يكن، وفؤاد سلطان) بركن هذا المبنى حتى قام على أَعَزِّ (أقوى)
دَعَامَةٍ

أَسَسْتُمْ بِالْحَاسِدِينَ جِدَارَهُ وَبَنَيْتُمْ بِمَعَاوِلِ الْهَدَامِ
وَأَنْتُمْ بَنَيْتُمْ جِدْرَانَهُ بِأَجْسَامِ الْحَمَادِ، وَبَنَيْتُمُوهُ بِمَعَاوِلِ الْهَادِمِينَ، فَكُنْتُمْ اسْتَعْدَمْتُمْ قُوَى الْحَدِّ
وَالْهَدْمِ لِتَحْذُوا بِهَا هَمِّكُمْ فَبَنَيْتُمْ مَا بَنَيْتُمْ. معنى جديد، ها؟

شَرِكَاؤُكَ الدُّنْيَا الْعَرِيضَةُ، لَمْ تُنَلِّ إِلَّا بِطُولِ رِعَايَةٍ وَقِيَامِ
شركائك يا طلعت حرب ملء الدنيا، وقد حققها بطول الرعاية والقيام عليها

اللَّهُ سَخَّرَ لِلْكَثَانَةِ خَازِنًا أَخَذَ الْأَمَانَ لَهَا مِنَ الْأَعْوَامِ
الله سخر لمصر خازناً (أمين صندوق) أخذ أماناً لمصر من الزمن الغدار

وَكُنَّ عَهْدُكَ عَهْدُ يَوْسُفَ، كُلُّهُ ظِلٌّ وَسُنْبُلَةٌ وَقَطْرٌ غَمَامِ
فَكَانَ عَهْدُكَ عَهْدُ يَوْسُفَ الصِّدِّيقِ (الذي كان خازناً لفرعون)، فعهْدُكَ كله ظل من الشجر وسنابل
وقطر (مطر) من الغمام

وَكُنَّ مَالُ الْمَوْدِعِينَ وَزَرْعُهُمْ فِي رَاحَتِكَ وَدَائِعُ الْأَيْتَامِ
وَكُنَّ ودائع الناس وزرعهم (يودعون المال عندك، أو يقترضونه لتحسين مزارعهم) في يدك ودائع
الأيتام التي يحرم العيث بها كل التحريم

مَا زِلْتَ تَبْنِي رُكْنَ كُلِّ عَظِيمٍ حَتَّى أَنْتِ بِرَابِعِ الْأَهْرَامِ
لا تفنأ تبني كل مبنى عظيم، حتى جئنا الآن بهذا المبنى وكأنه هرم رابع

٢٣١ قد يكون الغلو رأياً أصيلاً

قال شوقي يرثي أمين الرافعي، الكاتب السياسي وعضو الحزب الوطني، ثم نصير الوفد
إلى أن اختلف مع سعد، (١٩٢٧):

مَالِ أَحِبَّائِهِ خَلِيلاً خَلِيلاً وَتَوَلَّى اللَّذَاتُ إِلَّا قَلِيلاً
شوقي يتكلم عن نفسه: مال أحببته خوفي واحداً واحداً، وتولى (انصرف) اللذات
(الرفاق) إلا قليلاً منهم

نَصَلُّوا أَمْسٍ مِنْ غِبَارِ اللَّيَالِي وَمَضَى وَحْدَهُ يَحُثُّ الرَّحِيلَا
نصلوا (انسحبوا) أمس من غبار الليالي، فكان الزمن كوكبة خيل وفرسان مسرعة يصحبها الغبار،
ومن ينسحب يترك الغبار سائراً ويتخلف عنه، ومضى شوقي يحث (يتعجل) الرحيل كما رحلوا
سكنت مِنْهُمُ الرِّكَابُ، كَأَنَّ لَمْ تَضْطَرِبَ سَاعَةً وَلَمْ تَمْضِ مِيلَا
سكنت الركاب (الخيول) التي كانوا يركبونها، وكأنها لم تكن تضطرب (تتحرك)، وكأنها لم تَمْضِ
(تمشي) بهم ميلاً واحداً

جُرِّدُوا مِنْ مَنَازِلِ الْأَرْضِ إِلَّا حَجَرًا دَارِسًا وَرَمَلًا مَهِيلًا
جُردوا من منازلهم في الأرض عدا الحجر الدارس (حجر القبر الممحو الأثر) والرمل المهيل
عليهم

فِي يَبَابٍ مِنَ الثَّرَى رَدَّةَ الْمَوْتِ نَقِيًّا مِنَ الْحُقُودِ غَمِيلًا
وهم في يباب (قفر) من التراب رده (جعله) الموت نقياً غملاً (مغلولاً) من الحُقُودِ (الآحقاد)
طَرَحُوا عِنْدَهُ الْهَمُومَ، وَقَالُوا إِنَّ عِبَاءَ الْحَيَاةِ كَانَ ثَقِيلًا
طرحوا همومهم عند شوقي وذهبوا، وقالوا إن عبء الحياة كان ثقيلاً

رُبَّ يَوْمٍ يُنَاحُ فِيهِ عَلَيْنَا لَوْ نَحْسُ السُّوَاخَ وَالْمُنْتَرِيَلَا
رب يوم يُنَاحُ فيه علينا نحن أيضاً، هذا لو كنا سنحس بهذا السُّوَاخِ (الترتيل) وقد متنا

بِمَرَاثٍ كُتِبْنَ بِالْدمْعِ عَنَّا أَسْطَرًا مِنْ جَوَى وَأُخْرَى عَلِيلَا
سِيناح علينا بمراث كتبت بالدموع، ففيها أسطر من الجوى (اللوعة) وأسطر من الغليل (اللوعة)

يَجِدُ الْقَائِلُونَ فِيهَا الْمَعَانِي يَوْمَ لَا يَأْذُنُ الْبَلَى أَنْ نَقُولَا
سيجد أصحاب المراثي معاني لراثنا في وقت لا يأذن لنا البلى (تحلل الجسم) أن نقول الشعر

أَخَذَ الْمَوْتُ مِنْ يَدِ الْحَقِّ سِيفًا خَالِدِي الْغُرَارِ عَضْبًا صَقِيلَا
بموت الرافعي أخذ الموت من يد الحق سيفاً خالدٍ الغرار (حده كحد سيف خالد بن الوليد)
عضباً (قاطعاً) مصقولاً

لَمْ يَخَفْ فِي حَيَاتِهِ شَبَحَ الْفَقْرَ بِرِ إِذَا طَافَ بِالرِّجَالِ مَهُولَا
لم يكن الرجل يخاف شبح الفقر إذ يطوف هذا الشبح بالرجال مهولاً (مخوفاً)

جَاعَ حِينًا فَكَانَ كَاللِّمِثِّ، أَبِي مَا تُلَاقِيهِ يَوْمَ جُوعٍ هَزِيلَا
جاع الرافعي حيناً فكان كاللِّمِثِّ، أبي ما تُلَاقِيهِ يوم جوع هزيل
جاعة الرافعي حيناً فكان كالأسد أكثر ما يكون إباء وعزة يوم يجوع ويهزل جسمه

قِيلَ: غَالٍ فِي الرَّأْيِ، قُلْتُ: هَبْوهُ قَدْ يَكُونُ الْغُلُوُّ رَأْيًا أَصِيلًا
فيل عنه إنه كان غالياً في رأيه (مغالياً متشدداً)، فقلت: هبوه (افرضوا أنه) كذلك، قد يكون الغلُوُّ
(التشدد) رأياً أصيلاً للمرء وليس مجرد عناد

وَقَدِيمًا بَنَى الْغُلُوُّ نَفُوسًا وَقَدِيمًا بَنَى الْغُلُوُّ عُقُولًا
والتشدد بنى في القديم نفوساً وعقولاً، لأنه تشدد في الحق

عَاشَ لَمْ يَغْتَبِ الرِّجَالَ، وَلَمْ يَجِدْ حِلَّ شُؤْنِ النَّفُوسِ قَالًا وَقِيلَا
عاش الرافعي ولم يغتب الرجال، وكان يجتنب القال والقيل

إِنَّ يُفِثَ فَيْكَ مِنْبَرَ الْأَمْسِ شِعْرِي إِنَّ لِي الْمَنْبَرَ الَّذِي لَنْ يَزُولَا
لن أفات (أضاع) شعري منبر الأس إذ لم أسارع في تأيئك، فإن لي منبراً لن يزول. والرجل
مات سنة ٢٦ وورثاه شوقي سنة ٢٧ فيما بين يدينا من تواريخ. (وَيُفِثَ) قرأها جامع الشوقيات
وصاحب الموسوعة الشوقية كلاهما (يُفِثَ) بفتح فضم، وفضلت الضم فالفتح

جَلَّ عَنْ مُنْشِدِ سَوَى الدَّهْرِ يُلْقِيهِ عَلَى الْغَابِرِينَ جِيلًا فَجِيلًا
فشعري جل عن أي منشد سوى الدهر، الذي يرثله على الغابرين (القائنين) جيلاً يفنى بعد جيل،
وشعري باقي

٢٣٢ رثاء سعد

قال شوقي برثي سعد زغلول (١٩٢٧):

شَيَّعُوا الشَّمْسَ وَمَالُوا بِضُحَاهَا وَانْحَنَى الشَّرْقُ عَلَيْهَا فَبَكَاهَا
شيعوا (ودّعوا) الشمس، ومالوا (ذهبوا) بضحاها، وانحنى الشرق، مطلع الشمس، عليها وبكاهها.
والشرق أيضاً هو بلاد الشرق

لَيْتَنِي فِي الرِّكْبِ لَمَّا أَقْلَتَ يُوشَعُ هَمَّتْ فَنَادَى فَنَنَاهَا
ليتني وأنا في ركب المشيعين إذ أقلت (غابت) هذه الشمس، ليتني كنت يوشع (قائد اليهود الذي
أرادت الشمس المغيب فطلب إلى ربه منعها من الغروب كي يقتل أعداءه قبل دخول السبت) حين
همت الشمس بالمغيب فنادى ربه فتنأها (أعادها)

جَلَّلَ الصُّبْحَ سَوَادًا يَوْمُهَا فَكَأَنَّ الْأَرْضَ لَمْ تَخْلَعْ دُجَاهَا
يوم مغيب شمس سعد جلل الصبح بالسواد، فكأن الأرض لم تدخل في النهار وبقيت لابة ثوب
الدجى (الظلمة)

مَا دَرَّتْ مَصْرُ بَدْفِي صُبْحَتْ أَمْ عَلَى الْبَعَثِ أَفَاقَتْ مِنْ كَرَاهَا

لم تدر مصر هل ضُبحت بدفني، أم أنها أفافت من كراها (نومها) على البعث (يوم القيامة) لاهتياج
المشاعر في يوم موت سعد

خَفَضُوا فِي يَوْمِ سَعْدٍ هَامَهُمْ وَيَسْعُدِ رَفَعُوا أُمْسَ الْجِبَاهَا
خَفَضَ النَّاسُ جِبَاهَهُمْ فِي يَوْمِ مَوْتِ سَعْدٍ، وَكَانُوا بِهَذَا الرَّجُلِ قَدْ رَفَعُوا رُؤُوسَهُمْ بِالْأُمْسِ
حَضَنْتُ نَعْشَكَ وَالتَفْتُ بِوَيْ رَايَةً كُنْتُ مِنْ الدَّلِّ فِدَاهَا
حَضَنْتُ نَعْشَكَ وَالتَفْتُ عَلَيْهِ رَايَةً مِصْرَ الَّتِي كُنْتُ تَقْدِيهَا مِنْ أَنْ يَصِيبَهَا الدَّلُّ

ضَمَّتِ الصَّدْرَ الَّذِي قَدْ ضَمَّهَا وَتَلَقَّى السَّهْمَ عَنْهَا فَوَقَاهَا
ضَمَّتِ الرَّايَةَ صَدْرًا كَانَ يَضُمُّهَا وَيَتَلَقَّى سَهْمَ الْأَعَادِي عَنْهَا وَيَقِيهَا

تَسْكِبُ الدَّمَاعَ عَلَى سَعْدٍ دَمًا أُمَةً مِنْ صَخْرَةِ الْحَقِّ بَنَاهَا
تَسْكَبُ الدَّمَاعَ عَلَى سَعْدٍ دَمًا أُمَةً بَنَاهَا سَعْدٌ مِنْ صَخْرَةِ الْحَقِّ

رَقِدَ الشَّائِسُ إِلَّا ثَوْرَةً فِي سَبِيلِ الْحَقِّ لَمْ تَخْمُدْ جُذَاهَا
رَقِدَ الثَّائِرُ إِلَّا أَنْ ثَوْرَتِهِ لَمْ تَخْمُدْ جُذَاهَا (جمراتها)

قَدْ تَوَلَّاهَا صَبِيًّا فَكَوَتْ رَاحَتِيهِ، وَفَنِيًّا فَرَعَاهَا
قَدْ تَوَلَّى سَعْدَ الثَّوْرَةِ صَبِيًّا، فَكَوَتْ رَاحَتِيهِ، وَتَوَلَّاهَا فَنِيًّا (شَابًا) فَرَعَاهَا

جَالَ فِيهَا قَلَمًا مَسْتَنْهَضًا وَلِلسَانِ كُلَّمَا أُغِيثَ حَدَاهَا
جَالَ (تَجَوَّلَ) سَعْدٌ فِي الثَّوْرَةِ صَاحِبَ قَلَمٍ يَسْتَنْهِضُ الْعِزَائِمَ، وَصَاحِبَ لِسَانٍ كُلَّمَا تَعَبَتِ الثَّوْرَةُ
حَدَاهَا (أَنْشَدَهَا حِدَاءً لِتُسِيرَ قَدَمًا)

وَرَمَى بِالنَّفْسِ فِي بُرْكَانِيهَا فَتَلَقَّى أَوَّلَ النَّاسِ لَظَاهَا
وَرَمَى نَفْسَهُ فِي بُرْكَانِ الثَّوْرَةِ فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ تَلَقَّى لَظَاهَا (لَهْيَهَا) فَتَنَّى

أَهْلِمْتُمْ بَعْدَ مُوسَى مِنْ يَدٍ قَذَفْتُ فِي وَجْهِ فِرْعَوْنَ عَصَاهَا
هَلْ عَلِمْتُمْ بَعْدَ مُوسَى النَّبِيِّ يَدًا رَمَتْ فِي وَجْهِ الْمُسْتَبِدِّ عَصَاهَا كَمَا فَعَلَ مُوسَى بِفِرْعَوْنَ؟ إِنَّهُ سَعْدٌ
زَغْلُولُ الَّذِي نَحْدَى الْإِنْجِلِيزَ

أَيْنَ مِنْ عَيْنِي نَفْسٌ حَرَّةٌ كُنْتُ بِالْأُمْسِ بَعِينِي أَرَاهَا
أَيْنَ مِنْ عَيْنِي الْآنَ تِلْكَ النَّفْسُ الْحَرَّةُ الَّتِي كُنْتُ بِالْأُمْسِ أَرَاهَا

كَلِمَا أَقْبَلْتُ هَزَّتْ نَفْسَهَا وَتَوَاصَى بِشْرُهَا بِي وَنَدَاهَا
كُنْتُ كَلِمًا أَقْبَلْتُ اهْتَزَّتْ نَفْسُ سَعْدٍ، وَتَوَاصَى بِشْرُهَا بِي وَنَدَاهَا (أَوْصَتْ بِشَاشَةِ نَفْسِهِ، كَرَّمَ تِلْكَ
النَّفْسَ، بِي خَيْرًا)

أَلْمَحُ الْأَيَّامَ فِيهَا، وَأَرَى مِنْ وَرَاءِ السَّنِّ تَمَثَّالَ صِبَاها
أَلْمَحُ الْأَيَّامَ (مرور السنين) في هذه النفس، وأرى وراء السن صورة الصبا، فنفس سعد في
شيوخته احتفظت بحيوية الصبا

حَلَّتِ السَّبْعُونَ فِي هَيْكَلِهَا فَتَدَاعَى، وَهِيَ مَوْفُورٌ بِنَاهَا
حلت السبعون سنة في هيكل (جسم) هذه النفس، فتداعي الجسم (هَرَمَ) بينما النفس موفورة البنيان
عامرة بالحيوية

رَوْعَةُ النَّادِي إِذَا جَدَّتْ، فَإِنْ مَزَحَتْ لَمْ يُذْهِبِ الْمَرْحُ بَهَاها
هذه النفس هي روعة (مهابة) النادي (المحفل) في الجدِّ، فإن مزحت فالمزح لا يذهب ببهاها
ووقارها

وَلَهَا صَبْرٌ عَلَى حُسَادِهَا يُشْبِهُ الصَّفْحَ، وَجَلَّمَ عَنْ عِداها
ولها صبر على الحساد يشبه بالصفح (المسامحة)، ولها حلم (احتمال) لعداها (لأعاديها). والقول
إن «صبر سعد على الحساد يشبه الصفح» جديد وجميل، ودقيق. وكلمة «يشبه» في هذا البيت
مطربة لأنه ليس فيها مبالغة

أَيَنْ مَنِّي قَلَمٌ كُنْتُ إِذَا سُنْتُهُ أَنْ يَرْتِي الشَّمْسَ رِثَاها
أين قلبي الذي كنت إذا سمت (أجبرته) أن يفعل المستحيل، كأن يرتي الشمس، فعل؟

خَانَنِي فِي يَوْمٍ سَعْدٍ، وَجَرَى فِي الْمَرَاثِي فَكَبَا دُونَ مَدَاها
خانتني قلبي في يوم موت سعد، وجرى في الرثاء فكبا (سقط أرضاً) دون الوصول إلى المدى
(الغاية القصوى)

فِي نَعِيمِ اللَّهِ نَفْسٌ أُوتِيَتْ أَنْعَمَ الدُّنْيَا فَلَمْ تَنْسَ ثَقَاها
فلتذهب إلى نعيم الله هذه النفس التي أُوتيت (مُنحت) نَعَمَ الدنيا ولكنها لم تنس ثقاها (تقواها)

لَا الْحِجَا، لَمَّا تَنَاهَى، غَرَّها بِالْمَقَادِيرِ، وَلَا الْعِلْمُ زَهَاها
لا هي اغترت عن الأقدار بالعجا (الحكمة) عندما نالت الحجا حتى أقصاه، ولا زهاها (غَرَّها)
العلم

ذَهَبَتْ أَوَابَةُ مُؤْمِنَةٍ خَالِصاً مِنْ خَيْرَةِ الشُّكِّ هُدَاها
ذهبت نفس سعد أوابة (ثابتة) مؤمنة، وهُدَاها خالص لا تشوبه حيرة الشك في الخالق

آتَسَتْ خَلْقاً ضَعِيفاً، وَرَأَتْ مِنْ وَرَاءِ الْعَالَمِ الْفَانِي إِلَهَا
آتست (وجدت) هذه النفس خَلْقاً (جسماً) ضعيفاً، ورأت فيما وراء العالم الفاني إليها خالداً

مَا دَعَاها الْحَقُّ إِلَّا سَارَعَتْ لَيْتَهُ يَوْمَ «وَصَيْفٍ» مَا دَعَاها
نَفْسُ سَعْدَ مَا كَانَ يَدْعُوهَا الْحَقُّ إِلَّا سَارَعَتْ بِالْقُدُومِ إِلَيْهِ، فَلَبِثَ هَذَا الْحَقُّ (هنا معناه الموت) فِي
يَوْمٍ وَصَيْفٍ («مسجد وصيف»، عِزَّةُ سَعْدَ الَّتِي بِهَا مَاتَ) لَمْ يَدْعُهَا

٢٣٣ الله أعلم والقبور

قال شوقي (١٩٢٧):

اللَّهُ أَعْلَمُ وَالْقُبُورُ النَّفْسُ تَخْلُدُ أَوْ تَبْوَرُ
الله والقبور يعلمان هل النفس تخلد أو تبور (تفنى)

مِرٌّ مَضَى الْمَوْتَى بِهِ وَمَضَتْ عَلَى الْمَوْتَى الدُّهُورُ
هذا السر ذهب الموتى به، ومضت عليهم دهور

مَنْ كَانَ يُخَيِّي أَوْ يَمِيدُ بَتَّ فَلَيسَ يُغْجِزُهُ النَّشُورُ
من يحيي الناس ويميتهم فلن يعجز عن النشور (البعث). القصيدة بأبياتها التسعة والثلاثين على
الراء المضمومة، لا الساكنة كما أرادها بعضهم

٢٣٤ جبان

قال شوقي في مسرحية «هترة» على لسان علة، تصف الرجل الجميل الجبان،
(١٩٢٧ - ١٩٣٢):

جَمِيلٌ وَلَيْسَ بِحَامِي الْبُيُوتِ وَلَا مَانِعٌ مِنْ يَدِ مَالَةٍ
إِذَا مَا عَوَى الْكَلْبُ ضَلَّ السَّلَاحَ وَبَلَّ مِنَ الْخَوْفِ سِرْوَالَهُ
ضَلَّ: نسي

يَجُودُ بِزَوْجَتِهِ لِلْمُغِيرِ وَيَرْمِي إِلَى الذَّنْبِ أَطْفَالَهُ

٢٣٥ شكوى التيوس

قال شوقي من مسرحية «قمباز»، (١٩٢٧ - ١٩٣٢):

خَلَّلْنَا بِاللَّهِ مِنْ سَا مَنْ وَدَّعْنَا مِنْ يَسُوسِ
كُلَّ حِينَ حَاكَمَ يَمُوسِ شَيْ عِلْمَيْنِنَا وَيَدُوسِ
هَكَذَا بِخَتْلَفِ الْحُظِّ سُوءُ وَنُحُوسِ
إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ أَذْنَا بَ لِبَعْضٍ هُمْ رُؤُوسِ

مَنْزِلُ الْأَسَدِ الصَّحَارَى وَعَلَى الْمَرْعَى الثَّبُوسُ

٢٣٦ طريق النجاة

قال شوقي من مسرحية «مجنون ليلي»، (١٩٢٧ - ١٩٣٢):

أَحَبُّ الْحَسِينِ، وَلَكِنَّمَا لِسَانِي عَلَيْهِ، وَقَلْبِي مَعَهُ
حَبَسْتُ لِسَانِي عَنْ مَذْجِهِ حِذَارَ أُمِّيَّةٍ أَنْ تَقْطَعَهُ
إِذَا الْفِتْنَةُ اضْطَرَمَّتْ فِي الْبِلَادِ وَرُمَتْ النِّجَاةُ فَكُنْ إِمَّعَهُ
اضطربت: اشتعلت، إمعة: شخص لا رأي له

٢٣٧ حامل العشق

قال شوقي من مسرحية «مجنون ليلي»، على لسان قيس (١٩٢٧ - ١٩٣٢):

سَجَا اللَّيْلُ حَتَّى هَاجَ لِي الشَّعْرُ وَالْهَوَى وَمَا الْبَيْدُ إِلَّا اللَّيْلُ وَالشَّعْرُ وَالْحُبُّ
سجا الليل: سكن، هاج: أهاج

مَلَأَتْ سَمَاءَ الْبَيْدِ عِشْقًا وَأَرْضَهَا وَحُمَلْتُ وَحْدِي ذَلِكَ الْعِشْقُ يَا رَبِّ
يا رب! قد ملأت سماء الصحراء وأرضها عشقًا، وحملت أنا كل هذا العشق وحدي

٢٣٨ هَيَّيْهَا

قال شوقي من مسرحية «مجنون ليلي»، على لسان زوج ليلي «وَرْد» يصارح قيساً بأنه لم
يمسها (١٩٢٧ - ١٩٣٢):

اسْمَعْ حَدِيثِي إِنَّهُ مَا خَطَّ مِثْلَهُ الْقَلَمُ
وَسِرُّهُ لَا الْأَهْلُ يَكُنْ رُونَ بِهِ وَلَا الْخَدَمُ
أَنَا الَّذِي ظَلِمْتُ، قِيءُ سِ، مَا أَنَا الَّذِي ظَلِمْتُ
كَمْ مَرَّتِ اللَّيْلَةُ بِي وَاللَّيْلَتَانِ لَمْ أَنْمِ
مِنْذُ حَوْتُ دَارِي لِي عَلَى مَا خَلَعْتُ مِنْ نَدَمِ
كَانَتْ إِطَاقَتِي بِهَا كَالْوَكَيْفِيِّ بِالْمَصْنَمِ
وَرُبُّمَا جِئْتُ فِرَا شَهَا، فَخَانَتْنِي الْقَدَمُ
شِعْرُكَ يَا قَيْسُ جَنَى عَلَيَّ هَذَا وَاجْتَرَمُ

هَيَّئْتَهَا فَاَمْتَنَعَتْ كَأَنَّهَا صَيِّدُ الْحَرَمِ

شعرك جعل ليلي مهية ومحرمه كالصيد في الحرم

٢٣٩ قد يهون العمر إلا ساعة

قال شوقي من مسرحية «مجنون ليلي»، على لسان قيس، (١٩٢٧ - ١٩٣٢):

جبلَ التُّوبَادِ! حَيَّاكَ الْحَيَا وَسَقَى اللَّهَ صَبَانَا، وَرَعَى

يا جبلَ التوباد (جبل في نجد) حياك الحيا (المطر)، وسقى الله ورعى أيام الصبا

وعلى سَفْحِكَ عِشْنَا زَمَنًا وَرَعَيْنَا غَنَمَ الْأَهْلِ مَعَا

هذه الرَبِوَةُ كَانَتْ مَلْعَبًا لِشَبَابِنَا وَكَانَتْ مَرْتَعَا

كَمْ بَنَيْنَا مِنْ حَصَاهَا أَرْبَعًا وَانْتَشَيْنَا فَمَحَوْنَا الْأَرْبَعَا

الأربع: البيوت

وَحَطَطْنَا فِي نَقَا الرَّمْلِ، فَلَمْ تَحْفَظِ الرِّيحُ، وَلَا الرَّمْلُ وَعَى

نقا: كتيب

لَمْ تَزَلْ لَيْلَى بِعَيْنِي طِفْلَةً لَمْ تَزِدْ عَنْ أُمِّسٍ إِلَّا إِضْبَعَا

كَلَّمَا جِئْتُكَ رَاجِعْتُ الصَّبَا فَأَبَيْتَ أَيَّامُهُ أَنْ تَرْجِعَا

قَدْ يَهُونُ الْعُمُرُ إِلَّا سَاعَةً وَتَهُونُ الْأَرْضُ إِلَّا مَوْضِعَا

بيت من خمرة شوقي المعتمدة

٢٤٠ عد ظافراً أو لا تعد

كليوباترا تحت أنطونيوس على القتال، من مسرحية «مصرع كليوباترا» (١٩٢٧ - ١٩٣٢):

إِمضِ إِلَى الْهَيْبِجَاءِ أَنَا طُنْثِيوْ كَمَا يَمْضِي الْأَسَدُ

الهيبياء: الحرب

إِمضِ إِلَى الْمَجِيدِ، وَلَا يُفْعِلْكَ شُغْلٌ فِي الْبَلَدِ

الْمَجِيدُ لَا يَسْأَلُ عَنْ صَاحِبِهِ وَلَا وَلَدِ

يَا لَيْتُ سِرٌّ، يَا نَسْرُ طِرْ عُدْ ظَافِرًا، أَوْ... لَا تَعُدْ

٢٤١ الذابلتان

قال شوقي على لسان كليوباترا وقد رأت قبيل انتحارها زنبقة في إثناء، من مسرحية «مصرع كليوباترا» (١٩٢٧ - ١٩٣٢):

زُنْبَقَةٌ فِي الْأَنْبِيَةِ ضَحِيَّةُ الْأَنْبِيَةِ
جَنَّتْ عَلَيْهَا عُزْبَةُ الْـ أَشْرُ الْأَكْفُفِ الْجَانِيَةِ
جنت عليها (أجمرت بحفها) وكبدتها غربةً وأسرًا في المزهرة تلك الأكف الجانية (القاطعة التي جنتها)
وَبُدِّلْتُ مِنْ سَعَةِ الرَّـ بُؤُوءُ ضَيْقِ الْمَبَاطِيَةِ
الباطية: الإثناء

يَسْقُوتُهَا مِنْ جَمْرَةٍ بَعْدَ الْعَيُونِ الْجَارِيَةِ
تسقى الزنبقة من الجرة بعد أن كانت تشرب من العيون الجارية

يَا جَارَتَا! شَأْنُكَ لَا يَشْمِيهِ إِلَّا شَانِيَةِ
لَمْ يَبْقَ مِنْ مُلْكِي الْعَرَبِ ضِغْ غَيْرُ دَارِ خَاوِيَةِ
وَكُلُّنَا ذَابِلَةٌ عَمَّا قَلِيلٍ دَاوِيَةِ

زَالَ النَّعِيمُ وَفَرَّغَ نَا مِنْ حَيَاةٍ فَاذِيَةِ

٢٤٢ عبث في عبث

قال شوقي (١٩٢٨):

نَعِيشُ وَنَمْضِي فِي عَذَابٍ كَلْدَةٍ مِنَ الْعَيْشِ، أَوْ فِي لَذَّةٍ كَعَذَابِ
عيشتنا وموتنا عذاب مختلط باللذة

وَكُلُّ أَخِي عَيْشٍ، وَإِنْ طَالَ عَيْشُهُ، تُرَابٌ لَعَمْرُ الْمَوْتِ وَابْنُ تَرَابٍ
وكل أخى عيش (كل حي) مهما طال عمره، فهو تراب (لأنه خلق من تراب ويؤول إلى التراب)
وابن تراب (قأبواه مثله)

٢٤٣ يدور حيث تدور المجد والحسد

قال شوقي برثي عبد الخالق ثروت، وهو رئيس وزراء مرتين في العشرينات، ومات في باريس فجأة (١٩٢٨):

يَمُوتُ فِي الْغَابِ، أَوْ فِي غَيْرِهِ، الْأَسَدُ كُلُّ الْبِلَادِ وَسَادُ حِينَ تَسَدُ
يموت الأسد في الغاب أو بعيداً عنه، وكل بلد هي وساد (وسادة) لك حين تسد هذه البلد (تُخَدُّ وسادة)

قد غَيَّبَ الغربُ شمساً لا سَقَامَ بِهَا كَانَتْ عَلَى جَنَابِ الشَّرْقِ تَتَّقِدُ
إذ مات الفقيد في باريس فقد غَيَّبَ الغرب هذه الشمس التي لم يكن بها من سقام (مرض)، وكانت متوقفة في جناب بلادنا في الشرق

طوى جِمَايَتَهُ المحتلُّ وانْبَسَطَتْ حِمَايَةُ اللّٰهِ فاستدْرِى بِهَا البِلْدُ
طوى المحتل حمايته عنا، وانبسطت فوق البلد حماية الله فاستدري (احتمي) بها

نَمَ غَيْرَ بَاكِ عَلَى مَا شِدَّتْ مِنْ كَرَمٍ مَا شِيدَ لِلْحَقِّ فَهُوَ السَّرْمَدُ الْأَبْدُ
نم يا عبد الخالق ثروت غير آسف على الكرم (المعروف) الذي شدته (بنيته)، فما شيد للحق فهو سرمدي (أبدي)

لَمْ يُطْلِعْكَ الْحُكْمُ فِي شَتَّى مَظَاهِرِهِ وَلَا اسْتَخَفَّكَ لَيْنُ الْعَيْشِ وَالرَّغْدِ
لم يجعلك الحكم في شتى مظاهره طاغية مستبداً، ولا استخفك (أطربك) لين العيش والرغد (الغنى)

نَشَأَتْ فِي جَبْهَةِ الدُّنْيَا وَفِي فَمِهَا يَدُورُ حَيْثُ تَدُورُ الْمَجْدُ وَالْحَسَدُ
نشأت وأنت في المقدمة وذكرك على ألسنة الناس، والمجد والحسد يلازمانك، مثل كل عظيم
لِكُلِّ يَوْمٍ غَدٌ يَمْضِي بِرُوعِيَّتِهِ وَمَا لِيَوْمِكَ يَا خَيْرَ اللَّذَاتِ غَدُ
لكل يوم حزين غد يذهب بالروعة (بالارتياح)، ولكن يومك الذي مت فيه يا خير اللذات (الرفاق)
ليس له غد نسي فيه حزننا، فحزننا عليك دائم

٢٤٤ ما الناس إلا أول

قال شوقي في حفل نسائي في دار التمثيل العربي برئاسة هدى شعراوي (١٩٢٨):
إِنَّ السَّمَاءَ جَدِيرَةً بِالطَّيْرِ وَهُوَ بِهَا جَدِيرُ
السماء جديرة بالطائر الذي ينشد حريته وهو جدير بها

هِيَ سَرْجُهُ الْمَمْشُدُودُ وَهُوَ وَ عَلَى أَعْنَئِهَا أَمِيرُ
السماء للطير كالسرج للحصان، والطير إذ يبسك بأعنتها (بزمائها) مثل الأمير

حَرِيَّةٌ خُلِقَ الْإِنْسَانُ لَهَا كَمَا خُلِقَ الذُّكُورُ
يا قاسم! انظر كيف سا رَ الْفِكْرُ وَانْتَقَلَ الشُّعُورُ
يا قاسم أمين (وتوفي قبل القصيدة بعشرين سنة) انظر كيف سار (اكتسب سيرورة وانتشر) فكرك وانتقل شعورك لغيرك

جَابَتْ قَضِيَّتُكَ الْبَلَا دَكَائُهَا مَثَلُ يَسِيرُ

قضية المرأة، وهي قضيتك، طافت بالبلاد كالمثل السائر

مَا النَّاسُ إِلَّا أَوَّلُ يَمْضِي فَيُخْلِفُهُ الْآخِرُ

الناس المؤثرون في سير الأمور هم ذلك «الأول» الذي يبادر، ثم يمضي، ثم يتبعه المتأخر زماناً

الْفَكْرُ بَيْنَهُمَا، عَلَى بُغْدِ الْمَزَارِ، هُوَ السَّفِيرُ

ويصل بين الأول والآخر الفكر، وهو على البعد الزماني والمكاني سفير بين الأجيال

مَا فِي كِتَابِكَ ظَفْرَةٌ تُنْعَى عَلَيْكَ وَلَا غُرُورُ

كتابك عن تحرير المرأة ليس فيه ظفرة (شذوذ) تُنْعَى (تُثَنَّد) عليك، ولا غرور

وَوَضَعْتَهُ، وَعِلِمَتْ أَنَّ حِسَابَ وَاضِعِهِ عَسِيرُ

وضعت كتابك وأنت تعلم أن واضع كتاب كهذا سيتعرض للصعاب

لَكَ فِي مَسَائِلِهِ الْكَلَامُ الْعَفْ وَالْجَدَلُ الْوَقُورُ

كنت في المسائل التي طرحتها عفيف اللسان وذا جدل رصين

عَصُرُ الْعَبَاقِرَةِ النُّجُومِ بِنُورِهِ تَمْشِي الْعَصُورُ

قصيدة من واحد وخمسين بيتاً كلها مضمومة القافية، فلماذا جعلتها الموسوعة الشوقية وجامعو الشوقيات المتأخرون موقوفة مقيدة؟ كأنما لم يسمعوها بمجرد الكامل المرفل؟ ولم نعلم أن شوقي لازم في هذا الأمر ما لا يلزم. فأما ما صنعه المعاج في «قد جبر الدين الإله فجير» حين أسكن رويته، مع أن كل أشطره التي بلغت نحو الميتين كانت تكون منصوبة لو أنها أطلقت فأمر مختلف. فذلك رجز، وأبيات المعاج زويت موقوفة، والوزن يقتضي ذلك

٢٤٥ مشى ومشت فيالق من فرنسا

قال شوقي في ذكرى استقلال سوريا (١٩٢٨):

حَيَاةٌ مَا نُرِيدُ لَهَا زِيَالَا وَدُنْيَا لَا نُوَدُّ لَهَا انْتِقَالَا

نحن متعلقون بهذه الحياة لا نريد لها زوالاً، ولا نود عن الدنيا انتقالاً

وَلَوْ زَادَ الْحَيَاةَ النَّاسُ سَعِيَا وَإِخْلَاصاً لَزَادَتْهُمْ جَمَالَا

ولو زاد الناس دنياهم مثابة وإخلاصاً لازدادت جمالاً

كَأَنَّ اللَّهَ إِذْ قَسَمَ الْمَعَالِي لِأَهْلِ الْوَجِبِ ادَّخَرَ الْكَمَالَا

كأن الله عندما قسم المعالي (الأمجاد) ادَّخَرَ لمن يقومون بالواجب الكمال

تَرَى جَدًّا، وَلَسْتَ تَرَى عَلَيْهِمْ وَلَوْعًا بِالصَّغَائِرِ وَاشْتِغَالًا
تَرَى مِنْ «أَهْلِ الْوَاجِبِ» جَدًّا وَمَثَابَةً، وَلَا تَرَى بِهِمْ وَلَعًا (شَغْفًا) أَوْ اشْتِغَالًا بِصَغَائِرِ الْأُمُور
وَلَيْسُوا أَرْغَدَ الْأَحْيَاءِ عَيْشًا وَلَكِنْ أَنْعَمَ الْأَحْيَاءُ بِالْأَلَا
وَلَيْسُوا أَغْنَى النَّاسِ، وَلَكِنْهُمْ أَنْعَمَ (أَهْدَأَ) النَّاسُ بِالْأَلَا

وَإِنْ سَأَلْتَهُمُ الْأَوْطَانَ أَعْطَوْا دَمًا حُرًّا، وَأَبْنَاءً، وَمَالًا
سَأَذْكُرُ مَا حَيْثُ جِدَارَ قَبْرِ بظَاهِرٍ جَلَّتْ رَكِيبَ الرُّمَالَا
سَأَذْكُرُ مَا حَيْثُ حِجَارَةُ قَبْرِ بظَاهِرٍ (خَارِجٍ) جَلَّتْ (دَمَشَقُ)

تَغَيَّبَ عَظْمَةُ الْعَظَمَاتِ فِيهِ وَأَوَّلُ سَيِّدٍ لَقِيَ النَّبَالَ
تَغَيَّبَ فِي هَذَا الْقَبْرِ يَوْسُفُ الْعَظْمَةِ الَّذِي كَانَ أَوَّلُ سَيِّدٍ لَقِيَ بِصَدْرِهِ النَّبَالَ (السَّهَامُ)

مَشَى وَمَشَتْ فَيَالِقُ مِنْ فَرَنْسَا تَجَرُّ مَطَارِفَ الظَّفَرِ اخْتِيَالًا
زَحَفَ لِمَلَاقَاةِ الْفَرَنْسِيِّينَ الَّذِينَ كَانُوا يَجْرُونَ مَطَارِفَ (أَرْدِيَةِ) الظَّفَرِ (النَّصْرَ فِي الْحَرْبِ الْأُولَى)
اخْتِيَالًا (تَكْرِبًا)

أَقَامَ نَهَارَهُ يُلْقَى وَيُلْقَى فَلَمَّا زَالَ قَرَصُ الشَّمْسِ زَالَا
مَكَثَ نَهَارَهُ يَقْذِفُهُمْ وَيَتَلَقَّى قَذَاتِهِمْ، فَلَمَّا غَرَبَتِ الشَّمْسُ غَرِبَتْ حَيَاتُهُ
فَكُفِّنَ بِالصَّوَارِمِ وَالْعَوَالِي وَغُيِّبَ حَيْثُ جَالٌ وَحَيْثُ صَالَا
فَكُفِّنَ بِالصَّوَارِمِ (بِالسُّيُوفِ) وَالْعَوَالِي (الرَّمَاكِ)، وَدُفِنَ حَيْثُ جَالٌ وَصَالٌ

٢٤٦ اللؤلؤة لمن نالها

قال شوقي في تمثال نهضة مصر (١٩٢٨):

وَرَبُّ امْرِئٍ لَمْ تَلِدْهُ الْبِلَادُ نَمَاهَا وَنَبَّهَ أَنْسَالُهَا
رَبُّ رَجُلٍ لَمْ يُولَدْ فِي الْبِلَادِ، وَلَكِنَّهُ نَمَاهَا (أَنَمَاهَا) وَجَعَلَ أَنْسَالُهَا (أَبْنَاءَهَا الْأَصْلِيينَ) نَابِهِينَ
وَلَيْسَ اللَّائِي مِلْكُ الْبُحُورِ وَلَكِنَّهَا مِلْكُ مَنْ نَالَهَا
وَاللَّائِي لَيْسَتْ مِلْكًا لِلْبَحْرِ، بَلْ يَمْلِكُهَا مَنْ غَاصَ وَنَالَهَا، وَمِصْرُ مَلِكِهَا مُحَمَّدٌ عَلِيٌّ وَهُوَ غَرِيبٌ عَنْهَا
وَمَا كَمَلِي وَلَا جَمِيلِي إِذَا عَرَضَتْ مِصْرُ أَجْيَالِهَا
وَلَيْسَ يَوْجِدُ كَمُحَمَّدٍ عَلِيٍّ وَجِيلُهُ بَيْنَ أَجْيَالِ مِصْرِ الْمُتَعَاوَةِ

بَنَوْا دَوْلَةً مِنْ بَنَاتِ الْأَسْنَةِ لَمْ يَشْهَدْ النَّيْلُ أَمْثَالَهَا
بَنَوْا دَوْلَةً مِنْ بَنَاتِ الْأَسْنَةِ (ذَوَاتِ الْأَسْنَةِ مِنْ سِیُوفٍ وَرَمَاحٍ) لَمْ يَشْهَدْ وَادِي النَّيْلِ مِثْلَهَا

٢٤٧ في الليل لما خلي

قال شوقي (١٩٢٩):

فِي اللَّيْلِ لَمَّا خَلِيَ إِلَّا مِنَ الْبَاكِ
وَالنُّوْخِ عَلَى الدُّوْخِ حَلِي لِلصَّارِخِ الشَّاكِي
مَا تَعْرِفُ الْمُبْتَلِي فِي الرُّوْضِ مِنَ الْحَاكِي
عندما يخلو الليل من كل شيء إلا من عاشق يبكي، وعندما يحلو النوح على الدوخ (الشجر) لمن يصرخ بشكواه، لا تعرف عندئذ المبتلي (المبتلى) من الحاكي (المردد للصوت تقليداً ومحاكاة)

سَكُونٌ وَوَحْشَةٌ وَظُلْمَةٌ وَلَيْلٌ مَا لَوْشٌ آخِرُ
وَنَجْمَةٌ مَالَتْ، وَنَجْمَةٌ حَلَفَتْ مَا تَتَأَخَّرُ
دا النوم يا ليل يغمة يغلم بها الساهر
سكون الليل ووحشته، ونجمة مالت للمغيب، وأخرى حلفت ألا تتأخر (تتزعج)

الْفَجْرِ شَفَشَقْ وَفَاضَ عَلَى سَوَادِ الْخَمِيلَةِ
لَمَخَ كَلْمَحِ الْبَيَاضِ مِنَ الْعَيُونِ الْكَحِيلَةِ
وَاللَّيْلِ سَرَخَ فِي الرِّيَاضِ أَذْهَمَ بِغُرَّةٍ جَمِيلَةٍ
شقق الفجر على الخميطة (البستان) التي كانت سوداء، لمخ الفجر (أبرق) مثل بريق يابض العين الكميطة (السوداء)، وأما الليل فسرّح (مضى) في البستان كأنه حصان أدهم (داكن) ولكن له غرة بيضاء جميلة

هِنَا نُوَاوِخُ الْغُصُونِ وَهَنَّاكَ بُكَاءُ فِي الْمَضَاجِعِ
لِيَهْ تَنْتَهِي النَّوْمُ عُيُونُ وَغَيُونُ سَوَالِي هَوَاجِعِ
وَدُوْخٌ غَرِقَ فِي الشُّجُونِ وَدُوْخٌ مَا شَافَشِ الْمَوَاجِعِ
نواح على الغصون وبكاء في الأسرّة. ولماذا تسهر عيون حتى تنتهي النوم، بينما عيون أخرى سوالي (سالية وناسبة للهم) وهواجع (هاجعة نائمة)؟ ولماذا يكون هناك دوح (شجر) غارق في الشجون (الأحزان)، ودوح لم ير ما يوجع؟

يَا لَيْلُ أَنْيْنِي سَمِعْتُهُ وَالشُّوقُ رَجَعَ لِي وَعَادَ
وَكُلُّ جَرْحٍ وَسَاعَتُهُ وَكُلُّ جَرْحٍ بِمِيعَادَ
كَمْ مِنْ مَفَارِقٍ وَجَعْتُهُ وَنَضْوِ هَجْرٍ وَبِعَادَ
يا ليل قد سمعت أنيني، وها قد عاد لي الشوق، وكل جرح له ساعته وميعاده، وكم هناك من شخص مفارق لحبيبه قد أصبته بالوجع، وكم هناك من نضو هجر وبعاد (مهزول بسبب الهجر)

٢٤٨ قتيل السم

قال شوقي في تأبين فوزي الغزي الدمشقي المتوفى عام (١٩٢٩) وقبل دست له زوجته السم:

طَلَعَتْ مِنَ السَّمِّ الحَيَاةَ، طَعَامُهَا وَشَرَابُهَا وَهَوَاؤُهَا الْمُتَنَشِّقُ
طبعت الحياة من السم فهذا هو طبعها، طعامها وشرابها وهواؤها الذي نستنشق سم

والناسُ بَيْنَ بَطِيئِهِ وَرُعَاوِهِ لَا يَعْلَمُونَ بِأَيِّ سُمِّيْهَا سُقُوا
والناس بين السم البطيء المفعول والزعاف (السريع) لا يعلمون أي سم تناولوا

أما الوليُّ فقد سقاكَ بِسُمِّهِ مَا لَيْسَ يَسْقِيكَ العدوُّ الأزرقُ
لكن الولي (الصديق) سقاك يا فوزي الغزي بسمه كما لا يسقيك العدو الأزرق (الشديد العداوة)

٢٤٩ كالعمي حول سفرة

قال شوقي (١٩٢٩):

لَسْتُ بِنَاسٍ لَيْلَةً مِنْ رَمَضَانَ مَرَّتْ
فَلَمْ يَرْعُنِي غَيْرُ صَوْتِ كُمُوءِ السَّهْمَةِ
لم يرعني: لم يخفني

كَرْتُ، وَلَكِنْ كَالْجَبَا نِ قَاعِ عِدَا، وَقَرَّتْ
كرت (هجمت) لكن وهي قاعدة كما يفعل الجبان، ثم فرت

لَمْ أَجْزِهَا بِشِرةٍ عَنْ غَضَبٍ وَشِمْرَةٍ
لم أجزها (أقابله) بشرة (بشر) عما فعلته وهو الغضب والشر

وَلَا رَأَيْسَتْ غَيْرَ أُمٍّ - بِالْبَنَيْنِ بَرَّةٍ
ولم أر فيها سوى أم بارة بأبنائها

رَأَيْتُ جِسْدَ الْأُمِّهَا تِ فِي بِنَاءِ الْأُسْرَةِ
رأيت فيها مثابة الأمهات في بناء الأسرة

فَلَمْ أَرَلْ حَتَّى اطمَأَنَّ جَسْأُشْهَاقِهَا وَقَرَّتْ
فظلت معها حتى اطمأن جاشها (قلبه)، وقرت (هدأت)

أَتَسَيُّتُهَا بِشَرَبَةٍ وَجَسْمُوتُهَا بِكُنْزَةٍ
جتها بشربة وكسرة خبز

فَاضْطَجَعَتْ تَحْتَ ظِلِّهِ لِ الْأَمْنِ وَاشْبَهَ ظَرْفُ

فاضطجعت (استلقت) في ظل الأمن واسبطرت (تمددت)

وَقَرَّرَتْ أَوْرَادَهُمَا وَمَا كَذَبَتْ مَا قَرَّرَتْ

وهئرت نهيراً كأنها تقرأ أوراداً (أدعية)، وهي لا تدري ما تقرأ

وَسَرَّحَ الصَّغَارُ فِي نُؤْدِيِّهَا فَذَرَّتْ

وسرح (انساب) صغارها في ثديها (أندائها) فذرت لهم اللبن

اخْتَلَطُوا وَعَيَّيْتُوْا كَالْعُمَى حَوْلَ سُفْرَةٍ

فاختلط واحداهم بالآخر وعيشوا (كزكبو وأفسدوا) كأنما هم قوم عيان حول سفرة (مائدة).

ليس طريفاً فقط هذا التشبيه، بل جميل

٢٥٠ تلك الحياة وهذه أنقالها

قال شوقي في حفل تكريم السيد نصير بطل رفع الأثقال، وقد فاز بميدالية ذهبية في أولمبياد ١٩٢٨ بأسنردام في رفع الأثقال (١٩٣٠):

يا قاهرَ الغربِ العتيدِ ملأتهُ ببناءِ مصرَ على الشِّفاءِ جميلاً

يا قاهر الغرب العتيد (المكين) ملأت هذا الغرب بالبناء (المديح) على مصر يتردد جميلاً على الشفاء

قَلْبَتْ فِيهِ يَدَا تَكَادُ لِشِدَّةِ فِي الْبَاسِ، تَرْفَعُ فِي الْفَضَاءِ الْفِيلَا

قلبت في الغرب يدك القوية التي تكاد لشدة البأس (القوة) ترفع الفيل في الهواء

إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الْحَدِيدَ وَيَأْسَهُ جَعَلَ الْحَدِيدَ لِسَاعِدَيْكَ ذَلِيلًا

إن الله الذي خلق الحديد وبأسه (شدته) جعل الحديد يذل لقوة ساعدك. . . وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد. . الآية ٢٥ الحديد، وسيد نصير كان يرفع حديدًا

قُلْ لِي نُصِيرُ، وَأَنْتَ بَرٌّ صَادِقٌ: أَحْمَلْتُ إِنْسَانًا عَلَيْكَ ثَقِيلًا

قل لي يا سيد نصير وأنت البار الصادق: هل حملت إنساناً من القلاء؟

أَحْمَلْتُ ذَنْبًا فِي حَيَاتِكَ مَرَّةً أَحْمَلْتُ يَوْمًا فِي الضُّلُوعِ غَلِيلًا

هل حملت ذنباً؟ هل حملت في ضلوعك غليلاً (حقداً)؟

أَحْمَلْتُ ظُلْمًا مِنْ قَرِيبٍ غَادِرٍ أَوْ كَاشِحٍ بِالْأَمْسِ كَانَ خَلِيلًا

أحملت ظلماً من قريب غادر، أو من كاشح (عدو يطن العداوة) كان بالأمس لك من الأصدقاء؟

أَحْمَلْتَ مَتًّا، بالنهارِ مُكْرَرًا والليلِ، مِنْ مُنْدٍ إِلَيْكَ جَمِيلًا

هل حملت متًّا (جميلًا في عطفك) يذكرك به بالنهار والليل رجل مُنْدٍ (معط) إليك جميلًا

أَحْمَلْتَ طُغْيَانَ اللَّثِيمِ إِذَا اغْتَنَى أَوْ نَالَ مِنْ جَاءِ الْأُمُورِ قَلِيلًا

هل حملت طغيان (تجبر) اللثيم إذا اغتنى أو صار وجيهاً بعض الشيء

أَحْمَلْتَ فِي النَّادِي الْعَبِيِّ إِذَا تَقَى مِنْ سَامِعِيهِ الْحَمْدَ وَالتَّبْجِيلَا

هل حملت في النادي العبيّ إذا التقى (في جماعة الناس) الغبي عندما يلاقي من السامعين الحمد والتبجيل؟

تِلْكَ الْحَيَاةُ، وَهَذِهِ أَثْقَالُهَا وَزَنَ الْحَدِيدُ بِهَا فَعَادَ ضَيْلًا

تلك هي الحياة وأثقالها، وزن (قورن) الحديد بها فعاد ضيل الوزن.. أي تبين أنه خفيف بالقياس إلى الحياة

٢٥١ سلوا كؤوس الطّلا

قيل كان شوقي يجالس أم كلثوم في حفل، فقدم لها كأس شراب، فرفعتها مجاملةً إلى شفتيها، لكن الكأس ما لامست فاهها. وفي اليوم التالي - هكذا قالوا، وهم في قصصهم يحبون أن يجعلوا الأمر يحدث في اليوم التالي مباشرة، على أنني أميل لتصديق سائر القصة، وقد رواها رياض السنباطي قبيل وفاته في مقابلة مع تلفزيون الكويت - قدم لها شوقي قصيدته. وغتها بعد موته بـ ١٤ سنة. ولشوقي غنت أم كلثوم تسع قصائد، غتها كلها بعد وفاته:

سَلُّوا كُؤُوسَ الطَّلَا: هل لَامَسَتْ فَاها واستخبروا الرَّاحَ: هل مَسَّتْ ثَنَاياها

اسألوا كؤوس الطلا (الخمر) هل لامست فم الحبوبة، واستخبروا (اسألوا) الراح (الخمر) هل مسّت ثناياها (أسنانها)

حَدِيثُهَا السَّحَرُ، إِلَّا أَنَّهُ نَعَمٌ جَرَتْ عَلَى فَمِ دَاوُدَ فَعَسَّاهَا

حديثها السحر، إلا أنه نعم (أنغام) جرت على فم داود النبي صاحب الغزائم

حَمَامَةُ الْأَيْكِ مَنْ بِالشَّجْوِ طَارَحَهَا وَمَنْ وَرَاءَ الدُّجَى بِالشَّوْقِ نَاجَاهَا

من ذا الذي طارح (بادل) حمامة الأيك (الشجر) بالشجو (الحزن)، ومن ذا الذي في الدجى (الليل) ناجاها (هامسها) بالشوق

يَا جَارَةَ الْأَيْكِ، أَيَّامُ الْهَوَى ذَهَبَتْ كَالْحُلْمِ، آهًا لِأَيَّامِ الْهَوَى آهًا!

أيها الحمامة يا جارة الأيك (يا ساكنة الشجر) لقد ذهبَت أيام الهوى كأنها الحلم

٢٥٢ رثاء المويلحي

قال شوقي يرثي محمد المويلحي، وكان شوقي سخر منه في قطع عديدة لا تحمل توبيخاً قبل ثلاثين سنة - انظر إحداها في أشعار سنة ١٩٠٢ - ذلك أن المويلحي نشر نقداً لاذعاً لشوقي، ولكن شاعرنا عاد ووافاه بالهدايا واسترضاه، على عهدة العقاد في «الديوان»، (١٩٣٠):

رُبَّ سَجْعٍ كَمُرْقَصِ الشُّعْرِ لَمَّا يَخْتَلِفُ لِحْنُهُ وَلَا إِيقَاعُهُ
رب سجع (سَجْع: نثر مقفى) كالشعر المرقص (المطرب جداً) لما (لم) يختلف لحنه ولا إيقاعه
عن الشعر لجودة الأسجاع. في تقسيم الناقد القديم للشعر فإن «المرقص» منه في الطبقة العليا
هُوَ فِيهِ بَدِيعُ كُلِّ زَمَانٍ مَا بَدِيعُ الزَّمَانِ! مَا أَسْجَاعُهُ!
المويلحي في هذا السجع بديع الأزمنة كلها، فما قيمة بديع الزمان الهمداني، وما قيمة أسجاعه
بالمقارنة!

صَارَعَ الْعَيْشَ حِقْبَةً، لَيْتَ شِعْرِي سَاعَةَ الْمَوْتِ كَيْفَ كَانَ صِرَاعُهُ
والذي تَحْرِصُ النَفُوسُ عَلَيْهِ عَالَمٌ بَاطِلٌ قَلِيلٌ مَنَاعُهُ

٢٥٣ باكيات على الحسين الفواطم

قال شوقي في رثاء الشريف حسين الذي مات في حَمَّانَ ودفن في القدس (١٩٣١):
لَكَ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ مَاتِمٌ قَامَ فِيهَا أَبُو الْمَلَائِكِ هَاشِمٌ
لك ماتم في الأرض والسما، قام فيها يقبل الغزاء أبو الملوك هاشم جد النبي، وأصل السلالة
الهاشمية، وكان الشريف حسين كبير هذه السلالة في زمنه

قَعَدَ الْأَلَّ لِلْعَزَاءِ، وَقَامَتْ بَاكِياتٍ عَلَى الْحُسَيْنِ الْفَوَاطِمُ
قعد آل هاشم للعزاء، وقامت تبكي على الحسين نساء آل هاشم (فهن كلهن شقيقات فاطمة الزهراء
بنت رسول الله)

قَمْ تَحَدَّثْ أبا عَلِيٍّ إِلَيْنَا كَيْفَ غَامَرْتَ فِي جَوَارِ الْأَرَاقِمِ
قم يا أيها المتوفى، يا أبا علي، وتحدث إلينا كيف خاطرت وتعاملت مع الإنجليز الأراقم
(الأفاعي)

لَمْ تُبَالِ الثُّيُوبَ فِي الْهَامِ خُشْنًا وَتَعَلَّقَتْ بِالْحَوَاشِي النَّوَاعِمِ
ولم تُبال (لم تهتم) بالثيوب البارزة الخشنة في الهام (في رؤوسهم)، وتعلقت بالحواشي (الجوانب)
الناعمة. أي نظرت إلى رقة كلامهم لا إلى لؤم فعلهم، وتقول العرب «هو رفيق الحاشية» إذا كان
حلو الكلام لبناً

قَدْ رَجَوْنَا مِنَ الْمَغَانِمِ حِظًّا وَوَرَدْنَا الْوَغَى فَكُنَّا الْغَنَائِمُ

رجونا أن ننال شيئاً من الغنائم، ووردنا الوغى (الحرب) فكنّا نحن الغنائم. يشير إلى حرب الحسين للدولة العثمانية في أواخر الحرب العالمية الأولى، وكيف وعدوه باستقلال العرب وخانوه، وفي كلام شوقي تشف خفي، فقد كان نصيراً للدولة العثمانية حتى سقوطها

٢٥٤ يا شراعاً وراء دجلة يجري

قال شوقي يشيد بالعراق والملك فيصل، وكتب هذه الأبيات ليغنيها محمد عبد الوهاب أمام فيصل في بغداد (١٩٣١):

يا شراعاً وراء دجلة يجري في دموعي، تجنّبك العوادي

يا شراعاً (مركباً) يجري وراء نهر دجلة في نهر من دموعي، أدعو أن تتجنبك العوادي (المصائب). يقول كمال النجدي إن محمد عبد الوهاب كان عليلاً عندما أزمع السفر إلى بغداد ملياً دعوة الملك فيصل، فيقول له شوقي أيها الشراع الذي سيجري، لكن ليس في دجلة بل وراء دجلة بقليل في نهر آخر من دموعي، أدعو لك أن تتجنبك المصائب

سِرْ عَلَى الْمَاءِ كَالْمَسِيحِ رُويْدَاً واجرِ فِي الْيَمِّ كَالشُّعَاعِ الْهَادِي

سر على الماء أيها المركب كال المسيح (وكان من معجزاته السير على الماء) رويداً (تمهلاً) واجرِ في البحر كشعاع يهدي الناس

وَأَتِ قَاعاً كَرَفَرَفِ الْخُلْدِ طَيِّباً أَوْ كَفِرْدَوْسِهِ بِشَاشَةِ وَادٍ

وأت (جرى) قاعاً (سهلاً) كأنه في طيه رفرق الخلد (الأغصان المتدلية في الجنة)، وكأنه في بشاشة واديه فردوس الخلود

قِفْ تَمَهَّلْ وَخُذْ أَمَاناً لِقَلْبِي مِنْ عَيُونِ الْمَهَا وَرَاءَ السَّوَادِ

قف أيها المركب وتمهل، وخذ الأمان لقلبي من عيون المها (الجميلات الشبهات يقر الوحش) وراء السواد (بلاد العراق)

وَالشُّوَاسِيَّ وَالنَّدَامَى! أَمِنْهُمْ سَامِرٌ يَمْلَأُ الدُّجَى أَوْ نَادٍ

وماذا عن الشواسي (أبي نواس) والنّدَامَى؟ هل منهم سامر (مجلس سر) أو نادٍ (محفل) يملأ الليل

خَطَرَتْ فَوْقَهُ الْمِهَارَةُ تَعْدُو فِي غِبَارِ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ

خطرت (مشت) فوق هذا السهل المهارة (الخيال) تعدو في غبار الآباء والأجداد (أي مصاحبة لهم، وغير مقصورة عن إنجازاتهم)

أُمَةٌ تُنْشِئُ الْحَيَاةَ، وَتَبْنِي كِبْنَاءِ الْأَبْوَءِ الْأَمْجَادِ

هذه أمة تنشئ حياة لنفسها، وتبني (الآباء) الأمجاد (الماجدون/ ذوو المجد)

تَحْتَ تَاجِ مِنَ الْقَرَابَةِ وَالْمُلْكِ عَلَيْكَ عَلَى فَرْقِ أَرْحِيٍّ جَوَادِ
تَبْنِي الْأُمَّةَ نَفْسَهَا تَحْتَ تَاجِ عِمَادِهِ الْقَرَابَةِ (قَرَابَةُ فَيْصَلٍ لِلنَّبِيِّ فَهُوَ مِنْ آلِ هَاشِمٍ) وَالْمَلِكِ، وَالتَّاجِ
عَلَى فَرْقِ (رَأْسِ) أَرْحِيٍّ (كَرِيمِ عَطُوفِ) جَوَادِ (كَرِيمِ)

مَلِكُ الشَّطِّ وَالْفُرَاتَيْنِ وَالْبَطِّ حَاءٍ، أَعْظَمُ بِفَيْصَلِ وَالْبِلَادِ
إِنَّهُ مَلِكُ الشَّطِّ (شَطِّ الْعَرَبِ) وَالْفُرَاتَيْنِ (دَجَلَةُ وَالْفُرَاتِ)، وَالْبَطْحَاءِ (مَكَانٌ فِي مَكَّةَ)، فَمَا أَعْظَمُ
فَيْصَلًا وَالْبِلَادَ!

٢٥٥ القدس

قَالَ شَوْقِي فِي تَأْيِينِ مُحَمَّدٍ عَلِيٍّ، أَحَدِ زُعَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْهِنْدِ، وَتَوَفِّيَ فِي الْقُدْسِ،
(١٩٣١):

بَيْتٌ عَلَى أَرْضِ الْهُدَى وَسَمَائِهِ الْحَقُّ حَائِطُهُ وَأُسُّ بِنَائِهِ
هَذَا الْبَيْتُ (الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى) قَائِمٌ عَلَى أَرْضِ الْهُدَى وَفِي سَمَاءِ الْهُدَى (الْحَدِيثُ النَّبَوِيُّ: أَقْرَبُ
بَقْعَةٍ فِي الْأَرْضِ مِنَ السَّمَاءِ الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ)، وَالْحَقُّ جِدَارُهُ وَأَسَاسُهُ

«الْفَتْحُ» مِنْ أَعْلَامِهِ، وَالظُّهْرُ مِنْ أَوْصَافِهِ، وَالْقُدْسُ مِنْ أَسْمَائِهِ
كَلِمَةُ «الْفَتْحُ» عِلْمٌ عَلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى (اسْمٌ مَقْصُورٌ عَلَيْهِ)، وَالظُّهْرُ مِنْ أَوْصَافِهِ، وَ«الْقُدْسُ» مِنْ
أَسْمَائِهِ

٢٥٦ بلبل لم يتح أمثاله للخلفاء

قَالَ فِي ذِكْرِ سَيِّدِ درویش (١٩٣١):

بُلْبُلٌ إِسْكَندَرِيٌّ، أَيْكُهُ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ، وَلَكِنْ فِي السَّمَاءِ
سَيِّدُ درویش بَلْبُلٌ مِنَ الْإِسْكَندَرِيَّةِ أَيْكُهُ (شَجَرَةٌ) فِي السَّمَاءِ

رَبِّمَا اسْتَلَّهِمْ ظُلُمَاءُ الدُّجَى وَأَتَى الْكُوكَبُ فَاسْتَوْحَى الضُّيَاءَ
تَرَاهُ يَسْتَلْهُمُ ظُلَامُ الدُّجَى (الْلَيْلِ) يَقْعُدُ يَلْحَنُ فِي اللَّيْلِ، وَيَأْتِي الْكُوكَبُ فَيَسْتَوْحِي مِنَ الضُّيَاءِ فَنَأْ.
وَكَانَ لِسَيِّدِ درویش الْهَانُ عَتِيقَةُ الطَّرَازِ كَالْأَدْوَارِ الْعَشْرَةِ الَّتِي مِنْهَا «أَنَا هُوِيَّتُ» وَهِيَ مِنْ شَغْلِ
الْلَيْلِ، وَكَانَتْ لَهُ الْهَانُ تَعَجُّ بِحَيَاةِ النَّهَارِ وَمَشَاغِلِ النَّاسِ كَالْحُلُوةِ الَّتِي قَامَتْ تَعَجُّ

وَرَمَى أَذْنِيهِ فِي نَاحِيَةٍ يَخْلِسُ الْأَصْوَاتَ خَلْسَ الْبَيْغَاءِ
وَيَرْمِي أَذْنِيَهُ بَعِيدًا يَخْتَلِسُ الْأَصْوَاتَ لِيَصُورَ مِنْهَا فَتَهُ كَأَنَّهُ الْبَيْغَاءُ فِي جُودَةِ الْاِقْتِبَاسِ. وَسَيِّدُ درویش
كَانَ يَخْتَلِسُ فَتَهُ مِنْ أَصْوَاتِ النَّاسِ وَنَدَاءِ الْبَاعَةِ، وَكَانَ رَائِدًا فِي التَّعْبِيرِ بِالْغَنَاءِ عَنْ نُبْضِ الشَّارِعِ؛
فَإِنْ يَكُنْ بَيْغَاءَ فَيَبْغَاءُ الشَّعْبَ

سَيِّدَ الْفَنِّ! اسْتَرِخْ مِنْ عَالَمٍ آخِرُ الْعَهْدِ بِتُغْمَاءِ الْبَلَاءِ
سيد درويش! يا سيد الفن! استرخ من هذا العالم الذي آخر ما عهدناه فيه من التُّغْمَى (النعمى) كان
بلاء، فحتى نعيم هذه الدنيا بلاء

لَقَدْ اسْتَخْلَفْتَ فَنًّا نَابِغًا دَفَعَ الْفَنُّ إِلَيْهِ بِاللُّوَاءِ
لقد استخلفت (نصبت خليفة) فنًّا نابغاً (لفنان نابغة/ ويعني عبد الوهاب) دفع إليه الفن بلواء القيادة
إِنَّ فِي مُلْكِ فُؤَادٍ بُلْبُلًا لَمْ يُنْخِ أَمْثَالُهُ لِلْخُلَفَاءِ
إن في ملك فؤاد (في مصر) بلبلًا (عبد الوهاب) لم يحظ بمثله الخلفاء. وكان للخلفاء العباسيين
خاصة مغنون مشهورون حدثنا عنهم كثيراً صاحب «الأغاني»

يَسْتَحْيِ أَنْ يَهْتَفَ الْفَنُّ بِهِ وَجَمَالَ الْعَبَقَرِيَّاتِ الْحَيَاءِ
هذا البلبل (عبد الوهاب) يستحي أن يهتف فن الشعر بمدحه، وجمال العبقرية ذلك الحياء الملازم
لها

٢٥٧ عقيدة وجهاد

قال شوقي بيتاً ليكون شعاراً لجريدة الجهاد لتوفيق دباب ١٩٣١:

قِفْ دُونَ رَأْيِكَ فِي الْحَيَاةِ مُجَاهِدًا إِنَّ الْحَيَاةَ عَقِيدَةٌ وَجِهَادُ
دون رأيك: وراء معتقدك

٢٥٨ شجرة نسيتهما الشعراء

وقال بصف النخيل بين المتزه وأبي قير، والمتزه حي بالإسكندرية، (١٩٣١):
أَرَى شَجَرًا فِي السَّمَاءِ احْتَجَبَ وَشَقَّ الْعَنَانَ بِمَرَأَى عَجَبٍ
أرى شجراً عالياً كأن رؤوسه تخفي في السماء، وقد شق العنان (الحجاب) في منظر عجيب
مَاذَنْ قَامَتْ هُنَا أَوْ هُنَاكَ ظَوَاهِرُهَا دَرَجٌ مِنْ شَدَبٍ
هي كالمآذن، وفي ظواهرها (خارجها) درج من شذب (قشور). والمآذن درجها من باطنها في
العادة

وَلَيْسَ يُؤَدَّنُ فِيهَا الرِّجَالُ وَلَكِنْ تَصِيحُ عَلَيْهَا الْغُرُبُ
ومآذنتا هذه لا يؤذن فيها المؤذن، بل تصيح عليها الغروب (الغربان)

وَبِاسِقَةٍ مِنْ بَنَاتِ الرَّمَالِ نَمَتْ وَرَبَّتْ فِي ظِلَالِ الْكُثْبِ
ورب باسقة (عالية) من بنات الرمال (نخلة)، نمت وكبرت في ظلال الكثب (كثبان الرمل)

تَطُولُ وَتَقْصُرُ خَلْفَ الْكُثِيبِ إِذَا الرِّيحُ جَاءَ بِهِ أَوْ دَفَعَتْ

أنت تراها طويلة ثم قصيرة خلف كتيب الرمل، بحسب الريح التي تحرك الكتيب. هذا معنى مصنوع. فلا نظن أن شوقي رأى كتيب الرمل يجيء ويذهب مع الريح فتطول النخلة وتقصر في عيني الراي. لكنه وثب بخياله وصنع الصورة. وأي بأس في ذلك! قال مارون عبود عن شوقي: «وفيه من أبي تمام تصيده المعاني وأخذها عنوة إذا اقتضى الأمر».

وَهَذَا هُوَ النَّخْلُ مَلِكُ الرِّيَاضِ أَمِيرُ الْحَقُولِ عَرُوسُ الْعَزَبِ

هذا النخل ملك البساتين، وأمير الحقول، وعروس العزب (البيارات/المزارع)

طَعَامُ الْفَقِيرِ، وَحَلْوَى الْغَنِيِّ وَزَادُ الْمَسَافِرِ، وَالْمُغْتَرِبِ

فِيَا نَخْلَةَ الرَّمْلِ لَمْ تَبْخَلِي وَلَا قَصَّرْتَ نَخْلَاتِ الثَّرْبِ

فنخلة الصحراء لم تبخل، ونخلة التراب كنخيل الإسكندرية ما قصرت في العطاء

وَأَعْجَبُ كَيْفَ طَوَى ذِكْرُكَ وَلَمْ يَخْتَفِلْ شِعْرَاءُ الْعَرَبِ

أنا أعجب كيف طوى شعراء العرب ذكركن (أغفلوا ذكركن) أينها النخلات

أَلَيْسَ حَرَاماً خُلُوُ الْقَصَائِدِ مِنْ وَصْفِكَ وَعُظْلُ الْكُتُبِ

عُظْلُ الْكُتُبِ: خلوها

٢٥٩ ركزوا رفاتك لواء

قال شوقي في رثاء عمر المختار، (١٩٣١):

رَكَزُوا رُفَاتَكَ فِي الرَّمَالِ لِوَاءِ بَسْتَنْهَضُ الْوَادِي صَبَاحَ مَسَاءِ

ركز (غرس) الظليان رفاتك يا عمر المختار في الرمال لواء (راية)، يستنهض (يثير) الوادي (بلدك) صباح مساء. و«الوادي» عند شوقي مرادف لمصر، فإذا قال «الوادي» فهو يعني مصر، وصارت على لسانه كأنها تعني «البلد».. كل بلد

يَا وَيْحَهُمْ! نَصَبُوا مَنَاراً مِنْ دَمِ يُوْحِي إِلَى جَبَلِ الْغَدِ الْبَغْضَاءِ

الويل لهم! نصبوا مناراً مضيئاً ولكنه من الدَّم، وهو يوحي إلى الجبل الجديد البغضاء (الكراهية للمستعمر)

خُيِّرْتُ، فَاخْتَرْتُ الْمَيِّتَ عَلَى الطَّوِيِّ لَمْ تَبْنِ جَاهاً، أَوْ تَلَّمْ ثَرَاءَ

اخترت المييت على الطوي (الجرع)، ولم تصنع لنفسك جاهاً (رياسة)، ولا ثراء

إِنَّ الْبَطُولَةَ أَنْ تَمُوتَ مِنَ الظُّمَاءِ لَيْسَ الْبَطُولَةُ أَنْ تَعْبَ الْمَاءِ

البطولة هي الموت عطشاً، وليس أن تُمَبَّ (تكرع) الماء

والمسلمونَ، على اختلافِ ديارِهِمْ، لا يملكونَ مع المصّابِ عزاءَ

كل المسلمين لا يجدون ما يعزيهم (ينسيهم) المصّاب (البلاء) بفقدك

في دَمَةِ اللّهِ الكريمِ وحفظِهِ جسدٌ بِبُرْقَةٍ وُسْدُ الصحراءِ

ليكن في ذمة (حفظ) الله هذا الجسد الذي وُسِدَ (سُجِّي/ومدّد) في الصحراء ببرة (في ليبيا)

بطلُ البداوةِ لم يكن يغزو على نَنِكَ، ولم يكُ يركبُ الأجواءَ

لم يكن بطل البداوة يغزو على تنك (دبابة)، ولا في طائرة

لكن أخو خيلٍ حمى صَهَوَاتِهَا وأدارَ مِنْ أَعْرَافِهَا الهِجَاءَ

لكنه كان أخا خيل (صاحب خيل) حمى صهواتها (ظهورها)، وأدار من أعرافها (شعر رؤوسها)

الهِجَاءَ (الحرب). هنا صورة زعيم على صهوة جواده وبه تداعب شعر عنق الفرس، واليد

الأخرى توجه جنوده في الحرب، عَصَرَ شوقي هذا في أربع كلمات

لَبَّى قِضَاءَ الأَرْضِ أَمْسٍ بِمُهْجَةٍ لَمْ تَخْشَ، إِلَّا لِلسَّمَاءِ، قِضَاءَ

لبي (أجاب) حكم القضاء الأرضي فجاد بمهجته (قلبه) التي لم تكن تخشى إلا من قضاء السماء.

أرأيت كيف يداعب شوقي كلمات اللغة! ترى قضاء الطليان الجائر بشتق عمر المختار واقفاً موقف

مقارنة مع قضاء الله، وترى عمر المختار يلبي قضاء الطليان فيقدم مهجته شهيداً. وهو لا يخاف

القضاء الذي يلبي دعوته بل يخاف قضاء الله، كل هذا في كلمات فلاّتل، وهذا الإيجاز سر من

أسرار الليان، وقد تعددت أن أنثر لك البيت بكلام كثير حتى يقف كلامي، مظلوماً، وقفة مقارنة

مع بيت شوقي، ولتعرف ما في الإيجاز من جمال

وأنتى الأسيرُ يُجَرُّ ثِقْلَ حَدِيدِهِ أَسَدٌ يَجْرُرُ حَيَّةَ رُقْطَاءَ

جاء الأسير يجر ثقل قيوده، كأنما هو الأسد يجر أفعى رقطاء (مِرْقَطَة/مُبَقَّعَة)

سبعونَ لو ركبْتُ مَنَاكِبَ شَاهِقٍ لَتَرَجَّلْتُ هَضْبَاتُهُ إِعْيَاءَ

سبعون عاماً، هي عمر الشهيد، لو اعتلت مناكب (أكتاف) شاهق (جبل) لترجلت (لهبطت) هضبات

الجبل تبعاً من ثقل هذه السنوات

يا أيُّهَا الشعبُ القريبُ، أَسَامِعُ فَأَصَوِّعُ فِي عُمَرِ الشَّهِيدِ رِثَاءَ

يا شعب ليبيا القريب مناء، هل تسمعي حتى أرني شهيدك

ذهب الزعيمُ، وأنت باقٍ خَالِدٌ فَانْقُذْ رِجَالَكَ، واختَرِ الرُّعَمَاءَ

الزعيم ذهب وأنت (الشعب) باق، فانقذ (تفحص) رجالك، واختَرِ الزعماء

وأرْخِ شِوْخَكَ مِنْ تَكَالِيفِ الوَغَى واحْمِلْ عَلَى فِتْيَانِكَ الأعبَاءَ

واترك الشيوخ (المسنين) ليستريحوا من تكاليف (مشقات) الوغى (الحرب)، واحمل الأعباء

(المشكلات) على الفتيان

٢٦٠ يا منصف الموتى من الأحياء

قال في رثاء حافظ إبراهيم (١٩٣٢):

قَدْ كُنْتُ أَوْثَرُ أَنْ تَقُولَ رِثَائِي يا منصفَ الموتى مِنَ الأحياءِ
كنت أوثَرُ (أفْضَلُ) أَنْ أموتَ قبلك فتقول أنت رثائي يا حافظ، يا من أنصف الموتى من ظلم
الأحياء، لكثرة ما رثي حافظ الموتى

لَكِنْ سَبَقْتُ، وَكُلُّ طَوِيلٍ سَلَامَةٍ قَدَرْتُ، وَكُلُّ مَنِيَّةٍ بِقَضَاءِ
لكنك سبقت، وكل سلامة تطول فهي بقدر من الله، وكل منية (موت) فيقضاء الله

بِالْأَمْسِ قَدْ حَلَيْتَنِي بِقَصِيدَةٍ غُرَاءَ تُحَفِّظُ كَالْيَدِ الْبَيْضَاءِ
بالأمس (قبل خمس سنوات عند تكريمي أميراً للشعراء) حلّيتني (زيتني) بقصيدة غراء (باهرة)
حفّظت لك فيها الجميل فهي يد بيضاء (إحسان منك)

غِيْظَ الْحَسُودِ لَهَا، وَقَمْتُ بِشُكْرِهَا وَكَمَا عَلِمْتَ مُودَّتِي وَوَفَائِي
غِيْظَ (اغتاظ) الحسود منها، وقمتُ أنا بواجب الشكر، وأنت تعلم مودتي ووفائي

قَلَمٌ جَرَى الْحَقَبَ الطَوَالَ، فَمَا جَرَى يَوْمًا بِفَاحِشَةٍ وَلَا بِهَجَاءِ
قلمك جرى الحقب (المُدَد) الطويلة ولكنه لم يكتب فاحشة ولا مجاء

يَا حَافِظَ الْفَصْحَى، وَحَارِسَ مَجْدِهَا وَإِمَامَ مَنْ نَجَلَتْ مِنَ الْبُلْغَاءِ
أنت حفظت الفصحى وحرس مجدها، وأنت إمام (زعيم) من نجلت (أنجبت) من البلغاء
جَدَّدْتَ أَسْلُوبَ الْوَلِيدِ وَلَفْظَهُ وَأَتَيْتَ لِلدُّنْيَا بِسِحْرِ الطَّائِي
جددت أسلوب الوليد (البحري) ولفظه، وجئتنا ببيان ساحر كبيان الطائي (أبي تمام)

كَمْ ضِغْتُ ذُرْعًا بِالْحَيَاةِ وَكَيْدِهَا وَهْتَفْتُ بِالشُّكْوَى مِنَ الضَّرَاءِ
كم كنت تعبر عن ضيقك بالدنيا ومكرها، وكم هتفت (جاهرت) بالشكوى من الضراء (البلوى)

فَهَلُمَّ فَارِقِي يَا سَ نَفْسِكَ سَاعَةً وَاطْلُغْ عَلَى الْوَادِي شِعَاعَ رَجَاءِ
فهي أترك اليأس ساعة، واطلع على مصر شعاعاً من رجاء في مستقبل زاهر

خَلَّفْتُ فِي الدُّنْيَا بَيَانًا خَالِدًا وَتَرَكْتُ أَجْيَالًا مِنَ الْأَبْنَاءِ
تركت في الدنيا بياناً خالدًا، وأجيالاً ممن هم أبناؤك في البلاغة

٢٦١ نغمة المهد

قال شوقي (١٩٣٢):

الْحَانُ كُلُّ جَمَاعَةٍ وَغَنَائُكُمْ لُغَةً وَنَجْوَى بَيْنَهُمْ وَجَوَارُ

الألحان والأغاني في كل شعب لغة أخرى ونجوى (حديث هامس) فيما بينهم وحوار

لا تعمقُ الأذانُ إِلَّا نَغْمَةً كَانَتْ عَلَيْهَا فِي الْمُهْودِ قُدَارُ

الأذن لا تعمق إلا النغمات التي كانت تدور عليها (تسمعها) في المهد (في الطفولة). وهذه فكرة عميقة لشوقي لا نظنه أخذها من كتاب. فهو رجل سميع عرف ألحان مصر في عهد الحامولي ومحمد عثمان وأم كلثوم، وصنع من ربيبه محمد عبد الوهاب طاقة موسيقية مثقفة أهدها لأجيال من العرب من بعده. ثم سافر شوقي إلى فرنسا وعاش سنوات وسمع موسيقاهم. وظل يسافر إليها - مصطحباً عبد الوهاب لاحقاً - وظل يعيش على زادين موسيقيين: زاد من الشرق وزاد من الغرب. كان يحب موسيقى الغرب، لكن العشق ظل للموسيقى التي سمعها في المهد. ألا ترى الصبي في بلدنا يأكل مخلل الخيار المالح من يد أمه، ثم يسافر إلى أوروبا ويتغرب نصف قرن يقضيه وهو يتفحص الرقعة الملصقة على مرطبانات المخلل في السوبرماركتات بحثاً عن مخلل مصنوع بالملح لا بالسكر؟ فكيف الحال بالموسيقى التي هي ألصق بالفس. واليوم حالنا أعجب وأعقد. فالموسيقى الغربية صارت تعطى لأطفالنا في المهد، أو في المدارس التي تحترف اللغة العربية والتي صار يذهب إليها أبناء الأغنياء. ودخلنا مرحلة متقدمة في بيع نفوسنا للغرب. ونشأ عندنا ناس يسخرون من مفردات موسيقانا الشرقية. منذ الخمسينات بدأوا بهذا، وحذروا من «ربع الصوت» كأنه الطاعون، وقالوا إنه سبب الرخاوة والميوعة في موسيقانا. وما لربع الصوت؟ على مقام الراست العامر برقع الصوت مَجْدُ السناطي مصر تمجيداً في «وقف الخلق»، وعليه أيضاً غنى عبد الوهاب «أخي جاوز الظالمون المدى» و«يا سماء الشرق»، وهما لحنان فيهما عظمة واستنهاض

٢٦٢ وجد الرعية والرعاة نياما

قال شوقي بندد بالاحتلال (١٩٣٢):

أَعْطَى الْعَهْدُ وَأَقْسَمَ الْأَقْسَامَا أَلَّا يَطُولَ مُقَامُهُ فَأَقَامَا

عاهد المستعمر الإنجليزي مصر وأقسم لها ألا يطول مقامه، ولكنه أقام (مكث)

خَمْسُونَ عَاماً فِي الْبِلَادِ يَسُوقُهَا بِالْعُنْفِ عَاماً وَالْهَوَادَةَ عَاماً

خمسون عاماً (١٨٨٢ - ١٩٣٢) قضاها الإنجليز في مصر يسوقونها بالعنف عاماً وبالهداة (اللين) عاماً

مُسْتَعْمَرٌ جَعَلَ الْخِلَافَ ذَرِيعَةً لِيَهْزُرَ رُمْحاً أَوْ يَسْلُ حُسَامَا

مستعمر اتخذ من الخلافات الداخلية ذريعة (حجة) ليهز لنا الرمح ويسل علينا السيف

لَمَّا أَتَى الْوَادِيَّ وَعَبَّأَ جَيْشَهُ وَجَدَ الرَّعِيَّةَ وَالرُّعَاةَ نَبَامَا

لما جاء المستعمر وادينا وعبأ جيشه زاحفاً وجد الرعية والحكام نائمين. بل كان في مصر من أصرّ على عدم النوم آنذاك: عدو شوقي اللدود أحمد عرابي

لقد هجا شوقي عرابي هجاء مرأاً لمخالفته الخديوي توفيقاً وكان والد شوقي من حاشية الخديوي. وشمّت شوقي عرابي لهزيمة أمام الإنجليز في معركة التل الكبير (وكان شوقي آنذاك في الرابعة عشرة من العمر). وظل شوقي على موقفه حتى بعد عودة عرابي من المنفى. والآن يقر شوقي بأن الراعي (توفيقاً) كان نائماً. أما عرابي، أقر شوقي أم لم يقر، فهو الذي قاد جيش مصر برغم أنف الخديوي ليقف وقفة عز ومجد وليقدم ١٤٠٠ شهيد، ويقتل ٥٥٠ من الغزاة، وليعلن للأجيال اللاحقة أن مصر لم تُسَلِّح رخيصة، وليكون مناراً

يَا أَيُّهَا الْجَبِيلُ الَّذِي يَبْنِي غَدًا كُنْ فِي بَنَائِكَ حَازِمًا مِقْدَامًا

مقدم: شجاع

وَإِذَا بَنَيْتَ الْمَلِكَ فَابْنِ حَقِيقَةً لَا تَبْنِ أَوْهَامًا وَلَا أَحْلَامًا

٢٦٣ اطلب القطن وزاول غيره

قال شوقي في مشروع القرش، وهو آخر شعر قاله، ومات أحمد شوقي في ١٤ أكتوبر (١٩٣٢):

اجْمَعْ الْقِرْشَ إِلَى الْقِرْشِ يَكُنْ لَكَ مِنْ جَمْعِهِمَا مَالٌ لَبَدٌ

لبد: كثير

اطلبِ الْقَطْنَ، وَزَاوِلْ غَيْرَهُ وَاتَّخِذْ سَوْقًا إِذَا سَوْقٌ كَسَدَ

اطلب القطن (اسع في إنتاجه)، وزاول (مارس) إنتاج محاصيل أخرى أيضاً، فهذا يفتح لك سوقاً بديلة إذا كسدت سوق القطن

نَحْنُ، قَبْلَ الْقَطَنِ، كُنَّا أُمَّةً تَهَيِّطُ الْوَادِيَّ وَتَرَعِي وَتَرِدُ

كنا قبل أن يزرع بمصر القطن أمة تهيط وادي النيل وترعى الأنعام فيه وترد (تستقي الماء). لم يكن للقطن شأن كبير في مصر القديمة، وأصبح سلعة تجارية مهمة، تغني الفلاح أو تكسره بحسب السوق العالمية للقطن، منذ عهد محمد علي

فهرس القوافي (القافية فرقم القصيدة)

١٥٢	عِتابا	٢٦	شاء
٩٨	لَعِبا	٢١٥	ماء
١٩٢	واكتسابا	٢٥٩	مساء
٩٤	والرَّيَّا	٨	النَّشَاء
١٧	أَبْ	١٠	الرجاء
٢٤	تَضْرِبُ	١١٨	إماء
٥٧	ثعلبُ	١٦٠	شَمَاء
٢٥	ذَهَبُ	١٤١	وَنَشَاء
٢٣٧	والحبُ	٢٦٠	الأحياء
٢٢٢	أَحِبِّ	٥٠	الأضواء
١٨٩	العربِ	١٥٣	الكرمَاء
٨٦	عُرَابِي	١٠٦	دوائي
٢٤٢	كَعْدَابِ	٢٥٦	السماء
٩٦	القَضْبُ	٢١٩	شفاءها
٢٥٨	عَجَبُ	٢٥٥	بنائِهِ
٢٨	يَحِبُّهَا	٢	أبي
١٨٥	تَابِهِ	٥٨	الثعلبا
٢٠٨	حَافَا	٢١٤	الكتابا
١٠٤	سُبَاتُ	١٧٣	نَوَابَا
٣٣	الحادثاتِ	١٨٤	طَلَبَا

٢٠	والوداد	١٠٣	الموت
٢٢٠	يُنَادِي	١٢٨	عَرَافَات
١١٩	أَرَادَ	٢٣	مَرَّتْ
٢٤٠	الْأَسَدُ	٢٤٩	مَرَّتْ
٤٧	الْمَنْفِرْدُ	٣٦	وَالْمَشْرِقَاتِ
٢٦٣	لُبْدُ	٥	دَسْتُهُ
١٠٥	مَخْلَذُ	١٦٢	فَايَبْتُهُ
١٩٤	أَشَدُّهَا	٢١٠	فَرَحَمْتُهُ
١٢٩	عُودُهُ	٨٨	عَلَاجُهَا
٢١٦	الجَوْهَرَا	٢١٨	مُسْتَبَاحَا
٨٢	الْعِثَارَا	١٩٣	الْأَفْرَاحِ
١١	الْكُبْرَى	١١٦	يَتَسَبَّحُ
١٣٧	الْكُرَى	٢١٧	الشَّدَادَا
٩٠	جَرَى	١٨	بِالْعَدَى
٣٤	الْأَكْبَرُ	١٩٥	شَرِيدَا
٢٣٣	تَبَوُّرُ	٩	قَيْدَا
٨٩	تَغْيِيرُ	٢١	النَقْدُ
٢٤٤	جَدِيرُ	٢٤٣	تُسَدُّ
٢٦١	وَجَوَارُ	٧٤	صَيَّادُ
١٣٤	وَفَقِيرُ	١٢	مَدِيدُ
٨٥	الْأَقْدَارِ	٢٥٧	وَجِهَادُ
٦٢	الْحَصَارِ	١٧٤	الْأَعْوَادِ
٤٨	الصَّحَارِي	١٨٢	الضَّادِ
١٢٦	الْغَفُورِ	٢٥٤	الْعَوَادِي
٤٢	الْفَجْرِ	١	بِالْعُنُقُودِ
١٥٩	بِالْأَبْكَارِ	٣١	بَعْدِي
١٢٧	حُصَّارِ	٣٥	لِلسَّيِّدِ
٩٧	خَبِرِ	١٣٩	نَادِي
١٣٨	كِبَارِ	١٣	وَأَقْعِدِ

١٨٣	وَقَعَ	٤	كَدَرٍ
١٤٢	أَرْجَعَكَ	٤١	مَتَّظِرٍ
٢٣٦	مَعَةٍ	٨١	وَبِالْجَدْرِ
٢٥٢	إِيقَاعُهُ	١٤٠	وَسَطِّيرٍ
١٠٠	وَمِنْبَعُهُ	٣	الْأَخْضَرُ
٣٢	كَفَى	١٦	الْخَوَاطِرُ
٤٦	اِخْتِلَافٍ	١٨١	الْعُمُرُ
٩١	الْأَشْرَافِ	١٥٨	الْكُدْرُ
٦٨	الْأَلْفَافِ	٨٠	كَغَابِرٍ
٦٥	ظَرِيفٍ	١٥٤	لِلْكُدْرِ
٣٨	إِشْفَاقُ	٦١	الشَّجَرَةِ
٢٤٨	الْمُتَشَقُّقُ	١٠٨	كَعَثْرَةٍ
١٧٩	تُعْدِقُ	١٩٨	مُدَارَةٍ
٢٢٥	دَمَشْقُ	١٧٥	مُدْخَرَةٍ
١٦١	الطَّبَاقِ	٦٣	مَسْتَرَةٍ
١٤٨	الْمَذَاقِ	٦٠	مَسَرَّةٍ
١٩٩	الْمَذَاقِ	١٩٧	وَالْجَارَةِ
١١٠	طَلَاقي	٩١	يَجَارَةٍ
٧٣	مُزَقِّقٍ	٨٣	أُنْسٍ
٩٩	مُشْتَاقٍ	٢٣٥	يَسُوسُ
١٤٦	وَيُلَاقِي	١٧١	أُنْسِي
٩٥	فِرَاقِهِ	١٣٣	تَنْقُضًا
٢٧	الْمَلِكِ	٦	أَجْمَعًا
١٩٠	بَنِيكَ	٢٠٧	فَرَاعًا
٢٢٩	شِبَاكِي	٢٣٩	وَرَعَى
١٤٧	يَحْمُوكِ	١٨٨	وَلَعَّ
٤٩	أَرِيكَ	٢٠٢	النَّاعِي
١٥	يَرَاكَ	٦٤	بِالضَّفْدَعِ
٢٣٢	فَبَكَاهَا	٢٠٥	لِيُرْقِعَ

١٨٦	اعتدالة	١١٧	الملا
١٧٠	أضْمَى	١١٥	النَيْلا
١٣٦	الأَقْوَامَا	١٥٦	النَّيْلا
٨٧	الأناما	٢٤٥	انتقالا
١٣٢	الرَّامَا	٢٥٠	جميلا
٢١٣	عَلَامَا	٢٠٦	رسولا
٢٦٢	فَأَقَامَا	١١٢	علا
١٢٠	كَرِيمَا	٢٣١	قليلا
١١٤	الأيامُ	١٣٥	مَقَالَا
٢٠٠	الدرهمُ	٥١	غزائُ
٥٥	الفَطِيمُ	٨٤	قليلُ
١٩٦	خَادِمُ	٦٩	يُحْمَلُ
١٢٣	كريمُ	١٤٩	يميلُ
١٤٥	والإسلامُ	١٣١	البُّبُلُ
٧٧	وَتَرَحَّمُوا	٣٠	التَّرَلُّلِي
١٠٢	الأممُ	٢٢٤	المالِ
١٢٤	الحُرْمُ	١١١	النَّشَالِ
١٠١	بالمَلامِ	١٥٠	وإِذْلالِ
٢٣٠	دِعامِ	١٥١	ومِثَالِ
٢٠١	دَمِي	١٠٧	الطويلُ
٢٣٨	القلمُ	١٧٨	قيلُ
٥٣	المُقَطَّعُ	٧٠	مَلَنُ
٩٣	عَدَمُ	٥٩	البَطَالَةُ
٢٥٣	هاشِمُ	٢٤٦	أَنسَالِهَا
٢٢٣	القيامةُ	٢٤٧	الباكِي
٥٦	حَمَامَةُ	٥٢	بِذَلَّةُ
٩٢	وتَحْمِيهَا	١٢٥	رَحَلَةُ
٤٠	اقتِرَانَا	٢٣٤	مالُهُ
٣٩	الرَّائِيْنَا	٧	تَبْدِيلُهَا

٢١٢	وَيَزِينُ	١٨٧	الغابرينا
٧٥	المُعِينَةُ	٥٤	الواعظينا
٧٨	والسَمِينَةُ	١٤٤	إنسانا
٢٠٣	رُجْبَانُهَا	١٧٦	جبانا
٤٣	شُجُونُهُ	٢٢٨	حُسْنًا
١٧٧	أَرْسَانِهِ	١٦٩	دَيْدَنَا
٢٢٦	زَمَانُهُ	١٥٧	لِوَادِينَا
٦٧	فَتَاهَا	١٦٨	مُقِيمِينَا
١٥٥	يَرَاهَا	٢١١	وَأَزْمَانُ
٣٧	كَبُورُهُ	٧٢	الْأَسْنَانِ
٢٢٧	الْجَوَازِيَا	١٤	الْجَانِي
١٣٠	ثَانِيَا	٧٦	الْحَيَوَانِ
٢٠٤	شَيًّا	٢٢١	بِالْحَسَنِ
٤٤	غَالِيَا	٧١	تَرْعِيَانِ
٤٥	هَمَشَرِيَا	٧٩	عَنِّي
١٨٠	هَيَّا	١٢٢	وَالدَّانِي
١١٣	وَالْمَعَانِيَا	٢٢	أَبَوَيْنِ
٢٤١	الْأَنَانِيَّةُ	٢٠٩	السُّنُونُ
٢٩	الثَّانِيَّةُ	١٩	فَكَانُ
٢٥١	ثَنَائِيهَا	٦٦	فَقَنُ
١٢١	يُعَادِيهَا	١٧٢	مُعْجِبِينَ
١٠٩	عَلَيْهِ	١٤٣	وِطِينَ

حافظ إبراهيم

(١٨٧١م - ١٩٣٢م)

هياأت «عناصر الموضوع» . . أو قل رؤوس الأقلام، وضبطت التواريخ، وقلت: أكتب مقدمة لهذه الأشعار التي انتخبتها من ديوان حافظ إبراهيم. ثم رميت بورقة العناصر جانباً. وأغلقت الكتب التي قرأتها عن حافظ إبراهيم، وأعدت ديوانه إلى الرف. وقلت في نفسي: أحدثك عنه حديثاً، فهذا أروح لي ولك.

وها أنت تراني متعثراً أبحث عن طرف الخيط.

غازني حافظ، وقد عدت إليه الآن بعد سنوات كثيرة من قراءتي الأولى لديوانه. انتخبت له الأبيات المشهورة، والأبيات الجميلة، والأبيات التي تعبر عن حياته وشخصيته، ورجعت إلى ما انتخبت فازددت غيظاً.

غازني في الأولى كثرة ما في ديوانه من القصائد المغسولة التي ليس فيها بيت يلفتك، وغازني في الثانية أنني رأيت مختاراتي التي ضمت خير أبياته مملوءة بالحُصْف، وكان عليّ أن أعود فأنجي منها ما لم أعد أراه جيداً.

ثم إن حافظاً غازني مرة ثالثة لأنه خدعني بقصعة في شعره تحجب عن المرء ما في الشعر من سخف أو إحالة أو تكرار غير نافع، أو تكرار ضار بالمعنى.

وبدأت أشحذ أسناني. قلت في نفسي: أنا دائماً أقول إن الشاعر بجيده لا برديته، وها هو أخونا في الله حافظ إبراهيم قد دسّ لي ضمن ما كنت حسبته «جيداً» أبياتاً رديئة غير أن عليها طلاء خالِباً. فلأخرج عن سياستي مع شعرائي، ولأشهر على حافظ سكين التعريق. ثم عدل بي عن هذه الفعلة شيطان وشيء.

أول الشئين أنني قرأت كتاب المازني الذي وضع فيه حافظاً على السفود.
والسفود سيخُ شيء اللحم، وكان أخلق بنا أن نقول «وضع السفود في حافظ
واشتواه»، ولكن الرافعي شاء أن يكون التعبير «على السفود»، فهو عليه!

وثانيهما أنني رأيت حشداً من الأساتيد قد سرقوا نقداً المازني ونسبوا
لأنفسهم الصغيرة، وسلخوا عبارات كاملة من المازني وزينوا بها صفحات
المسوخ التي أصدروها. لا، لم يستفرغ المازني كل سفاسف شاعرنا. ولكنتي،
لو مضيت في عزمي السفودية، سأكون مضطراً إلى انتقاد بعض ما انتقده
الرجل، فهل أفعل ما فعله الأساتيد؟

والشيء الثاني.. الشيء الثاني في الواقع هو ذلك الذي صنعه الأساتيد.
لكن بقي شيء آخر.. ثالث، وهو الأهم.

الشيء الثالث الذي منعني من تعقب ما وقع فيه حافظ من إحالات
وركاكات هو أن شاعرنا كان يكتب للأذن لا للعين.

قرأت وصفاً جميلاً كتبه عبد الرحمن صدقي لحفل ألقى فيه حافظ قصيدة
في تكريم يعقوب صروف ونبيه فارس. وصف صدقي إقبال حافظ على
الجمهور، بقامته الطويلة وكتفيه العريضتين وهامته الكبيرة. ووصف إيماءاته
«التمثيلية» وصوته الفخم وإلقاءه الأخاذ، وتكراره بعض الأبيات قبل أن يمضي
في سائر القصيدة، فرأيت مصداق ما قاله كثيرون من أن حافظاً كان يمتلك
مهارة كبيرة في الإلقاء. ثم قرأت ما كتبه طه حسين عن سؤاله حافظاً عن عبارة
«جثا قبره» التي وردت في مطلع قصيدة رثى فيها مصطفى كامل (أيا قبر! هذا
الضيف آمال أمة/ فكبر وهلل والحق ضيفك جائئاً)، فكيف للقبر أن يجثو على
ركبتيه؟ وردَّ حافظ: «دعني من نقدك وتحليلك. ولكن، حدثني أليس يحسن
وقع هذا البيت في أذنك؟ أليس يثير في نفسك الحزن؟... قال طه: ولكن.
فقال حافظ: دعني من لكن، واكتف مثلي بهذا».

الرجل يستعمل اللغة القديمة، والأساليب العتيقة، ويتكلف في سبيل ذلك
ما يتكلف، ويخطئ، ويحيل، ولكنه ينظم ناصباً أذنيه يسمع ما ينظمه بأذان
جمهوره. والجمهور غفور للشاعر رحيم به إن هو أحسن سوق القضية بمجملها
ناثراً في أثناء الأبيات درراً قليلة وسط حشد من العبارات ذات الوقع الفخيم،
وليس مهماً بعد ذلك إن كانت فيها قبور جائئة.

قررت أن آخذ حافظ إبراهيم على بعضه . وفعلت . وشرحت ما اخترته من أبياته وأنا مغيب محقق، لكنني كفت لساني عن انتقاده إلا ما ندر . كان في نظمه بوهيمياً كما كان في سلوكه منذ أن ترك الدراسة يافعاً إلى أن مات .

كان حافظ شاعراً . وملاً بشعره الأندية . وعاشت له أبيات ، وقصائد كاملة أيضاً ، ظل الناس يرددونها . لم يكن رجل فكر ، ولا رجل سياسة ، وأزيد وأقول ولا وطنياً مناصلاً . كان يحب وطنه ، وهذه ليست فضيلة ، فكلنا يحب وطنه . وكان يفكر في رفعة وطنه كثيراً ، ويتألم لأن نهضة بلده مصر لم تكتمل ، بل لقد انتكست . ولعل في هذا بعض الرد على قوم يزعمون أن العهد الملكي بمصر قبيل ثورة ١٩٥٢ كان عهد نهضة مباركة وكبيرة ، وأن حركة الضباط أجهضت هذه النهضة . في شعر حافظ ، مأخوذاً في مجمله - ومضافاً إليه شعر شوقي - مجموعة كبيرة من القرائن على أن مشاعر أهم شاعرين في تلك الحقبة كانت مشاعر أسى على نهضة كانت في عصر محمد علي ، وخفتت قليلاً ثم كانت تريد أن تستمر في عهد إسماعيل فأجهضتها الأمم الأوروبية ، ثم بالاحتلال الإنجليزي ١٨٨٢ بدأ الانحسار ، وظل متواصلاً .

من حق أي مؤرخ - مصرياً أو غير مصري - أن ينتقد حركة ضباط ٥٢ ، ومن حقه أن يفضل على مؤسسات حكم العسكر آنذلك المؤسسات الأشبه بالديمقراطية التي كانت في العهد الملكي ، فأما تصوير العهد الملكي على أنه كان نهوضاً متصلاً ، فهذا عكس الحقيقة .

رأى كثيرون حافظاً وطيب قلبه ، ووفاء لأصدقائه ولمن أحسنوا إليه ، واغتفاره إساءة من أساء ، وتغمد هجوماً من هاجمه بالعفو السريع فعدوه رجلاً من كَمَلَة الرجال . ليكن . على أن الرجل الكامل يحتفظ في ركن من شخصيته بخزانة سوداء يودع فيها قمادات سلوكه ، فإن لم ير الناس في شخصية حافظ المفتحة شيئاً عليه قفل ومفتاح ، فربما كان ذلك لأنهم غصوا البصر .

كان حافظ حقاً طيب المعشر لطيفاً . . لكن ليس مع كل الناس . فهو ابن بلد ، يعامل من يضغره سناً أو قدراً بجلافة ابن البلد ، ويعامل من يحسن إليه بالإجلال ، وهو يحفظ المعروف ، ويحسن إلى الناس كثيراً . وكان سخياً سخاء خرافياً ، ونوادر سخائه تملأ الكتب ، والسخاء ستر يحجب عن الأعين كثيراً من علل الشخصية . وكان صاحب نكتة ، وذا محضر جميل وبديهة مساعفة ، ويحسن السخرية المرة . يراه المرء أول معرفته به متجهماً ، ثم سرعان ما يفيض بشراً ،

حتى ليقبل ضيفه الجديد عليه يريد أن يقبله بين عينيه، وهذا شيء قاله أحد من عرفوه، ونسيت من هو.

درس حافظ الشعر العربي من «الوسيلة الأدبية» وفيها قرأ شعر البارودي، ولقي البارودي وسمعه وجالسه، فحافظ امتداد طبعي لمدرسة إحياء الشعر العربي، التي جعلوا البارودي رأسها. وقرأ أغاني أبي الفرج مراراً، وصاحبه لزوميات المعري، وسمع أشعار شوقي وكان يقفو أثره في بعض الموضوعات.

لم يكن الشاعر المثقف. كان يحب رنين الشعر العربي القديم وقرأه كثيراً وحفظ منه كثيراً، وجعلوا حفظه آية من الآيات، إذ كان يستحضر من خزانة ذاكرته ما شاء أيان شاء.

وأعود إلى غيظي.

كل هذا الغيظ الذي حدثتك عنه.. ثم أختار لحافظ بضع مئات من الأبيات! لا، وإنني لأبرز الكثير منها بالتسويد!

لم يكن لحافظ دقة أبي تمام، ولا سلاسة البحتري، ولا صنعة ابن الرومي، ولا فخامة المتنبي، ولا فحولة المعري، ولا خيال شوقي.

ولكن، كان لحافظ شيء لم يكن لأي من هؤلاء. كانت له شخصيته، تماماً مثلما لك ولي ولكل إنسان شخصيته. وعبر حافظ عن شخصيته في شعره، وليس كل أحد قادراً على أن يعبر عن شخصيته، وعن.. إمعيته أيضاً.

عبر عن إمعيته الفكرية بوضوح: لا رأي له في كرومر، ويودعه بقصيدة يذكر فيها المحاسن والمساوي، ثم يتنصل ببيت يقول فيه إن هذا «ما يقوله الناس»؛ ولا رأي له في السفور والحجاب، ويريد في رثائه قاسم أمين أن ينتظر كي يكشف له المستقبل صحة أو خطل آراء الفقيه. وهو ناظم على الأجانب المقيمين في مصر ثم يعود ويحييهم على نشاطهم التجاري.

وعبر حافظ عن أحداث زمنه. وكانت له قدرة الخطيب، الذي أدمن النظر في عيون جمهور السامعين، على تخير العبارة الطنانة. والعبارة الطنانة من بعض المكونات المفيدة للشعر. فإن شبهت مكونات الشعر بمكونات صلصة الطماطم فاعلم أن العبارة الطنانة ليست من المواد الحافظة، التي لا مهمة غذائية لها بل هي تحفظ الصلصة من التلف السريع. لا، العبارة الطنانة جزء من الشعر، لأن إنشاد الشعر جزء من الشعر، ولأن الإيقاع جزء من الشعر،

ولأن الشعر يصبح نثراً إن عدم هذه المكونات. فهل المعنى جزء من الشعر؟ يقول لك القدماء: نعم، ولا. ويقولون إن المعاني ملقاة على قارعة الطريق، والمعمول إنما هو على حسن السبك، وعلى الالتزام بعمود الشعر العربي. ويقول لك قدماء ومحدثون كثر: بل المعنى مهم، شرط ألا تتحول القصيدة إلى مقالة.

حافظ غير المثقف أشعر من حافظ لو كان مثقفاً. وأكاد أجزم بنسبة ٩٩٪ كما يقول العوام - في أول مناسبة تسوق تَعَسَ حَظَّ عامياً ليقول لي هذه العبارة، سأجيبه ببرود وبكل جدية: وكيف قست هذه النسبة المثوية لطفاً؟ - أجزم بأنه لو كان حافظ قد تثقف وقرأ كثيراً لكان شعره في غاية الغثاثة. وكنت في مقدمة كتابي الأول في هذه السلسلة قد بحث لك بأنني حاولت الشعر وأخفقت فيه، وعبرت عن ذلك بالقول:

أتيت بقاموسي وألفيتي إلى الـ قصيدة أبغيها، وأخشى تعاليها
فألفيتها تهوى البريء ولو به جنون، بل المجنون أقصى أمانها
فيا شعر، يا ولأد، يا خَلْق، فُتْنِي لأنَّ علومِي شوهتني تشويها

وفي حافظ سذاجة تظهر جلياً كلما طرق موضوعاً ثقافياً، ولكنه قد يجيء بعد أن يستعرض عضلاته الثقافية، المنفوخة بمنفاخ الدراجات، بأبيات قليلة يشكو فيها بؤسه، صادقاً في شبابه كاذباً في كهولته: كاذباً لأنه لَطَى في السنوات العشرين الأخيرة من حياته في وظيفة دسمة (بلغ راتبه الأقصى ثمانين جنيهاً في الشهر.. هذا عام ١٩٣٢، عندما كان الجنيه يُغني «أنا أنطونيو وأنطونيو أنا»).

أبيات الشكوى عند حافظ فيها عذوبة، وفيها استمرار لنغمة مألوفة عند شعراء العرب أصبحت من أركان أركان القصيدة في عصور الانحطاط. وهي بالمناسبة عصور انحطاط وانحسار وسفه وسفاسف وأنوف بعض الأكاديميين في التراب. نعم رغم السفاسف فإن مما يجعل السامع يترنح ويتخدر أن يسمع شعراً فيه نغمات عتيقة. (مثال على ذلك من دنيا الألحان أغنية لنجاة الصغيرة تقول «أيظن أنني لعبة بيديه؟/ أنا لا أفكر في الرجوع إليه» وتصحب هذه الكلمات ألحان تعبيرية جديدة، ثم تمضي الأغنية بلا إيقاع وبلا تطريب.. «اليوم عاد كأن شيئاً لم يكن/ وبراءة الأطفال في عينيه»، وعندما يريد

عبد الوهاب أن يقيم الناس عن كراسيهم يلحن لهم البيت «حتى فساتيني التي أهملتها/ فرحت به رقصت على قدميه» تلحيناً آخر مختلفاً. . تلحيناً فيه طرب وإيقاع وجملة ميلودية متقنة من الطراز القديم). وألا ترانا نستمع إليك بأدب وأنت تلقي علينا قصيدة ألفرد دوفيني عن الذئب، فإذا أتبعناها بقصيدة البحري حيث يقول: «كلانا بها ذئب يحدث نفسه بصاحبه» استيقظت فينا روح الصحراء التي كلانا فيها ذئب حقاً، وصفقنا لقدمنا المضمخ بمسك السنين؟

شكا حافظ من الأجانب بمصر: من اليونانيين، ومن الشوام أيضاً. ولكن حافظاً رجل رقيق، وهو ابن بلد. كان يحب صديقه خليل مطران اللبناني ويمدحه شعراً ونثراً، وكان مطران بثقافته العميقة، وفرنسيته المتقنة يساعد حافظاً في الترجمة. وكان يغشى مجالس أهل الصحافة، وجلهم من الشوام، وكانوا يرفعون ذكره عالياً بنشر قصائده في صدور جرائدهم. وفي السورين قال حافظ بعض أجمل شعره، وطوقهم بحبه وبإعجابه. ولكن تدمره كان من المصريين الذين كانوا - حسب تحليله الساذج - متوانين وكسالى. وكان اسم أكمل رجل في مصر. . لعلك حزرت. . فلا داعي للتشهير.

هذا سجل حياة شاعرنا:

ولد في عوامة راسية قرب ديروط في الصعيد، عند قناطر التقسيم. . قناطر تقسيم حصص المياه. كان محمود سليمان باشا أحد كبار ملاك الأراضي قد أسكن إبراهيم فهمي والد شاعرنا وأمه هانم البورصلي فيها. فإبراهيم فهمي مهندس مياه، والباشا بحاجة إلى «مساعدة صديق» كي يحصل على نصيب وافر ليروي فدادينه الـ ١٦٠٠. وأنجبت هانم - هذا اسمها - الطفل حافظاً في عام ١٨٧١، ربما قبله بعام، وربما بعده بعام. ثم أختاً له. ثم مات زوجها إبراهيم فهمي ولحافظ من العمر أربع سنين. فخر الباشا الصديق المساعد، وخسرت الأسرة العوامة.

رحلت الأم بولديها إلى القاهرة، إلى بيت أخيها، المهندس في مصلحة التنظيم، محمد نيازي البورصلي، وكان يسكن في حي المغرلين بين القلعة والتحرير. وأحوال حافظ قوم من قدامى أتراك مصر نسوا لسانهم التركي واستعربوا وتمصروا. لم يكن خال حافظ من ذوي اليسار، لكنه كان يعيش مع زوجته وحدهما ولم يرزقا بأبناء.

تربى حافظ في كنف خاله بلا أب، ولكن كان له في البيت أم، وكانت له

أم أخرى هي زوجة خاله، وكانت أخته. وقد تزوجت، من بعد، وأنجبت أربعة وماتت شابة.

درس في مدارس القاهرة حتى بداية المرحلة الثانوية، ثم كان أن رحلت العائلة كلها إلى طنطا، فانقطع حافظ عن الدراسة، إذ لم يكن بطنطا مدرسة ثانوية كما ذكر بعضهم، أو لأنه كان يكره المدرسة كما قال محمد إسماعيل كاني الذي يتنسب إلى أسرة أخت حافظ.

أخذ حافظ، وهو في السادسة عشرة يعاشر طلاب المعهد الأحمدى بطنطا، وحضر دروساً في النحو والصرف في الجامع الأحمدى. ويصف الشيخ عبد الوهاب النجار أول لقاء له بحافظ في طنطا عام ١٨٨٨، وحافظ في نحو السادسة عشرة، يقول: «فتى غض الإهاب، له ظرف ولطف محاضرة، ويديه وحضور... قضينا رمضان نصلي المغرب والعشاء والتراويح معاً، ثم نسمر حتى السحور، ونظل حتى يؤذن لصلاة الفجر، وبعدها نمضي في صحبتنا حتى طلوع الشمس، فيذهب كل منا إلى بيته» بتصرف عن الشيخ النجار.

مضت على حافظ سنة خصبة جداً من حيث امتلاكه لأدوات اللغة والبيان، وقاحلة بوهيمية في نظر خاله المهندس. وضاق حافظ ذرعاً بكلمات خاله التأنيبية، فقال بيتيه المشهورين: (ثقلت عليك مؤنثي/إني أراها واهية// فافرح فإني ذاهب/متوجه في داهية). وكانت الداهية استمراراً في معايشة طلاب المعهد، فقد سكن حافظ عند صديق كان مجاوراً للجامع الأحمدى.

ولعل هذا الصديق ضاق بحافظ.. على أن شاعرنا أصبح الآن يعرف قدر نفسه، فهو يحسن أن ينظم، واستقامت على لسانه اللغة العربية الفصحى. عاد إلى منزل خاله. لكنه بدأ يبحث عن عمل. ولم يجد خيراً من المحاماة، فهو فصيح اللسان، حسن الكتابة سريع الفهم وسريع البديهة.

عمل في مكتب المحامي الشيمي، ثم وجد يدق عليه في الأجر، فانتقل إلى مكتب محمد أبي شادي، ثم إلى مكتب عبد الكريم الفهيم.

قد وضحت الصورة الآن، نحن بلازاء شخص قلق. فما الذي يلقي بهذا الشاب القلق، الذي بدا أنه مشروع شاعر، في أحضان الجيش؟ ربما طوله وكثفاه العريضان.

إلى القاهرة، والمدرسة الحربية. ولحسن حظه كان المحتل الإنجليزي قد

ألقى من منهاج هذه المدرسة معظم ما كانت تدرسه من علوم، وبعد سنتين أو ثلاث تخرج حافظ ملازماً ثانياً. وقضى في الجيش ثم في الشرطة ثلاث سنوات، كان فيها مثال الضابط المهمل.

ونقل إلى السودان في حملة كتشنر.

فقد بعث الإنجليز الجنرال هيرت كتشنر إلى الخرطوم للقضاء على الحركة المهدية وقدر أطماع فرنسا في السودان. وفي الثاني من سبتمبر/أيلول عام ١٨٩٨ كانت المواجهة بين جيش الأنصار السوداني بقيادة عبد الله التعايشي خليفة المهدي، وبين القوة البريطانية. وكان مع الثمانية آلاف جندي بريطاني ١٣ ألفاً من المصريين والسودانيين. وكان جيش التعايشي يزيد عن الخمسين ألفاً.

فتح كتشنر على جموع جيش الأنصار المدافع. كانوا يزحفون بملابسهم البيضاء موجة إثر موجة، وكان الإنجليز يعالجون زخوفهم بالمدافع أولاً ثم بالبنادق الرشاشة لمن لم يسقط بالقذائف، ثم بالبنادق يتصيدون بطلقاتها من تبقى. وانجلت هذه المقتلة عن ١٢،٠٠٠ قتيل سوداني، وأكثر منهم من الجرحى، ويخبرنا ونستون تشرشل الشاب، الذي شهد الواقعة، أن كتشنر نفسه كان يشجع جنوده على الإجهاز على الجرحى، طائفاً بينهم قائلاً «تذكروا غوردون»، الجنرال البريطاني الذي قتله جيش المهدي قبل خمس عشرة سنة. وخسر كتشنر ٤٧ جندياً فقط. ثم إنه نصف ضريح المهدي في أم درمان. ينقل لنا الوصف مع استنكار للفعلة تشرشل نفسه. وقد قيل إن الملكة فكتوريا العجوز بكت عندما علمت بتدنيس مقام المهدي.

حتى بعض الصحف البريطانية استنكرت وحشية كتشنر وجيشه، وصفه أحدهم قائلاً، كتشنر ليس إلا آلة للقتل، ولا بأس بعرضه في المعرض الدولي بباريس مع لافتة تقول آلة القتل في السودان.

فأين كان الضابط حافظ إبراهيم وقتها؟ كان في الخرطوم وعلى رأس عمله. فماذا صنع؟ لا تذكر لنا الكتب شيئاً عن ذلك، ولم أر أحداً اهتم بالأمر أصلاً، بله أن يبحث للشاعر عن مقلص (ألا بيا/برهان بالكينونة في مكان آخر).

أنت لا تشهد يوم القيامة بالبيجامة.

وتكملة القصة أن لندن أبرقت لكثشنر بما معناه: ليس ما ابتغيناه الانتقام لمقتل غوردون، الغرض وقف مطامع باريس في السودان. فانطلق كثشنر إلى فاشودة بالسودان حيث دس الفرنسيون مشط قدمهم في الباب. وبعد رفع البنادق ثم التفاوض ورحلت فرنسا عن السودان. ثم نوذي بكثشنر أن اذهب إلى الترانسفال بجنوب إفريقيا. لتصبح بطل حرب البوير. وفعل.

وذكر حافظ إبراهيم في كتابه «اليالي سطيح» بعض ما حدث في السودان. ذكر شيئاً على هامش الهامش، ولكن له دلالة.

لقد سحب البريطانيون من المصريين في الجيش الذخيرة. فغدت البنادق في أيديهم عصياً. فثار الضباط المصريون. واجتمعوا، وقال قاتل منهم - والنقل الآن حرفي عن حافظ -: «أليس من الخطأ أن تبقى هكذا الجنود، ونحن في بلد غير آمن، وهذه دماء أعدائنا لا تزال غريضة، وتلك أجسادهم تغدو عليها وتروح عنها جيوش العقبان والرخم، وقد أكل الحقد صدور أهل البقعة، وتغلغل الضغن في نفوسهم».

ويحدثنا حافظ بتطويل ممل عن استدراج الإنجليز للسودانيين في الجيش لمعرفة خبر هذا التمرد، وعن إسكارهم، وعن خيانة ضابط مصري لزملائه، وكيف أن الإنجليز توصلوا إلى قائمة بنحو ثمانين اسماً، ثم لم يريدوا إحداث ضجة فاختاروا منهم بالقرعة ثمانية عشر أحالوهم على الاستيداع وأعادوهم إلى مصر، وكان بينهم شاعرنا.

لا يذكر لنا حافظ، لا شعراً ولا نثراً شيئاً عن مقتلة أم درمان وما تلاها من فظائع. ونحب أن نظن أنه لكسله الشديد لم يضغط على زناد. على أننا من قليل ما وصلنا من أشعاره في السودان التي كان يبعث بها إلى أصدقائه في مصر، نعرف أن غاية همه كانت تذكر مجالس الخمر في مصر، والشكوى المتصلة من بقاءه في السودان، ورغبته الشديدة في العودة إلى مصر. لقد خدم حافظ في حلفا وطوكر وسواكن في السودان. ولكن نصه في «اليالي سطيح» الذي يعتبر الأنصار هم الأعداء صريح.

لقد كانت جموع السودانيين الذين ذبحهم كثشنر من المسلمين، وكان لسانهم عربياً، ولعل حافظ نسي ذلك وهو يكتب الأبيات الجميلة في نصرة الإسلام «سلام على الإسلام بعد محمد/ سلام على أيامه النضرات» وفي نصرة اللغة العربية «أنا البحر في أحشائه الدر كامن».

ثمة هيكل عظمي ههنا في خزانة سوداء أبقاها حافظ، وأبقاها الذين كتبوا عنه الكتب، مقفلة. وكلمة «أعدائنا» الواردة في المقتطف أعلاه من كلام حافظ بليغة في الإشارة إلى أنه وصحبه من الضباط كانوا يعتبرون جيش الأنصار السوداني «العدو».

لحافظ الضابط بضع قطع قصيرة في جندي مليح، إحداها صريحة «ومن عجب أن قلدوك مهنداً/ وفي كل لحظ منك سيف مهند». وهذا مألوف من رجل يحب الجمال وجد نفسه ضابطاً يقترب من الثلاثين وسط جنود، وانقطع عن الإناث زمناً. وفي قصص جيش إسبرطة، وجيوش العباسيين الثغرية حالات كهذه فشت حتى لقد صارت سمة من سمات ذينك المجتمعين.

أعيد حافظ أخيراً إلى مصر، محالاً على الاستيداع، ثم أحيل على المعاش بعد ثلاث سنوات ونصف السنة بناء على طلبه. كان ذلك في سنة ١٩٠٣.

تفرغ حافظ لأستاذه وإمامه محمد عبده مفتي الديار المصرية والقطب الفكري والعملية لحركة الإصلاح. ونهل من علم محمد عبده الغزير، وقيل إن الإمام كان يساعد حافظاً حتى في فهم اللغة الفرنسية التي أُلِم بها محمد عبده وهو في باريس. ومات الإمام عام ١٩٠٥ فقرأه حافظ بدموع حرى وظل يذكره في شعره فيما بعد. وفي عام ١٩٠٦ نجحت السيدة هانم في تزويج ولدها. لكنه لم يلبث مع زوجته سوى أربعة أشهر، لم يعد بعدها لزواج ولا لغير زواج. يقول أحمد حسن الزيات «ذوى في قلبه حب المرأة» ولا يزيد.

ونحن أيضاً لا نزيد. ولم نر في سيرة الرجل ما يدعم أية تكهنات. غير أننا نريد التنويه بكتاب جيد عن حافظ إبراهيم بقلم السيد محمود عبد الله، ولندخل إلى التنويه من هذا الباب الذي فتحناه والمتعلق بحقيقة ميول حافظ الجنسية. يعرض المؤلف لما أورده مؤرخ حافظ وصديقه الذي عايشه، أحمد محفوظ، من أن حافظاً انصرف عن تلك الزوجة لأنه لم يشاهدها قبل الزواج، فلم تقع في نفسه موقعاً حسناً، ويدير صفحتين على أن هذا لا يكفي لتبرير انصراف الشاعر عن المرأة كلياً بعد ذلك رغم أنه أصبح موسراً. وينتهي المؤلف إلى القول إن السبب هو ما «مني به من فتور في ميله الغريزي إلى الأنثى».

بعد سنتين من هذا الزواج الفاشل توفيت والدته حافظ، وكانت تعيش معه

في منزل مستقل. فانتقل مرة أخرى للعيش مع زوجة خاله التي رعاها حافظ في شيخوختها، وظلت تقيم معه عشرين سنة حتى ماتت.

ظل حافظ بعد وفاة الإمام، بل حتى في حياته، يغشى مجالس الوجهاء من أبناء الأسر الكبيرة وينال صلاتهم، وله مدائح في أبناء هذه الأسر. وظل ينشر شعره في المحافل، وأصبح ذا صيت. طرقت قصائده في الحرب الروسية اليابانية، وفي الإمام، وفي دنشواي، الأذان، وتندر الناس بأبياته في مجالسهم. ونشر كتاباً استحضر فيه روح الكاهن الجاهلي سطيع، وألقى على لسانه كلاماً عن السودان، كما أسلفنا، وعن دهاء الإنجليز وغطرسة ضباطهم. وهاجم أحمد شوقي في بضع صفحات.

كان في هذه الفترة ينظم الشعر محاولاً الوصول إلى السدة الخديوية، ولكن شوقي كان يسد عليه الطريق، وتقرب حافظ من شوقي، وأقر له في أبيات مفرقة على عدة قصائد بالسبق، ونشأت بين الرجلين علاقة طيبة. لكن شوقي ظل حتى النهاية ينزعج كلما قرن الناس اسمه باسم حافظ، فهو شاعر مصر الأوحد. قالها كذا مرة في شعره.

فرض حافظ وجوده بأشعاره الرنانة التي كانت تزداد رنيناً عندما يلقيها في حفلات التهنئة ومحافل التأبين الكثيرة التي كانت تلتقي فيها قصيدة حافظ مع قصيدة شوقي ملقاة على لسان آخر، فشوقي لا يحسن الإلقاء.

ظل حافظ يسترضي الإنجليز بأشعار «ماتت الملكة عاش الملك» ثم بقصيدة سيئة الصيت في وداع المعتمد البريطاني اللورد كرومر في أعقاب حادثة دنشواي. كان شوقي أيامئذ وطنياً، في تصنيف من يعشقون التصنيف، لكنه كان وطنياً من النافذة لا من الباب. فهو شاعر الخديوي عباس حلمي، في وقت كانت العلاقة فيه بين عابدين (قصر الخديوي) والدوبارة (قصر المعتمد البريطاني) متوترة. وكان حافظ أيامئذ حائراً بين مجالس العائلات ذوات الأطياف، وبين مصانعة الإنجليز، ومحاولة التقرب من السدة الخديوية، ومدح السلطان عبد الحميد، ثم الترحيب بعزله، وبين مدح الشوام الذين كان يسيطرون على الصحافة، ورتاء كبرائهم.

وفي أثناء هذا كله كان حافظ يقول شعراً يتوجع فيه للأيتام، ولضحايا الحريق في مصر والزلازل في إيطاليا، ويرى شوقي يرثي تولستوي فلا يقصر، فيرثي تولستوي. ومثلما كان يصانع الإنجليز كان يهاجم احتلالهم للبلاد.

وأخيراً انفتح له باب السماء. عينه وزير المعارف أحمد حشمت رئيساً للقسم الأدبي بدار الكتب. فعرف حافظ نعمة المرتب الجيد. وعاش عشرين سنة ممسكاً بالمرتب بكلتا يديه. ليس أنه كان موظفاً حسن الدوام والانضباط.. بهذا لا يكون حافظ حافظاً. كان شاعرنا يقضي ساعات الدوام على مقهى الكتبخانة. ويظل بين الحين والآخر على دار الكتب ليتحدث مع زملائه، وكان جل حديثهم عن العلاوات والتعيينات وما إلى ذلك من أحاديث الموظفين. من سنة ١٩١١ حتى خروجه من الوظيفة (أو «إخراجه» منها على يد حكومة إسماعيل صدقي/والعهدة في «الإخراج» على أحمد حسن الزيات) عام ١٩٣٢ ظل حافظ شاعراً موظفاً. يمدح بحساب ويرثي بغير حساب، فإن قال شعراً وطنياً فهو مقيس بمقياس الاعتدال والعمومية «وبناة الأهرام في سالف الدهر كفوني الكلام عند التحدي». وقامت الحرب العالمية الأولى فأنب حافظ الألمان على إضرام نارها، وانتهت الحرب، فلم يجد حافظ من يستحق الرثاء أو الممدح فمدح عمر بن الخطاب في ملحمة طويلة. وقامت ثورة ١٩١٩ في مصر، فقال حافظ شعراً وطنياً لم ينشره، لكنه انتشر بين الناس. وعاد شوقي من منفاه فحياه حافظ، وتوطد الود بين الشاعرين على قاعدة قبول حافظ أن يكون ثاني اثنين، مع أن شوقي المجلي ظل يرى نفسه الأوحد ولا ثاني له.

جمع الشاعرين مجلس سعد زغلول الذي جمع الأمة حوله، وعندما أقام سعد لشوقي حفل مبايعة بإمارة الشعر جاء حافظ مبايعاً. وبعدها بقليل، وفي العام نفسه ١٩٢٧، مات سعد زغلول فرثاه كل شعراء مصر وغير مصر.

كان من محاسن حافظ في هذه الفترة، وفي كل حياته، أنه ظل يسأل: لماذا لا نتقدم مثلما تقدمت أوروبا؟ لماذا لا نتعلم، ولماذا لا نتقن صناعاتنا، ولماذا لا تكون لنا أخلاق كأخلاقهم؟ كانت هذه الأسئلة التي يطرحها حافظ - رغم أنه لم تتوفر لها إجابات لا على لسانه، ولا في سلوكه الشخصي البوهيمي - الأسئلة الوجودية الحقيقية.

كان جواب طه حسين على مثل هذه الأسئلة حث الأمة المصرية على أن تكون جزءاً من أوروبا. وكانت إجابات بعض أصحابه الدستوريين تتمثل في أطراح الفصحى، وفي التخفف من التدين - على الأقل كانت هذه نصيحة اللورد كرومر قبل انصرافه - . ولكن الكل كان يجمع على ضرورة التعلم. واحتلقت

مصر بفتح جامعة، وظل حافظ متعجباً من ذلك النشاط عند الشوام، في مقابل ما ظنه خمولاً عند المصريين.

لقد كانت مصر وما زالت - ونكتب في ثاني يناير/كانون الثاني عام ٢٠١٧ - القاطرة في العالم العربي. لكنها قاطرة عتيقة تقطر عربات أعتق منها.

حملت مصر عن بغداد الراية بسقوط بغداد، وحتى قبل سقوطها، فالفاطميون كانت لهم خلافة بجانب الخليفة في بغداد، وكانوا يحكمون مصر وبعض الشام ولهم في المغرب وجود قوي وجذور. وحكم الأيوبيون مصر والشام، ومثلهم المماليك. ثم لما انضوى العرب تحت جناح الدولة العثمانية، خفت صوتهم وتبددت قيادتهم. لكن مصر كانت أول من رفع رأسه، فكان عهد محمد علي نهضة كبرى بلغ من قوتها أن جيشه هدد إستانبول، بعد أن سحق الجيش العثماني في قونية، ١٨٣٢، مما اضطر السلطان العثماني إلى الاستنجاد بقيصر روسيا لحماية عاصمته. وتدخلت القوى الأوروبية، وانكمش محمد علي، لكنه ظل يسيطر على مصر، وبعض الشام وبعض الحجاز، والسودان.

وكان الاحتلال الإنجليزي، ١٨٨٢، وقبله كان شق قناة السويس، وشهد عصر شاعرنا تمللاً مصرياً متصاعداً وسعيّاً إلى الاستقلال الحقيقي. ونالته مصر، وظلت تقود الأمة العربية في عهد عبد الناصر. وظلت نهضتها الاقتصادية اللحاقية - نسبة لشهوة اللحاق بأوروبا - أشواقاً.

ومصر اليوم ما تزال الكبرى عدد سكان، وهي رائدة الفن السينمائي وفنون الموسيقى وما زالت في الطليعة. إلا أنها ما تزال تبحث عن جواب السؤال: كيف نلحق بأوروبا؟ ومثلما كان لهذه المعضلة أثر في نفسية حافظ إبراهيم، فلها أثر في الشخصية المصرية اليوم.

ترى الممثل السوري أو التونسي لا يكاد ينزل مصر حتى يكتشف أن عليه أولاً أن يقدم فروض الولاء اللساني. فيقول للمذبة إن مصر أم الدنيا، وبقيّة هذا الموشح.

لقد تعمقت المعضلة المصرية باكتشاف النفط في دول الخليج، وبالتراجع في نمو الاقتصاد المصري. ظلت مصر القاطرة، ليس أنها قاطرة حديثة، ولكن لأن ما سواها لا يملك العمق الثقافي كي يقود. وكانت الحقبة السعودية (والتعبير لمحمد حسنين هيكل) حقبة سياسية فارغة من المحتوى النهضوي، والفكري.

نكتب هذا لما وجدناه من طرافة في التشابه بين مشاعر حافظ إبراهيم ومشاعر كثير من المصريين اليوم. فثمة أزمة نفسية عند مثقفي مصر، تلخصها عبارة «أم الدنيا». فكل نقد أو حتى تحليل يصدر عن عربي آخر محمول على الحسد. والبلوى أن بعض العرب الآخرين أصابتهم أزمة نفسية معاكسة فهم يضعون مسألة التصدر المصري موضع الشك، وموضع النفي. ثم تتدفق أنهار التلاسن فالتشاتم. هل أنت ممن يعاقر الإنترنت؟ إذن لا حاجة بي لسرد المزيد.

غير أنني أقول إن العمق التاريخي لمصر بوصفها القاطرة ذخير لا يملكه بنفس القدر أي بلد عربي آخر، والفرشة الاجتماعية الواسعة والخصبة في مصر منبع للفن والأدب، والتنوع الفكري في مصر - حتى عندما تمر في مخاض سياسي صعب - أمر لا يوجد في بلد عربي آخر.

هي رب الأسرة العربية، ورب الأسرة مريض نفسياً، وجسدياً. شفاه الله. وما يستر عليه أن أهل البيت كلهم مرضى، فإن كان في جيوب بعضهم دراهم كثيرة فهي دراهم ملوثة بالزيت والزفت. ولم أجد دراهم الزيت والزفت قد عادت على أهلها بعلم ولا بحضارة، لا بل هي اجتذبت غفيراً من البلاد الفقيرة لكي يتشوهوا بالكاش. هذه حال دول الفقر العربية مع دول الخليج الغنية، يأتي الرجال والنساء من دول الفقر إلى دول الخليج، ويعيشون كما يعيش الناس في معسكر عمل. وفيها يفقد أولادهم وبناتهم الحس الحضاري ويستعوضون عنه حساً استهلاكياً سمسرياً، ويعودون إلى بلاد الفقر ليشكلوا طبقة وسطى غير منتجة.

هذا كلام لا يعيدنا إلى شاعرنا بأي قدر من السهولة. لكن ربما استطعنا العودة.. بصعوبة. هو كلام ككلام شاعرنا.. كلام شخص محبط من حالة عربية فظيعة. بين عشية وضحاها انتقلت دول عربية عديدة من حال الاستقرار الخامل إلى حال الحرب الأهلية، والآفاق ملبدة بغيوم سود.

عاش حافظ إبراهيم حياته وبلاده تبحث عن نفسها، فقد رأى، وهو بعد طفل، الإنجليز يحتلون البلد ومات ولما تقلع مصر ذلك المسمار. وظل يحلم بأن تصبح مصر كاليابان. نحن الآن نحلم بأن تعود البلاد العربية عشر سنوات إلى الوراء.. إلى ذلك الاستقرار الخامل.

ها هي أشعار حافظ إبراهيم مرتبة القديم فالأحدث.

١ المعجز الثاني

تفريظ كتاب «فحول البلاغة» لمؤلفه السيد توفيق البكري، نشر البنان في (١٨٩٥):

هَذَا كِتَابٌ مُنْذُ بَدَأَ سِرُّهُ لِلنَّاسِ قَالُوا: مُعْجِزٌ ثَانٍ

منذ أن نشر كتابك ولم يعد سراً قال الناس هذا معجز ثانٍ بعد القرآن

أَثَابَكَ اللَّهُ عَلَى جَمْعِهِ ثَوَابَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانٍ

جزاك الله خيراً كجزاء عثمان الذي جمع القرآن

٢ استعطاف

كتب يستعطف محمد سليمان أباطة:

طَالَ الْحَدِيثُ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا السَّمَرُ وَلَاخَ لِلنُّومِ فِي أَجْفَانِكُمْ أَثَرُ

السمر: السامرون

وَذَلِكَ اللَّيْلُ قَدْ ضَاعَتْ رَوَاحِلُهُ فَلَيْسَ يُرْجَى لَهُ مِنْ بَعْدِهَا سَفَرُ

ضاعت رواحل، نياق، الليل فليس يرجح لنا فهو مقيم

هَذَا مِضَاجِعُكُمْ يَا قَوْمُ فَالْتَقِطُوا طَيْبَ الْكَرَى بِعُيُونِ شَاتِبِهَا السَّهَرُ

التسويد من الشاعر عمران القفني

أَبَيْتُ أَسْأَلُ نَفْسِي كَيْفَ قَاطَعَنِي هَذَا الصَّدِيقُ وَمَا لِي عَنْهُ مُضْطَبَّرُ

فَمَا مُطَوَّقَةٌ قَدْ نَالَهَا شَرُّكَ عِنْدَ الْغُرُوبِ إِلَيْهِ سَاقَهَا الْقَدَرُ..

ليست الحمامة المطوقة، التي كأن ريشها عند العنق طوق، وقعت في الشرك، الشبكة، عند

الغروب..

بَاتَتْ تُجَاهِدُ هَمًّا وَهِيَ آيَسَةٌ مِنَ النَّجَاةِ وَجُنْحُ اللَّيْلِ مُعْتَكِرُ..

وَبَاتَ زُغْلُولُهَا فِي وَكْرِهَا فِرْعَاؤُا مُرَوَّعًا لِرَجْوَعِ الْأُمِّ يَنْتَظِرُ..

يُحَفِّرُ الْخَوْفُ أَحْشَاءَهُ وَتُرْجَعُهُ إِذَا سَرَتْ نَسَمَةٌ أَوْ وَسَّوَسَ الشَّجَرُ..

يحرك الخوف أحشاء الزغلول، أي صغير الحمام، ويزعجه أي صوت في غياب أمه

مِثْنِي بِأَسْوَأَ حَالًا حِينَ قَاطَعَنِي هَذَا الصَّدِيقُ، فَهَلَّا كَانَ يَذْكُرُ؟

صغير الحمام ليس أسوأ حالاً مني عندما قاطعني هذا الصديق، فهلا تذكر صديقي صحبتنا فعدل

عما أتى به؟

يا ابنَ الكِرامِ أَتُنْسَى أَنَّنِي رَجُلٌ لِيُظِلَّ جَاهِكَ بَعْدَ اللّهِ مُفْتَقِرٌ
إِنِّي فَتَاكَ فَلَا تَقْطَعْ مُوَاصَلَتِي مَبْنِي جَنِيثٌ، فَقُلْ لِي كَيْفَ أُغْتَذِرُ؟

٣ أدرك فتاك

تهتة الإمام الشيخ محمد عبده بمنصب الإفتاء ١٨٩٩، وبعث بالآيات من السودان:

تَبَسَّمَ المِصْطَفَى فِي قَبْرِهِ جَدَلًا لَمَّا سَمَوْتَ إِلَيْهَا وَهِيَ مِعْطَالٌ
تَبَسَّمَ النَّبِيُّ فَرَحًا فِي قَبْرِهِ لَمَّا سَمَوْتَ وَارْتَفَعْتَ إِلَى وَظِيفَةِ الْإِفْتَاءِ، وَكَانَتْ مِعْطَالًا، غَيْرَ مَتَرْتِئَةٍ
بِالْخُلُقِيِّ

يَا مَنْ تَبَسَّمتِ الْفُتْيَا بِطَلْعِهِ أَدْرِكُ فَتَاكَ فَقَدْ ضَاقَتْ بِهِ الْحَالُ
يَا مَنْ تَبَسَّمتِ، تَفَاءَلَتْ، وَظِيفَةُ الْفَتَا بِطَلْعِهِ، مَحْيَا، الْحَقُّ فَتَاكَ فَهُوَ فِي ضَبِّ، وَحَالِهِ، وَهُوَ
ضَابِطٌ بِالسُّودَانِ، صَبَّةٌ

٤ جيش الأقداح

وَفَتَيَانِ أَنْسٍ أَقْسَمُوا أَنْ يُبَدِّدُوا جِيوشَ الدَّجَى مَا بَيْنَ أَنْسٍ وَأَفْرَاحٍ
فَهَبُّوا إِلَى خَمَّارَةٍ قَبِيلَ إِنَّهَا قَعْبِيدَةُ خَمْرِ تَمْزُجُ الرُّوحَ بِالرَّاحِ
الْخَمَارَةُ: صَاحِبَةُ الْحَانَةِ

وَقَالُوا لَهَا: إِنَّا أَتَيْنَا عَلَى ظَمَا نَحْوَالُ وَرَدَّ الرَّاحَ رَغْمًا عَنِ اللَّاحِي
جُنَّا عَطْشَانِينَ نَحْوَالُ وَرَدَّ الْخَمْرَ رَغْمَ اللَّاحِي، الْمَرْيُخُ

فَقَامَتْ وَفِي أَجْفَانِهَا كَسَلُ الْكَرَى وَفِي رِدْفِهَا، وَاسْتَمَرَّضَتْ جَيْشَ أَقْدَاحٍ

٥ عكوف

ذكرى مجلس شراب، بعث بها من السودان لأصحابه بمصر:

رُبَّ لَيْلٍ قَدْ تَعَاهَدْنَا عَلَى مَا تَعَاهَدْنَا، وَكُنَّا فَاعِلِينَ
فَقَضَيْنَاهُ، وَلَمْ نَحْفِلْ بِمَا سَطَّرَتْ أَيْدِي الْكَرَامِ الْكَاتِبِينَ
الْكَرَامِ الْكَاتِبُونَ: مَلَائِكَةُ تَسْجَلُ كُلَّ مَا يَفْعَلُ الْإِنْسَانُ

وَتَوَائِبُنَا إِلَى مَشْمُولَةٍ ذَاتِ أَلْوَانٍ تُسَرُّ النَّظَائِرِينَ
عَمَدَ السَّاقِي لِأَنَّهُ يَقْتُلُهَا وَهِيَ بِكْرٌ أَحْصَنْتْ مِنْذُ سَنِينَ
قَتَلَ الْخَمْرُ يَكُونُ بِمَزْجِهَا بِالْمَاءِ، وَهِيَ بِكْرٌ أَحْصَنْتْ، وَكَانَتْ مَصُونَةً، لَمْ تَمْسُهَا يَدٌ، مِنْذُ عُصِرَتْ

ثُمَّ لَمَّا أَنْ رَأَى عِفَّتَهَا خَافَ فِيهَا اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ
وَأَجَلْنَا الْكَأْسَ فِيمَا بَيْنَنَا وَعَلَى الصُّهْبَاءِ بَشْنَا عَاكِفِينَ

٦ القطيعة

بعتاب محمد البابلي، نشرت (١٩٠٠):

أَخِي وَاللَّهِ قَدْ مُلِئَ الْوِطَابُ وَدَاخَلَنِي بِصُحْبَتِكَ ارْتِيَابُ
ملئ الوطاب، امتلأ الوعاء وفاض بي وملئت منك، وصرت مرتاباً بصدافتك

رَجَوْتُكَ مَرَّةً وَعَتَبْتُ أُخْرَى فَلَا أَجْدَى الرَّجَاءِ وَلَا الْعِتَابِ
نَبَذْتُ مَوَدَّتِي، فَاغْنَأُ بِعُمْدِي فَأَخِرُ عَهْدِنَا هَذَا الْكِتَابِ

٧ أضرحه الأولياء

أَحْيَاؤُنَا لَا يُرَزِّقُونَ بِدِرْهَمٍ وبِأَلْفِ أَلْفٍ تُرَزِّقُ الْأَمْوَاتُ
عند قبور الأولياء صناديق يضع فيها الناس الدراهم

مَنْ لِي بِحَظِّ النَّائِمِينَ بِحُفْرَةٍ قَامَتْ عَلَى أَحْجَارِهَا الصَّلَوَاتُ
يَسْعَى الْأَنَامُ لَهَا، وَيَجْرِي حَوْلَهَا بَحْرُ النُّذُورِ، وَتُقْرَأُ الْآيَاتُ

٨ قَلَمًا لَوْ سَمَحْتَ!

مدح محمود سامي البارودي، أكتوبر/نشرين الأول (١٩٠٠):

أَعْرَضَنِي لِمَدْحِكَ الْبِرَاعَ الَّذِي بِهِ تَحُطُّ، وَأَقْرِضْنِي الْقَرِيضَ الْمُسَدَّدَا
البراع: القلم

سَلَبْتُ بِحَارَ الْأَرْضِ دُرَّ كَنْزِهَا فَأَمَسْتُ بِحَارُ الشَّعْرِ لِلدَّرِّ مَوْرَدَا
الدَّر: اللؤلؤ. المعنى الملموح: كأنك - بإحيائك الشعر وإعادته إلى رونقه القديم - جعلت كل
لآلئ البحار موجودة في الشعر، فصارت «بحور» الشعر مصدر اللؤلؤ

٩ البدلة القديمة.. والجديدة

يصف كساء له، نشرت (١٩٠٠):

لِي كِسَاءٌ أَنْعَمَ بِهِ مِنْ كِسَاءٍ أَنَا فِيهِ أَتَيْتُ مِثْلَ الْكِسَائِي
الكسائي: من نحاة الكوفة، ومشاهير القراء

صَجَبْتَنِي قَبْلَ اصْطِحَاكِ دَهْرًا بَذَلْتُ فِي تَلَوْنِ الْحَرْبَاءِ

كانت بدلكه السابقة تتغير ألوانها فتبت لتعرضها للشمس والمطر فهي كالحرباء

نَسَبُوهَا لِطَبِيلَسَانَ ابْنِ حَرْبٍ نِسْبَةً لَمْ تَكُنْ بِذَاتِ افْتِرَاءٍ

طيلسان ابن حرب: كساء جاء ابن حرب للشاعر الحمدوي، وظل يعيره به حتى بعد أن اُعترا الكساء شر اُعتراء، وكُتبت في هذه الكساء أشعار كثيرة

كَسَفَ الدَّهْرُ لَوْنَهَا وَاسْتَعَارَتْ لَوْنَ وَجْهِ الْكَذُوبِ عِنْدَ اللَّقَاءِ

يا رِدَائِي جَعَلْتَنِي عِنْدَ قَوْمِي فَوْقَ مَا أَشْتَهِي وَفَوْقَ الرُّجَاءِ

قِيَمَةُ الْمَرْءِ عِنْدَهُمْ بَيْنَ ثَوْبٍ بَاهِرٍ لَوْنُهُ وَبَيْنَ جِذَاءِ

قَعَدَ الْفَضْلُ بِي، وَقُمْتُ بِعِزِّي بَيْنَ صَحْبِي، جُزَيْتَ خَيْرَ الْجَزَاءِ

١٠ الذنب للقدماء

عام (١٩٠٠):

هَذَا الظَّلَامُ أَثَارَ كَامِنٍ دَائِي يَا سَاقِيَّ عَلَيَّ بِالصَّهْبَاءِ

مَسْمُومَةٌ لَوْلَا الثَّقَى لَعَجِبْتُ مِنْ تَحْرِيمِهَا، وَالذَّنْبُ لِلْقُدَمَاءِ ..

لولا أنني بقي لتعجبت كيف أن الله حرم الخمر، والذنب في تحريمها للقدماء ..

قَرَّبُوا الصَّلَاةَ وَهُمْ سُكَارَى بَعْدَمَا نَزَلَ الْكِتَابُ بِحُكْمَةٍ وَجَلَاءِ

فقد قربوا الصلاة سكارى بعد أن قال لهم القرآن «ولا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى» فحرم الله الخمر تحريماً كاملاً

يَا طَبَّ جَالِينُوسَ فِي أَنْوَاعِهِ مَا لِي أَرَاكَ كَشِيرَةِ الْأَعْدَاءِ

أيتها الخمرة .. يا طب جالينوس، لماذا يجورون عليك كثيراً ..

عَصْرُوكَ مِنْ خَدْيٍ سُهَيْلٍ خُلْسَةً ثُمَّ اخْتَبَأَتْ بِمُهْجَةٍ الظُّلَمَاءِ

عصروك من خدي نجم سهيل، وهو نجم لامع محمر، ثم عتقوك في قلب الظلام

فَلَبِثْتَ فِيهَا قَبْلَ نُوحٍ جَقَبَةً وَتَدَاوَلَتْكَ أَنْامِلُ الْأَنْاءِ

فبقيت في قلب الظلام زمناً سبق نوح، وتداولتك أصابع الأناء، المصور

حَتَّى أَنَاخَ اللَّهُ أَنْ تَجْجَمَلِي بِسَيْدِ الْكَرِيمِ وَرَاخَةَ الْأَدْبَاءِ

حتى أذن الله أن تظهري بهية في يد الكريم وفي أكف الأدباء

١١ الكاس والطاس

بحث حافظ بهذه الآيات إلى الكاتب محمد المويلحي (١٩٠٠):

أَوْشَكَ الدِيكَ أَنْ يَصِيحَ، وَنَفْسِي بَيْنَ هَمٍّ وَبَيْنَ ظَنٍّ وَحَدْسِ
يَا غُلَامُ.. المَدَامَ وَالْكَاسَ وَالطَّاسَ مَنْ، وَهَيَّءْ لَنَا مَكَاناً كَأَمْسِ
أَطْلِقِ الشَّمْسَ مِنْ غَيَاطِ هَذَا الدَّ... نَّ، وَأَمْلَأْ مِنْ ذَلِكَ الثُّورِ كَأَسِي
خُمْرَةً قَبْلَ إِنَّهُمْ عَصَرُوهَا مِنْ خُدُودِ الْمِلَاحِ فِي يَوْمِ عُرْسِ

١٢ اليأس

نشرت في ديسمبر/ كانون الأول (١٩٠٠):

سَعَيْتُ إِلَى أَنْ كِدْتُ أَتَعَلَّ الدِّمَاءَ وَعُدْتُ وَمَا أُعْجِبْتُ إِلَّا الشَّنْدُمَا
أَتَعَلَّ الدَّمُ: أَلَسَ الدَّمُ كَأَنَّهُ نَعْلُ

لَحَى اللَّهُ هَذَا الْقَاسِطِينَ الَّذِي بِهِ تَهَدَّمُ مِنْ بُنْيَانِنَا مَا تَهَدَّمَا
القاسطين: الظالمين

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَلْقَى السَّعَادَةَ بَيْنَهُمْ فَلَا تَكُ مِصْرِيّاً وَلَا تَكُ مُسْلِمَا
سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا سَلَامٌ مُودَعٍ رَأَى فِي ظِلَامِ الْقَبْرِ أَنْسَاءً وَمَغْنَمَا
أَضَرَّتْ بِهِ الْأُولَى فَهَامَ بِأَخْتِهَا فَإِنْ سَاءَتِ الْأُخْرَى فَوَيْلَاهُ مِنْهُمَا
الأولى: الدنيا، الأخرى: الآخرة

فَهُبِّي رِيَّاحَ الْمَوْتِ نُكْباً وَأُظْفِي سِرَاجَ حَيَاتِي قَبْلَ أَنْ يَتَحَقَّقَمَا
نُكْباً: آتية من كل الجهات

فَمَا عَصَمْتَنِي مِنْ زَمَانِي فَضَائِلِي وَلَكِنْ رَأَيْتُ الْمَوْتَ لِلْحُرِّ أَعْصَمَا
أعصم: أكثر حماية

فِيَا قَلْبَ لَا تَجَزَّعْ إِذَا عَضَّكَ الْأَسَى فَإِنَّكَ بَعْدَ الْيَوْمِ لَنْ تَتَأَلَّمَا
وَيَا قَدَمِي مَا سِرَّتْ بِي لِمَذَلَّةٍ وَلَمْ تَرْتَقِي إِلَّا إِلَى الْعِزِّ سُلَّمَا
فَلَا تُبْطِئِي سَبْراً إِلَى الْمَوْتِ، وَاعْلَمِي بِأَنَّ كَرِيمَ الْقَوْمِ مَنْ مَاتَ مُكْرَمَا
وَيَا نَفْسُ كَمْ جَسَمْتُنْكَ الصَّبْرَ وَالرُّضَا وَجَسَمْتَنِي أَنْ أَلْبَسَ الْمَجْدَ مُعْلَمَا

معلماً: متخذاً شارة الحرب، وكان الفارس البطل يميز نفسه بعلامة

فَمَا اسْطَعْتُ أَنْ تَسْتَرِنِي مَرَّةً طَفَعِهِ وَمَا اسْطَعْتُ بَيْنَ الْقَوْمِ أَنْ أَتَقَدَّمَا
 فِهَذَا فِرَاقُ بَيْنِنَا فَتَجَمَّلِي فَإِنَّ الرَّدَى أَحْلَى مَذَاقًا وَمَقْلَعَمَا
 وَيَا قَبْرُ لَا تَبْخُلْ بِرَدِّ تَحِيَّةِ عَلَى صَاحِبِ أَوْفَى عَلَيْنَا وَسَلَامَا
 يريد أن يكون فيه كريماً فيرد التحية على من يزوره

١٣ الإخفاق بعد الكدّ

نشرت (١٩٠٠):

كَمْ هَمْتُ فِي الْبَيْدِ وَالْأَرَامِ قَائِلَةً وَالشَّمْسُ تَرْمِي أَدِيمَ الْأَرْضِ بِاللَّهَبِ
 همت على وجهي كثيراً في الصحارى والأرام، الظباء، قائلة، غافية في قيلولة، والشمس ملتهبة
 وَكَمْ لَيْسْتُ الدُّجَى وَالتُّرْبُ نَاعِسَةً وَاللَّيْلُ أَهْدَأُ مِنْ جَاشِي لَدَى التُّوبِ
 كم قد لست ثوب الظلام والتراب ناعس مرطب بالندى، والليل أهدأ من جاشي، قلبي، لدى
 حلول المصائب

وَالنَّجْمُ يَعْجَبُ مِنْ أَمْرِي وَيَحْسَبُنِي لَدَى الشَّرَى ثَامِنًا لِلسَّبْعَةِ الشُّهُبِ
 لَكُنْتُ غَيْرُ مَجْدُودٍ، وَمَا قَتَيْتُ يَدُ الْمَقَادِيرِ تُفْصِنُنِي عَنِ الْأَرْبِ
 غير مجدود: غير محظوظ

فَقَدْ عَدْتُ مَصْرُ فِي حَالٍ إِذَا ذُكِرَتْ جَادَتْ جُفُونِي لَهَا بِاللُّؤْلُؤِ الرَّطِبِ
 إِذَا نَطَقْتُ فِقَاعُ السَّجَنِ مُتَكَأً وَإِنْ سَكَتُ فَإِنَّ النَّفْسَ لَمْ تَطِبِ
 قاع السجن: كان السجن في الزمن القديم حفرة عميقة، كذلك التي سجن عمر بن الخطاب فيها
 الحطينة، (ألقيت كاسهم في قعر مظلمة، فاغفر عليك سلام الله يا عمر)

أَبِشْنَكِي الْفَقْرَ عَادِينَا وَرَائِحُنَا وَنَحْنُ نَمْشِي عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ؟

١٤ الأيام دول

نشرت في يونيو/حزيران (١٩٠٢):

لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا بِأَيْدِينَا إِلَّا بِقِيَّةٍ دَمَعٍ فِي مَآقِبِنَا
 كُنَّا قِلَادَةَ جِيدِ الدَّهْرِ فَانْفَرَطَتْ وَفِي بَمِينِ الْعُمَلَا كُنَّا رِيَاحِينَا
 كَانَتْ مَنَازِلُنَا فِي الْعَرْزِ شَامِخَةً لَا تُشْرِقُ الشَّمْسُ إِلَّا فِي مَغَانِينَا
 كأنه يريد أن يقول إن الشمس لم تكن تشرق إلا على بلد تحكمه مصر الفرعونية، وفي هذا الكلام
 نظر، ولكن بما أن الإنجليز كانوا في وقتها كذلك.. فلا أحد أحسن من أحد

حَنِي عَذُونَا وَلَا جَاءَ وَلَا نَشَبَ وَلَا صَدِيقٌ وَلَا خِلٌ يُوَاسِينَا

النشَب: المال

١٥ الملك الساهر

نهضة إدوارد السابع البريطاني بتوجيه، أغسطس/ آب (١٩٠٢):

لَا تَعَجَبَنَّ لِمُلْكٍ عَزَّ جَانِبُهُ لَوْلَا التَّعَاوُنُ لَمْ تَنْظُرْ لَهُ أَثَرَا
مَا نَلَّ رَبُّكَ عَرْشاً بَاتَ يَحْرُسُهُ عَدْلٌ، وَلَا مَدَدٌ فِي سُلْطَانٍ مَنَ عَدَرَا
نَلَّ: هدم

خَبِرْتُهُمْ فَرَأَيْتُ الْقَوْمَ قَدْ سَهَرُوا عَلَى مِرَافِقِهِمْ، وَالْمَلِكُ قَدْ سَهَرَا
الإنجليز حرصوا على مصالحهم، وملكهم حرص أيضاً

تَشَاوَرُوا فِي أُمُورِ الْمُلْكِ مِنْ مَلِكٍ إِلَى وَزِيرٍ إِلَى مَنْ يَغْرِسُ الشَّجَرَا
وكلهم في الشورى مشتركون حتى البستاني، يشير بإعجاب إلى الديمقراطية في بريطانيا

١٦ أنا البحر

اللغة العربية تشكو حظها بين أهلها، نشرت (١٩٠٣):

رَجَعْتُ لِنَفْسِي فَاتَّهَمْتُ حَصَاتِي وَنَادَيْتُ قَوْمِي فَاحْتَسَبْتُ حَيَاتِي

رجعت لنفسي - تقول اللغة العربية - فاتهمت حصاتي، أي عقلي، وناديت قومي لنصرتي فلم يتحركوا لي، فاحتسبت أجري عند الله في حياتي التي ستقضي.. إذ ها هم أهلي يتركونني أموت

رَمَوْنِي بِعُقْمٍ فِي الشَّبَابِ، وَلَيْتَنِي عَقِمْتُ فَلَمْ أَجْزَعْ لِقَوْلِ عُدَاتِي

أنا شابة فهل ترمي الفتاة الشابة بالعقم.. وليتني كنت عقيماً حقاً فلا أكثرث لرمي بالعقم لأنه عندئذ حقيقة لا مجرد اتهام

وَلَدْتُ، وَلَمَّا لَمْ أَجِدْ لِعَرَائِسِي رَجَالاً وَأَكْفَاءَ وَأَدْتُ بِنَاتِي

على أنني ولدت فعلاً.. فلست عقيماً، ولدت ألفاظاً حسناً وأدباً جليلاً.. ولما وجدت قومي غير أكفاء لبناتي العرائس وأدتهن

وَسِعْتُ كِتَابَ اللَّهِ لَفْظاً وَغَايَةً وَمَا ضِغْتُ عَنْ آيٍ بِهِ وَعِظَاتٍ

كل ما في القرآن من لفظ ومن غرض في هداية الناس ومن عظات قد وسعته وعبرت عنه، أنا اللغة العربية

فَكَيْفَ أَضِيقُ الْيَوْمَ عَنْ وَصْفِ آلِهِ وَتَنْسِيقِ أَسْمَاءِ لِمُخْتَرَعَاتِ

وقد «نسق» حافظ إبراهيم وزميله خليل مطران أسماء كثيرة لمفاهيم في علم الاقتصاد عندما ترجموا كتاب «الموجز في علم الاقتصاد» ونشر عام ١٩١٣، مثال ذلك تعريبهما للبورصة بـ «المَصْفَق».. أي حيث تتم الصفقات، ولعمري لو درج هذا الاسم للبورصة لكان حلواً، وكم من رجل صفقته البورصة صفقات مؤلمة على حر وجهه

أَنَا الْبَحْرُ فِي أَحْسَائِهِ الدُّرُّ كَامِنٌ فَهَلْ سَأَلُوا الْغَوَاصَ عَنْ صَدَفَاتِي

إن كنت سمعت البرنامج الإذاعي «لغتنا الجميلة» لفاروق شوشة، وفي مقدمة كل حلقة هذا البيت مقروءاً بـ «سألوها» بدل «سألوا»، فهذا جائز في العروض أيضاً، ونظن أن حافظاً كان سيأخذ بهذه القراءة لو سمعها، ففيها مدّ كان سيعجب حافظاً الخطيب المنشد. لكن «سألوا» أحسن للمعنى، فالعرب أهملوا لغتهم ولم يكلفوا أنفسهم عناء سؤال الغواص عن دررها ولو مرة واحدة، لا مساءلته مرة بعد مرة

فِيَا وَيَحْكُمُ أَبْلَى، وَتَبْلَى مَحَاسِنِي وَمِنْكُمْ، وَإِنْ عَزَّ الدَّوَاءُ، أَسَاتِي
أَسَاتِي: أطباتي

فَلَا تَكِلُونِي لِلزَّمَانِ فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَحْبِنَ وَفَاتِي
تكلوني للزمان: تتركوني، وتوكلوا بي الزمان

أَرَى لِرِجَالِ الْغَرْبِ عِزًّا وَمَنْعَةً وَكَمْ عَزَّ أَقْوَامٌ بِمِزْ لُغَاتِ
أَتَوْا أَهْلَهُمْ بِالْمَعْجَزَاتِ تَفْتَنًا فَيَا لَيْتَكُمْ تَأْتُونَ بِالْكَلِمَاتِ
أَيُطَرِّبُكُمْ مِنْ جَانِبِ الْغَرْبِ نَاعِبٌ يُنَادِي بِوَادِي فِي رِبْعِ حَيَاتِي
في تلك السنين اشتدت الدعوة إلى العامية، وقال بها عدد من المستشرقين الذين رأوا لهجات البلدان العربية مختلفة جداً، ورأوها سائرة في طريق التبلور إلى لغات

أَرَى كُلَّ يَوْمٍ بِالْجَرَائِدِ مَزْلَقًا مِنْ الْقَبْرِ يُدْنِينِي بِغَيْرِ أُنَاةٍ
وَأَسْمَعُ لِلْكِتَابِ فِي مِصْرَ ضَجَّةً فَأَعْلَمُ أَنَّ الصَّائِحِينَ نُعَاتِي
كان من بين الدعاة إلى العامية عدد من كتاب مصر أيضاً، وكان هناك من يدعون إلى تبسيط اللغة، ونبد الألفاظ المماتة

أَيَهْجُرُنِي قَوْمِي - عفا الله عنهم - إِلَى لُغَةٍ لَمْ تَتَّصِلْ بِرُؤَاةٍ
سَرَتْ لُوثَةُ الْإِفْرَنْجِ فِيهَا كَمَا سَرَى لُعَابُ الْأَفَاعِي فِي مَسِيلِ فُرَاتٍ
سرت لوثة، جنون، الإفرنج الداعين إلى التجديد والعامية في هذه «اللغة» العربية المجددة التي لم تصل برواة، لم ترد على السنة قدامى الرواة، مثلما يسري سم الأفاعي في مجرى ماء فورات، عذب

فجاءت كشوب ضَمَّ سبعين رُقعةً مُشكَّلةً الألوانِ مُختلِفاتِ
اللغة المجددة كالثوب المرقع.. فهي مشحونة بالكلمات الأجنبية، أو غير المقبولة معجماً

١٧ بشكل عام.. لا شيء

قال في زواج الشيخ علي يوسف صاحب «المؤيد» من صفية السادات ومحاولة والدها التفريق بينهما لعدم الكفاءة، فالشيخ جورنالجي و«السادات» عائلة تزعم أنها من نسل الحسين، وتكلمة القصة أن صفية عادت إلى زوجها ورضي أبوها بعد تحايل ووسائط، ولم يقل حافظ رأياً صريحاً جريئاً بل حام حول الموضوع، نشرت القصيدة في سبتمبر/ أيلول (١٩٠٤):

فما أنتِ يا مصرُ دارَ الأديبِ	ولا أنتِ بالبلدِ الطَّيِّبِ
وكم فيك يا مصرُ من كاتبِ	أقالَ السِّراعَ ولم يَكُثِبِ
وكم غَضِبَ الناسُ مِن قِبلنا	لَسَلِبِ الحقوقِ، ولم نَغضِبِ
أنايئةَ العصرِ إنَّ العَرِيبِ	مُجِدُّ بِمِضَرٍ، فلا تُلْعَبِني

نابئة العصر: النشء الجديد

يقولون: في النِّشءِ خيرٌ لنا	وللنِّشءِ شرٌّ مِنَ الأجنبي
وكم ذا بِمِضَرٍ مِنَ المُضْحِكَاتِ	كما قال فيها أبو الطَّيِّبِ
أُمُورٌ تُمُرُّ وعِيشٌ يُمُرُّ	ونحنُ مِنَ اللُّهُوِ في مَلْعَبِ

عيش يُمر: يصبح مُراً

وشَعَبٌ يَفِرُّ مِنَ الصَّالِحَاتِ	فَرَارَ السَّالِمِ مِنَ الأَجْرَبِ
وَصُخْفٌ تَطِنُّ طَنِينُ الذُّبَابِ	وأخرى تَشُنُّ على الأَقْرَبِ
وهذا يَلُودُ بِقِصْرِ الأميرِ	وَيَدْعُو إلى ظِلِّهِ الأَزْحَبِ
وهذا يَلُودُ بِقِصْرِ السِّفِيرِ	وَيُظَنِّبُ في وَرْدِهِ الأَعْدَبِ
أَلِفْنَا الحُمُولَ ويا لَيْتَنَا	أَلِفْنَا الحُمُولَ ولم نَكُذِبِ

١٨ أمنية

بهنئ الخديوي عباساً الثاني بالعام الهجري مارس/ آذار (١٩٠٤):

أَمَولايَ إنَّ الشرقَ قد لَاحَ نَجْمُهُ وَأَنَّ له بَعْدَ المَمَاتِ نُشُورُ
لاح نجمه: بدا في أفقه نجم السعد، والحظ الطيب، والنشور: البعث بعد الموت

جَرَتْ أُمَّةُ الْيَابَانِ شَوْطاً إِلَى الْعُلَا وَمَصْرٌ عَلَى آثَارِهَا سَتْسِيرُ

١٩ أنا يابانية

نشرت في أبريل/ نيسان (١٩٠٤):

لَا تَلُمُ كَفِّي إِذَا السِّيفُ نَبَا صَحَّ مِنِّي الْعِزْمُ، وَالدَّهْرُ أَبِي

لا تلمني إذا نبا سيفي ولم يقطع، أي فشلت في الحياة... فلقد صححت العزم، ولكن الدهر أبي أن يسميني بالخط... كان حافظ قد ترك الجيش قبل سنة من تاريخ هذه القصيدة، وعاد إلى حياة لا تخلو من نشر

رُبَّ مَسَاعٍ مَبْصِرٍ فِي سَفِيهِ أَخْطَأُ التَّوْفِيقَ فِيمَا طَلِبَا

مرحبا بالخطب يبلوني إذا كانت العليا في السببا

مرحبا بالشائد إذا كانت الطريق إلى المعالي

عَقَّنِي الدَّهْرُ وَلَوْلَا أَنَّنِي أُوشِرُ الْحُسْنَى عَقَقْتُ الْأَدْبَا

إيه يا دنيا اعيسي أو فانبسي لا أرى برقك إلا خلأبا

يا دنيا أنت خداعة كالبرق الذي يشر بالمطر ولكن، لا يأتي بعده مطر

أَنَا لَوْلَا أَنَّ لِي مِنْ أَمْنِي خَاذِلًا مَا يَتُّ أَشْكُو النَّوْبَا

أمة قد فت في ساعدها بغضها الأهل وحب الغربا

فت في ساعدها: أضعتها

تَعَشَّقُ الْأَلْقَابَ فِي غَيْرِ الْعُلَا وَتُقَلِّدِي بِالنَّفُوسِ الرُّتْبَا

وكان حافظ برتبة ملازم أول، ولكنه كان لامباليا وصرف من الخدمة، وقالوا إنه كان كثير المخالفة للضباط الإنجليز أيضاً

وَهِيَ وَالْأَحْدَاثُ تَسْتَهْدِفُهَا نَعَشَّقُ اللَّهْوَ وَتَهْوَى الطَّرْبَا

لا ثبالي لعب القوم بها أم بها صرف الليالي لعبا

القوم: الإنجليز

لَبِئْهَا نَسْمَعُ مِنِّي قِصَّةً ذَاتَ شَجْوٍ وَخَدِيشٍ عَجَبَا:

كنت أهوى في زماني عادة وهب الله لها ما وهبا

ذات وجه مزج الحسن به صفرة تُنْسِي الْيَهُودَ الذُّهْبَا

وجهها فيه صفرة لأنها يابانية

حَمَلْتُ لِي ذَاتَ يَوْمٍ نَبَأً لَا رَحْمَكَ اللَّهُ يَا ذَاكَ النَّبَأِ
وَأَنْتَ تَخْطِرُ وَاللَّيْلُ قَتْنِي وَهَلَالُ الْأَقْنِي فِي الْأَقْنِي حَبَا
ثُمَّ قَالَتْ لِي بِشْغَرٍ بِاسِمٍ نَظَّمُ الدُّرَّ بِهِ وَالْحَبَبَا
تَغْرَهَا بِاسْمٍ وَتَبْدُو أَسْنَانَهَا الَّتِي كَانَ فِيهَا نَظْمُهَا مِنَ اللُّوْلُو أَوْ مِنَ الْحَبِّ، فَقَافِعِ الْكُؤُوسِ
نَبِّأُونِي بِرَحِيلٍ عَاجِلٍ لَا أَرَى لِي بَعْدَهُ مُنْقَلَبَا
مقلب: رجوع

وَدَعَانِي مَوْطِنِي أَنْ أَغْتَدِي عَلَنِي أَقْضِي لَهُ مَا وَجَبَا
نَذْبَحُ الدُّبَّ وَنَقْرِي جِلْدَهُ أَبْظُنُّ الدُّبَّ إِلَّا يُغْلَبَا
الدب: روسيا

قُلْتُ وَالْآلَامُ تَفْرِي مُهْجَتِي: وَبِكَ! مَا تَصْنَعُ فِي الْحَرْبِ الظَّبَا؟
ويك: ويحك، الظبا: الظباء

مَا عَهَدْنَاهَا لِظَنِّي مَسْرَحاً يَبْتَغِي مَلَهًى بِهِ أَوْ مَلْعَبَا
لَيْسَتْ الْحَرْبُ نَفُوساً تُشْتَرَى بِالْتَّمَنِي أَوْ عُقُولاً تُسْتَبَى
الحرب ليست مجالاً للنساء يشترين فيه نفوس الرجال بالأماني الكواذب، أو يسيين عقولهم بالدلال

أَحْسِبْتُ الْقَدَّ مِنْ عُذَّتْهَا أَمْ ظَنَنْتِ اللَّحْظَ فِيهَا كَالشَّبَا؟
القَد المباس ليس من عتاد الحرب، واللحظ الفتان ليس كالشبا، سن الرمح

فَسَلِّينِي، إِنَّنِي مَارَسْتُهَا وَرَكِبْتُ الْهَوْلَ فِيهَا مَرْكَبَا
وَتَقَحَّمْتُ الرَّدَى فِي غَارَةٍ أَسْدَلُ النَّفْعُ عَلَيْهَا هَيْدَبَا
افتحمت الموت في غارة هبط فيها النفع، الغبار، فكانه الهيدب، الغيم

قَطَّبْتُ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهَا لَنَا فَرَأَيْتُ الْمَوْتَ فِيهَا قَطْبَا
يصف الحرب بأنها قطبت جبينها فكانها الموت

جَالَ عِزْرَانِيْلُ فِي أَنْحَائِهَا تَحْتَ ذَاكَ النَّفْعِ يَمْشِي الْهَيْدَبَى
ونحت غبار الحرب مشى عزرائيل يخترم الأنفس ويمشي الهيدبي، مشية سريعة للإبل

فَدَعِيهَا لِلَّذِي يَعْرِفُهَا وَالزَّمِي يَا ظَبِيَّةَ الْبَانِ الْعِجْبَا
الزمي خيائك، خيمتك أيتها الظبية واتركي الحرب لأهلها

فَأَجَابَنِي بِصَوْتِ رَاصِنِي وَأَرْنَنِي الظَّنِّي لَيْثاً أَغْلَبَا:
 إِنَّ قَوْمِي اسْتَعْمَدُوا وَرَدَ الرَّدِّي كَيْفَ تَدْعُونِي أَلَا أَشْرَبَا؟
 أَنَا يَابَانِيَّةٌ لَا أَتَنَسِّي عَنْ مُرَادِي أَوْ أَذُوقُ الْمَطْبَا
 أَنَا إِنْ لَمْ أَحْسِنِ الرَّنِّي، وَلَمْ تَسْتَطِيعَ كَفَّايَ تَقْلِيْبَ الظُّبَا

الظبا: جمع ظبة وهي حد السيف

أَخْذُمُ الْجَرَحَى وَأَقْضِي حَقَّهُمْ وَأَوَاسِي فِي الْوَعَى مَنْ تُكَبَا
 هَكَذَا الْمِبْكَادُ قَدْ عَلَّمَنَا أَنْ نَسْرَى الْأَوْطَانَ أُمَّأَ وَأَبَا

الميكادو: كلمة يابانية كانت تستعمل في الإنجليزية لتعني «الحضرة الإمبراطورية اليابانية»، ولا يستعملها اليابانيون

مَلِكٌ يَكْفِيكَ مِنْهُ أَنَّهُ أَنْهَضَ الشَّرْقَ فَهَرَّ الْمَغْرِبَا
 وَإِذَا مَارَسْتَهُ أَلْفَيْتَهُ حَوْلًا فِي كُلِّ أَمْرٍ قُلْبَا

الحَوْلُ القُلْبُ: الداهية الأريب

كَانَ وَالتَّاجَ صَغِيرَيْنِ مَعَاً وَجَلَالَ الْمُلْكَ فِي مَهْدِ الصُّبَا

أيامئذ كان الإمبراطور الياباني هو «موتوهيتو»، وهو أول أباطرة أسرة ميحي، بدأ الحكم وهو في الخامسة عشرة، كان صغيراً وكان تاج الأسرة جديداً، وفي عهده بدأ النهوض الكبير لليابان

فَقَدَا هَذَا سَمَاءً لِلْعُلَا وَغَدَا ذَلِكَ فِيهَا كَوْكَبَا
 بَعَثَ الْأَمَةَ مِنْ مَرْقَدِهَا وَدَعَاها لِلْعُلَا أَنْ تَذَابَا
 فَسَمَتْ لِلْمَجْدِ تَبْغِي شَأْوَهُ وَقَضَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَأْرَبَا

شأوه: غايته. ومع أسرة ميحي نهضت اليابان نهضة أدهشت العالم، وأكثر شخص في هذا العالم اندهش منها وهش لها حافظ إبراهيم، لأن قلبه كان يخفق بشوق لأن تنهض مصر مثل اليابان

٢٠ الصفر والبيض

الحرب اليابانية الروسية، نشرت في نوفمبر/ تشرين الثاني (١٩٠٤):

أَسَاحَةٌ لِلْحَرْبِ أَمْ مَحْضَرُ وَمُزِرُّ الْمَوْتِ أَمْ الْكَوْثَرُ؟

أهذه ساحة حرب أم يوم القيامة الذي تحشر فيه النفوس؟ وهذا مورد، منهل ويتبع، للموت، أم هو نهر الكوثر في الجنة؟ وما الذي حشر نهر الكوثر هنا؟ سوى القافية، وسوى أن المحشر استدعاها، رغم أن المعنى ياباها

وَهَذِهِ جُنُودٌ أَطَاعُوا هَوَىٰ أَرْبَابِهِمْ، أَمْ نَعَمَ تُنْحَرُونَ؟

أربابهم: آيادهم، نَعَم: إيل

لِلَّهِ مَا أَقْسَىٰ قُلُوبَ الْأَلَىٰ قَامُوا بِأَمْرِ الْمُلْكِ وَاسْتَأْثَرُوا!

الآلى: الذين، استأثروا: استبدوا

وَعَرَّهْمُ فِي الدَّهْرِ سُلْطَانُهُمْ فَأَمْعَنُوا فِي الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرُوا

قَدْ أَقْسَمَ الْبَيْضُ بِصُلْبَانِهِمْ لَا يَهْجُرُونَ الْمَوْتَ أَوْ يُنْصَرُوا

البيض: الروس

وَأَقْسَمَ الصُّفْرُ بِأَوْثَانِهِمْ لَا يُغْمِدُونَ السَّيْفَ أَوْ يَظْفَرُوا

الصففر: اليابانيون

فَمَادَتِ الْأَرْضُ بِأَوْتَادِهَا حِينَ الثَّقَى الْأَبْيَضُ وَالْأَصْفَرُ

وَائْتَمَلَتْهَا خَمْرَةٌ مِنْ دَمٍ يَلْهُو بِهَا الْمِكَاذُ وَالْقَبِصَرُ

الميكادو: لقب إمبراطور اليابان، والقبيصر: لقب إمبراطور روسيا

وَأَشْبَهَتْ يَوْمَ الْوَعَىٰ أُخْتَهَا إِذْ لَاحَ فِيهَا الشَّقَقُ الْأَخْمَرُ

أخت الأرض: الشمس

وَأَصْبَحَتْ تَشْتَاقُ طُورَ قَانِهَا لَعَلَّهَا مِنْ رِجْسِهَا تَظْهَرُ

نبينا المازني في كتابه الذي ندم عليه أن البيت مستوحى من أبي العلاء: (وَالْأَرْضُ لِلْقُلُوبَانِ مُشْتَاقَةٌ/ لَعَلَّهَا مِنْ دَرَنِ تَغْشَى)، وانظر كتابنا «تألق الشعر»، وفيه مئة وخمسون صفحة من مختاراتنا من شعر أبي العلاء، مسبوقة بثلاثين صفحة عن قصة حياته. وكانت أبيات لزوميات أبي العلاء مما يشهد به حافظ كثيراً

أَشْبَعَتْ بِأَحْرَبِ ذَنَابِ الْقَلَا وَغَضَّتِ الْعِقْبَانُ وَالْأَنْسُرُ

هذا لما أكلته هذه الجوارح والكواسر من لحم القتلى

وَمِيرَتِ الْحَيَاتَانِ فِي بَحْرِهَا وَمَطَمَعُ الْإِنْسَانِ لَا يُقْدَرُ

ميرت: رُودت بالميرة أي الغذاء، لا يقدر: لا حيلة

إِنْ كَانَ هَذَا الدُّبُّ لَا يَنْتَنِي وَذَلِكَ التَّنِينُ لَا يُفْهَرُ

وَالْبَيْضُ لَا تَرْضَى بِخِذْلَانِهَا وَالصُّفْرُ بَعْدَ الْيَوْمِ لَا تُكْسَرُ

فَمَا لِتِلْكَ الْحَرْبِ قَدْ شَمَرَتْ عَنْ سَاقِهَا حَتَّى قَضَى الْعَسْكَرُ

إن كانت النتيجة مجرد قتل بغير حسم، فلماذا الحرب والتقتيل؟ والواقع أن اليابان حسمت الحرب لصالحها بنصر مؤزر

تَسُوْنَا الْحَرْبُ وَإِنْ أَصْبَحَتْ نَدْعُو رَجَالَ الشَّرْقِ أَنْ يَفْخَرُوا

يفخر الشرقيون بانتصار اليابان الشرقية على روسيا التي تعد من بلدان الغرب

أَتَى عَلَى الشَّرْقِيِّ حَبِيبٌ إِذَا مَا ذُكِرَ الْأَحْيَاءُ لَا يُذَكَّرُ

وَمَرَّ بِالشَّرْقِ زَمَانٌ وَمَا يَمُرُّ بِالْبَالِ وَلَا يَخْطُرُ

حَتَّى أَعَادَ الصُّفْرُ آبَامَهُ فَانْتَصَفَ الْأَسْوَدُ وَالْأَسْمَرُ

٢١ رثاء محمود سامي البارودي

يناير/كانون الثاني (١٩٠٥):

رُدُّوا عَلَيَّ بَيَانِي بَعْدَ مَحْمُودٍ إِنِّي عَيْبٌ وَأَعْيَا الشَّعْرُ مَجْهُودِي

مَا لِلْبَلَاغَةِ غَضْبَى لَا تُطَاوِعُنِي وَمَا لِحَبْلِ الْقَوَافِي غَيْرَ مَمْدُودِي؟

لَقَدْ نَزَحْتَ عَنِ الدُّنْيَا كَمَا نَزَحْتُ عَنْهَا لِيَالِيكَ مِنْ بَيْضٍ وَمِنْ سَوْدٍ

رَحَلْتَ عَنِ الدُّنْيَا بَعْدَ أَنْ قَعَدْتَ بِكَ الْحَالَ، وَفَقَدْتَ الْبَصْرَ، فَلَمْ تَبْقَ لَكَ تِلْكَ اللَّيَالِي السَّوْدُ
الْكُتِيَّةُ، وَلَا تِلْكَ الْبَيْضُ فِي أَيَّامِ عَزْكَ بِمَا فِيهَا مِنْ لَهْرِ

أَغْمَضْتَ عَيْنِيكَ عَنْهَا وَازْدَرَيْتَ بِهَا قَبْلَ الْمَمَاتِ، وَلَمْ تَحْفَلْ بِمَوْجُودِ

تَجْرِي السَّلَاسَةُ فِي أَثْنَاءِ مَنْطِقِهِ تَحْتَ الْفَصَاحَةِ جَرِي الْمَاءِ فِي الْعُودِ

إِنْ هَذَا رُكْنُكَ مَنكُوبًا فَقَدْ رَفَعْتَ لَكَ الْفَضِيلَةُ رُكْنًا غَيْرَ مَهْدُودِ

بنكيتك يا محمود سامي البارودي، وعزلك وتفيك إلى سيلان هَذَا ركنك، ولكن فضلك رفع لك
ذكرًا عاليًا

إِنَّ الْمَنَاصِبَ فِي عَزَلٍ وَتَوَلَّيَ غَيْرُ الْمَوَاهِبِ فِي ذِكْرِ وَتَخْلِيدِ

أَكْرَمَ بِهَا زَلَّةً فِي الْعَمْرِ وَاحِدَةً إِنْ صَحَّ أَنَّكَ فِيهَا غَيْرُ مَحْمُودِ

الزلة: الخطأ في تقدير الموقف أثناء الثورة العربية، ولكن... لعلها ليست زلة بل موقف وطني
مشرف

كَمْ وَقْفَةً لَكَ وَالْأَبْطَالُ طَائِرَةٌ وَالْحَرْبُ تَضْرِبُ صِنْدِيدًا بِصِنْدِيدِ

نَسَحْتُ يَوْمَ كَرِيدٍ كُلَّ مَا نَقَلُوا فِي يَوْمِ ذِي قَارَ عَنْ هَانِي بْنِ مَسْعُودِ

يوم كريد: الحرب في جزيرة كريت تحت الراية العثمانية. وكان البارودي ضابطاً في تلك الحملة،
وهاني بن مسعود بطل ذي قار

أَوْدَى المَعْرِي تَقِيَّ الشَّعْرِ مُؤْمِنُهُ فَكَادَ صَرَحَ المَعَالِي بَعْدَهُ يُودِي
مات المعري الذي كان تقياً وموئناً في شعره (وإن لم يكن كذلك في معتقده!) وكاد صرح الشعر
يموت بعد المعري، وقد ظل الشعر يتحدر بعد المعري ألف سنة حتى جاء البارودي فأحياء

وَأَصْبَحَ الشَّعْرُ وَالْأَسْمَاعُ تَنْبُذُهُ كَأَنَّهُ دَسَمَ فِي جُوفِ مَمْعُودِ
المعمود: المصاب في معدته. وكان حافظ يشكو دائماً من أمعائه ويقول إنها نقطة الضعف التي
ستقتله.. ونال حافظ علقه ساخنة على هذا التشبيه من النقاد

أَلْوَى بِهِ الضَّعْفُ وَاسْتَرْخَتْ أَعْيُنُهُ فِرَاحَ يَعْتَرُّ فِي حَسْرِ وَتَعْقِيدِ
ألوى بالشعر الضعف، أي أنهكه، واسترخت أعينه، كما يصبح مقود الفرس رخواً غير مشدود فهو
متعب قد كف عن الجري. وهذا من بيت الطرماح، يتخيل كيف سيصبح حال الشعر بعد موته:
(إِذَا قُبِضَتْ نَفْسُ الطَّرِمَاحِ أَخْلَقَتْ/ غُرَى المَجْدِ وَاسْتَرْخَى عِنانُ القِصَائِدِ)

٢٢ سلام على الإسلام

رثاء الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، أغسطس/ آب (١٩٠٥):

سَلَامٌ عَلَى الْإِسْلَامِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ سَلَامٌ عَلَى أَيَّامِهِ النَّضِيرَاتِ
على الدين والدنيا، على العلم والحجاء على البرِّ والتقوى، على الحسنات
لقد كنتُ أخشى عادي الموتَ قبلَه فأصبحتُ أخشى أن تطولَ حياتي
فواللهفي - والقبرُ بيني وبينَه - على نظرةٍ من تِلْكَمُ النَّظَرَاتِ
أنحسر المآ الآن، إذ يقف القبر عائقاً بيني وبين الإمام، على نظرة من نظرائه

وَقَفْتُ عَلَيْهِ حَاسِرَ الرَّأْسِ خَاشِعاً كَأَنِّي - حِيَالِ القَبْرِ - فِي عَرَافَاتِ
وقفت حاسراً عن رأسي. وعندما كنت حيال قبر الإمام، أي بجانبه، كنت كأني واقف بعرفات
خشوعاً. التسويد من عمران القفيني

تَبَارَكْتَ؟ هَذَا الدِّينُ دِينُ مُحَمَّدٍ أَيْتَرُكَ فِي الدُّنْيَا بِغَيْرِ حُمَاةٍ؟
تباركت يا رب، أترك الإسلام بدون حماة يحمونه؟

تَبَارَكْتَ؟ هَذَا عَالِمُ الشَّرْقِ قَدْ قَبِضَ وَلَانَتْ قَنَاةُ الدِّينِ لِلْعَمَزَاتِ
لانت قناة الدين للغمزات: أصبح مكشوفاً معرضاً للاعتداء

زَرَعْتَ لَنَا زَرْعاً فَأَخْرَجَ شَطْأَهُ وَبِنْتٌ وَلَمَّا نَجَّتِ الثَّمَرَاتِ
أخرج شطأه: أنبت رؤوس سنبله، بنت: فارقت

مَشَى نَعْشُهُ يَخْتَالُ عَجَباً بِرَبِّهِ وَيَخْطُرُ بَيْنَ اللَّئِمِسِ وَالْقُبُلَاتِ
 مَشَى النَعَشُ مَخْتَالاً فَخَوَّراً بِرَبِّهِ، بِصَاحِبِهِ، وَالنَّاسِ يَلْمُسُونَهُ وَيَقْبَلُونَهُ تَبَرُّكاً
 تَكَادُ الدِّمَوعُ الْجَارِيَاتُ تُقِلُّهُ وَتَدْفَعُهُ الْأَنْفَاسُ مُسْتَعِيرَاتِ
 نقله : تحمله

٢٣ آلة تسحق الكسل

إلى رجال الدنيا الجديدة، أنشدها في حفل كلية البنات الأمريكية بمصر لتوزيع
 الشهادات على خريجاتها، مايو/ أيار (١٩٠٦):

كَاشَفَ الْكَهْرِبَاءُ لَيْتَكَ تُعْنَى بِاخْتِرَاعِ يَرَوْضُ مِنَّا الطُّبَاعَا
 آلَةُ تَسْحَقُ التَّوَاكُلَ فِي الشَّرِّ قِي، وَتُلْقِي عَنِ الرِّبَاءِ الْقِنَاعَا
 يهيب بلاديسون أن يخترع آلة تزيل الكسل والتفاق

٢٤ إلى ناظر المعارف

سعد زغلول، نشرت في ديسمبر/ كانون الأول (١٩٠٦):

يَا سَعْدُ أَنْتَ مَسِيحُهَا فَاجْعَلْ لِهَذَا الْمَوْتِ حَدًّا
 والسيح أحيا الموتى

يَا سَعْدُ إِنَّ بِمِصْرَ أَيْدٍ تَامَةً تُؤْمَلُ فِيكَ سَعْدَا
 السعد: الحظ الحسن

فَدَقَامَ بَيْنَهُمْ وَيَدِ نَ الْعِلْمِ ضَيْقُ الْحَالِ سَدًّا
 أَنَا لَا أَلُومُ الْمَسْتَشَا رَ إِذَا تَعَلَّلَ أَوْ تَصَدَّى

كان دنلوب هو «المستشار» الإنجليزي لشؤون التعليم، وسعد زغلول هو الوزير، وكان بينهما شد
 وجذب. سعد يريد تعليمًا وطنيًا واسعاً والمستشار الإنجليزي يريد تعليمًا ضيقاً يوفر طبقة موظفين
 لإدارة الروتين الحكومي

فَسَبِيلُهُ أَنْ يَسْتَبِيدَ وَشَأْنُنَا أَنْ نَسْتَعِيدَ
 هِيَ سُنَّةُ الْمُخْتَلِّ فِي كُلِّ الْعُصُورِ، وَمَا تَعْدَى
 وما تعدى: ما تجاوز المتوقع منه، ولكنه بالطبع معتد أليم

٢٥ صيدوا العباد

حادثة دنشواي، وقُتل فيها جندي إنجليزي، ربما بضربة شمس وهو يصطاد ورفاقه الحمام، فشَقَّ الإنجليز أربعة رجال وجلدوا العشرات في قرية دنشواي، بعد محاكمة هزيلة ثار لها الإنجليز أنفسهم، وأدت إلى هزل المعتمد البريطاني كرومر بعد أشهر. فضلنا القول في الحادثة في الفصل المخصص لأحمد شوقي. نشرت القصيدة في يوليو/تموز (١٩٠٦):

أيها القائمون بالأمرِ فينا هل نسيئُكم ولأنا والودّاد
القائمون بالأمر: الإنجليز

خَفِّضُوا جِبَشَكُمْ وناموا هنيئاً وابتَغُوا صِيْدَكُمْ وَجُوبُوا الْبِلَادَا
وَإِذَا أَعْوَزَتْكُمْ ذَاتُ طُغْيٍ بَيْنَ تِلْكَ الرُّبَا قَصِيدُوا الْعِبَادَا
إِنَّمَا نَحْنُ وَالْحَمَامُ سَوَاءٌ لَمْ تُغَايِزْ أَطَوَائِنَا الْأَجِيَادَا
لبعض الحمام شبه أطواق من الريش عند الرقبة، ونحن مطوقون بقيود الاحتلال في أجيادنا، رقابتنا

لَا تُقِيدُوا مِنْ أُمَّةٍ بِقَتِيلٍ صَادَتْ الشَّمْسُ نَفْسَهُ حِينَ صَادَا
تقيدوا: تقتضوا قصاصاً

جَاءَ جُهَاْلُنَا بِأَمْرِ وَجِئْتُمْ ضِعِفَتْ ضِعْفَيْهِ قَسْوَةٌ وَاشْتَدَّادَا
لَبِثَ شِعْرِي أُنْثَلَكُ مَحْكَمَةُ التَّفْ تَبِثْ عَادَتْ أَمْ عَهْدُ نِيرُونِ عَادَا؟
محاكم التفثيش: محاكم ظالمة عقدها الإسبان على مدى ٣٥٠ سنة للتخلص من آثار الحكم العربي في الأندلس، نيرون: إمبراطور روماني قيل إنه أحرق روما وقعد يتفرج عليها

كَيْفَ يَحْلُو مِنَ الْقَوِيِّ التَّشْقِي مِنْ ضَعِيفٍ أَلْقَى إِلَيْهِ الْقِيَادَا
إِنَّهَا مُثَلَّةٌ تَشِفُّ عَنِ الْعَيْ ظَ وَلَسْنَا لِعَيْنِظْكُمْ أَنْدَادَا
التشفي بالضعيف هو كالمثلة، أي التمثيل بالمقتول

أَيُّهَا الْمُدَّعِي الْعُمُومِيُّ مَهْلًا بَعْضَ هَذَا فَقَدْ بَلَغَتْ الْمُرَادَا

المدعي العمومي في تلك المحكمة كان إبراهيم الهلباوي، وكان القاضي أحمد فتحي زغلول أخص سعد زغلول، وقد كان الهلباوي من أشهر المحامين، وندم على فعلته واعتذر من مواطنيه بعد أربع سنين، وكان له دور في الحركة الوطنية، وكان القاضي أحمد فتحي زغلول من كبار المثقفين والداعين للتحرر ومن الوطنيين في الحركة العربية. ولكن الرجلين عاشا بعد دنشواي وماتا خائنين، وظل الشعب يحترقهما لأنهما احتقرا الشعب ورضيا أن يكونا أداة للمحتل. ألا إن الإنسان موقف

قَدْ ضَمِينَا لَكَ الْقَضَاءَ بِمِصْرٍ وَضَمِينًا لِنَجْلِكَ الْإِسْعَادَا

وترقى الهلباوي فعلاً بعد دوره الشيع

لَا جَرَى النِّيلُ فِي تَوَاحِيكِ يَا مِصْرَ رُ، وَلَا جَادُكَ الْحَيَا حَيْثُ جَادَا

الحيا: المطر

أَنْتِ أَنْبَتِ ذَلِكَ النَّبْتُ يَا مِصْرَ رُ فَأُضْحَى عَلَيْكَ شَوْكًا قَتَادَا

القتاد: الشوك

إِيوِ يَا مِذْرَةَ الْقَضَاءِ وَيَا مَنْ سَادَ فِي غَفْلَةِ الزَّمَانِ وَشَادَا

المندره: الزعيم

أَنْتِ جَلَّادُنَا فَلَا تَنْسِ أَنَا قَدْ لَبِسْنَا عَلَى يَدَيْكَ الْجِدَادَا

قيل: أنشد المصريون هذا البيت في جازة الهلباوي عام ١٩٤٠

٢٦ الظلم المنظم

شكوى مصر من الاحتلال، نشرت في يناير/كانون الثاني (١٩٠٧):

لَقَدْ كَانَ فِينَا الظُّلْمُ فَوْضَى فَهَذَّبْتُ حَوَاشِيَهُ حَتَّى بَاتَ ظُلْمًا مَنْظُمًا

عَمِلْتُمْ عَلَى عِزِّ الْجَمَادِ وَذُلُّنَا فَأَعْلَبْتُمْ طِينَنَا وَأَرْخَضْتُمْ دِمَا

إِذَا أَخْصَبَتْ أَرْضٌ وَأَجْدَبَ أَهْلُهَا فَلَا أَطْلَعَتْ نَبْتًا وَلَا جَادَهَا السَّمَاءَا

السما: المطر

نَهَشْتُ إِلَى الدِّبْتَارِ، حَتَّى إِذَا مَشَى بِهِ رُبُّهُ لِلشُّوقِ أَلْفَاهُ دِرْهَمَا

فَإِنَّ كَثِيرَ الْمَالِ - وَالْخَفْضُ وَارِفٌ - قَلِيلٌ إِذَا حَلَّ الْغَلَاءُ وَخَيَّمَا

٢٧ العهدة على الراوي

وداع اللورد كرومر، قالها عند استقالته، ونشرت في أبريل/نيسان (١٩٠٧):

سَلَامٌ، وَلَوْ أَنَا نُسِيءُ إِلَى الْأَلَى أَسَاءُوا إِلَيْنَا مَا مَدَدْنَا لَهُمْ يَدَا

سَنْظَرِي أَيَادِيكَ الَّتِي قَدْ أَقْضَيْتَهَا عَلَيْنَا فَلَسْنَا أُمَّةً تَجْحَدُ الْبِدَا

أبيدك: أفضالك

أَمِنَّا فَلَمْ يَسْلُكْ بِنَا الْخَوْفُ مَسْلَكًا وَنَمِنَا فَلَمْ يَطْرُقْ لَنَا الدُّعْرُ مَرْقَدًا

وَكُنْتَ رَحِيمَ الْقَلْبِ تَحْمِي ضَعِيفَنَا وَتَدْفَعُ عَنَّا حَادِثَ الدَّهْرِ إِنْ عَدَا
تَشَعَّبَتِ الْأَرَاءُ فِيكَ: فَقَائِلُ أَفَادَ الْغِنَى أَهْلَ الْبِلَادِ وَأَسْعَدَا
وَأَخَّرُ لَمْ يَقْصِرْ عَلَى الْمَالِ هَمُّهُ يَرَى أَنَّ ذَاكَ الْمَالَ لَا يَكْفُلُ الْهُدَى
بعضهم نظر إلى فوائد حصلت عليها البلاد في عهد كرومر وبعضهم قال إن المال ليس كل شيء.

قَضَيْتَ عَلَى أُمِّ اللُّغَاتِ، وَإِنَّهُ قَضَاءُ عَلَيْنَا أَوْ سَبِيلُ إِلَى الرَّدَى
كان كرومر قليل الاعتبار للغة العربية وللدين الإسلامي، ويرى أن طريق مصر هو التحرر من الماضي

وَوَافَيْتَ وَالْقُطْرَانِ فِي ظِلِّ رَايَةٍ فَمَا زِلْتَ بِالسُّودَانِ حَتَّى تَمَرَّدَا
وَحَاوَلْتَ إعْطَاءَ الْعَرَبِ مَكَانَةً تَجُرُّ عَلَيْنَا الْوَيْلَ وَالذُّلَّ سَرْمَدَا
شجع كرومر الأجانب ونشاطهم التجاري، ومنحهم امتيازات غير متاحة للمصريين، وهذا جر على مصر الذل الرمدي، الأبدى

وَزَاخَمْنَا فِي الْعَيْشِ كُلِّ مُمَارِسٍ خَبِيرٌ، وَكُنَّا جَاهِلِينَ وَرُقْدَا
وَمَا الشَّرَكَاتُ السُّودُ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ سِوَى شَرَكٍ يُلْقِي بِهِ مَنْ تَصَيَّدَا
المتصيد لخيرات البلاد الأخرى يلقي الشرك، أي الشبكة، في هذه البلاد على هيئة شركة. الدول الخائرة العزم، حتى يومنا هذا، تغنى بالاستثمار وتشجيع الاستثمار وجلب الاستثمارات الأجنبية. ما لها لا تغنى بالتصنيع والتعليم كي يفتح أهل البلد المصانع والشركات؟

فَهَذَا حَدِيثُ النَّاسِ وَالنَّاسُ أَلْسُنٌ إِذَا قَالَ هَذَا، صَاحَ ذَاكَ مُفْنَدَا
اكتفى حافظ من وداع كرومر بسرد ما يقوله الناس من مادح وقادح. ولم يفت هذا الموقف الخشّي متقدي حافظ

٢٨ رثاء قاسم أمين

يونيو/حزيران (١٩٠٨):

لَهْفِي عَلَيْكَ قَضَيْتَ مُرْتَجِلاً لَمْ تَشْكُ، لَمْ تَسْتَوْصِ، لَمْ تَقُلْ
مُتَّ مَوْتًا ارْتَجَالِيًّا بَلَا شَكْوَى مِنْ مَرَضٍ وَبَلَا وَصِيَةٍ

إِنْ رَيْتَ رَأْيًا فِي الْحِجَابِ وَلَمْ تُعْصِمْ، فِتْلَكَ مَرَاتِبُ الرُّسُلِ
لئن كنت ريت، أي رأيت، رأياً ضد الحجاب، ولم تُعصم من الخطأ، فلا بأس فالعصمة للأنبياء

الْحَكْمُ لِلْأَيَّامِ مَرَجِعُهُ فِيمَا رَأَيْتَ، فَتَنْمُ وَلَا تَسَلْ
فلا تهتم، فالحكم بشأن الحجاب متروك للأيام المقبلة

وكذا طُهاهُ الرّاي تَسْرِكُهُ لِلدَّهْرِ يُنْضِجُهُ عَلَى مَهَلٍ
فإذا أَصْبَتْ فانتَ خَيْرُ فَتَى وَضَعَ الدَّواءَ مَوَاضِعَ الْعِلَلِ
أو لا، فَحَسْبُكَ ما شَرُفَتْ بِهِ وَتَرَكْتَ فِي دُنْيَاكَ مِنْ عَمَلٍ

٢٩ الدخول بين السلطان والوالي

تهنئة السلطان عبد الحميد بعبد جلوسه، سبتمبر/أيلول (١٩٠٨):

مِنِّي عَلَى دارِ السَّلامِ تَحِيَّةٌ وَعَلَى الْخَلِيفَةِ مِنْ بَنِي عِثْمَانَ
دار السَّلام، هنا، إستانبول عاصمة الخلافة

وعلى رجالِ الجيْشِ مِنْ ما شِى بِهِ أَوْ رَاكِبٍ أَوْ نَازِحٍ أَوْ دَانٍ
يُحِمِّي مِنَ الْجَيْشِ الْمَشاةَ وَالْخَيْالَةَ، وَالنَّازِحَ الْبَعِيدَ فِي مَهْمَةٍ، وَالِدَانِي الْقَرِيبَ الْمُرَابِطَ فِي الدِّيَارِ
وعلى الْأَلَى سَكَنُوا إِلَى الْحُسْنَى، سَوَى ذَاكَ الَّذِي يَدْعُو إِلَى الْعَصِيانِ
الألى: الذين

والى الْحِجَازِ الْخَارِجِيَّ، وَمَا بِهِ إِلَّا اقْتِنَاصُ الْأَصْفَرِ الرِّئَانِ
بِخِلَافِ وَالِي الْحِجَازِ الْخَارِجِيِّ الْعَاصِي الَّذِي يَقْتَنِصُ الْأَصْفَرَ الرِّئَانَ، الذَّهَبَ، مِنْ أَمْوَالِ الْحَجِّ
مَا لِلشَّرِيفِ الْمُتَنَمِّيِّ حَسْبًا إِلَى خَيْرِ الْبَرِّيَّةِ مِنْ بَنِي عَدْنَانٍ..
ما لي أرى شريف مكة الذي ينتمي بنسبه إلى النبي..

أَمْسَى يُمَالِئُهُ وَيَنْضُرُّ عَيْبُهُ وَضَلَّالُهُ بِحُثَالَةِ الْعُرْبَانِ
ما لي أراه بماليء الوالي، يطاوعه، ويؤيد ضلاله ببعض من أبناء القبائل من الحثالة، أردأ الناس
تَالُوْهُ لَوْ جَنَّدْتُمَا رَمَلَ النِّقا وَنَزَلْتُمَا بِمَوَاطِنِ الْعُقْبَانِ..
فيا والي الحجاز ويا شريفها لو جندتما من الجنود بعدد حبات رمل النقا، الكتيب، ولو رابطتما
في أماكن العقبان، الصقور والنسور، في معاقلها الجبلية..

وَعَرَسْتُمَا أَرْضَ الْحِجَازِ أَرِئَةً وَأَسَلْتُمَا بَحْرًا مِنَ النِّيرَانِ..
ولو غرستما الحجاز بأسنة الرماح، ولو سالت النيران من أسلحتكما..
وَأَقَمْتُمَا فِيهَا الْمَعَاقِلَ مَنَعَةً مِنْ أَرْضِ نَجْدٍ إِلَى خَلِيجِ عُمانِ..
ولو أقمتما الحصون المنيعة من نجد إلى عمان..

لَدَهَاكُمَا وَرَمَّاكُمَا وَذَرَّاكُمَا مَاحِيِ الْحُصُونِ وَمَاسِيحُ الْبُلْدَانِ
لدهاكما السلطان العثماني، فاجأكما بالنكبة، ولترككما كالغبار تذروه الريح... فهي الذي يمحو
الحصون ويمسح البلاد مسحاً

٣٠ سورة ومصر

القاهيا في فندق شبرد لتكريم جماعة من السوريين، ونشرت في مارس/ آذار (١٩٠٨):

لِمِصْرَ أَمْ لِرُبُوعِ الشَّامِ تَنْتَسِبُ هُنَا الْعُلَا وَهُنَاكَ الْمَجْدُ وَالْحَسَبُ
رُكْنَانِ لِلشَّرْقِ لَا زَالَتْ رُبُوعُهُمَا قَلْبُ الْهَلَالِ عَلَيْهَا خَافِقُ يَجِبُ

لا زالت: أدعو الله أن تبقى، وخير لا زال الجملة الاسمية (قلب الهلال خافق) الهلال: رمز
الدولة العثمانية وكانت آنذاك تحكم مصر إسمياً وبلاد الشام فعلياً، يجب: يخفق

خِذْرَانِ لِلضَّادِ لَمْ تُهَتِّكَ سَتُورُهُمَا وَلَا تَحَوَّلَ عَنْ مَغْنَاهُمَا الْأَدَبُ

خدران للضاد: بيتان للغة العربية، والخدر حجرة النساء في الخيمة أو البيت

أُمُّ اللِّغَاتِ عِدَاةُ الْفَخْرِ أُمُّهُمَا وَإِنْ سَأَلْتَ عَنِ الْأَبَاءِ فَالْعَرَبُ
إِذَا أَلَمْتُ بِوَادِي النِّيلِ نَازِلَةٌ بَاتَتْ لَهَا رَاسِيَاتُ الشَّامِ تَضْطَرِبُ

نازلة: مصيبة، الراسيات: الجبال

وَإِنْ دَعَا فِي تَرَى الْأَهْرَامِ دُوَ أَلَمِ أَجَابَهُ فِي ذُرَا لُبْنَانَ مُنْتَجِبُ
لَوْ أَخْلَصَ النِّيلُ وَالْأُرْدُنُّ وَدَّهُمَا تَصَافَحَتْ مِنْهُمَا الْأَمْوَاءُ وَالْعُشْبُ
نَسِيمَ لُبْنَانَ! كَمْ جَادَتْكَ عَاطِرَةٌ مِنْ الرِّيَاضِ وَكَمْ حَيَّاكَ مُنْسَكِبُ؟
فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ أَنْفَاسٌ مُسْعَرَةٌ تَهْفُو إِلَيْكَ وَأَكْبَادُهَا لَهَبُ

أنفاس المغترين في أصقاع الأرض تهفو، تهب حينئذ، إلى الوطن لبنان

لَوْلَا طِلَابُ الْعُلَا لَمْ يَبْتَغُوا بَدَلًا مِنْ طِيبِ رِيَّاكَ، لَكِنَّ الْعُلَا تَعَبُ

التسويد لعمران القفني

كَمْ غَادَةِ بِرُبُوعِ الشَّامِ بَاكِيتُ عَلَى أَلَيْفٍ لَهَا يَرْمِي بِهِ الطَّلَبُ

كم فتاة تبكي على زوج رمى به طلب المعاش إلى الهجرة

يَمْضِي وَلَا حِيلَةَ إِلَّا عَزِيمَتُهُ وَيَنْشَنِي وَحُلَاهُ الْمَجْدُ وَالذَّهَبُ

يذهب وليس معه إلا العزم، ويتشي، أي يعود، ومعه مجد ومال

بِأَرْضِ كَوْلُمْبِ أَبْطَالٍ حَطَارِفَةٍ أَسَدٌ جِيَاعٌ إِذَا مَا وُؤِثِبُوا وَثَبُوا

أرض كولمب: أميركا، وفيها أسود بلاد الشام الذين يفغزون على الرزق قفراً. جمعني جامع ذات سنة، لعلها ٢٠٠٧، بوزير الخارجية البرازيلي، وكانت تصحبه زوجته. وسألته ملياً عن أبناء بلده ذوي الأصل الشامي، ويسمونهم توركو، أي الأتراك لأنهم هاجروا في زمن كانت بلاد الشام فيه تحت الحكم التركي، وكنت مهتماً بسيرة الشاعرين القروي وفرحات اللذين عاشا في البرازيل، وتحدث طويلاً، وفي ختام حديثه أشار إلى زوجته الجالسة بجانبه: «هي أيضاً سورية الأصل»

أَسْطَوَلُهُمْ أَمَلٌ فِي الْبَحْرِ مُرْتَجِلٌ وَجِيشُهُمْ عَمَلٌ فِي الْبَرِّ مُفْتَرِبٌ

ما هابَهُمْ أَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ قَدْ ثُفِرُوا فَالشُّهُبُ مَنثورَةٌ مَذْكَانَتِ الشُّهُبُ

رَادُوا الْمَنَاهِلَ فِي الدُّنْيَا، وَلَوْ وَجَدُوا إِلَى الْمَجَرَّةِ رَكْباً صَاعِداً رَكِبُوا

كانوا رواداً لمنايع الرزق

سَعَوْا إِلَى الْكَسْبِ مَحْمُوداً وَمَا قِئْتُ أُمُّ اللَّغَاتِ بِذَاكَ السَّعْيِ تَكْتَسِبُ

أم اللغات، اللغة العربية، انتعشت على السنة، وفي صحف، المغترين زمناً. ثم ماتت في الأجيال اللاحقة

فَأَيْنَ كَانَ الشَّامِيُّونَ كَانَ لَهَا عَيْشٌ جَدِيدٌ وَفَضْلٌ لَيْسَ يَخْتَجِبُ

هَذَا يَدِي عَنْ بَنِي مِصْرٍ تُصَافِحُكُمْ فَصَافِحُوهَا تُصَافِحْ نَفْسَهَا الْعَرَبُ

لَوْ لَا رِجَالٌ تَغَالَوْا فِي سِيَاسَتِهِمْ مِنَّا وَمِنْهُمْ لَمَّا لُمْنَا وَلَا عَتَبُوا

وممن أبدى ضجراً لما ناله السوريون بمصر من نجاح حافظ إبراهيم نفسه في كتابه «اليالي طليح»، حيث شكّا من الوجود الاقتصادي السوري، ومن تقاعس المصريين عن دخول ميدان الاقتصاد بقوة، هذا إلى ترحيب دائم من حافظ بالمتقنين السوريين

إِنْ يَكْتَبُوا لِي ذَنْباً فِي مَوَدَّتِهِمْ فَإِنَّمَا الْفَخْرُ فِي الذَّنْبِ الَّذِي كَتَبُوا

٣١ مدح مغن

نشرت في نوفمبر/ تشرين الثاني (١٩٠٨):

يَا جَاكَ إِنَّكَ فِي زَمَانِكَ وَاحِدٌ وَلِكُلِّ عَصْرِ وَاحِدٌ لَا يُلْحَقُ

جاء رومانو مغن يهودي إسكندري

إِنَّ الْأَلَى قَدْ عَاصَرُوكَ وَقَاتَهُمْ أَنْ يَسْمَعُوكَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يُخْلَقُوا

التوبيد لعمران القفيني

قَدْ جَاءَ مُوسَى بِالْعَصَا، وَأَتَيْتُنَا بِالْعُودِ يَشْدُو فِي يَدَيْكَ وَيَنْطِقُ

تَسَابِقُ الْأَسْمَاعُ صَوْبَكَ كُلَّمَا غَنِيَّتَهَا شَوْقاً إِلَيْكَ وَتُغْنِي

تعنى: تتطلع مسرعة وتمد العنق

خُلِقَ كَمَا شَاءَ الْجَلِيسُ وَشِيَمَةً يَذْكُرُ بِهَا صَدْرُ النَّدِيِّ وَيَغْبِقُ

ومُرُوَّةٌ لَوْ أَنَّهَا قَدْ قُسِمَتْ بَيْنَ الْيَهُودِ لِأَحْسَنُوا وَتَصَدَّقُوا

٣٢ تسونامي مسينا

(١٩٠٨/١٢/٢٨):

نَبِّئَانِي إِنْ كُنْتُمَا تَعْلَمَانِ مَا دَهَى الْكَوْنِ أَيُّهَا الْفَرْقَدَانِ

الفرقدان: نجمان

غَضِبَ اللَّهُ أَمْ تَمَرَّدَتِ الْأَرْضُ، قَانَتْحَ عَلَى بَنِي الْإِنْسَانِ؟

أنحت: أقبلت بالأذى أو باللوم

لَيْسَ هَذَا، سَبَحَانَ رَبِّي، وَلَا ذَاكَ، وَلَكِنْ طَبِيعَةُ الْأَكْوَانِ

عَلَيَانِ فِي الْأَرْضِ نَفْسَ عَنْهُ تَوَرَّانُ فِي الْبَحْرِ وَالْبُرْكَانِ

رَبِّ، أَيْنَ الْمَفَرِّ وَالْبَحْرِ وَالْبَرِّ- عَلَى الْكِيدِ لِلْوَرَى عَامِلَانِ؟

كُنْتُ أَخْشَى الْبَحَارَ، وَالْمَوْتَ فِيهَا رَاصِدٌ غَفْلَةً مِّنَ الرُّبَّانِ

سَابِحٌ تَحَنَّنَا، مُطِلٌّ عَلَيْنَا حَائِمٌ حَوْلَنَا، مُنَاءٌ مُدَانِ

الموت في البحر يسبح تحت السفينة ويحوم حولها.. يبتعد ويقترب

فَإِذَا الْأَرْضُ وَالْبَحَارُ سَوَاءٌ فِي خَلْقٍ: كِلَاهُمَا غَايِرَانِ

خلاق: خلق وطبيعة

مَا لِمَسِّيْنَ هُوَجِلَتْ فِي صِبَاهَا وَدَعَاهَا مِّنَ الرَّدَى دَايِمَانِ

مسينا في صقلية بإيطاليا، وقد ضربها ما نسميه اليوم تسونامي في آخر ثلاثة أيام من عام (١٩٠٨)، فقتل بها مئة ألف نسمة

وَمَحَتْ تِلْكَ الْمَحَاسِنَ مِنْهَا حِينَ تَمَّتْ آيَاتُهَا آيَتَانِ

حين اكتملت آياتها العمرانية، معالمها، جاءت آيتان، برهاتان من براهين القدرة الإلهية وهما الزلزال والفيضان، فمحتا المعالم

خُصِفَتْ، ثُمَّ أَغْرِقَتْ، ثُمَّ بَادَتْ قُضِيَ الْأَمْرُ كُلُّهُ فِي ثَوَانِ

وَأَتَى أَمْرُهَا فَاضْحَتْ كَأَن لَّمْ تَكُ بِالْأَمْسِ زِينَةُ الْبُلْدَانِ
لَيْتَهَا أُمِّهَلَتْ فَتَقْضَى حُقُوقاً مِنْ وَدَاعِ اللَّذَاتِ وَالْجِيرَانِ
اللذات: الأصحاب، المولدون في وقت واحد

بَقَّتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ عَلَيْهَا وَطَمَى الْبَحْرُ أَيُّمَا طُغْيَانِ
نِلْكَ تَغْلِي حِقْداً عَلَيْهَا فَتَنْشَقُّ- انْشِقَاقاً مِنْ كَثْرَةِ الْغَلْيَانِ
فَتُجِيبُ الْجِبَالُ رَجْماً وَقَدْفَاً بِشَوَاطِئِ مِنْ مَآرِجٍ وَدُخَانِ
مارج: لهب

وَتَسُوقُ الْبَحَارُ رَدّاً عَلَيْهَا جَيْشَ مَوْجٍ نَائِي الْجَنَاحِينَ دَانِ
والجيش له جناحان مينة وميسرة

فَهُنَا الْمَوْتُ أَسْوَدُ اللَّوْنِ جَوْنٌ وَهُنَا الْمَوْتُ أَحْمَرُ اللَّوْنِ قَانِ
الجون: الأسود، الموت الأسود: خنقاً أو غرقاً، والأحمر: جرحاً

جَنَّدَ الْمَاءَ وَالشَّرَى لِهَلَاكِ الْ- خَلَقِي ثُمَّ اسْتَعَانَ بِالنَّيِّرَانِ
الموت جند الماء واليابسة بالطوفان والزلزال.. ثم استعان بيران البركان

وَدَعَا الشُّخْبَ عَاتِباً فَأَمَدَّتْ- هُ بِجَيْشٍ مِنَ الصَّوَاعِقِ ثَانِ
فَاسْتَحَالَ النَّجَاءُ وَاسْتَحْكَمَ الْبَا سٌ وَخَارَتْ عِزَائِمُ الشَّجَعَانِ
وَشَفَى الْمَوْتُ غِلَّهُ مِنْ نَفُوسٍ لَا تُبَالِيهِ فِي مَجَالِ الطُّعْمَانِ
شفى الموت غله، أي غيظه، من نفوس أهل المدينة التي ما كانت تبالي الموت في مجال الطعان،
الحرب والظعن بالرماح

رُبَّ طِفْلِ قَدْ سَاحَ فِي بَاطِنِ الْأَر ضٍ يُنَادِي: أُمِّي! أَبِي! أَدْرِكَانِي!

ساخ: غاص. يعلق المازني في كتابه المندوم عليه «شعر حافظ» على هذا البيت قائلاً: «على وفرة علامات النداء، لا يعقل أن الساخ في باطن الأرض يستطيع شيئاً من ذلك».. وتعليقنا: يا مازني، ما أصدرته أنت من شعر، وهو كثير، غث غثاء لم تحتملها أنت نفسك، فبترأت منه. ولا والله لم أجِدْ لك بيتاً واحداً يحسن بالمرء أن يقرأه بله أن يحفظه. وقد كان حافظ يستقبلك في دار الكتب أحسن استقبال غافراً لك كتابك المشحون بالغضب من شعره. ولعلك هاجمت الرجل لموقف قديم ناداك فيه بيا ولد، عندما انتقدت ترجمته للبؤساء. ولك يا مازني، بعد، حستان: أولاهما أنك كتبت مقالاً أبديت فيه الندم على كتابك، وثانيتها أنك برهان عظيم على أن الناثر الكبير قد يكون مفلساً إفلاساً إدقاعياً في الشعر، فأنت ممن كتبوا أجمل نثر العربية في القرن العشرين. والآن إلى بيت الشعر الذي نحن بصدده: هذا تصوير هائل لطفل

بدأ جسمه يفرس في الوحل أو حتى في الحمم البركانية وبقيت في صدره قوة تعينه على أن يدفع إلى حنجرتة بثلاث كلمات: أمي! أبي! أدركاني! فأين المستحيل في هذا؟ وانظر إلى الأبيات التي تلي هذا البيت فهي ترسم صورة مخيفة لمعاناة أولئك الضحايا في ساعة الموت المحقق

وَقَتَاةٍ هَبَاءٌ تُثْشَوِي عَلَى الْجَفِّ رِ، تُعَانِي مِنْ حَرِّهِ مَا تُعَانِي
وَأَبٍ ذَاهِلٍ، إِلَى النَّارِ يَمْشِي مُسْتَمِينًا تَمْتَدُّ مِنْهُ الْبَدَانِ
بَاحِثًا عَنْ بَنَاتِهِ وَبَنِيهِ مُسْرِعَ الْخَطْوِ مُسْتَطِيرَ الْجَنَانِ

مستطير الجنان: منخلع القلب

تَأْكُلُ النَّارُ مِنْهُ: لَا هَوَ نَاجٍ مِنْ لَظَاهَا وَلَا اللَّظَى عَنْهُ وَإِنْ
وَأَنْ: مُتَوَانٍ، مُتَأَخِّرٍ

عَصَبَتِ الْأَرْضُ أَتَخِمَ الْبَحْرُ مِمَّا طَوِيَاءُ مِنْ هَذِهِ الْأَبْدَانِ
وَشَكَا الْحُوتِ لِلنُّسُورِ شَكَاةً رَدَدَتْهَا النُّسُورُ لِلْحَيْتَانِ
أَسْرَفَا فِي الْجُسُومِ نَفَرًا وَنَهَشًا ثُمَّ بَاتَا مِنْ كِظَّةٍ يَشْكُوَانِ
الكظة: التخمة، الحوت والنسر يشكون التخمة لكثرة ما أكلا من لحوم الموتى

لَا رَعَى اللَّهُ سَاكِنَ الْقِمَمِ الشُّمِّ- وَلَا حَاطَ سَاكِنَ الْقِيَعِ عَانِ
يدعو على ساكن القمم السماء العالية، النسر، وساكن قاع البحر، الحوت

قَدْ أَغَارَا عَلَى أَكْفٍ بَرَاهَا بَارِئُ الْكَائِنَاتِ لِإِلْتِقَانِ
لَهْفٍ نَفْسِي وَأَلْفَ لَهْفٍ عَلَيْهَا مِنْ أَكْفٍ كَانَتْ صَنَاعَ الزَّمَانِ
صناع: حاذقة، متقنة لعملها

مَوْلَعَاتٍ بِصَيْدٍ كُلِّ جَمِيلٍ نَاصِبَاتٍ حَبَائِلَ الْأَلْوَانِ
فايدي الإيطاليين تنصب حبال، شباكاً، هي في الواقع الألوان لتصيد الفن الجميل

حَافِرَاتٍ فِي الصَّخْرِ أَوْ نَاقِشَاتٍ شَائِدَاتٍ رَوَائِعَ الْبُنْيَانِ
مُنْطِقَاتٍ لِسَانٍ كُلِّ جَمَادٍ مُفْجِمَاتٍ سَوَاجِعَ الْأَفْنَانِ
سواجع الأفنان: الطيور المغردة على الأغصان

مُلْهَمَاتٍ مِنْ دَقَّةِ الصَّنْعِ مَا لَا يُلْهَمُ الشَّعْرُ مِنْ دَقِيقِ الْمَعَانِي
مِنْ تَمَائِيلَ كَالنُّجُومِ الدَّرَارِي يَهْرَمُ الدَّهْرُ وَهِيَ فِي غُنْفُوَانِ
الدَّرَارِي: المتلألئة

إِنَّ إِيطَالِيَا بَنُوهَا بُنَاةً فَاطْمَنَتْني مَا دَامَ فِي الْحَيِّ بَانِ

إيطاليا بنوها، أي أبنائها، بناءً، يحنون البناء.. فاطمئتني يا مينا فسوف يعاد بناؤك

فَسَلَامٌ عَلَيْكَ يَوْمَ تَوَلَّيْتُ سِتَ بِمَا فِيكَ مِنْ مَغَانٍ حِسَانٍ

المغاني الحسان: الربيع الجميلة

وَسَلَامٌ عَلَيْكَ يَوْمَ تَعُودِي سَنَ كَمَا كُنْتَ جَنَّةَ الطَّلِيَانِ

وَسَلَامٌ عَلَى امْرِئٍ جَادٍ بِالذُّفِّ عِجْ، وَتَنَّى بِالْأَصْفَرِ الرُّثَانِ

ذَاكَ حَقُّ الْإِنْسَانِ عِنْدَ بَنِي الْإِنْسَانِ، لَمْ أَذْعُكُمْ إِلَى إِحْسَانِ

التبرع لمينا حق على الإنسان وليس إحساناً

٣٣ المتهم على الحاليين

ذكرى مصطفى كامل، أنشدها في ذكرى وفاته الأولى فبراير/شباط (١٩٠٩):

قَدْ أَتَهَمْنَا وَلَمَّا نَطْلُبْ جَلَلًا إِنَّ الضَّعِيفَ عَلَى الْحَالِيْنَ مُتَّهَمٌ

قالوا: لَقَدْ ظَلَمُوا بِالْحَقِّ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ الظَّالِمِينَ هُمْ

إِذَا سَكَنَّا تَنَاجَوْا، تِلْكَ عَادَتُهُمْ وَإِنْ نَطَقْنَا تَنَادَوْا: فِتْنَةٌ عَمَمٌ

إن سكتنا نهامس الإنجليز يدبرون لنا تدبيراً، وإن نطقنا قالوا إننا ندعو لفتنه شاملة

٣٤ الانقلاب العثماني

نشرت في مايو/أيار (١٩٠٩)، بعد خلع عبد الحميد:

فَرِحَ الْمُسْلِمُونَ قَبْلَ النَّصَارَى فِيكَ قَبْلَ الدُّرُوزِ قَبْلَ الْيَهُودِ

شِعُوا كُلُّهُمْ وَلَيْسَ مِنَ الْهَمِّ لِي أَنْ يَشَمَّتَ الْوَرَى فِي طَرِيدِ

نفي عبد الحميد إلى سلاطيك بعد عزله

لَكَ فِي الدَّهْرِ - وَالْكَمَالُ مُحَالٌ - صَفَحَاتٌ مَا بَيْنَ بَيْضٍ وَسُودِ

كَانَ عَبْدُ الْحَمِيدِ بِالْأَمْسِ فَرْدًا فَقَدْ أَلْفَ عَبْدُ الْحَمِيدِ

٣٥ سقوط الطاغية

أنشدها حافظ في حديقة الأزبكية في يوليو/تموز (١٩٠٩)، بعد سقوط عبد الحميد

وصدور الدستور:

وَمَنْ لَمْ يُشَاهِدْ يَلْدِزاً بَعْدَ رَبِّهِ وَقَدْ زَالَ عَنْهُ الْمُلْكُ وَأُنْذَكَ جَائِئَةً..

يلدز: قصر عبد الحميد، ربه: صاحبه

وَأَسْلَمَهُ أَحِبَّائِهِ لِقُضَايِهِ وَفَرَّ - وَلَمْ يَخْشَ الْمَعَرَّةَ - كَاتِبُهُ .
وَقَلَّمَتِ الْأَقْدَارُ أَظْفَارَ بَطْشِهِ وَدَلَّ عَلَى مَا تَجْهَلُ الْجِنَّ حَاجِبُهُ .

حاجب عبد الحميد دلهم على مكانه الذي تجهله حتى الجن

فَمَا شَهِدَ الدُّنْيَا تَزُولُ وَلَا رَأَى بَلَاءَ قَضَاءِ اللّٰهِ فِيمَنْ يُحَارِبُهُ
من لم يشاهد تلك الأحداث فهو لم يشهد كيف تزول الدنيا، أي النعمة، وكيف يقع قضاء الله على رأس من يحارب الله بظلمه لعباده

وَلَمْ يُغْنِ عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ دَهَاؤُهُ وَلَا عَصَصَتْ عَبْدَ الْحَمِيدِ تَجَارِبُهُ
وَلَمْ يُخَفِّهِ عَنْ أَعْيُنِ الْحَقِّ مَخْدَعُ وَلَا نَفَقُ فِي الْأَرْضِ جَمِّ مَسَارِبُهُ
النفق الكثير المسارب لم يستطع مواراة عبد الحميد

وَأَسْرَفَ فِي حُبِّ الْحَيَاةِ فَحَاطَهَا بِسُورٍ مِنَ الْأَهْوَالِ لَمْ يَنْجُ رَاكِبُهُ
وَفِي كُلِّ رُكْنٍ صُورَةٌ لَوْ تَكَلَّمَ لَمَّا شَكَّ فِي عَبْدِ الْحَمِيدِ مُخَاطِبُهُ
تَمَائِيلُ إِيَّاهُمْ أَنْيَمَتْ وَأَقْعَدَتْ نَرَأَى بِهَا أَعْطَافُهُ وَمَنَاقِبُهُ
كان في القصر صور وتمائيل لعبد الحميد في شتى الأوضاع للتصويه، وتبدو فيها جوانب جسمه وكفاه، فهي صور وتمائيل كاملة للتصويه وليست لوحات بورتريه بغرض الفن

تَمَثَّلُهُ فِي نَوْمِهِ وَجُلُوسِهِ وَتَخْدَعُ فِيهِ الْمَوْتَ حِينَ يُقَارِبُهُ
أَقَامَ عَلَيْهِ أَلْفَ مَوْتٍ مُحَجَّبٍ لِيُغْلِبَ مَوْتاً وَاحِداً عَزَّ هَالِبُهُ
وَأَخْرَجَهُ مِنْ بِلْدِزِ رَبِّ بِلْدِزٍ وَجَرَّكَ مِنْ سَيْفِ عُثْمَانَ وَاهِبُهُ
سيف عثمان: سيف توارثه سلاطين بني عثمان عن مؤسس دولتهم، وكان السلطان يقتله بعد أسبوعين من توليه السلطنة

مَضَى عَهْدُ الْأَسْتَبْدَادِ وَأَنْدَكَ صَرْخُهُ وَوَلَّتْ أَفَاعِيهِ وَمَاتَتْ عَقَارِبُهُ

٣٦ سقى الله «أيام زمان»

إلى البرنس حسين كامل باشا، رئيس مجلس شورى القوانين الذي أصبح سلطاناً بعد ست سنين، ونشرت في نوفمبر/تشرين الثاني (١٩٠٩):

لَقَدْ نَصَلَ الدُّجَى فَمَتَى تَنَامُ أَهْمُ ذَاكَ نَوْمِكَ أَمْ هَيَامُ
نصل الدجى: بدا في سواد الليل بياض الفجر مثلما ينصل الشعر المصبوغ فيبدو البياض في أصوله، ذاد نومك: صدّه

لَعَنُوكَ مَا أَرَفْتُ لِغَيْرِ مُضِرٍ وَمَا لِي دُونَهَا أَمَلٌ يُرَامُ
ذَكَرْتُ جَلَالَهَا أَيَّامَ كَانَتْ تَصُولُ بِهَا الْفَرَاغَةُ الْعِظَامُ
وَأَيَّامَ الرِّجَالِ بِهَا رِجَالٌ وَأَيَّامَ الزَّمَانِ لَهَا عُلامُ
مَلَاكُ الْفَرْدِ مَنَشَوُهُ تَوَانٍ وَمَوْتُ الشَّعْبِ مَنَشَوُهُ انْقِسَامُ
وَلَنَا قَدْ وَنِينَا وَانْقَسَمْنَا فَلَا سَمِيَّ هُنَاكَ وَلَا وَثَامُ

ونينا: توانينا وتكاسلنا

فساء: مُقَامُنَا فِي أَرْضِ مِصْرٍ وَطَابَ لِغَيْرِنَا فِيهَا الْمُقَامُ
أسطوانة حافظ الأثير: الأجانب يرتعون في مصر وأوضاع المصريين سيئة

٣٧ تقييد الصحافة

من قصيدة في نحية العام الهجري، يناير/ كانون الثاني (١٩١٠):

إِن الْبَلِيَّةُ أَنْ تُبَاعَ وَتُشْتَرَى مِضْرٌ وَمَا فِيهَا وَلَا تَنْطِقَا
كَانَتْ تُوَاسِسِنَا عَلَى آلَمِنَا صُحُفٌ إِذَا نَزَلَ الْبَلَاءُ وَأَطْبَقَا
كَانَتْ صِمَامًا لِلنَّفُوسِ إِذَا عَلَتْ فِيهَا الْهُمُومُ وَأَوْشَكْتَ أَنْ تُزْهَقَا
مَا لِي أَنْوَحُ عَلَى الصَّحَافَةِ جَارِعًا مَاذَا أَلَمَّ بِهَا، وَمَاذَا أَخْدَقَا؟
قُصُّوا حَوَاشِيَهَا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أَمِنُوا صَوَاعِقَهَا فَكَانَتْ أَضْعَفَا

٣٨ الأم مدرسة

أنشدها في حفل بيورسعيد لإعانة مدرسة البنات، مايو/ أيار (١٩١٠):

كَمْ ذَا يُكَابِدُ عَاشِقٌ وَيُلَاقِي فِي حَبِّ مِصْرٍ كَثِيرَةُ الْعُشَاقِ
إِنِّي لِأَحْمِلُ فِي هَوَاكِ صَبَابَةً يَا مِضْرُ قَدْ خَرَجْتُ عَنِ الْأَطْوَاقِ
لَعَلَّه يَقْصِدُ: أَحْبَبْتُ حَبًّا خَرَجَ عَنْ طَوْقِي وَقَدَّرْتِي

لَهْفِي عَلَيْكَ مَتَى أَرَاكِ ظَلِيلَةً يَحْمِي كَرِيمَ جِمَاكِ شَعْبٌ رَاقٍ
مَا الْبَابِلِيَّةُ فِي صَفَاءٍ مِزَاجِهَا وَالشَّرْبُ بَيْنَ تَنَافُسٍ وَسَبَاقِ..
ليست الخمر البابلية الصافية والشرب، أي الشاربون، الذين يتنافسون على ارتشافها..

وَالشَّمْسُ تَبْدُو فِي الْكُؤُوسِ وَتَخْتَفِي وَالْبَدْرُ يُشْرِقُ مِنْ جَبِينِ السَّاقِي..
بينما الخمر لامة كالشمس ترسل أشعتها من الكؤوس الملأى وتخفي في حلق الشاربين،
والساقى الذي يدور عليهم بالخمر وجهه كاليدر..

بِأَلَدٍ مِنْ خُلُقِي كَرِيمٍ طَاهِرٍ قَدْ مَارَجَنَّهُ سَلَامَةُ الْأَذْوَاقِ

.. ليست الذم من الخلق الكريم الممزوج بسلامة الذوق

مَنْ لِي بِتَرْبِيَةِ النِّسَاءِ فَإِنَّهَا فِي الشَّرْقِ عِلَّةٌ ذَلِكَ الْإِخْفَاقِ

الْأُمُّ مَدْرَسَةٌ؛ إِذَا أَحَدَتْهَا أَحَدَتْ شَعْباً طَيِّبَ الْأَعْرَاقِ

حتى لو كان هذا أحد أشهر أبيات الشعر السائرة على الألسن فإن التربية الحسنة تنشئ شعباً طيب الخلق ومتقناً للعمل.. هذا شيء والأعراق.. أي النسب العالي شيء آخر. ولا أدري أين ذهبت كلمة «الأخلاق» عن شاعرنا كي يقعدها في مقعد الثقافة ويربحنا من أعراقه

الْأُمُّ رَوْضٌ إِنْ تَعَهَّدَهُ الْحَيَا بِالرِّيِّ أَوْزَقَ أَيُّمًا إِيرَاقِ

الأم بستان إن تعهده الحيا، وافاه المطر، أصبح مورقاً بورق كثير

أَنَا لَا أَقُولُ دَعُوا النِّسَاءَ سَوَافِرًا بَيْنَ الرِّجَالِ يَجْلُنَ فِي الْأَسْوَاقِ

يَفْعَلُنَ أَفْعَالُ الرِّجَالِ لَوَاهِبًا عَنْ وَاجِبَاتِ نَوَاعِسِ الْأَخْدَاقِ

لواهياً: لاهيات عابثات، «نواعس الأخداق» تعبير بارد لكنه يظل أحسن من مرادفه «الجنس اللطيف»

فِي دُورِهِنَّ شُؤْنُهُنَّ كَثِيرَةٌ كَشُؤْنِ رَبِّ السَّيْفِ وَالْمِزْزَاقِ

المزراق: الحربة

كَلَّا، وَلَا أَدْعُوكُمْ أَنْ تُسْرِفُوا فِي الْحَجَبِ وَالتَّضْيِيقِ وَالْإِرْهَاقِ

لَيْسَتْ نِسَاؤُكُمْ خُلَى وَجَوَاهِرًا خَوْفُ الضَّبَاعِ نُصَانٍ فِي الْأَحْقَاقِ

الأحقاق: العلب الصغار، والمفرد حَقٌّ

لَيْسَتْ نِسَاؤُكُمْ أَنَاثًا يُقْتَنَى فِي الدُّورِ بَيْنَ مَخَادِعِ وَطَبَاقِ

المخادع: الحجرات، الطباق: لعلها الأدوار أو الطوابق

تَتَشَكَّلُ الْأَزْمَانُ فِي أَدْوَارِهَا دُولًا، وَهَنَّ عَلَى الْجُمُودِ بَوَاقِ

الزمن يتغير دولا، تتداوله الجوادث والأقوام، والنساء جامدات على وضعهن

فَتَوَسَّطُوا فِي الْحَالَتَيْنِ وَأَنْصِفُوا فَالشَّرُّ فِي التَّقْيِيدِ وَالْإِطْلَاقِ

رَبُّوا الْبَنَاتِ عَلَى الْفَضِيلَةِ إِنَّهَا فِي الْمَوْقِفَيْنِ لَهُنَّ خَيْرٌ وَثَاقِ

الموقفان: التقيد والإطلاق لحرية المرأة، الوثاق: الحبل

وَعَلَيْكُمْ أَنْ تَسْتَبِينَ بَنَاتَكُمْ نُورَ الْهُدَى، وَعَلَى الْحَيَاءِ الْبَاقِي

٣٩ رثاء تولستوي

نوفمبر/نشرين الثاني (١٩١٠):

ولستُ أبالي حين أبكيك للورى حَوْنَكَ جِنَانٌ أَمْ حَوَاكَ سَمِيرُ
فإنِّي أَحِبُّ النَّابِغِينَ لِعِلْمِهِمْ وَأَعَشَقُ رَوْضَ الْفَكْرِ وَهُوَ نَضِيرُ
دعوتُ إلى عيسى فضجَّتْ كَنَائِسُ وَهُزُّ لَهَا عَرْشٌ وَمَادَ سَرِيرُ
وفي آخر حياته مال تولستوي إلى الدين ميل زهد

وقال أناسٌ إنَّه قولٌ ملحدٍ وقال أناسٌ إنَّه لبشِيرُ
إذا زُرْتَ رَهْنُ الْمَحْبِسِينَ بِحُفْرَةٍ بها الزهدُ ثاوٍ والذكاءُ سَتِيرُ . .
إن زرت حفرة رهين المحبين أبي العلاء المعري التي فيها الزهد ثاو، مقيم، والذكاء ستير،
مستور . .

فَقِفْ ثَم سَلِّمْ، واحْتَشِمِ إِنَّ شَيْخَنَا مَهِيَّبٌ عَلَى رَغَمِ الْفَنَاءِ وَقُورُ
وَسَائِلُهُ عَمَّا غَابَ عَنْكَ، فإنه عَلِيمٌ بِأَسْرَارِ الْحَيَاةِ بَصِيرُ
يُخَبِّرُكَ الْأَعْمَى وَإِنْ كُنْتَ مَبْصَرًا بما لم تُخَبِّرْ أَحْرَفٌ وَسُطُورُ
يُنَادِيكَ: أَهْلًا بِالَّذِي عَاشَ عَيْشَنَا وماتَ ولم يَنْزُجْ إِلَيْهِ غُرُورُ
وكان تولستوي من النبلاء ذوي المال والمزارع، وترك هذا كله في آخر عمره زهداً

قَضَيْتَ حَيَاةَ مِلْؤُهَا الْبِرِّ وَالتَّقَى فَأَنْتَ بِأَجْرِ الْمُتَّقِينَ جَدِيرُ
حَيَاةَ الْوَرَى حَرْبٌ وَأَنْتَ تَرِيدُهَا سلاماً، وَأَسْبَابُ الْكِفَاحِ كَثِيرُ
أَبَتْ سُنَّةُ الْعُمَرَاءِ إِلَّا تَنَاخُرًا وكدحاً ولو أَنَّ الْبِقَاءَ يَسِيرُ
سنة العمران: طبيعة المجتمع الإنساني

ولولا امتزاجُ الشرِّ بِالْخَيْرِ لَمْ يَقُمْ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْإِلَهَ قَدِيرُ
ولم يبعثِ اللَّهُ النَّبِيَّ لِلْهُدَى ولم يتطَلَّعْ لِلْسَّرِيرِ أَمِيرُ
السريـر: العرش

ولم يَعشِقِ الْعَلِيَاءُ حُرٌّ وَلَمْ يَسُدْ كَرِيمٌ وَلَمْ يَزُجْ الثَّرَاءُ فَقِيرُ
فكم في طريقِ الشرِّ خَيْرٌ وَنِعْمَةٌ وكم في طريقِ الطَّيِّبَاتِ شُرُورُ

٤٠ يا وابلور قل لي

إعانة ملجأ رعاية الأطفال، أنشدنا في حفل بالأوبرا، فبراير/شباط (١٩١١):

صفحة البرق أَوْمَضَتْ في الغمام أم شهابٌ يَشُقُّ جوفَ الظلام؟
يصف القطار: أمو في سرعته كالبرق بين الغيوم، أم كالشهاب الساقط وسط الظلام؟

أَمْ سَلِيلُ الْبُخَارِ طَارَ إِلَى الْقَضِّ مِ فِ سَاعِيَا سَوَابِقِ الْأَوْهَامِ؟
أم أن هذا هو سليل البخار، ابن البخار أي القطار، يطير نحو مقصده فيعجز سوابق الأوهام،
الخيال السابق عصره؟

مَرَّ كَالنَّحْلِ لَمْ تَكُدْ تَقِفُ الْعَبْدُ نَ عَلَى ظِلِّ جِرْمِهِ الْمُتْرَامِي
أَوْ كَشَرَحِ الشَّابِ لَمْ يَدْرِ كَاسِي مِ تَوَلَّى فِي بَقْظَةٍ أَوْ مَنَامِ
مر القطار سريعاً كمصر الشاب الباكر الذي يمر ويتقضي سريعاً فلا يدري كاسيه، أي صاحبه
المكتسي به، أذهب الشاب في البقظة أم في الحلم

لَا يُبَالِي السُّرَى إِذَا اعْتَكَرَ اللَّيْلُ لُ وَخَانَتْ مَوَاقِعُ الْأَقْدَامِ
يَقْطَعُ الْبَيْدَ وَالْفَيَافِي وَحِيداً لَمْ تُضْغِضْهُ وَحْشَةُ الْإِظْلَامِ
اليد هي الفيافي هي الصحارى

لَيْسَ يَشْنِيهِ مَا يُذِيبُ دِمَاعَ الضُّدِّ بَ يَوْمَ الْهَجِيرِ بَيْنَ الْمَوَامِي
ليس يشني القطار عن عزمه الحر الشديد، الذي تصورت العرب أنه يذيب دماغ الضب في الهجير،
القبظ، بين الموامي، أي الصحارى

لَا وَلَا يَعْتَرِيهِ مَا يُخْرِسُ النَّا بِحَ فِي الزَّمْهَرِيرِ بَيْنَ الْخِيَامِ
ولا يعتره البرد الذي يجعل الكلب يخرس عن النباح بين خيام القوم في الزمهرير

هَائِمٌ كَالظَّلِيمِ أَرْعَجَهُ الصَّبُّ مِ دُ وَرَاعَتْهُ طَائِشَاتُ السَّهَامِ
الظليم: ذكر النعام

يَا حَدِيداً يَنْسَابُ فَوْقَ حَدِيدٍ كَانَسِيَابِ الرُّقْطَاءِ فَوْقَ الرِّغَامِ
الرقطاء: الحبة المرقطة أي المنقطة، والرغام: التراب

قَدْ مَسَحَتْ الْبِلَادَ شَرْقاً وَغَرْباً بِذِرَاعِي مُشْمَرٍ مُقْدَامِ
بَيْنَ جَنْبَيْكَ مَا بِجَنْبِي لَكِنْ مَا بِجَنْبِي مُسْتَدِيمُ الضُّرَامِ
بين جنبيك أيها القطار حرارة من الرجل المشتعل كي ينتج البخار، وفي جنبي أنا لهيب. لكن
ضرام لهبي، اشتعاله، دائم

أَنْتَ لَا تَعْرِفُ الْغَرَامَ، وَإِنْ كُنْتُ حَتَّ ثُرَيْنَا زَفِيرَ أَهْلِ الْغَرَامِ
أَنْتَ لَا تَعْرِفُ الْحَنِينَ إِلَى الْإِلَهِ فَمَا هَذِهِ الدُّمُوعُ الْهَوَامِي
الهوامي: الهاطلة.. يتحدث عن قطار يسير بالبخار

لَا تُبَالِي أَرْغَتْ بِالْبَيْنِ أَحْبَاباً بَأْ وَأَسْرَفَتْ فِي أَدَى الْمُسْتَهَامِ..
لَا تَبَالِي أَرَعْتُ، أَخَفْتُ، بِالْفِرَاقِ أَحْبَاباً وَأَسْرَفْتُ فِي إلْحَاقِ الْأَدَى بِالْمُسْتَهَامِ، العاشق الهائم..
أَمْ جَمَعْتَ الْأَعْدَاءَ فَوْقَ صَعِيدٍ وَخَلَطْتَ الْأَسْوَدَ بِالْآرَامِ
أم جمعت الأعداء داخلك على صعيد واحد، وخلطت الأسود، الرجال، بالآرام، بالنساء. سيقول
أحمد رامي بعد ثلاثين سنة من هذه القصيدة «يا وابور لُلي رايح على فين.. قربت غريب
وبعدت قريب/ وجمعت حبيب على شمل حبيب، والوابور هو القطار، من كلمة «فيبر» ومعناها بخار

قَدْ عَلِمْنَا أَنَّ الزَّكَاةَ سَبِيلُ الدِّينِ قَبْلَ الصَّلَاةِ قَبْلَ الصَّيَامِ
لَمْ أَقِفْ مَوْفِي لِأَنْشِدِ شِعْراً صَبَّ فِي قَالِبٍ بَدِيعِ النَّظَامِ
إِنَّمَا قُمْتُ فِيهِ وَالنَّفْسُ نَشْوَى مِنْ كُؤُوسِ الْهُمُومِ، وَالْقَلْبُ دَامِ
ذُقْتُ طَعْمَ الْأَسَى وَكَابَدْتُ عِشَاءً دُونَ شُرْبِي قَذَاهُ شُرْبِ الْجِمَامِ
ذقت عيشة أخف من قذاها، شوائبها ووسخها، الموت نفسه

فَتَقَلَّبْتُ فِي الشَّقَاءِ زَمَاناً وَتَنَقَّلْتُ فِي الْخُطُوبِ الْجِسَامِ
وَمَشَى الْهَمُّ ثَاقِباً فِي فُؤَادِي وَمَشَى الْحُزْنُ نَاحِراً فِي عِظَامِي
ثاقباً: مشتلاً

فَلِهَذَا وَقَفْتُ أَسْتَعِظُ النَّاسَ مَنْ عَلَى الْبَائِسِينَ فِي كُلِّ عَامٍ

٤١ رثاء المرتاب

رثاء الدكتور شبلي شميل، أنشدها في فبراير/ شباط (١٩١١):

سَكَنَ الْفَيْلَسُوفُ بَعْدَ اضْطِرَابٍ إِنَّ ذَاكَ السَّكُونُ فَضْلُ الْخُطَابِ
حُزْنَ الْعِلْمِ يَوْمَ مُتَّ، وَلَكِنْ أَمِنْ الدِّينِ صَبِيحَةَ الْمُرْتَابِ
بموتك حزن العلم، واطمان الدين من صيحة رجل مرتاب في الدين هو أنت

كَنْتُ تَبْغِي بَرْدَ الْيَقِينِ عَلَى الْأَرَى ضِيٍّ وَتَسْعَى وَرَاءَ لُبِّ الْبَابِ
حاولت معرفة حقيقة الإنسان وخلقه وأنت بعد على الأرض حياً.. وهذا شيء قد يعرفه المرء بعد
موته

فاسْتَرْخِ أَبْهًا الْمَجَاهِدُ وَاهْدَأْ قَدْ بَلَغْتَ الْمَرَادَ تَحْتَ التَّرَابِ

هذا عزاؤنا كلنا . . فبعد الموت سنعرف حقيقة الحكاية

وعرفت اليقينَ وانْبَلَجَ الحقُّ - لِعَيْنَيْكَ ساطِعاً كالشهبِ
ليتَ شعري وقد قَضِيَتْ حَيَاةُ - بَيْنَ شَكٍّ وَحَيْرَةٍ وَارْتِيَابٍ . .
هل أَنَاكَ اليقِينُ مِنْ طُرُقِ الشَّكِّ - فَشَكُّ الْحَكِيمِ بَذْءُ الصَّوَابِ؟
لَمْ يَكُنْ مُلْجِداً وَلَكِنْ تَصَدَّى - لِشُؤْنِ الْمُتَهَيِّمِينَ الْوَهَابِ
رَأَى إدْرَاكَ كُنْهِ مَا أعْجَزَ النَّاسُ - مِنْ قَدِيمًا، فَلَمْ يَقْزُ بِالطَّلَاقِ
إِيَّهْ شَيْلِي! قَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ فِيكَ الْهَلْ - قَوْلَ حَتَّى تَفْتَنُوا فِي عَتَابِي
قِيلَ: تَرْنِي ذَاكَ الَّذِي يَنْكُرُ النُّورَ - رَ وَلَا يَهْتَدِي بِهَذِي الْكِتَابِ؟
قُلْتُ: كُفُّوا فَإِنَّمَا قَمْتُ أَرْضِي - مِنْهُ خِلَافاً أَمْسَى طَوِيلُ الْغِيَابِ
أَنَا وَاللَّهِ لَا أَحَابِيهِ فِي الْقَوْرِ - لِ فَقَدْ كَانَ صَاحِبِي لَا يُحَابِي
أَنَا أَرْضِي شَمَائِلاً مِنْهُ عِنْدِي - كُنَّ أَحْلَى مِنَ الشَّهَادِ الْمُذَابِ
أَرْضِي شَمَائِلاً مِنْهُ، أَيِ أَخْلَاقًا، عِنْدِي كُنَّ، أَيِ كُنَّ بِالنِّسْبَةِ لِي، أَحْلَى مِنَ الشَّهَادِ، جَمَعَ شَهَدَ
كَانَ حُرّاً الْآرَاءِ لَا يَعْرِفُ الْحُكْمَ - لَ وَلَا يَسْتَبِيحُ غَيْبَ الصُّحَابِ
الخلل: الخداع

مُفْضِلاً مُحْسِناً عَلَى الْعَسْرِ وَالْيَسْرِ - مَرَّ، جَمِيعَ الْفُؤَادِ رَحْبَ الْجَنَابِ
كَانَ جَمِيعَ الْفُؤَادِ: شَجَاعاً، كَانَ رَحْبَ الْجَنَابِ: وَاسِعَ الصَّدْرِ كَرِماً

كَانَ فِي الْوُدِّ مَوْضِعَ الثِّقَةِ الْكَبْرِ - مَرَى، وَفِي الْعِلْمِ مَوْضِعَ الْإِعْجَابِ
نُكِبَ الطَّبِّ فِيهِ يَوْمَ تَوَلَّى - وَأَصْبَحَتْ رَوَائِعُ الْآدَابِ

٤٢ فراش العاشق

من قصيدة مدح في الخديوي عباس حلمي (١٩١١):

أَشْكُو لِذَاتِ الْخَالِ مَا صَنَعْتَ بِنَا - تِلْكَ الْعُيُونُ وَمَا جَنَاهُ الْبَغْضَمُ
لَوْ تَنْظُرِينَ إِلَيَّ فِي جَوْفِ الدُّجَى - مَتَمَلِّمَلاً مِنْ هَوْلِ مَا يَنْتَجِسُّ
يَمْشِي إِلَى كَنَفِ الْفِرَاشِ مُحَافِزاً - وَجِلاً يُؤَخَّرُ رَجْلَهُ وَيُقَدِّمُ
يَرْمِي الْفِرَاشَ بِنَاطِرِيهِ وَيَنْشَنِي - جَزَعاً وَيُقَدِّمُ بَعْدَ ذَاكَ وَيُخْجِمُ
يخنى العاشق دخول فراشه لأنه لن يستطيع النوم، وسيتقلب مثالماً من عشقه

رُشِقَتْ بِهِ فِي كُلِّ جَنْبٍ مُذْبِئَةٌ وَانْسَابَ فِيهِ بِكُلِّ رُكْنٍ أَرْقَمٌ
فَكَانَ فِي كُلِّ جَنْبٍ فَرَاشُهُ مَدَى، سَكَكَيْنِ، وَقَدْ انْسَابَ فِي كُلِّ رُكْنٍ مِنْ أَرْقَمٍ، ثَمَانٍ

فَكَأَنَّهُ فِي هَوْلِهِ وَسَعِيرِهِ وَإِذْ قَدْ أَطْلَعَتْ عَلَيْهِ جَهَنَّمُ
هَذَا وَحَقِّكَ بَعْضُ مَا كَابَذَتْهُ مِنْ نَاطِرِيكَ، وَمَا كَتَمْتُكَ أَعْظَمُ
أَضَعْتُ إِلَى قَوْلِ الْوُشَاةِ فَأَسْرَقْتُ فِي هَجْرِهَا وَجَنْتُ عَلَيَّ وَأَجْرُمُوا
حَتَّى إِذَا يَشْسُ الطَّبِيبُ وَجَاءَهَا أَنِّي تَلِفْتُ تَنَدَّمْتُ وَتَنَدَّمُوا

٤٣ المتصدي للخديوي

رثاء مصطفى رياض، رئيس وزراء مصر في ثلاث حكومات، وأنشدها في حفل الأربعين يوليو/تموز (١٩١١):

وَقَفْتُ لِإِسْمَاعِيلَ وَالْأَمْرُ أَمْرُهُ وَفِي كَفِّهِ سَيْفٌ مِنَ الْبَطْنِ يَلْمَعُ
كَانَ رِيَاضُ بَاشَا نَائِبَ رَئِيسِ لَجَةِ التَّحْقِيقِ فِي الْوَضْعِ الْمَالِي لِمِصْرَ فِي آخِرِ عَهْدِ الْخَدْيَوِيِّ
إِسْمَاعِيلَ، وَرَغْمَ أَنَّهُ صَنِيعَةُ إِسْمَاعِيلَ فَقَدْ أَدَّى دَوْرَهُ بِأَمَانَةٍ مِمَّا أَرَعَجَ الْخَدْيَوِيُّ، لَكِنِ الْإِنْجِلِيزِ
وَالْفَرَنْسِيِّينَ دَعَمُوا رِيَاضاً. وَبَعْدَ ذَلِكَ بَسَنَةً وَبَعْضَ السَّنَةِ تَوَلَّى رِيَاضُ رِثَاةَ أَوَّلِ حُكُومَةٍ فِي عَهْدِ
الْخَدْيَوِيِّ تَوَفَّقَ بَعْدَ عَزْلِ إِسْمَاعِيلَ

إِذَا صَاحَ لَبَّاءُ الْقَضَاءِ وَأَسْرَعْتُ إِلَى بَابِهِ الْأَيَّامُ، وَالنَّاسُ خُشَعُ
كَانَ الْقَضَاءُ وَالْقَدْرُ كَانَا فِي خِدْمَةِ إِسْمَاعِيلَ

فَمَا أَغْلَبَ شَاكِي الْعَزِيمَةِ أَرْوَعُ يُصَارِعُهُ فِي الْغَابِ أَغْلَبَ أَرْوَعُ..
فَلَيْسَ الْأَغْلَبُ، أَيُّ الْأَسَدِ، الشَّاكِي الْعَزِيمَةِ، الْمُلْحِقُ بِجَرَائِهِ وَعِزِّهِ، الْأَرْوَعُ، الشَّجَاعُ، الَّذِي
يُصَارِعُ مِثْلَهُ فِي الْغَابَةِ..

بِأَجْرٍ مِنْ ذَلِكَ الْوَزِيرِ مَصَادِمًا إِرَادَةُ إِسْمَاعِيلَ وَالْمَوْتُ يَسْمَعُ
لَيْسَ بِأَجْرٍ مِنْ هَذَا الْوَزِيرِ وَهُوَ يَصَادِمُ الْخَدْيَوِيَّ إِسْمَاعِيلَ، وَهُوَ يَسْمَعُ صَوْتَ الْمَوْتِ يَتَهَدَّدُ
وَأَرْهَبَتْ حُكَّامَ الْأَقَالِيمِ فَارْعَوْا وَكَانُوا أَنْاسًا فِي الْجَهَالَةِ أَوْضَعُوا
أَرْهَبَتْ حُكَّامَ الْأَقَالِيمِ فَارْعَوْا، كَفُّوا عَنْ غِيهِمْ، وَكَانُوا قَدْ أَوْضَعُوا، أَسْرَعُوا، فِي طَرِيقِ الْجَهَالَةِ،
الضَّلَالِ

فَخَافُوكَ حَتَّى لَوْ تَنَاجَوْا بِنَجْوَةٍ لَخَالُوا رِيَاضاً فَوْقَهُمْ يَنْسَمَعُ
تَنَاجَوْا: تَهَامَسُوا

أَقَمْتُ عَلَيْهِمْ زَاجِرًا مِنْ نُفُوسِهِمْ إِذَا سَوَّلَتْ أَمْرًا لَهُمْ قَامَ يَرْدَعُ

٤٤ اعتذار عن التخلف

اعتذار إلى أحمد شوقي، عن عدم حضور زواج ابنته، نشرت في يناير/كانون الثاني (١٩١٣):

قَدْ عَاقَنِي سَوْءُ حَظِّي عَنْ خَفَلَةِ الْمِهْرَجَانِ
وَقَدْ كَفَانِي عِقَاباً مَا كَانَ مِنْ جَرْمَانِي
إِنْ قَاتَنِي أَنْ أَوْفِي بِالْأَمْسِ حَقَّ التَّهَانِي
فَأَقْبَلُهُ مِنِّي قَضَاءً وَكُنْ كَرِيمَ الْجَنَانِ

الجنان: القلب

وَاللَّهُ يَقْبَلُ مِنَّا الصَّدَّ سَلَاةً بِسَعْدِ الْأَوَانِ

٤٥ القُعود

من محاوره بين حافظ و خليل مطران في حفل أقامته جمعية رعاية الطفل بالأوبرا: نشرت في مارس/آذار (١٩١٣):

قَعَدْتُ شُعُوبَ الشَّرْقِ عَنْ كَسْبِ الْمَحَامِدِ وَالْمَفَاخِرِ
فَوْنْتُ وَفِي شَرِّعِ التَّنَا حُرِّ مَنْ وَنَى لَا شَكَّ خَاسِرِ
ونت: نوانت وكسنت

تَمْشِي الشُّعُوبُ لِقَصْدِهَا قُدُماً وَشُعْبُ النَّيْلِ آخِرِ

٤٦ رثاء متأخر

(١٩١٤):

مَلِلْتُ وَقُوفِي بَيْنَكُمْ مُتَلَهِّفَاً عَلَى رَاحِلِ فَارَقْتُهُ فَشَجَانِي
أَفِي كُلِّ يَوْمٍ يَبْضَعُ الْحُزْنَ بَضْعَةً مِنَ الْقَلْبِ؟ إِنِّي قَدْ فَقَدْتُ جَنَانِي
يبضع بضعة: يقطع قطعة، والجنان هو القلب

كَفَانِي مَا لُقِيْتُ مِنْ لَوْعَةِ الْأَسَى، وَمَا نَابَنِي يَوْمَ الْإِمَامِ كَفَانِي
كفاني ذلك الحزن على الإمام محمد عبده

تَفَرَّقَ أَحِبَابِي وَأَهْلِي، وَأَخَّرْتُ يَدُ اللَّهِ يَوْمِي فَاَنْتَظَرْتُ أَوَانِي

وفي ذمتي ليليا زجتي وديعة
في ذمتي وديعة، أمانة، برثاء إبراهيم اليازجي وتوفي قبل القصيدة بشماني سنين، وأخرى برثاء
جرجي زيدان، وقد سبقاني للقبر... وهل ترانا يا حافظ سنظن أنك سبقتهما؟

فيا ليت شعري ما يقولان في الثرى
وقد رميا بالطرف بين مجموعكم
إذا التقياً يوماً وقد ذكراني
ولم يشهدا في المشهدين مكاني
أيجملُ بي هذا العقوق، وإنما
على غير هذا العهد قد عرفاني
دعائي وفائي يوم ذاك فلم أكن
ضنيناً ولكن القريض عصاني

٤٧ شعرنا وشعرهم

تحية إلى واصف غالي، وقد نشر ترجمة لقصائد من الشعر العربي القديم إلى
الفرنسية، يونيو/حزيران (١٩١٤):

غرسَتْ مِنْ زَهْرَاتِ الشَّرْقِ طَائِفَةً
غرسَتْ من زهرات الشعر العربي مجموعة في أرض هيجو، فرنسا، فكانت شيئاً طريفاً، غريباً،
لن ينجني هذه الزهرات أي لمن يقرأ هذه الأشعار

أَسْمَعْتُهُمْ مِنْ نَسِيبِ الْقَوْمِ فَاَنْطَلَقْتُ
انطلقت شؤون كل شجي القلب: اندفعت الدموع من عينيه، «فالشؤون» مجاري الدمع في العيون

وَزِدْنَهُمْ مِنْ كَلَامِ الْبَحْثَرِيِّ قِطْعاً
مثل الرياض كسّتها كفّ نِسانٍ
سَلَّ الْأَفْرِيدَ وَلَا مَرْتِينَ هَلْ جَرِيَا
مع الوليد أو الطائي بِمَيْدَانٍ
ألفريد دي موسيه، ولا مرتين من شعراء فرنسا، والوليد هو البحري، والطائي هو أبو تمام

مَا لِي أَفَاخِرُ بِالْمَوْتَى وَبَيْنَ يَدَيِ
من شعر أحيائنا ما ليس بالفاني
فِي شِعْرِ شَوْقِي وَصَبْرِي مَا نَتَيْهِ بِهِ
على نوابغهم، دَعْ شِعْرَ مُظْرَانٍ
أي ناهيك بشعر مظران

٤٨ فلهم القصاب

إلى فلهم الثاني إمبراطور ألمانيا وقد بدأت الحرب العالمية الأولى، نشرت في يناير/
كانون الثاني (١٩١٥):

لَا تَحْسَبَنَّ الْفَخْرَ مَا أَخْرَزَتْهُ
الفخرُ بالذكرِ الجميلِ رَهِيْنُ
هَلْ شِدَّتْ فِي بَرْلِينٍ غَيْرَ مُعَسْكَرٍ
قامت عليه معاقِلٌ وُحْصُونُ

وَجَمَعْتَ شَعْبَكَ كُلَّهُ فِي قُبْضَةٍ إِنَّ لَمْ تَكُنْ لَأَنْتَ فَسَوْفَ تَلِينُ
تَظَلَّمْتَ تِجَارَتُكَ الْمَدَائِنَ وَالْقُرَى فَالْنَيْلُ نَاءٌ بِهَا وَنَاءُ السَّيْنِ
النشاط التجاري الألماني انتشر في كل مكان، وناء به، تضرر من ثقله، الناس في مصر وفي
فرنسا . . . والسين نهر باريس

فِي كُلِّ أَرْضٍ مِنْ رِجَالِكَ عُضْبَةٌ وَبِكُلِّ بَحْرِ مِنْ لَدُنْكَ سَفِينُ
فَالْأَمْرُ أَمْرُكَ وَالْمُهَنْدُ مُفْعَمٌ وَالنَّهْيُ نَهْيُكَ وَالسُّرَى مَأْمُونُ
كان الأمر والنهي لك قبل الحرب، وكانت الطرق آمنة والسرى، سير الليل، آمناً. وكان للآلمان
مع الدولة العثمانية عهود وتجارات وإنشاءات

فَعَلَامَ أَرَهَقْتَ الْوَرَى وَأَثَرْتَهَا شَعْوَاءَ فِيهَا لِلْهَلَاكِ فَنُونُ؟
تَاللَّهِ لَوْ نُصِرْتَ جِيوشُكَ لَانْظَوَى أَجَلَ السَّلَامِ وَأَقْفَرَ الْمَسْكُونُ
سَبْعُونَ مِليوناً إِذَا وَرَّعَتْهَا بَيْنَ الْحَوَاضِرِ نَالِنَا مِليونُ
لو انتصرت فسوف يفر المسكون، أي العالم، وستوزع السبعون مليون ألماني على الدنيا،
وسيكون نصيب مصر منهم مليوناً. مع بدء الحرب العالمية الأولى كان عدد سكان ألمانيا ٦٨
مليوناً، وسكان مصر عشرة ملايين. اليوم في مطلع ٢٠١٧: ألمانيا: ٨٠، ومصر ٩٢ مليوناً

أَكْثَرْتَ مِنْ ذِكْرِ الْإِلَهِ نَوْرُعَاً وَرَعَمْتَ أَنَّكَ مُرْسَلٌ وَأَمِينُ
عَجَباً أَنْذَكُرُهُ وَتَمَلُّاً كَوْنُهُ وَيَلَاءُ، لِيَنْعَمَ شَعْبُكَ الْمَقْبُونُ
وَكَذَلِكَ الْقَصَابُ يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالنَّضْلُ فِي عُنُقِ الذَّبِيحِ دَفِينُ

٤٩ لا مثيل للإنجليز!

نهضة السلطان حسين كامل بالسلطنة، يناير/ كانون الثاني (١٩١٥):

هَنِيئاً أَيُّهَا الْمَلِكُ الْأَجَلُ لَكَ الْعَرْشُ الْجَدِيدُ وَمَا يُظِلُّ
العرش الجديد: عرش مصر الذي أصبح صاحبه الآن سلطاناً لا مجرد خديوي، فدخل تركيا
الحرب العالمية الأولى مع المحور ضد بريطانيا جعل بريطانيا تلغي تبعية مصر لإستانبول، وتعزل
الخديوي عباساً وتولي حسين كامل العرش باسم «السلطان»، مضاهاة للقب «السلطان» العثماني .
فله العرش وله ما يظله هذا العرش، وهو يظل أرض مصر

وَجَدُّ سِيرَةِ الْعُمَرَاءِ فِيْنَا فَإِنَّكَ بَيْنَنَا لِلْوَظَلِ
العمران: أبو بكر وعمر

فِعِشْ لِلْنَيْلِ سُلْطَاناً أَبِيّاً لَهُ فِي مُلْكِهِ عَقْدٌ وَحَلُّ

وَوَالِ الْقُومِ إِنَّهُمْ كِرَامٌ مَيَامِينُ النَّفِيبَةِ أَيْنَ حَلُّوا
 ينصحه بموالة الإنجليز فهم ميامين النقية، كرام الطباع، ولهم في كل بلد يحلون مآثر. السلطان
 لم يكن بحاجة للتصيحة فالإنجليز هم الذين ولوه العرش، وأما أنهم كرام ففي هذا نظر
 لَهُمْ مُلْكٌ عَلَى الثَّامِيزِ أَضَحَتْ ذُرَاهُ عَلَى الْمَعَالِي نَسْتَهْلُ
 ملكهم على نهر الثمز، نهر لندن، ذراه، قمم تستهل، وتظهر، على المعالي
 فَإِنْ صَادَقْتَهُمْ صَدَقُوكَ وَدَا وَلَيْسَ لَهُمْ، إِذَا فَتَشْتَ، مِثْلُ
 وَإِنْ نَادَيْتَهُمْ لَبَّاكَ مِنْهُمْ أَسَاطِيلُ وَأَسِيفٌ تُسَلُّ

٥٠ شكسبير

في ذكرى ثلاثمئة عام على وفاة شكسبير، نشرت في مارس/ آذار (١٩١٦):

يُحْيِيكَ مِنْ أَرْضِ الْكِنَانَةِ شَاعِرٌ شَغُوفٌ يَقُولُ الْعَبْقَرِيِّينَ مُغْرَمٌ
 نظرت بعين الغيب في كل أمة وفي كل عصر ثم أنشأت تحكّم
 فلم تخطي المرمى، ولا عرّو أن دنت لك الغاية القُضوى، فإنك مُلهمٌ
 أفتق ساعةً وانظر إلى الخلق نظرةً تجدهم وإن راق الطلاء هم هم
 قلبتك تحيا يا أبا الشعر ساعةً لينظر ما يضمني ويضمني ويؤلم

بصي: يصبب إصابة قاتلة

وقائع حربٍ أجج العلم نازها فكاد بها عهد الحضارة يُختم

الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨

وَتَعْلَمَ أَنَّ الطَّبَعَ مَا زَالَ غَالِبًا سِوَاءَ جَهْوِ الْقَوْمِ وَالْمَتَعْلَمِ
 ولوع بتصوير الطباع فلم يجز يعاطفة إلا حسبناه يرسم
 لشكسبير ولع بتصوير طباع البشر فلم يجز، يمر، بعاطفة إلا وصفها كأنه يرسمها رسماً

وقالوا تحذانا بما يُعجزُ النهى فليسننا إذن آثاره نرسم

قال بعضهم: لن نرسم آثار شكسبير، ولن نحاكبه، لأنه تحذانا بما يعجز النهى، القول

ولم يتحذ الناس لكنّه امرؤ بما كان في مقدوره يتكلّم

لئن كان في ضخم الأساطيل فخركم لفخركم بالشاعر الفرد أعظم

أيها الإنجليز فخركم بشكسبير أعظم من فخركم بأساطيلكم الفخمة. لو عاش حافظ
 حتى عام ١٩٤٥ لراى بريطانيا تسلم قوتها البحرية للولايات المتحدة بكل هدوء ضمن
 خطة الإعارة والإيجارة الأميركية. في هذا العام ٢٠١٦ - وأنا أكتب في اليوم قبل

الأخير من أيامه - احتفل العالم بالذكرى الأربعمئة على وفاة شكسبير . يبدو أن الرجل خالد فعلاً رغم ما رماه به تولستوي من نقد جارف ماحق، وأديب روسيا الكبير قرأ شكسبير بالإنجليزية وبالروسية ولم يجد فيه عظمة، ونال من الإنجليزي جورج أورويل ما يستحق من ردة. وحافظ إبراهيم لم يقرأ شكسبير لا بالروسية ولا بالإنجليزية، ولكنه اطلع على بعض مسرحياته من ترجمات صديقه مطران عن الفرنسية. وللأمانة أقول إنني قرأت عدداً من مسرحيات شكسبير في بداية سن الشباب في ترجمات مطران، وعندما قرأت بعضها بلغتها لم أجد فيها شيئاً مختلفاً، ولا ألوم نفسي، بل أتذكر آدم مترز. فهذا المستشرق الألماني كتب كتاباً كبيراً عن الحضارة العربية استند فيه إلى عشرات المخطوطات والكتب القديمة التي حرثها حراثته وأظهر في كتابه معرفة عميقة باللغة العربية في شتى عصورها، آدم مترز هذا عندما بدأ يتكلم عن الشعر العربي منح المتنبي فقرة صغيرة وبذره ظهرياً واستخف بأبي فراس الحمداني استخفافاً، ثم رأيتُه منح الصنوبري صفحات عدة ومدحه كثيراً! وجدته لا يحسن بما في الشعر من تيار خفي يتجاوز المعنى الظاهر. ولو عاش مترز لسمع نصيح الفرنسي بلاشير في الصفحات الأخيرة من كتابه عن المتنبي لناب إلى الرشد: لقد أفر بلاشير، وهو من خير من يفهم العربية بين كل المستشرقين، بأن الإحساس بالشعر هو شغل أبناء اللغة الأصليين، خيراً قال

٥١ بين شوقي وحافظ

نشرت القطعتان عام (١٩١٧) كتب شوقي من مفناه ياسبانيا:

يا سَاكِنِي مِصرَ إِنَّا لَا نَزَالُ عَلَى عهدِ الوفاءِ - وَإِنْ غَبْنَا - مُقِيمِينَا
هَلَّا بَعَثْتُمْ لَنَا مِنْ مَاءِ نَهْرِكُمْ شيئاً نُبَلُّ بِهِ أَخْشَاءَ صَادِينَا

صادينا : عطشاننا

كُلُّ الْمَنَاهِلِ بَعْدَ النِّيلِ آسِنَةٌ مَا أَبْعَدَ النِّيلَ إِلَّا عَنْ أَمَانِينَا

آسنة : راكدة فاسدة

فلأجابه حافظ:

عَجِبْتُ لِلنِّيلِ يَدْرِي أَنْ بُلْبُلُهُ صَادٍ وَيَسْقِي رَبًّا مِضِرَّ وَيَسْقِينَا
وَاللَّهِ مَا طَابَ لِلْأَصْحَابِ مَوْرَدُهُ وَلَا ارْتَضَوْا بَعْدَكُمْ مِنْ عَيْشِهِمْ لِينَا
لَمْ تَنَأَ عَنْهُ وَإِنْ فَارَقْتَ شَاطِئَهُ وَقَدْ نَأَيْنَا وَإِنْ كُنَّا مُقِيمِينَا

٥٢ أيا صوفيا

قالها في أعقاب الحرب العالمية الأولى وقد خيف أن تحتل دول الغرب إستانبول، وتعود أيا صوفيا كنيسة، ونشرت في (١٩٣٢):

أَيَا صُوفِيَا حَانَ التَّفَرُّقُ فَادْكُرِي عهودَ كرامِ فيكِ صَلَّوْا وَسَلَّمُوا

نفذ حافظ يديه من إستانبول وظن دول الغرب ستمتلئها وتحول المعلم المشهور إلى كنيسة مثلما كان

فَلَا تُنْكِرِيْ عَهْدَ الْمَآذِنِ إِنَّهُ عَلَى اللَّهِ مِنْ عَهْدِ النَّوَاقِسِ أَكْرَمُ
وَكَيْفَ يَذُلُّ الْمُسْلِمُونَ وَبَيْنَهُمْ كِتَابُكَ يُتْلَى كُلَّ يَوْمٍ وَيُكْرَمُ؟
نَيْبُكَ مَحْزُونٌ وَبَيْتُكَ مُطْرَقٌ حَيَاءٌ وَأَنْصَارُ الْحَقِيقَةِ نُؤْمُ
عَصَيْنَا وَخَالَفْنَا فَعَاقَبْتَ عَادِلًا وَحَكَّمْتَ فِينَا الْيَوْمَ مَنْ لَيْسَ بِرَحْمٍ

في كل العصور، عند المسلمين والمسيحيين وعند كل الناس في كل الأزمان، تتردد بعد الهزيمة عبارة: «عصينا الله فهذا عقاب منه»، وهي عبارة المغلوبين المتواكلين المهملين اللاعقلانيين الكسالى الذين يلقون باللوم في هزيمتهم على الآلهة بينما المسؤول عنها حضراتهم

٥٣ حياء السلطان المعطاء

رثاء السلطان حسين كامل، نشرت في نوفمبر/ تشرين الثاني (١٩١٧):

دُكَّ مَا بَيْنَ صَخْوَةٍ وَعَشِيٍّ شَامِخٌ مِنْ صُرُوحِ آلِ عَلِيٍّ
انهدم صرح شامخ من صروح آل محمد علي مؤسس الدولة، وهذا الصرح هو السلطان حسين كامل

حَسْبَ الْخُطْبُ فَيْكَ أَلْسِنَةُ الْقَوِ لِي، وَأَعْيَا قَرِيبَةَ الْعَبَقَرِيِّ
وَإِذَا جَلَسَتْ الْخُطُوبُ وَطَمَّتْ أَعْجَزْتُ فِي الْقَرِيبِ طَوْقُ الرُّوِيِّ
لَهْفَ نَفْسِي عَلَى انْسِطَاطِكَ لِلْمُضَيِّدِ بِفِ وَذِيَالِكَ الْحَدِيثِ الشَّهِيِّ

وكان السلطان يقرب حافظاً قبل تولي السلطنة وبعده

يَحْسَبُ الدَّارَ دَارَهُ وَهُوَ يَمْنِي فَوْقَ زَاهِي بِسَاطِكِ الْأَحْمَدِيِّ
الضيف يحسب دارك داره، وأنت تبسط له البساط الأحمدى، أي تعامله بأريحية (وأصل العبارة بساط كان للسيد أحمد البدوي وكان كلما قعد ناس عليه اتسع)

خُلِقَ مِثْلَمَا نَشَقَّتْ أَرِيحَ الزَّهْرِ هَمِرَ جَادَتُهُ زُورَةُ الْوَسْمِيِّ

أخلاقك كانت كرائحة الزهر وقد جادته، أمطرته، مطرة الوسمي، وهي أول مطر الربيع

وَاهْتِزَّازُ الْغُرْفِ مِثْلُ اهْتِزَازِ السَّيْفِ فِي قَبْضَةِ الشَّجَاعِ الْكَمِيِّ

الكمي: المسلح

وَحَيَاءٌ عِنْدَ الْعَطِيبَةِ يَنْفِي خَجَلَ السَّائِلِ الْكَرِيمِ الْأَيْمِيِّ
رَحِمَ اللَّهُ يَا حُسَيْنُ خِلَالًا فَيْكَ لَمْ يَجْتَمِعْنَ فِي نَفْسٍ حَمِيٍّ

٥٤ العُمَرِيَّة

القيت في مدرج وزارة المعارف مساء الجمعة ٨ فبراير/شباط (١٩١٨):

حَسْبُ الْقَوَافِي وَحَسْبِي حَبْنُ الْقَبِيهَا أَتَنِي إِلَى سَاحَةِ الْفَارُوقِ أَهْدِيهَا
حسب القوافي، يكفيها، شرفاً أنها في الفاروق

مَوْلَى الْمُغِيرَةِ، لَا جَادَتُكَ غَادِيَّةٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ مَا جَادَتْ غَوَادِيهَا
يا مولى المغيرة، يا أبا لؤلؤة قاتل عمر، لا جادتك غادية، لا أمطرتك سحابة، من رحمة الله ما
ظلت رحمة الله تجود بالسحاب على البشر

طَعَنْتُ خَاصِرَةَ الْفَارُوقِ مَنْتَقِمًا مِنْ الْحَنِيفَةِ فِي أَعْلَى مَجَالِيهَا
الحنيفة: الدين الحنيف، مجاليا: تجلياتها، فالخليفة هو ممثل الدين الحنيف ورأه

فَأَصْبَحْتُ دَوْلَةَ الْإِسْلَامِ حَائِرَةً تَشْكُو الْوَجِيعَةَ لَمَّا مَاتَ أَسِيهَا
الوجيعة: المصيبة، أسياها: طيبها

وَاللَّهُ مَا غَالَهَا قَدْماً وَكَادَ لَهَا وَاجْتَتْ دَوْحَتَهَا إِلَّا مَوَالِيهَا
ما اغتال الدين منذ القدم واجت دوحته، قطع شجرته، إلا الموالي من غير العرب

لَوْ أَنَّهَا فِي صَمِيمِ الْعُرْبِ قَدْ بَقِيَتْ لَمَّا نَعَاهَا عَلَى الْأَيَّامِ نَاعِيهَا
يا ليتهم سمعوا ما قاله عمرُ والروح قد بلغت منه تراقياها
الترافي: عظام أعلى الصدر

لَا تُكْثِرُوا مِنْ مَوَالِيكُمْ فَإِنَّ لَهُمْ مَطَامِعاً بِسَمَاتِ الضَّعْفِ تُخْفِيهَا
رَأَيْتُ فِي الدِّينِ آراءَ مُوَفَّقَةٍ فَأَنْزَلَ اللَّهُ قِرْآنًا يُزَكِّيهَا
كانت لعمر آراء عدة وافقها القرآن من بعد وزكاها، أقرها

سَمِعْتُ سُورَةَ طهَ مِنْ مُرْتَلِّلِهَا فَرَزَلْتُ نِيَّةً قَدْ كُنْتُ تَنْوِيهَا
سمع عمر سورة طه فعدل عن نيته إيقاع الأذى بالمسلمين، وأسلم

وَيَوْمَ أَسْلَمْتَ عَزَّ الْحَقُّ وَارْتَفَعَتْ عَنْ كَاهِلِ الدِّينِ أَثْقَالُ يُعَانِيهَا
وموقف لك بعد المصطفى افترقَتْ فيه الصحابةُ لما غابَ هاديها
لما غاب الهادي، الرسول، افترق الصحابة بين أنصار ومهاجرين، وكان لعمر موقف الفيلسوف

بَابِعْتُ فِيهِ أَبَا بَكْرٍ فَبَايَعَهُ عَلَى الْخِلَافَةِ قَاصِيهَا وَدَانِيهَا

وأطفئت فتنة لولاك لاستعرت بين القبائل، وانسابت أفاعيها
 قَلِيلَسَقِيفَةٍ يَوْمَ أَنْتَ صَاحِبُهُ فيه الخلافة قد شيدت أواسيها
 في سقيفة بني ساعدة كان ثمة يوم، يوم مشهود بطله عمر، وفيه شيدت وبنيت أواسي الخلافة،
 دعائنها، جمع آسية

وقولة لعليّ قالها عمر أكرم بسامعها أعظم بمُلقِيها!
 «حَرَقْتُ دَارَكَ لَا أَبْقِي عَلَيْكَ بِهَا إن لم تباع»، وبنّت المصطفى فيها
 ما كان غير أبي حفص يَفْؤُهُ بِهَا أمام فارس عدنان وحاميها
 أبو حفص: عمر، فارس عدنان: علي بن أبي طالب

سَلْ قَاهِرَ الْفَرَسِ وَالرُّومَانِ هَلْ شَقَعَتْ له الفتوح وهل أغنى نوابيها
 قاهر الفرس والروم: خالد بن الوليد

ما واقع الروم إلا قرّ قارحها ولا رمى الفُرسَ إلا طاش راميها
 قارحها: كيرها المجرب

ولم يَجْزُ بِلَدَةٍ إِلَّا سَمِعَتْ بِهَا «اللَّهُ أَكْبَرُ» تَذْوِي فِي نَوَاحِيهَا
 لم يجر بلدة: لم يمر بها

أَتَاهُ أَمْرُ أَبِي حَفْصٍ فَقَبَّلَهُ كما يُقْبَلُ آيَ اللَّهِ نَالِيهَا
 أتى أمر أبي حفص، عمر، لخالد بالعزل، فقبل الكتاب وعزل نفسه

واستقبل العزل في إِبَّانٍ سَطَوَتِهِ ومجده مُسْتَرِيحَ النَّفْسِ هَادِيهَا
 إن الذي برأ الفاروق نَزَّهَهُ عن النقائص والأغراض تنزيها
 قبل إن لعمر غرضاً من عزل خالد، هو الحمد لمكانته أو الحقد عليه لخصومة قديمة، ولكن
 شاعرنا ينزه عمر عن النقائص والأغراض

وراع صاحب كسرى أن رأى عمرًا بين الرعيّة عطلاً وهو راعيها
 رسول كسرى ريع، تعجب ودعش، لما رأى عمر عطلاً، معطلاً من الحراسة، يمشي بين الرعية

وعهده يملوك الفرس أن لها سوراً من الجند والأحراس يحميها
 رآه مُستغْرِقاً في نومه فرأى فيه الجلالة في أسمى معانيها
 فهان في عينه ما كان يُكْبِرُهُ من الأكاسير والدنيا بأيديها
 هان في عيني رسول كسرى ما كان يعظمه، ويجله، من أكاسرة الفرس وهي الملوك التي تملك الدنيا

وَقَالَ قَوْلَهُ حَقٌّ أَصَبَحْتُ مَثَلًا
أَمِنْتُ لَمَّا أَقَمْتُ الْعَدَلَ بَيْنَهُمْ
وَمَا اسْتَبَدَّ بِرَأْيِي فِي حُكُومَتِهِ
إِنْ جَاعَ فِي شِدَّةِ قَوْمٍ شَرِكْتَهُمْ
وَأَصْبَحَ الْجِبَلُ بَعْدَ الْجِبَلِ يَرُوبِهَا
فَنِمْتُ نَوْمَ قَرِيرِ الْعَيْنِ هَانِيهَا
إِنَّ الْحَكُومَةَ تُغْفِرُ مُسْتَبِدِّيهَا
فِي الْجُوعِ أَوْ تَنْجِلِي عَنْهُمْ غَوَاشِيهَا
غَوَاشِيهَا: جمع غاشية، مصائبها

فَمَنْ يُبَارِي أَبَا حَفْصٍ وَسِيرَتَهُ
يَوْمَ اسْتَهَتْ زَوْجَهُ الْحَلْوَى فَقَالَ لَهَا:
أَغْنَتْ عَنِ الصَّارِمِ الْمَصْقُولِ دِرَّتُهُ
فَكَمْ أَخَافْتُ غَوِيَّ النَّفْسِ عَاتِيهَا
أَوَ مَنْ يَحَاوِلُ لِلْفَارُوقِ تَشْبِيهَا
مِنْ أَيْنَ لِي ثَمَنُ الْحَلْوَى فَأَشْرِيهَا
دِرَّتُهُ: سوطه، وكان لعمر سوط يؤدب به المخالفين والعتاة، المتجربين بالناس

أَخَافْتُ حَتَّى الذَّرَارِيِّ فِي مَلَاعِيهَا
وَرَاعَ حَتَّى الْعَوَانِي فِي مَلَاهِيهَا .
الذراري: الأولاد من ذرية الرجل، فقد فر منه الأولاد في لعبهم عندما ظهر، ولم يثبت له سوى
ولد واحد في قصة معروفة، وكذا العواني، أي النساء، في لهوهم .

أَرَيْتَ تِلْكَ الَّتِي لِلَّهِ قَدْ نَذَرْتُ
أُنْشُودَةَ لِرَسُولِ اللَّهِ تُهْدِيهَا
أَرَيْتَ، هل رأيت، تلك المرأة التي نذرت أن تهدي للرسول أغنية .

قَالَتْ: نَذَرْتُ لَشَيْءٍ عَادَ النَّبِيُّ لَنَا
وَيَمَّمْتُ حَضْرَةَ الْهَادِي وَقَدْ مَلَأَتْ
وَاسْتَأْذَنْتُ وَمَشَّتْ بِالْذُّفِّ وَانْدَفَعْتُ
مِنْ غَزْوَةٍ لَعَلَّى دُفِّي أُغْنِيهَا
أَنْوَارُ طَلَعَتْهُ أَرْجَاءُ نَادِيهَا
تُشْجِي بِأَلْحَانِهَا مَا شَاءَ مُشْجِيهَا
مشت بالدف تغني وتطرب بألحانها ما شاء الله الذي يشجي القلوب

وَالْمُصْطَفَى وَأَبُو بَكْرٍ بِجَانِبِهِ
حَتَّى إِذَا لَاحَ مِنْ بُعْدِ لَهَا عَمْرٌ
لَاحَ عَمْرٌ فَكَمْتُ عَنِ الْغَنَاءِ وَارْتَبَكْتُ حَتَّى كَادَ الْخَوْفُ بِرَدِّيهَا، يَقْتُلُهَا .

وَحَبَّأْتُ دُفِّي فِي ثَوْبِهَا فَرَقَا
مِنْهُ، وَوَدَّتْ لَوْ أَنَّ الْأَرْضَ تَطْوِيهَا
فَرَقًا: خوفًا

قَدْ كَانَ جِلْمُ رَسُولِ اللَّهِ يُؤْنِسُهَا
فَجَاءَ بَطْشُ أَبِي حَفْصٍ يُخَشِّيهَا
فَقَالَ مَهْطٌ وَخِي اللَّهُ مَهْتَسِمًا
وَفِي ابْتِسَامَتِهِ مَعْنَى يُوَاسِيهَا
مهبط الوحي: موضع هبوطه، وهو النبي

قد فَرَّ شَيْطَانُهَا، لَمَّا رَأَى عُمَرَاً إِنَّ الشَّيَاطِينَ تَخْشَى بَأْسَ مُخْزِيهَا
وَفِتْنِيَّةٍ وَلِمُؤْمَرٍ بِالرَّاحِ فَانْتَبَذُوا لَهُمْ مَكَانًا وَجَدُوا فِي تَعَاطِيهَا
ظَهَرَتْ حَائِطُهُمْ لَمَّا عَلِمَتْ بِهِمْ وَاللَّيْلُ مُعْتَكِرُ الْأَرْجَاءِ سَاجِيهَا
ظَهَرَتْ حَائِطُهُمْ وَتَسَوَّرَتْ عَلَيْهِمُ وَاللَّيْلُ مُعْتَكِرُ الْأَرْجَاءِ، مَظْلَمُ النَّوَاحِي، سَاجِيهَا، سَاكِنُهَا

سَفَّهَتْ آرَاءَهُمْ فِيهَا فَمَا لَبِسُوا أَنْ أَوْسَعُوكَ عَلَى مَا جِئْتَ تَسْفِيهَا
سَفَهَتْ آرَاءَهُمْ، أَلْصَقَتْ السُّفْهَ بِمَقُولِهِمْ فِيهَا، فِي الْخَمْرِ، فَسَفَّهُوا فَعَلَكَ فِي التَّجَسُّسِ عَلَيْهِمْ
قَالُوا: مَكَانُكَ! قَدْ جِئْنَا بِوَاحِدَةٍ وَجِئْنَا بِثَلَاثٍ لَا تُبَالِيهَا
قَالُوا لَكَ مَكَانُكَ، قَفْ، فَأَنْتَ أَخْطَأْتَ فِي ثَلَاثٍ وَنَحْنُ فِي وَاحِدَةٍ

قَالَتِ الْبَيْوتُ مِنَ الْأَبْوَابِ يَا عُمَرُ فَقَدْ يُزَنُّ مِنَ الْحَيِّطَانِ آتِيهَا
يُزَنُّ: يُثَبِّمُ

وَأَسْتَأْذِنِ النَّاسَ أَنْ تَغْشَى بُيُوتَهُمْ وَلَا تُلِمَّ بِدَارٍ أَوْ تُحْبِبِبَهَا
وَلَا تَجَسَّسْ فَهَذِي الْآيَةُ قَدْ تَرَلَّتْ بِالنَّهْيِ عَنْهُ فَلَمْ تَذْكُرْ نَوَاحِيهَا
فَعُدَّتْ عَنْهُمْ وَقَدْ أَكْبَرَتْ حُجَّتَهُمْ لَمَّا رَأَيْتَ كِتَابَ اللَّهِ يُمْلِكُهَا
وَمَا أُنِفْتُ وَإِنْ كَانُوا عَلَى حَرَجٍ مِنْ أَنْ يَحُجَّكَ بِالْآيَاتِ عَاصِيهَا
لَمْ تَأْنَفْ حَتَّى وَهَمَ عَلَى حَرَجٍ، عَلَى إِثْمٍ، مِنْ أَنْ تَنْصَاعَ لِحُجَّتِهِمُ الْمَقْرُونَةَ بِالْآيَاتِ رَغْمَ أَنَّهُمْ
عَصَاةٌ

وَسَرَّحَهُ فِي سَمَاءِ السَّرْحِ قَدْ رَفَعَتْ بِبَيْعَةِ الْمُصْطَفَى مِنْ رَأْسِهَا تِيهَا
وَرَبَّ سَرْحَةٍ، شَجَرَةٍ، رَفَعَتْ رَأْسَهَا بَيْنَ الشَّجَرِ فِي السَّمَاءِ تِيهَا، وَافْتِخَارًا، لِأَنَّهَا الشَّجَرَةُ الَّتِي
جَرَتْ تَحْتَهَا بَيْعَةُ الرُّضْوَانِ

أَزَلَّتْهَا حِينَ غَالَوْا فِي الطَّوَافِ بِهَا وَكَانَ تَطَوُّافُهُمْ لِلدِّينِ تَشْوِيهَا
أَنْتَ قَطَعْتَهَا عِنْدَمَا بَالِغُوا فِي الطَّوَافِ بِهَا وَتَقْدِيسُهَا

أَهْدِي مَنَاقِبَهُ فِي عَهْدِ ذَوْلَتِهِ لِلشَّاهِدِينَ وَلِلْأَعْقَابِ أَحْكِيهَا
لَعَلَّ فِي أُمَّةِ الْإِسْلَامِ نَابِئَةٌ تَجْلُو لِحَاضِرِهَا مِرَاةَ مَاضِيهَا
لَعَلَّ النَّابِئَةَ، أَيَّ الشَّبَابِ، يَجْلُونَ وَيَلْمَعُونَ مِرَاةَ الْمَاضِي لَخِدْمَةِ حَاضِرِهِمْ

٥٥ رثاء باحثة البادية

نشرت في سنة (١٩١٨):

مَلَكُ النَّهْيِ لَا تَبْعَدِي فَالْخَلْقُ فِي الدُّنْيَا سَيْرُ
ملك ابنة حفني ناصف كانت أدبية واشتهرت بلقب باحثة البادية، وجعلها ملاكاً للنهي، أي للعقل.
لا تبعدني: كلمة تقال للمينة. لتبني ذكراك حاضرة فالناس في هذه الدنيا ما هم إلا سير، ذكرى
وسيرة

إِنِّي أَرَى لَكَ سِيرَةً كَالرَّوْضِ أَرْجَاهُ الزَّهْرُ
أَرْجَاهُ: عطره

وَتَرَكْتَ شَيْخَكَ لَا يَمْعِي هَلْ غَابَ زَيْدٌ أَوْ خَاضِرُ
تركت أبوك، وكان حفني ناصف معلماً ونحوياً، ذاهلاً لا يدري أغاب «زيد»، الاسم المستخدم
في أمثلة النحاة، أم حضر

نِإْلًا تُرْنَحُهُ الْهُمُ مُمْ إِذَا تَحَامَلَ أَوْ خَطَرَ
كَالْفَرْعِ هَزَّتْهُ الْعَوَا صِفُ فَالتَّوَى ثُمَّ انْكَسَرَ
ومات أبوها في السنة التالية

يَا بَرَّةً بِالْوَالِدَيْنِ مِنْ أَبُوكَ بَعْدَكَ لَا يَفْقَرُ
فَسَلِّي إِلَهَكَ سَلْمَةً لِأَبِيكَ فَهُوَ بِهِ أَبَرُّ
الله أبرُّ منك بأبيك

٥٦ العود «أحمد»

أحد حافظ هذه القصيدة لاستقبال شوقي هائداً من منفاه، ونشرها قبيل وصوله، نشرها
في أغسطس/ آب (١٩١٩):

وَرَدَ الْكِنَانَةَ عِبْقَرِيَّ زَمَانِهِ فَتَنْظُرِي يَا مِصْرُ سَحَرَ بَيَانِهِ
وَالْقُطْرُ فِي شَوْقِي لِأَنْدَلُسِيَّةِ شَوْقِيَّةٍ تَشْفِيهِ مِنْ أَشْجَانِهِ
مصر مشتاقة إلى قصيدة أندلسية من قلم شوقي تشفيها من أشجانها، أحزانها، الناتجة عن ثورة
(١٩١٩)

يُصْغِي لِأَحْمَدَ إِنْ شَدَا مُتَرَنِّمًا إِصْغَاءَ أُمَّةٍ أَحْمَدٍ لِأَذَانِهِ
القطر، أي مصر، يصغي لأحمد شوقي وهو يترنم بعمره كإصغاء أمة أحمد، النبي، للأذان

وَأَذْكُرُ لَنَا الْحَمْرَاءَ، كَيْفَ رَأَيْتَهَا وَالْقَصْرَ، مَاذَا كَانَ مِنْ بُنْيَانِهِ؟

حدثنا عن آثار العرب في إسبانيا التي أتيت منها

مَاذَا تَحَطَّمَتْ مِنْ دُرَاهُ، وَمَا الَّذِي أَبَقَتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنْ أَرْكَانِهِ

قل لنا ماذا تحطم من ذرا، أعالي، قصر الحمراء، وما الذي أبقي الزمن من أركانه

إِذْ مُلِّكَ أُنْدَلُسُ عَرِيضُ جَاهُهُ وَشَبَابُهُ الْمَبْكِيُّ فِي رَيَعَانِهِ

وكان ملك العرب هناك ذا جاه، ومنزلة، وكان في شبابه الذي أصبحنا نبكي على زواله وهو في ريعانه، في نقارته

زَالَتْ بِشَاشَتُهُ، وَزَالَ وَأَقْفَرَتْ مِنْ أَنْسِهِ الدُّنْيَا وَمِنْ إِنْسَانِهِ

ذهب أنس وبهجة ذلك الملك وذهب إنسانه أيضاً بجلاء العرب

أَشْكُو إِلَيْكَ مِنَ الزَّمَانِ وَزُمَرَةٍ جَرَحَتْ فَوَادَ الشُّعْرِ فِي أَعْيَانِهِ

يشكو من زمرة المدعين الذين جرحوا قلب الشعر بانقاصهم أعيانه، كبار أصحابه

كَمْ خَارِجٍ عَنْ أَفْقِهِ حَصَبَ الْوَرَى بِقَرِيضِهِ وَالْعُجْبُ مِلْءُ جَنَانِهِ

كم من شخص خارج عن أفق الشعر لا علاقة له به، قد حصب الناس بقريضه، رماهم بحجارة هي عبارة عن قصائده، والعجب، التيه والفخر، يملأ جنانه، قلبه

يَخْتَالُ بَيْنَ النَّاسِ مُتَّخِذَ الْخُطَا رِيحُ الْغُرُورِ تَهْبُ مِنْ أَرْذَائِهِ

يمشي هذا الشاعر المدعي بطيئ الخطا، تهب ريح الغرور من أوردانه، أكمات ثوبه

كَمْ صَكَّ مِسْمَعَنَا بِجَنْدَلٍ لَفِظِهِ وَأَطَالَ مِحْنَتَنَا بِطُولِ لِسَانِهِ

جندل: صخر

قُلْ لِلَّذِي قَدْ قَامَ يَشَاوُ أَحْمَدًا خَلَّ الْقَرِيضَ فَلَسْتَ مِنْ فُرْسَانِهِ

يشاو: يباري

مَا كَانَ يَأْمُرُ عَشْرَةَ لَوْ لَمْ يَكُنْ رَوْحُ الْحَقِيقَةِ مُنْهِكًا بِعِنَانِهِ

ما كان شوقي ليأمن الزلل لو لم تكن الحقيقة هي المسكة بلجام فرسه

فَأَتَى بِمَا لَمْ يَأْتِهِ مُتَقَدِّمٌ أَوْ تَظْمَعِ الْأَذْهَانَ فِي إِتْبَانِهِ

فالحمد لله الذي قد رده من بعد غريبته إلى أوطانه

٥٧ مظاهر السيدات

قالها في (١٩١٩)، وتأخر نشرها حتى مارس/ آذار (١٩٢٩):

خَرَجَ الْغَوَانِي يَخْتَجِجُ نَ، وَرُحْتُ أَرْقُبُ جَمْعَهُنَّ
فَإِذَا بِهِنَّ تَخِذْنَ مِنْ سُودِ الثِّيَابِ شِعَارُهُنَّ
فَطَلَعْنَ مِثْلَ كَوَاكِبِ يَسْطَعْنَ فِي وَسْطِ الدُّجْنَةِ
وَأَخِذْنَ يَخْتَزْنَ الطَّرِيبَ حَقَّ وَدَارُ سَفِيدِ قَضْدُهُنَّ
يَمْشِينَ فِي كَنَفِ الْوَقَا رَ، وَقَدْ أَبَنَّ شُعُورُهُنَّ

يمشين وفورات مع انهن أبرزن شعورهن وسفرن

وَإِذَا بِجَيْشٍ مُقْبِلِ وَالْخَيْلُ مُطْلَقَةُ الْأَعِنَّةِ
وَإِذَا الْجَنُودُ سَبَوْفُهَا قَدْ صُوبَتْ لِنُحُورِهِنَّ
وَإِذَا الْمَدَافِعُ وَالْبِنَا دَقُّ وَالصَّوَارِمُ وَالْأَيْسَنَةُ..
وَالْخَيْلُ وَالْفَرَسَانُ قَدْ ضَرَبَتْ نِطَاقاً حَوْلَهُنَّ
وَالْوَرْدُ وَالرَّيْحَانُ فِي ذَاكَ النَّهَارِ سِلَاحُهُنَّ
فَتَطَاخَنَ الْجَيْشَانِ سَا عَاتٍ تَشِيبُ لَهَا الْأَجِنَّةُ
فَتَضَعُغَ النُّسْوَانُ وَالنَّدَى سَوَانُ لَيْسَ لَهُنَّ مُنَّةُ

منة: فورة

لَمْ انْهَزْ مَنْ مُشَتَّنَا تِ الشَّمْلِ نَحْوَ قُصُورِهِنَّ
قَلْبَهُنَّ الْجَيْشُ الْفُخُو رُ بِنَصْرِهِ وَبِكُنْزِهِنَّ
فَكَأَنَّمَا الْأَلْمَانُ قَدْ لَيْسُوا الْبَرَاقِعَ بَيْنَهُنَّ
وَأَتَوْا بِهِنَّ دُنُوزَ مُخَا تَفِيأُ بِمُضَرٍ يَقُودُهُنَّ

باول فون هندبرغ جنرال ألماني سيصبح رئيساً للجمهورية (١٩٢٥)، وسيعين هتلر مستشاراً، أي رئيس وزراء، عام (١٩٣٣)

فَلِذَاكَ خَافُوا بِأَسْهُنَ- وَأَشْفَقُوا مِنْ كَيْدِهِنَّ

٥٨ أبق شيئاً

قبلت عام (١٩١٩)، وانتشرت بين الناس ولم تنشر في صحيفة:

بَا مَلِكًا بِرَغْمِهِ يَلْبَسُ الثَّآجَ، وَيَرْقَى لِعَرْشِهِ مَمْلُوكًا

الملِك : السلطان فؤاد ابن الخديوي إسماعيل ، وتولى السلطنة عام (١٩١٧) ، وتسمى ملكاً عام (١٩٢٢)

إِنْ أَتَمَّتْ بِدَاكَ تَخْرِبَ مِصْرٍ فَلَقَدْ مَهَّدَ الْخَرَابَ أَبُوكَ

وكان الخديوي إسماعيل ، الذي عزل عام (١٨٧٩) ، قد أسرف وأضر بمالية البلاد رغم إنشاءاته الكثيرة

أَبْنَى شَيْئًا - إِذَا مَضَيْتَ دَمِيمًا عَنْ قَرِيبٍ - يَأْتِي عَلَيْهِ بَنُوكَا

٥٩ الأب التاكل

رثاء عبد الحميد رمزي ، قالها على لسان والد الشاب المتوفى ، ونشرت في مارس/ آذار

(١٩٢٠) :

وَلَدِي، قَدْ طَالَ سُهْدِي وَنَحْبِي جُنْتُ أَدْعُوكَ فَهَلْ أَنْتَ مُجِيبِي؟

جُنْتُ أَزْوِي بِدَمْعِي مَضْجَعًا فِيهِ أُوَدِّعُ مِنَ الدُّنْيَا نَصْبِي

لَا تَخَفْ مِنْ وَحْشَةِ الْقَبْرِ، وَلَا تَبْتَئِنْ إِنِّي مُوَافٍ عَنْ قَرِيبٍ

أَنَا لَا أَنْزُكُ شِبْلِي وَحْدَهُ فِي جَدِيبٍ مُوَجِّشٍ غَيْرِ رَحِيبٍ

أَوْحِينَ ابْتَرَّ دَهْرِي قُوتِي وَذَوَى عُودِي وَوَفَانِي مَشِيبِي

ابتز : سلب

وَإِكْتَسَى غَصْنُكَ مِنْ أَوْرَاقِهِ تَحْتَ شَمْسِ الْعِزِّ وَالْجَاوِ الْخَصِيبِ

يَنْتَوِيكَ الْمَوْتُ فِي شَرْخِ الصُّبَا وَالشَّبَابُ الْعُضُّ فِي الْبُرْدِ الْقَشِيبِ

لَمْ يَدَّعِ أَسِيكَ جُهْدًا إِنَّمَا غَابَ عِلْمُ اللَّهِ عَنْ عِلْمِ الطَّبِيبِ

أسيك : طيبك

إِيهِ يَا عَبْدَ الْحَمِيدِ انْظُرْ إِلَى وَالِدِ جَمِّ الْأَسَى بَادِي الشُّحُوبِ

ذَاهِلٍ مِنْ قَرْطِ مَا حَلَّ بِهِ بَيْنَ أَتْرَابِكَ يَمْشِي كَالْغَرِيبِ

كَلَّمَا أَبْصَرَ مِنْهُمْ وَاحِدًا هَزَّةَ الشُّوقِ إِلَى وَجْهِ الْحَبِيبِ

٦٠ البابا والباب

كتب بها إلى السيد محمد اليلايي لما أصبح نقيب الأشراف (١٩٢٠) :

قُلْ لِلنَّقِيبِ لَقَدْ رَزَّنَا فَضِيلَتَهُ فَذَاذَنَا عَنْهُ حِرَاسٌ وَحُجَّابٌ

ذاذنا عنه : حال بيتنا وبينه

لو أَتَنِي جِثْتُ لِبَابَا لَأَكْرِمَنِي وَكَانَ يُكْرِمُنِي لَوْ جِثَّتُهُ الْبَابُ

الباب: إمام العقيدة البابية التي ورثها البهائية، والباب أيضاً هو الباب، يقول حافظ، على المعنى الظاهر: لو جثت إلى الباب الخشبي لأكرمني من حيث ردني الحجاب

لَا تَخْشَ جَائِزَةً قَدْ جِثْتُ أَطْلُبُهَا إِنِّي شَرِيفٌ وَلِلْأَشْرَافِ أَحْسَابُ
فَاهُنَّا بِمَا نَلَتْ مِنْ فَضْلٍ وَإِنْ قُطِعَتْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْيَوْمِ أَسْبَابُ

٦١ مصر تتحدث عن نفسها

أُنْشِدَهَا فِي حِفْلٍ بِفَنَلَقَ الْإِنْتَرَكُونْتَنَتَالِ لَتَكْرِيمٍ عَلَيَّ بَعْدَ عَوْدَتِهِ مِنْ أُوْرُوبَا قَاطِعاً
المفاوضات مع الإنجليز، ومستقبلاً من الوزارة. نشرت في ديسمبر/كانون الأول
(١٩٢١):

وَقَفَّ الْخَلْقُ يَنْظُرُونَ جَمِيعاً كَيْفَ أَبْنَى قَوَاعِدَ الْمَجْدِ وَحَدِي
وَبُنَاةَ الْأَهْرَامِ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ رِ كَفَوْنِي الْكَلَامَ عِنْدَ التَّحْدِي
أَنَا تَاجُ الْعَلَاءِ فِي مَفْرِقِ الشَّرِّ قِي وَدُرَّائُهُ فَرَايِدُ عَقْدِي
أَنَا إِنْ قَدَّرَ الْإِلَهِ مَمَاتِي لَا تَرَى الشَّرْقَ يَرْفَعُ الرَّأْسَ بَعْدِي
مَا رَمَانِي رَامٍ وَرَاحَ سَلِيماً. مِنْ قَدِيمٍ عَنَابَةُ اللَّيْلِ جُنْدِي
كَمْ بَخَعْتُ دَوْلَةً عَلَيَّ وَجَارَتْ ثُمَّ زَالَتْ وَتِلْكَ عُقْبَى التَّعْدِي
هَلْ فَهِمْتُمْ أَسْرَارَ مَا كَانَ عِنْدِي مِنْ عِلُومٍ مَخْبُوءَةٍ طَيِّ بَرْدِي؟

البردي: ورق شجر كتب فيه الفراعنة علومهم

إِنَّ مَجْدِي فِي الْأَوَّلِيَّاتِ حَرِيقُ مَنْ لَهُ مِثْلُ أَوْلِيَّاتِي وَمَجْدِي؟

الأوليات: المجد القديم

أَنَا أُمُّ التَّشْرِيعِ قَدْ أَخَذَ الرُّو مَا نَ عَنِّي الْأُصُولُ فِي كُلِّ حَدِّ
الحَد: الحكم القانوني، والقانون الروماني مشهور

وَرَصَدْتُ النُّجُومَ مِنْذُ أَضَاءَتْ فِي سَمَاءِ الدُّجَى فَأَحْكَمْتُ رَصْدِي
وَقَدِيماً بَنَى الْأَسَاطِيلَ قَوْمِي فَفَرَّقَنَ الْبِحَارَ بِحِمِلَنَ بَنْدِي
سُفْنِي فَرَقْتُ، شَقْتُ، طَرَفُهَا فِي الْبَحَارِ حَامِلَةٌ بَنْدِي، رَابِتِي، وَالْكَلَامُ لِمِصْرَ

أَيُّ شَعْبٍ أَحَقُّ مِنِّي بِعَيْشٍ وَارِفِ الظِّلِّ أَخْضَرَ اللَّوْنِ رَغْدِي؟
أَمِنْ الْعَدْلِ أَنَّهُمْ يَرُدُّونَ الـ سَمَاءَ ضَفُوءاً وَأَنْ يُكَدَّرَ وَرْدِي؟

يُضْفُ قَرْنٍ إِلَّا قَلِيلًا أَعَانِي مَا يُعَانِي هَوَانُهُ كُلُّ عَبْدٍ

منذ أن احتل الإنجليز مصر عام ١٨٨٢

نَظَرَ اللَّهَ لِي فَارْتَدَّ أَبْنَا نِي فَسَدُّوا إِلَى الْعُلَا أَيَّ شَدِّ

إِنَّمَا الْحَقُّ قُوَّةٌ مِنْ قُوَى الدِّيَمِ بَانَ أَمْضَى مِنْ كُلِّ أَبِيضٍ هِنْدِي

قَدْ وَعَدْتُ الْعُلَا بِكُلِّ أَبِي وَارْتَمَوْا دَوْلَتِي عَلَى الْعِلْمِ وَالْأَخِ

لَاقِي، فَالْعِلْمُ وَحْدَهُ لَيْسَ يُجْدِي كَحَلَّتْهَا الْأَطْمَاعُ فَيَكُنْ بِسُوءِ

إِنَّ فِي الْغَرْبِ أَغْنَيْنَا رَاصِدَاتِ فِي الْغَرْبِ أَعَيْنَ سَاهِدَةٍ طَامِعَةٍ تَتَقَرَّبُ الْانْقِضَاضُ عَلَى ثُرَوَاتِ مِصْرَ

فَوْقَهَا مِجْهَرٌ يُرِيهَا خَفَايَا كُنْ وَيَطْوِي شُعَاعُهُ كُلَّ بُغْدٍ

وهذه الأعين تنظر بمجهر مكبر لترى الخفايا، وشعاع المجهر يقرب البعيد (أصبح تلسكوباً)

فَاتَّقُوهَا بِجُنَّةٍ مِنْ وَثَامِ غَيْرِ رَثِّ الْعُرَا وَسَغِي وَكَدِّ

اتقوا مطامع الغرب بجنة، وقاية، هي الوثام الشديد غير رث العرا، غير مهترئ العرا، جمع عروة

وَاضْفَحُوا عَنْ هَنَاتٍ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ رَبُّ هَافٍ هَفَا عَلَى غَيْرِ عَمْدٍ

الهتات: الذنوب الصغيرة

نَحْنُ نَجْتَارُ مَوْقِفًا تَعُشُّرُ الْآ رَاءَ فِيهِ، وَعَشْرَةُ الرَّأْيِ تُرْدِي

تردي: تبيت

وَيَظُنُّ الْعَوِيُّ أَنْ لَا نِظَامَ وَيَقُولُ الْقَوِيُّ قَدْ جَدَّ جِدِّي

فَقِفُوا فِيهِ وَقِفَةَ الْحَزْمِ وَارْمُوا جَانِبَيْهِ بِعَزْمَةِ الْمُسْتَعِدِّ

إن كنت لم تسمع بأن أم كلثوم غنت أبياتاً من هذه القصيدة في لحن رياض السنباطي فاسمع،

واذهب واسمع الأغنية. مقدمتها وحدها تحفة

٦٢ سيرا إلى إنجلترا

وداع محمد بدر وأحمد بدر عند سفرهما إلى بلاد الإنجليز للتعلم:

سِيرَا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَنْبَتَتْ عِزًّا وَأَضَحَّتْ لِلْمَلَا مَوْئِلَا

أصبحت بلاد الإنجليز للملا، للملا أي الناس، مويلاً، ملتجأً

يَمْشِي عَلَيْهَا الدَّهْرُ مُسْتَحْذِيًّا وَتَجَزُّعُ الْأَحْدَاثُ أَنْ تَنْزِلَا

مستخذياً: خاضعاً

شِعَارُ أَهْلِهَا وَأَبْنَائِهَا أَنْ يَعْلَمَ الْمَرْءُ وَأَنْ يَعْمَلَ
لَكُنْ غَدَا الدَّهْرُ بِنَا مُدِيرًا لَا بَدْءَ لِلْمُدِيرِ أَنْ يُقْبَلَ
التسويد لعمران القفني، ويقول: لعل الدهر يقبل علينا، فمنذ زمن بعيد لم يقبل! وعدد الحازني
لحافظ الدول التي أدبرت ثم استمر بها الإدبار حتى الاندثار

٦٣ رائحة الاستقلال

تصريح ٢٨ فبراير/شباط، نشرت في أبريل/نيسان (١٩٢٢):

أَلَمَحْ لِاسْتِقْلَالِنَا لَمَعَةً فِي حَالِكِ الشُّكِّ فَاسْتَرْوَحْ
استروح: أشعر بالراحة، لأن هذا الإعلان في ٢٨ فبراير/١٩٢٢ جاء فيه من طرف بريطانيا أن
الحماية رفعت عن مصر، وأن مصر دولة مستقلة ذات سيادة وأن لبريطانيا الحق في حماية طرق
مواصلاتها وحمايتها ضد أي اعتداء خارجي، ويبقى الوضع في السودان على حاله

وَتَظْمِسُ الظُّلْمَةُ أَنَارَهَا فَأَنْتَنِي أَنْكَرُ مَا أَلَمَحْ
فقبائل: لا تعجلوا إتيانكم مكانكم بالأمس لم تبرحوا
بعضهم رفض الإعلان البريطاني لأنه لا يغير من الحال شيئاً فالיום مثل الأمس. مكانكم لم
تبرحوا، أي لم تبرحوا مكانكم

وَقَائِلِ أَوْسَعِ بِهَا خُطْوَةً وَرَاءَهَا الْغَايَةُ وَالْمَظْمَحْ
وبعضهم قال إنها خطوة واسعة، وبعدها تتحقق الغاية التي نطمح إليها

وَقَائِلِ أَسْرَفَ فِي قَوْلِهِ: هَذَا هُوَ اسْتِقْلَالُكُمْ فَأَفْرَحُوا
وبعضهم قال وبالغ: هذا هو الاستقلال الحق

إِنْ تَسْأَلُوا الْعَقْلَ يَقُلْ عَاهِدُوا وَاسْتَوْثِقُوا فِي عَهْدِكُمْ تَرَبَّحُوا
العقل يقول، عقل شاعرنا طبعاً، اقبلوا المعاهدة، وأكثوها بالمواثيق

وَأَسُسُوا دَاراً لِنُؤَايِكُمْ لِلرَّأْيِ فِيهَا وَالْحِجَا أَفْسَحُوا
وأسسوا دار نواب واجعلوا للحجاء، للعقل، المكان الفسيح فيها

أَوْ تَسْأَلُوا الْقَلْبَ يَقُلْ حَافِرُوا وَصَابِرُوا أَعْدَاءَكُمْ تُفْلِحُوا
والقلب يقول، وهو قلب شاعرنا، احذروا دهاء الإنجليز وصابروهم في نضال مستمر

إِنِّي أَرَى قَيْدًا فَلَا تُنَلِّمُوا أَيْدِيَكُمْ فَالْقَيْدُ لَا يَسْجَحْ
المعاهدة تتضمن قيداً فلماذا نسلم أيدينا لمن يريد تقييدها، والقيد لا يسجح، لا يلين... وكانت
ذكريات ثورة ١٩١٩ طرية بعد في الأذهان

إِنْ هَيَّأُوهُ مِنْ حَرِيرٍ لَكُمْ فَهَوَّ عَلَى لَيْنٍ بِهِ أَفْدَحُ

القيد الحريري أفدح، وأقنى، من القيد الحديدي

٦٤ جاء دوري

ذكرى الشيخ محمد عبده، أُنشدتها في حفل بالجامعة المصرية في يوليو/تموز

(١٩٢٢):

راعني فَقَدْ شَبَّابِي وَأَنَا لَا أَرَاكَ الْيَوْمَ مِنْ فَقْدِ مَشِيبِي

حَنَنْ جَنْبَايَ إِلَى بَرْدِ الثَّرَى حَيْثُ أَتَى مِنْ عَدُوٍّ وَحَبِيبِ

أحن إلى التراب حيث ينساني العدو والحبيب

مَضَجُّ لَا يَشْتَكَِي صَاحِبُهُ شِدَّةُ الدَّهْرِ وَلَا شِدَّةُ الْخَطُوبِ

لَا وَلَا يُسْهِمُهُ ذَاكَ الَّذِي يُسْهِمُ الْأَحْيَاءَ مِنْ عَيْشٍ رَتِيبِ

قَدْ وَقَفْنَا سِنَةً نَبْكِي عَلَى عَالِمِ الْمَشْرِقِ فِي يَوْمِ عَصِيبِ

وَقَفَ الْخَمْسَةُ قَبْلِي فَمَضَوْا هَكَذَا قَبْلِي، وَإِنِّي عَنْ قَرِيبِ

وقف سنة على قبر الإمام يؤينونه، وهم على ترتيب التابئين: أحمد أبو خطوة، حسن عاصم، حسن عبد الرازق، قاسم أمين، حفني ناصف، حافظ إبراهيم. وماتوا واحداً بعد الآخر وبنفس الترتيب.. وعلمنا مات الرابع ١٩٠٨، كتب خامسهم، حفني ناصف، لشاعرنا حافظ:

أَتَذَكَّرُ إِذْ كُنَّا عَلَى الْقَبْرِ سِنَةً نَعُدُّ أَسَارَ الْإِمَامِ وَنَنْدُبُ

وَقَفْنَا بِتَرْتِيبٍ وَقَدْ دَبَّ بَيْنَنَا مِمَاتٌ عَلَى وَفْقِ الرِّثَاءِ مَرْتَبُ

أَبُو خُطُوةٍ وَلِي وَقَفَّاءَ عَاصِمُ وَجَاءَ لَعَبْدِ الرَّازِقِ الْمَوْتُ يَطْلُبُ

فَلَبِي وَغَابَتْ بَعْدَهُ شَمْسُ قَاسِمٍ وَعَمَّا قَلِيلٍ شَمْسُ مَخْيَايَ تَغْرُبُ

فَلَا تَخْشَ هُلُكاً مَا حَيِّتُ فَإِنْ أَمْتُ فَمَا أَنْتَ إِلَّا خَائِفٌ تَتَرَقَّبُ

فَخَاطِرُ وَقَعَتْ تَحْتَ التُّرْمَايَ لَا تَخَفْ وَنَمَ تَحْتَ بَيْتِ الْوَقْفِ وَهُوَ مَخْرَبُ

وَحُضْرُ لُجَجِ الْهَيْجَاءِ أَعَزَّ أَمْنَا فَإِنْ الْمَنَايَا عَنْكَ تَنَآى وَتَهَرَّبُ

.. وفي تكريم حفني ناصف (١٩١٢)، وقف حافظ وقال قصيدة:

أَخْشَى عَلَيْكَ الْمَنَايَا حَتَّى كَأَنَّكَ مِنْنِي

إِذَا شَكُوتَ صَدَاعاً أَطْلُتُ تَسْهِيدَ جَفْنِي

وَإِنْ عَمَرَكَ هَمَزَالٌ هَيَّأْتُ لِحْدِي وَقُطْنِي

وإن دعوتُ لـحبي يوماً فلإياك أعني
عُمري بـعُمرك رهنً فـعشْ أـعشْ ألفَ قرنٍ

٦٥ رثاء إسماعيل صبري

أنشدنا في حفل التابين في مايو/ أيار (١٩٢٣):

نعاك النُعاةُ وحُمّ القَدَرُ ولم يُغنِ عَنَّا وعنك الحَذَرُ
حم القدر: وافى وحلاً

أهني السَّرى أُمُّ أعزِّي الوري لقد فازَ هذا وهذا خسر
رُحِمْتُ، فقد كنتَ حُلُوَّ اللِّسانِ جليَّ البيانِ صدوقَ الخبر
قليلَ التَّعجُّبِ، جَمُّ الأناةِ حكيمَ الورودِ حكيمَ الصَّدَرِ
لقد كنتَ أغشاهُ في دارِهِ وناديه فيها زهاً وازدهارِ
أغشاه: أزوره، ناديه: مجله

وأعرضُ شعري على مسمعٍ لطيفٍ يحسُّ نُبوَّ الوترِ
على سَمعٍ باقِعٍ حاضرٍ يميزُ القديمَ من المُبتَكِرِ
رجل باقة: شديد الذكاء والحيلة

فيضقلُ لفظي صفَلُ الجُمانِ ويكسوه رِقَّةُ أهلِ الحَضَرِ
الجمان: اللؤلؤ

كذلك كان، عليه السلام، إماماً لكلِّ أديبٍ شِعَرِ
شعر: قال شعراً. وكان إسماعيل صبري يتفح شعر شوقي أيضاً

٦٦ رحلة إلى إيطاليا

نشرت في نوفمبر/ تشرين الثاني (١٩٢٣):

أرضُهُم جَنَّةٌ وحُورٌ وولدا نَ كما تَشْتَهِي، ومُلكٌ كَبيرُ
تَحْتَهَا - والمعابدُ باللو - نارُ وعذابٌ ومُنكَرٌ وتَكْبيرُ
إنَّ يوماً كَيومِ رَدْجُو ومَسِيرِنا وكالْبُريا لَيَومُ عَسيرُ

مسينا في صقلية، وكالْبُريا منطقة منط القدم في إيطاليا وضربتها زلازل كثيرة في ذلك الزمن وقبله،
ورَدْجُو من مدنها الصغيرة، وضربها زلزال في سنة ١٩٠٨، وآخر سنة ١٩٢٣ عند نشر القصيدة

سَاعَةً مِنْهُ تُهْلِكُ الْحَرَّتَ وَالنَّسْـَٔ
ذَٰكَ فَيَرْوُفُ قَائِماً يَنْلَظِّي

بركان فيزوف عند مدينة نابولي بإيطاليا

يُنْذِرُ الْقَوْمَ بِالرَّحِيلِ، وَلَكِنْ
وَكِذَاكَ الْأَوْطَانُ مَهْمَا تَجَنَّثَ
وَلِجَ الْقَوْمَ بِالنِّظَافَةِ حَتَّى
فَلِذَا سِرْتُ فِي الطَّرِيقِ نَهَاراً
أَفْرَطَ الْقَوْمَ فِي النَّظَامِ، وَعِنْدِي
وَلَذِيذُ الْحَيَاةِ مَا كَانَ قَوْضَى
فَلِذَا مَا سَأَلْتَنِي قُلْتُ عَنْهُمْ:
قَدْ بَلَوْتُ الْحَيَاةَ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْ
مِنْ ثَوَاءٍ فِيهِ السَّلَالُ لِزَامٍ

الثواء: الإقامة والمكث

٦٧ هجاء للشعر

ضِغَتْ بَيْنَ الثُّهَى وَبَيْنَ الْخِيَالِ يَا حَكِيمَ الْنَفُوسِ يَا ابْنَ الْمَعَالِي
النهى: العقول

ضِغَتْ فِي الشَّرْقِ بَيْنَ قَوْمٍ مُجُودٍ
قَدْ أَذَالُوكَ بَيْنَ أَنْسٍ وَكَأْسٍ
وَنَسِيبٍ وَمَذْحَةٍ وَهَجَاءٍ
وَحِمَاسٍ أَرَاهُ فِي غَيْرِ شَيْءٍ
عِشْتُ مَا بَيْنَهُمْ مُذَالاً مُضَاعاً
حَمَلُوكَ الْعَنَاءَ مِنْ حُبِّ لَيْلَى
وَبُكَاءٍ عَلَى عَزِيزٍ تَوَلَّى
وَإِذَا مَا سَمَوَا بِقَنْدَرِكَ يَوْمَاً
أَنَّ يَا شِعْرُ أَنَّ نَفْكَ قُبُوداً

لَمْ يُفَيْقُوا، وَأُمَةٌ مِكَسَالٍ
وَعَرَامٍ بِظَنَبِيَّةٍ أَوْ غَزَالٍ
وَرَثَاءٍ وَفِثْنَةٍ وَضَلَالٍ
وَصَغَارٍ يَجُرُّ ذَيْلَ اخْتِيَالٍ
وَكَذَا كُنْتُ فِي الْعَصُورِ الْخَوَالِي
وَسُلَيْمَى، وَوَقْفَةَ الْأَطْلَالِ
وَرِسُومٍ رَاخَتْ بِهِنَّ اللَّيَالِي
أَسْكَنُوكَ الرِّحَالَ فَوْقَ الْجِمَالِ
فَيَذَنَّا بِهَا دُعَاءَ الْمُحَالِ

فَارْقَعُوا هَذِهِ الْكَمَائِمَ عَنَّا وَدَعُونَا نَسْتُمِ رِيحَ الشَّمَالِ

٦٨ إِيَّاكَ وَالْإِنْجِلِيزِ

تهتة سعد زغلول بالنجاة من إطلاق الرصاص عليه في محطة القطار. نشرت في ١٣ يوليو/تموز (١٩٢٤):

لَا تَقْرَبِ التَّامِيزَ وَاحْذَرْ وَرَدَهُ مَهْمَا بَدَا لَكَ أَنَّهُ مَعْسُولُ

لا تقرب التاميز، نهر التمز... يعني الإنجليز الذين كان سعد يشايعهم من قبل، واحذر ورده، ماءه، مهما بدا لك أنه ماء معسول، حلوا

الْكَيْدُ مَمْرُوجٌ بِأَصْفَى مَائِهِ وَالْخَتْلُ فِيهِ مُذَوَّبٌ مَصْقُولُ

الختل: الخداع

فَاحْذَرْ سِيَاسَتَهُمْ وَكُنْ فِي بَقْطَةٍ سَعْدِيَّةٍ إِنَّ السِّيَاسَةَ عُورُ

تَصَلَّتْ سِيَاسَتُهُمْ وَحَالَ صِبَاغُهَا وَلِكُلِّ كَاذِبَةٍ الْخَضَابُ نُصُولُ

نصلت سياستهم مثلما ينمو الشعر فينصل الخضاب، الصغ، ويظهر لون الشعر الحقيقي

جَمَعُوا عَقَاقِيرَ الدَّهَاءِ وَرَكَّبُوا مَا رَكَّبُوهُ، وَعِنْدَكَ التَّحْلِيلُ

ركبوا سياستهم على نحو معقد، وعندك يا سعد القدرة على تحليل هذه السياسة إلى مكوناتها لترى ما فيها من سموم

فَادْفَعْ وَنَاضِلٌ عَنِ مَطَالِبِ أُمَّةٍ يَا سَعْدُ أَنْتَ أَمَامَهَا مَسْؤُولُ

الإنجليز يعرفون الحق - يقول هذا صاحب الشرح الذي عاشهم سنوات طويلة - ولكنهم إذا ضيقوا كانوا متعالين متعجرفين عنصريين مخادعين... بشراً عاديين. لكن، بصراحة... برودهم الذي ضربت به الأمثال يضفي عليهم سمة الرؤفان. الله أنتم أيها الإنجليز، تعلمت منكم الكثير، ورأيت رجالاً كثيراً ونساء، من عرب ومن هنود يعشقون أن يتنجلزوا، وقد رأيت في حانوت كتب بمطار مؤخراً كتاباً عنوانه «كيف تصبح بريطانية». وقد حماني من مثل هذا الشعور، وأنا أعيش أولئك القوم، أنني كنت مُكِبّاً على مطالعة تراث قومي، وأنتي كنت أقول في نفسي كل يوم وكل ليلة: أنا عربي

٦٩ بَانِي الْهَرَمِ

سَخَّرَ الْعِلْمَ لِيُجِنِّي آيَةً فَوْقَ شَطِّ النِّيلِ تَبْدُو كَالْعَلَمِ

آية: علامة، العلم: الجبل

هِيَ ذَكَرٌ خَالِدٌ، لَكِنَّهُ عَابِسُ الْوَجْهِ إِذَا الذَّكْرُ ابْتَسَمَ
كُلُّ مَا فِيهَا، عَلَى إِعْجَازِهَا، أَنَّهَا قَبْرٌ لَجَبَّارٍ حُطِّمَ
حُطْمٌ: عَنِيفٌ مَبْطَرٌ

لَيْتَهُ سَخَّرَ مَا فِي عَهْدِهِ مِنْ قُوَى فِي غَيْرِ تَقْدِيسِ الرَّمَمِ
الرَّمَم: الرفات

٧٠ رثاء المتفلوطي

نشرت في سبتمبر/أيلول (١٩٢٤):

رَحِمَ اللَّهُ صَاحِبَ النَّظَرَاتِ غَابَ عَنَّا فِي أَخْرَجِ الْأَوْقَاتِ
مات المتفلوطي يوم إصابة سعد زغلول برصاص معتد، فانتشل الناس عن تشيع المتفلوطي بحادث سعد

كَيْفَ غَادَرْتَنَا سَرِيعاً، وَعَهْدِي بِكَ بِمَا مُضْطَفَى كَشِبَرِ الْأَنَاةِ
التسويد لعمران القفيني

كُنْتُ فِي مِصْرَ شَاعِراً يَبْهَرُ اللَّبَّاءَ بِآيَاتِ شِعْرِهِ الْبَيِّنَاتِ
فَهَجَرْتُ الشَّعْرَ السَّرِيَّ إِلَى النَّدَا رَفَعْتُ الْكُتَابَ بِالْمُعْجَزَاتِ
السري: العالي الراقي. وللمتفلوطي بضع قصائد أشهرها قصيدة هجاء في الخديوي عباس حلمي
وهو عائد من إستانبول، مطلعها: (قدوم ولكن لا أقول سعيد/وملك وإن طال المدى سييد).
وقبل اشترك في نظم القصيدة عدة أدباء فسميت قصيدة السفهاء، وانتشرت وطبع منها بشئ الطرق
آلاف النسخ، وجرّت على المتفلوطي سجنًا لأشهر ستة

مُتَّ عَنْ يَافِعٍ وَخَمْسِ بَنَاتٍ لَمْ تُخَلَّفْ لَهَا سِوَى الذِّكْرِيَّاتِ
وَتَرَاثُ الْأَدِيبِ فِي الشَّرْقِ حُزْنَ لِبَنِيهِ، وَزَوْجَةَ لِلزَّوْجَةِ

٧١ دين طه حسين

عن طه حسين بعد نشر كتابه في الشعر الجاهلي (١٩٢٦)، وفي البيتين ذكر للدكتور
عبد الحميد سعيد عضو مجلس النواب الذي كان من المطالبين بإهداء دم طه حسين:

إِنْ صَحَّ مَا قَالُوا، وَمَا أَرْجَفُوا وَالصَّقُّوا زُوراً بِدِينِ الْحَمِيدِ
أرجفوا: أشاعوا بفرض الفتنة

فَكُفِّرْ «طَه» عِنْدَ دِيَانِهِ أَحَبُّ مِنْ إِسْلَامِ عَبْدِ الْحَمِيدِ
الديان: الله

٧٢ رثاء أحمد حشمت

وكان وزيراً للمعارف، وهو من توسط لحافظ في وظيفة بدار الكتب وكان له إفضال كثير على الشاعر (١٩٢٦):

لَكَ مِئَةٌ قَدْ طَوَّقَتْ عُقْنِي مَا إِنْ أُرِيدُ لِيَطْرُقَهَا نَزْعَا
مَاتَ الْإِمَامُ وَكَانَ لِي كَنَفًا وَقَضَيْتَ أَنْتَ وَكُنْتَ لِي دِرْعَا
سَلَّنِي فِلَانِي مِنْ صَنَائِعِهِ وَسَلَّ «المعارف» كَمْ جَنَّتْ نَفْعَا
اسألني أيها المستمع، واسأل وزارة المعارف كم جنت من المنافع في عهد وزيرها

وَعَدَوْتُ فِي بَلَدٍ تَكْنُفُنِي فِيهِ الشُّرُورُ وَلَا أَرَى دَفْعَا
تكفني: تحبط بي

كَمْ مِنْ صَدِيقٍ لِي يُحَاسِبُنِي وَكَأَنَّ نَحْتَ ثِيَابِهِ أَقْعَى
كَمْ حَاوَلْتُ هَدْمِي مَعَاوِلُهُمْ وَأَبَى الْإِلَهَ فِرَازَنِي رَفْعَا
وَلَرُبَّ حُرٍّ عَابَهُ نَفَرٌ لَا يَضْلُحُونَ لِنَعْلِهِ شِعْمَا
الشع للنعل: السير الجلدي بين الأصابع

٧٣ مبايعة شوقي

ألقيت في مهرجان تنصيب شوقي أميراً للشعراء، في ٢٩ أبريل/ نيسان (١٩٢٧):
يَعْبُيُونَ شَوْقِي أَنْ يُرَى غَيْرَ مُنْشِدٍ وَمَا ذَاكَ عَنْ عِيٍّ بِهِ أَوْ تَرْفُعٍ
لا عيب في أن يدع شوقي إنشاد شعره لغيره، فليس هذا عن عي، قلة فصاحة، ولا عن ترفع
فَهَذَا كَلِيمُ اللَّهِ قَدْ جَاءَ قَبْلَهُ بِهَارُونَ مَا يَأْمُرُهُ بِالْوَحْيِ يَضْدَعُ
فهذا موسى الذي كلم الله جاء بأخيه هارون ليصدع، ليجهز، بما يأمر الوحي به موسى

تَمَلَّكَتْ مِنْ مُلِكِ الْقَرِيضِ فَسَبَحَهُ فَلَمْ تُبْقِ بَا شَوْقِي لَنَا قَبْدُ إَصْبَعٍ
فِيَاللَّهِ دَعُ لِلنَّائِثِرِينَ وَسَيْلَةً تُفِيءُ عَلَيْهِمْ، وَاتَّقِ اللَّهَ وَاقْنَعِ
ولعمري لشوقي ناثر مبدع، بدا هذا في مقدمته للشوقيات في طبعة قديمة، وفي كتابه أسواق الذهب، واقطننا منه عبارات في فصلنا الذي عن شوقي في الكتاب

أَمِيرَ الْقَوَافِي قَدْ أَتَيْتُ مُبَايَعًا وَهَذِي وَفُودُ الشَّرْقِ قَدْ بَايَعَتْ مَعِي

٧٤ صاحب القاف

قال حافظ في الدكتور محبوب ثابت، وهو طبيب كان يحلم بالوزارة، ويهتم بكل شأن سياسي في كل بلد، وكان يتكلم بالعامية محققاً القاف، وله حضور فكه في مجالس سعد زغلول، ولشوقي فيه أكثر من قصيدة (١٩٢٧):

يُرْغِي وَيُزِيدُ بِالْقَافَاتِ تَحْسَبُهَا قَصَفَ الْمَدَافِعِ فِي أَقْوِ الْبَسَاتِينِ
مِنْ كُلِّ قَافٍ كَأَنَّ اللَّهَ صَوَّرَهَا مِنْ مَارجِ النَّارِ تَصَوِيرَ الشَّيَاطِينِ

المارج: اللهب

قَدْ خَصَّه اللَّهُ بِالْقَافَاتِ يَعْلُكُهَا وَاخْتَصَّ سَبْحَانَهُ بِالْكَافِ وَالتَّوْنِ
لَا يَأْمَنُ السَّامِعُ الْمُسْكِينَ وَثَبَّتَهُ مِنْ كُرْدُفَانٍ إِلَى أَعْلَى فَلَسْطِينِ

يقفز في حديثه من موضوع إلى آخر بعيد عنه

وَلَمْ يَكُنْ ذَاكَ عَنْ طَيْشٍ وَلَا خَبَلٍ لَكِنَّهَا عِبَقَرِيَّاتُ الْأَسَاطِينِ

٧٥ رثاء سعد زغلول

أنشدها في حفل تأبينه في أكتوبر/ تشرين الأول (١٩٢٧):

إِيوَا لَيْلٍ هَلْ شَهِدْتَ الْمُصَابَا كَيْفَ يَنْصَبُ فِي النَّفُوسِ انْصِبَابَا؟
قَدْ يَا لَيْلٍ مِنْ سَوَادِكَ ثَوْبَاً لِلدَّرَارِي وَلِلضُّحَى جُلْبَابَا

اقطع أيها الليل قطعة من سوادك لتكون ثوباً يستر النجوم اللامعة والضحى... حناداً على سعد

أَنْسُجِ الْحَالِكَاتِ مِنْكَ نِقَابَا وَاحْبُ شَمْسَ النَّهَارِ ذَاكَ النُّقَابَا
قُلْ لَهَا: غَابَ كَوْكَبُ الْأَرْضِ فِي الْأَرِ ضِيْفَغِيْبِي عَنِ السَّمَاءِ احْتِجَابَا
أَيْنَ سَعْدُ؟ فَذَاكَ أَوَّلُ حَفْلٍ غَابَ عَنْ صَدْرِهِ وَعَافَ الْخِطَابَا

وكان سعد في كل حفل خطيباً فصيحاً

لَمْ يُعَوِّذْ جَنُودَهُ يَوْمَ خَطْبٍ أَنْ يُنَادَى فَلَا يَرُدُّ الْجَوَابَا
قُلْ لِمَنْ بَاتَ فِي فَلَسْطِينِ يَبْكِي إِنْ زَلْزَلْنَا أَجَلُ مُصَابَا

وكان ألم بفلسطين سنتذ زلزال مشهور ما زال الناس يؤرخون به. قالت لي عمتي رحمها الله - وكانت تخفي حقيقة عمرها - إنها تتذكر يوم الزلزال بمدينة نابلس فقد أخذها الأهل إلى الجبل وكان عمرها ثلاث سنوات.. هززت رأسي وقلت في نفسي: ٢٧ ناقص ٣ يساوي ٢٤، وعرفت تاريخ ميلادها

يا كبيرَ الفؤادِ والنفسِ والآما لَ أَيْنَ احْتَزَمْتَ عَنَّا الذهابا؟
 كيف نَنسى موافقاً لَكَ فِينا كُنْتَ فِيهَا المَهِيْبَ لا الهَبَابا؟
 جَزَعُ الشَّرْقِ كُلُّهُ لِمَظْلِم مَلَأَ الشَّرْقُ كُلُّهُ إِعْجَابا
 نَقُتِلُ الدَّمَّ بِالمَصْرَاحَةِ قِتْلاً وَتُسْقَى مُنَافِقُ القَوْمِ صَابا

الصاب: نبات مر

قد جَمَعْتَ الأحزابَ حَوْلَكَ صَفّاً وَنَظَّمْتَ الشُّيُوخَ والنُّوَابا
 أي مجلسي الشيوخ والنواب

قد بَلَّوْنَاكَ قَاضِيبا ووزيراً وَرئيساً وَمِذْرَهاً خَلَّابا
 مدره: زعيم

فَوَجَدْنَاكَ مِنْ جَمِيعِ نَوَاحِيهِ لَكَ عَظِيماً مُوَفَّقاً غَلَّابا

٧٦ رثاء يعقوب صروف

أنشدنا في حفل تأبينه بدار الأوبرا في مارس/ آذار (١٩٢٨):

أَبْكِي وَعَيْنُ الشَّرْقِ تَبْكِي مَعِي عَلَى الأَرِيبِ الكَاتِبِ الأَلَمِي
 كُرِّمَ بِالأَمْسِ وَاكْفَانُهُ تَنسُجُهَا الأَقْدَارُ لِلْمَصْرَعِ

كان تكريمه قريباً وسرعان ما مات، فكانه وهو في حفل التكريم كان غافلاً عن أن القدر جاذ في نسج أكفانه

يا صَائِغَ الثَّرَى لِتَكْرِيمِهِ صُفِّهُ لِمَنْعَمَاءِ مِنَ الأَذْمَعِ
 قد زَيَّنَ العِلْمَ بِأَخْلَافِهِ فِعَاشَ مِلْءَ العَيْنِ والمِصْنَعِ
 تَوَاضَعُ العِلْمُ لَهُ رَوْعَةً يَنْهَارُ مِنْهَا صَلَفُ المُدَّعِي
 وَخُلَّةُ الفَضْلِ لَهَا شَارَةً أَزْهَى مِنَ السَّيْفَيْنِ والمِذْنَعِ
 يُشْبِعُ مَنْ حَصَلَ مِنْ عِلْمِهِ وَهُوَ مِنَ التَّحْصِيلِ لَمْ يَشْبَعِ

يشبع الناس الذين يحصلون علومه التي ينشرها في المقتطف (فتحى الشاعر العراقي الزهاوي، وهو أמן من حافظ تسع سنين، ترى معرياً على يد مجلدات المقتطف في بيت والده)، لكن صروف نفسه لم يشبع من العلم. وكان من حسن طالع جيلنا أن أصدرت دولة الكويت مجلة «العربي» عام (١٩٥٨)، وكانت علمية أدبية كالمقتطف، وزادت عن المقتطف الصور الملونة الخلاية، وترأس تحريرها عالم جليل وصاحب لغة وأدب هو أحمد زكي الكبياني المصري فجعلها مدرسة تعلم فيها جيل من الناس، وفي «العربي» قرأت أول الأسطر ومنها تعلمت، ومنها صرت لا أرى الآداب تقوم بغير العلوم المادية، وأحب أن الزهاوي تعلم من المقتطف أن يكون أدبياً وطالب علم مادي في آن معاً

قَدْ عَالَتْ الْأَسْقَامُ أَضْلَاعَهُ وَالرَّأْسُ فِي شُغْلٍ عَنِ الْأَضْلَعِ
ظل تفكيره حيواً رغم المرض

يَفْقَطُفُ الزَّهْرَ وَيَخْتَارُهُ كَالنَّحْلِ لَا يَغْفُو عَنِ الْأَيْتَعِ
كان يقتطف في مجلته «المقتطف» الأزهار من رياض العلم والأدب، كالنحل الذي لا يغفو عن
الزهرة ويتركها لأنها يانعة بل يفشاها

فَنَحَسَبُ الْقُرَاءَ فِي جَنَّةٍ عُقُولُهُمْ فِي رَوْضِهَا تَرْتَعِي
صُرُوفٌ لَا تَبْعُدُ، فَلَسْتُ الَّذِي يَطْوِيهِ طَاوِي ذَلِكَ الْمَضْجَعِ
لا تبعد: كلمة تقال للميت، أي لا بُعد ذكرك

أَسْكَنَكَ الْمَوْتَ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُسْكِبِ الْأَثَارَ فِي الْمَجْمَعِ
لم تبعد آثارك في المجمع، المجلس، ولم يكن أنشئ مجمع اللغة العربية في مصر بعد

٧٧ نضال النساء

نحية لجمعية المرأة الجديدة، نشرت في أبريل/ نيسان (١٩٢٨):

يَقُولُونَ: نَصَفَ النَّاسِ فِي الشَّرْقِ عَاطِلٌ نِسَاءً قَضَيْنَ الْعُمَرَ فِي الْحُجَرَاتِ
وَهَذِي بَنَاتُ النَّبْلِ يَعْمَلْنَ لِلنُّهَى وَيَغْرِسْنَ غَرْساً دَانِي الثَّمَرَاتِ
النهى: العقل

وَفِي السَّنَةِ السَّوْدَاءِ كُنُتُنَّ قُدُوءَ لَنَا حِينَ سَالَ الْمَوْتُ بِالْمُهْجَاتِ
في السنة السوداء، أثناء ثورة (١٩١٩)، بادرت النساء بالاحتجاج حين أودى الموت بمهيج وقلوب الناس

وَقَفُتُنَّ فِي وَجْهِ الْخَمِيسِ مُدْجَّجَاتٍ وَكُنُتُنَّ بِالْإِيمَانِ مُعْتَصِمَاتِ
وقفت النسوة في وجه الخميس، الجيش، وسلاحهن الإيمان بمطالب الشعب

تَعَلَّمْ مِنْكُنَّ الرِّجَالُ فَأَصْبَحُوا عَلَى غَمَرَاتِ الْمَوْتِ أَهْلَ ثَبَاتِ

٧٨ رثاء محمود سليمان

كان محمود سليمان من كبار ملاك الأراضي، وقد وظف والد شاعرنا مهندساً للرعي في
ديروط، وأسكنه عوامة فيها ولد شاعرنا. نشرت في فبراير/ شباط (١٩٢٩):

قَسَمْتُ مَا جَمَعْتُ كَفَّأكَ مِنْ نَسَبٍ عَلَى بَنِيكَ فَكُنْتَ الْوَالِدَ الْحَانِي
وأصبح «محمد محمود» ابن الباشا رئيساً للوزراء وكان ينعم على حافظ إبراهيم كما كان ينعم أبوه
على أبيه

مَالٌ حَلَالٌ مُزَكَّيٌّ مَا خَلَطْتَ بِهِ يَلِيْمٌ سُحْبٌ وَلَا حَقًّا لِإِنْسَانٍ

السحت: الحرام

٧٩ الواقف على الستين

تحية الشام، أنشدها في الجامعة الأميركية ببيروت، ونشرت في ٢ يونيو/حزيران (١٩٢٩):

أَهْلَ الشَّامِ لَقَدْ طَوَّقْتُمْ عُنُقِي بِمِئْنَةٍ خَرَجْتُ عَنْ طَوَّقِ يَبْيَانِي
منة: نعمة

لِي مَوْطِنٌ فِي رُبُوعِ النِّبْلِ أَعْظَمُهُ وَلِي هُنَا فِي حِمَاكُم مَوْطِنٌ ثَانٍ
سَكَنْتُكُمْ جَنَّةً فَبِحَاءٍ لَيْسَ بِهَا عَيْبٌ سِوَى أَنَّهَا فِي الْعَالَمِ الْفَانِي
يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مِنْ دُنْيَايَ فِي دَعَا قَلْبِي جَمِيعٌ، وَأَمْرِي طَوَّعٌ وَجَدَانِي
بل كان حافظ في دعة مرفهاً يقبض معاشاً محترماً من «دار الكتب»، ولكنه كان مقيداً في الوظيفة وأمره ليس طوع وجدانه، فالوظيفة المغرية حبست لسانه

أَفْضِي الْمَصِيفَ بِلُبْنَانٍ عَلَى شَرْفٍ وَلَا أَحُولُ عَنِ الْمَشْتَى بِحُلُوانٍ
ليتني وادع أفضي الصيف في لبنان على شرف، في مكان عالي، ولا أغير مشتاي في حلوان بمصر

تَاهَتْ بِقَبْرِ صَلَاحِ الدِّينِ ثُرْبَتُهَا وَنَاهُ أَحْبَاؤُهَا نِيهَا بِمُطْرَانٍ
تفتخر الشام بأن فيها قبر صلاح الدين، هذا عن الأموات، أما الأحياء فيفتخرون بمطران، وخليل مطران ابن زحلة بلبنان، وكانت لبنان في ذلك الزمن، ١٩٢٩، قد انفصلت سياسياً عن سوريا، ولكنها بقيت في وجدان الناس جزءاً من سوريا الكبرى

يَبْنِي وَيَهْدِمُ فِي الشَّعْرِ الْقَدِيمِ وَفِي الشَّدَا حَرِّ الْحَدِيثِ فَنَعَمُ الْهَادِمُ الْبَانِي
إِذَا لَمَحْتُكُمْ بِشِمَرِي وَمَضَّ بَارِقَةٍ فبَعْضُ إِحْسَانِهِ فِي الْقَوْلِ إِحْسَانِي
شَقَقْتُ أَسْوَاقَ بَيْرُوتٍ فَمَا أَخَذْتُ عِبْنَايَ فِي سَاحِهَا حَانُوتٌ بُونَانِي
.. وليس كأسواق الإسكندرية العامرة بحوانيت اليونانيين.. وحوانيت الشام أيضاً

فَقُلْتُ فِي غِبْطَةٍ: لَلَّهِ دَرُّهُمْ لَيْسَ الْفَلَاخُ لِيَوَانٍ غَيْرِ يَقْظَانٍ
ليس الفلاح، والنجاح، ليوان، لكسول متوان

مَتَى أَرَى الشَّرْقَ أَدْنَاهُ وَأَبْعَدُهُ عَنْ مَظْمَعِ الْغَرْبِ فِيهِ غَيْرَ وَسْنَانٍ
وسنان: نعلان

لا فَرَقَ ما بَيْنَ بُودَيِّ يَعِيشُ به ومسلمٍ وَيَهُودِيٍّ وَنَصْرَانِي
 إن دَامَ ما نَحْنُ فِيهِ مِنْ مُدَابَرَةٍ وفتنةٍ بَيْنَ أَجْناسٍ وَأَذْيَانٍ
 المدابرة: أن يعطي كل واحد صاحبه دبره أي ظهره فيخاصمه

رَأَيْتُ رَأْيَ المَعْرِي حِينَ أَرَهَقَهُ ما حَلَّ بِالنَّاسِ مِنْ بَغْيٍ وَعُدْوَانٍ
 لا تَظْهَرُ الأرضُ مِنْ رَجَسٍ وَمِنْ ذَرَنِ حتَّى يُعاوِدَها نوحٌ بِطُوفانٍ
 تمنى المعري، وكانت لزومياته تلازم حافظاً، طوفاناً يغسل الأرض من وسخها

وَلَى الشَّبَابِ وَجَّازَتْنِي فَتَوْتُهُ وَهَدَّمَ السُّقْمُ بَعْدَ السُّقْمِ أُرْكَانِي
 وَقَفْتُ عَلَى السَّنْبَنِ أَسْأَلُها أَسَوَّفْتُ أَمْ أَهْدَتْ حُرَّ أَكْفَانِي
 وقفت قبل بلوغ الستين أسأله هل سوف أكفاني، وأجلتها، أم أعدتها وهبأتها. الحُر: من الوجه ومن المال ومن كل شيء هو حقيقته ووسطه. قد قلتُ وأنا في التاسعة والأربعين، ونشرتها في جريدة «الحال»، في شباط/فبراير (٢٠٠٥):

«وقفت على الخمسين» حيران في أمري كَأَنِّي ناسٍ موعداً غابَ عن فكري
 أَمَسْتُ جَبِينِي بِالبَنانِ، وإِنِّي لأَشُوقُ لِلنِّسيانِ مِنِّي إلى الذُّكْرِ
 بعيني أَرْنُو لِلْفراغِ، ولا أرى، ولو مَرَّ جَمْعٌ من أَمامي لَمْ أدرِ
 وأطبقتُ أَجفاني، زَفَرْتُ تَقَلُّقَلْتُ بحلقي حُصَباتٍ، وفاجأني عُمري
 كنت أعرف أنني سرفت هذه الـ «وقفت على» من أحد، ونسيت من يكون، والآن عرفت أنني سرفت من حافظ. وقد وقفت الآن على الستين وتجاوزتها بسنة، فأنا في العمر الذي مات عليه حافظ.. وتراني كلما قال لي أحدهم «أحسن الله ختامك» أنعجب، فلم أعد أحس بمر السنين، وتركت الأمر لصاحب الأمر.. ربما سأشعر بشيء من الفراغ بعد أن أكمل هذا الكتاب ذا المجلدات الخمسة، هذا إن بقي من الوقت وقت للشعور بالفراغ

كَمَ مِنْ قَرِيبٍ نَأَى عَنِّي فَلوَجَعَنِي وَكَمَ عَزِيزٍ مَضَى قَبْلِي فَأَبْكَانِي
 مَنْ كانَ يَسْأَلُ عَن قَوْمِي فَلِأَنَّهُمْ وَلَوْ سِرَاعاً وَخَلَّوْا ذَلكَ الْوَانِي
 الواني: الضعيف

إِنِّي مَلِلْتُ وَتَوَفِّي كُلَّ أَوْنَةٍ أَبْكِي وَأَنْظِمُ أَحْزاناً بِأَحْزانٍ
 إِذا نَصَفَحْتَ دِيوانِي لِتَقْرَأَنِي وَجَدْتُ شِعْرَ المِراثِي نِصْفَ دِيوانِي
 أَتَيْتُ مُسْتَفْهِياً وَالشُّوقُ يَدْفَعُ بِي إلى رُبائِكُمْ وَعُودِي غَيْرُ قَبْيانٍ
 العود الفيتان: الساق الناضر ذو الأغصان

فَأَنْزِلُونِي مَكَاناً أَسْتَجِمْ بِهِ وَيَنْجِلِي عَنْ فَوَادِي بَرْحِ أَحْزَانِي

البرح: الأذى

وَجَنِّبُونِي، عَلَى شُكْرِ، مَوَائِدِكُمْ بِمَا حَوَتْ مِنْ أَفَاوِيهِ وَالْوَانِ

الأفاويه: التوابل

حَسْبِي وَحَسْبُ النَّهْيِ مَا بَلَثْتُ مِنْ كَرَمٍ قَدْ كَذْتُ أَنْسَى بِهِ أَهْلِي وَخُلَّانِي

٨٠ تأبين محمد المويلحي

نشرت في أبريل/نيسان (١٩٣٠):

دَمْعَةً مِنْ دَمْعِ عَهْدِ الشَّبَابِ كُنْتُ خَبَّائِهَا لِيَوْمِ الْمَصَابِ

لَبَّيْتُ الْيَوْمَ يَا مُحَمَّدُ لَمَّا رَاعَنِي نَغْيُ أَكْتَابِ الْكُتَّابِ

وكان محمد المويلحي ناثراً مشهوراً وله «حديث عيسى بن هشام» على طريقة المقامات

هَذَا تُ لَوْعَتِي وَسَرَّتْ قَلِيلًا عَنْ فَوَادِي وَلَطَفْتُ بَعْضَ مَا بِي

سَرَّتْ عَنْ فَوَادِي تَسْرِيَةً: خَفَّتْ عَنْهُ

لَوْ شَهِدْتُمْ مُحَمَّدًا وَهُوَ يُمْلِي آيَ «عِيسَى» وَمُعْجَزَاتِ الْكِتَابِ

كتاب «حديث عيسى بن هشام»... والتورية في آي عيسى أي معجزاته، ومعجزات القرآن التي تكمن في بلاغته

وَقَفْتُ حَوْلَهُ صُفُوفُ الْمَعَانِي وَصُفُوفُ الْأَلْفَاظِ مِنْ كُلِّ بَابِ

لَعَلِمْتُمْ بِأَنَّ عَهْدَ ابْنِ بَحْرِ عَاوَدَ الشَّرْقَ بَعْدَ طَوْلِ احْتِجَابِ

ابن بحر: عمرو بن بحر الجاحظ

٨١ حنين للدموع

نشرت في فبراير/شباط (١٩٣٢):

كَمْ رَوَّحَ الدَّمْعُ عَنْ قَلْبِي وَكَمْ عَسَلَتْ مِنْهُ السَّوَابِقُ حُزْناً فِي حَنَائِي

كان الدمع يروح عني ويخفف حزن قلبي وكانت سوابق الدمع، الدمعات التي تنزل فوراً، تغسل الحزن في حنايا قلبي، أنحائه

لَمْ أَدْرِ مَا يَدُهُ حَتَّى تَرَشَّفَهُ قَمُ الْمَشِيبِ عَلَى رُغْمِي فَأَفْنَاهُ

لم أعرف يد الدمع، نعمته، إلا بعد أن ارتشفه قم المشيب وأفناه فجفت دموعي

قالوا تَحَرَّزْتَ مِنْ قَيْدِ الْمِلَاحِ فِعْشَ حُرّاً فِيهِ الْأَسْرُ ذُلٌّ كُنْتَ تَأْبَاهُ

عَلَّلُونِي بِأَنِّي تَخَلَّصْتُ مِنْ أَسْرِ الْمَيْلِ لِلْحَسَنِ وَتَخَلَّصْتُ مِنْ ذُلِّ هَذَا الْقَيْدِ

فَقُلْتُ يَا لَيْتَهُ دَامَتْ صَرَامَتُهُ مَا كَانَ أَرْفَقَهُ عِنْدِي وَأَخْنَاهُ

لَكِنِّي أَتَحَسَّرُ عَلَى ذَلِكَ الْمَيْلِ لِلنِّسَاءِ، فَفِيهِ رَفَقٌ وَحَنٌّ. لَعَلَّهُ نَادِمٌ أَنْ طَلَّقَ زَوْجَتَهُ بَعْدَ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ
مِنَ الزَّوْجِاقِ وَيَبْقَى عَزِيباً رُبْعَ قَرْنٍ فَدَمَعَتَهُ الشَّيْخُوخَةُ فَشَعَرَ بِالْوَحْدَةِ

بُذِّلْتُ مِنْهُ بِقَيْدٍ لَسْتُ أَفْلَيْتُهُ وَكَيْفَ أَفْلَيْتُ قَيْدًا صَاغَهُ اللَّهُ

الْقَيْدِ الثَّانِي فِيهِ نَظَرٌ. لَعَلَّهُ الْمَيْلَ الْمُتَأَصِّلَ فِي نَفْسِ حَافِظِ الشَّبَانِ! أَوْ لَعَلَّهُ الْمَشِيبَ كَمَا يَصْرَحُ
الْبَيْتُ الْمَقْبَلُ

أَسْرَى الصَّبَابَةِ أَحْيَاءً وَإِنْ جَهَّدُوا أَمَّا الْمَشِيبُ فِيهِ الْأَمْوَاتُ أَسْرَاءُ

٨٢ فاض الكيل

نشرت (١٩٣٢):

أَخَذْتُمْ كُلَّ مَا تَبْغُونُ مِنَّا فَمَا هَذَا التَّحَكُّمُ فِي الْعِبَادِ؟

فَلَيْسَ وَرَاءَكُمْ غَيْرُ التَّجَنِّي وَلَيْسَ أَمَانًا غَيْرُ الْجِهَادِ

٨٣ تعميم الخصب

انشدهما في حفل أقامه لطله حسين طلبته بعد فصله من الجامعة، نشر البيتان في ٧
أبريل/ نيسان (١٩٣٢):

قَدْ أَجْدَبَتْ دَارَ الْحِجَا وَالنُّهَى بِعَمْدِكَ مِنْ آرائِكَ النَّافِعَةَ

أَجْدَبْتَ، وَأَقْفَرْتَ، الجامعة التي هي دار الحجا، العقل، والنهى، العقل أيضاً، من آرائك النافعة

وَأَخْصَبْتَ أَرْجَاءَ مِصْرَ بِمَنْ صَبَّرَ مِصْرًا كُلَّهَا جَامِعَةً

٨٤ حكومة صدقي

من قصيدة في شؤون مصر السياسية، قالها في عهد وزارة إسماعيل صدقي، بعد إحالته
إلى التقاعد (١٩٣٢)، وقيل إنها بلغت متي بيت، وعثر من هذه الأبيات على قليل، منه
هذا الأقل:

قَدْ مَرَّ عَامٌ يَا سَعَادَ وَعَامٌ وَابْنُ الْكِتَانَةِ فِي حِمَاهُ بُضَامٌ

لَمْ يَبْقَ فِينَا مَنْ يُمَنِّي نَفْسَهُ بِوِدَادِكُمْ فَوَدَّادُكُمْ أَحْلَامُ

أَمِنَ السَّيَاسَةَ وَالْمَرْوَةَ أَنَّنَا نَشْقَى بِكُمْ فِي أَرْضِنَا وَنُضَامُ؟
 إِنَّا جَمَعْنَا لِلْجِهَادِ صَفُوفَنَا سَنَمُوتُ، أَوْ نَحْيَا وَنَحْنُ كِرَامُ
 أَشْكُو إِلَى قَضَرِ الدُّبَارَةِ مَا جَنَى صِدْقِي الْوَزِيرُ وَمَا جَبَى عَلامُ
 قصر الدوبارة: مقر المعتمد البريطاني، وصدقي: رئيس الوزراء إسماعيل صدقي، وعلام: محمد
 علام وزير الزراعة

وَدَعَا عَلَيْكَ اللَّهُ فِي مُحَرَابِهِ الشَّيْخُ وَالْقَسِيسُ وَالْحَاخَامُ
 هذه لإسماعيل صدقي

فهرس القوافي (القافية فرقم القصيدة)

٤	وأفراح	٩	الكسائي
٨	المُسَدَّدَا	١٠	بالصَّهْبَاءِ
٢٤	حَدًّا	١٩	أبى
٢٥	والوَدَادَا	٧٥	انصِيبَا
٢٧	يَدَا	٦	ارتِيَابُ
٨٢	العبَادِ	٣٠	والْحَسْبُ
٣٤	اليهودِ	٦٠	وَحُجَابُ
٢١	مَجْهُودِي	٤١	الخطابِ
٦١	وَحَدِي	١٧	الطَّيِّبِ
٧١	الْعَمِيدِ	٨٠	المُصَابِ
١٥	أَثْرَا	١٣	بِاللَّهَبِ
٢	أَثْرُ	٥٩	مُجِيبِي
٢٠	الْكَوْثَرُ	٦٤	مَشِيبِي
٣٩	سَعِيرُ	٣٥	جَائِنُهُ
٦٦	كَبِيرُ	٧	الأمواتُ
١٨	نُشُورُ	٧٠	الأوقَاتِ
٦٥	الْحَذَرُ	٧٧	المُحْجَرَاتِ
٥٥	سِيرُ	٢٢	النَّضِرَاتِ
٤٥	والمفاخرِ	١٦	حياتي
١١	وَحَسَنِ	٦٣	فَأَسْتَرُوحُ

٥٢	وَسَلَّمُوا	٢٣	الطَّبَاعَا
٨٤	يُضَامُ	٧٢	نَزَعَا
٤٠	الظَّلَامُ	٤٣	يَلْمَعُ
٦٩	كَالْعَلَمِ	٧٦	الْأَلْمَعِي
١٤	مَا قِينَا	٧٣	تَرْقُعُ
٥١	وَيَسْقِينَا	٨٣	التَّافِعَةُ
٤٨	رَهِينُ	٣٧	تَنْطِقَا
٧٤	الْبَسَاتِينِ	٣١	يُلْحَقُ
٤٧	الْجَانِي	٣٨	الْعُشَاقِي
٧٨	الْحَانِي	٥٨	مَمْلُوكَا
٣٢	الْفَرَقْدَانِ	٦٢	مَوْثِلَا
٤٤	الْمِهْرَجَانِ	٦٨	مَعْسُولُ
٧٩	يَبْيَانِي	٣	مِعْطَانُ
١	ثَانِ	٤٩	يُظِلُّ
٢٩	عُثْمَانِ	٦٧	الْمَعَالِي
٤٦	فَشَجَانِي	٢٨	تَقْلُ
٥	فَاعِلِينَ	١٢	التَّنْدَمَا
٥٧	جَمْعَهُنَّ	٢٦	مَنْظَمَا
٥٦	بَيَانِهِ	٤٢	الْمِعْصَمُ
٥٣	عَلَيَّ	٣٣	مُنْتَهُمُ
٥٤	أَهْدِيهَا	٥٠	مُغْرَمُ
٨١	حَنَائِيَاهُ	٣٦	هَيَامُ

معروف الرصافي (١٨٧٥م - ١٩٤٥م)

نامت جارتني الهندية، فهذا حين أقعد إلى حاسوبي لأكتب شيئاً.
أنصت وأصيح السمع.
نامت.

فجارتني - ولا أعرف لها وجهاً، ولا صادف أن التقينا في الردهة أو في
المصعد - لا تسكت ساعة من ساعات النهار أو المساء، فإذا ساد الصمت فلا
بد أنها نامت.

بقي أن أدعو الله ألا يهيب بي ذلك الدافع الخفي فأهب من جلستي، غير
هاب ولا وجل، لكي أصقل الغرفة. ولا بأس أن أقول لمن يقرأ هذا إنني
أسكن منذ سنة وشهر في غرفة ملساء. أكثر ما أعجبنى فيها وقت اكريتها أنها
ذات بلاط أملس، بخلاف شقة قديمة كنت أسكنها وكان بلاطها خشناً. وفي
غرفتي الصغيرة تحتل معدات التنظيف مساحة يمكن تقديرها بنسبة مئوية لا بأس
بها. ويطيب لي أن أمسح الغرفة بالمسحة مرتين أو ثلاثاً في اليوم، ليس لكي
أرى مقدار ما تساقط من شعر جسمي في الزمن الذي انقضى بين المسحة
والمسحة، ولكن كي أحس أنني أعيش في بانيو.

يا إلهي! عادت إلى الكلام. بيني وبين جارتني جدار صفيق، جدار أسمتي
حقيقي، ولكن صوت جارتني الهندية يخترق جدار الصوت. أسمعها دائماً
وحدها، يبدو أن زوجها مخلوق أنيس لا يلاسنها، أو أنه يكتفي بهمهمة
خفيفة.

يحسن بي أن أقوم ببعض التلميع عساها تنام.

نامت جارتني لا شك. وأنا الآن أجلس وتحتي شبه بحيرة، فالبلاد
الأملس لا يجف بسرعة. ولا قومة لي لساعة أو ساعتين حتى يجف. الآن
أشعر حقاً أنني أعيش في بانيو. وهذا جد ملائم للكتابة عن شاعر. فأنا إذ
أكتب عن شاعر أحب ألا أعيش في بيئتي بل في بيئته. أحب أن أخرج من
زمني ومكاني، وأنقل إلى زمانه ومكانه.

لم يكن معروف الرصافي يعيش في المكان. فقد اهتزت الأرض من تحته
طفلاً، وظلت تهتز. فإن ثبت هزها.

كان سومرست موم الأديب البريطاني كذلك. كان مكانه الذي فيه يعيش
ثروته الطائلة. في الأربعينات من القرن العشرين، كانت له سفرة في شرق
آسيا، وحمل في حقيبته مئة ألف دولار أميركي. استهوته الفكرة، فقلت لنفسي
يجب أن أجمع مالا كثيراً كي أقضي سنوات الشيخوخة عائشاً في ثروتي.
وسألني صحفي يوماً عن أمنيته، فقلت له: أن أجمع مليون دولار. وتردد
صدي هذا التصريح، وظل الأصدقاء يسألونني: هل اكتمل لك المليون؟
الجواب: لا. بل ها قد دخلت في الشيخوخة، وإني لأرى أحياناً بجانبني
ورقة، فأنظر ذات اليمين وذات الشمال، فإذا وجدت نفسي وحيداً استللت
قلمي وبدأت أحسب القروش التي وفرتها. كذا يفعل كل من أوشك على
التقاعد. وخير رزق للشيخ بعد أن تصد عنه الوظائف التوفير والتدنيق.

سنة، وأكون قد تخلصت من هذه السلسلة التي أحدثك فيها عن الشعراء
وأسمعك شعرهم. سنة، ويأتي الزمن الشيخوخي الذي يحس فيه الإنسان بأنه
يملك الكثير من الوقت، وهو في الحقيقة لا يملك منه سوى القليل. سنة،
وتبدأ مرحلة جديدة تصبح فيها أحلام اليقظة صعبة. ربما لهذا السبب يقبل
المسنون على الدين إقبالاً ملحوظاً، فعندما تنتهي أحلام يقظتهم يتجهون إلى أن
هناك حلماً خالداً ويركزون اهتمامهم فيه.

على أنني الآن قاعد في البانيو، وتحتي ما زال البلاط يلعب، ولما تجفَّ
البحيرة. ولا حيلة لي في القيام. إن جاءني فكرة حسنة فها أنذا أكتبها، وإن
لم تجئ فعلى القارئ أن يحتمل كل ثرثرتي، فلا قومة لي حتى تجف بحيرتي.

جف الماء.. ليس ماء بحيرتي بل ماء حلقي. فقد عادت جارتني إلى

الكلام، ليس صراخاً هذه المرة بل كلام هادئ. ومع ذلك أقسم لو أنني أعرف لغتها لفهمت كل كلمة من كلامها، ففي صوتها خاصية غريبة هي الاستواء. إنه لا يصعد ويهبط مثل أصوات البشر، بل يظل على وتيرة واحدة، هادئاً كان أم صارخاً. وهو الآن ليس بصارخ، لكنه عالي، ومتواصل.

وعلى صوتها الهادئ، وكلامها الذي لا أفهمه، يمكنني أن أركز ذهني في حياة معروف الرصافي المضطربة. فإن لم أحسن التركيز فلا بأس.. فحياته كانت مضطربة.

هذا رجل بغدادى. والواقع أنه طفل بغدادى لا رجل. فعلى غير ما عودتك سوف أبدأ من شاعرنا منذ الولادة وأصعد درجة درجة حتى أوسده حفرته.

معروف الرصافي

ولدت أم عربية، في بيت أبيها جاسم، وربته عربياً. فقد كان أبوه الكردي عبد الغني محمود، العريف في الجيش العثماني، ثم شرطي الجندرية، غائباً معظم الوقت، ثم مات ومعروف في نحو السابعة من العمر، فإن رأيت يذرف الدموع في أكثر من قصيدة على اليتيم فاعلم أنه يستقي من بئر حقيقته.

كانت فاطمة بنت جاسم تعني بولدها وترسله مع شطيرته إلى الكتاب كل يوم. ثم أخذ معروف يتردد على «المدارس الدينية»، لا أدري طبيعة هذه المدارس، ولا الجهة التي كانت تنفق عليها، وأنا أنقل لك بعض المعلومات من نجدة فتحي صفوة في كتابه عن الشاعر ضمن سلسلة «الأعمال المجهولة»، والكتاب طيب وذو أسلوب قوي، رغم أنه المؤلف فيما بدا لي لم يدقق النص بعد أن دفعه إلى المطبعة.

بعد ذلك التصق الرصافي بأستاذ كبير هو الشيخ محمود شكري الألوسي اثنتي عشرة سنة لا يفارقه. والألوسي بحر زاخر في علوم اللغة والأدب القديم وعلوم الدين على مذهب أهل السنة. فمن نظر في كتابه «بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب» عرف أن الرصافي عب من البحر.

لقب الألوسي تلميذه النابه «الرصافي» مستذكراً معروف الكرخي الصوفي الزاهد، والرصافة جانب بغداد الشرقي المقابل للكرخ، وكان التلميذ يتدرب على الشعر بمدح أستاذه.

عمل الرصافي في التدريس، وظل ينظم، وأخذ ينشر أشعاره في مجلات مصر وسورية وهو بعد فتى، فظن الناس أن «الرصافي» اسم يستخفي وراءه شاعر كبير لا يريد أن يتأذى بما في قصائده من صراحة. ومع إعلان الدستور العثماني ١٩٠٨، ثم خلع السلطان عبد الحميد في السنة التالية، كان الرصافي في الثالثة والثلاثين من العمر، معلماً واعياً لما تحدثه التغيرات في إستانبول على أحوال العراق. وقد نشط في تأييد ضباط جماعة «الاتحاد والترقي» الذين أرغموا السلطان على الدستور، فأنقلب عليهم، فعزلوه. وكان لجماعة الاتحاد والترقي في بغداد حضور، وأصدروا صحيفة بالعربية والتركية، وتولى الرصافي تحرير نسختها العربية.

برزت في ذلك الحين الأفكار العلمانية للرصافي. كأن صاحبنا بعد أن أخذ عن أستاذه الكبير علمه الغزير باللغة والأدب خالفه في تمسكه القوي بالدين على المنهج السلفي القريب من الوهابية.

استدعى القطب الصحفي في إستانبول «أحمد جودت» الرصافي ليحرر جريدة في عاصمة الدولة، فذهب الرصافي، ليجد أن المشروع قد ولد ميتاً.

توجه الرصافي إلى بيروت حيث احتفت به الأوساط الأدبية، وطبع له هناك، عام ١٩١٠، ديوان بوبه وقدم له اثنان من كبار أهل الأدب (محيي الدين الخياط، ومصطفى الغلاييني)، وفي هذا ما يدل على أن أهل الأدب واللغة في ذلك الزمن عرفوا قيمة الرصافي الأدبية وعمق معرفته باللغة وأساليبها، وهو بعد في الخامسة والثلاثين من العمر. ثم عاد الرصافي إلى بغداد.

واستدعي الرصافي ثانية إلى إستانبول لتحرير صحيفة «سبيل الرشاد»، فذهب. وخلع في إستانبول الجبة والعمامة وتزوج امرأة تركية. وأخذ يدرس الواعظين، وكان طلعت باشا أحد كبار رجال الاتحاد والترقي يدرس العربية على يديه، ويقول «شيخى معروف الرصافي».

وعلى يدي طلعت دخل الرصافي مجلس المبعوثان نائباً في عام ١٩١٢، و«زامل في ذلك المجلس نائباً شاباً من الحجاز اسمه الشريف فيصل ولم يكن يخطر لأي منهما في ذلك الوقت ببال أن هذا الشاب الحجازي سيتوج بعد أقل من عشر سنوات ملكاً على العراق، وأن الرصافي سيصبح من أشد مناوئيه»، اه عن نجدة فتحي صفوة.

بقي الرصافي في النيابة أزيد من أربع سنين مؤيداً للدولة العثمانية في حربها ضد نصف العالم، الحرب العالمية الأولى. كان على بعض اتصال مع الجمعيات العربية التي تتطلع إلى نيل العرب حقوقهم، ثم صارت تتطلع - بعد أن بدا واضحاً أن الدولة العثمانية آيلة للتفكك - إلى نيل بلاد العرب الاستقلال، وكان الرصافي ينتقد هذا التحرك. قد ظل الرصافي عثمانياً الهوى.

وعندما قام شريف مكة، الشريف حسين، بالتحرك ضد الدولة العثمانية بدعم بريطاني رماه الرصافي بخيانة الدولة العثمانية الإسلامية وممالأة أعدائها. وبدأت أعراض الهزيمة تظهر بوضوح متسارع على الدولة العثمانية وحليفاتها ألمانيا والنمسا في الحرب العالمية الأولى، وظل الرصافي عثمانياً.

توجع الرصافي عندما سقطت بغداد بيد الإنجليز عام ١٩١٧، وظل في إسطنبول حتى انتهت الحرب في عام ١٩١٨. ودخلت تركيا نفسها مع انتهاء الحرب في أتون حروب داخلية ستنتهي بقيام الدولة التركية الحديثة على يد مصطفى كمال أتاتورك.

غادر الرصافي إسطنبول إلى دمشق، حيث كان الأمير فيصل يهيئ نفسه لتسلم العرش بدعم بريطاني، ولأن موقف الرصافي من الإنجليز معروف فقد تعذر عليه أن يمكث في دمشق، فتوسط له محمد كرد علي في وظيفة بالقدس.

مكث الرصافي في القدس عامين سعيدين احتفى فيهما به أدباء فلسطين. كان معلماً في مدرسة المطران. لا ندري إن كان الرصافي قد عرف قبل مقدمه أن هذه المدرسة إنما أنشأها المبشرون الأنجليكان الإنجليز قبل عشرين سنة من مقدمه، وظلوا يديرونها حتى يومنا هذا. على أن الأنجليكان، بخلاف كل الطوائف، يتسمون بسماحة لم يتسم بها الحكم الإنجليزي الذي كان قد وطد نفسه في فلسطين قبل قدوم شاعرنا. لقد دخل الجنرال إدmond ألني القدس في أواخر عام ١٩١٧ راجلاً احتراماً للمدينة المقدسة، ولكن وزير خارجيته في لندن آرثر بلفور، صاحب الاعتقاد بالشعوذة والرئيس السابق لجمعية غيبية لا تؤمن بأن الإنسان يموت، كان قد أصدر الوعد المعروف باسمه لليهود بإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين قبل شهر وتسعة أيام من احتلال الإنجليز للقدس.

عاش الرصافي في القدس مع إخوته من الفلسطينيين وجلهم كان غافلاً عما يدبر للبلد رغم الإشارات الواضحة.

وبعد هذين العامين السعيدين استدعت بغداد ابنها. لقد بدأ زعماء العراق يحشدون قواهم تحت شعار «العراق للعراقيين». ذلك أن فيصلاً طرد من دمشق شر طردة بعد أن أخلاها الإنجليز للفرنسيين ودخلها الجنرال غورو دخولاً وقحاً وهو يبشر نفسه بأنه قد بلغ بالحروب الصليبية نهايتها بانتصار الغرب. وبدأ الإنجليز يرتبون لفصل كي يتسنى عرش العراق.

استدعى زعماء بغداد الرصافي المعادي للإنجليز كي يحرر جريدة لهم تدعم مطلبهم.

لكن الإنجليز شقوا صف الزعماء العراقيين وتوجوا فيصل ملكاً على العراق. وصل فيصل في صيف ١٩٢١، واستقبله الرصافي بقصيدة قدح ثم بقصيدة مدح. لكن فيصلاً زوى وجهه عن زميله القديم في المبعوثان. واستعطفه الرصافي برسالة بعد سنة. ولم يقبل عليه فيصل بوجهه. فأخذ شاعرنا ييث في الناس أهاجيه في فصل.

سافر الرصافي إلى إستانبول، وكان قد طلق زوجته التركية قبل رحيله في نهاية الحرب، ورأى أن ما كانت عليه إستانبول وهي عاصمة الإمبراطورية تغير كثيراً. فلم تعد عاصمة دولة نصف أهلها عرب، بل كبرى مدن تركيا وحسب. وبسرعة مضى الرصافي إلى بيروت يريد أن يقيم بها. لكنه عدم في بيروت مورداً للرزق مع أنه اختير عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق، فعاد إلى العراق وشارك في انتخابات المجلس التأسيسي ١٩٢٤، ولم ينجح. لا، ولم يقربه فيصل الذي بلغته أبيات الرصافي في هجائه.

عمل الرصافي في تدريس اللغة العربية موظفاً في المعارف. وأخذ يمدح الملك ورجال الحكم ويهجوهم طامعاً في منصب كبير. كان فيصل رجلاً حكيماً عاقلاً، وكان الرصافي شاعراً قلقاً. فعاش الملك مغضباً ومحتماً ما تجود به قريحة الشاعر، وعاش الشاعر آمناً ومقصى عن رفيع المناصب.

لكن الله أرسل للرصافي رجلاً رقيق القلب وصاحب سياسة هو رئيس الوزراء عبد المحسن السعدون. أقنع السعدون الملك بأن يسمح للرصافي بالترشح لمجلس النواب. وانتخب الرصافي نائباً في عام ١٩٢٨. ومُرت سنة وانتحر رئيس الوزراء السعدون، في الأغلب لأنه شعر أن المطلوب منه أن يكون لعبة ثانية بيد الإنجليز، حيث اللعبة الأولى فيصل نفسه.

بقي الرصافي في مجلس النواب أربع سنين، ثم ضاق رزقه فارتحل إلى الفلوجة على بعد ثمانين كيلومتراً من بغداد، وعاش في بيت أفرد له بعض من يقدر أدبه. ومات فيصل عام ١٩٣٣، وورثاه الرصافي. وعاد الرصافي إلى مجلس النواب عام ١٩٣٥ وظل فيه أربع سنين أخرى.

في الفلوجة، حيث مكث الرصافي سبع سنين، كتب كثيراً من النثر. فيها كتب «الشخصية المحمدية» الذي سنتحدث عنه بعد أن نوصل الرصافي بأمان إلى حفرة قبره.

عاد الرصافي إلى بغداد مع قيام انقلاب رشيد عالي الكيلاني ١٩٤١. كان حكام البلد الإنجليز يخوضون حربهم العالمية الثانية، ولم يكونوا في مزاج يسمح لهم بقبول انقلاب مدعوم من هتلر. فقمعوا الانقلاب الذي أيده الرصافي بكل قوة.

كان الرصافي يعيش في بغداد في دار مستأجرة مع خادمه عبد بن صالح وأولاد الخادم الكثر. فتح الرصافي دكاناً لبيع السجائر، وتوسط له أهل الخير لكي يأخذ حصة من سجائر «غازي» من الشركة لبيعها. ونظم شاعرنا بيتاً، ربما رشحناه ليكون أسخف بيت شعر عربي، في الدعاية لسجائره: دُخِّنْ سيجارة غازي/ واشعُرْ بفخر اعتزاز. ونشر البيت في دعايات السيجارة المذكورة في صحف بغداد. ولكن هذا لم يشفع للدكان المنحوس فسرعان ما أغلق أبوابه. . إن كان له أكثر من باب. وقال شاعرنا: «والله لو حاولت بيع الأكفان لما استأثرت يد الرحمن بنفس من الأنفس».

خصص مظهر الشاوي، أحد شيوخ القبائل، مرتباً للرصافي. وشاعرنا صاحب مزاج، وهو سخي متلاف. يصف لنا أحمد حسن الزيات زيارته للرصافي في بيته ببغداد. . وسأقول لكم وصفه.

العودة عصر اليوم التالي

قد مضى ذلك المساء الذي كتبت فيه الصفحات السابقة. . والآن أكتب في عصر اليوم التالي. . فاسمعوا الآن معي ما أسمع من خلال الجدار الأسمنتي في غرفتي! كاكّا آآع. . ددي ننيكاب أوز دوب. هل فهمتم شيئاً؟ لحظة. . سورات! ماذا؟ هنا بدأت الأحرف تتوالى على نحو يصعب معه تدوينها. إن كنت تفهم لغة هذه الآدمية فأنت بحول الله قد عرفت عن جبراني ما لا أعرف. همنا هاما دي! ما معنى هذا لو سمحت؟

وأسمع بوضوح شديد: تيكاساسالا، كاري كاري. والصوت غير الصوت. هذا في الواقع صوت بطني. فقد أخذ يتجاوب مع جارتني الهندية تحت وقع الجوع بكلمات حبيبة إلى قلبي. وكيف لا تكون حبيبة وهذه الخلطة من البهارات الهندية كافية للقضاء على كل نكهة. أطبخ بها نعل جذك العتيق على نار هادئة وستجد له مذاقاً رائعاً. مذاق المسالا طبعاً. لا أدري ماذا يقدمون لنا في المطاعم الهندية الرخيصة. تأكل وتملاً بطنك وتدفع أقل مما تدفعه في شطيرة جبن.

سأقوم إلى إعداد غدائي الآن، فمنذ الصباح لم أتناول شيئاً. وعندي سمكة. ليست كالسمكة التي نصحني بها صديقي في لندن.

جلد السمك

كان الشاعر العراقي صلاح نيازي يقف أمامي في طابور مطعم الإذاعة البريطانية يسوق صينيته على السمكة وأسوق صينيته خلفه، والتفت إليّ ووجهه مشرق بالفرح: «عيني شوف. سمك، سمك، وبجلده. عيني! لا تطرح جلد السمكة جانباً. أرجوك، أرجوك». وتغضن وجهه وكأنه يلقي قصيدة حزينة. «لا، لا. كل الفائدة في جلد السمكة. يود! مليء باليود. يصعد إلى قشرة الدماغ فوراً، وكُلُّش مفيد للذاكرة».

لا أذكر إن كنت عملت بنصيحته أم لم أعمل. لكنني من يومها وأنا أغمض عيني كلما قدمت إلي سمكة بجلدها، وأبلع قطعة من هذا الجلد بلعاً، وها هي ذاكرتي تسبح بحمد ربها. سلني عن أي شاعر أكتب الآن؟

غدائي سمكة منزوعة القشر والشوك معاً. لا أريد يوداً، ولا أريد أن أخوض لعبة البحث عن الشوك. عندي نصف سمكة منزوعة الفائدة، وسأشحنها شحناً بالكاري والمسالا، وأعود إلى شاعرنا. كائناً من كان شاعرنا. وليكن في علمك أنني عندما أملاً بطني أكتب كتابة مملة مشحونة بالثرثرة. تماماً مثلما أفعل الآن وأنا أتضور جوعاً.

العودة إلى الرصافي

اللهم أدم النعمة، واحفظها من الزوال.

كنا نقول إن الرصافي قعد في سنيته الأخيرة في بغداد تحت حكم الإنجليز

الذين كرههم وكرهوه. ولكنه عرف دهاءهم. ورأى كيف تتحرك السياسة العراقية في زمنهم، فكان كمن يشهد مسرح العرائس... يرى العرائس ولا يرى الأصابع الخفية التي تحركها.

استطراد عن الإنجليز

الإنجليزي مخلوق من مخلوقات الله، يمكن أن يكون ذكياً ويمكن أن يكون بغلاً. ولكن ستين مليون بغل يسيرون في اتجاه واحد يحركون الجبال، وثلاثمئة مليون عربي - كل واحد منهم، زعيم، أو فقيه، أو ولي من أولياء الله، له قول في خالق الكون وفي فوائد جلد السمك - يسير كل منهم في اتجاه مختلف يتحركون فقط حركة موضعية، كان يسميها معلم التربية البدنية «مكانك سر».

قبل أزيد من ربع قرن خاطبني زميل إنجليزي يشتغل في الراديو القومي الثالث، المتخصص في الموسيقى، وقال لي: قد نصحوني بك لهذا البرنامج الذي نريد إنتاجه في لبنان. اسم البرنامج «نجوم فوق لبنان» وهذه ترجمة حرفية لـ «ستارز أوفر لبنان». هل رأيت كلمة لبنان وهي مكتوبة باللفظ الإنجليزي؟ في الواقع أهل ذلك البلد الشقيق ينطقونها لبنين. ولكنهم إذا استمروا في إهمال اللغة العربية قد يقولونها لبيون، أو أي شيء آخر.

المهم، مضينا إلى لبنان. وذهبنا إلى الحازمية ورأينا وديع الصافي. قال لي: من وين حضرتك؟ قلت له: فلسطيني. قال لي كلمة واحدة: معلش. وكان لقاء طريفاً. أطرف ما فيه أن وديع الصافي لا يتحدث كلمة إنجليزية واحدة. فترك لي صاحبي الإنجليزي، وهو مخرج البرنامج وأنا المقدم، المجال لكي أسرح مع وديع الصافي في ذكريات أيام زمان مع صباح وفيروز، وبعلمك.

ثم ذهبنا إلى عجلتون لنرى فادية الحاج، وبعد السؤال الأول بدأت توجه كلامها للإنجليزي لا إلي. ومثلها فعل وليد غلمية الذي قابلناه في معهد الموسيقى في سن الفيل. ما الذي يميز هذا الإنجليزي عني؟ أهو فهمه للموسيقى والغناء في لبنان؟ بالطبع لا. ولا هو عمره، فربما كان يصغرني ببضع سنوات. ولا حتى لغته الإنجليزية، فقد كنت أتكلم مع النجوم بالعربية أو بإنجليزية مبسطة كي أستل منهم بعض العبارات الإنجليزية، لأن البرنامج سيكون لجمهور إنجليزي.

عند الرحابنة في أنطلياس

ذهبنا إلى أنطلياس والتقينا منصور الرحباني . كان قد دخل في مرحلة العزوف الشيخوخي ، وبدأ يحدثني - وبحمد الله أنه لم يكن يحسن شيئاً من الإنجليزية - عن العلاقات المميزة بين المسلمين والمسيحيين . ولم يكن هذا الأمر مما يعنيني ، لا في ذلك اللقاء ولا في أي لقاء آخر في حياتي كلها . فهؤلاء القوم في لبنان يتبادلون القبلات اليوم ويسحبون خناجرهم غداً ، وكلهم يقتتلون : طائفاً يقتتلون ، وعشائرياً يقتتلون . فإذا لم يكن ثمة تهديد من طائفة أخرى فإن أبناء الطائفة الواحدة يتسلون فيما بينهم بحرب أهلية صغيرة .

وخرجنا من عند منصور الرحباني . وفي الشارع أمام البيت وقفت كي ألقى في آلة التسجيل كلاماً يكون بمثابة المقدمة للقاء . لاحظت لون الشبايك ، إنه أحمر أحمر . . في حمرة الدم . وأعادني هذا ، ليس إلى الدم الذي سفحه أشقاؤنا في حربهم الأهلية الأخيرة ، بل إلى هذا الوضع الطفولي في أغاني الرحابنة . كانت الدنيا في العالم الرحباني بسيطة وملونة بألوان أساسية . كان أغرب لون عندهم اسم مغنيتهم «فيروز» ، وبخلافه فليس عندهم تلك الألوان المختلطة : الخمري والبطيخي والتركواز ، بل اكتفوا بالأحمر والأصفر والأخضر والأزرق بأبسط صورة . قلت أشياء من هذا القبيل .

وسقط في يد صاحبي الإنجليزي . وبدأ يحاججني في إشارتي إلى اللون الأحمر . قلت له : أحاجيك أن تجد لي في بيروت كلها شبايك بهذا اللون . هذا لون اختاره ناس صنعوا عالماً في الهواء ، صنعوا دنيا أحلامية . هؤلاء ارتفعوا عن واقع بلدهم بما يكفي ليقولوا في كلامهم وموسيقاهم أشياء تصلح لكل زمان ومكان . لقد صنع الرحابنة في نحو سبع عشرة مسرحية عالماً من الخيال ، فيه الحب والسياسة ، وفيه المرح والنكتة ، وفيه أجمل الشعر وأجمل الموسيقى . وحرى بالمتقف العربي أن يربأ بنفسه عما تفعله إذاعات الإف إم من أعمال السكين في هذه المسرحيات ، واستخراج الأغاني منها ، وإلقاء الحوار في سلة المهملات . حرى بالمتقف العربي أن يعود إلى هذه المسرحيات فيسمعها كاملة لكي يدخل في هذا العالم الرحباني ، ويتذوق الفن على درجة تذوقه أرفع من درجة التذوق البسيطة بالأغنية وحدها منزوعة من المسرحية .

مكثت على حالي تلك مع مخرجي الإنجليزي أسبوعاً ذقت فيه مرارة عقدة الخواجا عند كبار أهل الفن، ومرارة ضيق الأفق عند هذا الرجل. وعدنا إلى لندن، وسجلت المزيد من الوصلات والمقدمات. وكان من محاسن شخصية صاحبي أنه منظم غاية التنظيم فجمع البرنامج من القصائد الصوتية الكثيرة، وصاغه في أحسن صورة في ثلاث حلقات.

عودة ثانية إلى الرصافي

لا تنتظر من الرصافي أن يكون خائفاً للإنجليز، فهو حر، وفي شخصيته خليط من القسوة والرفقة والجلالة وطيبة القلب. ولا تنتظر منه أن يكون مفكراً رصيناً لما في شخصيته من تقلب وحدة مزاج. وربما أيضاً لأنه شاعر، وربما أيضاً لأنه كف عن المطالعة في سن مبكرة مكتفياً بما تعلمه من أستاذه الألوسي. وشر ما تعلمه الرصافي التعصب الطائفي. وهو في كتبه «السياسة في العراق»، و«الشخصية المحمدية» متحامل على الشيعة تحامل من هو واثق من أنه على حق. لكنك تراه يتعامل مع أبناء بلده من الشيعة بأريحية وطيب نفس. كان في حياته وفي أفكاره التي سترها واضحة كل الوضوح في شعره علمانياً بعيداً عن الدين. وترك لنا مصداق ذلك في كتابه الكبير «الشخصية المحمدية».

سمعت عن الكتاب من زكي مبارك.

فقد زار الأديب المصري الشاعر الرصافي وهو في الفلوجة، وقد أنهى لتوه كتاب «الشخصية المحمدية». وجاء الرصافي لزكي مبارك بمخطوط الكتاب، اسمع زكي مبارك: «ألح عليّ الشاعر في أن ألقى نظرة على ذلك الكتاب، وهو مخطوط في عشرة كراريس، وكنت قضيت ساعة في هدوء. فلما وقع بصري على بعض فقرات الكتاب ثرت ثورة عنيفة، وانطلقت أجادله بلا ترفق ولا تلطف. وقابل الشاعر ثورتي بأدب رائع دلني على أنه من أقطاب العقل [...] والرصافي، مؤلفاً، غير معروف، لكن كتابه عن النبي محمد كتاب هائل جداً، وترجع أهميته إلى ما فيه من نقد الأخبار والأحاديث، وقد لا تتسع الصدور لظهور هذا الكتاب، وهذا هو الشاهد على أن أسلافنا كانوا أوسع صدرأ وأعلى مقاماً، اه عن «وحي بغداد» لزكي مبارك.

قرأت هذه الفقرة عند زكي مبارك، وقلت في نفسي لعل كتاب الرصافي ضاع. وقرأت في مكان آخر ما يدل على أن نسخة منه محفوظة في بغداد. ثم

فجأة جاءني من يقول إن الكتاب قد طبع في ألمانيا. كنت أوشك على سفر إلى هناك، بل إلى المدينة نفسها التي زعم الزاعم أن الكتاب طبع بها.

لم أعثر على الناشر في مكتبه. ولكن صديقاً أهدى إليّ نسخته. فإذا هو كتاب كبير حقاً، يتجاوز السبعثة صفحة. وقد عهدت الرصافي الناشر يكتب الفقر القصيرة والكتب الصغيرة ككتابه عن السياسة في العراق.

جعلت كتاب «الشخصية المحمدية» زادي في أسبوع قضيته في لندن وآخر في أمستردام. ويا له من كتاب! ولكثرة ما فيه من جحد الغيبات، والتشكيك في أحداث ظل الناس يروونها وكأنهم رأوها بأعينهم، ولكثرة ما فيه من نقد للدين بسن الرمح لا بسن القلم، لم يعد أحد قادراً على حجبهِ عن النت. فنسخته المصورة موجودة في كل مكان. والممنوع مرغوب. ولا أجادل الرجل في كلامه، وحتى عندما أورد له من الشعر بعض ما يشبه ما جاء في نثره فإنني إن ناقشته في مسألة لغوية فلا أناقشه في أفكاره.

لم يتزوج الرصافي بعد امرأته التركية. وعاش الثلاثين سنة الأخيرة من حياته عيشة بوهيمية، حتى وهو نائب في مجلس النواب. زاره الأديب المصري أحمد حسن الزيات، صاحب «الرسالة»، في بيته في بغداد بعد عودته من الفلوجة. وكتب عن هذه الزيارة عقب وفاة الرصافي: «... ودخلنا البيت فإذا هو بيت الشاعر الأعزب المتلاف، لا أثاث ولا نظام ولا حرمة... وليس في البيت مكتب ولا مكتبة، فقد كان لا يقرأ، وإنما يتكئ على شدة ذكائه وحده فهمه، ويكتفي بما حصل في شبابه من أدبه وعلمه. وكان في الردهة قوم يأكلون ويشربون، وفي حجرة النوم آخرون يسمرون ويلعبون، وكان الرصافي يتصدر هؤلاء وفي يمينه كأس وفي يسراه ورق [اللعب]، فلما رأيته فض اللعب وأقبل بأنسه علي، ثم أخذ يشرب ويتحدث عن الحقائق العارية في غير اكتراث ولا تحفظ، ويظلم الرصافي من يقيد عليه في مثل هذه الحال... هذه صورة مصغرة لحياة الفقيد الكريم، أما عقيدته فالأمر فيها لله لا للناس».

ويصف الشاعر محمد مهدي الجواهري الرصافي وهو في آخر أيامه: «... في تلك الغرفة الجرداء التي لا أنساها أبداً، وكأنما أنا فيها الآن، كان الرصافي على سرير من السرر الرخيصة... وقد أحس بي وأنا أدب على أطراف أصابعي لثلا أوقفه... وكانت الحيرة في أين أجلس إذ ليس في الغرفة

كرسي أو خشية أو حتى حجر للجلوس، ويتحامل الرصافي على نفسه فألح عليه ملتصماً ألا يفعل، فيأبى وأطيع، فأتحدث إليه آخر حديث وأوجهه قبل أن يموت بأيام».

وكتب الرصافي وصيته وأودعها لدى محام صديق، وعند وفاته قرأها على الحاضرين صديقه وراويته مصطفى علي. أوصى الرصافي بكل ما يملك، وبحقوق مؤلفاته لأسرة خادمه عبد بن صالح. وأوصى أن يدفن في أي مقبرة كانت، «على أن يكون قبري في طرف منها، وأن يكون في أرض مظلومة وهي التي لم تحفر قبلاً». والتوقيع: «المؤمن بالله وحده لا شريك له معروف الرصافي».

أحسن إلى الرصافي كل الإحسان راويته مصطفى علي، وهو لغوي مدقق وأديب، بنشر ديوان الشاعر نشرًا محترماً في خمسة أجزاء. وعلى هذه الطبعة اعتمدنا. ومصطفى علي في هذه المجلدات الخمسة يروي وينقب لك عن المعنى القاموسي مع ضبط طيب للكلمة في الهامش ببيان بابها الصرفي، لكنه لا يشرح معنى دقيقاً ولا يشفي غليل من أراد أن يعرف مناسبة القصيدة أو تاريخ نظمها. فهو يورد من ذلك الشيء بعد الشيء. وقد أخذنا عنه تواريخ بعض القصائد، ولم نبحت كثيراً عند غيره.

الرصافي شاعر مهمل، يكتب قصيدته على ظهر مغلف أو علبة سجائر. أو هكذا أتخيله. يكتبها قبل الحفل الذي سيلقيها فيه بيوم أو بساعتين. وقد تأتي قافيته قلقة، أو قد يحشو البيت بحشوة منكرة. وقد نقبَس له في القطعة بعد القطعة بيتاً من هذه الأبيات المتعبة لأنه يقيم لنا السياق. لا عليك من ذلك. الرصافي كان لسان زمنه وبلده، وكان جريئاً، وكان صاحب موقف، وكان يحسن أن يقول بين الحين والحين بيتاً رناناً يردده الناس في العراق. وخير لك أن تتحرى مزاج العراق عصرئذ في شعره من أن تقرأ كتب التاريخ. وقالوا: خياله ضيق. وأقر هو بذلك في أكثر من قصيدة، وافتخر بواقعيته.

كنا ونحن نقرأ ديوانه نشعر كأن الرصافي واقف أمامنا يلقي هذه القصائد، وهذا شيء جميل. لكنك قد لا تريد أن تقرأ الألف والسبعمئة صفحة التي هي الديوان. حسناً فهذه خمسون صفحة فقط هي أجمل ما قال معروف الرصافي.

١ الضمير لثاماً

(١٩٢٢):

وَلَرَبٌّ خَافِيَةٌ يُكْتَمُهَا الْفَتَى وَالْوَجْهَ مِنْهُ بِسِرِّهَا بِنَكَلٍ
كُلُّ يُشِيرُ إِلَى السَّرِيرَةِ وَجْهَهُ فَكَأَنَّهُ بِضَمِيرِهِ مُنَلِّثٌ

السريرة: الضمير وما يخفيه المرء، والمرء لا يستطيع أن يخفي مكنونه فكأنه يضعه على وجهه كما يضع الكوفة

إِنَّ الْوَجْهَ صَحَائِفَ مَطْمُوسَةً يَمْحُو كِتَابَتَهَا وَيُثَبِّتُهَا الدَّمُ

الدم الذي يتدفق إلى الوجه كأنه الحبر الذي يكتب في الوجه ما يخفيه الضمير... فالوجه يحمر أو يصفر بما يتدفق أو لا يتدفق من دم

إِنِّي أَرَى هَذِي الْوُجُوهَ نَوَاطِقاً بِالسَّرِّ لَكِنْ نُظْفَهُنَّ مُجْمَعِمٌ

مجمم: ممغم، غير واضح، مثل نطق الإنجليز عندما يتحدثون باليابانية، أو العكس

٢ المرأة بين الأب والزوج

مَا أَهْوَى الْأُنثَى عَلَى ذُكْرَانَا فَلَقَدْ شَجَانِي ذُلُّهَا وَخُضُوعُهَا

ضَعُفَتْ فَحُجَّتْهَا الْبِكَاءُ لِحْضِهَا فَسَلَّحُهَا عِنْدَ الدَّفَاعِ دُمُوعُهَا

هِيَ مُنْعَمَةٌ الْمُسْتَمْتَعِينَ، وَلَبَّتْهَا كَانَتْ لِرَامَا لَا يَجُوزُ مَبِيعُهَا

بيع اللزوم في الفقه: الذي لا يجوز للمشتري فيه رد السلعة

فَوَلَّبَتْهَا عِنْدَ الزَّوْاجِ يَبِيعُهَا وَحَلَّلَهَا عِنْدَ الطَّلَاقِ بُضِيعُهَا

ولي المرأة: أبوها أو من يقوم بتزويجها، حليلها: زوجها

وَكَلَامُهَا مُتَحَكِّمٌ فِي أَمْرِهَا هَذَا يُعَرِّبُهَا وَذَاكَ يُجَبِّعُهَا

٣ كون عجيب

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْكَوْنَ فِي الْأَصْلِ وَاحِداً عَجِبْتُ لِأَنَّ الْخَلْقَ فِيهِ ضُرُوبٌ

ضروب: أنواع

وَلِأَنَّ اخْتِلَافَ الْأَدْمِيِّينَ سِيرَةً وَهُمْ قَدْ تَسَاوَوْا صُورَةً لِعَجِيبٍ

وَأَعْجَبَ مَا فِي الْكَائِنَاتِ ابْنُ آدَمَ فَمَا غَيْرُهُ فِي الْكَائِنَاتِ مُرِيبٌ

يُنَزَّمُ فَعْلَ السُّوءِ وَهُوَ حَلِيفُهُ وَيَحْمَدُ قَوْلَ الصِّدْقِ وَهُوَ كَذُوبٌ

تسويد البيت من عمران الفيني

ولو باح كل بالذي هو كائتم لَمَّا عُدَّ في هذا الأنام أديب المتأدبون هم كذلك لأنهم يكتنون ما بأنفسهم من خساسة، ولو أظهر كل إنسان ما يكتنه لما كان في البشر أي شخص على خلق

وقد يفتري المال الفضائل للورى وليس لهم مما افتراه نصيب المال يفتري الفضائل للورى: ينب إلى الناس محاسن ليست لهم

٤ المصير

وما المرء إلا بيت شجر عروضة مصائب، لكن ضرته حفرة القبر العروض: الجزء الأخير من الشطر الأول من بيت الشعر، الضرب: الجزء الأخير من الشطر الثاني من البيت

وتنظمنا الأيَّامُ شعراً، وإنما ترُدُّ المنايا ما نَظَّمْنَ إلى النثر وربَّ نيام في المقابر زرتهم بمنهل دمع لا ينهنه بالزجر زرتهم ودمعي منهل، مسكوب، لا ينهنه، لا يُرَدِّع، بالزجر، بالنهر وبالتعنيف

أَسْكَانَ بَطْنِ الْأَرْضِ! هَلَّا ذَكَّرْتُمْ عُهُوداً مضت منكم، وأنتم على الظَّهر على الظهر: على ظهر الأرض

رَضِيتُمْ بِأَكْفَانِ الْبِلَى حُللاً لكم، وكنتم أولي الديباج والحللِ الحمر رَضِيتُمْ بِالْأَكْفَانِ حُللاً، أي ملابس، وكنتم أولي الديباج، أصحاب الحرير، والملابس الحمر.. وكانت الملابس الحمر ملابس عليّة القوم، وحتى النساء فقد كن «حمر الجلابيب» كما وصفهن المتنبي دلالة على العز

فقلْتُ، ولِلْأَجْدَاثِ كَفِّي مُشِيرَةً: أَلَا إِنَّ هَذَا الشَّعْرَ مِنْ أَفْجَعِ الشَّعْرِ

٥ الفوق والتحت

نَحْنُ عَلَى رَغْمٍ مَا عَلِمْنَا نعيشُ فِي غَيْهَبِ الْعَمَاءِ غيب: ظلام، العماء: العمى.. وأصل العماء الغيم لكن شاعرنا في الأغلب قصد العمى وههنا كمن همز الرضا فجعلها الرضاء

نَشْرَبُ مَاءَ الظُّنُونِ عَجَباً فلم نَعُدْ مِنْهُ بِمَارِئَوَاءِ فليس فوق وليس تحت ولا اعتلاء لذي اعتلاء هذا من العلوم المعاصرة التي فهنا منها أنه لا يوجد فوق ولا تحت، وإلا كان سكان أستراليا وكناغرها سقطوا في الفراغ.. وعلى هذا فلا صعود لمن يريد الصعود

وَأَتَمَّا نَحْنُ فَوْقَ نَجْمٍ نَحْيَا مُحَاطِينَ بِالْهَوَاءِ
على الأصح نحن فوق كوكب

فَلَيْتَ شِعْرِي أَيُّ ارْتِقَاءٍ لِلرُّوحِ بَقَى، أَيُّ ارْتِقَاءٍ!
بانتهاء الفوق والتحت لم يعد للروح صعود بعد الموت!

٦ الماء المهدر

يَا مِيَاهَا جَرَتْ بِدَجَلَةٍ نَجَّتَا زُ مُرُوراً بِجَانِبَيْ بَغْدَادِ
أَيُّهَا الْمَاءُ أَيْنَ تَجْرِي ضَيَاعاً وَحَوَالِيكَ قَاجِلَاتُ الْبَوَادِي
لَوْ زَرَعْنَا بِكَ الْبِقَاعَ حُبُوباً لَحَصَدْنَا النُّضَارَ يَوْمَ الْحَصَادِ
النضار: الذهب... قد أخذ الترك والإيرانيون كل ماء دجلة تقريباً فلم يعد ثمة ماء مُهدَر

٧ شذوق الضراغم

سَمَى النَّاسُ وَالْأَقْدَارُ مَحْبُوءَةً لَهُمْ وَنَامُوا وَمَا لَيْلُ الْخُطُوبِ بِنَائِمِ
جَرَتْ سُفُنُ الْأَيَّامِ مَشْحُونَةً بِنَا عَلَى بَحْرِ عَيْشٍ بِالرَّدَى مُتَلَاظِمِ
دَأْبْتُ لِنَفْسِي فِي الْحَيَاةِ كَأَنَّنِي مِنْ الْعَيْشِ مُلْقَى فِي شَذُوقِ الضَّرَاغِمِ
دأبت وثابرت في كسب الرزق كأن العيش، الرزق، تنهشه شذوق الضراغم، أفواه الأسود، وأنا
بينها. تعليق عمران القفيني: «حقوق الطبع للمنتهي القاتل: (فما لي وللدنيا طلاهي نجومها/
ومساعي منها في شذوق الأراقم)»

يُخَاصِمُنِي فِيهَا عَلَى غَيْرِ طَائِلٍ أَنَا نَسْ فَأَبْدِي الصَّفَحَ غَيْرَ مُخَاصِمِ
وَأَقْنَعُ بِالْقَوْتِ الزَّمِيدِ لَطِيبِهِ حِذَارَ وَقُوعِي فِي خَبِيثِ الْمَطَاعِمِ
خبيث المطاعم: الرزق الحرام

٨ الانعتاق الفكري

مَتَى تُطْلِقَ الْأَيَّامُ حُرِّيَّةَ الْفِكْرِ فَيَنْشَطَ فِيهَا الْعَقْلُ مِنْ عُقْلَةِ الْأَسْرِ
ينشط: يفتك من الربط، العقلة: العقدة

وَيَصْدَعُ كُلٌّ بِالْحَقِيقَةِ نَاطِقاً وَيَتْرَكَ مَا لَمْ يَذَرِ مِنْهَا لِمَنْ يَذَرِي
يصدع: يجهر

أَرَانَا إِذَا رُؤِمْنَا بَيَانَ حَقِيقَةِ عَزِينَا، مَعَاذَ اللَّهِ، فِيهَا إِلَى الْكُفْرِ
رَمْنَا: أَرَدْنَا، عَزِينَا: نُسَبْنَا

٩ بصراحة

أَحِبُّ صِرَاحَتِي قَوْلًا وَفِعْلًا وَأَكْرَهُ أَنْ أَمِيلَ إِلَى الرِّبَاءِ
وَلَسْتُ مِنَ الَّذِينَ يَرَوْنَ خَيْرًا بِإِيقَاءِ الْحَقِيقَةِ فِي الْخَفَاءِ
وَلَا مِمَّنْ يَرَى الْأَدْبَانَ قَامَتْ يُوْحِي مُنْزَلٌ لِلْأَنْبِيَاءِ
وَلَكِنْ مَنْ وَضَعَ وَابْتَدَعَ مِنَ الثَّقَلَاءِ أَرْبَابَ الدَّهَاءِ
وَلَسْتُ مِنَ الْأَلَى وَهَبُوا وَقَالُوا بَأَنَّ الرُّوحَ تَعْرِجُ لِلْسَّمَاءِ
الْأَلَى: الَّذِينَ

لَأَنَّ الْأَرْضَ تَسْبِجُ فِي فِضَاءٍ وَمَا تِلْكَ السَّمَاءُ سِوَى الْفِضَاءِ
وَلَسْتُ مِنَ الَّذِينَ يَرَوْنَ فَخْرًا لِمُفْتَخِرٍ بِإِهْرَاقِ الدَّمَاءِ
وَلَا مِمَّنْ قَدْ ارْتَبَطُوا بِمَاضٍ فَعَاشُوا يَنْظُرُونَ إِلَى الْوَرَاءِ
وَلَا مِمَّنْ تَوَكَّدَ فِي حُضُورٍ وَعِنْدَ الْغَيْبِ جَاهَرَ بِالْعَدَاءِ
وَلَا مِمَّنْ يَرَى الْأَنْسَابَ وَمَا يَمُتُّ بِهِ الْأَنَامُ إِلَى الْعَلَاءِ
وَلَا مِمَّنْ إِذَا وُيْثُوا اسْتَعَادُوا بِتَمَتُّمَةِ الدُّعَاءِ مِنَ الْوَبَاءِ
وَلَا مِنْ مَعْشَرٍ صَلَّوْا وَصَامُوا لِمَا وَعَدُوهُ مِنْ حُسْنِ الْجَزَاءِ
وَلَا مِمَّنْ يَرَوْنَ اللَّهَ يَجْزِي عَلَى الصَّلَوَاتِ بِالْخُورِ الْوُضَاءِ
الْحُور: النِّسَاء ذَوَاتِ الْأَعْيُنِ الْخَالِصَةِ السَّوَادِ وَسَطِ بَيَاضِ نَاصِعٍ، الْوُضَاء: الْبَيَاضُ

وَلَسْتُ مِنَ الَّذِينَ يَرَوْنَ فَضْلًا كَبِيرًا لِلرِّجَالِ عَلَى النِّسَاءِ
وَلَكِنْ دَالَتْ الْأَيَّامُ حَتَّى تَهَاوَنَ هَؤُلَاءِ بِهَؤُلَاءِ
دَالَتْ: مِثْلُ دَارَتْ

١٠ حديث الروح

(١٩٢٩):

أَرَى لِلرُّوحِ بِالْبَدَنِ اتِّصَالًا خَفِيًّا لَا تَبِينُ لَهُ رُسُومُ
رُسُوم: أَثَارُ

هَما مُتَلازِمَانِ فَمَا لِكُلِّ بِغَيْرِ قَرِينِهِ أَبَداً لَزُومُ
وَلَسْتُ أَظُنُّ أَنَّ الرُّوحَ تَبْقَى إِذَا مُجِيتٌ مِنَ الجَسَدِ الرُّسُومُ

١١ الأديان

لو قاسَ كُلُّ فِتْنٍ سِوَاهُ بِنَفْسِهِ فِيمَا أَرَادَ لَمَّا تَعَادَى اثْنَانِ
لو أَنْصَفَ الْخَصَمَانِ مَا اضْطَافَ الرُّشَا أَهْلُ الْقَضَاءِ بِمَا ادَّعَى الْخَصَمَانِ
لو أَخْلَصَ الْإِنْسَانُ فِي إِحْسَانِهِ لَمْ يَزُجْ أَنْ يُجْزَى عَلَى الْإِحْسَانِ
لو لَمْ يَشْكُ بِرَبِّهِ مُتَفَلِسِفٌ فِي الدِّينِ لَمْ يُخْتَجَّ بِالْبُرْهَانِ
لو أَنَّ عَقْلَ الْمَرْءِ يَغْلِبُ حُبَّهُ لِنَفْسٍ لَمْ يَلْجَأْ إِلَى الْأَدْيَانِ

حب النفس يجعل المرء يلجأ للدين لأنه يعبده بالخلود

لولا جَمُودٌ فِي الشَّرَائِعِ مُهْلِكٌ لَتَغَيَّرَتْ بِتَغْيِيرِ الْأَزْمَانِ
لو كَانَ أَمْرُ الْحَقِّ مَعْقُولاً لَمَّا كَانَ اسْتِلاَمُ الْقَوْمِ لِلْأَرْكَانِ

استلام: لمس، وفي الكلمة معنى الثقيل

لو حَكَّمِ الْعَقْلَ الْحَقِيقُ بِحُجَّتِهِمْ أَبَوْا الطَّوْافَ بِتِلْكَ الْجُدْرَانِ

١٢ الأظافر الدامية

لَقَدْ قَدَّمَ الْمَوْتَ الْحَيَاةَ أَمَامَهُ نَذِيراً وَمَنْ يُنْذِرُ فَلَيْسَ بِغَايِرِ
فَلَا عَجَبٌ أَنَا نَرَى كُلَّ سَاعَةٍ أَكُفِّ الْمَنَابِيا دَامِيَاتِ الْأَظْفَارِ

١٣ مساعدة الموت

في ذكرى الكاتب الفلسطيني رُوحِي الْخَالِدِي، وَقَالَهَا فِي الْقُدْسِ:

وَمَاذَا عَسَى يُجِدِي التَّوَجُّعُ وَالْأَسَى مِنَ الْمَوْتِ إِذْ كُلُّ عَلَى الْمَوْتِ وَارِدُ
نُعِينُ مَنَابِيانا عَلَيْنَا بِحُزْنِنَا فَيَقْرُبُ مِنَّا أَجَالِنَا الْمُتَبَاعِدُ

١٤ بلاد الداميين

في رثاء أستاذه محمود شكري الألوسي (١٩٢٤):

أَزْمَعْتُ عَنَّا إِلَى مَوَلَاكَ تَرْحالاً لَمَّا رَأَيْتُ مَنَاحِ الْقَوْمِ أَوْحالاً

أزمنت: نويت، مولاك: ربك، مناح: مكان

كَرِهْتَ طَوْلَ مُقَامٍ بَيْنَ أَظْهَرِنَا بَحِثْ تُبَصِّرُنَا لِإِلْحَقْ خُذَالَا

خذال: متقاعون ومقصرون عن النجدة

وَلَمْ تَرْقُ نَفْسَكَ الدُّنْيَا وَنَحْنُ بِهَا لَسْنَا نُوَكِّدُ بِالْأَفْعَالِ أَقْوَالَا

وَمَا رَكَنْتَ إِلَى الدُّنْيَا وَزُخْرِفَهَا وَلَا أَرَدْتَ بِهَا جَاهًا وَلَا مَالَا

أَمَّا الْعِرَاقُ فَأَمْسَى الرَّافِدَانِ بِهِ سَطَرَيْنِ لِلدَّمْعِ مِنْ خَذْبِهِ قَدْ سَالَا

أصبح دجلة والفرات سطرين من الدموع حزناً عليك

مَا ضَرَّ مِنْ بَعْدِمَا خَلَّدْتَ مِنْ كِتَابٍ أَلَّا نَرَى لَكَ بَيْنَ النَّاسِ أَنْجَالَا

لا ضرر من أنك لم تترك عقباً من الأولاد ففي كتابك ما يكفي، وخلف الألوسي نحو خمسين كتاباً

١٥ الدنيا المسببة

في أربعين الألوسي (١٩٢٤):

لَقَدْ تَرَحَّلْتَ فِي يَوْمٍ بِنَا انْقَلَبَتْ حَوَادِثُ الدَّهْرِ فِيهِ شَرٌّ مُنْقَلَبِ

وَبَاتَ يَحْسُو الظَّلَا بِالْكَاسِ مِنْ ذَهَبٍ مَنْ كَانَ يَشْرَبُ رَنْقَ الْمَاءِ بِالْعَلْبِ

صار يشرب الطلا، الخمر، بكؤوس الذهب من كان يشرب رنق الماء، الكندر منه، بالعلب، بآنية من خشب

وَالْخَيْرُ قَدْ ضَاعَ حَتَّى إِنَّ طَالِبَهُ لَمْ يَلَقَ مِنْهُ سِوَى الْمَسْطُورِ فِي الْكِتَابِ

أَمَّا الرِّجَالُ فَنَارُ الشَّرِّ مُوقَدَةٌ فِيهِمْ، وَهُمْ بَيْنَ نَفَاخٍ وَمُحْتَطَبِ

الناس فيهم نار شر بعضهم ينفخ في هذه النار لتزداد اتقاداً، وبعضهم يجمع لها الحطب

أَفْعَالُهُمْ لَمْ تَكُنْ جِدًّا وَلَا لَعِبًا لَكِنْ تُرَاوَعُ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ

هذه الميوعة.. لعل فحص مفهوم الميوعة مدخل طيب لدرس المجتمعات العربية اليوم

وَلَيْسَ تَنْدَى مِنَ النَّكْرَاءِ أَوْجُهُهُمْ كَأَنَّمَا الْقَوْمُ مَنَجُورُونَ مِنْ خَشَبِ

لا تندى وجوههم، أي لا يخلطون، من النكراء، الفعل المخزي، فكأنهم من خشب

بَيْنَ الدَّوَاءِ وَبَيْنَ الدَّاءِ مُعْتَرِكٌ فِيهِ قَضَى رَبُّنَا لِلدَّاءِ بِالْعَلْبِ

لَا يَخْلُقُ اللَّهُ مَخْلُوقًا يَجُولُ بِهِ دَمُ الْحَيَاةِ بِلَا أَمٍّ لَهُ وَأَبِ

وَلَا يُمِيتُ بِلَا دَاءٍ وَلَا سَقَمٍ وَلَا يُعِيشُ بِلَا كَدٍّ وَلَا تَعَبِ

كل شيء له سبب.. سبب وجود المرء أمه وأبوه، وسبب الموت الداء وسبب العيش الكد

وليس ذلك من عجزٍ بخالفنا عن أي رَج بنا في قبضة الشَّجَبِ ..
لا يعجز الله عن زجنا، وإدخالنا في قبضة الشَّجَبِ، الموت ..

لكنه جعل الدنيا مُسَبَّبةً لكل أمرٍ بها لا بُدَّ من سَبَبٍ
لكنه جعل لكل شيء سبباً

١٦ أرثيك رغم السياسة

في ذكرى الشيخ الخالصي:

أنا أبكي عليه من جهة العِلْمِ لم وأغضي عن خَوْضِهِ في السياسة
لا لأنني أراه فيها مَلُوماً بل لأنني أعيبُ فعلَ السَّاسَةِ
ليس في هذه الهناتِ السِّيَاسِيَّةِ مات إلا ما يَنجَلِي عن خُساسَةِ
الهنات: الأمور، ينجلي: يتكشَّف

١٧ المعقول والمنقول

قد قتلُ الحياة خُبْراً، ولكن أنا منها بِحَيْرَتِي مَقْتُولُ
كلُّ ما قيلَ في الحياة ظُنُونُ جَرَّها في افتِكَارِنَا التَّخْيِيلُ
ويك! إنَّ المعقولَ ما صَحَّ عِنْدِي فَمَنَى صَحَّ عِنْدَكَ المُنْقُولُ
ويحك! فالأمر الذي يقر به العقل لا أكاد أجده صحيحاً فكيف بالمنقول، ما ذكره الأقدمون
وتناقلوه

إنَّ حُبَّ الحياة أَوْهَمَ أنْ الـ موتَ نومٍ تحت الثرى لا يَطُولُ
لعبنا للحياة نتوهم أن الموت مجرد نوم وتأتي بعده حياة أخرى

١٨ حافظ وشوقي

الشعرُ بعدَ مُصابِهِ بِكَبِيرِهِ في مصرَ جَلَّ مُصابُهُ بِأَمِيرِهِ
كبير الشعر: حافظ، وأميره: شوقي

بَيْنَاهُ يَبْكِي حَافِظاً بِشَهِيقِهِ إِذْ قَامَ يَبْكِي أَحْمَدُ بِزَفِيرِهِ
أَخَذْتُ قَرَزْدَقَةَ المَنُونُ وَضَاعَفْتُ جُلِّي مُصِيبَتِهِ بِأَخْذِ جَرِيرِهِ
يشبه حافظاً بالفردق وشوقي بجريز، وقد رحل شاعرا مصر متلاحقين بينهما أشهر، ورثي اللاحق السابق، ورحل جريز والفردق متلاحقين بينهما أشهر، ورثي اللاحق السابق

١٩ أسنان الحمار

كُلُّ مَنْ يَخْبُرُ الْأَنْاسِيَّ خُبْرِي لَا يُبَالِي أَلْخَسَنُوا أَمْ أَسَاءُوا
أَنَا جَرَّبْتُهُمْ إِلَى أَنْ تَسَاوَى الْيَوْمَ عِنْدِي سِبَابُهُمْ وَالْتِنَاءُ

٢٠ تقدم أيها العربي

أَجَلْ إِنَّ الْقَبَائِلَ مِنْ مَعَدَ عَلَوْا فَتَسَنَّمُوا الْمَجْدَ الْمَجِيدَا

معد: جد عرب الشمال، تسنموا: قعدوا فوق سنام الجمل، أي علوا وارتفعوا

وَلَكِنْ أَيُّهَا الْعَرَبِيُّ إِنِّي أَرَاكَ لِغَيْرِ مَا يُجْدِي مُرِيدَا
أراك أيها العربي مُريداً، طالباً، ما لا يجدي ولا ينفع

وَمَا يُجْدِي افْتِخَارُكَ بِالْأَوَالِي إِذَا لَمْ تَفْتَخِرْ فَخْراً جَدِيدَا
الأوالي: الأوائل

أَرَى مُسْتَقْبَلَ الْأَيَّامِ أَوَّلَى بِمَظْمَحٍ مَنْ يُحَاوِلُ أَنْ يَسُودَا
فَوَجْهَ وَجْهٍ عَزَمَكَ نَحْوَ آتٍ وَلَا تَلَفْتُ إِلَى الْمَاضِيْنَ جِيدَا
وهل إن كان حاضِرنا شقياً نَسُودُ بِكَوْنِ مَاضِينَا سَعِيدَا؟
تَقْدِمُ أَيُّهَا الْعَرَبِيُّ شَوْطاً فَإِنَّ أَمَانَكَ الْعَيْشَ الرَّغِيدَا
وَأَسْنُ فِي بِنَائِكَ كُلِّ مَجْدٍ طَرِيفٍ، وَاتْرُكِ الْمَجْدَ الثَّلِيدَا

الطريف: الجديد، التليد: الموروث

فَشَرُّ الْعَالَمِينَ ذُو وَخُمُولٍ إِذَا فَاخَرْتَهُمْ ذَكَرُوا الْجُدُودَا
وَخَيْرُ النَّاسِ ذُو حَسَبٍ قَدِيمٍ أَقَامَ لِنَفْسِهِ حَسَباً جَدِيدَا
تَرَاهُ إِذَا ادَّعَى فِي النَّاسِ فَخْراً تُقِيمُ لَهُ مَكَارِمُهُ الشُّهُودَا
قَدْغَنِي وَالْفَخَارَ بِمَجْدِ قَوْمٍ مَضَى الزَّمَنُ الْقَدِيمُ بِهِمْ حَمِيدَا
قَدْ ابْتَسَمَتْ وَجْوهُ الدَّهْرِ بِيضاً لَهُمْ وَرَأَيْنَا قَعْبَسْنَ سُودَا
وَقَدْ عَاهَدُوا لَنَا بِثَرَاتٍ مُلْكٍ أَضَعْنَا فِي رِعَايَتِهِ الْعُهُودَا
وَعَاشُوا سَادَةً فِي كُلِّ أَرْضٍ وَعِشْنَا فِي مَوَاطِنِنَا عَبِيدَا
إِذَا مَا الْجَهْلُ خَيَّمَ فِي بِلَادٍ رَأَيْتَ أَسْوَدَهَا مُسِيخَتْ قُرُودَا

٢١ الغاية الكبرى

كَتَبْتُ لِنَفْسِي عَهْدَ تَحْرِيرِهَا شِعْرًا وَأَشْهَدْتُ فِيهَا قَدْ كَتَبْتُ لَهَا الدَّهْرًا
لِذَاكَ جَعَلْتُ الْحَقَّ نُصَبَ مَقَاصِدِي وَصَيَّرْتُ سِرَّ الرَّأْيِ فِي أَمْرِهِ جَهْرًا
جَهَرْتُ بِمَا أَرَاهُ حَقًّا، وَلَمْ أَبْقِهِ سِرًّا

وَجَرَّدْتُ شِعْرِي مِنْ ثِيَابِ رِيَائِهِ فَلَمْ أَكُنْهُ إِلَّا مَعَانِيَهُ الْعَرًّا
الفراء: الفراء، أي الناصعة

وَأَرْسَلْتُهُ نَظْمًا يَرُوقُ انْسِجَامُهُ فَيَحْسَبُهُ الْمُضْغِي لِإِنْشَادِهِ نَثْرًا
فَجَاءَ مُضِيئًا، لَيْلُهُ كُنْهَارُهُ وَإِنْ كَانَ بَعْضُ الْقَوْمِ يَزْعُمُهُ كُفْرًا
أَضْمَنْتُهُ مَعْنَى الْحَقِيقَةِ عَارِيًّا فَيَحْسَبُهُ جُهَّالُهَا مَنْطِقًا هُجْرًا
جهالها: يعني الجاهلين بالحقيقة، الهجر: الفحش

وَيَحْمِلُهُ الْعَاوِي عَلَى غَيْرِ وَجْهِهِ فَيُوسِعُنِي شَتْمًا وَيَنْظُرُنِي شَزْرًا
رُؤْيَاكَ إِنَّ الْكُفْرَ مَا أَنْتَ قَائِلٌ وَإِنَّ صَرِيحَ الْعُرْفِ مَا خِلْتَهُ نُكْرًا
هَلِ الْكُفْرُ إِلَّا أَنْ تَرَى الْحَقَّ ظَاهِرًا فَتَضَرِّبَ لِلْأَنْظَارِ مِنْ دُونِهِ سِتْرًا
الكفر هو أن ترى الحق بادياً فتضرب، أي تنصب، ستاراً يواريه عن الأنظار

إِذَا كَانَ فِي عُرِّي الْجُسُومِ قَبَاحَةٌ فَأَحْسَنْ شَيْءٍ فِي الْحَقِيقَةِ أَنْ تَعْرِى
إِنْ كَانَ الْعَرِي قَبِيحًا بِالْجِسْمِ، فَالْحَقِيقَةُ تَرْدَادٌ حَسَنًا عِنْدَمَا تَكُونُ عَارِيَةً، مَكْشُوفَةً وَاضِحَةً
أَحْبَبُّ الْفَتَى أَنْ يَسْتَقِلَّ بِنَفْسِهِ فَيَصْبِحَ فِي أَفْكَارِهِ مُطْلَقًا حُرًّا
وَأَكْرَهُ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ مُقْلَدًا فَيُخْشَرَ فِي الدُّنْيَا أَسِيرًا مَعَ الْأَسْرَى
يخشر: يُعَدَّ

إِذَا كَانَ فِي الْأَوْطَانِ لِلنَّاسِ غَايَةٌ فَحُرِيَّةُ الْأَفْكَارِ غَايَتُهَا الْكُبْرَى
فَأَوْطَانُكُمْ لَنْ تَسْتَقِلَّ سِيَاسَةٌ إِذَا أَنْتُمْ لَمْ تَسْتَقِلُّوا بِهَا فِكْرًا
إِذَا السِّيفُ لَمْ يَغْضُدْهُ رَأْيٌ مُحَرَّرٌ فَلَا تَأْمَلُنْ مِنْ حَدِّهِ ضَرْبَةً بِكْرًا
بعضه: بدعوه، الضربة البكر: الضربة الأولى التي تصيب مقتلًا

إِذَا لَمْ يَعْشَ حُرًّا بِمَوْطِنِهِ الْفَتَى فَسَمَّ الْفَتَى مَيْتًا، وَمَوْطِنُهُ قَبْرًا
أَحْرَيْتَنِي إِنْنِي اتَّخَذْتُكَ قَبْلَةً، أَوْجُهُ وَجْهِي كُلَّ يَوْمٍ لَهَا عَشْرًا

وَأَمْسِكْ مِنْهَا الرُّكْنَ مُسْتَلِمًا لَهُ وَفِي رُكْنِهَا اسْتَبْدَلْتُ بِالْحَجَرِ الْحِجْرَا
 الْمَسْ رُكْنَ الْحَرِيَّةِ وَأَسْلَمْتُه، أَي أَقْبَلُهُ، وَقَدْ اسْتَبْدَلْتُ بِالْحَجَرِ الْحِجْرَا، أَي الْعَقْلَ. أَجْعَلُ الْحَرِيَّةَ
 كَعَمَةٍ يَفْقَدُهَا (وَالرُّكْنَ وَالْإِسْلَامَ وَالْحَجَرَ الْأَسْوَدَ مِنْ لَوَازِمِ الْحَجِّ)

وَإِنْ لَا مَنِي قَوْمٌ عَلَيْكَ فَلِئَنِّي لَمُلْتِمِسٌ لِلْقَوْمِ مِنْ جَهْلِهِمْ عُدْرَا

٢٢ نَحْيَةٌ لِلْعَبْقَرِيَّةِ

وَضَحَّ الْحَقُّ، وَاسْتَقَامَ السَّبِيلُ بِعَظِيمٍ هُوَ النَّبِيُّ الرَّسُولُ
 قَامَ يَدْعُو إِلَى الْهُدَى بِكِتَابٍ عَرَبِيٍّ قُرْآنُهُ تَرْتِيلُ
 طَالِبًا غَايَةً مِنَ الْمَجْدِ قُضَوَى صَدُّهُ عَنْ بُلُوغِهَا مُسْتَحِيلُ
 وَوُصُولًا إِلَى مَقَامٍ رَفِيعٍ عَزَّ مِنْ قَبْلِهِ إِلَيْهِ الْوُصُولُ
 وَدِهَاءٌ لَوْ مَا كَرَّتْهُ دَوَاهِي الدُّ هَرٍ طَرَأَ لَا غَتَالَهَا مِنْهُ غُولُ
 دِهَاءٌ لَوْ اتَّخَذَتْ مَعَهُ دَوَاهِي الدَّهْرِ، مَصَائِبُ الزَّمَنِ، طَرَأَ، جَمِيعًا، سَبِيلَ الْمَكْرِ لَاغْتَالَهَا مِنْهُ غُولُ،
 لَقَضَى دِهَاؤَهُ عَلَيْهَا

تَذَلُّهُمْ الْخَطُوبُ، وَالرَّأْيُ مِنْهُ فِي دُجَاهَا كَأَنَّهُ قِنْدِيلُ
 تَذَلُّهُمْ: تَسْوَدُّ

كُلُّ أَوْصَافِهِ الْجَلِيلَةِ يَدْعُ فَهُوَ مِنْ عَبَقَرِيَّةٍ مَجْبُولُ
 يَدْعُ: جَدِيدٌ غَيْرُ مَسْبُوقٍ

أَطْلَقَ النَّاسَ مِنْ تَقَالِيدِ جَهْلِ كُلُّ فَرْدٍ مِنْهُمْ بِهَا مَغْلُولُ
 مَغْلُولُ: مَقْبُودٌ

نَهْضَةٌ عَالَمِيَّةٌ فِي وَغَاهَا مَنْ أَمَامَ الْبَعِيرِ قَرَّ الْفَيْلُ
 أَحْدَثَ النَّبِيُّ نَهْضَةً عَالَمِيَّةً، وَفِي وَغَاهَا، فِي حَرْبِهَا، يَفِرُّ الْفَيْلُ مِنَ الْبَعِيرِ... يُشِيرُ إِلَى غَزْوِ الْعَرَبِ
 فَارِسَ وَتَغْلِبَ جَمَالَهُمْ عَلَى فَيْلَةِ الْفَرَسِ

يَعْرِفُ النَّيْلُ فَضْلَهَا وَغُلَاهَا مِنْ قَدِيمٍ وَيَشْهَدُ الدَّرْدَنِيْلُ
 النَّيْلُ، حَيْثُ السُّودَانُ وَمِصْرُ، وَالْأَنْدَلُسُ، حَيْثُ تَرْكِيَا، يَعْرِفَانِ فَضْلَ هَذِهِ النَّهْضَةِ

غَيْرَ أَنَّا عَنْ نَهْجِهَا الْيَوْمَ جِذْنَا وَاسْتَحْلَلْنَا، وَكُلُّ حَالٍ تَحْوُلُ
 اسْتَحْلَلْنَا: تَغَيَّرْنَا، تَحْوُلُ: تَغْيِيرُ

وَاخْتَلَفْنَا فِي الدِّينِ حَتَّى افْتَرَقْنَا فِرْقًا لَا يُسِيغُهَا الْمَعْقُولُ
 الْمَعْقُولُ: الْعَقْلُ

لو رَأَى الشَّرُّ فِينَا كَثِيرٌ مُسْتَفِضٌ، وَالْخَيْرُ نَزَرٌ قَلِيلٌ

نور: شحيح قليل

وَالدَّعَاوَى فِي الْحَقِّ مِنَّا كِبَارٌ طَالَ فِيهَا التَّزْمِيرُ وَالْقَطْبِيلُ

دعآوانا في الحق: ادعآؤنا آنا على حق

قَالَ مُسْتَنْكَرًا لِمَا نَحْنُ فِيهِ: مَا بِهَذَا قَدْ جَاءَنِي جَبْرِيلُ

٢٣ دفاعاً عن الإسلام

يَقُولُونَ فِي الْإِسْلَامِ ظُلْمًا بَأْتُهُ يَصُدُّ ذَوِيهِ عَنْ طَرِيقِ التَّقَدُّمِ

وإن كَانَ ذَنْبُ الْمُسْلِمِ الْيَوْمَ جَهْلُهُ فَمَاذَا عَلَى الْإِسْلَامِ مِنْ جَهْلِ مُسْلِمٍ

هَلِ الْعِلْمُ فِي الْإِسْلَامِ إِلَّا فَرِيضَةٌ وَهَلِ أُمَّةٌ سَادَتْ بِغَيْرِ التَّعَلُّمِ

أَلَا قُلْ لِمَنْ جَاؤُوا عَلَيْنَا بِحُكْمِهِمْ رُويَدَا فَقَدْ قَارَفْتُمْ كُلَّ مَا تَمِ

قارفتهم: ارتكبتم

عَلَّوْنَا وَكُنْتُمْ سَافِلِينَ، فَلَمْ نَكُنْ لِنُبْدِي إِلَيْكُمْ جَفْوَةَ الْمُتَهَكِّمِ

كنا في ازدهار بينما الغرب في انحطاط، ولم تكن نظهر له الجفء والخشونة والازدراء

وَلَمْ نَتْرِكِ الْحَسَنَى أَوْانَ جِدَالِكُمْ وَتِلْكَ لَعَمْرِي شِمَةُ الْمُتَحَلِّمِ

المتحلم: الرزين الحليم

٢٤ نحن والغرب

هِمَمُ الرِّجَالِ مَقْبِصَةٌ بِزَمَانِهَا وَسَعَادَةُ الْأَوْطَانِ فِي عُمْرَانِهَا

إِنَّ التَّجَارِبَ لِلشُّبُوحِ، وَإِنَّمَا أَمَلُ الْبِلَادِ يَكُونُ فِي شُبَّانِهَا

هَذَا لَدَى الْعَرَبِ الْكَرَامِ مَبَادِيٌّ نَزَلَتْ بِهَا الْآيَاتُ فِي قُرَّانِهَا

وَالْعَرَبُ أَكْبَرُ أُمَّةٍ مَشْهُورَةٍ يَفْتُوحُهَا، وَعِلْمُهَا، وَبَيَانِهَا

يَا أُمَّةَ عَاشَ الْبَرِيَّةُ أَغْضُرَا فِي عَدْلِهَا رَغْدًا وَفِي إِحْسَانِهَا

البرية: الناس

ثُمَّ انْقَضَتْ تِلْكَ الْعَصُورُ فَجَاءَهَا زَمَنٌ بِهِ انْقَادَتْ إِلَى عُيُودَانِهَا

فَنَنْضَتْ مَلَابِسَ عِزِّهَا وَتَشَاقَلَتْ فِي الدَّلِّ رَاسِفَةً بِقَيْدِ هَوَانِهَا
نضت أمة العرب، أي خلعت، ملابس العز، وأصبحت تسير متشائلة بطيئة راسفة، أي ماشية ببطء،
في قيود هي الهوان والدل

٢٥ مريم وابنها

رَمَتْ وَسَمَعِي لَيْلًا بِأَنَّةِ مُؤَلِّمٍ فَأَلْقَتْ فَوَادِي بَيْنَ أَنْيَابِ ضَيْغَمٍ
رمت هذه المرأة في سمي، أي أفني، برنة مؤلم، بأنين شخص متالم، فكانها رمت قلبي بين
أنياب ضيغم، أسد

تُقَطِّعُ فِي اللَّيْلِ الْأَنِينَ كَأَنَّهَا تُقَطِّعُ أَحْشَائِي بِسَيْفٍ مُثَلَّمٍ
مثلم: غير حاد

يَهْزُ نِيَاظَ الْقَلْبِ بِالْحَزَنِ صَوْتُهَا إِذَا اهْتَزَّ فِي جَوْفِ الظَّلَامِ الْمُخَيَّمِ
فَمَا خَفَقَانُ النَّجْمِ إِلَّا لِأَجْلِهَا وَمَا الشُّهُبُ إِلَّا أَدْمُعُ النَّجْمِ تَرْتَمِي
خفقان النجم: اهتزازهما، وكانت العرب ترى في النجوم اهتزازاً. يتخيل الشاعر النجم يكي وجسمه
يرتجف ودموعه تسيل وهي الشهب الساقطة

أَرَى فَخْمَةَ الظُّلَمَاءِ عِنْدَ أَنْبِيهَا فَأَعْجَبُ مِنْهَا كَيْفَ لَمْ تَنْضَرِّمْ
كان الليل فعم لسواده، وأعجب لما لا يتوهم جمرًا لحرارة أنبيها

وَبَيْتٍ بَكَّتْ فِيهِ الْحَيَاءُ نُحُوسَةً وَلَا حَتَّ بِوَجْهِ الْعَايِسِ الْمُتَجَهِّمِ
الحياة باكية ومنحوسة وعابسة ومتجهمة، مكشرة، في هذا البيت

دَخَلْتُ بِهِ عِنْدَ الصَّبَاحِ عَلَى الَّتِي سَقَانِي بُكَاهَا فِي الدُّجَى كَاسَ عُلْقَمٍ
فَأَلْفَيْتُ وَجْهًا خَدَّدَ الدَّمْعُ خَدَّهُ وَمُخَمَّرًا جَفْنِي بِالْبُكَاءِ مُتَوَرِّمٍ
خدَّد: شقق

لَقَدْ جَعَلْتُ فَوْقَ الثَّرَابِ وَحَوْلَهَا صَغِيرٌ لَهَا يَرْتَوِ بِعَيْنِي مُبَيِّمٍ
جئمت، قعدت، في بيتها على الثراب، وعندها طفل يرنو، أي ينظر، بعين اليتيم، أي أنه يتيم

تَرَاهُ وَمَا إِنَّ جَاوَزَ الْخَمْسَ عُمُرَهُ يُدِيرُ لِحَاظَ الْيَافِعِ الْمُتَفَهِّمِ
بَكَى حَوْلَهَا جُوعًا فَقَدْتُهُ بِالْبُكَاءِ وَلَيْسَ الْبُكَاءُ إِلَّا تَعَلَّةٌ مُعْدِمٍ
ليس عندها ما تغذيه به إلا البكاء، والبكاء تعللة المعدم، نصيرة الفقير

وَقَفْتُ لَدَيْهَا وَالْأَسَى فِي عَيُونِهَا يَكْلُمُنِي عَنْهَا، وَلَمْ تَتَكَلَّمِ

وَمَذَّ عَرَضْتُ لِلإِبْنِ مِنْهَا التِّفَاةَ أَشَارَتْ إِلَيْهِ بِالْمَدَامِ أَنْ قَمِ
أَبُوكَ تَرَامَتْ فِيهِ سَفَرَةٌ رَاحِلٍ إِلَى الْمَوْتِ لَا يُرْجَى لَهُ يَوْمٌ مَقْدَمِ
مَشَى أَرْمَنِياً فِي الْمَعَاهِدِ فَارْتَمَتْ بِهِ فِي مَهَاوِي الْمَوْتِ ضَرْبَةً مُسْلِمِ
مَشَى أَبُوكَ وَهُوَ مِنَ الْأَرَمَنِ فِي الْمَعَاهِدِ، فَرَمَتْهُ فِي مَهَاوِي الْمَوْتِ، وَدِيَانَهُ، ضَرْبَةً مِنْ
مَقَاتِلِ مُسْلِمِ

وَلَوْلَاكَ لَاخْتَرْتُ الْحِمَامَ تَخْلُصاً بِنَفْسِي مِنْ أَنْتَابِ عَيْشٍ مُدْمَمِ
فَأَنْتَ الَّذِي أَخَّرْتَ أُمَّكَ مَرِيماً عَنِ الْمَوْتِ أَنْ يُودِيَ بِأُمَّكَ مَرِيماً
أَمَرِيماً مَهْلاً بَعْضَ مَا تَذَكَّرْتَهُ فَأَنْتَ تَرْمِيَنَّ الْفُؤَادَ بِأَسْنَهُمْ
لَيْتَ مَلَأُوا الْأَرْضَ الْفَضَاءَ جَرَائِمَا فَهُمْ أَجْرَمُوا وَالَّذِينَ لَيْسَ بِمَجْرِمِ
الَّذِينَ أَجْرَمُوا بِحَقِّ الْأَرَمَنِ مَجْرَمُونَ وَلَكِنْ لَيْسَ دِينُ الْإِسْلَامِ هُوَ الْمَجْرِمِ. وَكَانَ الْأَرَمَنِ تَعْرَضُوا
لِمَقْتَلَةِ كَبِيرَةٍ فِي زَمَنِ الْخَرْبِ الْعَالَمِيَةِ الْأُولَى عَلَى يَدِ الْأَتْرَاكِ

وَلَمَّا رَأَيْتُ اللَّوْمَ لُؤْماً تَجَاهَهَا سَكْتُ فَلَمْ أَنْسِ وَلَمْ أَتَبْرَمِ
وَأَطَّرْتُ نَحْوَ الْأَرْضِ أَطْلُبُ عَفْوَها وَمَا أَنَا بِالْجَانِي، وَلَا بِالْمُتَبَرِّمِ
طَلَبْتُ الْعَفْوَ مِنْهَا مَعَ أَنِّي لَسْتُ جَانِياً فِي تِلْكَ الْمَقْتَلَةِ، وَلَسْتُ مُتَبَرِّماً بِهَا، بَلْ مُشْفِقٌ عَلَيْهَا
بَكَيْتُ، وَمَا أَدرِي أَبْكِي تَضَجُّراً مِنَ الْقَوْمِ أَمْ أَبْكِي لِشِقْوَةِ مَرِيْمِ؟
لَا أَدرِي هَلْ كَانَ بَكَائِي لِأَنِّي مَلَكْتُ مِنْ أَعْمَالِ التَّرَكِّ أَمْ لِشِقَاةِ مَرِيْمِ. وَكَانَ الرَّصَافِي عِشْمَانِي الْهُوَيَ

٢٦ الروائع

هِيَ السَّاحَةُ النَّكْرَاءُ فِيهَا تَلَاعَبَتْ مَخَارِيقُ ضَيْمٍ تَخْلِطُ الْجِدَّ بِاللُّؤِ
فِي سَاحَةِ السَّجَنِ النَّكْرَاءِ، الْقَبِيحَةِ، تَرَى السَّجَنَاءُ يَتَلَاعَبُونَ فِيهَا بَيْنَهُمْ كَأَنَّهُمْ مَخَارِيقُ، كَرَاتِ
قِمَاشٍ، لَكِنَّا نَعَانِي الظُّلْمَ... وَلَعَبَهُمْ هُوَ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللُّؤِ، أَيْ اللَّعِبِ

تَصَعَّدَ مِنْ جَوْفِ الْمَرَاخِضِ فَوْقَهَا بُخَارٌ إِذَا تَمَرَّرَ بِهِ الرِّيحُ تَفْسُدِ
وَفَوْقَ السَّاحَةِ رَوَائِحُ الْمَرَاخِضِ

هَنَّاكَ يَوْذُ الْمَرْءِ لَوْ قَاءَ نَفْسَهُ وَأَطْلَقَهَا مِنْ أَسْرِ عَيْشٍ مُنْكَدِ
مَقَابِرُ بِالْأَحْيَاءِ غَصَّتْ لِحُودِهَا بِخَمْسِ وَثْنِينَ أَنْفُسٍ أَوْ بِأَزِيدِ
يَخْضُوضُونَ فِي مُسْتَنْقَعٍ مِنْ رَوَائِحِ خَبَائِثٍ مَهْمَا يَزْدَدِ الْحَرُّ تَزْدَدِ
تَدَوَّرَ رُؤُوسُ الْقَوْمِ مِنْ شَمِّ نَتْنِهَا فَمَنْ يَكُ مِنْهُمْ عَادِمُ الشَّمِّ يُخْسَدِ

٢٧ الشمس الخجلى

خَرَجْتُ بِعِيدِ النَّخْرِ صُبْحاً فَلَاخَ لِي مَسَارُحُ لِأَضْدَادٍ فِيهِنَّ مَرْتَعُ
خرجت بعد ذبج الخراف في عيد الأضحي فرأيت مسارح ترتع فيها الأضداد، مشاهد فيها أبناء
الأغنياء وأبناء الفقراء

صَبَاحٌ بِهِ يَكْسُو الْغَنِيُّ وَلِيَدَهُ ثِيَاباً لَهَا يَبْكِي الْيَتِيمُ الْمُضَيِّعُ
خَرَجْتُ وَقُرْصُ الشَّمْسِ قَدْ ذَرَّ شَارِقاً تَرَى النُّورَ سَيْالاً بِهِ يَتَذَقُّ
عندما خرجت كان قرص الشمس قد ذر شارقاً، برز عند الشروق، والنور يسيل منه

وَلَمَّا بَدَتْ حَمْرَاءُ أَيْقَنْتُ أَنَّهَا بِهَا خَجَلٌ مِمَّا تَرَاهُ وَتَسْمَعُ
لما بدت الشمس وعليها احمرار أيقنت أنها خجلى مما تراه من تفاوت طبقي

٢٨ كلامي غير معقد

لَعَمْرُكَ إِنَّ الْحُرَّ لَا يَتَقَبَّدُ أَلَا قَلِيلُ قُلْ مَا شَاءَ فِي الْمُقَنَّذِ
المفند: المتقيد المؤنب

إِذَا أَنَا قَصَّدْتُ الْقَصِيدَ فَلَيْسَ لِي بِهِ غَيْرُ تَبْيَانِ الْحَقِيقَةِ مَقْصِدُ
وَلَا عَجَبٌ أَنْ عَابَنِي الشَّاعِرُ الَّذِي يَقُولُ سَخِيفَ الشَّعْرِ، وَهُوَ مُقَلِّدُ
فَلِإِنَّ ابْنَ بُرْدٍ، وَهُوَ أَكْبَرُ شَاعِرٍ، تَنْقَضُ فِي الشَّعْرِ حَمَادُ عَجْرَدُ
ابن برد: بشار، وحمام عجرد: غريمه وكان بينهما هجاء متصل

إِذَا رُمْتُ نَصْحاً جِئْتُ بِالنُّصْحِ وَاضِحاً وَمَا كَانَ مِنْ شَأْنِي الْكَلَامُ الْمُعَقَّدُ
بيدي الرصافي عذره لعدم وجود وثبات خيال جامع في شعره

٢٩ بلبل وذباب

إِذَا دُفِعَ الشَّرُّ الْقَبِيحُ بِمَنْطَلِهِ تَحَصَّلَ شَرٌّ ثَالِثٌ وَتَوَلَّدَا
وَلِي خُلُقٌ يَأْبَى عَلَيَّ أَنْطِبَاعُهُ عَلَى الْخَيْرِ تَسْلِيمِي إِلَى الشَّرِّ مَقْودَا
وَتَكَرَّرَ نَفْسِي كُلَّ عَبْدٍ مُذَلَّلٍ فَقَدْ كَرِهْتُ حَتَّى الطَّرِيقَ الْمُعْبَدَا
لكرمي للمبودية كرهت حتى الطريق المعبد

إِذَا مَا أَتَقَتْ نَفْسٌ رَدَاهَا بِذِلَّةٍ فَعِنْدِي نَفْسٌ تَتَّقِي الذَّلَّ بِالرَّدَى
إذا تجبت نفس من النفوس رداها، موتها، بأن تذلل، فأنا أحمي نفسي من الذل بأن أعرضها
للموت. التسويد لعمران القفيني

وَكَمْ رَامَ إِسْكَاتِي أَنَامٌ أَبِي لَهُمْ خَنَا الطَّبْعِ إِلَّا أَنْ يُرَوْا لِي حُسْدَا
الخنا: العار

وَمِنْ عَجَبٍ أَنْ يَعْتَقَ الرُّوضُ بِلْبُلٍ وَيَمْنَعَهُ ذِبَّائُهُ أَنْ يُفَرِّدَا

٣٠ ليس لمصر!

أَمَارِسُ دَهْرًا مِنْ جَدِيدَيِّ دَاهِرَا وَمَا زَالَ لِبْلِي بِالْعِرَاقَيْنِ سَاهِرَا
من جديدَيِّ: أي من زمني، والجديدان هما الليل والنهار، الدهر الداهر: الطويل الثقيل،
والعراقان: تعبير قديم يشير إلى عراق العرب وعراق العجم

أَبَى الْحَقُّ إِلَّا أَنْ أَقُومَ لِأَجَلِهِ عَلَى الدَّهْرِ فِي كُلِّ الْمَوَاطِنِ ثَائِرَا
وَأَنْ أَتَمَادَى فِي جِدَالِ خُصُومِهِ وَأَقْرَعَ مِنْهُمْ بِالْبَيَانِ الْمُكَابِرَا
وَتَكَرَّرَ نَفْسِي أَنْ أَكُونَ مُخَادِعَا لِأَدْرِكَ نَفْعًا أَوْ لِأَدْفَعَ ضَائِرَا
وَمِنْ أَجْلِ مَقْنِي لِلْمَخَانِبِ أَنْكَرْتُ بَدِي أَنْ تُحَلِّيَ فِي الْجِنَانِ أَسَاوِرَا
ففي الجنة تحلى معاصم الفائزين بالأساور

يَقُولُونَ لِي فِي مِصْرَ لِلْعَلَمِ نَهْضَةٌ تُفَتِّقُ أَذْهَانًا، وَتَجْلُو بِصَائِرَا
وَأَنَّ بِهَا لِلْعَلَمِ قَدْرًا وَحُرْمَةٌ وَإِنَّ بِهَا لِلْحَقِّ عَوْنًا وَنَاصِرَا
وَقَدْ ضَرَبُوا وَغَدَاً لِتَكَرِيمِ شَاعِرٍ تَمَلَّكَ صَيْتًا فِي الْأَقَالِيمِ طَائِرَا
هُوَ الشَّاعِرُ الْفَخْلُ الَّذِي رَاحَ شَعْرُهُ بِإِنْشَادِهِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ سَائِرَا
فَلَوْ قُلْتُ بَعْضَ الشَّعْرِ فِي يَوْمٍ حَقْلِهِمْ تَشُدُّ بِهِ مِنَّا لِمِصْرَ الْأَوَاصِرَا
يقولون للرصافي: ألا قلت بعض الشعر في هذا الحفل لتكريم أحمد شوقي أميراً للشعراء فتشد
أواصرنا بمصر، أي روابطنا؟

فَقُلْتُ: أَجَلُ. وَالشَّعْرُ لَيْسَ بِمُعْجَزِي وَلَنْ تَعْدِمُوا مِنِّي عَلَى الشَّعْرِ قَادِرَا
أَلَا إِنَّ شَوْقِي شَاعِرٌ جِدُّ شَاعِرٍ يَفُوقُ الْأَوَالِي، بَلْ يَبْزُ الْأَوَاخِرَا
يز: يفوق، الأوالي: الأوائل

تَمَلَّكَ حُرَّ الشَّعْرِ فَهَوَ رَقِيقُهُ وَقَامَ عَلَيْهِ بِالَّذِي شَاءَ أَمِيراً

الشعر رقيقه: الشعر عبده

إِذَا رَامَ جَزْلاً مِنْهُ أَنْشَدَ زَاخِراً وَإِنْ رَامَ سهلاً مِنْهُ أَنْشَدَ سَاجِراً

رام: أراد، زاخراً: متدفق

فَلَا عَجَبٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ وَغَيْرِهِمْ إِذَا عَقَدُوا مِنْهُمْ عَلَيْهِ الْخَنَاصِرَا

عقدوا الخناصر: استحسنوا. والخنصر الإصبع الصغير. ألا ترى أنك عندما تعد واحد اثنان ثلاثة على أصابعك فإنك تبدأ بالخنصر!

وَلَكِنِّي قَدْ أَنْظَرُ الْحَفْلَةَ الَّتِي نَقَامُ لَهَا يَوْمَ فِي مِصْرَ سَاجِراً

إِذَا احْتَفَلْتُ مِصْرَ بِشَوْفِي فَمَا لَهَا تُقِيمُ عَلَى الْأَحْرَارِ فِي الْعِلْمِ حَاجِراً

كيف تحتفل مصر بشوفي وتحجر على الأحرار وتسكتهم؟

فَقَدْ أَسْمَعْتُنَا ضَجَّةً أَمْطَرَتْ بِهَا عَلِيباً وَطَهَ حَاصِباً مُتَطَايِراً

أسمعتنا مصر ضجة حين أمطرت علي عبد الرازق وطه حسين حاصباً، ريحاً فيها حصى وتراب. وقد عاقبوا الأول على كتابه «أصول الحكم في الإسلام»، وحاكموا الثاني على كتابه «في الشعر الجاهلي»

فَمَا بِالْ هَذَا عُذٌّ فِي مِصْرَ مَارِقاً وَمَا بِالْ هَذَا عُذٌّ فِي مِصْرَ كَافِراً

علي عبد الرازق عذوه مارقاً، خارجاً عن الشرع، وطه حسين كفره

إِذَا لَمْ تَكُ الْأَفْكَارُ فِي مِصْرَ حُرَّةً فَلَيْسَ لِمِصْرَ أَنْ تُكْرِمَ شَاعِراً

أَلَا إِنَّ هَذَا الشَّعْرَ لَيْسَ بِطَائِلٍ إِذَا كَانَ عَمَّا يَبْلُغُ الْعِلْمَ قَاصِراً

ليس بطائل: لا فائدة منه

كَمَا أَنَّ هَذَا الْعِلْمَ لَيْسَ بِنَافِعٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ فِيهِ النُّفُوسُ حَرَّائِرَا

وَأَلَّا فَعَصْرُ الْجَاهِلِيَّةِ قَبْلُنَا لَهُ السُّبْقُ فِي تَكْرِيمِ مَنْ كَانَ شَاعِراً

٣١ الغربال

خَلْبِلِي إِنَّ الْأَرْضَ غُرْبَالٌ قُدْرَةٌ تَجَمَّعَتِ الْأَحْيَاءُ ضِمْنَ إِطَارِهِ

الأرض كغربال كبير يفحص القذرة، قدرة كل فرد على الصمود في المعترك، وكل الأحياء ضمن إطاره... والبقاء للأصلح

فَلَا عِيشَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ لَمْ يَكُنْ بِهَا قَدِيراً عَلَى دَفْعِ الْأَذَى وَالْمَكَاوِرِ

فمن لم يكن ذا قدرة على دفع الأذى والمكروه عنه سقط من خروم الغربال ومات

وَمَنْ لَمْ يُهِنْ صَرَفَ الزَّمَانِ بِرَحَلَةٍ تُهِنُهُ صُرُوفُ الدَّهْرِ فِي عُقْرِ دَارِهِ
من لم يوجه إهانة إلى مصائب الدهر بأن يرحل لبحث عن تحقيق ذاته فإن المصائب تأتيه لنهته في
عقر داره، في وسطها

وَمَا شَرُفَ الدُّرُّ الشَّمِينُ قَرِيدُهُ إِذَا هُوَ لَمْ يَبْرَحْ بَطُونَ مَحَارِهِ
لا يصبح اللؤلؤ الذي فريده ثمين، أي حياته الكبيرة ثمينة، لا يصبح شريفاً إلا إذا غادر داره وهي
بطن المحار، أي الصدف

أَرَى كُلَّ ذِي فَقْرٍ لَدَى كُلِّ ذِي غِنَى أَجِيرًا لَهُ مُسْتَحْدَمًا فِي عَقَارِهِ
ولم يُعْطِهِ إِلَّا الْيَسِيرَ وَإِنَّمَا عَلَى كَدِّهِ قَامَتْ صُرُوحُ يَسَارِهِ
ينال الفقير يسيراً من المال مع أن صروح الغنى واليسار، قصوره، قامت على تعب الفقير

لَعَمْرُكَ إِنَّ الدَّهْرَ يَجْرِي لِغَايَةٍ فَإِنْ شِئْتَ أَنْ نَحْيَا سَعِيدًا فَجَارِهِ
وليست حياة الناس إِلَّا الْفُجْعَاءُ فِي إِبْسَاسِهِ وَاحْضِرَارِهِ

وَمَا النَّاسُ إِلَّا الْمَاءُ يُحْيِيهِ جَرِيئُهُ وَيُزِدِّيهِ مُكْثٌ دَائِمٌ فِي قَرَارِهِ
الماء الجاري يكون نظيفاً حياً صالحاً للشرب والراكد يرديه، أي يمته، ركوده. والقاعدة العلمية
هي العكس، فالماء الجاري يموت فيها الطحلب، أما الماء الراكد فتعيش به مخلوقات كثيرة

٣٢ الملاحق

وَكَمْ مُدَّعٍ فَضْلَ التَّمَدُّنِ مَا لَهُ مِنْ الْفَضْلِ إِلَّا أَكَلُهُ بِالمَلَاةِ
وَقَدْ تَعْرِضُ الْأَسْمَاعُ عَنْ ذِي فَصَاحَةٍ وَتُضْفِي إِلَى ذِي اللَّكْنَةِ الْمُتَشَادِقِ
ذو اللكنة، العيب السيء النطق، المتشادق: الذي يحرك شذقيه أي جانبيه فمه متفاحاً

وَالطَّفُ جَوْرٍ الدَّهْرِ جَوْرٌ تَرَى بِهِ تَدُلُّ مَعْشُوقٍ وَذَلَّةَ عَاشِقِ
جور: ظلم

نَقَضْتُ مِنَ الدُّنْيَا يَدَيَّ لِأَنْسِي تَعَرَّفْتُ مِنْهَا مَا بَهَا مِنْ خِلَاقِ
الخلايق: الصفات

وَلِي عِنْدَ إِخْوَانِ الصِّفَا أَرْجِيئَةٌ إِلَى كُلِّ خِيَلٍ فِي الزَّمَانِ مُوَافِقِ
إِذَا مَا عَقَدْنَا مَجْلِسَ الْأَنْسَى بِالطَّلَا فَبَيْنِي وَبَيْنَ السُّكْرِ خَمْسُ دَقَائِقِ
فَأَقْرَعُ بِالكَاسِ الرَّوِّيَّةِ جَبْهَتِي بِشُرْبٍ كَمَا عَبَّ الْقَطَا مُتَلَاحِقِ

الروية: الملائة، وطيور القطا، وهو كحمامة سمينة، يشرب ويرفع رأسه مرة بعد مرة بشكل متلاحق

أَسَاقِ نُدْمَانِي إِلَى السُّكْرِ طَائِرًا بِجِنْحٍ مِنَ الْأَنْسِ الْمُضَاعَفِ خَافِقٍ
يساق الندماء إلى الشرب مسرعاً كأنه يطير بجناح خافق، وما هذا الجناح سوى الأنس والفرح
فَمَا هِيَ إِلَّا بَعْدَ شُرْبِي سَوِيعةً وَقَدْ دَبَّ مِنْ رَأْسِي الظَّلَا فِي الْمَفَارِقِ
فَنَادَمْتُ أَصْحَابِي عَلَى غَيْرِ حِشْمَةٍ وَقُلْتُ لَهُمْ مَا قُلْتُ غَيْرَ مُنَافِقِ
على السكر تزيد صراحته ويقول ما في قلبه

تَعَوَّدْتُ سَبْقِي فِي الْفَخَارِ فَلَمْ أَرِدْ مِنَ السُّكْرِ أَنْ أَخْطِئَ بِهِ غَيْرَ سَابِقِ
لكثرة ما تعودت أن أكون سباقاً إلى المكارم صرت لا أستطيع أن أخطئ بالشرب إلا سابقاً غيري
كَمَا اعْتَادَ سَبْقًا فِي الْمَكَارِمِ خَزَعَلٌ بَلَا سَابِقٍ فِيهَا عَلَيْهِ، وَلَا حِقِ
إِذَا سَارَ سَارَ الْمَجْدُ فِي طَيِّ بُرْدِهِ يُرَافِقُهُ، أَكْرَمَ بِهِ مِنْ مُرَافِقِ
الشيخ خزعل والمجد يسيران معاً. وكان الشيخ خزعل محسناً لشاعرنا

فَيَرْحَلُ مِنْ أَنْسَابِهِ فِي مَوَاقِبِ وَيَنْزِلُ مِنْ أَحْسَابِهِ فِي سُرَادِقِ
يسير ويسير نسبه العريق معه كأنه في موكب لعظمة نسبه، وينزل فينزل معه حبيه، شرفه، فلا يكاد
يسعه السرداق، الخيمة الكبيرة

وَإِنْ جَاءَ أَغْضَى مَنْ رَأَى تَهَيَّبًا سَوَى نَظَرٍ مِنْهُمْ بِعَيْنَيَّ مُسَارِقِ
إن جاء خزعل غض الناس أبصارهم لهيبته، فلا ينظر الناظر إليه إلا باستراق النظر
جَوَادٌ إِذَا اسْتَمْطَرَتْهُ جَادَ كَفُهُ بِأَغْزَرَ مِنْ وَبْلِ الْغُيُومِ الدَّوَاقِ
إذا طلبت منه العطاء كان سخياً وكفه أغزر من وبل، مطر، الغيوم المتدفقة

٣٣ الضرب بالنعل

سَبَرْتُ زَمَانِي بِالنُّهَى وَمَحْضُهُ بِتَجَرِبَتِي حَتَّى تَجَلَّتْ عَوَاقِبُهُ
سيرت زماني: قست عمقه واختبرته، بالنهى: بالعقل، ومحضته: فحمته فحماً دقيقاً
وَلَمْ أَسْتَشِيرْ فِي النَّاسِ إِلَّا تَجَارِبِي وَهَلْ يَضُدُّ الْإِنْسَانَ إِلَّا تَجَارِبُهُ
أَلَا رَبُّ شَيْطَانٍ مِنَ الْإِنْسِ قَدْ غَدَا يُخَاتِلُنِي خُلْسًا وَعَيْنِي تُرَاقِبُهُ
يخاتلني: يخدعني

فَقُلْتُ لَهُ اخْسَأْ إِنَّمَا أَنْتَ خَائِبٌ وَقَبْلَكَ أَغْيَا الْجِنَّ مَا أَنْتَ طَالِبُهُ
فولّى على الأعقاب يخجّو وقد درى، ولله دري، أنسي أنا غالبه

فَأَتَّبَعْتُهُ مِنِّي شِهَابٌ تَسَامُحٌ يَشْقُ ظِلَامَ الْجَهْلِ بِالْجِلْمِ ثَائِبُهُ

يشبه جلله وتسامحه بالشهاب الثاقب، أي المتوقد

وَلَوْ شِئْتُ أَرْسَلْتُ الْحَدِيدَةَ خَلَقُهُ تُطَارِدُهُ حَتَّى تَضِيقَ مَذَاهِبُهُ

ولكن أبي مني الخداع مهذب تعود فعل الخير مذ طر شاربه

رفض الخداع مني، أي شخصاً أنا هو، مهذب تعود فعل الخير مذ طر، نبت، شاربه

وَذِي سَفِهِ أَغْضَيْتُ عَنْهُ نَكْرُمًا فَدَبَّتْ عَلَى رِجْلَيْ غَدْرًا عَقَارِيهُ

فقمْتُ له بِالنَّغْلِ ضَرْبًا، فَلَمْ تَزَلْ يَدَايِ بِهِ حَتَّى أَطْمَأْنَنْتُ غَوَارِيَهُ

اطمأنت غواريه: هبطت أمواجه، أي سكن وهذا

٣٤ طريد بغداد

لَقَدْ طَوَّحْتَنِي فِي الْبِلَادِ مُضَاعَا طَوَائِحُ جَاءَتْ بِالْخُطُوبِ تَبَاعَا

طوحنتني: رميتي بعيداً

فَبَارَحْتُ أَرْضًا مَا مَلَأْتُ حَقَائِبِي سَوَى حُبِّهَا عِنْدَ الْبِرَاحِ مَتَاعَا

البراح: المغادرة والفراق

عَتَبْتُ عَلَى بَغْدَادَ عَتَبَ مُودَعٌ أَمْضَتْهُ فِيهَا الْحَادِثَاتُ قِرَاعَا

أمضته الحادثات قراعاً: أكلته المصائب وهو يقارعها ويحاربها

أَضَاعَتْنِي الْأَيَّامُ فِيهَا، وَلَوْ كَرِهْتُ لَعَزَّ عَلَيْهَا أَنْ أَكُونَ مُضَاعَا

فيها: أي في بغداد

وَلَوْ شِئْتُ كَأَيْلْتُ الَّذِينَ انْطَوَوْا بِهَا عَلَى الْحِقْدِ صَاعًا بِالْعَدَاءِ قَصَاعَا

كأيلتهم صاعاً فصاعاً: رددت عليهم بالمثل، والصاع كيل قديم

عَلَى أَنَّنِي ذَارَيْتُ مَا شَاءَ حِقْدَهُمْ فَلَمْ يُجِدْ نَفْعًا مَا أَتَيْتُ وَضَاعَا

داريت كبدعم ما شاء الله لي.. لكن سدى

وَأَشَقَى الْوَرَى نَفْسًا وَأَضْيَعُهُمْ نَهَى لَبِيبٌ يُدَارِي فِي نُهَاهُ رَعَاعَا

النهي: العقل

تَرَكْتُ مِنَ الشَّعْرِ الْمَدِيحَ لِأَهْلِهِ وَنَزَّهْتُ شِعْرِي أَنْ يَكُونَ قَذَاعَا

القذاع: الشتم والتعير

وَأَرْسَلْتُهُ عَفْوَاً فَجَاءَ كَمَا تَرَى قَوَافِي تَجَنَّبُ الْبِلَادَ سِرَاعاً
كَأَنِّي وَقَدْ جَدَّ الْفِرَاقُ سَفِينَةً أَشَالَتْ عَلَى الرِّيحِ الْهَجُومِ شِرَاعاً
كَأَنِّي سَفِينَةٌ أَشَالَتْ، رَفَعَتْ، شِرَاعَهَا لِنَسْفِلِ الرِّيحِ الْهَاجِمَةِ

فَمَالَتْ بِهَا الْأَرْوَاحُ وَالْبَحْرُ مَائِجٌ وَقَدْ أَوْشَكْتَ الْوَاوَحُهَا تَتَدَاعَى
الْأَرْوَاحُ : الرِّيحَ

فَتَحَسَّبُنِي مِنْ هَزَّةٍ فِيَّ أَفْدَعَا تَرَقَّى هَضَاباً زُلْزِلَتْ وَتَلَاعَا
تَحَسَّبُنِي وَأَنَا فِي غَرَبِي، وَكَأَنِّي رَاكِبٌ سَفِينَةٍ تَتَقَاذَفُهَا الْأَمْوَاجُ، أَفْدَعُ، مَلْتَوِي الْأَقْدَامَ، يَتَضَعَعُ
كَأَنَّهُ يَتَرَقَّى وَيَصْعَدُ هَضَاباً وَتَلَاعَا، تَلَالَا، ضَرَبَهَا الزَّلْزَالُ

فَمَا أَنَا إِلَّا قَوْمَةٌ وَأَنْجِنَاءُ وَسِرٌّ أَذَاعَتْهُ الدَّمُوعُ قَذَاعَا
فَأَنَا بَعْدَ التَضَعُّعِ أَقُومُ نَمِ أَنْحَنِي... وَمَشَاعِرِي سِرٌّ لَكِنْ دَمُوعِي تَفْضَحُهُ

٣٥ الحكم العسكري

نَفَضْتُ يَدَيَّ مِنْ أَبْنَاءِ دَهْرٍ أَهَانُوا الشُّهْمَ وَاحْتَرَمُوا الزُّرِّيَّا
الزُّرِّي : الْمُسْتَحَقُّ لِلْإِحْتِقَارِ وَالْإِزْدِرَاءِ

وَقُلَّ حَيَاؤُهُمْ حَتَّى رَأَيْنَا ظَنَيْنَ الْقَوْمَ يَتَّبِعُهُمُ الْبَرِيَّا
الظَّنِّينَ : أَخُو الشُّبُهَاتِ، الْمَطْعُونُ فِي سُلُوكِهِ

تَقَلَّدَتِ السِّبُوفُ رُعَاةَ مَغِيرٍ وَكَانَتْ قَبْلُ تَحْتَمِلُ الْهَرِيَّا
تَحْتَمِلُ الْهَرِي : تَحْمِلُ الْعَصِيَّ

وَكَيْفَ تُسَاسُ مَمْلَكَةٌ بِمَدِلٍ إِذَا مَا الْحُكْمُ أَصْبَحَ عَسْكَرِيَّا؟

٣٦ العلم المفيد

إِثْنُوا الْمَدَارِسَ وَاسْتَقْصُوا بِهَا الْأَمْلا حَتَّى تُطَاوِلَ فِي بُنْيَانِهَا زُحَلَا
سَيِّرُوا إِلَى الْعِلْمِ فِيهَا سَيْرَ مُعْتَزِمٍ ثُمَّ ارْكَبُوا اللَّيْلَ فِي تَحْصِيلِهِ جَمَلَا
ارْكَبُوا فِي تَحْصِيلِ الْعِلْمِ اللَّيْلَ، تَقْطَعُونَهُ بِالدَّرْسِ، ارْكَبُوهُ كَأَنَّهُ جَمَلٌ

لَا تَجْعَلُوا الْعِلْمَ فِيهَا كُلَّ غَايَتِكُمْ بَلْ عَلِّمُوا النَّشْءَ عِلْماً يُنْتِجَ الْعَمَلَا
وَجَنِّبُوهُمْ عَلَى فَعْلٍ مُعَاقَبَةً إِنَّ الْعِقَابَ إِذَا كَرَّرْتَهُ قَسَلَا

فَجَيْشُوا جَيْشَ عِلْمٍ مِنْ شَبِيبَتِنَا عَرْمَرَمًا تَضْرِبُ الدُّنْيَا بِهِ الْمَثَلَا
العرمرم: الجيش الكبير

وإِنْ عَزَا مُسِطَّلاً ظِلٌّ رَأَيْتَهُ هَزَّ الْبِلَادَ وَأَخْبَا الْأَغْصَرَ الْأَوَّلَا
إِنَّا لِمِنْ أُمَّةٍ فِي عَهْدٍ نَهَضَتْهَا بِالْعِلْمِ وَالسِّيفِ قَبْلًا أَنْشَأَتْ دَوْلَا
ماذا تقولون في نقدي مناهجكم وقد كَفَيْتُكُمْ التَّفْصِيلَ وَالْجُمْلَا؟
نقدت المناهج حتى كفيتمك التفاصيل والإجمال

وَأَيُّ نَفْعٍ لِمَنْ بَاتِيَ مَدَارِسَكُمْ إِنْ كَانَ يَخْرُجُ مِنْهَا مِثْلَمَا دَخَلَا؟

٣٧ الدور قبوراً

إِذَا مَا عَقَّ مَوْطِنَهُمْ أَنْاسٌ وَلَمْ يَبْنُوا بِهِ لِلْعِلْمِ دُورَا
فَبِإِنَّ ثِيَابَهُمْ أَكْفَانُ مَوْتَى وَلَيْسَ بُيُوتُهُمْ إِلَّا قُبُورَا

٣٨ كذبة الدهر

كَمْ كَذَبَ الدَّهْرُ فِي قَمَائِلِهِ وَسُودَدَ الْجَاهِلِينَ مِنْ كَذِبِهِ
الدهر يكذب، ومن بعض أكاذيبه نيل الجاهلين مواقع السيادة

٣٩ التخصص

أَطْعِمِ الْعَقْلَ مَا اشْتَهَاءَ مِنَ الْعِلِّ حِمٍ وَإِلَّا اسْتَقَاتَ مِنْ سُوءِ هَضْمٍ
استقأت: بقيت

لَيْسَ فِي أَرْؤُسِ الرِّجَالِ دِمَاعٌ هَاضِمٌ فِي ذَكَائِهِ كُلِّ عِلْمٍ
فَمِنْ النِّقْصِ أَنْ تُحَاوَلَ أَنْ تُضَفَّ رَبِّ فِي كُلِّ ذِي الْعُلُومِ بِسَهْمٍ
أَوَّلَيْسَ الْبَدْرُ السَّمَاءُ، وَإِنْ كَا ن وَحِيداً، يَرَبُّو عَلَى آلِفِ نَجْمٍ

٤٠ نشيد لعبد الحميد

سَكَنَّا مِنْ جَهَالَتِنَا بِقَاعَا يَجُورُ بِهَا الْمُؤَمَّرُ مَا اسْتَطَاعَا
المؤمر: المجهول أميراً

فَكِدْنَا أَنْ نَمُوتَ بِهَا ارْتِبَاعَا فَهَبْنَا أُمَّةً هَلَكَتْ ضِيَاعَا

تَوَلَّى أَمْرَهَا عَبْدُ الْحَمِيدِ

* * *

أَيَا حُرِّيَّةَ الصُّحُفِ ازْحَمِينَا فَإِنَّا لَمْ نَزَلْ لَكَ عَاشِقِينَا
مَتَى تَصِلِينَ كَيْمَا تُظْلِقِينَا عِدِينَا فِي وَصَالِكَ وَامْطَلِقِينَا
مَتَى تَصِلِينَ إِلَيْنَا حَتَّى نَنْطَلِقَ . . قَدِمِي لَنَا وَعِدَاً بِالْوَصَالِ أَيُّهَا الْمَعشُوقَةُ، ثُمَّ امْطَلِقِينَا، كُونِي مَعَاطِلَةً

فَإِنَّا مِنْكَ نَقْنَعُ بِالْوُعودِ

* * *

نَنْعَمُ فِي قُصُورِكَ غَيْرَ دَارٍ أَعَاشَ النَّاسُ أَمْ هُمْ فِي بَوَارِ
بِوَارٍ: هَلَاكٍ

فَإِنَّكَ لَمْ تُطَالِبِ بِاعْتِدَارٍ وَهَبْ أَنَّ الْمَمَالِكَ فِي دِمَارِ
أَلَيْسَ بِنَاءٍ يُلْدِزُ بِالْمَشِيدِ
يُلْدِزُ: قَصْرُ السُّلْطَانِ عَبْدِ الْحَمِيدِ فِي إِسْتَنْبُولَ

٤١ دخان ولهيب

إِنْ كَلَّفْتَنِي السُّكَارَى شُرْبَ خَمَرَتِهِمْ شَرِبْتُ لَكِنْ دَخَاناً مِنْ سِكَارَاتِي
سِكَارَاتِي: سِجَارَاتِي، وَفِي الْعِرَاقِ يَكْتُبُونَ الْقَافَ الْبَدْوِيَةَ كَافاً، وَفِي مِصْرَ جِمْماً، وَفِي بِلَادِ الشَّامِ
يَتَحَبَّرُونَ، وَفِي الْخَلِيجِ يَكْتُبُونَهَا قَافاً فَيَقُولُونَ عَنْ الْفَاقَةِ زَقَارَةٌ
إِنِّي لَأَمْتَصُّ جَمِراً لَفْتُ فِي وَرْقٍ إِذْ تَشْرَبُونَ لَهَيْباً مِلءَ كَاسَاتِ

٤٢ تحريم الغناء

رَطَّبْتُ حَبَائِكَ بِالْغِنَاءِ إِذَا عَرَا هُمْ يُجَفِّفُ فِي الْحُلُوقِ الرِّيقَا
عَرَا: اعْتَرَى، وَجَاءَ مَفَاجِئاً

وَاثْرُكَ مُجَادَلَةَ الَّذِينَ تَوَهَّمُوا هَزَجَ الْغِنَاءِ خَلَاعَةً وَفُسُوقَا
أَفَأَنْتَ أَغْلَظُ مُهْجَةً مِنْ نُوقِهِمْ فَقَدْ اسْتَحْثُّوا بِالْحُدَاءِ النُّوْقَا
الْحُدَاءُ: الْغِنَاءُ لِلْإِبِلِ

أَرْقَى الشُّعُوبَ تَمْدُنَاً وَحَضَارَةً مَنْ كَانَ مِنْهُمْ فِي الْفُنُونِ عَرِيقَا

٤٣ الاستهلاك

أَوْ مَا تَرَى أَهْلَ الْبِلَادِ تَقَيَّدُوا لِلْغَرْبِ مِنْ حَاجَاتِهِمْ بِقِيُودِ
الْغَرْبِ يَكْسُوهُمْ مَلَابِسَ مُنْ بِهَا يَغْرُونَ مِنْ مَالٍ لَهُمْ وَتُقَوِّدُ
وَتَرَاهُ يَسْلَخُهُمْ بِمَصْنُوعَاتِهِ سَلَخَ الشَّيَءِ، فَهُمْ بِغَيْرِ جُلُودِ
هَذِي سَفَائِثُهُمْ تَرُوحُ وَتَغْتَدِي بِبِضَائِعٍ لَمْ تُخَصَّ بِالتَّعْدِيدِ
فَكَأَنَّمَا هِيَ لِامْتِحَاصِ دِمَائِنَا بَعْضُ الْمَحَاجِمِ أَوْ كِبَعْضِ الدُّودِ
تمتص بضائعهم دماً كما تمتصه المحاجم، المحجم أداة فصد الدم في الحجابة، أو الدود، العلق
الذي يستخدمه المعالجون في امتصاص الدم

مَنْ كَانَ مَحْلُولَ الْعُرَا فِي مَالِهِ وَجَبَ أَنْجِلَالُ لَوَائِهِ الْمَعْقُودِ
من لم يحسن القيام على الميزانية وجب أن يتخلى عن حمل اللواء وقيادة البلد

٤٤ التمويه

دَعِ الْآنَاسِيَّ وَانْشُبْنِي لِعَافِيَتِهِمْ إِنْ شِئْتَ لِلشَّاءِ، أَوْ إِنْ شِئْتَ لِلْبَقَرِ
فَإِنَّ فِي الْبَشَرِ الرَّاقِي يَخْلُقُهُ مَنْ قَدْ أَنْفَتَ بِهِ أَنِّي مِنَ الْبَشَرِ
وَأَشْنَعُ الْكَذِبِ عِنْدِي مَا يُعَازِجُهُ شَيْءٌ مِنَ الصِّدْقِ تَمْوِيهاً عَلَى الْفِكْرِ
فَإِنَّ إِبْطَالَ هَذَا فِي النُّهَى عَسِرٌ وَلَيْسَ إِبْطَالُ مَخْضِ الْكَذِبِ بِالْعَسِيرِ

٤٥ تلخيص «رأس المال»

كُلُّ مَا فِي الْبِلَادِ مِنْ أَمْوَالٍ لَيْسَ إِلَّا نَتِيجَةُ الْأَعْمَالِ
تلخيص حسن للنظرية الماركسية في القيمة المضافة: قيمة كل سلعة هي مقدار ما وُضع فيها من
عمل. وسيدو في الآيات المقبلة أن الرصافي كان يصدر عن إلزام بالنظرية الماركسية

عِنْدَنَا الْيَوْمَ لِلْحَيَاةِ نِظَامٌ قَدْ حَوَى كُلَّ بَاطِلٍ وَمُحَالٍ
حَيْثُ يَسْعَى الْفَقِيرُ سَعْيَ أَجِيرٍ لِعَافِيَتِي مُنْتَائِرٍ بِالْخِلَالِ
وَتَرَى الْغَائِصِينَ فِي الْبَحْرِ أَمْسَى لِسَوَاهُمْ مَا أَخْرَجُوا مِنْ لَالٍ
لآل: لآل

أَكْثَرُ النَّاسِ يَكْذِبُونَ لِقَوْمٍ قَعَدُوا فِي قُصُورِهِمْ وَالْعَلَالِي
إِنَّمَا الْحَقُّ مَذْهَبُ الْأَشْتِرَاكِيِّينَ فِيهِمَا يَخْتَصُّ بِالْأَمْوَالِ

مَذْهَبٌ قَدْ نَحَا إِلَيْهِ أَبُو ذَرٍّ - قَدِيمًا فِي غَايِرِ الْأَجْيَالِ

أبو ذر الغفاري: من الصحابة، وزهد ودعا إلى التسوية بين الناس في العطاء

لَيْسَ فَرَضُ الزَّكَاةِ فِي الشَّرْعِ إِلَّا خُطْوَةٌ نَحْوَ مَبْتَغَاءِ الْعَالِي

الزكاة خطوة أولى نحو هذا المذهب: الاشتراكية

مَا رُؤُوسُ الْأَمْوَالِ إِلَّا أَدَاةٌ لِلْمَسَاعِي كَالْحَبْلِ لِلْأَحْمَالِ

رؤوس الأموال أداة لتشغيل الناس ودوران عجلة الاقتصاد وليست للتخزين والكثرة

إِنَّهَا الْعَامِلُونَ إِنَّ اتِّحَادًا بَيْنَكُمْ مُرْخِصٌ لَكُمْ كُلِّ غَالٍ

وقال البيان الشيوعي: «يا عمال العالم اتحدوا»

فَلْيَكُنْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَصِيرًا وَمُعِينًا لَهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ

٤٦ الازدراء

أَكْبَبَ عَلَى الْخَوَانِ وَكَانَ خِفَاءً فَلَمَّا قَامَ أَثْقَلَهُ الْقِيَامُ

ووالى بينها لقمًا ضخمًا فما مرثت له اللقم الضخام

وعاجلَ بَلْعَهُنَّ بِغَيْرِ مَضْغٍ فَهُنَّ فِيهِ وَضَعْنَ فَالْتِهَامُ

فضاقت بطنه شبعًا وشالت إلى أن كاد ينقطع الحزام

فأرسلت اللحاظ إليه شرراً وقلت له: رويدك يا غلام

أرى اللقومات تأخذها حلالاً فتدخل فاك وهي به حرام

فلا تأكل طعامك بازدياد مُعَاجَلَةً فَيَأْكُلَكَ الطَّعَامُ

طعام الناس أغضب ما أحبوا فمنه حياتهم وبه الحمام

أعجب الأشياء التي يحبها الناس الطعام، فمنه يحيون وبه يموتون

وَلَوْ أَنِّي اسْتَظَفْتُ صِيَامَ دَهْرِي لَصُمْتُ فَكَانَ دَيْدَنِي الصِّيَامُ

ديدني: عادي

ولكن لا أصوم صيام قوم تكائر في فطورهم الطعام

وناموا مُتَحَمِّينَ عَلَى امْتِلَاءٍ وَقَدْ بَتَجَشَّأُونَ وَهُمْ نِيَامُ

بتجشأ: يخرج فقاعة هواء من بطنه... يخرجها من فمه بصوت

فَقُلْ لِلصَّائِمِينَ أَدَاءُ فَرَضٍ أَلَا مَا هَكَذَا فَرَضَ الصِّيَامُ

٤٧ إلى الصديق اللدود

أرى بغداداً من بعد اغبرارٍ زَهَتْ بِقُدُومِ شاعرِها الزَّهاوي
وما الآدابُ في بغدادَ لولا بِراعُ جَمِيلِها إِلَّا دَعَاوِ
يراع: قلم، دعاوٍ: ادعاءات

إذا ما قالَ في بغدادَ شعراً رَوَّاهُ له بِأَقْصَى الأرضِ راوٍ

٤٨ أبناء إماء

لقد عَمَطُوا حَقَّ النساءِ فَشَدُّوا عَلِيهِنَّ فِي حَبْسٍ وَطُولِ ثَوَاءٍ
غمطوا الحق: لم يقرؤا به، طول ثواء: طول إقامة

وقد الزَّمَوْهُنَّ الحِجَابَ وَأَنكَرُوا عَلِيهِنَّ إِلَّا خَرَجَةً بِغِطَاءٍ
أهانوا بِهِنَّ الأَمْهَاتِ فَأَصْبَحُوا بِمَا فَعَلُوا مِنَ الأَمِّ اللُّؤْمَاءِ
ولو أَنَّهِنَّ أَبْقَوْا لَهُنَّ كَرَامَةً لَكَانُوا بِمَا أَبْقَوْا مِنَ الكَرَمَاءِ
ألم تَرَهُنَّ أَمْسَوْا عَبِيداً لِأَنَّهُنَّ عَلَى الذِّلِّ شَبُّوا فِي حُجُورِ إِمَاءٍ
صار رجالنا عبيداً للأجنبي لأنهم تربوا في حجور، أحضان، نساء هن كالإماء، الجواري

وَهَانَ عَلِيهِنَّ حِينَ هَانَتْ نِسَاؤُهُنَّ تَحْمُلُ جَوْرِ السَّاسَةِ الْغُرَبَاءِ
أَيْسَعُدُ مَخْيَاكُم بِغَيْرِ نِسَائِكُمْ وَهَلْ سَعِدَتْ أَرْضٌ بِغَيْرِ سَمَاءِ
المخيا: الحياة

وما العارُ أَنْ تَبْدُو الْفَتَاةُ بِمَسْرَحٍ نَمَثُلُ حَالِي عِرَّةً وَإِبَاءِ
ولكنَّ عاراً أَنْ تَزَيَّا رِجَالُكُمْ عَلَى مَسْرَحِ التَّمْثِيلِ زِيَّ نِسَاءِ

٤٩ النعجة والذئب

قُلْ لِلأُلَى ضَرَبُوا الْحِجَابَ عَلَى النَّسَاءِ أَفَتَعْلَمُونَ بِمَا جَرَى تَحْتَ الْعَبَاءِ؟
شَرَفُ الْمَلِيحَةِ أَنْ تَكُونَ أَدِيبَةً وَحِجَابُهَا فِي النَّاسِ أَنْ تَتَهَذَّبَا
وَالْوَجْهُ إِنْ كَانَ الْحَيَاءُ نِقَابَهُ أَغْنَى فِتَاءَ الْحَيِّ أَنْ تَتَنَقَّبَا
وَاللُّؤْمُ أَجْمَعُ أَنْ تَكُونَ نِسَاؤُنَا مِثْلَ النَّعَاجِ، وَأَنْ تَكُونَ الْأَذْؤِيَا

٥٠ الذين واللواتي

هِيَ الْأَخْلَاقُ تَنْبُتُ كَالنَّبَاتِ إِذَا سُقِبَتْ بِمَاءِ الْمَكْرُمَاتِ
وَلَمْ أَرَ لِخَلَائِقِي مِنْ مَحَلٍّ يُهَذَّبُهَا كَحِضْنِ الْأُمَّاتِ
فَحِضْنُ الْأُمِّ مَدْرَسَةٌ تَسَامَتْ بِتَرْبِيَةِ الْبَنِينَ أَوْ الْبَنَاتِ
وَقَالُوا شِرْعَةُ الْإِسْلَامِ تَقْضِي بِتَفْضِيلِ الَّذِينَ عَلَى اللَّوَاتِي
وَقَالُوا إِنَّ مَعْنَى الْعِلْمِ شَيْءٌ تَضِيقُ بِهِ صَدُورُ الْغَانِيَاتِ
أَلَيْسَ الْعِلْمُ فِي الْإِسْلَامِ فَرَضًا عَلَى أَبْنَائِهِ، وَعَلَى الْبَنَاتِ؟
وَكَانَتْ أُمَّنَا فِي الْعِلْمِ بَحْرًا تَحُلُّ لِسَائِلِهَا الْمَشْكَلَاتِ
أَمَّا: أم المؤمنين عائشة

أَلَمْ تَرِ فِي الْحِسَانِ الْغَيْدَ قَبْلًا أَوَانَسَ كَاتِبَاتِ شَاعِرَاتٍ؟
وَقَدْ كَانَتْ نِسَاءُ الْقَوْمِ قَدَمًا يَرُخْنَ إِلَى الْحُرُوبِ مَعَ الْغُرَاةِ
يرحن: أراد بذهبن

لَسُنَّ وَأَدَوُا الْبَنَاتِ فَقَدْ قَبَرْنَا جَمِيعَ نِسَائِنَا قَبْلَ الْمَمَاتِ
الجامليون وأدوا البنات ونحن قبرنا جميع نساء إبقاتهن في البيوت أو بالحجاب
حَجَبْنَاهُنَّ عَنْ طَلَبِ الْمَعَالِي فَعِشْنَ بِجَهْلِلِهِنَّ مُهْتَكَاتِ
وَلَوْ عَدِمَتْ طِبَاعُ الْقَوْمِ لَوْمًا لَمَّا عَدَّتِ النِّسَاءُ مُحَجَّجَاتِ
فِدَى لِحَلَائِقِ الْأَعْرَابِ نَفْسِي وَإِنْ وُصِفُوا لَدِينَا بِالْجُفَاءِ
فَكَمْ بَرَزَتْ بِحَيِّهِمُ الْقَوَانِي خَوَاسِرَ غَيْرِمَا مُتَرَيَّباتِ
حواسر: كاشفات الشعر، غيرما متريبات: غير واقعات في شبهة أو ريبة

٥١ أمة ومحبوسة

لَمْ أَرِ بَيْنَ النَّاسِ ذَا مَظْلَمَةٍ أَحَقَّ بِالرَّحْمَةِ مِنْ مُسْلِمَةٍ
مَنْقُوصَةٍ حَتَّى بِمِيرَائِهَا مُحَجَّوَةٌ حَتَّى عَنِ الْمَكْرُمَةِ
قَدْ جَعَلُوا الْجَهْلَ صَوَانًا لَهَا مِنْ كُلِّ مَا يَدْعُو إِلَى الْمَائِمَةِ
صَوَانًا: حافظًا صائناً

وَالْعِلْمُ أَعْلَى رُتَبَةٍ عِنْدَهُمْ مِنْ أَنْ تُلَقَّاهُ وَأَنْ تَعْلَمَ

ما تَصْنَعُ المرأةَ مَحْبُوسَةً في بيتِها إنْ أَصْبَحَتْ مُغْدِمَةً
كم في بيوتِ القومِ مِنْ حُرَّةٍ تَبْكِي مِنَ البُؤْسِ يَعْينُنِي أُمَةٌ

٥٢ نحن السفوريين

نحنُ السُّفُورِيُّينَ أَغْلَمَ بالذي شَرَعَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ مِنْ دِينِ
أَيَكُونُ ما شَرَعَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ شيئاً يَخَالِفُ شِرْعَةَ التَّمْدِينِ؟

٥٣ يا شعبي الضائع

قالها والعراق تحت الحكم العثماني:

أَمَا أَنَّ أَنْ يَغْشَى البِلَادَ سُعُودُهَا وَيَذْهَبَ عَنْ هَذِي النِّيَامِ مُجُودُهَا
يغشى: يغطي، سعودها: حظها الحسن، هجودها: نومها

بَرِئْتُ إِلَى الْأَحْرَارِ مِنْ شَرِّ أُمَّةٍ أَسْبِرَةُ حُكَّامِ ثِقَالِ قُبُودُهَا
جَرَى الْجَوْرُ مِنْهَا فِي بِلَادٍ وَسِيعَةٍ فَضَاقَتْ عَلَى الْأَحْرَارِ ذُرْعَا خُدُودُهَا
عَجِبْتُ لِقَوْمٍ يَخْضَعُونَ لِدَوْلَةٍ يَسُوسُهُمُ بِالْمُؤَيَّقَاتِ عَمِيدُهَا
وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا أَنَّهُمْ يَرْهَبُونَهَا وَأَمْوَالُهَا مِنْهُمْ، وَمِنْهُمْ جُنُودُهَا
وَصَارَتْ لِثَامِ النَّاسِ يَعلُو كِرَامُهَا وَعَابَ لِبَيْدٍ فِي النَّشِيدِ بَلِيدُهَا
صار الثام يرتفعون فوق الكرام، و صار البليد يعيب في الشعر لبدا الشاعر المشهور

وَمَا ثُلَّةٌ قَدْ أَهْمَلَتْهَا رُعَايَتُهَا بِمَأْسَدَةٍ جَاعَتْ لِعَشْرِ أَسْوَدُهَا..
الثلة: قطع الغنم، المأسدة: أرض كثرت أسودها، جاعت لعشر: مضت عليها عشرة أيام بلا طعام..

فَبَاتَتْ وَلَا رَاعٍ يُحَامِي مَرَاخِهَا فَرَائِسَ بَيْنَ الضَّارِيَاتِ تُبِيدُهَا..
بات القطيع بلا راع يحمي مراحه، أرضه، فأصبح فرائس تغرسها الأسود الضارية، المفترسة
بِأَضْيَعٍ مِنْكُمْ حَيْثُ لَا ذُو شَهَامَةٍ يَذِيبُ الرِّزَايَا عَنْكُمْ وَيَذُودُهَا
ليست هذه الأغنام أشد ضياعاً منكم إذ لا شهم يذب الرزايا، يدفع المصائب ويذودها، يبعدها عنكم

٥٤ الإسلام ذنباً

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ لَسْتُمْ مِنَ الْغَرِ بِإِحْصَالِ تَسْتَوْجِبُونَ أَحْتَرَامَا

وَإِذَا مَا فَعَلْتُمْ الْخَيْرَ يَوْمًا حَسِبُوهُ جُنَايَةً وَأَنَامَا
وَإِذَا مَا افْتَرَىٰ عَلَيْكُمْ عَدُوٌّ أَبَدُوهُ وَصَدَّقُوا الْأَوْهَامَا
وَإِذَا مَا جَنَىٰ عَلَيْكُمْ أَنَاسٌ سَكَنُوا عَنْهُمْ وَمَرُّوا كِرَامَا
مرور الكرام: أي المرور بلا اهتمام. المعنى مأخوذ من صفة الكريم النفس الذي يرى الخطأ فيمر به بلا تأنيب لصاحبه

كَمْ بِأَرْضِ الْبَلْقَانِ مِنْكُمْ قَتِيلٌ وَأَيَّامِي مُضَاعَفٌ وَيَنَامِي
أيامى: أرامل.. وفي نهاية الحرب العالمية الأولى تفككت الدولة العثمانية وخلفت في مناطق البلقان حيث كانت تحكم كثيرين من المسلمين يتعرضون للأذى

رَجِمَ اللَّهُ أُمَّةً أَصْبَحَ الْفَرُّ بَ يَرَىٰ كُلَّ ذَنْبِهَا إِسْلَامَا

٥٥ وعود العروبيين

عَجِبْتُ لِقَوْمٍ أَصْبَحُوا يُنْكِرُونَنَا وَقَدْ عَرَفُونَا فِي الزَّمَانِ الَّذِي مَرَّا
هُمْ أَسْمَعُونَا نُغْفِرَ عَرَبِيَّةً فَدَوَّى صَدَاها فِي الْمَسَامِعِ مُضْطَرًّا
نمرة: عصية وحماة للنسب، مصطر: مصطنع. ينتقد العروبيين

فَكَمْ مِنْ خَطِيبٍ قَامَ فِيهَا مُثَرِّرًا فَطَرَىٰ لَنَا مِنْ يَاسِ الْقَوْلِ مَا طَرَىٰ
وَكَمْ شَاعِرٍ قَدْ أَرَخَصَ الشَّعْرَ دُونَهَا وَكَمْ قَلَمٍ فَوْقَ الطُّرُوسِ بِهَا صَرَّا
كم من شاعر بذل شعره رخيصاً في سبيل الدعوة للعروية، وكم قلم قد سُمع له صرير فوق الطروس، الأوراق، وهو يشيد بها، بالنمرة العروبية

وَكُنَّا أَجْبَنَاهُمْ إِلَيْهَا إِجَابَةً بِهَا قَدْ تَرَكْنَا جَانِبَ الدِّينِ مُزَوَّرًا
وقد تفاعلت - يقول الرصافي - مع تلك الدعوات، مخالفاً بذلك الرابط الديني الذي يربطني بالدولة العثمانية

رَجَاءُ اتِّحَادٍ فِي طَرِيقِ سِيَاسَةٍ تَعُمُّ مَرَامِيهَا بَنِي يَغْرُبِ طَرًّا
جارتهم رجاء التوحد في سياسة تعم مراميها، أغراضها، العرب طراً، جميعاً
فَمُذْ حَانَ أَنْ يَخْضَلَ غُصْنُ اعْتِزَانَا وَبَرَّتْ بَعْدَ اللَّيْلِ رَطْبًا وَيَخْضَرَّا..
منذ أن حان الوقت ليخضل، ليثقل بالندى، غصن اعتزازنا ويخضر..

نَصَبْنَا حَيَاشِيمَ الرَّجَاءِ لِرِيحِهِمْ فَهَبَّتْ لَنَا نَكَبَاءَ عَاتِيَةٍ صِرًّا
نصبنا أنوفنا راجين أن نشم رائحة طيبة، فهبت علينا ريع نكباء، مغربة، صير، باردة

٥٦ رويدك غورو!

رُؤَيْدُكَ، غُورُو، اِبْهَذَا الْجَنْبِرُ اُلُّ فَقَدْ اَلَمَّثْنَا مِنْ خِطَابِكَ اَقْوَالُ

دخل الجنرال غورو دمشق وألم بقبر صلاح الدين ورفسه وقال: «قم فقد عدنا يا صلاح الدين، ووجودي هنا إيذان بانتصار الصليب على الهلال» العبارة في ص ٣٥٩ من كتاب «غزو الشرق الأوسط الحديث» لماير وبرايواك

ذَكَرْتُ لَنَا الْحَرْبَ الصَّلِيبِيَّةَ الَّتِي بِهَا الْيَوْمَ قَدْ تَمَّتْ لِقَوْمِكَ اَمَالُ
وَلَوْ اَنَّا قُلْنَا كَمَا اَنْتَ قَائِلٌ لَأَنْحَى عَلَيْنَا بِالتَّمَصُّبِ عُدَالُ

أنحى بالتعصب: انهم بالتعصب

وَقَالُوا لَنَا اَنْتُمْ اُولُو جَاهِلِيَّةٍ وَإِنْ خَالَفُوا وَجْهَ الصَّوَابِ بِمَا قَالُوا
فَقَدْ قَادَتِ الْأَعْرَابُ نَحْوَ عُدُوكُمْ خُبُولًا لَهَا فِي حَوْمَةِ الْحَرْبِ تَجْوَالُ

الأعراب في الحجاز والأردن بقيادة الشريف حسين مكة حاربوا عدوكم، يا غورو، وهو الدولة العثمانية

وَقَامَتْ لَكُمْ مِنْهُمْ بِمَكَّةَ رَايَةٌ لَكُمْ فُتِحَتْ فِيهَا مِنَ الْقُدْسِ أَقْفَالُ
ورفع الهاشميون في مكة راية قتال ساعدت الغرب في فتح القدس مع نهاية الحرب العالمية الأولى

٥٧ عندما يحبض الزمن

لَمَّا تَكْرَهْنِي الْأَرَاذِلُ سَرَّنِي أَنَّنِي إِلَيْهِنَّ، يَا أَمِيمَ، بَغِيضُ
وَجَزَيْتُ كُلَّ صَنِيعَةٍ بِمِثَالِهَا إِنْ الصَّنَائِعُ فِي الرِّجَالِ قُرُوضُ

صنعة: معروف

لَا تَطْلُبَنَّ مِنَ الزَّمَانِ حَقِيقَةً مَا لِلْحَقِيقَةِ فِي الزَّمَانِ وَمِيزُ

تسويد عمران الففني

وَحَوَادِثُ الْأَيَّامِ مِثْلُ نِسَائِهَا فِي الْحُكْمِ، تَظْهَرُ تَارَةً وَتَحْبِضُ
أحداث الزمن تشبه في حكمنا عليها النساء تظهر وتحبض.. أي فيها ما يسر وما يسوء

وَإِذَا الْفَنَى قَمَدَتْ بِهِ أَعْمَالُهُ أَعْيَاهُ بِالنَّسَبِ الرَّفِيعِ تُهَوِّضُ

تسويد عمران الففني

٥٨ يا قوم لا تتكلموا

يا قوم لا تتكلموا إن الكلام مُحرَّم
ناموا ولا تنيقظوا ما فاز إلا النُّومُ
أما السياسة فاتركوا أبداً وإلا تندموا
إن السياسة سرُّها لو تعلمون مُطلسم
مطلسم: غامض

من شاء منكم أن يعيب من اليوم وفو مكرم
فلينس لا تمنع ولا بصّر ليدى ولا قم
وإذا ظلمتم فاضحكوا طرباً ولا تظلموا
إن قيل هذا شهدكم مرفقولوا علقم
أو قيل إن نهاركم ليل فقولوا مظلم
أو قيل إن بلادكم يا قوم سوف تُقسّم
فتحمدوا ونشكروا وترنحوا وترنموا

٥٩ حكم الدخيل

في حفل تكريم أمين الريحاني:

أأمين لا تغضب عليّ فإني لا أدعي شيئاً بغير دليله
من ابن برجي للعراق نقدّم وسبيل مُتلكيه غير سبيله
ممتلكوه: حكامه

لا خبر في وطن يكون السيف عند ند جبانته، والمال عند بخيله
والرائي عند طريدته، والعلم عند ند غريبه، والحكم عند دخيله
استاء الملك فيصل مما رآه تعريضاً به في كلمة «دخيله»، فقالوا له: لعل الرصافي يقصد الإنجليز
وقد استبدّ قليله بكثيره ظلماً، ودلّ كثيره لقليله
وإذا المخاطب كان مثلك واعياً أغنى اختصار القول عن تطويله
يخاطب أمين الريحاني

يا من يُكتم فضله متواضِعاً والناس مُجمِعة على تفضيله

شكوايَ بُحْتُ بها إليك وليس في
إنَّ المريضَ لَيَسْتَرِيحُ إذا اشْتكى
شكوى الزميلِ غَضاضَةً لِيُزِيلَهُ
مِمَّا بِهِ لَطَبِييَهُ، وَخَلِيلَهُ

٦٠ ويل لبغداد

وَيْلٌ لِبَغْدَادَ مِمَّا سَوْفَ تَذْكُرُهُ
لَقَدْ سَقَيْتُ بِفَيْضِ الدَّمْعِ أَرْبُعَهَا
عَنِّي وَعَنْهَا اللَّيَالِي فِي الدَّوَاوِينِ
عَلَى جَوَانِبِ وَادٍ لَيْسَ يَسْقِيَنِي
وَلَوْ نَادَيْتُ زُقُومًا بِغَسَلِينَ
وَلَسْتُ أَبْذُلُ عِرْضِي كَفِي أَحَبِّنَ بِهِ

تأملت: اتخذت غموساً لخبزتي، الزقوم والغسلين: من طعام أهل النار

عَاهَذْتُ نَفْسِي وَالْأَيَّامَ شَاهِدَةً
مَا كُنْتُ أَحْسَبُ بَغْدَاداً تُحَلِّئُنِي
أَلَّا أَقَرَّ عَلَى جَوْرِ السَّلَاطِينِ
عَنْ مَاءٍ دَجَلَتْهَا يَوْماً وَتُظْمِئُنِي

تحلتي: تمنعني ورود الحوض

حَتَّى تَقْلُدَ فِيهَا الْأَمَرَ زَعِيفَةً
مِنْ الْأُنَاسِ بِأَخْلَاقِ السَّرَاحِينِ

زعفة: شردمة، حثالة، السراحين: الذئاب

لَأَجْعَلَكَ إِلَى بَيْرُوتَ مُنْتَسَبِي
قَدْ كَانَ فِي الشَّامِ لِلْأَيَّامِ مَذْزَمِي
لَعَلَّ بَيْرُوتَ بَعْدَ الْيَوْمِ تُؤْوِينِي
ذَنْبَ مَحَنَةِ اللَّيَالِي فِي فَلَسْطِينِ

أذنب الشام بحقي عندما جئتها وفصل فيها فلم أخط باستقبال حسن، فذهبت إلى القدس فعملت هناك واحفئ الناس بي

إِنْ كَانَ فِي الْقُدْسِ لِي صَحْبُ عَطَارِفَةٍ
فَكُمُ بِبَيْرُوتَ مِنْ غُرِّ مَيَامِينِ

الغطارفة والميامين: السادة من أشراف الناس

٦١ ملك ينتظر آخر الشهر

لَهُمْ مَلِكٌ تَأْتِي عَصَابَةُ رَأْسِهِ
لَهَا غَيْرَ سَيْفِ التَّيْمُسِيِّينَ عَاصِبَا

تأبي عصابة رأسه، عمامته، أن يعصبا ويلفها له إلا سيف الإنجليز، أي أن عرشه قائم بفضل وجودهم العسكري في العراق (التيهسين نسبة إلى نهر لندن التمز)

وَلَيْسَ لَهُ مِنْ أَمْرِهِمْ غَيْرَ أَنَّهُ
يُعَدُّ أَيَّاماً وَيَأْخُذُ رَاتِبَا

قبل عندما التقى الملك فيصل الرصافي بعد حين عاتبه قائلاً: أما زلت تقول إنني أعدد أياماً وأخذ راتباً؟ فقال الرصافي: أمل ألا يكون الأمر كذلك يا صاحب الجلالة

٦٢ الكراسي الخجلى

أنا بالحكومة والسياسة أعرفُ ألام في تنفيذها وأعنفُ

تنفيذها : انتقادها

سأقول فيها ما أقول ولم أخفُ من أن يقولوا شاعرٌ مُتَطَرِّفُ
هذي حكومتنا وكلُّ شُمُوخِها كَذِبٌ، وكلُّ صنيعِها مُتَكَلِّفُ
عَلِمَ ودُستورٌ ومجلسٌ أُمِّي كلٌّ عن المعنى الصحيح مُحَرَّفُ
أسماء ليس لنا سوى ألفاظِها أمّا معانيها فليست تُعرَفُ

تعليق عمران القفيني: (منع أسماء للوزن، ومنع المصروف فيج حتى في الضرورات... الشعراء الكبار يصرفون المنوع لا العكس)

مَنْ يَقرَأ الدُستورَ يَعْلَمُ أَنه وَفَقاً لِمَصْكَ الاندَابِ مُصَنَّفُ
تَشْكُو البلادُ سياسةً مَالِيَةً تَجْنَحُ أُمُوالُ البلادِ وتُنَلِفُ
تُجَبَى ضَرَائِبُهَا الثَّقَالُ وَإِنَّمَا في غيرِ مَصْلَحَةِ الرِّعْيَةِ تُصَرَفُ
يا قومُ خَلُّوا الفَاشِيَّةَ إِنَّهَا في السَّائِسِينَ قَظَاظَةٌ وَتَعَجَّرُفُ

الفاشية: الفاشية، وكان بدأ يشكل حزب يأخذ بنهج الفاشية الإيطالية

لِلإِنجِلِيزِ مَطَامِعُ بِبلادِكُمْ لَا تَنْتَهِي إِلَّا بِأَنْ تَتَبَلَّشَفُوا

تتبلشفوا: تصبحوا بلشفيين، والحزب البلشفي هو حزب لينين الشيوعي في روسيا/الاتحاد السوفيتي

بِاللَّهِ يَا وُزَرَاءَنا ما بَالُكُمْ إِن نحن جَادَلناكُمْ لم تُنصِفُوا
هذي كراسيُّ الوِزارَةِ نَحْتَكُمُ كادَتْ لِفَرَطِ حَيائِها تَتَقَصَّفُ
أنتم عليها والأجانبُ فوقكم كلُّ سُلْطَنَةٍ عَلَيْكُمْ مُشْرِفُ
أَيَعَدُّ فَخْرًا لِلوِزِيرِ جُلُوسُهُ فَرِحاً على الكُرْسِيِّ وَهُوَ مُكْتَفُ

مكتف: مفيد بالحيال

كم مِن نَوَاصِي لِلِعَدَى سَتَجُرُّها وَلِحَى بِأَيْدِي الشائِرِينَ سَتُنْتَفُ

نواصي: الناصية شعر مقدم الرأس، نجزها: نقصها. وكان من عادة العربي إذا أسر خصمه أن يخلق له شعره

٦٣ أم الدنيا

في زيارة مع وفد برلماني عراقي للقاهرة لحضور المعرض الصناعي (١٩٣٦):
إذا العروبة حُلَّتْ عرشَ دولتيها فمِضْرُ تاجٍ لها قد صيغَ من ذهبٍ
من أَقْفٍ فُسطاطها في الشرقِ قد طَلَعَتْ شمسٌ إذا غابَ قُرْصُ الشمسِ لم تَغِبْ
الفسطاط : القاهرة القديمة

٦٤ من العجائب

وَمِنْ الْعَجَائِبِ فِي الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ بَلَّغَ الْفَقِيهِ وَفُظْنَةُ الزُّنْدِيقِ

٦٥ الجمهورية

قالها في عهد السلطان عبد الحميد:

سوقٌ تُباعُ بها المَرَاتِبُ سُمِّيَتْ دارَ الْخِلَافَةِ عند مَنْ لم يَعْقِلِ
دار الخلافة : إستانبول

أَبَتْ السِّيَاسَةُ أَنْ تَدُومَ حُكُومَةٌ خُصَّصَتْ بِرَأْيٍ مُقَدَّسٍ لَمْ يُسْأَلِ
المقدس الذي لا يُسأل : السلطان، فهو ليس موضع مساءلة . التسويد لعمران الفيني

إِنَّ الْحُكُومَةَ، وَهِيَ جُمْهُورِيَّةٌ كَشَفَتْ عِمَايَةَ قَلْبٍ كُلِّ مُضِلٍّ
الحكومة، إذ تكون جمهورية، تكشف العماية، السحابة، التي تغطي قلب المضللين المفر بهم

٦٦ الأمير المأمور

قالها عند قدوم فيصل إلى بغداد (١٩٢١):

خَرَجَ النَّاسُ يُهْرَعُونَ احْتِفَاءً بِقُدُومِ الْأَمِيرِ غَيْرِ الْأَمِيرِ
مَلَأُوا الشَّارِعَ الْكَبِيرَ لِأَمِيرٍ فِي كَبِيرِ الْعُقُولِ غَيْرِ كَبِيرِ
كَيْفَ جَاءَ الْأَمِيرُ قَبْلَ اتِّمَارِ الْ- قَوْمِ فَبِمَا يَخْتَصُّ بِالنَّامِيرِ
اتتمار : تشاور

ثُمَّ سَمَّوْهُ بِالْأَمِيرِ، وَهَذَا مِنْ ضُرُوبِ الْخِدَاعِ فِي التَّعْبِيرِ
أَلَمِيرًا وَالْأَمْرُونَ مِوَاهُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ سِوَى مَأْمُورِ
الأمرون هم الإنجليز الذين عينوا فيصلاً ملكاً على العراق

٦٧ العهد قيوداً

لَنَا مَلِكٌ وَلَيْسَ لَهُ رَعَايَا وَأَوْطَانٌ وَلَيْسَ لَهَا حُدُودٌ
وَأَجْنَادٌ وَلَيْسَ لَهُمْ سِلَاحٌ وَمَمْلَكَةٌ وَلَيْسَ بِهَا نَقُودٌ
وَكَمْ عِنْدَ الْحُكُومَةِ مِنْ رِجَالٍ تَرَاهُمْ سَادَةً وَهُمْ الْعَبِيدُ
كِلَابٌ لِلْأَجَانِبِ هُمْ، وَلَكِنْ عَلَى ابْنَاءِ جِلْدَتِهِمْ أَسْوَدٌ
وَلَيْسَ الْإِنْجِلِيزُ بِمُنْقَذِينَا وَإِنْ كُتِبَتْ لَنَا مِنْهُمْ عُهْدٌ
مَتَى شَفَقَ الْقَوِيُّ عَلَى ضَعِيفٍ وَكَيْفَ يُعَاهِدُ الْخِرْفَانُ سَيِّدُ

شفق: أشفق، سيد: ذئب

وَلَكِنْ نَحْنُ فِي يَدِهِمْ أَسَارَى وَمَا كَتَبُوهُ مِنْ عَهْدٍ قِيُودٌ

٦٨ الوعد الكاذب

فَعَلَ الْإِنْجِلِيزُ فَبِكُمْ فِعَالاً قَدْ رَضُّوْهَا لَكُمْ وَلَمْ تَرْضَوْهَا
تَتَشَكَّوْنَ فِي السِّيَاسَةِ مِنْهَا ثُمَّ أَنْتُمْ تَأْبَوْنَ أَنْ تَرْضَوْهَا
وَعَدُوْكُمْ مِنْ قَبْلِ مَمْلَكَةِ الْعُرُبِ بِ اجْتَلَوْهَا بِالْمَيْنِ وَافْتَرَضَوْهَا
اجتلوها: رأوها، بالمين: بالكذب. وكان الإنجليز وعدوا الشريف حسين في سنوات الحرب
العالمية الأولى مملكة للعرب يكون على رأسها، ونكثوا

قُبَّةٌ زُخْرِقَتْ لَكُمْ بِالْأَمَانِي هُمْ بَنَوْهَا لَكُمْ وَهُمْ قَوَّضَوْهَا

٦٩ المخارة

قَالَهَا فِي وَاقِعَةٍ (تسوشيما) الْبَحْرِيَّةِ بَيْنَ الرُّوسِ وَالْيَابَانِ (١٩٠٤):

سَعَرَوْهَا فِي الْبَحْرِ حَرْباً ضَرُوساً تَأْكُلُ الْمَالَ نَارُهَا وَالتَّنْفُوسَا
قُرْبَ تُوْشِيْمٍ قَدْ تَصَادَمَ أَسْطُو لَانِ أَرْدَى الْيَابَانُ فِيهِ الرُّوسَا
أردى: أَمَات

كُلُّ مَخَارَةٍ إِذَا حَرَّكَتْ ذُقَبَ سَاعَهَا خَضَخَضَتْ بِهِ الْقَامُوسَا
مخارة: سفينة تخرع عباب الماء، الذُقَاع: السيل العظيم، القاموس: البحر... المعنى المملوح أن
السفينة عندما تتحرك بمن عليها من الجند تضغط سطح البحر

أَلْبَسُوهَا مِنَ الْحَدِيدِ وَشَاحَا فَتَهَادَثَ عَلَى الْعُبَابِ عَرُوسَا

٧٠ لو أن سيفي في يدي

تعرضت برقة (في ليبيا اليوم) لغزو الإيطاليين عام (١٩١١)، وتصدى لها جنود الدولة العثمانية التي كانت تحكم بلاد العرب آنذاك، وكان مصطفى كمال أتاتورك على رأس القوة العثمانية التي أثبتت بلاء حسناً، ولكن إيطاليا بمئة وخمسين ألف جندي مقابل عشرة آلاف سيطرت على كل ليبيا في خريف (١٩١٢):

يَعِزُّ عَلَيْنَا أَهْلَ بُرْقَةٍ أَنْكُمُ تَدُورُ عَلَيْكُمُ بِالْدمَارِ رَحَى الحَرْبِ
وَأَنَا إِذَا مَا تَسْتَغِيثُونَ لَمْ نَجِدْ إِلَيْكُمُ عَلَى بُعْدِ الْمَسَافَةِ مِنْ دَرْبِ
وَقَدْ عَلِمَ الْأَعْدَاءُ أَنَّ سَيُوفَنَا تَمَلَّمُلُ فِي الْأَعْمَادِ شَوْقًا إِلَى الضَّرْبِ
وَمَا نَحْنُ إِلَّا اللَّيْثُ شُدَّتْ قِيُودُهُ وَأُلْقِيَ حَيًّا شِبْلُهُ فِي قَمِ الذَّنْبِ

٧١ عذر المدبرين

في الحرب العثمانية الإيطالية في ما سيعرف بـ «ليبيا» (١٩١١):

لَكُنْ أَدَبَرَ الطُّلُبَانُ عِنْدَ كِفَاحِنَا فَإِنَّ لَهُمْ فِي بَطْشِ شِجَعَانِنَا عُدْرًا
أدبر: فر، لشدته بطش جنودنا فالإيطاليون معذورون أنهم فروا من القتال

فإِنَّا لَقَوْمٌ إِنْ نَهَضْنَا لِحَادِثٍ مِنَ الدَّهْرِ أَفْزَعْنَا بِنَهَضَتِنَا الدَّهْرَا
وَنَأْكُلُ مَرَّ الْمَوْتِ حَتَّى كَأَنَّا نَلُوكُ بِهِ مَا بَيْنَ أَضْرَاسِنَا تَمْرَا
وَكَمْ قَدْ تَنَرَّنَا بِالسُّيُوفِ جَمَاجِمَا نَظَّمْنَا بِهَا فَوْقَ الثَّرَى لِلْعِدَى شِعْرَا
وَهَلْ حَسِبُوا قَتَلَ النِّسَاءِ شِجَاعَةً وَقَدْ تَرَكُوا عِنْدَ الرِّجَالِ لَهُمْ ثَارَا
يَعِزُّ عَلَى أَسْيَافِنَا الْيَوْمَ أَنَّهَا تُفَارِعُ قَوْمًا قَرَعَهُمْ بِالْعَصَا أُخْرَا

الواقع أن الدولة العثمانية سلمت ليبيا بعد كفاح طويل للمملكة الإيطالية في معاهدة لوزان الأولى في أكتوبر/تشرين الأول ١٩١٢

وَمِنْ مُبَكِّياتِ الدَّهْرِ أَوْ مُضْجِكَاتِهِ لَدَى النَّاسِ: حُرٌّ لَمْ يَكُنْ خَصْمُهُ حُرًّا
سَنَنَارُ حَتَّى تَسَامَ الحَرْبُ ثَارَنَا وَنَقْتُلُ عَنْ كُلِّ امْرِئٍ أَنْفُسًا عَشْرَا

وعلى ذكر العشرة فإن المحتلين الإيطاليين طبقوا في ليبيا أثناء ثورات الشعب عليهم ممارسة رومانية قديمة - حسب التافهون أنهم حقاً ورثة الإمبراطورية الرومانية - هي التعشير البشري، فكانوا يصفون رجال المقاومة صفوفاً ويعدونهم واحداً واحداً ويقتلون كل عاشر نادياً

٧٢ الشعر الواضح

ألا لا اهْتَدَتْ لِلشَّعْرِ يوماً هَوَاجِسِي إِذَا هِيَ لَمْ تَنْزِعْ إِلَى مُسْتَبِينِهِ
ليجعل الله هواجسي، وأفكاري، لا تهتدي إلى الشعر إن هي لم تنزع، وتبذل، نحو الشعر الواضح
المستبين

وَلَا غُضُّتْ فِي بَحْرِ الْقَرِيضِ مَخَاطِرًا إِذَا لَمْ أَقْزُ مِنْ دُرِّهِ بِشَمْسِيْنِهِ
إِذَا انْتَضَمَتْ أَبْيَانُهُ فِي قِصَائِدِي تَرَى كُلَّ بَيْتٍ مُنْسِكَأً بِقَرِينِهِ
وَمَا كَانَ دَوْحُ الشَّعْرِ يَوْمًا لِيُجْتَنِّي بِغَيْرِ الْبَيْدِ الطُّوَلَى ثِمَارُ غُصُونِهِ
دوح الشعر، شجرته، لا تقطف ثماره إلا بيد طويلة. . أي من جانب شاعر قدير

وَلِلشَّعْرِ عَيْنٌ لَوْ نَظَرْتَ بِنُورِهَا إِلَى الْغَيْبِ لاسْتَشْفَقْتَ مَا فِي بُطُونِهِ
فَكَمْ بَتْ فِي نَهْرِ الْمَجْرَةِ فِي الدُّجَى مِنْ الشَّعْرِ أَجْرِي مُنْشَاتٍ سَفِينِهِ
كنت أبات ليلاً في نهر المجرة، محلقاً بخيالي بين النجوم، وأنا أسير في هذا النهر منشآت سفن
الشعر، أي سفنه العالية الأشعة

هُوَ الشَّعْرُ لَا أَعْتَاضُ عَنْهُ بِغَيْرِهِ وَلَا عَنْ قَوَافِيهِ وَلَا عَنْ فُنُونِهِ

٧٣ الأرملة المرضعة

لَقِيْتُهَا لِبَتْنِي مَا كُنْتُ أَلْقَاهَا نَمَشِي وَقَدْ أَثْقَلَ الْإِمْلَاقُ مَمَشَاهَا
الإملاق: الفقر

أَثْوَابُهَا رَثَّةٌ وَالرَّجُلُ حَافِيَةٌ وَالدمْعُ تَذْرِفُهُ فِي الْحَدِّ عَيْنَاهَا
رغم تسويدي لهذا البيت الرقيق، فعمران القفيني يقول: (شكراً على هذه المعلومة، أول مرة نعرف
أن الدمع يذرف، لا بل من العينين، وفوق ذلك يسيل على الخد. . ما شاء الله)

بَكَتْ مِنَ الْفَقْرِ فَاحْمَرَّتْ مَدَامِعُهَا وَاصْفَرَّ كَالْوَرْسِ مِنْ جَوْعٍ مُحَيَّاها
الورس: الكرم، نبات أصفر يصبغون به الطعام. وفيه بعض مرارة. وصبغوا الأرز بالصففر،
وبالزعفران

مَاتَ الَّذِي كَانَ يَحْمِيهَا وَيُسَعِّدُهَا فَالدهْرُ مِنْ بَعْدِهِ بِالْفَقْرِ أَشْقَاهَا
الموتُ أَفْجَعُهَا، وَالْفَقْرُ أَوْجَعُهَا، وَالْهَمُّ أَنْحَلَهَا، وَالنَّمُّ أَضْنَاهَا
أنحلها: جعلها نحيلة

تَمْشِي بِأَطْمَارِهَا وَالْبَرْدُ يَلْسَمُهَا كَأَنَّهُ عَقْرَبٌ شَالَتْ زُبَانَهَا
الأطمار: الأسماك... الملابس المهترقة، شالت: رفعت، زباناها: الزباني أداة اللسع في ذيل
العقرب

حَتَّى عَدَا جَسْمَهَا بِالْبَرْدِ مُرْتَجِفًا كَالْقُصْنِ فِي الرِّيحِ، وَاصْطَلَّتْ ثَنَائِهَا
ثنائها: أسنانها

نَقُولُ: يَا رَبِّ لَا تَشْرُكْ بِلَا لَبِّنِ هَذِي الرُّضِيعَةُ وَارْحَمْنِي وَإِيَّاهَا
يَا رَبِّ مَا حِيلَنِي فِيهَا وَقَدْ ذَبَلْتُ كَزَهْرَةِ الرَّوْضِ فَقَدْ الْعَيْثُ أَظْمَاها
مَا بَالُهَا وَهِيَ طَوَّلَ اللَّيْلِ بَاكِئَةً وَالْأُمُّ سَاهِرَةً تَبْكِي لِمَبْكَاها
يَكَادُ يَنْقُذُ قَلْبِي حِينَ أَنْظَرُهَا تَبْكِي وَتَفْتَحُ لِي مِنْ جُوعِهَا فَاها
ينقذ: يقطع

كَانَتْ مَصِيبَتُهَا بِالْفَقْرِ وَاحِدَةً وَمَوْتُهَا بِالدِّهَانِ بِالْيُسْرِ ثَنَاءَا
هَذِي حِكَايَةُ حَالِ جِئْتُ أَذْكُرُهَا وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَى الْأَحْرَارِ مَغْزَاها
أَوَّلَى الْأَنَامِ بِعَظْفِ النَّاسِ أَرْمَلَةً وَأَشْرَفُ النَّاسِ مَنْ فِي الْمَالِ وَاسَاها

٧٤ أرذل العمر

وَاهَا عَلَى شَرْخِ الشَّبَابِ الْمُشْتَهَى خَلَّفَتْ ذِكْرَاهُ بِقَلْبِي وَمَضَى
أَطْيَبُ عَيْشِ الْمَرْءِ فِي شَبَابِهِ، فَإِنْ تَوَلَّى فَهُوَ عَيْشٌ مُرْدَرَى
وَهَلْ يَطْيَبُ الْعَيْشُ لِلْهَمِّ الَّذِي إِنْ هَمَّ بِالنَّهْضَةِ خَانَتْهُ الْقَوَى
الهم: الشيخ، السن

وإِنْ ظَهَرَ الْأَرْضِ يَسْتَنْقِلُ مَنْ قَامَ بَدِبٌ فَوْقَهَا عَلَى الْعَصَا

٧٥ يقيني يقيني

أَيَا بَغْدَادَ لَا جَارَ لَكَ سُحْبٌ وَلَا حَلَّتْ بِسَاحَتِكَ الْجُدُوبُ
يدعو الله ألا تتجاوز الغيوم بغداد بل تجودها بالمطر، وألا يحل بها الجذب، القحط
تَطَاوَلَ سَاكِنُوكَ عَلَيَّ ظُلْمًا فَضَاقَ عَلَيَّ مَغْنَاكَ الرَّحِيبُ
مغناك: ربك، والمغاني هي الربوع

رَمَانِي الْقَوْمُ بِالْإِلْحَادِ جَهْلًا وَقَالُوا عِنْدَهُ شَكٌّ مُرِيبٌ

فَمَنْ ذَا مِنْكُمْ قَدْ شَقَّ قَلْبِي وهل كُثِفَتْ لَكُمْ فِي الْعُيُوبِ
فَعِنْدَ اللَّهِ لِي مَعَكُمْ وَقُوفٌ إذا بَلَغْتَ حَنَاجِرَهَا الْقُلُوبِ
تبلغ القلوب الحناجر في يوم القيامة

يَقِينِي شَرٌّ فَرِيحَتُكُمْ يَقِينِي بِأَنَّ اللَّهَ مُطَّلِعٌ رَقِيبٌ
يحفظني من شر افترائكم عليّ يقيني، إيماني، بأن الله يعلم كل شيء

٧٦ ذكرى المتنبي

ألقاها في الجامعة الأميركية بيروت (١٩٣٥):

لو حَارَ مُوسَى مَضَاءَ عَزَمَتِهِ ما تَأَه في التَّيِّهِ عِنْدَمَا دَخَلَهُ
لو امتلك موسى عزيمة المتنبي لما تاه في التيه، أي صحراء سيناء. وكان المتنبي قطع هذه
الصحراء فاراً من كافور، وافخر بذلك

كَمْ شَاعِرٍ قَدْ قَفَا لَهُ أَثَرٌ وَنَاقِدٍ رَاحَ يَبْتَغِي زَلَّةَ
اقضى الشعراء أثر المتنبي وقلدوه، وانتقده المتقدون طالين له زلاً، غلطاً

فَأَخْفَقُوا عَاجِزِينَ عَنِ دَرْكِ لِبَعْضٍ مَا كُتِبَ تَيَسَّرَ لَهُ
عجزوا عن إدراك بعض المجد الذي حازه كله المتنبي

٧٧ أنشودة للمعري

في ذكرى أبي العلاء المعري (١٩٣٨):

حَيَّهْلُ يَا أَخَا مُضَرَ نَذِكُرْ خَيْرَ مُسَدَّكَرْ
يا أخا مضر، أيها العربي، هيا نذكر خير من هو جدير بالذكر

نَذِكُرْ شَاعِرَ الْبَشَرِ خَيْرَ مَنْ قَالَ وَافْتَكَّرْ

* * *

نَفْسُهُ وَهِيَ ثَائِرَةٌ تَرَكَّتْ غَيْرَ خَاسِرَةٍ
كل دنيا وأخرة ونفت كل ما استمقر

نفس أبي العلاء تركت الدنيا والآخرة، ونفى عقله كل المعتقدات التي استقر عليها
الناس، (فأبو العلاء، وارجع إلى شرحنا لحياته ولشعره في كتابنا «تألق الشعر» ترك
الدنيا لأهلها، ولم يعلق كبير أمل على الآخرة. ولم نقل في مقدمتنا لشعر الرصافي قبل
صفيحات إنه كان كذلك، فما نحن نقول: كان كذلك في عدم تعليقه أملاً على الآخرة،

فأما عن ملذات الدنيا فصاحبنا نهل وعُلَّ منها). استقرَّ: هي استقرَّ بشديد الراء، وفي موضع كهذا، عند القافية، كان أبو العلاء يكره وضع الشدة، ونحن في العادة نضعها كي يدرك القارئ الكلمة بالنظر سريعاً، ولكننا هنا - إكراماً لأبي العلاء - رفعناها

* * *

جَعَلَ الْحَقَّ دَوْقَهُ بَازِلًا فِيهِ طَوْقَهُ

طوقه: طاقه

شَاعِرٌ لَيْسَ فَوْقَهُ شَاعِرٌ مِنْ بَنِي الْبَشَرِ

* * *

لَيْسَ لِلْمَوْتِ عِنْدَهُ مِنْ تَقَارِيَعٍ بَعْدَهُ

تقاريع: عقاب وتأنيب

إِنْ عَرَا الْمَوْتَ الْحَيَّ رَدَّهُ فَاقْدِ الْحَسَّ كَالْحَجَرِ

إن عرا الموت الحي، أي جاء الموت للإنسان، رده، أي جعله، فاقد الحس فكانه حجر

* * *

نَحْنُ أَسْرَى ذَوَاتِنَا خَشْيَةً مِنْ مَمَاتِنَا

نحن أسرى لذواتنا التي تعلق آمالاً على الخلود وذلك لشدة خشيتنا من الموت

كَمْ وَكَمْ فِي حَيَاتِنَا مُبْتَدَأَ مَالٍ خَبَرِ

فنحن نقول كل شيء له أول وله آخر، لذا لا بد من وجود حياة أخرى، ولكن، يقول الرصافي، كثيرة هي الأمور التي لها أول وليس لها آخر

٧٨ الأرض مسجداً

الْأَرْضُ مَسْجِدُنَا فَفِيهِ مَسَاجِدُ أَمْسَتْ تُعَدُّ الْيَوْمَ بِالْآلَافِ؟

كَانَ الصَّلَاةُ بِمَسْجِدٍ وَبِغَيْرِهِ فِي الْحُكْمِ وَاحِدَةً لَدَى الْأَسْلَافِ

هَلَّا جُمِعْنَ مَدَارِسُ فَيَاضَةٌ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ بِالزُّلَالِ الرَّصَافِي

هلا بنيت المدارس بدل المساجد

يَنْتَابُهَا أَبْنَاؤُكُمْ كَيْ يَأْخُذُوا مِنْ كُلِّ فَنٍّ بِالنَّصِيبِ الْوَافِي

٧٩ أمة وحدها

أَمْ كُلُّشَوْمٍ فِي فَنُونِ الْأَغَانِي أُمَّةٌ وَحْدَهَا بِهِذَا الزَّمَانِ
هِيَ فِي الشَّرْقِ وَحْدَهَا رَبَّةُ الْفَنِّ - فَمَا إِنْ لِفَنِّ رَبِّ ثَانِ

٨٠ الاحتشام العاري

زَهْرَةٌ قَدْ بَدَتْ مِنَ الْأَكْمَامِ فَتَجَلَّى مِنْهَا الْجَمَالُ السَّامِي
هذه الفتاة كزهرة بدت بين أكمامها، بتلاتها، فتجلى جمالها

إِنَّ تَجْرِيدَهَا مِنَ الثَّوبِ بِحِكْمِي أَنْفُساً جُرِّدَتْ مِنَ الْآثَامِ
إِنَّ قُدْسَ الْأَقْدَاسِ يَغْضَبُ مِنْ أَنْ تَنْوَارِي وَسَامَةَ الْأَجْسَامِ
خَلَعْتَ ثَوْبَهَا وَأَغْضَيْتَ حَيَاءَ فَأَرْزَنَّا خِلَافَةً فِي احْتِشَامِ
لِسُقُوطِ الرَّدَاءِ عَنْ مَنَكِبَيْهَا نَهَضَ الْفَنُّ قَائِماً بِاحْتِرَامِ
يبدو أنه يصف لوحة لعارية

٨١ المتربص

وَمَا عَرَّنِي ذُو ظَاهِرٍ مُتَوَدِّدٍ إِذَا كَانَ فِيهِ بَاطِنٌ مُتَلَصِّصٌ
وَيَا رَبِّ وَجْهِ لَمْ يَرُقْنِي بَيَاضُهُ فَلَمَّا دَنَا مِنِّي إِذَا هُوَ أَبْرَصٌ
رب وجه أراه من بعيد أبيض ولكنني لفراستي أحس أنه لا يعجبني فلما دنا مني إذا الشخص
أبرص، فيياضه بياض علة لا بياض جمال

دَعُوا كَشَفَ مَكْنُونِ الصُّدُورِ لِفُطْنَتِي فَإِنِّي بِذَا مِنْ دُونِكُمْ مُتَخَصِّصٌ
ذِكَاؤُ لَوْ اجْتَرَزْتُ الْجِدَارَ بِشُورِهِ لَشَفَّ لِعَيْنِي الْجِدَارُ الْمُجَصِّصُ
المجصص: المطلي بالجصين

عَلَى أَنْ لِي فِي مَعْرِضِ الشُّكِّ رَيْصَةٌ وَرُبَّ يَقِينٍ نَالَهُ الْمُتَرَبِّصُ
إذا شككت في أمر فإن لي ربيعة، وقفة للتروي، والمتروي يحصل على اليقين

٨٢ تعصب في مصر

مِنْ جَوْرِ مِصْرَ عَلَى الْعُرُوبَةِ أَنَّهَا تَتَعَمَّدُ التَّمْصِيرَ فِي آدَابِهَا
فَتَرَى بِمِصْرَ تَعْصِباً لِأَدِيبِهَا مَتَحَكِّمَ النُّزَعَاتِ فِي أَعْصَابِهَا
النزعات: الوسواس

فاذْكُرْ أُولِي الْأَدَابِ مِنْ غَيْرِ الْأُلَى فِي مَصْرِ يَغْضَبُ مِنْكَ أَهْلُ جَنَابِهَا

جَنَابِهَا : منطقتها

فَالشَّاعِرُ الْمَصْرِيُّ فِيهَا فَاضِلٌ وَسِوَاهُ مَفْضُولٌ وَإِنْ يَكُ نَابِهَا

٨٣ المختصر

لِسَانُكَ يَسْحَرُ فِي ظَرْفِهِ وَجَفْنُكَ يَفْتِنُ فِي ضَمْفِهِ
وَقَدْ كُذِّبَ بِخَطَرُ فِي لُظْفِهِ فَيُظْنِبُ رِدْفُكَ فِي وَضْفِهِ
وَيُوجِزُهُ خَضْرُكَ الْمُخْتَصَرُ

يظنب : يكثر القول

٨٤ النجوم الهاربة

وَاللَّيْلُ قَدْ طَالَ عَلَى مَنْ شَتَا وَصَارَ لَيْلًا بَارِدًا مُظْلِمًا
لَعَلَّ هَذَا الرَّعْدَ مُذْ صَوْتَا هَرَبَ مِنْهُ تِلْكَ الْأَنْجُمَا

٨٥ أموت غراماً

إِسْمَعِي لِي قَبْلَ الرَّحِيلِ كَلَامَا وَدَعِينِي أَمُوتُ فِيكَ غَرَامَا
كَلَّمَا زَادَ عَاذِلِي فِيكَ عَذْلًا زِدْتُ فِي حُضْنِكَ الْبَدِيعَ هُبَامَا

٨٦ العصية على القياس

وَصَاحَ وَجَّهَ التُّدْمَاءُ كَأْسًا إِلَيْهِ فَقَالَ لَسْتُ لَهَا بِحَاسٍ
رَبُّ رَجُلٍ صَاحٍ غَيْرِ سَكَرَانَ، أَعْطَاهُ التُّدْمَاءُ كَأْسًا فَقَالَ لَسْتُ حَاسِيًا، شَارِبًا

وَعَالِي فِي الْإِبَاءِ فَمَارَسُوهُ فَلَانَ أَبِيَّهُ بَعْدَ الْوَرَاسِ
بَالِغٍ فِي الرِّفْضِ لَكُنْهُمْ مَارَسُوهُ، أَلْهَوْا عَلَيْهِ، فَلَانَ أَبِيهِ، مَا كَانَ رَافِضًا الْكَأْسَ فِي نَفْسِهِ

فَقَالَ، وَقَدْ مَشَتْ فِيهِ وَدَبَّتْ دَبِيبَ الْمَاءِ فِي وَرَقِ الْغِرَاسِ
مَشَتْ الْخَمْرُ فِي جَسْمِهِ كَمَا يَمْشِي الْمَاءُ فِي وَرَقِ الشَّجَرِ

لَعَنَمَرُكَ إِنَّ فِي الصُّهْبَاءِ مَعْنَى دَقِيقًا لَيْسَ يُعْرَفُ بِالْقِيَاسِ
فِي الْخَمْرِ شَيْءٌ لَا يَدْرِكُهُ الْمَرَّةُ بَأَن يُقَارَنَهُ بِمَفْعُولِ شَيْءٍ آخَرَ. . فِيهَا شَيْءٌ فَرِيدٌ

٨٧ المتكهرّب

قامتْ تَمِيسُ بِأَعطافٍ وَأوراكِ رَقصاً على نغماتِ المِقُولِ الحاكي
أعطاف: خصور، المقول: اللسان في الأصل، وكل ما يصدر كلاماً، الحاكي: اليك أب،
الفونوغراف

قالتْ وقد شاهدتْ وَجدي المُبْرَحَ ما أغراك؟ قلتُ لها: عيناكِ عيناكِ
فاستضحكتْ وَهِيَ تَجْنِي الورْدَ قائلَةً ما أحسنَ الورْدَ! قلتُ: الورْدُ خَدَاكِ؟
وقلتُ: أهوى، فقالتْ بالدلالِ: وَمَنْ تهوى؟ فقلتُ لها: إِيَّاكِ إِيَّاكِ
الحسنُ يَفْتِنُ والألحاظُ فاتِكَةُ واحْئِرتي بينَ فَنّاينِ وفَنّاكِ
أَمسى غرامُكِ يَجري في عُرُوقِ دَمِي كالكَهْرَباءِ التي تَجري بِأسلاكِ
تعلّقِ عمرانَ القنبي: (هذا ملطوش من البارودي لطشاً ذريعاً: وسرت بجسمي كهرباءة حسنة/ فمن
العروق بها سلوك تخبر)

٨٨ تحية الوفد المصري

رجالَ النيلِ حُبَيْثُكُمْ رِجالاً بِما لِلْعُرْبِ فيكُمْ من سِماتِ
بِكُمْ طَرِبَ الفِراثُ وقالَ جَهْراً لِوادي النيلِ إِنَّكَ مِنْ لِدائِي
لدائي: رفاقي المولدون في زمنٍ معي، أترابي

كِلانا جَارِيانِ على سُهولِ بِأبناءِ العُرُوبَةِ أهْلانِ
وَتَجَمَعُنا جَوايِعُ كُبرياتِ وَأَكْبَرُهُنَّ سَبْنَةُ اللُّغاتِ

٨٩ بمتهى الدقة

مَثَلْتُ في دَلالِها عُرْبائَةً فَأَرْتَنِي محاسناً فَتَنائَةً
حيثُ طارَحَتْها الفِرامُ بِبيتِ بِالمِرابِيا قد رَوَّقُوا جُنْرائَةً
ما أرى الليث إلا حجرة في مِغى. وقال الزيات إن الرصافي كان يسكن في بغداد في حي البغايا
هِيَ عَمَّازَةُ اللِّحَاظِ لَعوبُ ذاتُ دَلٍّ ظَريفَةٌ لَحائَةٌ
لحانة: تتكلم بدلال وتلوي الكلمات لئلا. لو كنت أشرح هذا لشخص سويدي لاضطرت لكثير من
الكلام، ولكنك فاهم ما أعني!

بِضَّةٌ، فَعَمَةٌ، لَمِيسٌ، رَدَاحٌ عَادَةٌ، أَخَوْرِيَّةٌ، بَهْنَانَةٌ
 بضه : طرية، فعمه : ممتلئة، لميس : لينة، رداح : سمية الأرداف، عادة : ناعمة، أخورية : بيضاء،
 بهنانة : مرحة

نَاهِدُ النَّوْذَلَيْنِ مَحْطُوطَةُ الْمَثِ حَيْنٍ، حَوْدٌ، رَجْرَاجَةٌ، وَرَكَانَةٌ
 النودلان : الثديان، محطوطة المنتين : مصقولة الظهر على جانبي العمود الفقري، حود : ناعمة،
 رجراجة : تمشي وتهزّز، وركانة : ممتلئة الوركين

خَذَلَةٌ سَاقُهَا، مُهْفَهْفَةُ الْخَصْرِ رِ، كَعَابٌ، بَرَّاقَةٌ، سَيْفَانَةٌ
 خذلة ساقها : ساقها ممتلئة، مهفهفه الخصر : ضامرة البطن، كعاب : بارزة الصدر، براقه : ذات
 دلال تشير للرجال، سيفانة : طويلة

ذَاكَ وَجْهِ كَأَنَّهُ بُدْرٌ نِمْ وَقَوَامٌ كَأَنَّهُ خَوْطٌ بَانَةٌ
 خوط بانه : غصن شجرة البان

لَوْ رَأَاهَا كِسْرَى الْمَلُوكِ لَحَلَّى مُلْكُهُ تَارَكَأَ لَهَا إِيوَانَةٌ
 وتدلّى فُرْطٌ بِسَالِفَتَيْهَا رُضِعَتْ فِيهِ مَاسَةٌ بِجَمَانَةٍ
 الجمان : شذرات فضة على شكل اللؤلؤ

وَقَفْتُ لِي عُرْيَانَةٌ فَتَقَدَّمْتُ حْتُ إِلَيْهَا بِذِلَّةٍ وَاسْتِكَانَةٍ
 قَتَمْتُ تَحْلُعًا، وَتَنَنْتُ، وَتَلَوْتُ كَأَنَّهَُا خَبِرُ رَأَانَةٍ
 ثم صَدْتُ فَأَدْبَرْتُ عَنْ دَلَالٍ ثُمَّ عَادَتْ فَأَقْبَلْتُ عَنْ مَجَانَةٍ
 المجانة : الفحش وترك الحياء

وَلَقَدْ رَاعَنِي، وَزَادَ فَوَادِي وَلَهَا مَا رَأَيْتُ تَحْتَ الْمَشَانَةِ
 رَكْبًا، كَغُغْبَاءٍ، عَضُوضًا، مَضُوضًا، نَاشِزًا، ذَا بَضَاضَةٍ وَرَزَانَةٍ
 يصف ما لا يصفه المتحرج من المرأة، وكل تلك أسماء لذلك العضو

مُشْرِفَ السَّطْحِ، رَابِثًا، ذَا انْتِصَابٍ، حَامِي الْجَوْفِ، ضَنْكُهُ، رِيَانَةٌ
 رابثاً : بارزاً، ضنك : ضيق، ريان : ممتلئ

قَدْ حَكَمَى كَوْمَةً مِنَ اللَّوْلُؤِ الرَّطِّ بِ وَإِنْ كَانَ فَائِقًا أُنْمَانَةً
 حكى : أشبه

نِعْمَةُ الْعَيْشِ أَتْرَفَتْهُ، وَأَخْلَتْ أَشْكِيئِهِ مِنَ الْأَذَى، وَعِجَانَةٌ
 الأسكتان : الشفران، خاليان من الأذى : أي من البرص، والعجان : ما بين السيلين

عِطْرُ الرِّيحِ، قَدْ تَشَمَّمْتُ مِنْهُ إِذْ تَشَمَّمْتُهُ شَذَا أَفْخَوَانَةٍ

الريح: الرائحة

وَشَرِبْتُ الرَّحِيقَ وَهُوَ يَجَاهِي جَائِمٌ فَأَتَّخَذْتُهُ فَنَجَانَةً
لَوْ رَأَى الْعَيْنُ يَوْماً لَأَمْسَى مُبْشِراً مِنْ رَحَاوَةٍ وَعَنَانَةٍ
سَلِسَتْ فِي انْقِيَادِهَا بَعْدَ أَنْ قَدْ أَظْهَرْتُ لِي تَمَنُّعاً وَحَصَانَةً
قَدَعْتَنِي إِلَى الْكَفَاحِ بِغَمَزٍ كَرَّرْتُهُ مِنْ عَيْنِهَا الْوَسْائِنَةَ
فَتَعَرَّيْتُ مِثْلَهَا ثُمَّ أَشْرَعْتُ إِلَى الطَّلْعِ صَغْدَةً مُرَّانَةً

الصعدة: الريح، المرأة: الريح

فَرَمْتُ كَفَّهَا عَلَى ذَلِكَ الدَّوِّ سَرٍ كَيْمَا تَشْوِصُهُ بِالْبَنَانَةِ

الدوسر: المسمار، يشوص: يدلك، البنانة: الأصابع

وَعَدْتُ فِي تَجَضُّمٍ وَامْتِلَاحٍ بِشِفَاوٍ وَزِدْيَةٍ، عَيْسَانَةٍ

التجضم: الأخذ بالقم، الامتلاج: اللصبي: مص ندي الأم

ثُمَّ أَضْجَعْتُهَا عَلَى الْأَرْضِ وَاعْرَوْ زَيْتٌ مِنْهَا مَطِيَّةٌ خَيْفَانَةٍ

اعرورى فرسه: ركبها بلا سرج، خيفانة: الفرس الخفيفة

فَتَبَطَّنْتُهَا وَقَدْ أَخَذَ الشَّاءُ قَوْلٌ مِنْ ذَلِكَ الْمَحَلِّ مَكَانَهُ

الشاقول: من اسم عضو الذكر

وَاضِعاً قَائٍ فَوْقَ فِيهَا وَكُلٌّ قَدْ أَمَصَّ الضَّجِيعَ مِنْهُ لِسَانَهُ

فَالْتَصَفْنَا صَدْرًا بِصَدْرٍ، وَبَطْنًا فَوْقَ بَطْنٍ، وَعَانَةً فَوْقَ عَانَةٍ

فَعَدْتُ فِي ارْتِهَازِهَا تَلَكُّاً بِكَلَامٍ لَا تَسْتَتِمْ بَيَانَهُ

دهز: هرز

ثُمَّ قَالَتْ وَقَدْ دَوَتْ مُقْلَتَاهَا وَشَكَّتْ مِنْ فُؤَادِهَا خَفَقَانَةً

أَظْعَنُ الطَّاعِنِينَ لِلضَّادِ مَنْ بِالضُّدِّ إِذْ قَدْ أَنْطَقَ الْإِلَهُ لِسَانَهُ

الضاد: عضو الثآليل

٩٠ المهندس يتأمل

كُلُّ الْقُصُورِ عَبِيدٌ وَهُوَ سَيِّدُهَا إِذْ كَانَ أَكْرَمُهَا صُنْعاً وَبُنْيَاناً

هذا قصر شيراغان على البسفور

يَمْشِي الْمَهْنَدُسُ فِيهِ وَهُوَ يَنْظُرُهُ مَشْيَ الْمُقْبِدِ يَسْتَقْصِيهِ إِمَاعَانَا

ومهندس القصر، الأرمني باليان، يمشي ببطء كأنه مقيد ويتأمل بديع ما صنعت يده

يَضُمُّ كَفَّيْهِ لِلْإِبْطَيْنِ مُنْبَهراً مُقَلِّباً فِي الْأَعَالِي مِنْهُ أَجْفَانَا

لو كان عرشاً ليلقيس لَمَّا خَضَعَتْ لِلْأَمْرِ حَيْنَ أَتَاهَا مِنْ سَلِيمَانَا

فلو رأيت وقد شَبَّ الحريقُ به وَالرَّيْحُ تَضْفِقُ لِلنَّيْرَانِ أَرْدَانَا

أردان: أكام، كأن الريح إذ تلعب بالنيران شخص يحرك أكامه الواسعة

رَأَيْتَ مُلْكاً كَبِيراً ثُمَّ مُحْتَرَقاً يُذِيبُ مِنْهُ لَهَيْبُ النَّارِ عَقْبَانَا

العقبان الذهب. وقد حدث الحريق بعد الدستور وخلع السلطان عبد الحميد. وهذا القصر أصبح

اليوم فندقاً، وأجرة الليلة الواحدة للجناح السلطاني فيه ٣٥ ألف دولار (من ويكيديا. حتى لا يحسب أحد أنني فعلتها)

٩١ الصادق الوحيد.. الخورنق

لَقَدْ خَامَرْتَنِي فِي الزَّمَانِ وَأَهْلِيهِ شَكُوكٌ عَلَيْهَا يُغَذِّرُ الْمُتَزَنِّدِقُ

الشكوك التي خامرتني، انتابتي، في الزمن والناس كبيرة إلى درجة أن الزنديق بالمقارنة بها يصبح معذوراً، فشكوكه أقل من شكوكي

أَرَى الدَّهْرَ فِي أَمْرَيْنِ يَعْمَلُ دَائِباً صَنَاعَ الْيَدَيْنِ فِيهِمَا يَتَأَنَّقُ..

الزمن يعمل عملين وهو فيهما صناع اليدين، ماهر، ومتأنق..

يَجِدُّ لِلْمَوْتِ مَنَاقِبَ لَمْ تَكُنْ لِدَيْهِمْ، وَلِلْأَحْيَاءِ يُبْلِي وَيُخْلِقُ

مرور الزمن يكسب الموتى مناقب، محامد، لم تكن أصلاً موجودة فيهم، ويبلي ويخلق، يتلف، الأحياء لأنهم يكبرون ويمرضون

فَكَمْ مِنْ قُبُورٍ عَظَّمَ النَّاسُ أَهْلَهَا بِمَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَ النُّهَى يَنْحَقُّ

قبور كثيرة يبجل الناس أصحابها، ولكن لأمر غير حقيقية في النهى، العقول

وَرُبَّ امْرِئٍ قَدْ عَاشَ يَسْتَقْطِرُ الثَّنَا فَلَمَّا قَضَى سَالَ الثَّنَا يَتَدَقَّقُ

رب شخص عاش يستجلب الثناء من الناس قطرة بعد قطرة، فعندما مات تدفق عليه الثناء والمدح

سَقَى الدَّهْرُ لِلْأَمْوَاتِ غَرْسَ مَنَاقِبٍ بِمَيْنِ فَظُلَّ الْغَرْسُ يَنْمُو فَيَبْسُقُ

الزمن يسقي للأموات أشجاراً من الحسنات بعين، بكذب، وتظل هذه الأشجار تنمو وتبسق، تعلق

إِذَا سَطَّ جَيْلٌ خَطَّ مَنْ جَاءَ بَعْدَهُ أَكَاذِيبَ عَنْهُ بِالثَّنَاءِ تُزَوِّقُ

شط: بُد

فَمَا كُتِبَ التَّارِيخُ فِي كُلِّ مَا رَوَتْ لِقُرَائِهَا إِلَّا حَدِيثٌ مُتْلَقٌ
نَظَرْنَا لِأَمْرِ الْحَاضِرِينَ قَرَابَنَا فَكَيْفَ بِأَمْرِ الْغَائِبِينَ نُصَدِّقُ
نظرنا في سيرة الموجودين قرابنا ما رأينا، شككتنا فيه، فكيف سنصدق ما يروى عن الغائبين،
الذاهبين

وَهَلْ قَدْ خُصِمْنَا دُونَ مَنْ مَاتَ قَبْلَنَا بِحُبِّهِ السَّجَايَا؟ شَدَّ مَا نَتَحَقَّقُ!
فهل السجايا الخبيثة، الصفات السيئة، لنا نحن، ولم يكن للميتين مثلها؟ ما أشد حقنا!
خَلِيلِي هَلْ مَنْ بِالرُّصَافَةِ عَالِمٌ بِأَنِّي إِلَى مَنْ بِالرُّصَافَةِ شَيْئٌ
يا صاحبي هل يعلم أحد في الرصافة، الشاطئ الشرقي لدجلة في بغداد، أنني مشتاق إلى من
بالرصافة

إِذَا مَا تَذَكَّرْتُ الْعَجُوزَ بِكَيْفِهَا بِدَمْعٍ بِهِ الْأَهْدَابُ تَطْفُو وَتَغْرَقُ
أتذكر أُمِّي فأبكي بدموع تطفو فوقها أهداب، رموش، العين، ثم لكثرة الدموع تغرق هذه الأهداب
فيها

لَحَى اللَّهُ قَوْمًا لَا يَعِيشُ بِأَرْضِهِمْ سِوَى مَنْ يُدَاجِيهِمْ، وَمَنْ يَتَمَلَّقُ
لحى الله، لعن، قوماً لا يعيش بينهم مرتاحاً إلا من يناقهم ويتملق لهم

وَلَمْ يَحْظَ إِلَّا اثْنَانِ مِنْهُمْ بِحُظْوَةٍ مِنَ الْمَالِ مُثَرٍّ، أَوْ مِنَ الْعَرَضِ مُمَلِّقُ
الذي يحظى بالقبول عند الناس واحد من اثنين: ثري، أو فقير في العرض والشرف

قَتَلْتُ الْوَرَى خُبْرًا فَلَيْسَ بِخَادِعِي حَدِيثٌ مُطَرَّى أَوْ كَلَامٌ مُتَمَّقُ
هَذَاذِيكَ! لَا تَحْفَلُ مَقَالَ مُؤَرِّخٍ وَلَا يَسْتَفِزُّنَا كَلَامُ الْمُشَقِّقِ
هذاذيك: قف! قف! واسمعي، لا تحفل بكلام المؤرخين، ولا تشعر بحماسة واستفزاز من
الكلام المشقق: المنق

كِذَابٌ عَلَى وَجْهِ الطُّرُوسِ مُسَطَّرٌ يَخْصُ بِهِ الْعَقْلُ السَّلِيمُ وَيَشْرَقُ
هذا كله كذاب، كذب، مسطر على الطرُوس، الأوراق، ولا يقبله العقل السليم بل يخص به
ويشرق، أي يلفظه ويرفضه

فَدَعْ عَنْكَ لَغْوَ النَّاطِقِينَ وَخُذْ بِمَا رَوَاهُ مِنَ الْأَثَارِ مَا لَيْسَ بِنَطِيقُ
فَإِنْ ذَكَرُوا النُّعْمَانَ يَوْمًا فَلَا تَثِقُ بِأَكْثَرِ مِمَّا قَالَ عَنْهُ الْخَوَزَنْقُ
لا تصدق الروايات التي يوردونها عن الملك النعمان، إلا ما بقي من أثر ملموس من قصره
المعروف «الخوزنق»

فَأَصْدَقُ مِنْهُمْ فِي الْمَسَامِيحِ لَهْجَةً ضَفَادِعُ فِي الْمُسْتَنْفَعَاتِ تُنْفِقُ
مَلَكَتُ مِنَ الدُّنْيَا حَقِيقَةً أَهْلِهَا وَإِنِّي عَلَى الدُّنْيَا بِهَا أَتَصَدَّقُ

٩٢ السكران بمجد زائل

أَلَا فَادْكُرُوا يَا قَوْمُ أَزْبَعَ مَجْدِكُمْ فَقَدْ دَرَسَتْ إِلَّا بَقِيَّةُ أَطْلَالِ
أربع: ربوع، درست: بليت

وَمَا أَنْتُمْ إِلَّا كَسَكْرَانَ طَافِحٍ تَحَسَّى مِنَ الصُّهْبَاءِ عَشْرَةَ أَرْطَالِ
كانوا يقيسون الشراب بالرطل ولعله كأس كبيرة

مَشَى بِأَرْتَعَاشٍ فِي الطَّرِيقِ فَتَارَةً يَقُومُ، وَأُخْرَى يَنْهَوِي فَوْقَ أَوْحَالِ
يَمُدُّ إِلَى الْجُدْرَانِ كَفَّ اسْتِنَادِهِ فَتَمْدِئُهُ الْجُدْرَانُ قَذْفَةً إِذْ لَالِ
وَيَفْتَحُ لِلطَّرَاقِ مُقَلَّةً جَانِبِي فَيَغْمِضُهَا خَزْيَانٌ عَنْ شَتْمِ عُذَالِ
هذا السكران يفتح عينه بحلق وغضب للطراق، المشاة في الطريق، ثم يغمضها بخزي وذلل إذ
يسمع شتم من يلومونه. القصيدة طويلة جداً ويروي فيها الرصافي سيرة الطبيب القديم أبي بكر
الرازي

٩٣ سقوط عبد الحميد

لَقَدْ جَمَعُوا الْجُمُوعَ فَمِنْ نَصَارَى وَمِنْ هُودٍ هُنَاكَ وَمُسْلِمِينَا
جمع قادة المعارضة في سلاطيك باليونان، وكانت تحت الحكم العثماني، جموع الجند لكي
يردعوا السلطان الذي تراجع عن الدستور

فَكَانُوا الْجَيْشَ أَلْفَ مِنْ جُنُودٍ مُجَنَّدَةً وَمِنْ مُتَطَوِّعِينَا
تَرَاهُمْ فِيهِ مُتَّحِدِينَ عَزْمًا وَمَا هُمْ فِيهِ مُتَّحِدِينَ دِينَا
وَلَمَّا جَدَّ جِدُّهُمْ اسْتَقَلُّوا عَلَى ظَهْرِ الْقِطَارِ مُسَافِرِينَا
فَلَمْ يَنْتَصِرْ الْأُسْبُوعُ إِلَّا وَهُمْ بِرُبَا فُرُوقٍ مُخَيَّمُونَا
لم يمس أسبوع حتى نصبوا خيامهم في ربا فروق، من أسماء إسطنبول

هَنَالِكَ قَمْتُ مُرْتَجِلًا إِلَيْهِمْ لِأُبْصِرَ مَا أَوْمَلُ أَنْ يَكُونَا
وَبَاخِرَةً عَلَتْ فِي الْبَحْرِ حَتَّى حَكَّتْ بِمُبَابِهِ الْحِصْنَ الْحَصِينَا
وفي الميناء رست باخرة ذات مداخن عالية كأنه الحصن المنيع في عباب البحر

يُؤَثِّرُ جَرِيئُهَا فِي الْبَحْرِ أَثَرًا تَكَادُ بِهِ تَظُنُّ الْمَاءَ طِينًا

ترك سير الباخرة أثراً في الماء يدوم بعض الوقت فكان الماء طين

رَكِبْتُ بِهَا عَلَى اسْمِ اللَّهِ بَحْرًا غَدَا بِسُكُونٍ لُجَّتِهِ رَهِينًا

أَتَيْنَا دَارَ قُسْطَنْطِينٍ صُبْحًا وَقَدْ فُتِحَتْ لَهُمْ فَتْحًا مُبِينًا

دار قسطنطين: القسطنطينية، إستانبول

وَقَلَّ الْجَيْشُ جَيْشُ اللَّهِ يَشْفِي بِحَدِّ سَبُوفِهِ الدَّاءَ الدَّفِينَا

وَحَطُّوا قَصْرَ يَلْدِزَ عَنْ سَمَاءٍ لَهُ فَاَنْحَطَّ أَسْفَلَ سَافِلِينَا

هَوَى عَبْدُ الْحَمِيدِ بِهِ هَوِيًّا إِلَى دَرَكِ الْمُلُوكِ الظَّالِمِينَا

أسقطوا السلطان عبد الحميد فهوى ليكون مع الظالمين

وَأُنْزِلَ عَنْ سَرِيرِ الْمُلِكِ خَلْعًا وَأُفْرِدَ لَا نَدِيمَ، وَلَا قَرِينَا

فَسِيقَ إِلَى سَلَانِيكَ احْتِبَاسًا لَهُ كَيْ يَسْتَرِيحَ بِهَا مَضُونَا

أخذته المعارضون من الجيش إلى سلانيك باليونان، وحبسوه في قصر هناك

وَمَوْتُ الْمَرْءِ خَيْرٌ مِنْ مُقَامٍ لَهُ بَيْنَ الَّذِينَ سَقَوْهُ هُونَا

لَقَدْ نَقَضَ الْيَمِينَ وَخَانَ فِيهَا فَذَاقَ جِزَاءَ مَنْ نَقَضَ الْيَمِينَا

فَقَرَّتْ أَعْيُنُ الدُّسْتُورِ أَمْنًا وَشَاهَتْ أَوْجُهُ الْمُتَمَرِّدِينَا

٩٤ المقيدون بأوجالهم

لِمَنِ الْقَصْرُ لَا يُجِيبُ سْؤَالِي أَهْلَاتُ رِبْوَعِهِ أَمْ خَوَالِي؟

لمن هذا القصر؟ وما له لا يجيب سؤالي؟ هل ربوعه مسكونة أهلة أم خالية مهجورة؟

مَا تَدَاعَى مِنْكَ الْبِنَاءُ، وَلَكِنْ قَدْ تَدَاعَى بِنَاءُ تِلْكَ الْمَعَالِي

ما تداعى، تهدم، بناؤك، ولكن ذلك المجد قد انهدم

كَنتَ مَأْوَى الْعُلَا مَثَارَ الدُّنَايَا مَهْطُ الْعِزِّ، مَصْدَرُ الْإِذْلَالِ

كان فيك العلاء، المجد، وكنت مآثر الدنيا، سبب الرذائل، وكنت مهبط، موضع، العز، ومصدر الإذلال للناس.. كنت كل هذا يا قصر يلدز

أَيِّنْ خَاقَانُكَ الَّذِي كَانَ يُدْعَى قَاسِمَ الرِّزْقِ، بَاعَثَ الْأَجَالَ

خاقان: أمير تركي.. وكان يقال عن عبد الحميد إنه يقسم الرزق للناس ويحدد آجالهم بقتلهم أو العفو عنهم

وَعَزَاءٌ .. فَلَسْتُ أَوْلَ قَصْرِ نَكَّسَ الدَّهْرُ مِنْ ذُرَاهُ الْعَوَالِي

ذراه العوالي : قمه الشامخة

قَدْ تَدَاعَى مِنْ قَبْلُ إِيوَانُ كَسْرَى بَعْدَ أَنْ طَالَ شَاهِقَاتِ الْجِبَالِ

إِنَّمَا نَحْنُ أُمَّةٌ تَذُرُّ الضَّبَّ سَمٌ وَتَأْبَى أَنْ تَسْتَكْمِينَ لِوَالِ

نحن، رعايا الدولة العثمانية، نذراً الضيم، ندفع الظلم ولا نستكين لولاة الأمر

يَا مُلُوكَ الْأَنَامِ مَلَأْ عَتَبَتُنُمْ بِمُلُوكِ تَجَوُّزِ فِي الْأَفْعَالِ !

لَيْسَ عَبْدُ الْحَمِيدِ فَرْدًا وَلَكِنْ كُمْ لِعَبْدِ الْحَمِيدِ مِنْ أَمْثَالِ

فَاتْرَكُوا النَّاسَ مُطْلَقِينَ وَإِلَّا عِشْتُمْ مُؤَثَّقِينَ بِالْأَوْجَالِ

أعطوا الناس حريتهم، وإلا فإنكم أنتم ستكونون مقيدين أيضاً لكن بالأوجال .. بمخاوفكم

٩٥ الخطيب الساكت

يَا سَاكِتًا وَهُوَ مَشْنُوقٌ عَلَى عَمْدٍ لَأَنْتَ أَبْلَغُ مَنْ نَادَى وَمَنْ خَطَبَا

رغم سكوتك فأنت خطيب بليغ أيها المشنوق على عمود خشبي

طَالِبْتَ بِالشَّرْعِ حَتَّى قُتِلْتَ بِهِ كَذَاكَ مَنْ جَهَلَ الشَّيْءَ الَّذِي طَلَبَا

يَا ظَالِمَ الشَّعْبِ مَظْلُومًا بِفِعْلَيْهِ عَلَيْكَ أَمْ مِنْكَ يَبْكِي الشَّعْبُ مُتَجَبَا

يَا مُفْسِدًا قَامَ تَحْتَ الدِّينِ مُسْتَتِرًا لِيَجْعَلَ الْأَمْرَ فِي الْبُلْدَانِ مُضْطَرَبَا

انْظُرْ إِلَى ذَلِكَ الْمَصْلُوبِ مُتَعَطِّيًا فَإِنَّمَا قُتِلَهُ فِي الشَّرْعِ قَدْ وَجَبَا

انظر أيها السامع إلى هذا المشنوق واتعظ به .. جعل المشنوق مصلوباً كي يأتي بشاهد قرآني في

البيت التالي ..

وَأَيُّهُ اللَّوْ فِي التَّنْزِيلِ قَائِلَةٌ مَنْ كَانَ يُفْسِدُ فِي أَوْطَانِهِ ضَلَبَا

الآية : «إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو

تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض»

٩٦ رجال الدين

لَا دَرَّ دَرُّ رِجَالِ الدِّينِ إِنَّهُمْ قَدْ أَظْهَرُوا فِيهِ مِنْهُمْ غَيْرَ مَا كَتَمُوا

لا در درهم: عكس لله درهم

وَاسْتَعْمَلُوهُ كَمَا تَهْوَى مَارِبُهُمْ كَأَنَّهُ لَيْسَ إِلَّا آلَةٌ لَهُمْ

وإن تصادمت بالمعادن تنكرها فانت في زعيمهم بالدين تضطد
وإن أثبت ببرهان فاعجزهم لم يخسروا الرد، بل من عجزهم شتموا
وإن تقل لهم قولاً يثقنهم شدوا عليك وردوا قبلما فهموا
خلائق كظلام الليل من برها يقل بامثال هذي تمسخ الأمم

٩٧ سأرحل عنهم

بخطاب الشاعر محمد مهدي الجواهري:

أقول لرب الشعر مهدي الجواهري إلى كم تناغي بالقوافي السواجر!
تناغي: تترنم

ركبت بحور الشعر قبلك خائضاً لعمرك منها كل طام وزاخر
وسيرت من غر القوافي بلجها قصائد سارت كالسفين المواخر
سيرت في لج بحور الشعر، في عمقا، قصائد كأنها السفن التي تمخر، تشق الماء

فلم ألف إلا منكبرين مكانتي يحيدون عني كالوحوش النوافر
فقابلتهم بالصفيح عنهم ترفعاً وأعرضت عن شتم السفين المهاتر
أنا اليوم من هذي الحياة على شفاً أشارت منه مرقدي في المقابر
أنا على شفا، على طرف، الحياة أشرف على مرقدي الأخير

سأرحل عنهم عائداً من شروهم برّب كريم، قابل التوب، غافر
عائد: ملتجئ

٩٨ وداع بمرارة شديدة

قال الرصافي في أواخر أيامه (١٩٤٣):

يا موطناً لست منه في موادعة عش بعد موتي عيش الوداع الهاني
يا وطني الذي لا موادة منه لي، لم يكن وديعاً معي، عش وادعاً هانئاً
فكل من فيك تعينني سعادتهم وكل أبنائك الأعداء إخواني
أعدائي من أبناء الوطن هم في الواقع إخواني

إن سرّك الدهر يوماً سرّني، وإذا أذاك بالمزعجات الدهر آذاني

ما ضَرَّنِي أَنْ كُلَّ النَّاسِ تَحْقِرُنِي إِنْ كُنْتَ أَنْتَ جَلِيلَ الْقَدْرِ وَالشَّانِ
وليس يَنْفَعُنِي عِزٌّ وَلَا شَرَفٌ إِنْ لَمْ تَكُنْ أَنْتَ ذَا عِزٍّ وَسُلْطَانِ
يَا قَوْمُ إِنِّي مِنَ الدُّنْيَا ضَحِيَّتُكُمْ فَقَرَّبُوا مِنِّي حَيَاتِي كُلَّ قُرْبَانِ
أنا ضحية من ضحاياكم فلا تكن قرباناً تنالون به الرضا

لَا تَحْسَبُونِي مِنْكُمْ جَازِعاً ضَجِيراً وَإِنْ يَكُنْ شَقَطِي فِي الْعَيْشِ أَضْوَائِي
أضوائي: أنحلني وأهزلني

إِنِّي أَلْفْتُ عَلَى الْأَيَّامِ مَخْمَصَتِي فَالْتَّمْتُ وَالْبُؤْسَ عِنْدِي الْيَوْمَ سَيَّانِ
مخمصتي: جوعي

تَخْتَارُ نَفْسِي الطَّوَى بِالْعِزِّ قَانِعَةً وَتَتْرُكُ الْقَصْفَ فِي ذُلِّ لِمِبْطَانِ
الطوى: الجوع، القصف: اللهو، المبطان: كبير البطن

يَا لَاهِجِينَ يَشْتَمِي فِي مَجَالِسِهِمْ نَامُوا عَلَى الْأَمَنِ فِي أَخْضَانِ غُفْرَانِي
جَادَلْتُمُونِي فَمَا أَحْسَنْتُمْ جَدَلِي حَتَّى بَذَيْتُمْ بِذَاءِ الْمَاجِنِ الْخَانِي
بذيتم: قلمت البذاءات، الخاني: المفضح

وَمِنْ عَنَاءِ اللَّبَالِي أَنْ يُجَادِلَنِي مَنْ لَيْسَ يَقْرَعُ بِالْبُرْهَانِ بُرْهَانِي
كَمْ تُظْهِرُونَ عِفَافاً فِي تَدْيِينِكُمْ وَتُضْمِرُونَ ضَمِيرَ الْفَاجِرِ الزَّانِي

٩٩ ليل متحجر

وَلَيْلٍ بِهِ قَدْ بَتَّ أَخْتَلِسُ الْكُرَى وَأَرْقُبُ فِيهِ النُّجْمَ أَنْ يَتَغَوَّرَا
يتغور: يغيب

تَمَطَّى عَلَى الْأَكَامِ مِنْهُ بِغَيْهَبٍ تَكَاثَفَتْ حَتَّى خِلْتُهُ قَدْ تَحَجَّرَا
تمطى الليل، تمدد، على الأكام، التلال، بغيه، بسواد، كان كثيفاً حتى خلت هذا السواد قد
تحجر

وَكَادَ دُجَاهُ يُمَكِّنُ الْكَفَّ لَمَسَهُ فَلَوْ سَارَ سَارٍ فِي دُجَاهُ تَعَثَّرَا
ولكثافة الظلمة كانت كأن بإمكان المرء لمسها بكفه، ولو سار فيها لتعثر بها... أليست قد
تحجرت؟

١٠٠ استسلام الفصحى

الشعرُ ما قلت يا عبودُ فأنحُ به مدحُ الصناديدِ لا هَجَوُ الرعَادي
يخاطبُ الملا عبود الكرخي الشاعر الشعبي: انح بالشعر، توجه به، إلى مدح الصناديد،
الشجعان، لا هجاء الرعادي، الجبناء

دَعْ هذه اللُّغَةَ الفُصْحى فنحن بها ظَلَنَّا نُخاطِبُ جَيْلاً غَيْرَ مَوْجُودِ
فالنَّاسُ غَيَّرَتِ الأَيَّامُ لَهْجَتَهُمْ بِكُلِّ لَحْنٍ عَلَى الأَنْوَاءِ مَعْقُودِ
فانظِّمْ لَنَا زَجْلاً فِي الشعرِ يفهمه مَنْ فِي الرَّسَائِقِ مِنْ تِلْكَ العَبَادِ
انظم زجلاً يفهمه أهل الرساتيق، القرى، من العباديد، جماعات الناس

١٠١ الالتفات

لَقِيتُهَا فِي الطَّرِيقِ عَابِرَةً بِهَضِرٍ مِنْ قَدْهَا تَبَخَّرُهَا
يهضر: يُمِل. كانت المرأة مقبلة عليه وهو ماش والتقيا وجهاً لوجه.. ومضى كل في طريقه..

أعجَبَهَا مَنْظَرِي وَأعجَبَنِي بِالْحَسَنِ عِنْدَ اللِّقَاءِ مَنْظَرُهَا
فَصَارَ قَلْبِي بِالحُبِّ بِأَمْرُنِي وَقَلْبُهَا بِالفِرَامِ بِأَمْرُهَا
وَحِينَ مَرَّتْ وَالشُّوقُ يُسَكِّرُنِي بِخَمْرِهِ نَارَةً وَيُسَكِّرُهَا
لَفْتُ جِيدِي أَرَى أَنَّنْظُرُنِي وَالتَّفَتُّ لِي تَرَى أَنَّنْظُرُهَا
بعد أن اجتازتني التفت لأرى هل سلتفت هي إلي، والتفتت هي للفرض نفسه

فَقُلْتُ وَالشُّوقُ فِي مِلَّتِهِبَّ إِنَّ عَذْرَتُنِي فَسُوفَ أَهْزِرُهَا
إن عذرتني على عدم التعرض لها فسوف أعذرها على ما فعلت بقلبي.. والمرأة - لمن يقرأ هذا
ولا يعرف النساء - تغفر لك أن تتغنى بجمالها، ولا تغفر لك أن تتجاهله. هذه قطعة عذبة عذوبة
أخاذة.. هذا موقف سجله قلم شاعر فصيح

١٠٢ بكل بساطة

أَرَى الحَيَاةَ بَسِيطاً أَمْرُ صَاحِبِهَا فَكَيْفَ يَشْكُونُ مِنْهَا كَثْرَةَ الْحَاجِ
إِنَّ الحَيَاةَ لَعَمْرُ اللّهِ قَائِمَةٌ بِحُكْمِ شَيْئَيْنِ إِدْخَالٍ وَإِخْرَاجِ
الحياة هي أكل وتخلص من الفضلات ليس غير، ولا حاجة حقيقية للإنسان سوى هذا

١٠٣ شيخ وفية

أنا شيخ وذِي عَصَايَ قَتِيْبَةٌ قد أَتَشَنِي مِنْ مَظْهَرٍ لِي هَدِيَّةٌ

جاءته عصا مفضضة من مظهر الشاوي الذي كان يحسن إليه في أخريات حياته

صَاغَةُ الصَّابِئِيْنَ قد أَلْبَسُوها حِلِيَّةَ ذَاتِ صَنْعَةٍ عَبَقْرِيَّةٍ
الصابئة في العراق اشتهروا بالصياغة . الصنعة العبقرية: المتقنة جداً، كأن من صاغها من الجن
الذين يسكنون وادي عبقر

فَسَأَمْنِي بِهَا قَوِيًّا سَوِيًّا بعدما كُنْتُ مَاشِياً كَالْحَنِيَّةِ

الحنية: القوس

١٠٤ معلومات وهمية

لَقَنْتُ فِي عَصْرِ الشَّبَابِ حَقَائِقًا فِي الدِّينِ تَقْصُرُ دَوْنَهَا الْأَفْهَامُ

تلقت شاباً معلومات دينية كثيرة ومعقدة لا تكاد تنوعها أفهام، عقول، الناس

ثُمَّ انْقَضَى عَصْرُ الشَّبَابِ وَطَبِئْتُ فَإِذَا الْحَقَائِقُ كُلُّهَا أَوْهَامُ

١٠٥ التجارة بالوطن

لَا يَخْدَعَنَّكَ هُنَاكَ الْقَوْمُ بِالْوَطَنِ فَالْقَوْمُ فِي السَّرِّ غَيْرُ الْقَوْمِ فِي الْعَلَنِ

أُخْبُوْلَةُ الدِّينِ رَكَّتْ مِنْ تَقَادُمِهَا فَاعْتَاضَ عَنْهَا الْوَرَى أُخْبُوْلَةَ الْوَطَنِ

أخبولة: مصيدة، ركت: أصبحت ركيكة ضعيفة

١٠٦ ملك بلا شعب!

قُلْ لِمَنْ صَيَّرَ الْمَلِيكَ عِمَادًا لِأُمُورٍ فِي الْمُلْكِ تَأْبَى الشَّرِيكَاءُ ..

قل لمن جعل الملك صاحب أمر لا يشاركه فيه أحد ولا يشاور أحداً ..

قَدْ رَأَيْنَا شَعْبًا بِغَيْرِ مَلِيكَ هَلْ رَأَيْتُمْ بِغَيْرِ شَعْبٍ مَلِيكَاً؟

١٠٧ كان آدمياً

إِنَّ نُورِي السَّعِيدِ قَدْ كَانَ قَبْلًا أَدَمِيًّا قَرْدُ بِالْمَسِيحِ قِرْدَا

قَدْ أَبَى أَنْ يَمِيشَ حَرَامَ الثَّرَى كِ وَأَمْسَى لِلتَّبُوسِيْنَ عَبْدَا

التميسين: الإنجليز، نسبة لنهر التمز الذي يقطع لندن

مَثَلُ إِبْلِيسَ مَا أَطَاعَ سُجُوداً وَأَطَاعَ الْهَوَاَ لَغْناً وَطَرْدَا

١٠٨ المعاهدة القيد

قَدْ أَبْلَغُونَا حَبَّةَ اسْتِعْبَادِنَا لَكِنْ مُمَوَّهَةً بِالِاسْتِقْلَالِ

جعلونا نبلغ حبة دواء هي الاستعباد لكنها مموهة بمعاهدة تعد بالاستقلال، وحة الدواء المرة تكون مغلفة بالسكر

مَنْ ذَا رَأَى ذَنْبَ الذَّنَابِ مُصَافِحاً يَتَوَدَّدُ حَمَلاً مِنَ الْأَحْمَالِ

لَكِنَّهُمْ خَافُوا أَنْفِكَافَ قُبُودِنَا فَاسْتَوْثَقُوا مِنْهُمْ بِالْأَقْفَالِ

١٠٩ الحثالة

قَدْ كَانَ لِي وَطَنٌ أَبْكِي لِتَنَكُّبِهِ وَالْيَوْمَ لَا وَطَنَ عِنْدِي وَلَا سَكَنَ

وَلَا أَرَى فِي بِلَادٍ كُنْتُ أَسْكُنُهَا إِلَّا حُفَالَةً نَاسٍ قَاءَهَا الزَّمَنُ

١١٠ جربوني

يَا مُبْعِدِي بِظُلْمٍ عَنْ مَنَاصِبِهِمْ وَقَاطِعِينَ إِلَى مَا أُبْتَغِي طُرُقِي

عَلِمْتُ كُلَّ خَفِيٍّ مِنْ ضَمَائِرِكُمْ وَمَا عَلِمْتُ الَّذِي تَرْضَوْنَ مِنْ خُلُقِي

لا أعرف ما الذي تريدونه من صفات تتوفر في لكي تولوني منصباً

مَاذَا يُوَافِقُكُمْ مِنْ شَأْنٍ صَاحِبِكُمْ حَتَّى يَكُونَ لَدَيْكُمْ حَازِرَ السَّبَقِ

إِنْ كَانَ عَقْلٌ فَلِئَنِّي عَاقِلٌ قَطِنٌ أَوْ كَانَ حُمُقٌ فَعِنْدِي أَحْمَقُ الْحُمْنِ

فَجَرِّبُونِي تَفَوَّزُوا عِنْدَ تَجَرِّبَتِي بِمَا تُرِيدُونَ مِنْ طَلِيشٍ وَمِنْ تَرْقِي

النزق: الخفة والطيش. لابن الرومي - قبل ألف سنة من الرصافي - قصيدة تشبه هذه شهماً كبيراً يشبه الشبه بين هذين الشاعرين البغداديين. انظروا في كتابنا «تألق الشعر» ضمن الفصل الضافي عن ابن الرومي

وَأَنْ أَبْيَنُكُمْ سِوَى مَنْ عَرَضَهُ دَنْسٌ فَلَسْتُ مَغْكُومٌ عَلَى شَيْءٍ بِمُتَّفَقٍ

لَا أَبْعَدُ اللَّهُ غَيْرِي عَنْ مَنَاصِبِكُمْ إِنِّي بِتَدْنِيسٍ عَرَضِيٍّ غَيْرِ مُرْتَزِقٍ

فليكن غيري قريباً من مناصبكم فأنا لا أرتزق بتدنيس شرفي

١١١ لا يبالون لأنهم موتى

قَالَ دُو الْحِزْبِ إِذْ أَتَاهُ مَقَالِي نَحْنُ لَسْنَا بِمَا يُقَالُ نُبَالِي
صَادِقٌ فِي الَّذِي ادَّعَاهُ، وَأَنْتَى يَأْلُمُ الْمَيِّتُ مِنْ جُروحِ النُّصَالِ
هو لا يلتفت لقولي... فأنتى، كيف، يتألم الميت من الجرح ينصل السيف؟

إِنَّمَا تَجَزَعُ الْكِرَامُ مِنَ الدَّمِّ- وَتَخْشَى الْأَمْجَادُ لَذْعَ الْمَقَالِ
الأمجاد: أهل المجد

١١٢ سنلتقي

قُلْ لِلَّذِي أَنْحَى عَلَيَّ بَظْلُمِهِ سَفْهًا وَجَارَ بِقَوْلِهِ وَبِفِعْلِهِ
الْمَوْتُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَسَنَلْتَقِي عِنْدَ الَّذِي تُثِقُ الْخُصُومُ بِعَذْلِهِ

١١٣ أثواب الرياء

سَوَدَ اللَّهُ مِنْكَ بِأَشْبَحَ وَجْهًا عَشْرٌ حَتَّى بِالْلَّحْبَةِ السُّودَاءِ
لِحْيَةٍ طَالَ ذَقْنُهَا فَهَوَ فِيهَا أَلِفٌ خُطَّ بَيْنَ عَيْنٍ وَرَاءِ
لحيته مقسومة نصفين وذقنه في الوسط مثل الألف... وحرف الألف هذا واقع بين العين والراء...
ففي وجهه كلمة «عار»

لَوْ نَتَقْنَا مِنْ شَعْرِهَا وَعَزَلْنَا لَنَسْجُنَا خَمْسِينَ ثَوْبَ رِيَاءٍ
وَصَفُوهُ بِالْمُسْتَقِيمِ فَقُلْنَا إِنَّهُ الْمُسْتَقِيمُ فِي الْأَمْعَاءِ
المستقيم في علم الأحياء: الجزء الأخير من الأمعاء

١١٤ استطراد

وَشَامِخِ الْأَنْفِ مَا يَنْفَكُ مُكْتَسِبًا ثَوْبَ التَّكْبُرِ فِي بُحْبُوحَةِ النَّادِي
قَدْ لَازَمَ الصَّمْتَ عِيًّا فِي مَجَالِسِهِ كَأَنَّمَا هُوَ مِنْ نُوَابٍ بَغْدَادِ
هذا في الشعر أسلوب الاستطراد الذي برع فيه أبو تمام والبحري. أن يتناول الشاعر موضوعاً ثم
يفتتل عنه ليجري مقارنة كقولك: «رئيس الدولة قلبه مفتوح لا يخفي شيئاً، فكان ملفات مخابراته
في أيدي العدو»، فانت قد مدحته توصلأ إلى الإساءة إليه

١١٥ أكل الثوم

ما أقبح الجهل يُبدي عيبَ صاحبه لِلنَّاظِرِينَ، وعن عَيْنَيْهِ يُخْفِيهِ
كَذَلِكَ الثُّومُ لَمْ يَحْمَمْهُ أَكْلُهُ وَالنَّاسُ تَشْتَمُ نَشْنَ الرِّيحِ مِنْ فِيهِ

فهرس القوافي (القافية فرقم القصيدة)

٢٠	المجيدا	١٩	أَسَاءُوا
١٠٧	قِرْدَا	٩	الرِّيَاءِ
٢٩	وَتَوَلَّدَا	١١٣	السُّودَاءِ
٢٨	الْمُعَنَّدُ	٥	الْعَمَاءِ
٦٧	حُدُودُ	٤٨	تَوَاءِ
١٣	وَارِدُ	٤٩	الْعَبَا
١٠٠	الرَّعَادِيدِ	٩٥	خَطْبَا
١١٤	النَّادِي	٦١	عَاصِبَا
٢٦	بِالدِّدِ	٧٥	الْجُدُوبُ
٦	بَغْدَادِ	٣	ضُرُوبُ
٤٣	يَقْبُودِ	٧٠	الْحَرْبِ
٥٣	هُجُودُهَا	٦٣	ذَهَبِ
٢١	الدَّهْرَا	١٥	مُقَلَّبِ
٣٧	دُورَا	٣٣	عَوَاقِبُهُ
٣٠	سَاهِرَا	٨٢	آدَابِهَا
٧١	عُذْرَا	٣٨	كُذِبُهُ
٥٥	مَرَّآ	٥٠	الْمَكْرُمَاتِ
٩٩	يَتَغَوَّرَا	٤١	سِيَّكَارَاتِي
٨	الْأَسْرِ	٨٨	بِيمَاتِ
٦٦	الْأَمِيرِ	١٠٢	الْحَاجِ

١٤	أَوْحَالًا	٩٧	السَّوَاجِرِ
٣٦	رُحَلَا	٤	القَبْرِ
٥٦	أَقْوَالُ	١٢	بِغَادِرِ
٢٢	الرَّسُولُ	٤٤	لِلْبَقْرِ
١٧	مَقْتُولُ	٧٧	مُدَّكَّرُ
٩٢	أَطْلَالِ	١٠١	تَبَخَّرُهَا
٤٥	الْأَعْمَالِ	٣١	إِطَارِهِ
١٠٨	بِالْإِسْتِقْلَالِ	١٨	بِأَمِيرِهِ
٩٤	خَوَالِ	٦٩	وَالنُّفُوسَا
١١١	نُبَالِي	٨٦	بِحَاسِ
٦٥	يَعْقِلِ	١٦	السِّيَاسَةِ
٧٦	دَخَلَهُ	٨١	مُتَخَصِّصُ
٥٩	دَلِيلِهِ	٧٤	وَمَضَى
١١٢	وَيَفْعَلُهُ	٥٧	بَغِيضُ
٥٤	احْتِرَامَا	٦٨	تَرْتَضُوهَا
٨٥	عَرَامَا	٤٠	اسْتَطَاعَا
٨٤	مُظْلَمَا	٣٤	تِيَاعَا
١٠٤	الْأَفْهَامُ	٢٧	مَرَنُوعُ
٤٦	الْقِيَامُ	٢	وُخْضُوعُهَا
١٠	رِسُومُ	٦٢	وَأَعْنَفُ
٩٦	كَتَمُوا	٧٨	بِالْآلَافِ
٥٨	مُحَرَّمُ	٨٣	ضَعْفِهِ
١	يَتَكَلَّمُ	٤٢	الرِّيْقَا
٢٣	التَّقْدِيمُ	٩١	الْمُتَرَنِّدُ
٨٠	السَّامِي	٦٤	الزَّنْدِيقِ
٧	بِنَائِمِ	٣٢	بِالْمَلَاعِقِ
٢٥	ضَيِّقُ	١١٠	طُرْقِي
٣٩	مَقْضَمُ	١٠٦	الشَّرِيكَا
٥١	مُسْلِمَةً	٨٧	الْحَاكِي

٨٩	فَتَانَةٌ	٩٠	وَبُنَيَانَا
٢٤	عُمْرَانِهَا	٩٣	وَمُسْلِمِينَا
٧٢	مُسْتَبِينِهِ	١٠٩	سَكَنُ
٧٣	مَمَّشَاهَا	١١	اِثْنَانِ
٤٧	الرَّهَآوِي	٦٠	الدَّوَائِي
٣٥	الرَّيَّانَا	٧٩	الزَّمَانِ
١٠٣	هَدِيَّةٌ	١٠٥	الْعَلَنِ
١١٥	يُخْفِيهِ	٩٨	الْهَانِي
		٥٢	دِينِ

محمد مهدي الجواهري

(١٩٠٢م - ١٩٩٧م)

عاش الجواهري عُمرين .

عاش خمساً وتسعين سنة ميلادية .

ومن يعيش عمرين يكمل الدائرة مرتين: رثى الجواهري زوجتين، وسقط سقطتين، وخلف لنا مذكراته في جزأين اعترف فيهما بالسقطتين، وسماهما الهاويتين. وخاض في الجزأين - وأتم ثانيهما في عام ١٩٩١ - مبارزات دونكشوتية مع ناس ماتوا.

ولما كنت أدخلت نفسي في دوامة ضمير المثني المزعج، فلاخاطب اثنين: القارئ والقارئة، في موضوع مختلف، ثم ستكون لي عودة إلى «شاعر العرب الأكبر» كما سماه الناس. طبعاً «الأكبر»! فمن فهر عزرائيل كل هذه السنين، فقد أمارت المنافسين، وأمارت الشعر العمودي، وبقي متربعا على خرائبه.

أيتها القارئة،

القارئ يكون رجلاً أو امرأة، فإن قلنا «شخصاً» كي نريح أنفسنا من توجيه الكلام دائماً إلى مذكر «الشخص» مذكر، ويصبح علينا عندئذ أن نقول «شخصة»! لم تحلّ المشكلة.

ليس عند الإنجليز هذه المشكلة، فهم يقولون قارئ، ريدر، وهي تنصرف إلى مذكر ومؤنث. قد ارتاحوا من هذه. فأما إن جاءوا للضمائر فيلحق بهم ما يلحق بنا.

انتفضت نساء الغرب في مطلع القرن العشرين انتفاضة كبيرة، ولنن في

معظم دول العالم حتى التصويت. ولأن لم يهدأن: يُرَدَّن تخليص البشرية من تراث عمره آلاف السنين جعلَ الذكر ذا حقوق أكثر من الأنثى. أولئك هن «النسويات»، وفي هذه الفئة رجال كثر هم «النسويون». وفي أواخر القرن العشرين ثارت النسويات والنسويون على الضمائر. فأصبح الكاتب في البلاد الناطقة بالإنجليزية يقول عبارة «هو أو هي» في كل مرة ورد فيها ضمير الغائب المفرد. بعضهم تفنن فصار يقول «هي أو هو»، مقدماً الهي على الهو. وبعضهم صار يقول «هو» مرة، و«هي» مرة. ولحقنا من هذا العنت شيء، ولكن ضمائرنا مفصلة تفصيلاً يعود علينا بإزعاج لا تعرفه الإنجليزية، فضمير الجمع عندنا «هم» و«هن» فيه تذكير وتأنيت، وعند أولئك القوم للجنسين ضمير واحد في الجمع.

أنا فيما أكتب أقول «هو» ولا أبالي، تاركاً للأجيال المقبلة أن تتخلص من عبء الإرث القديم.

وقد تحمس شعراء مصر والعراق للمرأة ولتحررها. وفي كتابنا الذي بين يديك ثلاثة شعراء من مصر وثلاثة من العراق، فأما شعراء مصر فقد وقفوا وقفة الهائب من دعوة نصير المرأة ورائد الفكر النسوي قاسم أمين (ت ١٩٠٨) المصري. وتلجلجوا في شأن المرأة ومكانتها، ولم يخرج من شعرهم ولا من حياتهم فكر نسوي واضح. وأما ثلاثة شعراء العراق فقد كان لهم شأن آخر.

وقبل أن نمضي في هذا الشأن نقف وقفة قصيرة بإزاء سلسلتنا هذه: «الزبدة»، التي استعرضنا فيها أشعار نحو أربعين شاعراً منذ الجاهلية حتى خبا الشعر العمودي في أواسط القرن العشرين. ونسجل على أنفسنا أننا لم نأخذ شاعرة واحدة. فلماذا؟ لم نسلك في هذا الأمر سبيل النسويين الذين يريدون حشر المرأة في كل مجال لمجرد إعطائها فرصة. التاريخ العربي ذكوري والشعر العربي ذكوري. وعندما ثارت في العراق نازك الملائكة على الشعر العمودي، وسارت في درب شعر التفعيلة، ونظرت له تنظيراً باسماً في كتاب هو أحد أهم كتب التعيد لصناعة الشعر منذ مئات السنين، وعندما تبعته شاعرة فلسطين فدوى طوقان، وانحرفت بسرعة عن العمودي إلى التفعيلي، كان الشعر العمودي يلوي. وهكذا فمع دخول شاعرتين كبيرتين إلى ساحة الشعر العربي كان هذا الشعر قد شق طريقاً جديداً، وإحداهما كانت من أوائل من شق الطريق، والثانية تحولت مسرعة وسارت فيه. وسلسلتنا تتناول الشعر العمودي فقط.

فلماذا لم آخذ الخنساء ضمن شعرائي؟

ديوانها صغير ومحوره ضيق. فأخذت لها قصيدة في موضوعها الوحيد:
الرثاء.

ونعود إلى شعراء العراق. كان هؤلاء من أشد أنصار المرأة في كل العالم العربي، كانوا على يسار قاسم أمين. وقد اقتطفنا من أشعارهم النسوية الكثير لأنهم قالوا ذلك الشعر بحماسة، وكانوا رواد فكر في العالم العربي كله. وهنا يتدخل توجهي الشخصي، فأنا نسوي مؤيد لنيل المرأة كل ما للرجل من الحقوق. ولكن بعد ذلك في أعماق نفسيتي ذلك الإرث الذكوري المتغلغل فينا الذي لا نملك له صداً. تربية النفس على شيء جديد أبطأ من الاقتناع به فكراً.

كان الجواهري شاعراً عمودياً. بدأ باكراً، وله أشعار كثيرة معاصرة لشوقي وحافظ والزهاوي والرصافي. وخاض عالم الشعر مع هؤلاء الذين أنهضوا الشعر العمودي نهضته الأخيرة. لكنه عاش طويلاً، فحضر في اليوتوب، ورآه شباب زمننا هذا. فنال بطول العمر تقديساً. وسنعود إلى الجواهري، فهذه السطور هي في التقديم لما اخترناه من شعره.

فهل مات الشعر العمودي؟

لم يمت الشكل. فما زال بعض الشباب ممن قرأ الشعر القديم وأكبَّ عليه إكباب درس وتمحيص يقول شعراً على البحور المعروفة. أو على الأصح على بعضها. ولكن مصطلح «الشعر العمودي» يعني شيئاً لا شيئاً واحداً. فهو الشعر الموزون المقفى على الطريقة القديمة، وهو أيضاً الشعر الذي يتناول المعاني بانضباط كلاسيكي. وكثير من العمودي الذي يكتبه شباب العرب اليوم رومنسي، مفرط في المجاز المزدوج، فهو عمودي وزناً، رومنسي محتوى.

لن نحكم على الشعر العمودي بالموت. لكنه - حتى عند شوقي والبارودي والرصافي وكل شعراء كتابنا هذا «إحياء الشعر» - شعر «يحاول» أن يكون قديماً. يحاول أن يضاهي البحري. يحتفل بالمفردة المهجورة. هو شعر لاهت. لم ينجح شوقي في الوصول إلى البحري ولا إلى المتنبي. ولن أنجح أنا إن كتبت لك بلغة عتيقة في أن أبلغ الجاحظ، سأبقى مغموط الحظ مضئور النصيب، واقفاً أمام صوان ملابس عتيق أتخير منه أبراداً وطبالسة وقلانس أرتديها كي تظنني عتيقاً، ثم يضحك مني الزمن. نشر الجاحظ لزمن الجاحظ

وشعر المتنبي لزمن المتنبي. واللغة تتغير حتى لو صك المنفلوطي رأسه بالجدار.

كان الجواهري من ساقه شعراء الإحياء، غير أنه فعل فعل صاحب لوائهم البارودي في أنه كان يلتبس الأسلوب العتيق.

أيها القارئ،

بالله عليك إلا ما ذهبت عني الآن، ومضيت إلى شعر الجواهري تقرأه! هذه الأسطر التي أكتبها لك في هذه المقدمة، بعد فراغي من الاختيار فالتشكيل فالشرح، فضلة قلم، وبقيّة مداد أنشره فوق الصفحة، فكأنها قطرات العرق تتساقط من جبين الراكض الذي وصل شريط النهاية في جري المسافات الطويلة. قد أنصبت نفسي وأنا أتخير لك الشعر وأشرحه، ثم أراك بعد ذلك تمر به مر الكرام. حرام عليك أن تتسلى بقراءة مقدمتي هذه - على ما فيها من استطراد، يشي بضعف الاستعداد، وعلى ما يلوح عليها من غثاثة، تمشي في كتابتي كأنما بوراثه - وترك شعر الجواهري وذلك الجهد الكبير الذي وضعته في انتخاله وشرحه.

خذ قصيدة الجواهري المشهورة «أم البساتين». ها هي مجلوة لك هنا كالعروس في ثلاثين بيتاً، قصيدة من بذيع الشعر. صعبة قاسية حليتها بشرح يفتح لك مغاليقها. فأما أصلها فمئة وخمسة وستون بيتاً. قرأها لك صاحب هذه الأسطر في طبعة ديوان الجواهري ذات الأجزاء السبعة الصادرة في بغداد، ١٩٧٣، في حياة الشاعر، وعارضها على الطبعة التي أصدرها ذووه لديوانه الكامل بعد وفاته. قرأتها وانتخلت لك منها الأبيات الثلاثين، وأتعبت القاموس والصحاح وأسهرت المصباح.

قد فعلت مثل هذا بكل ما سيأتيك من أشعار الجواهري. ثم أراك تقرأ بيتاً أو بيتين، وتقول لنفسك: لا أريد المختارات، أريد القصيدة الأصلية كاملة. فاذهب عني، ورح اقرأ الدواوين؛ ما الذي أتى بك أصلاً.

قد اشتغلت بهذه الأشعار زمناً طويلاً، وإلا أكن مللت منها فإنني مللت من القراء الكرام، وإن كان عندي أمل في أن يأتي زمن يجد فيه الناس في هذا الجهد ما ينفع. أنا، والحال هذه، كالشيخ الذي رآه كسرى ملك الفرس يزرع شتلة زيتون، فقال له: أنت شيخ هرم، ولن تعيش لتأكل من ثمر هذه الشتلة!

فقال الشيخ: غرسوا فأكلنا، ونغرس فيأكلون. فقال كسرى: زه. وأعطاه ألف شيء.. ماذا كان اسم العملة الفارسية العتيقة؟ لا أدري. لكنني أدري أن الناشرين في عالمنا لا يقولون زه.

بعض أصحابي، ولهم في القلب موضع، يرددون عليّ أبياتاً من قصيدة للجواهري، يقولون إنها رائعة وعظيمة.. يصدعون رأسي بها. عظيمة فقط لأنهم سمعوها منه في اليوتيوب. ولم يسمعوها من شعره غيرها. فهم مثل رجل دخل كهف علاء الدين - بعد أن فتح له سمسم - فوجد في فم الكهف قفة دراهم فملأ منها كيسه وخرج. ليت تعمق ليجد الذهب والألماس. أنا تعمقت يا بعض أصحابي. وأخرجت لكم ألماس الجواهري، فلا تصدعوا رأسي برنين نحاسكم.

للأسف، الجواهري صعب، وأشعاره تتعطش للشرح: صعب في مفرداته، التي يلوي أعناقها لتؤدي معاني منحرفة بعض انحراف عما وضعت له؛ وصعب في معانيه التي تختفي وراء ستار من لفظ رنان.

هو معاصر لأنه عاش السياسة في زمنه، وذاق كثيراً من النفي وقليلاً من السجن والأذى، وأصدر الجرائد، ومدح الرؤساء والملوك، ودخل في الفكر الاشتراكي من باب الشيوعية بعض دخول؛ وهو قديم لأنه عاش في شعر المتنبي والبحتري وشب على الجبة والعمامة في النجف؛ وهو مثقف قرأ الكتب، لكنه لم يُفرق فيها فلم تُفرق شاعريته؛ وهو شاعر لأن الله خلقه شاعراً.

لا أخفي عليك أنني دخلت عالم الجواهري متأخراً. قد صرفني عنه أولئك الأصحاب الذين جعلوني أظن أن الرجل إنما نال عندهم من المكانة ما نال لأنه عاش خمساً وتسعين سنة، فسجل حضوراً في ذفاترهم. لكنني، في هذه على الأقل، كنت متواضعاً. قلت في نفسي: ليكن! يقولون إن الجواهري شاعر كبير، فلا فحص عن الأمر. وفحصت. ورأيت الجواهري شاعراً كبيراً فعلاً. ورأيت تلك الشلالات الغزيرة التي هي قصائده الطويلة تحجب عن العين المعاصرة ما عنده من شاعرية.

هو في قصيدته خطيب، وكان يلقي القصائد في شتى المحافل، وكان يطرب لما يراه من إعجاب الجمهور بأبياته الرنانة. وهو في قصيدته مطبل يروي أحداثاً. وهو في قصيدته صائغ يتعب في تركيب البيت، فيتعب معه البيت ويأتي معوجاً.

ما أخرج شاعراً كهذا إلى منخلي.

استندت في اختياراتي إلى المجموعتين اللتين أشرت إليهما سابقاً، وقد خلّتا، كليهما، من الشرح، إلا من سطر في الصفحة بعد الصفحة فيه المعنى القاموسي لمفردة.

محمد مهدي الجواهري

الجواهري من النجف بالعراق، واسم الأسرة منسوب إلى كتاب «جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام» الذي كتبه أحد قدامى الأجداد واسمه محمد حسن. وكانت لأسرته أواصر نسب مع أسر عريقة كثيرة في النجف والحلة. كان أبوه عبد الحسين فقيهاً وشاعراً. وأراد لولده الثاني «مهدي» أن يكون فقيهاً، وأراد الله غير ذلك.

نشأ الطفل مهدي مدلاً من أم تحنو عليه - هل تلاحظ أنني بدأت أكتب كما يكتب رقعاء منتديات النت... لا ينقصني الآن إلا أن أقول «منذ نعومة أظفاره» حتى يكتمل الانحدار، وهل هناك أم لا تحنو على طفلها؟... الجواهري نشأ مدلاً. أمه تحنو عليه، وأبوه يحنو عليه، والأمة التي في بيتهم، واسمها تفاحة، تحنو عليه وتقص عليه القصص. وجدته لأبيه تحنو عليه. وهذه الجدة اسمها صيته. وماتت والجواهري طفل في الخامسة، وأقيم للجدة «صيته» عزاء مهيب لم يقم من قبل لامرأة، كما يخبرنا الجواهري.

في هذا المحفل، وفي محافل تشبهه، سمع الجواهري شعر الشعراء. وكانت النجف مدينة شعر وأدب، وكانت مدينة علم. نقصد ما كان يقصده القدماء بكلمة «علم»: علوم الدين واللغة والأدب.

لم يكمل محمد مهدي - قد أضيف اسم محمد لاسمه فيما بعد - علومه الشرعية واللغوية في حوزات النجف كي يصبح فقيهاً. بل أخذ منها ما تحتاج إليه روحه الشاعرة. كان يتعلم في بيته على أبيه وأقاربه، وليس في ذهنه سوى أنه يريد أن يصبح شاعراً. ونظم باكراً، لا ندري درجة نعومة أظفاره عندما بدأ ينظم، لكنه قرزم مثلما يقرزم الشعراء ثم استوى له الشعر وهو في نحو الثامنة عشرة. وفي هذه السن الطرية شهد الجواهري ثورة العشرين في العراق ضد الحكام الجدد: الإنجليز.

كان كثيرون من أبناء النجف لا يحملون «الجنسية» العراقية. ففي العهد

العثماني حمل الكثيرون منهم الجنسية الإيرانية فراراً من الجندية. وكان الزلزال الكبير الذي حدث بانحسار الظل العثماني عن العراق والوطن العربي، وزلزال ثورة العشرين على المحتل الإنجليزي، لم يكونا كافيين للخروج من حالة انعدام الجنسية العراقية لدى الكثيرين.

ثم بدأ العهد الفيصلي مع تتويج الإنجليز فيصل بن الحسين ملكاً على العراق سنة ١٩٢١. ونالت الجواهري الشاب، وكثيرين من الشيعة في العراق، بقية باقية غير قليلة من أذى الطائفية، التي كانت لذلك الزمن في العراق مثل ألم الضرر الذي ينقح عليك نقحاً خفيفاً: لا يخفت فتستطيع له نسياناً، ولا يشتد فيجعلك تهرع إلى طيب الأسنان.

ولو صدقنا الجواهري في أن عشرة بالمئة فقط من أعضاء مجلس النواب المستحدث كانوا من الشيعة، وحتى لو كذبه وجعلنا النسبة عشرين بالمئة، فإن مجرد هذه المعلومة تدل دلالة محملة بالمغازي على أن مئات السنين التي انصرمت على حكم العثمانيين السُّنة للعراق، بما وقع فيها من تحاكٍ وتنافس مع إيران الشيعية، تركت العراق محكوماً برجال السنة.

عُيِّن الجواهري مدرساً، ثم قيل له أنت لست عراقياً، فأين الجنسية؟ وفصل من التعليم، وعاد إلى التعليم. وزار إيران، حيث كان يعمل أخوه الأكبر، مرتين. وقال شيئاً في قصيدة طهرانية جعل ساطع الحصري، المسؤول عن شؤون التعليم في حكومة فيصل والكاتب القومي المشهور، يفصله، ثم تدخل وزير شيعي فأعاد. ثم استقال الجواهري.

ولما كان صاحبنا قد أصبح شاعراً له كلمة مسموعة بين الناس فقد تلافي البلاط الأمر بتعيينه في التشريفات. وفي هذه الوظيفة كان الشاب الشاعر لصيقاً بالملك فيصل يتمرغ في رعايته ويميل على جوانبه ميل الطفل على أبيه. ووصف لنا ذلك في صفحات كثيرة مدهشة: يندهش القارئ لهذا الأدب الملوكي الجرم عند ذلك الملك العربي. كان لفیصل بعض ما لأخيه الأصغر عبد الله بن الحسين ملك الأردن من دهاء، وكان له أضعاف ما لأخيه من رقة وحلم. وكان الرصافي موظف التشريفات يتمرد في شعره ويتنقد، وكان الملك يتغمد كل ذلك بالنسيان، أو بعتب ناعم. كان فيصل يتذوق الشعر كأخيه عبد الله، وكان يشر الجواهري بأنه سيكون شاعر العراق الأكبر.

واستقال الجواهري من القصر بعد ثلاث سنين، متمرداً على التشريفات

وعلى الملك فيصل، ولم يفت الملك أن يقرص أذن الشاعر الذي انصرف عن ملكه. ولم يفت الجواهري أن يمدح الملك السعودي الذي سلب الهاشميين ملكهم الحجازي نكاية بفيصل.

أصدر الجواهري بعد إذ تمرد وتححر صحيفة «الفرات». ثم عاد إلى الوظيفة في التعليم ثم في ديوان وزارة المعارف. ومات الملك فيصل عام ١٩٣٣، وتولى الحكم ابنه غازي، فلم تكن للجواهري حظوة.

ومع انقلاب بكر صدقي، تموز/يوليو ١٩٣٦، أحس الجواهري بقرب الفرج، فأيد الانقلاب، وأصدر صحيفة باسم «الانقلاب». لا غرو، كان هذا أول الانقلابات التي زركشت سياسة العالم العربي في القرن العشرين فلم تكن كلمة «انقلاب» قد اكتسبت معناها السلبي، وكانت الحركة الدستورية العثمانية قبل نحو ثلاثين سنة قد سميت انقلاباً، وكان العرب يعدونها حركة حميدة. ثم بعد سنة وشهر اغتيل بكر صدقي فانقضى بذلك أول تموز يمر على رأس الجواهري. فجعل اسم جريدته «الرأي العام».

ومات الملك غازي في عام ١٩٣٩ بحادث سيارة، يزعم الجواهري أن السياسي الداهية نوري السعيد قد دبره، وبعد موته بأشهر قامت الحرب العالمية الثانية وعلى عرش العراق الطفل فيصل بن غازي وهو ابن خمس سنوات، وتولى الوصاية عليه خاله الأمير عبد الإله.

وفي عام ١٩٤١ انقلب على الحكومة - وكان قطباها الوصي عبد الإله، والسياسي نوري السعيد المدعوم إنجليزياً - رشيد عالي الكيلاني، فهرب «الوصي» و«السياسي» كلاهما من العراق، ولم يسع الإنجليز أن يسكتوا على الأمر لميول الانقلابي الألمانية، ففضوا على الحركة الانقلابية بعد أشهر، وعاد عبد الإله ونوري السعيد إلى بغداد. لم يؤيد الجواهري الانقلاب فسافر إلى إيران ومكث بها زمناً قصيراً.

نجدته في سنة ١٩٤٤ في سورية يشارك في إحياء الذكرى الألفية لأبي العلاء المعري. ونراه - وهو الآن رجل في أوائل الأربعين من العمر - شاعراً له صوت عالٍ في أحداث البلاد، وله صيت ذائع. قد كانت له علاقة طيبة بالشاعر الزهاوي الذي توفي قبل سنوات، وله الآن علاقة طيبة بالشاعر الرصافي الذي سيموت عام ١٩٤٥ قبيل انتهاء الحرب. ويموت الرصافي صار الجواهري «شاعر العراق الأكبر» فعلاً.

أصبح الجواهري نائباً عن كربلاء في برلمان ١٩٤٧، ووالى نشر قصائده، في العراق وخارجه. وفي العام التالي هب العراقيون في انتفاضة ضد معاهدة بورتسموث التي أراد الإنجليز بها التمسك بأكبر قدر ممكن من النفوذ في العراق، بعد أن انتصروا في الحرب العالمية الثانية انتصاراً هو أشبه شيء بالهزيمة. فبعد انتصارهم الباهظ طلب التاريخ - وأميركا - من الإنجليز أن يفككوا إمبراطوريتهم.

في هذه الانتفاضة على المعاهدة قتل الأخ الأصغر للجواهري، جعفر. فتدفق الجواهري بشعر كأنه النار. وبعد سنة أعدم الحكم عدداً من الشيوعيين، من بينهم يوسف سليمان يوسف، المعروف بفهد. ولم نجد للجواهري رثاء في الرجل. كان الجواهري يعطف على الشيوعيين، لكنه لم ينتظم حزبياً في حياته.

نجده في عام ١٩٥٠ في مصر بدعوة من طه حسين، ثم عام ١٩٥١ في لبنان يؤين عبد الحميد كرامي. وعقب انتفاضة تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٢ سجن الجواهري في معتقل أبو غريب ثم رحل إلى سورية حيث وجد الملجأ الآمن. وعاد إلى العراق عام ١٩٥٧، وفي العام التالي كان انقلاب عبد الكريم قاسم، تموز/يوليو ١٩٥٨. هذا التموز الثاني للجواهري كان الضربة القاضية للملكية في العراق. فقد اغتال الانقلابيون العائلة المالكة، وجروا جثة الوصي عبد الإله في الشوارع. وقتل، أو انتحر، نوري السعيد.

قربت حكومة قاسم الشيوعيين، وتقربت من الاتحاد السوفيتي. لكن حكم العسكر يظل حكم عسكر، وقد تحير الجواهري في قاسم فقد كان يقرب هذا الاتجاه ثم ذاك لغيرما غرض سوى أن يتخلص من خصومه.

تغنى الجواهري بعبد الكريم قاسم وحكمه. ولكنه لم يتخل عن وجدانه العروبي. كان عبد الكريم قاسم لا يرد طلباً للجواهري. ولكن شاعرنا أحس بعد قليل أنه عالق في شبكة تأييد الحكم. هذا الحكم الذي دخل في مهزلة المحاكمات الصورية حتى قبل انقلاب عبد الوهاب الشواف الفاشل. فقد عين قاسم ابن خالته «عباس المهداوي» رئيساً لمحكمة «ثورية» أخذت تهنين المتهمين على شاشة التلفزيون، الذي كان دخل العراق حديثاً، قبل أن ترسل العديد منهم إلى حتفهم. واصطدم الجواهري بقاسم في أكثر من مناسبة.

انسلّ الجواهري سنة ١٩٦١ إلى بيروت ليشارك في تكريم الأخطل

الصغير، بشارة الخوري، ومضى بعدها إلى تشيكوسلوفاكيا البلد الاشتراكي ضمن «المعسكر السوفيتي».

أطيح بعبد الكريم قاسم، أوائل ١٩٦٣، وقتل قتلة شنيعة في ستوديو الإذاعة بعد محاكمة مضحكة مدتها نصف ساعة.

لكن الجواهري بقي في تشيكوسلوفاكيا سبع سنين، حتى جاء تموزه الثالث.

في ١٧ تموز/يوليو ١٩٦٨ انقلب البعثيون على الرئيس عبد الرحمن عارف الذي كان خلف أخاه عبد السلام عارف. كان انقلاباً أبيض بقيادة أحمد حسن البكر وصدام حسين، وعاد الجواهري إلى العراق ليجد التكريم والراتب التقاعدي. وهو الآن أهم شاعر عربي عمودي. فالجواهري بحكم السن والعادة لم يتمكن من السباحة في تيار شعر التفعيلة، وحافظ على طريقته.

لم تطب الإقامة للجواهري في العراق، فرحل إلى سورية عام ١٩٧٣، وعاش في كنف الرئيس حافظ الأسد بضع سنين. وظل ينتقل بين دمشق وبغداد وبراغ في تشيكوسلوفاكيا حتى سنة ١٩٨٠ عندما غادر العراق للمرة الأخيرة، وأخذ يعيش في دمشق حتى وفاته عام ١٩٩٧. وظل محتفظاً ببيته في براغ معظم هذه الفترة الأخيرة.

يصدع رأسك «أبو فرات»، وهذه كنيته وفرات هو ابنه الشيعي، على مدى ألف صفحة وهو يقص قصة السبعين ديناراً الفلانية، والمئة دينار العلانية. وهو مدرك أن طفولته الفقيرة - رغم رجحان شأن والده وأسرته في ميزان النسب - ظلت تعيش في أعماقه.

لا ألوم الأب الذي يغدق على أطفاله، ويهين نفسه في سبيل أن يجنبهم أي شعور بالعوز. فمن جاع صغيراً ظل جائعاً طول عمره حتى لو اغتنى كبيراً. وأدركها الجواهري وسجلها على نفسه وعلى عبد الكريم قاسم الذي نشأ في أحضان الحرمان.

في نفوسنا حجرات مغلقة، مفاتيحها في يد الطفولة.

عندما كنت في نحو الخامسة من العمر رماني أبواي في القسم الداخلي بمدرسة راهبات مار يوسف أسبوعين ليقيضاً شهر غسل متأخراً في مصر. قالت لنا المعلمة جانيت: انسخوا الدرس. ولم يكن عندي ورقة. فنسخت الكلمات

على نصف الصفحة في ذيل الدرس. ولم يكن نصف الصفحة فارغاً، بل كانت عليه كلمات مكتوبة بخط دقيق، هي أسئلة وتوجيهات للمعلم، إلخ. نسخت بقلم الرصاص فوق الكلمات الصغيرة المطبوعة. ووبختني المعلمة وتراقصت شامة كبيرة مخيفة في خدما أمام وجهي. والآن وبعد أكثر من نصف قرن تراني أبخل خلق الله في الورق. اطلب مني رقم هاتف، وستراني أقص لك من طرف الورقة قطعة صغيرة لا تكاد تكفي للرقم.

سقط الجواهري عندما تصالح مع الرجعية فأنشد قصيدة في تتويج فيصل الثاني، وسقط عندما التصق بعبد الكريم قاسم. لكنه عاش حياته نابذاً للطائفية باذلاً في سبيل ذلك جهده، متعاطفاً مع الفقراء كارهاً التفاوت في الرزق بين الناس، ووجد هذان الاتجاهان صدى طيباً في شعره.

كانت حياته الطويلة بكاملها المرحلة الأولى من طفولة العالم العربي. فبعد أن رمتنا الدولة العثمانية من رحمها إلى حضن الاستعمار أخذنا نتبول لإرادياً. وما زلنا.

إذ انغمست في تاريخ العراق في القرن العشرين كي أتمكن من فهم الجواهري وعصره عشت كوابيس الإعدامات والسحل وحكم الفرد. وصادف أن تعثرت بكتاب عن تاريخ بريطانيا، فقلت أروح عن نفسي قليلاً. وأي ترويح! قرأت كيف أعدم هنري الثامن اثنتين من زوجاته الست، وكيف ترك ثالثة تموت في سجنها. وكيف أعدمت ابنته إليزابيث الأولى «ماري ملكة الاسكوتلنديين» على الوضم.

الوضم

الوضم خشبة الجزار التي يقطع عليها اللحم.

جئي بالملكة ماري وصعدت إلى المنصة وهي في أتم زينتها. خلعت طيلسانها بابتسامة وهي تقول: ما تعودت أن أخلع طيلساني على مشهد من الناس. وأقعى قصابها ومساعدته على الركبتين وطلبا المغفرة، فغفرت لهما. ثم أقعت هي بركبتيها على وسادة وثيرة، ووضعت رأسها على الوضم بعد أن قالت: بين يديك أيها الرب أضع روحي. وبضربتين من البلطة قطع رأسها، وعندما رفعه الجلاد صائحاً «عاشت الملكة»، يقصد إليزابيث، سقط الرأس لأن الشعر كان مستعاراً.

وكانت حرب أهلية، وأعلنت بريطانيا الجمهورية، وأقعى تشارلز الأول على ركبته أمام الوجود، وكانت ضربة واحدة. ثم أعيدت الملكية بعد بضعة عقود، وعاقب تشارلز الثاني أنصار الجمهورية قسراً استطاع. وجاء جيمس الثاني وحاول أن يكون الحاكم الفرد، ولكن بريطانيا كانت قد شبت وتحول برلمانها إلى مؤسسة تعرف كيف ترعى مصالح الطبقة التي تمثلها. لا أصبحت بريطانيا ديمقراطية ولا غدت حريصة على حقوق الإنسان، لكنها تبنت الطريق إلى «حكم الطبقة» لا حكم الفرد. تخلصت من نزوات الفرد يوم عزلت جيمس الثاني عن الحكم فيما عرف بـ «الثورة المجيدة»، ١٦٨٨.

التاريخ ليس فيزياء، والمستقي العبر منه كالأعمى يدخل بيته الجديد. أدري أن الشعوب العربية تعيش طفولتها، ولا أدري كم جيلاً سيعيش ويموت قبل أن تشب.

ها هو الجواهري يمدح قاسماً ويجعله البطل و«الزعيم الأوحده» ثم بعد سنة يفر من وجهه، ثم بعد سنة يصله خبر قتله فيحمد الله ويوقد الشموع. وها هو يمدح عبد الناصر قبيل الهزيمة ويرثيه بعدها. لا نضع الشعراء على درجات، ولا نصنفهم، ولا نحكم عليهم بحصافة فكرهم الاجتماعي أو السياسي، بل بجودة شعرهم: بحرارة، وبصدق، وبما فيه من صنعة متقنة.

١ الأمنيات

النصف (١٩٢١):

جَلَبْتُ لِي الْهَمَّ، وَالْهَمُّ عَنَّا أَوْ مَا أَرْوَحَنِي لَوْلَا الْمُنَى

الأمنيات وأحلام البقطة جلبت لي الهم، وهو عناء، وما كان أروحي، أي ما كان أكثر ارتياحي، لولا هذه الأمنيات

إِنَّمَا أَشْكُو حَيَاةَ كُلِّهَا نَبِعَاتُ كُنْتُ عَنْهَا فِي غِنَى

عَرَّةَ الطَّيْرِ فَقَالُوا: مُنَعَدُّ رَبِّ نَوْحٍ خَالَهُ الْفِرُّغْنَا

يظنون الطير عندما يفرّد سعيداً، لكن ربّ نوح، أنين، ظنه الفر، الغشيم الجاهل، غناء.. وكذا الشاعر يتغنى بالشعر ولكنه متألم

وَأَنْتَنِي الْمُنَصَّنُ، وَلَوْلَا أَنَّهُ حَامِلٌ مَا لَمْ يُطْفِئْهُ مَا أَنْتَنِي

ويتني القصن فيظنونه يتمايل غنجاً.. لكنه ما انتنى إلا من ثقل الشعر الذي يحمله

٢ القنوط

النجف (١٩٢٣):

قد كنتُ أقربَ للرجا ء فصِرْتُ أقربَ للقنوط

القنوط: اليأس

كلُّ البلادِ إلى صعو د والمعراقُ إلى هبوط

يا نائماً ما نبّهتُ هُ الحادثاتُ من الغطيط

الغطيط: الشخير

لم يبقَ مِن نَسَجِ الأَكُفِّ - المُحَكِّماتِ سوى الخيوط

لم يبقَ من أمجاد الماضي، التي هي كاللباس الذي أحكم نسجه، سوى خيوط

٣ هذبه الحب

النجف (١٩٢٤):

عاطفاتُ الحبِّ ما أبدعَها مَذَبْتُ طَبْعِي وَصَفْتُ خُلُقِي

حُرِّقَ نَمْلًا رُوحِي رِقَّةً انا لا أنكرُ فضلَ الحُرِّقِ

يُنَى بَأَنَّ القَلْبَ لا تَشْفَلُهُ ذَكْرِياتٌ غَيْرُ ذِكْرَاكَ يُنَى

لستَ تَدْرِي بالذي قاسبته، كيف تَدْرِي طَعَمَ ما لم تَلُقِ

لم تَدْعُ مِنِّي إِلَّا رَمَقًا، وفداء لكَ حتى رَمَقِي

رمق: بقية من حياة

أنا، ما عشتُ، على دينِ الهوى فَهَوَاكُم بَيْعَةٌ فِي عُنُقِي

بيعة: عهد ومبايعه. سودت هذه القطعة كلها لأنني كنت قرأتها في برنامج تلفزي اسمه «قال

الشاعر»، ثم سمعت نفسي أقرأها من اليوتيوب بضع مرات فأخذت مكانها في أذني، كذا هو

الشعر... نسع القصيدة مراراً فنخلع عليها ما قد لا يكون لها من حلال الجمال

٤ فارس الشعر

النجف (١٩٢٤):

أنا في الشعرِ فارسٌ إن أغالَبَ يَكُنِ الطَّبْعُ لي مِجَنًّا وَتُرْسًا

أغالب: أبارى، الطبع: القريحة الطبيعية، والشاعر المطبوع هو الذي يقول الشعر منطلقاً من طبع،

وليس بعد طول فكر وصناعة، المِجَن: الترس

وَإِذَا مَا ارْتَمَتْ عَلَيَّ الْقَوَافِي نِلْتُ مُخْتَارَهَا وَعِفْتُ الْأَخْسَا

إذا رمت القوافي نفسها علي اخترت أحسنها وعفت وكهرت الخسيس منها

إِنْ أَكُنْ أَصْغَرَ الْمُجِيدِينَ سَيِّئًا فَأَنَا أَكْبَرُ الْمُجِيدِينَ نَفْسًا

النفس الكبيرة: الشخصية الواثقة الشامخة

طَبَّقْتُ شُهْرَتِي الْبِلَادَ وَمَا جَا وَرَّ عُمْرِي عَشْرًا وَسَبْعًا وَخَمْسًا

الجواهري من مواليد ١٩٠٢، وفي الأمر خلاف شديد اقتضى من علي جواد الطاهر صفحات كثيرة .. ضاعت سدى

٥ عَزَّ الْمُرْتَقَى

النجف (١٩٢٤):

وَطَنِي، وَمَنْ لَكَ أَنْ تَعُودَ فَتَرْتَقِي؟ مِنْ بَعْدِ مَا أَعْيَا وَعَزَّ الْمُرْتَقَى

كيف لك يا وطني أن تعود للصعود، بعد أن أعيا، صُعَبَ، المرتقى، طريق الصعود، وصار عزيزاً، صعباً

لَوْ يَعْلَمُ الشَّجَرُ الَّذِي أَنْبَتَهُ مَا حَلَّ فَيْكَ مِنَ الْأَذَى مَا أَوْزَقَا

٦ السهر اللذيذ

إيران (١٩٢٦):

كَمْ أَرَى مُنْتَظِرًا وَغَدُكُمُ ثَقُلَ الْوَعْدُ عَلَى الْمُنْتَظِرِ

قَدْ سَهَرْنَا فَوَجَدْنَا أَنَّهُ فَوْقَ طَعْمِ النَّوْمِ طَعْمُ السَّهْرِ

وجدنا السهر في حبكم ألد من النوم

٧ نظرية

(١٩٢٦):

سَحَرْتُنَا ظَوَاهِرُ الْأَمْرِ حَتَّى أَوْهَمْتُنَا أَنَّ الْبِلَادَ قَوِيَّةٌ

نَتَعَنَّى، وَعَصَرْنَا مِنْ نُحَاسٍ، بِأَغَانِي عُصُورِنَا الذَّهَبِيَّةِ

كُلُّنَا بِالَّذِي تَمْنَى سَعِيدٌ لَا نُبَالِي أَنَّ الْبِلَادَ شَقِيَّةٌ

كَثُرَ الْمُدَّعَوْنَ، لَمَّا اخْتَلَفْنَا فِي الْبَدِيهِيِّ، فِكْرَةَ فَلَسَفِيَّةِ

عندما نختلف في موضوع بديهي يأتي الأدباء والنقاد بفكرة يدعون أنها فلسفة

لو يقول الأديب في الشرق «إن الـ أرض تحني»، لَسُمِّبَتْ نظريّة

٨ القصائد الشاربة الأكلة

بغداد (١٩٢٧):

أَيَدِي مَنْ يُرَدِّدُهَا حِسَاناً خَلَاءَ مِنْ زِحَافٍ أَوْ سِنَادٍ..

هل علم من يردد أشعاري الخالية من المشكلات العروضية كالزحاف والسناد..

بِأَنَّ الشَّعْرَ تَشْرَبُ مِنْ عُيُونِي قَوَافِيهِ، وَتَأْكُلُ مِنْ فَوَادِي؟

هل يعلم أن قوافي الشعر ترهقني كأنها تشرب الماء من عيوني، وتأكل من قلبي؟ فالشعر ينطلق من أعماق وجداني

٩ حبس الغيث

بغداد (١٩٢٨):

سَكْتُ حَتَّى شَكَنْتَنِي غُرُ أَشْعَارِي وَالْيَوْمَ أَنْطِقُ حُرّاً غَيْرَ مِهْذَارٍ

تُرْ يَا شَعُورُ عَلَى ضَبِّمِ تُكَابِدُهُ أَوْ لَا، فَلَسْتُ عَلَى شَيْءٍ بِشَوَّارٍ

تر يا شعور على ظلم تمناني، وإن لم تفعل فلست ثائراً على شيء

لَوْ فِي يَدِي، لَحَبَسْتُ الْغَيْثَ عَنْ وَطَنِي مُسْتَسْلِمٍ، وَقَطَعْتُ السَّلْسَلَ الْجَارِي

السلسل الجاري: الماء المترقق كأنه، وهو يجري، سلسلة من حلقات. وفي العراق سلسلان جاريان: دجلة والفرات

الْعَذْرَ يَا وَطَنًا أَغْلَيْتُ قَيْمَتَهُ عَنْ أَنْ يُرَى سِلْعَةً لِلْبَائِعِ الشَّارِي

العذرة: أطلب الممنرة

وَكَيْفَ يُسْمَعُ صَوْتُ الْحَقِّ فِي بَلَدٍ لِلْإِلَافِكِ وَالزُّورِ فِيهِ أَلْفُ مِزْمَارٍ؟

الإفك والزور: الكذب والافتراء.. ففي البلد كثيرون ممن يزمرون للكاذبين ويمجدونهم. تسويد عمران القفيني

مَا ذَا السُّكُونُ؟ أَلَا تَهْتَاجُ نَحْوَتُكُمْ أَنَّ الْعُرُوبَةَ قَدْ حُقَّتْ بِأَخْطَارٍ؟

ما ذا: أي ما هذا

١٠ الإنجليز يقتلون شابين

بغداد (١٩٢٨):

مَشَى نَعْمَنُ يَجْرُ وَرَأَهُ نَعْمَا سَحَابٌ مُفْلِعٌ قَفَى سَحَابَا

النعر يأتي بعده نعر والمشيرون كالسحاب المقلع، المنكشف الزائل، الذي يقني سحاباً زال قبله. يصور جمهورين كبيرين يشعان نعين واحداً بعد الآخر

سِيعْلُمُ مَنْ يَخَالُ الْجَوَّ صَفْواً بِأَنَّ الْجَوَّ مَمْلُوءٌ ضَبَاباً
وَمَنْ ظَنَّ الْمَجَالِسَ عَامِرَاتٍ بِمَدْحٍ، أَنَّهَا شُجِنَتْ سَبَاباً
وَلَوْ عَرَفْتُ بِلَادِي مَا أَرَادْتُ بِهَا النُّوَابُ لَمْ تُرِدْ انْتِخَاباً
وَقَدْ تَخِذُوا لِحَوْمِ بَنِي زَادَا وَقَدْ لَبِسُوا جُلُودَهُمْ نِيَاباً
فِيَا وَطَنِي مِنَ النُّكَبَاتِ فَأَمِنْ فَقَدْ وَقَّتَكَ حَفْظَكَ وَالنُّصَاباً
بهذا: أنت يا وطني آمن من حلول المصائب بك لأنك أخذت منها النصاب، أي النصب، الوافي

١١ أزمت وصدمت

بغداد (١٩٢٩):

سَبَقَى طَوِيلاً هَذِهِ الْأَزْمَاتُ إِذَا لَمْ تُقْصِرْ عُمَرَهَا الصَّدَمَاتُ
مَشَتْ كُلُّ جَارَاتِ الْعِرَاقِ طَمُوحَةً سِرَاحاً، وَقَامَتْ دُونَهُ الْعَقَبَاتُ

الدول المجاورة تقدمت، والعراق بينه وبين التقدم عقبات، صعب

وَمِنْ عَجَبٍ أَنَّ الَّذِينَ تَكَفَّلُوا بِإِنْقَاذِ أَهْلِيهِ هُمُ الْعَثَرَاتُ
من تكفلوا بإنقاذ أهل العراق هم أنفسهم العثرات، العقبات المعيقة

عَدَا يُمْنَعُ الْفَتْيَانُ أَنْ يَتَعَلَّمُوا كَمَا الْيَوْمَ، ظُلُمًا، تُمْنَعُ الْفَتَيَاتُ
أَقُولُ لِقَوْمٍ يَحْمَدُونَ أَنَاتَهُمْ وَمَا حُمِدَتْ فِي الْوَاجِبَاتِ أَنَاةُ
الأناة: التروي والبطء

بِأَسْرَعٍ مِنْ هَذِهِ الْخُطَى تُدْرِكُ الْمُنَى، بِطَاءٍ لَعَمْرِي مِنْكُمْ الْخُطَوَاتُ
تحقيق الأمانني إنما يتم بخطى أسرع من خطاكم البطيئة

١٢ الأمم تتعثر وتقوم.. وتندثر أيضاً

بغداد (١٩٢٩):

هَلْ أَنْقَذَ الشَّامَ كُتَّابٌ بِمَا كَتَبُوا أَوْ شَاعِرٌ صَانَ بَغْدَاداً بِمَا نَظَّمَا؟
يَا أُمَّةَ عَرَّهَا الْإِقْبَالُ نَائِبَةً أَنَّ الزَّمَانَ طَوَى مِنْ قَبْلِهَا أُمَمَا
عرّ الأمة الإقبال، الازدهار، ونسيت أن الزمن طوى، أباد، أمماً في السابق

سُئِلَ حَقُّونَ فَلَسْطِينَا بِأَنْدَلُسٍ وَيَعْطِفُونَ عَلَيْهَا الْبَيْتَ وَالْحَرَمَا
وَسُئِلُوكَ بِغَدَادَا وَجَلَّقَةً وَيَتْرُكُونَكَ لَا لَحْمًا وَلَا وَضْمًا
سُئِلُوكَ أَيْتَهَا الْأُمَّةُ بِغَدَادَ وَجَلَّقَةً، دَمَشَقَ، وَيَتْرُكُونَكَ وَلَيْسَ بِكَ لَحْمٌ وَلَا وَضْمٌ، وَالْوَضْمُ هُوَ
الْخَشْبَةُ الَّتِي يَقْلَعُ عَلَيْهَا الْقَصَابُ اللَّحْمَ. . . وَلَمْ تَرْضَ الْقَافِيَةَ هُنَا بِكَلِمَةِ عَظُمَ فَجَاءَ الشَّاعِرُ بِكَلِمَةِ
رَضِيتَ عَنْهَا الْقَافِيَةَ وَلَمْ يَرْضَ الْمَعْنَى

بِأَمَّةٍ لِيُخْصِومَ ضِدَّهَا اخْتَكَمَتْ كَيْفَ ارْتَضَيْتَ خَصِيمًا ظَالِمًا حَكَمًا
سَلَى الْحَوَادِثُ وَالتَّارِيخُ هَلْ عَرَفَا حَقًّا وَرَأْيًا بِغَيْرِ الْقُوَّةِ احْتَرَمَا

١٣ ضد الغالية

أَنَا ضِدُّ الْجُمْهُورِ فِي الْعَبَثِ وَالتَّفْ كَبِيرٌ طُرًّا وَضِلَّةً فِي الدِّينِ
الجمهور: الغالية

كُلُّ مَا فِي الْحَيَاةِ مِنْ مُتَعٍ الْعَيْدِ شَيْءٍ وَمِنْ لَذَّةٍ بِهَا يَزْدَهِيَنِي
يزدهيني: يفرحني

ابْنِي لِي تَبْسُمَ حَيَاتِي، وَإِنْ كَانَتْ حَيَاةٌ مَلِيئَةٌ بِالشُّجُونِ
أَيْتَهَا الْحَيَاةُ ابْنِي لِي فَحَيَاتِي مَمْلُوءَةٌ بِالشُّجُونِ، الْهَمُومِ

أَنْصِفْنِي تُكْفِّرِي عَنْ ذُنُوبِ النَّاسِ طُرًّا، فَإِنَّهُمْ ظَلَمُونِي
طُرًّا: جميعاً

مَتَّعْنِي قَبْلَ الْمَمَاتِ، فَمَا يُدِّ رِيكَ مَا بَعْدَهُ وَمَا يُثْرِنِي
فَسَتُفْرِمَنَ بِالْمَحَاسِنِ رِضْوَاناً نَأَى قِيلَاقِكَ بَيْنَ حُورٍ وَعَيْنِ
بعد الموت ستذهين ليوم الحساب وستقومين بإغراء رضوان حارس الجنة فيجعلك ضمن الحور العين

وَأَنَا فِي جَهَنَّمَ مَعَ أَشْجَا خُ عَوَاذٍ بِفَيْهِمْ عَمَرُونِي
عَنْ بَسَارِي أَغْمَى الْمَعْرَةَ وَالشَّيْءُ نَحْوُ الزَّهَاوِيِّ مُقْعَدًا عَنْ بَمْنِي
يحشر الجواهري نفسه، محققاً، مع اثنين من كبار الشاكرين في تاريخ شعرنا العربي: الزهاوي،
والمعري. . . وزاد فجعل الزهاوي مقعداً حتى لا يكون المعري الوحيد صاحب العاهة

١٤ الشريف حسين

بغداد (١٩٢٩):

سَلَامٌ عَلَى شَيْخِ الْجَزِيرَةِ كُلِّهَا سَلَامٌ عَلَى تَارِيخِهِ الْمُتَأَلَّقِ

الشریف حسین کان شریف مکة، وجعله شیخ الجزيرة العربية كلها . . وفي هذا تعريض بحكام نجد السعودیین الذین أخذوا الحجاز من الحسین

أبا فیصل بعض التَّعْزِي فَكَمْ رَمَتْ شَهَامَةٌ قَوْمٍ شَمَلَهُمْ بِالتَّفَرُّقِ
كثيراً ما شئت الشهامة شمل القوم وفرتهم . . والحين تفرق بنوه فمنهم من ملك الأردن ومنهم
من ملك العراق، وهو نفسه ذهب إلى قبرص منفياً عن الحجاز سنة ١٩٢٥

ولي فيك قبل اليوم غُرُ قَصَائِدٍ كفاها سُموّاً أَنَّهَا بعضُ مَنْطِقِي
يكفي قصائدي فيك علواً أنها من شعري أنا

مِنَ اللَّاءِ عَذَاها جَرِيرٌ بِرُوحِهِ وَلَا عَمَ شَطَرُهَا نَسِيجُ الْفَرَزْدَقِ
ومن قبلُ كانوا إن أرادوا انتفاضةً من الشعرِ قالوا عنه لم يَتَعَرَّقِ

كانوا ينتقصون من شعر الشاعر إذا لم يكن زار العراق وأقام بها «تعرق» شعره

فإن لا تَبْذُ الْمُفْلِقِينَ فإنَّها يُقْصَرُ عنها شاعِرٌ غيرُ مُفْلِقٍ
إن لم تَبْذُ، أي تَفُقْ، هذه القصيدة الشعراء المفلقين، الفحول، فإنها لا تصدر عن شاعر غير فحل

سَهَرْتُ لها الليلَ التَّامَ أجيدُها أَغْوَصُ على غُرِّ المعاني، وأنتقي
الليل التام: أطول ليلة في السنة

فَمَنْ يَتَنَكَّرُ مِن هُمومٍ فإنِّي لَا نَكِرُ أَنْ أَعْتَادَ غَيْرَ التَّحَرُّقِ
من يتنكر من الهموم، يعتبر حضورها في نفسه شيئاً منكراً رديئاً، فانا استغرب أن اتعود شيئاً سوى
التحرق والتوهج

وَأُنَكِّرُ نَفْسِي أَنْ تُرَى فِي انْبِسَاطَةٍ وَأُنَكِّرُ صَدْرِي أَنْ يُرَى غَيْرَ ضَيْقِي
أَخِيفُ إِلَى الْمَرَاةِ كُلَّ صَبِيحَةٍ أَرَى هَلْ أَشَابَ الْهَمُّ بِالْأَمْسِ مَفْرِقِي
أخف، أسرع، إلى المرأة، صباحاً لأرى هل جعل الهم مفرق رأسي يشيب مما عانته ليلاً من هموم

١٥ جنس الشعراء

بغداد (١٩٣١):

غريبٌ عالمُ الشعراءِ تَفُسُّو ظُرُوفُهُمْ، وَالسُّنُّهُمُ تَرِقُّ
كـبعضِ الناسِ هُمُ، فإذا اسْتُثِيرُوا فبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ النَّاسِ فَرْقٌ

١٦ علي وعمر

قال الجواهري محبياً بعثة الجامعة المصرية إلى العراق، بغداد (١٩٣١):

إِنَّ السِّيَاسَةَ لَمْ تُبَقِّ- عَلَى الْبِلَادِ وَلَمْ تَذَرِ
وَبِرْغَمِ مَا فِي الرَّافِدَيْنِ- مِنْ الْمَصَائِبِ وَالْغِيَرِ
الغیر: المصائب

وَبِرْغَمِ أَنَا قَدْ تَزَعَّ- مَ عِنْدَنَا حَتَّى الْبَقَرِ
فَهُنَا شَبَابٌ نَاهِضُو- نَ عُقُوقَهُمْ إِحْدَى الْكُبَرِ
عقوقنا نحن للشباب وتخلينا عنهم إحدى الكبر، الآثام

نَمَشِي عَلَى نُورِ الثَّقَا- قَةِ مَشْيِي مُوْتَوِقِ الظَّفَرِ
تمشي الشباب على نور الثقافة بثقة بالظفر، الفوز. لم تقعد كلمة «واثق» في صندوق الوزن فأقعد
الشاعر موثقاً... وصلت الفكرة

فِيهَا الشَّجَاعَةُ مِنْ عَلَيٍّ- وَالسِّيَاسَةُ مِنْ عَمَرَ
شَوْقِي يَعْيشُ كَمَا يَلِي- نَقْ بِمَنْ تَفَكَّرَ أَوْ شَعَرَ
يعيش أحمد شوقي عيشة نعمة تليق بالمفكر وبالشاعر

وَتَحُوطُ إِبْرَاهِيمَ عَا- طِفَّةُ الْأَمِيرِ مِنَ الصَّغَرِ
وحافظ إبراهيم تحوطه رعاية أمير الشعراء شوقي من وقت أن كانا صغيرين... ليس كذلك
بالضبط... فقد كان بينهما دائماً تنافس، وانتقد حافظ شوقي في كتابه «إليالي طريح»، ثم صاروا
صديقين ودودين في آخر عشرين سنة من حياتهما، وسيموتان كلاهما بعد سنة واحدة من قصيدة
الجواهري هذه

أَمَّا هُنَا فَالشَّعْرُ شِيءٌ لِيَلْتَمَلُحَ يُدْخِرُ
أما في العراق فالشعر يدخر ويخبأ للتملح، للتسليّة

١٧ الطموح

بغداد (١٩٣١):

مَضَتْ حِجَجٌ عَشْرٌ وَنَفْسِي كَأَنَّهَا- مِنْ الْغَيْظِ سَبِيلٌ سُدَّ فِي وَجْهِهِ الْمَجْرَى
حجج: سنوات

خَبِرْتُ بِهَا مَا لَوْ تَحَلَّلْتُ بَعْدَهُ- لَمَّا اَزْدَدْتُ عِلْماً بِالْحَيَاةِ وَلَا خُبْرَا

وَأَبْصَرْتُ مَا أَهْوَى عَلَى مِثْلِهِ الْعَمَى وَأَسْمَعْتُ مَا أَهْوَى عَلَى سَمْعِهِ الْوَقْرَا
أَبْصَرْتُ أَشْيَاءَ كُنْتُ أَحِبُّ لَوْ عَمِيتَ فَلَمْ أَرَهَا، وَأَسْمَعُنِي النَّاسُ أَشْيَاءَ كَانَ الْوَقْرُ، ضَعْفُ السَّمْعِ،
أَحِبُّ إِلَيَّ مِنْ سَمَاعِهَا

وَلَيْسَ بِحُرٍّ مَنْ إِذَا رَامَ غَايَةً تَخَوَّفَ أَنْ تَزِمَنِي بِهِ مَسْلَكَاً وَهَرَا
رام غاية: سعى نحو هدف

وَمَا أَنْتَ بِالْمُعْطِيِ التَّمَرَّةَ حَقَّةً إِذَا كُنْتَ تَخْشَى أَنْ تَجُوعَ وَأَنْ تَغْرَى
مَشَى الدَّهْرُ نَحْوِي مُسْتَثِيرَاً خُطُوبُهُ كَأَنِّي بِعَيْنِ الدَّهْرِ قَبْضَرٌ أَوْ كِسْرَى
وَقَدْ كَانَ يَكْفِي وَاجِدٌ مِنْ صُرُوفِهِ لَقَدْ أَسْرَقْتُ إِذْ أَقْبَلْتُ زُمْرَاً تَتْرَى
من صروفه: من مصائب الدهر، تترى: متواترة متتابعة

وَمَا كَانَ ذَنْبِي عِنْدَهُ غَيْرَ أَنَّنِي إِذَا مَسَّنِي بِالْخَيْرِ لَمْ أَطْلِ الشُّكْرَا
طُمُوخٌ يُرْبِنِي كُلَّ شَيْءٍ أَنَالُهُ وَإِنْ جَلَّ قَدْرًا، دُونَ مَا أَبْتَغِي قَدْرَا
حُبِيتُ بِنُدْمَانٍ وَخَمَرٍ فَمَا ظَنَنِي بِأَنِّي لَا مُلْكَاً حُبِيتُ وَلَا قَصْرَا
حُيْتُ: أُعْطِيتُ

وَلَوْ بِهِمَا مُتَّعْتُ مَا زِلْتُ سَاخِطَاً عَلَى الدَّهْرِ، إِذْ لَمْ يَخْبُنِي حَاجَةً أُخْرَى
وَجُوزِيْتُ شَرًّا عَنْ طُمُوحي، فَهَا أَنَا بِرَغَمِي لَا خَلَاً تَخَذْتُ وَلَا خَمْرَا
لَا حَصَلَتْ عَلَى خَمْرٍ وَلَا عَلَى خَلٍ. وَصَانَعِ النَّيْدُ إِذَا لَمْ يَحْسَنْ عَمَلَهُ تَحُولَ عَصِيرِ عَنَبِهِ إِلَى خَلٍ لَا
خَمْرَ... وَالْخَلُّ أَقْلُ سَعَرًا بِكَثِيرٍ

وَإِنْ تُلْهِبِ الشُّكْوَى قَوَائِي حُرْقَةً وَغِيظاً فَإِنِّي قَادِحٌ كَبِيداً حَرَى
وَلَوْ حُمَّ لِي أَنْ أَخْكُمَ النَّاسَ سَاعَةً وَأَنْ أَتَوَلَّى فِيهِمُ النَّهْيَ وَالْأَمْرَا..
حم: قُضِيَ. كُلُّ وَاحِدٍ فِينَا يَعْلَمُ أَنْ يَتَحَكَّمَ فِي رِقَابِ النَّاسِ وَلَوْ سَاعَةً مِنَ الزَّمَنِ لِيرْفَعَ رَايَةُ
الْعَدْلِ.. هَكَذَا نَظَنُ كُلَّنَا. وَلَكِنَّ الْإِنْسَانَ غَشُومٌ. فَلَوْ جَاءَتْهُ سَاعَةٌ كَهَذِهِ السَّاعَةِ لَمَا صَنَعَ إِلَّا مَا
يَصْنَعُهُ كُلُّ طَاغِيَةٍ. مُحَمَّدٌ مَهْدِي الْجَوَاهِرِي يُرِيدُ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ أَنْ يَعَاقِبَ الْمُنَافِقِينَ الطَّعَانِينَ فِي
الظَّهْرِ

لَمَزْتُ وَجْهًا بِالْخَدِيعَةِ بِاسِمَاً وَلَا شَيْئَ تُعْرَا بِالضَّغِينَةِ مُفْتَرَاً
لاشيت: أفيت، مفترأ: مبتسماً

وَقَطَّعْتُ كَفِّي مَنْ يَمُدُّ يَمِينَهُ يُصَافِحُنِي فِي حِينٍ تَطْلُعُنِي الْيُسْرَى

١٨ النواميس المفسرة

بغداد (١٩٣١):

حُرْيَةُ الْفِكْرِ مَا زَالَتْ مُهَذَّذَةً فِي الرَّافِدِينَ بِهَمَّازٍ وَمَشَاءٍ
هَمَازٍ: مُغْتَابٍ، مَشَاءٍ: يَمْشِي بَيْنَ النَّاسِ نَاقِلًا أَقْوَالَ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ إِفْسَادًا، وَتَمَامِ الْعِبَارَةِ الْقِرَائِيَّةِ:
مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ

وَبِالنَّوَامِيسِ مَا كَانَتْ مُفَسَّرَةً إِلَّا لِصَالِحِ هَيْئَاتٍ وَأَسْمَاءٍ
النَّوَامِيسِ: الْقَوَانِينُ، مَا كَانَتْ: لَمْ تَكُنْ. بَعْدَ سَنَيْنِ سِجْدِ الْجَوَاهِرِيِّ نَفْسَهُ مَقْرَبًا مِنْ وَزِيرِ مَعَارِفٍ،
وَسِطْلَبٍ مِنْهُ طَلَبًا وَاحِدًا: أَنْ يَجْعَلَ وَلَدَهُ يَنْجَحُ فِي إِحْدَى السَّنَوَاتِ بِالْمَدْرَسَةِ الثَّانَوِيَّةِ بَعْدَ أَنْ
أَسْقَطَتْهُ دَرَجَاتِهِ الْمَدْرَسِيَّةِ، وَكَانَ لِلْجَوَاهِرِيِّ مَا أَرَادَ. الْمَصْدَرُ: مَذَكَرَاتُ الْجَوَاهِرِيِّ

١٩ عذبيني لو سمحت

بغداد (١٩٣٢):

لَا تَشِخِّحِي وَلَا تَجُودِي، وَلَكِنْ أَتُرْكِينِي مَا بَيْنَ جَزْرِ وَمَدٍّ
ثُمَّ قُولِي هَاكَ الَّذِي تَبْتَغِيهِ ثُمَّ لَمَّا أَقُولُ: هَاتِيهِ، رُدِّي
لَوْحَةً مَا لَهَا التَّنْظِيرُ وَقُوفٌ أَلْ عَاشِقِ الصَّبِّ بَيْنَ أَخْذٍ وَرَدٍّ
هَذِهِ لَوْحَةٌ نَفْسِيَّةٌ لَا نَظِيرَ لَهَا: وَقُوفُ الصَّبِّ، أَيِ الْعَاشِقِ، مُحْتَارًا فِي أَمْرِ الْمَعشُوقِ

لَا لِأَجَلِي لَكِنْ لِأَجْلِ التَّلَهِّيِّ بِقَوَافِي حَرَكَاتٍ بَعْضُهَا وَجَدِي
يُرِيدُهَا أَنْ تَحْرُكَ وَجَدَهُ، أَيِ غَرَامِهِ، لَيْسَ لِأَجَلِهِ بَلْ كَيْ يَتَلَهَّى، وَيَتَسَلَّى، بِالْقَوَافِي أَيِ يَقُولُ شِعْرًا

٢٠ أسود وثمان

بغداد (١٩٣٢):

وَفَاتَتْ أَنْسَاءً قُدْرَةً فَتَمَسَّكُنُوا وَلَمْ يُخْلَقُوا أَسْدًا، فَعَاشُوا ثَمَالِبًا
إِلَى رُوحِ مَكْيَافِيلٍ نَفْحُ تَحِيَّةٍ وَصُوبُ غَمَامٍ يَتْرُكُ الْقَبْرَ عَاشِبًا
أَهْدِي نَفْحَ تَحِيَّةٍ، أَيِ تَحِيَّةٍ مَنُوحَةٍ مَنُوحَةٍ، إِلَى رُوحِ مَكْيَافِيلِي الْإِيطَالِيِّ صَاحِبِ كِتَابِ «الْأَمِيرِ»
الَّذِي وَصَفَ غُشْمَ الْقَوِي وَصَلَفَهُ وَدُمَاءَ الضَّعِيفِ وَمَكْرَهُ، وَأَعَدَّهِ دَعَاءَ بَصُوبِ غَمَامٍ، أَيِ بَمَطَرٍ،
يَجْعَلُ الْعُشْبَ يَنْبِتُ عَلَى جَنْبَاتِ الْقَبْرِ

أَبَانَ لَنَا وَجْهَ الْحَقِيقَةِ بَعْدَمَا أَقَامَ الْوَرَى سِتْرًا عَلَيْهَا وَحَاجِبًا
وَلَوْ رُمْتُ لِلْمَعُورَاتِ كَشْفًا أَرَيْتُكُمْ مِنْ النَّاسِ حَتَّى الْأَنْبِيَاءِ عَجَائِبًا

٢١ إقرار بالتفوق لشوقي

قال الجواهري ضمن رثاء أحمد شوقي، وكان رثى حافظاً قبله، بغداد (١٩٣٢):
لقد فات بالسَّبقِ كلَّ الحِيا في الشعرِ هذا الجوادُ الأغرَّ
الجواد الأغر: الفرس الذي في جبهته غرة بيضاء

كَأَنَّ عُيُونََ القوافي الحسا ن، مِن قَبْلُ كَانَتْ لَهُ تُدَخَّرُ

٢٢ تغير حُسن الجعفري

قال الجواهري وزار في سامراء أطلال «الجعفري»، قصر الخليفة المتوكل على الله:
والجَعْفَرِيُّ فلم يُقَصِّرَ رَسْمُهُ الـ باقِي بِرَغَمِ الدهرِ عن تمثيلِهِ
الجعفري، قصر الخليفة العباسي جعفر المتوكل، قبل نحو ١٢٠٠ سنة، لم تقصر رسومه، أي
أطلاله، في تمثيل القصر، أي إعطاء صورة عما كان عليه. . رغم مرور كل هذه السنين

بادي الشُّحوبِ، نكادُ تَقْرَأُ لَوَعَةً لِنعيمِهِ المسلوبِ فوق طُلُولِهِ
وكأنما هو لم يَجِدْ عن جَعْفَرٍ بَدَلًا يُسَرُّ بِهِ، ولا عن جِيلِهِ
جعفر المتوكل الخليفة الذي بناه

ولقد شَجَّسْنِي عَبْرَةَ رَقْرَاقَةٍ حَيْرَانَةً فِي العَيْنِ عند دُخُولِهِ
إِنِّي سَأَلْتُ الدهرَ عن نَخْطِيطِهِ عن سَطْحِهِ، عن عَرَضِهِ، عن طُولِهِ
فأجَابَنِي: هَذِي الخَرْبَةُ صَدْرُهُ والْبَلَقُ الخَالِي مَجَرُّ ذُبُولِهِ
صدر القصر، واجهته، هي هذه الأطلال الخربة، ومجر ذبوله، أي بقية مرافقه، بلقع خال، أرض
قاحلة

وَسَلِ الرِّيحَ السَّافِيَاتِ فَإِنَّهَا أَذْرَى بِكُلِّ فُرُوعِهِ وَأَصُولِهِ
السافيات: التي تأتي بالتراب

وَتَعْلَمَنَّ أَنَّ الزَّمَانَ إِذَا انْتَحَى شُهَبَ السَّمَاءِ كَانَتْ مَدَاسَ خِيُولِهِ
انتحى: قصد

مَدَّتْ بَنُو العَبَّاسِ كَفَّ مُطَاوِلٍ فَمَشَى الزَّمَانُ لَهُمْ بِكَفِّ مَغُولِهِ
استطال بنو العباس ومدوا سلطانهم فوق الناس، فنكبهم الزمن بالمغول الذين أنهوا خلافتهم في
العراق

٢٣ تقصير اللغة

بغداد (١٩٣٢):

كَمْ فِي الطَّبِيعَةِ مِنْ مَعْنَى يُضَيِّعُهُ عَلَى الْقَرَّاطِيسِ نَقْصٌ فِي التَّعَابِيرِ

القراطيس: الأوراق

حَتَّى كَأَنَّ عَيُونََ الشَّعْرِ يُغْوِزُهَا وَصَفَ الدَّقَائِقِ مِنْ هَذِي التَّصَاوِيرِ

فَمَا تُلِمُ بِهَا إِلَّا مُقَارَبَةً وَلَا تُحِيطُ بِهَا إِلَّا بِتَقْدِيرِ

يتألم الشاعر، وحق له، لأن الشعر واللغة عاجزان عن أداء المعاني.. هذه أبيات يقولها رجل كان يمد يده عميقاً داخل روحه وهو يقول الشعر، ويحاول أن يمسك بأبداع سمكة ملونة.. ثم قد تخرج يده وبها سمكة شبوط

٢٤ إذا لم تكن ذئباً..

بغداد (١٩٣٣):

دَعِ الثُّبَلَ لِلْعَاجِزِ الْقُعْدِي وَمَا اسْطَعْتَ مِنْ مَغْنَمٍ فَارْزُدِي

القعد: القاعد عن القتال، الجبان

وَلَا تُخْدَعَنَّ بِقَوْلِ الضُّعَافِ مِنَ النَّاسِ إِنَّكَ عَفُ الْبِدِ

الضعاف يمدحونك لأنك نظيف اليد.. فلا تخدع بذلك، أنت فقط جبان لا يجرؤ على الوصول إلى الثمار المحرمة

سَفَاسِيفُ تَضَحَكُ مِنْ أَمْرِهَا صَرَامَةٌ ذِي الْقُسْوَةِ الْأَيْدِ

أقوال الناس هذه سفايف، أي سخافات، يضحك منها الأيّد، أي القوي

فَلَا تَعُدْ طَوْعاً لَأَمْثَالِهَا مَتَى مَا تُغَرِّزُ بِهَا تَنْقَدِ

فلا تنخدع بأقوالهم، فإنك إن تغرر بها وتنخدع أصبحت مقوداً لا حراً

إِلَيْكَ النَّصِيحَةُ مِنْ مُضْطَلِّ بِنَارِ التَّجَارِبِ مُسْتَحْصِدِ

مستحصد: مجرب ناضج

رِدِ الْعَيْشَ مُزْدَحِمَ الضُّقَّتَيْنِ مِنَ الْغِشِّ مُلْتَحِمَ الْمَوْرِدِ

رد العيش، عليك ورود العيش، وهو كالنهر المزدحمة ضفتاه بالغش وقد التحم الناس وتكاثفوا وتقاتلوا على الخيرات

وَكُنْ رَجُلَ السَّاعَةِ الْمُجْتَلِي مِنَ الْيَوْمِ مَا يُرْتَجَى فِي عَدِ

كن رجل الساعة الواقعي الذي يجتلي، أي يرى، اليوم ما يرجى حدوثه غداً.. أي أنه ذو بصيرة

إِذَا مَا مَخَضَتْ نَفُوسَ الرِّجَالِ: مِنَ الْأَقْرَبِينَ إِلَى الْأَبْعَدِ..

مخضت: محضت وفحصت بدقة

تَيَقَّنْتُ أَنَّ الَّذِي يَدْعُونُ مِنَ الْمَجْدِ لِأَنَّ لَمْ يُوَلَّدْ

المجد كما يصفونه شيء خرافي لم يوجد بعد

مُمُ النَّاسِ لَا يَفْضُلُونَ الْوُحُوشَ بِغَيْرِ التَّحَبُّلِ لِلْمَقْصِدِ

الناس يتميزون عن الوحوش فقط بأنهم ذور حيلة في الوصول إلى مقاصدهم

فَلَا تَأْتِ سَاحَةٌ هَذِي الذُّثَابِ تُنَازِلُهَا بِفَمٍ أَثَرْدِ

فم أدرد: فم سقطت أسنانه

وَمَا اسْطَغَتْ فَاقْطَعْ يَدَ الْمُعْتَدِي عَلَيْهِ، وَقَبَّلَ يَدَ الْمُعْتَدِي

كن ظالماً - ذلك أحسن من أن تكون مظلوماً - وشارك الظالمين في قطع يد الضعيف الذي اعتدى عليه، وقبّل يد المعتدي.. يا لها من نصيحة.. لكننا رأينا كثيراً من الرجال «الناجين» يرمون كل المبادئ في سلة المهملات حرصاً على أن يكونوا مع القوي، وعلى من يخدم مصالحهم. قال البريطاني بول ميسون، في كتاب له صدر عام ٢٠١٥: «في أغسطس ٢٠١٤، قضيت عشرة أيام في غزة، في مجتمع يتم تدميره تدميراً منتظماً بقصف طائرات بلا طيار، وبالقصف المدفعي، وبالقنص. قتل ١٥٠٠ مدني، ثلثهم أطفال. وفي فبراير ٢٠١٥ رأيت الكونغرس الأمريكي يصفق وافقاً خمساً وعشرين مرة للرجل الذي أعطى الأوامر بتلك الهجمات» اد بول ميسون

أَقُولُ لِنَفْسِي وَقَدْ عَرَبِدَتْ رِجَالٌ لِغَايَاتِهَا: عَرَبِدِي

وَأَنَّكَ إِنْ لَمْ تُوَاتِي الْحَيَاةَ بِنَفْسِ الْمُخَاطِرِ تُسْتَعْبَدِي

يا نفسي إذا لم تواتي الحياة، تُقبلي عليها، بنفسية المجازف فسيكون نصيبك الاستعباد

٢٥ التجارب المؤذية

بغداد (١٩٣٤):

لَمْ يَبْقَ مَنْ يَسْتَشِيرُ الشَّعْرَ نَخْوَتَهُ وَمَنْ يُحَرِّكُهُ لُطْفُ الشَّرَاكِيبِ

تعليق عمران القفيني: (يبدو أن الشعر سيخيب ظننا - ونرجو ذلك - ويبقى صامداً. في زمن الجواهري «لم يبق من يستشير الشعر نخوته»، وفي زمن المتنبي قبله بأكثر من ألف سنة كذلك تعب «بيع الشعر في سوق الكساد»، وإن قصد المتنبي شيئاً في ذلك السياق، إلا أنه كان يشكو كساد بضاعته في المحصلة)

أَعْلَى مِنَ الشَّعْرِ عِنْدَ الْقَوْمِ مَنَزَلَةٌ نَفْخُ الْبُطُونِ وَتَطْرِيزُ الْجَلَابِيبِ

أهم من الشعر عند الناس أن يأكلوا حتى الانتفاخ، وأن يلبوا الجلابيب المطرزة

قالوا: استفدت من الأيام تجرّيةً. والموت أرواح من بعض التجارب
قالوا لي إنك استفدت من مصائب الأيام تجارب، وأقول إن الموت أروح، أخف وقعاً، من بعض
التجارب التي يمر بها الإنسان

تُعْصِي الشَّدَائِدُ أَقْوَاماً بِلا أَدبٍ وَتَبْتَلِي غَيْرَ مُحْتَاجٍ لِنَأْدِيهِ

٢٦ الْجَلْب

بغداد (١٩٣٤):

أَلَا إِنَّ وَضَعَ النَّهْيِ وَالْأَمْرِ عِنْدَنَا غَرِيبٌ، وَأَهْلُ النَّهْيِ وَالْأَمْرِ أَغْرَبُ
الأمر والنهي: يقصد الحكم

تَدَاوَلَ هَذَا الْحَكَمَ نَاسٌ لَوْ أَنَّهُمْ أَرَادُوهُ طَيِّفًا فِي مَنَامٍ لَخَيَّبُوا
تداول الحكم، وتبادلته فيما بينهم، ناس غير لائقين للحكم حتى لو أنهم - في أوضاع طبيعية -
أرادوا أن يحملوا به حلاً لما استطاعوا

وإِنَّ مِنَ الْمُسْتَحْدَثِ الْحَكَمِ عَادَةٌ يَرَى فُرْصَةً مِنْهُ اقْتِدَارًا فَيَضْرِبُ
إنها لعادة عند المستحدث الحكم، الجديد عليه، أن يقتصر الفرصة فيضرب بقسوة. وفي هذا
تعريض بالملك فيصل وبمن جاء معه من سوربة وأصبح يتحكم في الناس بالعراق، ومن هؤلاء
ساطع الحصري المسؤول عن التعليم، وكان الجواهري ناقماً عليه

وَمَا جِئْتُ أَهْجُوهُ فَلَمْ يَبَقَ مَوْضِعٌ نَزِيهٌ لَهُ بِأَلْهَجٍ يُؤْتَى فَيُثْلَبُ
يثلب: يذم

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ بِالْعِرَاقِ مُؤَمَّرٌ حَرِيبٌ بِهِ، لَا الْأُمُّ مِنْهُ وَلَا الْأَبُ
مؤمّر: صاحب أمر ونهي

أَكُلُ بَغِيضٍ يُثْقَلُ الْأَرْضَ ظِلُّهُ وَنَابَاهُ، يُجَبِّي لِلْعِرَاقِ وَيُجَلِّبُ؟
أكل شخص بغیض، كرهه، ثقیل.. وحتى ظله على الأرض ثقیل، وترفضه الأرض يجبي، يؤتى
به، للعراق؟

٢٧ أَحَبَّ نَفْسَكَ

بغداد (١٩٣٤):

لَأُمِّ الْقَوَافِي الْوَيْلُ إِنْ لَمْ يَقُمْ لَهَا ضَجِيجٌ، وَلَمْ تَرْتَجَّ مِنْهَا الْمَحَافِلُ
الويل للشعر إن لم يكن مؤثراً

أَرَى الْقَوْمَ مَنْ يَفْذَعُ يُقَرَّبُ إِلَيْهِمْ وَمَنْ يَجْتَنِبُ يَكْثُرُ عَلَيْهِ التَّحَامُلُ

الشاعر المقذع، الشَّام، يصيح موقباً لتفادي ضرره، ومن يجتنب الشتم يتحاملون عليه

وَأَعْلَمُ عِلْماً يَقْطَعُ الظَّنَّ أَنَّهُ لِكُلِّ امْرِئٍ فِي كُلِّ شَيْءٍ عَوَازِلُ

أعرف يقيناً أن الإنسان يجد من يعذله، يلومه، على كل شيء يأتي به. تسويد عمران القفيني

فَمَا اسْتَطَعْتُ فَاجْعَلْ دَابَّ نَفْسِكَ خَيْرَهَا وَلَا تُذْخِلَنَّ النَّاسَ فِيمَا تُحَاوُلُ

فَمَا الْحُرُّ إِلَّا مَنْ يُسَاوِرُ عَقْلَهُ وَأَمُّ الَّذِي يَسْتَنْصِحُ الْغَيْرَ شَاكِلُ

نَصِيحُكَ إِمَّا خَائِفٌ أَوْ مُعَرَّرٌ كَلَا الرَّجُلَيْنِ فِي الْمُلَمَّاتِ خَاذِلُ

الذي تطلب نصيحته إما خائف فلا بمحضك النصيح، أو مغرر، مضل، وكلاهما يخذلك في الملمات، الصعاب الطارة

٢٨ الحكم بالترقيع

بغداد (١٩٣٤):

هُوَ الْحُكْمُ، إِنْ حَقَّقْتَ، لُعْبَةً لَاعِبٍ يُسْمُونُ تَرْقِيعَاتِهِ بِالتَّجَارِبِ

الحكم مجرد ترقيع وإرضاء فلان على حساب فلان، ويسمون هذا الترقيع «التجارب». «هو» في أول البيت ضمير شأن كـ «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» وقد أُولع به شعراء العراق

فَتَجَرِبَةُ لِلْحُكْمِ خَلْقُ مُوْظِفٍ وَتَجَرِبَةُ لِلشَّعْبِ تَخْرِيجُ نَائِبٍ

فمن هذه «التجارب» خلق وظيفة لموظف، ومنها انتخاب الشعب لنائب

وَأَنَّ بِلَاداً بِالتَّجَارِبِ هُدِمَتْ وَضُيِّعَ أَهْلُهَا لِأَحَدِي الْعَجَائِبِ

تُعْطَلُ أَرْبَابُ الْمَوَاهِبِ رَيْثَمَا يُتَمَّمُ تَخْرِيجُ الضُّعَافِ الْمَوَاهِبِ

يتم تعطيل أصحاب المواهب بحجة منح فرصة للصف الثاني... والنتيجة تخريج، وتعيين، غير الموهوبين. ومن ذلك تعيين الجواهري، وهو الشاعر الفصح، مدرساً في مدرسة ابتدائية، وحجب المناصب اللاتقة به عنه

مِنَ الظُّلَمِ أَنْ تَأْتِيَ قَصِيدَةُ شَاعِرٍ لِيُصْلِحَ حَالاً، أَوْ مَقَالَةُ كَاتِبٍ

فَمَا دَامَ حُكْمُ لِلتَّجَارِبِ رَاهِناً فَلَيْسَ لَنَا غَيْرُ انْتِظَارِ الْعَوَاقِبِ

ما دام الحكم في بلادنا مرهوناً للتجارب فلن تنفع فيه القصائد والمقالات، بل نجلس ونتنظر العواقب، النتائج

وَمَا خَيْرُ شَعْبٍ لَسْتُ تَعْتَرُّ بَيْنَهُ عَلَى قَارِيٍّ مِنْ كُلِّ أَلِفٍ وَكَاتِبٍ

وما خيرُ شعب: أي لا خير في شعب، أسلوب قديم

تَمْشَى يَجُرُّ الْفَقْرَ رِذْأً وَرَاءَهُ؛ وَأَتَمِّنُ بِمَضْحُوبٍ وَأَتَمِّنُ بِصَاحِبِ
مشى هذا الشعب يجر الفقر وراءه كأنه أردفه خلفه على حصان؛ وما أتمن المصحوب، هذا
الراكب، وما أتمن صاحبه الفقر

٢٩ فيضان الفرات

(١٩٣٥):

طَفَى نَضُوعٌ مِنْهُ الْحَسَنُ وَالْخَطَرُ وَفَاضَ فَالْأَرْضُ وَالْأَشْجَارُ تَنْفَمِرُ
طفى الفرات بفيضانه فتضاعف جماله وخطره معاً

وَرَاعَتِ الطَّائِرَ الظَّمآنَ هَيْبَتُهُ فَمَرَّ وَهُوَ جَبَانٌ فَوْقَهُ حَذِرُ
الطيور خافت هيبة النهر إذ فاض

هُوَ الْفَرَاتُ وَكَمْ فِي أَمْرِهِ عَجَبٌ فِي حَالَتَيْهِ، وَكَمْ فِي آيِهِ عِبَرُ
بَيْنَا هُوَ الْبَحْرُ لَا تُسْطَاعُ غَضْبَتُهُ إِذَا اسْتَشَاطَ فَلَا يُبْقِي وَلَا يَذَرُ..
بينما الفرات كالبحر لا يطيق الناس غضبه..

إِذَا بِهِ وَاهِنُ الْمَجْرَى يُعَارِضُهُ عُودٌ، وَيَمْنَعُهُ مِنْ سَيْرِهِ حَجَرُ
إذا به بعد حين واهن المجرى، ضعيف الجريان، يعترض مجراه عود فيؤثر فيه، ويعترضه حجر
فيمنع جريانه

٣٠ الكراسي الشواغر

بغداد (١٩٣٥):

تَصَفَّفَتْ أَعْمَالُ الْوَرَى فَوَجَدَتْهَا مَخَازِي غَطَّوْهَا بِشَتَّى السَّنَائِرِ
وَحُبَّبَ تَدْلِيْسٍ، وَدُمَّتْ صَرَاخَةٌ فَلَا عِشْنَ إِلَّا عَنْ طَرِيقِ التَّأْمِرِ
وَلَمْ يَبْقَ مَعْنَى لِلْمَنَاصِبِ عِنْدَنَا سِوَى أَنَّهَا مِلْكُ الْقَرِيبِ الْمُصَاهِرِ
نُسْنُ ذُبُولٍ لِّلْقَوَانِينِ يُبْتَغَى بِهَا جَلْبُ قَوْمٍ لِّلْكَرَاسِي الشَّوَاغِرِ
وَكَانَتْ طِبَاعُ لِّلْعَشَائِرِ تُرْتَجَى فَقَدْ لَوْنَتْ حَتَّى طِبَاعُ الْعَشَائِرِ
وَكَانَ لَنَا مِنْهُمْ سِلَاحٌ فَأَصْبَحُوا سِلَاحاً عَلَيْنَا بَيْنَ حِينٍ وَآخِرِ
وَلَا تَحْسَبَنَّ الشَّعْرَ سَهْلاً مَهْهُ بِهِذِي الْمَسَاوِي بَيْنَ بَادٍ وَحَاضِرِ
لا تحسب الشعر سهلاً مهه لا تحسب الشعر سهل الهبوب وسط هذه المساوي..

فَإِنَّ عَظِيمًا أَنْ يَخْلُدَ شَاعِرٌ مَخَازِي جَبَلٍ بِالقَوَافِي السَّوَائِرِ
فإن عظيمًا، فظيعًا، أن يخلد الشاعر مخازي جيله بقصائد سائرة مشهورة

سُضِّحَكَ قُرَاءَ التَّوَارِيخِ بَعْدَنَا وَنَبْدُو لَهُمْ فِيهِنَّ إِحْدَى النُّوَادِرِ
فلو قصرنا شعرنا على التنديد بالمسائى سيفضحك منا قراء التاريخ مستقبلًا، وسيتبدرون بنا

٣١ دموع يزيد

بغداد (١٩٣٥):

تَوَلَّى يَزِيدُ دَفَّةَ الْحُكْمِ فَانطَوَى عَلَى الْجَمْرِ مَنْ قَدْ كَانَ بِالْحُكْمِ أَجْدَرَا
تولى يزيد الحكم بعد أبيه معاوية فأحس الجديرون بالحكم، من نسل علي، بجمر في أحشائهم

بَنُو هَاشِمٍ رَهْطُ النَّبِيِّ وَفِيهِمْ تَرَعَّرَ هَذَا الدِّينُ عَرَسًا وَأَثْمَرَا
هؤلاء هم بنو هاشم قوم النبي الذين ترعرع فيهم الدين مغروسًا وحين أثمر وانتشر

تَرَدَّى عَلَى كُرْسِيِّ رِدَاءِ خِلَافَةٍ وَلَمْ يُلْقِ عَنْهُ بَعْدُ لِلْخَمْرِ مِثْرَا
تردى، لبس، يزيد ثوب الخلافة كارهاً له.. ذلك أنه لم يخلع عنه مئزر، أي ثوب، الخمر. وكان
يزيد صاحب شعر وخمر وسماع وصيد

وَشَقَّ عَلَيْهِ أَنْ يُصَوِّرَ نَفْسَهُ عَلَى غَيْرِ مَا قَدْ عُوِّدَتْ أَنْ تُصَوِّرَا
وشق عليه، صعب عليه، أن يصور نفسه بغير صورتها، فلم يغير عاداته

وَأَنْ يُبْتَلَى بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ مُكْرَهًا وَأَنْ يَجْمَعَ الضُّدَّيْنِ سُكْرًا وَمِنْبَرًا
وصعب عليه أن يبتلى بالأمر والنهي، أي بالحكم، وأن يجمع بين السكر واعتلاء المنبر لخطبة
الجمعة

عَلَى أَنَّهُ بِالرَّغْمِ مِنْ سَقَطَاتِهِ وَقَدْ جَاءَهُ نَعْيُ الْحُسَيْنِ تَأَثَّرَا
لكنه رغم سقطاته، عيوبه، تأثر عندما ورده خبر مقتل الحسين بن علي

أَقُولُ لِأَقْوَامٍ مَضَوْا فِي مُصَابِهِ يَسُومُونَهُ التَّحْرِيفَ حَتَّى تَغْيِرَا
أقول للشيعه الذي أخذوا يعرضون مصاب الحسين، نكبة كربلاء ومقتل الحسين، للتحريف حتى
تغيرت الرواية

دَعُوا رُوعَةَ التَّارِيخِ تَأْخُذُ مَحَلَّهَا وَلَا تُجْهِدُوا آيَاتِهِ أَنْ تُحَوِّرَا
اتركوا روعة التاريخ، ذلك الفرع الذي حدث في التاريخ، تأخذ محلها التاريخي الحقيقي، ولا
تلوا أعناق الحقائق لكي تبدلوا آيات، علامات، التاريخ

٣٢ على قبر الزهاوي

بغداد (١٩٣٦):

على رَغْمِ أَنْفِ الموتِ ذِكْرُكَ خَالِدٌ تَرْنُ بِسَمْعِ الدهرِ مِنْكَ الْقَصَائِدُ
لقد كنتَ فَخْرًا لِلْعِرَاقِ وَزِينَةً تُزَانُ نَوَادِيهِ بِهَا وَالْمَعَاهِدُ
وكنْتَ على خِضْبِ الْعِرَاقِيِّ شَاهِدًا إِذَا أُعْزَزْنَا فِي التَّبَاهِي شَوَاهِدُ
ثَوَى اليَوْمَ فِي هَذِي الْحَفِيْرَةِ عَالِمٌ بِأَسْرَارِهَا، لِلَّهِ بِالْعَقْلِ نَاشِدُ
ثوى، أقام، بهذه الحفيرة، القبر، عالم بأسرار القبر والموت، وناشد، أي ساع، لمعرفة الله بالعقل

أَقَامَ عَلَى الْعِلْمِ الصَّحِيحِ اعْتِقَادُهُ عَدُوٌّ لِأَشْبَاحِ الْخُرَافَاتِ ظَارِدُ
وكان نَفِيًّا فِكْرَةً وَعَقِيْدَةً عَزِيْزًا عَلَيْهِ أَنْ تُسِفَّ الْعَقَائِدُ

نصف: ننحط

يُؤَكِّدُ أَنَّ الدِّينَ حُبٌّ وَرَحْمَةٌ وَعَدْلٌ، وَأَنَّ اللَّهَ لَا شَكَّ وَاحِدُ
وَأَنَّ الَّذِي قَدْ سَحَّرَ الدِّينَ طَامِعًا يُتَاجَرُ بِاسْمِ اللَّهِ لِلَّهِ جَاوِدُ
جَمِيْلٌ أَعَانَ الرَّافِذِيْنَ بِثَالِثٍ مِنْ الشُّعْرِ قَنَمِيْهِ بُحُورٌ رَوَافِدُ
أعان بلاد الرافدين، نهري دجلة والفرات، رافد ثالث هو الشعر... وشعره كانت ترفده بخور من الفكر والفصاحة

٣٣ التكريم الموعود

بغداد (١٩٣٦):

حِبَانِي الْعِرَاقُ السَّمْحُ أَحْسَنَ مَا حَبَا بِهِ شَاعِرًا لِلْحَقِّ وَالْخَيْرِ دَاعِيَا
رَجَاءٌ كَمَا اسْتَمْطَرْتُ فِي الصَّيْفِ مُزْنَةً وَرِزْقًا كَمَا أُسْأِرْتُ فِي الْكَأْسِ بَاقِيَا
منحني العراق أملاً ضعيفاً، كضعف أمل من يطلب المطر من مزنة، أي غيمة، في الصيف،
ومنحني رزقاً قليلاً كأنه ما أسأرت، أي أبقيت في قعر الكأس

وَعَيْشًا إِذَا اسْتَعْرَضْتُهُ قُلْتُ عِنْدَهُ «كَفَى بِكَ دَاءٌ أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيَا»
عندما أنظر في عيشي في العراق أردد مع المتنبي قوله... يكفيك مما بك من الضيق الذي يشبه
الداء أن تعتبر الموت جيداً لأنه يشفيك

وَوَاعَدَنِي بَعْدَ الْمَمَاتِ احْتِفَاءً يُجَبِّدُ فِيهَا الْمُنْشِدُونَ الْمَرَاثِيَا
ووعدني العراق بعد مماتي باحتفاء يشد فيه الشعراء المراثي، فالمرء يكرم بعد موته لا في حياته

٣٤ الخرافات

بغداد (١٩٣٧):

وَرُبُّ رُؤُوسٍ بَرَزَتْ عَشَّشَتْ بِهَا خُرَافَاتُ جَهْلٍ فَاشْتَكَيْنَ صُدَاعَا
برزة: مشهورة

وساوسُ لو حَقَّقَتْهَا لَوَجَدَتْهَا مِنْ الْمَهْدِ كَانَتْ أَذْذِيًا وَضِيبَاعَا
أصل هذه الوساس والخرافات التي يؤمنون بها تخويف الطفل بالذئب والضيع وهو صغير
بها نَوَمْنَا الْأُمَّهَاتُ تَحْوَفَا وَمَا أَيْقَظْنَا الْحَادِثَاتُ تِبَاعَا
وإنَّ شَبَابًا يَرْقُبُ الْمَوْتَ جَانِعَا مَتَى اسْتَطَاعَ عَنْ حَوْضِ الْبِلَادِ دِفَاعَا؟
الجائع لن يستطيع الدفاع عن الوطن

يَرَى فِي الصَّنَاعَاتِ احْتِقَارًا، وَيَزْدَهِي إِذَا طَمَنَانَ التَّوْظِيفُ مِنْهُ طَمَاعَا
يحقر الشباب المهنة، ويزدهون، يفرحون، إذا طمأن التوظيف طمعهم في نيل الرزق
وَجَدْتُ جَبَانًا مَنِ وَجَدْتُ مَهَذَّبًا وَجَدْتُ جَهْلًا مَنِ وَجَدْتُ شُجَاعَا
المهذب أجده جباناً، والشجاع.. أكتشف أنه جاهل

٣٥ نِعَمُ الْخَصْمِ

في ذكرى ياسين الهاشمي رئيس الوزراء، بغداد (١٩٣٨):

سَايَرْتُ حُكْمَكَ نَاقِمًا لَمْ أُدْرِغْ حِزْبًا، وَلَمْ أَزَحَفْ بِظِلِّ زَعِيمٍ
عشت أثناء حكمك ناقماً معارضاً، ولكنني لم اتخذ حزباً دعاً لي، ولم أناصر زعيماً اتقياً ظله
حَاشَا! وَلَمْ أَهْتِفْ لِغَيْرِكَ دَاعِيَا أَوْ أَنْ أَخْصَّ سِوَاكَ بِالتَّقْدِيمِ
لم أكن داعية لغيرك، ولم أفضل غيرك عليك.. رغم معارضي لك

لَكِنْ طُمُوحٌ لَيْسَ يُرْضِي أَهْلَهُ أَنْ تَسْتَمِرَّ سِيَاسَةُ التَّرْمِيمِ
لكن، كان عندي طموح. ولا يرضى أصحاب مثل هذا الطموح بسياسة الترميم والترقيع والترميم غير الجذرية
سَايَرْتُ حُكْمَكَ نَاقِمًا، وَوَجَدْتُنِي بِإِزَاءِ شَهْمٍ فِي الْخَصَامِ حَلِيمٍ
وجدت نفسي أمام رجل حلیم وشهم مع خصومه

رَحِبٌ بِنَقْدِ خُصُومِهِ مُتَفَتِّحٌ بِالِبَشْرِ آوَنَةٌ وَبِالتَّفْهِيمِ
رحب، واسع الصدر، لنقد يوجهه الخصوم إليه، ويستميل الناس بالبشر، والبشاشة، ويفهمهم مقاصده

يُعْطِيهِمْ نِصْفًا، وَيَعْلَمُ أَنَّهُ رَجُلٌ يَسُوسُ وَلَيْسَ بِالْمَعْصُومِ
يعطيهم نصفاً، يعرفهم، وهو يدرك أنه رجل سياسة وليس نبياً معصوماً

٣٦ بكاء زوجة

في رثاء زوجته أم فرات، بغداد (١٩٣٩):

خَلَعْتُ ثَوْبَ اضْطِبَارٍ كَانَ يَسْتُرُنِي وَبَانَ كِذْبُ ادْعَائِي أَنَّنِي جَلِيدُ
تركت التظاهر بالصبر، وتبين للناس أن ادعائي بأنني جلد، صبور، ادعاء كاذب
بَكَيْتُ حَتَّى بَكَى مَنْ لَيْسَ يَعْرِفُنِي وَتُحِثُ حَتَّى حَكَانِي طَائِرٌ غَرِدُ

٣٧ الطبيعة ترقص

ألقاها في مهرجان بلبنان (١٩٣٩):

زَهْوُ حُمْرِ الْقِيَابِ فِي الْجَبَلِ الْأَخْضَرِ يَسْبِي كَزَهْرِ أَهْلِ الْقِيَابِ
إشراق القباب، الخيام، الحمر في هذه الجبال الخضراء بلبنان يسبي العقل مثل إشراق الناس هناك
وَالْكُرُومُ الْمُعَرَّشَاتُ حَبَالِي مُرْضِعَاتٍ كَرَائِمَ الْأَعْنَابِ
الكروم المعرشة، المرفوعة أغصانها فوق العرائش، حبل بالثمر... وهي ترضع من مائها عناقيد
العنب الكريمة، أي التي من النوع الأصيل الذي - كما سيأتيك - يصلح للخمر
حَانِيَاتٍ عَلَى الدَّوَالِي تَحْلِي - نَ عَنَاقِيدَ زِينَةٍ لِلْكَعَابِ
تحنو الكروم بأوراقها على الغصون الدوالي، المتدلية، والمتحلية بالعناقيد التي تصلح زينة
للکعاب، للفناء الشابة

رَافِعَاتِ الرُّؤُوسِ شُكْرًا، وَأُخْرَى سَاجِدَاتِ شُكْرًا عَلَى الْأَعْتَابِ
بعض غصون العنب رافع الرأس كأنما تشكر الله، وبعضها منبطح على الأرض ساجد شكرًا.
وَالْأَعْتَابُ تَذَكُّرُ الْمَرْءِ «بِالْعَتَابِ الْمَقْدَسَةِ» فِي النِّجْفِ بِلَدِ الشَّاعِرِ، وَفِيهَا سَجُودٌ كَثِيرٌ وَعِبَادَةٌ
سِيلَنَ فِي الْحَقْلِ مِثْلَ رُوحٍ لِحِجْسٍ وَتَمَدَّدَنَ فِيهِ كَالْأَعْصَابِ
وتصايحن: أين، أين الندامي؟ وتغامزن ثم للأكواب
تصايحت الكروم: أين الندامي ليشربوا خنري؟ وتغامزن ثم، أي هناك، للأكواب المهيأة

وَتَخَازَرْنَ وَالْمَعَاصِرَ أَبْصَا رَأً حِدَادًا مَلِيَّةً بِالسَّبَابِ
تخازرت الكروم ومعاصر الخمر، أي نظر بعضها إلى بعض بأطراف العيون... وهي نظرات غفوى
لأن المعاصر أبطأت في استقبال العنب لمصره

نظراتٍ كانتِ خطاباً بليغاً ولدى العاصرينَ فُحوى الخطابِ
أصحاب المعاصر عندهم الجواب فسرعان ما مياشرون القطف فالعصر
كيف لا تَرُقُصُ الطبيعةُ في أر ضي ثراها مُحَضَّبٌ بِالشَّرَابِ

٣٨ المهادنة

بغداد (١٩٤٠):

أنا اليومَ إذ صَانَعْتُ أحسنَ حالَةً وأُحدِثُةً مِنِّي كَغَيرِ مُصَانِعِ
اليومَ إذ صَانَعْتُ، دَارِثُ وتنازلتُ، أحسنَ حالاً وأُحدِثُةً، سيرةً، مما كنتَ عليه قبلكَ وأنا عَينِدُ
حَبَبْتُ جُذُوءَ لا أَلْهَبَ اللُّهُ نَارَهَا إذا كانَ حَتَمًا أنْ تَقْضُضَ مَضَاجِعي
فلتَنظُفِي ولتَحْبُ جُذُوءَ، جَمرةً، عَنادي، ولا أعادَ الله اتقادها، إنْ كانتَ ستَقْضُضُ مَضَاجِعي،
ستَقْلُفُني... ومؤكد أنها ستَقْلُفُني

بلى، وشكرتُ العُمَرَ أنْ مَدَّ حَبْلَهُ إلى أنْ حَبَانِي مُهْلَةً المُتَرَاجِعِ
وشكرتُ عمري لأنه طال، فَمَنَحَنِي بِذلك مهلةً للترَاجعِ عما كنتَ عليه

تَمَنَيْتُ مَنْ قَاسَتْ عَنَاءَ مَطَامِحي تَعَوَّدُ لِنَهْنَا فِي رَحَاءِ تَوَاضِعي
تَمَنَيْتُ لو تَعَوَّدَ زَوْجَتِي المَتَوَفَاةُ أمَ فَرَاتِ، التي عَانَتْ مِن طُمُوحَاتِي، حَتَّى تَجِدَ الهَنَاءَ والرَّاحَةَ فِي
ظِلِّ تَوَاضِعِ هَذِهِ الطُمُوحَاتِ والتَّخَفُّفِ مِنْهَا

٣٩ شكر

إلى نوري الأورف لي، بغداد (١٩٤١):

كَمْ مِن يَدٍ بِيضَاءَ ضِبَقْتُ بِشُكْرِهَا ذَرَعًا، وَعَاشَتْ - لا تَضِيقُ - يَدَاكَ!
ما أَكْثَرَ الأَيَادِي البِيضِ، المَعَارِيفِ... جَمِيعَ مَعْرُوفِ، التي لَمْ أَعْرِفْ كَيْفَ أَشْكُرُكَ عَلَيْهَا فَضَفْتُ بِهَا
ذَرَعًا؛ أَدْعُو الله أنْ تَعِيشَ يَدَاكَ وَأَلَّا تَضِيقَ هَاتَانِ الْبِدَانِ

حَاشَايَ لَمْ أَذْلِفْ إِلَيْكَ تَزَلُّفًا كَلًّا، وَلَسْتُ تُرِيدُهُ حَاشَاكَ
حَاشَايَ أنْ أَكُونَ ظَلَفْتُ إِلَيْكَ، دَخَلْتُ خِلْعةً، دَخُولَ مَتَزَلِّفٍ مَتَمَلِّقٍ... وَحَاشَاكَ أنْ تُرِيدَ مِنَ المَرءِ
مِثْلَ هَذَا التَّذَلُّلِ

لِلشَّعْرِ مَنَزِلَةٌ لَدَيَّ أَجِلُّهَا وَأَجِلُّهَا - لو أَقْدِرُ - الأَقْلَامَا
لَكُنْ وَجَدْتُ الشَّعْرَ مِهْنَةً حَاجِزَ إِنْ لَمْ يَقُمْ صَنِي بِشُكْرِ نَدَاكَ
نَدَاكَ: سَخَاوُكُ

٤٠ المتشاغل

لبنان (١٩٤٢):

عَجَّ الرصيفُ بأسرابِ المَها وهفا قلبي بِزُفْرَةٍ قَنَاصٍ، ولم يَصِدْ
عج، ازدحم، الرصيف بأسراب الحسان، وهفا وتطلع قلبي إليهن وزفرت زفرة صياد... لكن لم يصد
فَمِنْ مُوَافِقَةٍ وَغَدَاً، وَرَاقِبَةٍ وعداً، وأينَ التي وَفَّتْ ولم تَعِدْ؟
فواحدة منهن تعطي وعداً، وأخرى تترقب وعداً، ولكن أين التي وفّت حتى دون أن يكون هناك وعد؟
قَالُوا تَشَاغَلَ عَنْ أَهْلِ وَعَنْ وَلَدٍ فقال نَهْدَاكِ: لِمَ يَشْغَلُهُ مِنْ أَحَدٍ
سِوَى رَضِيْعَتِي لِبَإٍ تَوَامٍ حُبِّسَا رَهْنِ الْغِلَالَةِ إِشْفَاقاً مِنَ الْحَسَدِ
لم يشغلني سوى النهدين، اللذين كأنهما طفلان رضيمان محبوسان في غلالة، ثوب رقيق، كأنما
للاستار من عيون الحساد

٤١ السوفييت

قال الجواهري في معركة ستالينغراد التي صدّ فيها السوفييت الألمان، بغداد (١٩٤٣):

أُمُّ غُورَكِي لَيْتَ عِنْدِي وَخِيَهُ لِأَوْفِي يَنْتَكِ الْيَوْمَ النَّشَاءُ
يخاطب الأم بطلّة رواية «الأم» لمكسيم غوركي الروائي الروسي، ثم السوفيتي: ليت عندي إلهام
غوركي لكي أوفي بنتك، المرأة الروسية المحاربة ضد الغزو الألماني، ما تستحقه من ثناء
لَوْ يَعُودُ الْيَوْمَ حَيّاً لَرَأَى مِثْلَهَا أَلْفَا تَهْزُّ الْبُلْغَاءُ
لو عاد غوركي للحياة ل رأى ألفت امرأة مثلك تهز مشاعر البلغاء
بَلْ وَلَوْ أَنَّ غُورَكِي أُمُّهُ مِثْلُ هَٰذِي لَمْ يَبْزُ النَّبْغَاءُ
ولولا أن أم غوركي نفسه كانت مثل الأم التي كتب عنها لما بَرَّ البلغاء، تفوق عليهم
يَا تُولُسْتَوِي، وَلَمْ تَذْهَبْ سُدَى ثَوْرَةُ الْفِكْرِ، وَلَا طَارَتْ هَبَاءُ
يخاطب روح الأديب الروسي تولستوي، الذي مات سنة ١٩١٠: لم تذهب سدى الثورة الفكرية
التي انبثقت عنك

يَا فَرِيّاً وَهَبَ النَّاسَ الشَّرَاءَ قُمْ تَرَ النَّاسَ جَمِيعاً أَثْرِيَاءَ
يا تولستوي، أيها الثري الذي وهب ثروته للفلاحين، قم من قبرك لترى كيف أصبح الناس كلهم
أثرياء في ظل الحكم الشيوعي. (قد خاطب تولستوي وهو في قبره الشاعر حافظ إبراهيم في قصيدة
له رقم ٣٩ في هذا الكتاب ضمن الفصل عن حافظ، وخاطبه في قبره أحمد شوقي في القصيدة
رقم ١٣٤ هنا أيضاً)

فَمَ تَجِدُهُمْ مَالِكِي عَلَيَّهِمْ مِنْ عَلَى عَهْدِكَ كَانُوا أَجْرَاءَ
هَكَذَا الْفِكْرَةُ تَزْكُو ثَمَرًا إِنْ زَكَّتْ عَرَسًا وَإِنْ طَابَتْ ثَمَاءُ

٤٢ الطحالب

بغداد (١٩٤٤):

أُمِّمْ تَجِدُهُ، وَنَلَمَبُ وَيُعَذِّبُونَ وَنَطْرَبُ

الأم الأخرى تلقى العذاب بالجهد والعمل وخوض الحروب. . ونحن نظرب، والقصيدة من بنات الحرب العالمية الثانية

وَنَمِيشُنْ نَحْنُ كَمَا بَعِبَ شُنْ عَلَى الضُّفَافِ الطُّحُلُبُ
مَنْطَفُؤْلِينَ عَلَى الْوَجُو دِ نَعْمُومُ فِيهِ وَنَرُسُبُ
نُوحِي التَّطْيِيرَ كَالْفُرَا بِ إِلَى النُّفُوسِ وَنَنْمَبُ

التطير: التشاؤم، النعيب: صوت الغراب

وَنَبُتُّ رُعْبًا فِي الصَّفُو فِي بِمَا نَدُسُّ وَنَكْذِبُ
نَدْعُو إِلَى الْمُسْتَعْمِرِ نَ، لِسَوْطِهِمْ نَتَجَنَّبُ

ندعو لمهادنة المستعمرين كي نتجنب سياطهم. وكان رشيد عالي الكيلاني في العراق انقلب على الحكم في أوائل الأربعينات، ولكن الإنجليز خلال الحرب العالمية الثانية قمعوا انقلابه، وتعاون عدد من الساسة في العراق مع الإنجليز لتجنب بطشهم وللانتفاع بالتقرب منهم

نَهْوَى تَقَرُّبَهُمْ وَفِي هِ حَتَفْنَا يَتَقَرَّبُ
إِنْ الْعِرَاقَ بِمَا نَحْشُ دُ ضِدَّهُ وَنُؤَلِّبُ

نؤلب: نحشد الرأي المعادي

بَيْتٌ عَلَى يَدِ أَهْلِهِ مِمَّا جَنَوْا يَسْتَحَرَّبُ
إِنَّ الْحَيَاةَ سَرِيعَةً وَجَرِيئَةً لَا تُغْلَبُ
وَتَدُوسُ مَنْ لَا يَسْتَنْطِيبُ عِ لِحَاقِهَا وَتُؤَدَّبُ

٤٣ المغامر المجاهر

قالها للرصافي وأجاب عنها الرصافي بقصيدة مطلعها: بَكَ الْيَوْمَ لَا يَبِي أَصْبَحَ الشَّعْرُ
زاهراً/ وقد كنتُ قَبْلَ الْيَوْمِ مِثْلَكَ شاعراً بغداد (١٩٤٤):

تَمَرَّسْتُ بِالْأُولَى فَكُنْتُ الْمَغَامِرَا وَفَكَّرْتُ بِالْأُخْرَى فَكُنْتُ الْمَجَاهِرَا

الأولى: الدنيا، الأخرى: الآخرة

وَفَضَّلْتَ عَيْشاً بَيْنَ نِلْكَ وَهَذِهِ بِكَ كُنْتُ - بَلْ لَوْلَا - مَا كُنْتُ شَاعِراً

فضلت أن تعيش بين المغامرة في الحياة وبين المجاهرة برأيك في شأن الآخرة.. وبهذا كنت شاعراً ولولا تمسكك بالأمرين: المغامرة والمجاهرة لما كنت شاعراً

وَكُنْتُ جَرِيئاً حِينَ يَدْعُوكَ خَاطِرٌ مِنَ الْفِكْرِ أَنْ تَدْعُو إِلَيْكَ الْمَخَاطِرُ

كنت جريئاً حين يدعوك خاطر من خواطر الفكر لذا كأنك كنت تدعو المخاطر لتلم بك

عَلَى ثِقَةٍ أَنْ لَسْتُ فِي النَّاسِ وَاحِداً عَلَى مِثْلِهِ - إِلَّا الْقَلِيلَ - مُنَاصِرَا

وكنث واقفاً أنك لن تجد مناصراً على مثله، على مثل ذلك الخاطر الفكري، إلا قليلين

وَكُنْتُ صَرِيحاً فِي حَيَاتِكَ كُلِّهَا وَكَانَ - وَمَا زَالَ - الْمُصَارِحُ نَادِراً

فإن شأبها ما لم تجذ عنه نذخة شَفَعَتْ بِهِ حُكْمَ الظُّرُوفِ مُسَايِراً

إن شاب الحياة ضرورة لم تجد نذخة عنها، مخرجاً منها، فإنك تسير الناس بحكم الظروف، وليس لأنك تخلت عن فكرك.. وهكذا كان الرصافي.. يهادن قليلاً ثم يعود ويطلق أفكاره الجريئة

فَقَدْ كُنْتُ عَنْ وَحْيِ الضَّرُورَةِ نَاطِقاً وَقَدْ كُنْتُ عَنْ مُحَضِّ الطَّبِيعَةِ صَادِراً

وَأَنِّي إِذْ أَهْدِي إِلَيْكَ تَحِيَّاتِي أَهْرُ بِكَ الْجِيلَ الْعَقُوقَ الْمُعَاصِرَا

أَهْرُ بِكَ الْجِيلَ الَّذِي لَا تَهْرُهُ نَوَاسِئُهُ، حَتَّى تَزُورَ الْمَقَابِرَا

هذا الجيل العاق لا تهز وجدانه أفكار ومعاناة النوايع إلا بعد موتهم.. ومات الرصافي بعد القصيدة بسنة على سرير معدني من الذي لا يكلف سوى دينار، بحسب تقدير الجواهري الذي زاره في آخر أيامه، وبعد موته نصبوا له تمثالاً معدنياً أيضاً ولكنه كلف آلاف الدنانير

٤٤ قف بالمعرة

ألقاها في دمشق في الاحتفالات بألفية أبي العلاء الممرى (١٩٤٤):

قَفْ بِالْمَعْرَةِ وَامْسَحْ خَدَّهَا التَّرْبَا وَاسْتَوْحِ مَنْ طَوَّقَ الدُّنْيَا بِمَا وَهَبَا

قف بالمعرة، بلد أبي العلاء، وامسح بكفك خدّها المغبر، واستوح، استنزل الوحي والإلهام، من شاعرها الذي طوق عنق الدنيا بطوق ممثل في فكره وأدبه

وَاسْتَوْحِ مَنْ طَلَّبَ الدُّنْيَا بِحُكْمَتِهِ وَمَنْ عَلَى جُرْجِهَا مِنْ رُوحِهِ سَكَبَا

أَبَا الْعَلَاءِ، وَحَتَّى الْيَوْمِ مَا بَرَحَتْ صَنَاجِعُ الشَّعْرِ تُهْدِي الْمُتَرْفَ الطَّرْبَا

يا أبا العلاء ما زالت صناجة الشعر، صاجاته الإبداعية الرنانة، كمهدداً تطرب المترف، الغني. أي أن الشعر ما زال مجرد تسلية للأغنياء الممدوحين

يَسْتَنْزِلُ الْفِكْرَ مِنْ عُليَا مَنَازِلِهِ رَأْسٌ لِيَمْسَحَ مِنْ ذِي نِعْمَةٍ ذَنْبَا
تري رأس الشاعر، أي ذهنه، ينزل بالفكر من مراتبه العليا لكي يمسح ذيل ذي النعمة، الغني،
فيمدحه تملقاً

وَزُمْرَةُ الْأَدَبِ الْكَابِي بِزُمَرَتِهِ تَفَرَّقَتْ فِي ضَلَالَاتِ الْهُوَى عُصْبَا
وزمرة الأدب الكابي بزمرته، الخامد بسبب هذه الزمرة، تفرقوا عصباً، جماعات شتى، وكلهم
منشغلون بضلالات أهوائهم، مصالحهم

تَصَيَّدُ الْجَاءَ وَالْأَلْقَابَ نَاسِيَةً بِأَنَّ فِي فِكْرَةٍ قُدْسِيَّةٍ لَقْبَا
هذه الزمرة تصيد، أي تصيد، الجاء والألقاب ناسية أن الفكر بما فيه من قدسية هو خير لقب

وَأَنَّ لِلْعَبْقَرِيِّ الْفَذُّ وَاحِدَةٌ إِمَّا الْخُلُودَ وَإِمَّا الْمَالَ وَالنَّشْبَا
وناسية أن العبقرى الفذ، المفرد، له احتمال واحد من اثنين: الخلود أو نيل النشب، المال

على الحَصِيرِ، وَكُوِزُ الْمَاءِ يَرْفُدُهُ وَذُهُنُهُ، وَرُفُوفٌ تَحْمِلُ الْكُتُبَا .
وهو جالس على حصير وليس لديه سوى كوز ماء وذهن وقاد، وحوله رفوف عليها الكتب . .

أَقَامَ بِالصُّجَّةِ الدُّنْيَا وَأَقْعَدَهَا شَيْخٌ أَظْلَلُ عَلَيْهَا مُشْفِقاً حَدِيَا
.. بهذه الصفة أقام الدنيا وأقعدا هذا الشيخ، المعري، الذي نظر إلى الدنيا نظرة إشفاق
وحذب، حنان، لما يلاقيه أهلها من عناء

لَمْ يَنْسَ أَنْ تَشْمَلَ الْأَنْعَامَ رَحْمَتُهُ وَلَا الطُّيُورَ وَلَا أَفْرَاحَهَا الرُّغْبَا
لم ينس المعري أن تشمل رحمته المواشي والطيور وأفراحها الرغب، التي ما نبت من ريشها إلا
الضعيف . . وكان المعري نباتياً جارفاً

حَنَا عَلَى كُلِّ مَغْصُوبٍ فَضَمَدَهُ وَشَجَّ مَنْ كَانَ، أَيَّأَ كَانَ، مُغْتَصِبَا
كان يحنو على كل مظلوم فيضمد جرحه، وكان يشج، يجرح، المغتصبين أياً كانوا بقنده لهم

سَلِ الْمَقَادِيرَ، هَلْ مَا زِلْتَ سَادِرَةً أَمْ أَنْتِ حَاجِلِي لِمَا أَرَهَقْتِهِ نَصْبَا؟
اسأل الأقدار هل ما زلت سادرة، لامبالية، أم أنت تشعرين بالخجل لكثرة ما أرهقت المعري
نصباً، ما حمّلك من العناء؟

تَعَوَّا عَلَيْكَ، وَأَنْتِ النَّوْرُ، فَلَسَفَةً سَوْدَاءَ لَا لَذَّةَ تَبْغِي وَلَا طَرَبَا
نددوا بفلسفتك لأنها سوداء لا فيها لذة ولا طرب . . لكنك كنت مستتيراً

لَا أَكْذِبَنَّكَ إِنَّ الْحُبَّ مَتَّهُمْ بِالْجَوْرِ يَأْخُذُ مَنَّا فَوْقَ مَا وَهَبَا
الحب والعشق منهم بالجور، بالظلم، فهو يعطينا قليلاً من المتعة، ويأخذ منا الكثير من راحة اليال

عَانَى لَطَى الْحُبِّ بَشَارٌ وَعُضْبَةٌ فهل يسوى أنَّهُمْ كَانُوا لَهُ حَظًّا

فبشار بن برد وصحبه ذاقوا عذاب الحب، وكانوا حظاً لئاره

هل كنت تَحُلْدُ إِذْ ذَابُوا وَإِذْ غَبَرُوا لو لم تُرَضْ مِنْ جِمَاحِ النَّفْسِ مَا صَعِبَا

فبينما أولئك الشعراء قد ذابوا وغبروا، مضوا وانتهت سيرتهم، لكنك باقي خالد لأنك رضت جراح النفس، ورضت نفسك المنفلتة وضبطت شهواتك

تَأْبَى انْجِلَالاً رِسَالَاتٍ مُقَدَّسَةً جاءتْ تَقْوَمُ هَذَا الْعَالَمَ الْخَرِيبَا

أَجَلَّلْتُ فَبِكَ مِنَ الْعِمَزَاتِ خَالِدَةً: حُرِيَّةَ الْفِكْرِ، وَالْجِرْمَانِ، وَالْعُضْبَا

لِثَوْرَةِ الْفِكْرِ تَارِيخٌ يُحَدِّثُنَا بِأَنَّ أَلْفَ مَسِيحٍ دُونَهَا صُلْبَا

تاريخ ثورة الفكر يقول إن ألف مفكر صلب كال المسيح دونها، أي حماية لثورة الفكر

٤٥ ترحيب بطه حسين

وعد طه حسين بزيارة العراق، دمشق (١٩٤٤):

أُنْبِئِكَ أَنَّ الرَّافِدِيَّيْنَ تَطَلَّعَتْ ضِيْفَاؤُهُمَا وَاسْتَهْضَ الشَّجَرُ الزَّرْعَا

تطلعت ضفاف النهرين اللذين يرفدان العراق إلى مقدمك وأخذ الشجر يطلب من الزرع أن ينهض لاستقبالك

نَمَى خَبْرٌ أَنَّ سَوَفَ تَسْمَى إِلَيْهِمَا فَكَادَ إِلَيْكَ النُّخْلُ مِنْ طَرَبٍ يَسْمَى

وصل خبر أنك ستأتي فكاد النخل يمشي لاستقبالك. مجنون طه حسين! سمع بيتين كهذين في الترحيب به ثم لا يزور العراق. من يُقَلْ فيه بيتان كهذين يأت إلى العراق زحفاً على ركبتيه وراحته. قد ألقى الجواهري القصيدة في دمشق، في خضم احتفال بذكرى المعري، ورد طه رداً جميلاً قائلاً إنه ينتظر أن تنهى الأسباب. وطه حسين الذي كان في ذلك المهرجان مثل أم العروس متصدراً الندوات ويلقي خطباً كأنها مكتوبة لرئيس دولة - نقل ذلك كله لنا كتاب صدر عن مجمع دمشق - كان «البطأ»، والأليط في لغة أهل مصر: المتكبر تكبراً أنيقاً، العارف قدر نفسه، التارك بينه وبين الآخرين مسافة محسوبة بالستمتتر. لكن طه أحب الجواهري وساعده ورفده، وكان طه حسين يعرف أقدار الناس، ويذل للأدباء من جاهه، ومن مال الدولة

٤٦ يافا

(١٩٤٥):

يَافَا يَوْمَ حُطَّ بِهَا الرُّكَابُ تَمَطَّرَ عَارِضٌ وَدَجَا سَحَابُ

يوم أنزل ركابنا في يافا، أي وصلناها، أمطر عارض، غيم، ودجا سحب، أي عقد ظلمة في الجو

وَقَفْتُ مُوزَّعَ النِّظَرَاتِ فِيهَا لِيَطْرُفِي فِي مَغَانِيهَا انْسِيَابُ
وَمَوْجُ الْبَحْرِ يَغْسِلُ أَخْمَصِيهَا وَيَالْأَنْوَاءُ تَغْتَسِلُ الْقِيَابُ
الأنواء: الأمطار

وَبَيَّارَاتُهَا ضَرَبَتْ نِطَاقاً يُحْطِطُهَا، كَمَا رُسِمَ الْكِتَابُ
اليارات: ساتين البرتقال، وكانت تحيط بيافا وتخطط لها حدودها، كما تكون الكتابة في صفحة الكتاب، أي المصنف، محاطة بإطار

أَقْلَنْتَنِي مِنَ الزَّوْرَاءِ رِيحٌ إِلَى يَافَا وَحَلَّقَ بِي عُقَابُ
حملتني من الزوراء، لقب بغداد، ريح، وحلق بي عقاب، العقاب من الكواسر. سافر الجواهري إلى فلسطين بالطائرة (أول مرة يفعلها، ثم إن شاعرنا وقع في حب السفر جواً) . . . وحط في مطار اللد القريب من يافا

رَكِبْنَاهُ لِيُبَلِّغَنَا سَحَاباً فَجَاوَزَهُ لِيَبْلُغَنَا السَّحَابُ
ركبنا هذا العقاب، الطائرة، ليلعب بنا السحاب، فتجاوز السحاب علواً فصار السحاب هو الذي يريد أن يصعد إلينا

أَحَقّاً بَيْنَنَا اخْتَلَفَتْ حُدُودُ؟ وَمَا اخْتَلَفَ الطَّرِيقُ وَلَا الثَّرَابُ
وَلَا افْتَرَقَتْ وُجُوهٌ عَنْ وُجُوهٍ وَلَا الضَّادُ الْفَصِيحُ وَلَا الْكِتَابُ
لَسِنَ حُمِّ الْوَدَاعِ فَضِيقْتُ ذِرْعاً بِهِ، وَاشْتَفَّ مُهْجَتِي الذَّهَابُ
حم: أزعج وحان وقضي، اشتف مهجتي: برى قلبي برياً

فَمِنْ أَهْلِي إِلَى أَهْلِي رُجُوعٌ وَعَنْ وَطَنِي إِلَى وَطَنِي إِيَابُ
وقال الجواهري من بعد: ليتني ما كنت رأيت فلسطين كي لا أتحسر على ضياعها

٤٧ تقحمت صدري

في ذكرى الحسين، بغداد (١٩٤٧):

تَقَحَّمْتُ صَدْرِي وَرَيْبُ الشُّكُوكِ بِضَيْحِ جُدْرَانِهِ الْأَزْجَعِ
يخاطب الحسين: دخلت في قلبي بقوة رغم أن قلبي ملوء بالشكوك في أمر الدين
وَقَدَسْتُ ذِكْرَكَ لَمْ أَنْحِلْ نِيبَابَ الثُّقَاةِ وَلَمْ أَدْعِ
وقدست ذكرك، لكن دون أن ألبس لبوس الأتقياء ودون ادعاء بأنني متدين

٤٨ جراح الشهيد

القاما في حفل بعد سبعة أيام من مقتل أخيه الأصغر جعفر، بغداد (١٩٤٨):

أَتَفَلَّمُ أَمْ أَنْتَ لَا تَفَلَّمُ بِأَنَّ جِرَاحَ الضَّحَايَا قَمْ؟

يَصِيحُ عَلَى الْمُذْقِعِينَ الْجِياع أَرِيْقُوا دِمَاءَكُمْ تُطْعَمُوا

هذا القم يصيح على المدقعين، الفقراء، طالباً منهم أن يثوروا لكي ينالوا رزقهم وحقهم

وَيَهْتَفُ بِالنَّفَرِ الْمُهْطِعِينَ أَهْيُونَا لِشَامِكُمْ تُكْرَمُوا

المهطعين: الخائعين

أَتَفَلَّمُ أَنَّ جِرَاحَ الشَّهِيدِ تَظَلُّ عَنِ النَّارِ تَسْتَفْهِمُ

تَمُصُّ دِمَاءَ نَمٍ تَبْغِي دِمَاءً وَتَبْقَى ثُلُوحٌ وَتَسْتَظْعِمُ

تستظعم: تطلب الطعام.. من دم العدو

فَقُلْ لِلْمُفْهِمِ عَلَى ذُلِّهِ هَجِيناً يُسَخَّرُ أَوْ يُلْجَمُ

الهجين: غير الأصل، يلجم: يوضع له لجام لكي يروض ويدل

تَقَحَّمْ، لُعِنْتَ، أَزِيرَ الرِّصَاصِ وَجَرَّبَ مِنْ الْحَظِّ مَا يُقْسَمُ

اقتحم الرصاص وجرب الحصول على ما قسمه الله لك من حظ

وَحُضَّهَا كَمَا خَاضَهَا الْأَسْبَقُونَ وَتَنْ بِمَا افْتَتَحَ الْأَقْدَمُ

تَنْ: كن ثانياً بعد آياتك الأمجاد.. أي أكمل مسيرتهم

يَقُولُونَ مَنْ هُمْ أَوْلَاءِ الرَّعَاعِ؟ فَأَفْهَمُهُمْ بِدَمٍ مَنْ هُمْ

وَأَفْهَمُهُمْ بِدَمٍ أَنَّهُمْ عَبِيدُكَ إِنْ تَدْعُهُمْ يَخْدُمُوا

أفهم المستعمرين بأنهم، بأن المستعمرين، عبيدك

وَأَنَّكَ أَشْرَفُ مِنْ خَيْرِهِمْ وَكُفُّبُكَ مِنْ خَدِّهِ أَكْرَمُ

أنت أشرف من أحسنهم، وكعبك أكرم من خد هذا الذي هو أحسنهم

أَرَى أَفْقاً يَنْجِيحُ الدِّمَاءِ تَنْوَرُ، وَاخْتَفَّتِ الْأَنْجُمُ

أرى الأفق محمراً لكن احمراره هذا من النجيع، الدم

سَتَبْقَى طَوِيلاً تُجَرُّ الدِّمَاءُ وَلَنْ يُبْرِدَ الدِّمُّ إِلَّا الدَّمَ

ستواصل الدماء جر مزيد من الدماء، ولن يبرد دم شهدائنا إلا سكب دم الأعداء

وَأَخْتِي تُنَاشِدُ عَنْكَ النُّجُومَ لَعَلَّكَ مِنْ بَيْنِهَا تَنْجُمُ

تنجم: تظهر

وَتَزْعُمُ أَنَّكَ نَأْتِي الصَّبَاحَ وَقَدْ كَذَّبَ الْقَبْرُ مَا تَزْعُمُ

تزعع أختك أنك ستأتي في الصباح، ولكن قبرك يكذب زعمها

بِمِثْلِ لَتْنِهِ تُنْفِئِي الذِّكْرِيَّاتِ عَلَيْكَ كَمَا يَنْهَشُ الْأَرْقَمُ

الأرقم: الثعبان

٤٩ ضياع فلسطين

بغداد (١٩٤٨):

فَمَا ذَهَبَتْ فِلَسْطِينَ بِسِحْرِ وَلَا كُتِبَ الْفَنَاءُ بِلا مِدَادٍ

فلسطين لم تذهب بقدرة سحرية بل بسبب عدو قوي، والفناء للشعوب والبلاد لا يكون من الطلاس بل من أسباب واضحة كأنها كتبت بالمداد، الحبر

وَلَا طَاحَ الْبِنَاءُ بِلا انْجِرَافٍ وَلَا بَنَتِ الْيَهُودُ بِلا عِمَادٍ

طاح: سقط، عماد: قوة واستمداد، وهو في الأصل عمود الخيمة

٥٠ الذوق، وقلة الذوق

بغداد (١٩٤٩):

تَعَالَيْ أَذُقْكَ فُكْلُ الثَّمَارِ تَرِفُ، وَتُوَارِهَا يُقْطَفُ

يريد أن يذوق المحبوبة! فالثمار تتمايل على غصونها ومصيرها أن تقطف لتأكلها لا أن تبقى لتفزع عليها

صِرَاعٌ يَطُولُ فَكَمْ تَهْدُفِينَ إِلَى الرُّوحِ مِنِّي وَكَمْ أَهْدُفُ..

صراع يطول بين الفتى والفتاة.. هو صراع الغزل والدلال.. والفتاة تهدف إلى امتلاك روح فتاها.. وهو يهدف إلى..

إِلَى الْجِسْمِ مِنَّا، وَكَمْ تَعْرِفِي مَنْ أَيْنَ الْمَحْزُورِ وَكَمْ أَغْرِفُ

يهدف إلى جسمها.. وهي تعرف أين المحز، المفصل، وهو يعرف.. والبارع هو الذي «يطبق المفصل» مثلما يعرف القصاب جيداً أين مكان التقاء العظمتين فيدس سكينه في المكان الصحيح. يقول إن العاشقين كليهما يعرفان طقوس هذه اللعبة جيداً

وَمَا بَيْنَ هَذَيْنِ يَمْشِي الزَّمَانُ وَيُفْنِي مُلُوكاً وَيَسْتَحْلِفُ

وبين هدف المرأة إلى امتلاك روح الرجل وتكوين أسرة، وهدف الرجل إلى المغامرة تنشأ الأجيال ويمشي الزمن ويخلد الجنس البشري

٥١ صبية الاستعمار

ألقاها في لبنان، في تأبين عبد الحميد كرامي (١٩٥٠):

بَاقٍ، وَأَعْمَارُ الطُّغَاةِ قِصَارُ، مِنْ سِفْرِ مَجْدِكَ، حَاطِرُ مَوَارٍ
سيفي ذكر عاطر موار، مترقق، من كتاب مجدك . . بينما أعمار الطغاة قصيرة، إذ لا يدوم لهم ذكر
فَإِذَا ذَكَرْتُ بِكَ الْبِلَادَ فَعَاذِرُ فَهِيَ الْحَبِيبُ لِنَفْسِكَ الْمُخْتَارُ
فإن ذكرت في تأبينك أوضاع البلاد فأنت تعذرني لأنها الحبيبة إلى نفسك
عَبْدُ الْحَمِيدِ وَمَا تَزَالُ كَعَهْدِهَا شَغْبٌ يُذَلُّ، وَأُمَةٌ تَنْهَارُ
البلاد يا عبد الحميد على حالها

تَنْهَى وَتَأْمُرُ مَا تَشَاءُ عِصَابَةٌ يَنْهَى وَيَأْمُرُ فَوْقَهَا اسْتِعْمَارُ
وقيل إن القصيدة سببت للشاعر مشكلة مع السلطات اللبنانية، فمنع من دخول لبنان مدة من الزمن،
وأزال المنع ابن المؤين «رشيد كرامي» عندما صار رئيس وزراء

٥٢ نامي

(١٩٥٠):

نَامِي جِياعِ الشَّعْبِ نَامِي حَرَسَتْكَ إِلَهَةُ الطَّعَامِ
نَامِي فَإِنْ لَمْ تَحْشَبْ مَعِي مِنْ يَفْقَظَةٍ فَمِنْ الْمَنَامِ
نَامِي عَلَى زَيْدِ الْوَعْدِ دُيْدَافُ فِي عَسَلِ الْكَلَامِ
نامي يا جموع الشعب على زبد الوعود، والزبد الرغبة، يداف، يخلط، بالكلام المعسول من
الحاكمين بقرب تحقق الرخاء

نَامِي تَزُرُّكَ عَرَائِسُ الـ أَحْلَامٍ فِي جُنْحِ الظَّلَامِ
تَسَنُّوْرِي قُرْصَ الرُّغْبِ فِي كَدُورَةِ الْبَدْرِ الْمَتَّامِ
نامي حتى تتوري، تشاهدي، الرغيف كأنه البدر

وَتَسَرِّي زَرَائِبِكَ الْفَسَا حَ مُبَلَّطَاتٍ بِالرُّخَامِ
في الأحلام ترى الشعوب بيوتها - التي هي كالزرائب، بيوت الماشية - قصوراً مبلطة بالرخام
نَامِي تَصِحِّي، نَعْمَ نَوُ مُ الْمَرءِ فِي الْكُرْبِ الْجِسَامِ
نَامِي إِلَى يَوْمِ النُّشُورِ وَ يَوْمَ يُؤْذَنُ بِالْقِيَامِ
النشور: البعث من القبور

نامي وسير في منا بك ما استطعت إلى الامام
 نامي على تلك العظا ت العر من ذاك الامام
 نامي يساقط رزقك الـ موعود فوقك بانتظام
 نامي فما الدنيا سوى جنس على نكد مقام
 نامي على المجيد القديـ م وفوق كرم من عظام
 النائم على كرم عظام هو المفتخر بعظام أجداده، هو «العظامي» في مقابل «العصامي» المفتخر بما أنجز بنفسه

٥٣ العواء

بغداد (١٩٥٣):

عدا علي كما يستكلب الذئب خلق ببغداد أنماطاً أعاجيب

عدا علي: ظلمني، استكلب: توحش

يسمعون كلباً عوى خلفي وفوقهم ضوء من القمر المنبجج مسكوب

يشير إلى المثل: كلب ينجح القمر، لمن يشتمك ولا يستطيع أن يؤذيك

وقبل ألف عوى ألف فما انتقصت أبا محسد بالشتم الأعاريب

قبل ألف عام عوى ألف كلب على أبي محسد، المتنبئ، ولم يتقص ذلك شيئاً من مجده

٥٤ انتظار الفرج

بغداد (١٩٥٥):

كُنَّا نقول إذا ما فاتنا سحر لا بُدَّ من سحر ثانٍ يواتينا

السحر: قيل الشروق، يواتينا: يتاح لنا

لا بُدَّ من مطلعٍ للشمس يفرحنا ومن أصيلٍ على مهلٍ يُحَيِّينا

واليوم نرقب في أسحارنا أجلاً نقوم من بعده عجلي نواعينا

٥٥ صنائع الاستعمار

ألقيت بدمشق في ذكرى عدنان المالكي، الضابط الذي اغتيل بتدبير نوري السعيد كما قيل، وأراد الشاعر إغائة حكام العراق بقصيدته، ومنح بعد القصيدة اللجوء السياسي في الشام (١٩٥٦):

واهزأة الأحلاف بين مسخر ومسخرين، وسيد وإماء

يا للسخرة لحلف يقوم بين السيد والعبد، وبين المستعير والقوم الذين تحت استعمار

يا مَنْ رَأَى جِلْفاً عَجِيباً أَمْرُهُ بَيْنَ الثَّرَى وَكَوَاكِبِ الْجَوَازِ
دَوَّى عَلَى الْمُسْتَعْمِرِينَ صَوَاعِقاً وَغَيَّ الشُّعُوبِ وَيَفْظَةُ الدُّهْمَاءِ
الدُّهْمَاءُ: عامة الناس.. ويستعملها الجواهري بالمعنى الإيجابي خلافاً للمألوف

وَتَكَشَّفُوا غُرِيّاً عَلَى أَضْوَائِهَا مِثْلَ اللُّصُوصِ بِلَيْلَةٍ قَمَرَاءِ
وَتَقَبَّحَتْ مِنْ زِمْنَةٍ فَتَعَقَّنَتْ بِصَدِيدِهَا ضَمَائِرُ الْأَجْرَاءِ
ضمائر المأجورين الذين يعملون لصالح المستعمر تقبحت من الزمنة، المرض المزمن، وتعتفت بما فيها من صديد، ملّة وفتح

فَهُمْ كَفَاجِرَةٍ تُغَطِّي جَهَنَّمَ صِدْقُ الْفُجُورِ بِكَاذِبِ الْخِيَلِ
السَّائِرُونَ الْقَهْقَرَى، لم يعرفوا بَيْنَ الْجِهَاتِ السَّتِّ غَيْرَ وَرَاءِ
وَهُمْ يَزُمُونَ الْحَقَائِبَ خَشِيَةً مِنْ فَجْأَةِ الْأَقْدَارِ كَالنُّزْلِ
يجعلون متاعهم وأموالهم في حقائب لكي يفروا من البلد إن فاجأتهم الثورة. وكان الوصي عبد الإله ونوري السعيد قد فرا فراراً من العراق في خضم حركة رشيد عالي الكيلاني قبل القصيدة بخمس عشرة سنة

٥٦ البساتيل

دمشق (١٩٥٦):

جَزَائِرُ! دَارَتْ بِمُسْتَعْمِرٍ رَحَى مَنْ يُضَرَّسُ بِهَا يَهْلَعُ
أيتها الجزائر لقد دارت على المستعمر الرحى، الطاحون، التي تجعل من يضرس بها، يبلع، يشتر بالهلع

مَشَتْ لَكَ بَارِيسُ أُمُّ الْحَقْوِ فِي وَخْشٍ يَدِبُ عَلَى أَرْبَعِ
تَهْدَمُ بِسُنَيْلٍ فِي مَوْضِعٍ وَتَبْنِي بِسَاتِيلٍ فِي مَوْضِعِ
هدمت فرنسا البساتيل، رمز سطوة الملكية، بباريس؛ وتنت بساتيل في مستعمراتها لاضطهاد الشعوب

٥٧ بردى والنيل

في ذكرى عدنان المالكي، دمشق (١٩٥٧):

هُنَا بِجِلْقٍ عَمَلَقٌ عَلَى بَرْدَى وَثُمَّ فِي مِصْرَ يَحْمِي النَّيْلَ جَبَّارُ
هنا في الشام وعلى ضفاف بردى يقف عملاق هو الجيش السوري الذي كان من بناته عدنان المالكي صاحب الذكرى وثم، أي هناك، جبار يحمي النيل

اسْلَمَ جَمَالٌ لَنَا نَسْلَمَ، فَقَدْ عَرَفْتُ بِكَ الْكَرَامَةَ فِي الشَّرْقَيْنِ أَمْصَارُ
جمال عبد الناصر، وكان يتم آنذاك الإعداد لوحدة مصر وسورية التي تمت وشيكاً
وانصاعَ يَبْرِي سِيوفِ الْهِنْدِ لِأَهْبَةٍ مُهَنْدٌ يَغْرِبِي الْحَدَّ بَنَارُ
انصاع: انشغل

تَغْشَى الْمَشَاكِلُ مَنَنِهِ فَيَحْسِمُهَا لَا حَيْثُ تَطْفَى وَلَكِنْ حَيْثُ يَخْتَارُ
هذا السيف العربي الذي هو عبد الناصر تغشى المشاكل متبهاً، نحل المشاكل بجانيه، فيحسم
أمرها ليس بالضرورة في مكان وقوعها بل في المكان الذي يختاره هو
لَمْ يَعْرِفِ الدَّهْرُ مِثْلَ الْعَرَبِ مِنْ صُبْرٍ بِهِمْ عَلَى الضَّرِّ الْحَاحِ وَإِصْرَارُ
صبر: صابرون، وفيهم على الضر، أي رغم الضيق، إصرار
نَحْنُ الَّذِينَ أَعْرَنَّا الْكَوْنَ بِهَجَّتِهِ لَكِنَّمَا الدَّهْرُ إِقْبَالٌ وَإِذْبَارُ
شِدْنَا الْحَيَاةَ وَكُوفِئْنَا الْمَمَاتَ كَمَا شَادَ الْخَوْرَنَقُ كَيْ يَرْدَى سَيْمَارُ
شاد العرب حياة وحضارة عنت الآخرين وكرفثوا بهبوط وانحطاط دولتهم، فهم مثل «سمنار»
المهندس الذي بنى للنعمان قصر الخورنق ثم قتله النعمان

٥٨ الرنوع

إلى شكري القوّلي، رئيس سورية، دمشق (١٩٥٧):

أَنَا وَاللَّهِ رَاتِعٌ فِي ذَرَا لُظْ فَحْكَ مَا بِي إِلَى سِوَاكَ احْتِيَاجُ
يخاطب رئيس سورية شكري القوتلي، وكان الجواهري في ضيافة سورية. في ذرا: في كنف
غَيْرَ أَنِّي بِالْمَالِ أَضْوَى، وَإِنْ أُمُ سَمَنْ غَيْرِي، إِنَّ النُّفُوسَ مِزَاجُ
بالمال أضوى، أصبح مهزولاً، وإن كان المال يجعل غيري سميناً. وكان الجواهري يتلقى المال
من الحكومة السورية والعراقية والتشيكوسلوفاكية والمصرية ومن بعض أثرياء العراق... كل هذا في
أوقات مختلفة تلقي وتفتري... وتألفته الحكومة العراقية بعد انتفاضة تشرين بمزرعة من ثلاثة آلاف
دونم معظمها غامر، بور غير صالح للزراعة، واعتبر المنحة حقاً، لكنه سكت زمناً بعدها

٥٩ الذئب

بغداد (١٩٥٩):

مَنْ مِنْكُمْ، رَغَمَ الْحَيَاةَ وَعَبَّيْهَا لَمْ يَحْتَسِبْ لِلْمَوْتِ أَلْفَ حِسَابِ
ذُئْبٌ تَرَهَّدَنِي وَفَوْقَ نُيُوبِهِ دَمٌ إِخْوَتِي وَأَقَارِبِي وَصِحَابِي
الموت ذئب يقف لي بالمرصاد، وأنا أرى على أنيابه دم من مات من أهلي وأصحابي

٦٠ في تمجيد الحاكم

في افتتاح المستنصرية متحفاً ومزاراً (١٩٦٠):

أَعِذْ مَجْدَ بَغْدَادٍ وَمَجْدُكَ أَغْلَبُ وَجَدِّدْ لَهَا عَهْداً وَعَهْدُكَ أَطْيَبُ
تَسَرَّبَ هَمْسٌ أَنْ فَقْعاً بِقَرْقَرٍ يُعِدُّ شِرَاكاً لِلْهَزَنِيرِ وَيَنْصِبُ
الفقع الفطر، والقرقر المكان المنخفض (وقع بقرقر: أي شخص نافه)، وقد بلغني أن هذا
الشخص نصب شياكاً للأسد، والأسد هو عبد الكريم قاسم. وكان الجواهري ذا منزلة عنده... ثم
تغير الوضع في أواخر عهده

وَأَنْ الَّذِي خَلَفَ الْحُدُودَ يَمُدُّهُ كَلِصَّ يَجُوسُ الْبَيْتَ لَيْلاً وَيَهْرُبُ
المتآمرون على حكمك تُمَدُّهم بالمال جهة خارجية

أَبَا الشَّعْبِ لَا يَتَعَبُ خَوْزُونٌ مُغَايِرٌ فَخَلَقَكَ شَعْبٌ لِلْخَوْزُونِينَ مُتَعِبٌ
أبو الشعب: عبد الكريم قاسم، حاكم العراق

سَلِ الشَّعْبَ رَحْفاً تَذَرِ كَيْفَ رُحُوفُهُ وَبِذْلاً تَجِدُ أَرْوَاحَهُ كَيْفَ تُوَهَّبُ
سَتْهَوِي رُؤُوسٌ مَا اشْتَكَى مِنْكَ إِضْبَعٌ وَتُلَوَّى رِقَابٌ مَا التَوَى مِنْكَ مَنْكِبُ
وكان قاسم تعرّض لمحاولة اغتيال أصيب فيها في كتفه برصاصة

٦١ فاوست

في مهرجان الأخطل الصغير، بيروت (١٩٦١)، وقد اتخذ الجواهري المناسبة حجة
ليفر من بطش عبد الكريم قاسم

بَا مَنْ يُقَايِضُنِي صَدَى الـ هَمْسَاتِ وَالسَّمَرِ الْمُرِيبِ
يريد أن يعقد مقايضة... فمن ذا يمنحني السمر المرعب؛ هذا سمر مرعب غير بريء بل به خمر
ونساء...

وَتَنَابُزَ الْقُبُلَاتِ فِي نَجْوَى كُمُسْتَرَقِ الدَّبِيبِ
من ذا يعطيني تنابز، تبادل، القبلات مع نجوى، همس، كأنها ديب على أطراف الأصابع مسترق
استراقاً...

وَيْدَا تَحَبَّطَ فِي الْهَوَى وَيَدَا تُعَابِثُ فِي الْجُيُوبِ
ومن يعطيني يد محبوب تتخط أثناء العناق، ويد حبيب تمث في الجيوب... والجيب هو فتحة
العتق في القميص

يَا مَنْ يُقَايِضُنِي رَبِي عَ الْعُمَرِ ذَا الْمَرْجِ الْعَشِيبِ

من ذا يعطيني الشباب الذي هو كالربيع المعشب

بِالْمَقْبَرِيَّةِ كُلِّهَا بِخُرَافَةِ الذَّهْنِ الْخَصِيبِ

وله مقابل ذلك العبقرية الشعرية وخرافة الذهن الخصيب

شَيْطَانٌ غَوْتَةٌ! يَا رَبِي بَ الْغَدْرِ وَالذَّمِّ وَالْخُرُوبِ

يا شيطان غوتة، يا مفتوفيليس الذي جعله غوتة في ملحمة يخوض مقايضة شبيهة مع البطل
فاوست (شيطان غوته عرض العلم اللامتناهي والملاذات مقابل أن يملك روح البطل)

وَمُقَايِضَ السَّبْعِينَ بِالْـ مِثْرَيْنَ عَنِ ثَمَنٍ رَهِيْبٍ

يا من يقايض فيعطيني سن العشرين بدل سن السبعين مقابل الثمن الرهيب

لَوْ جِئْتَنِي لَوَجَدْتَنِي مَحْضَ السَّمِيعِ الْمُتَجَبِّبِ

لَبِنَانُ يَا وَطَنِي إِذَا حُلُّتُ عَنْ وَطَنِي الْحَبِيبِ

حللت: أبعدت عن الماء

أَبَشَارَةٌ! وَإِيَّامَا شَكَايَ أَفْرُكٍ يَا حَبِيبِي

هَلْ صَبَّكَ سَمْعَكَ أَتْنِي مِنْ رَافِدَتِي بِلَا نَصِيبِ؟

هل وصل إلى سمعك يا بشارة الخوري أنه لا نصيب لي من الراقدين، العراقي؟

٦٢ المنفي

براغ (١٩٦١):

أَنَا مِنْ يَلْكُمُ الضَّحَايَا، رَمَتْ بِي فِكْرَةً حُرَّةً وَرَاءَ الْحُدُودِ

لَمْ أَطِقْ كَثَمَهَا، وَأَعْلَمُ كُلَّ الـ عِلْمٍ أَنِّي بِهَا أَحْزُ وَرَيْدِي

أَنَا فِي عِزَّةٍ هُنَا، غَيْرَ أَنِّي فِي فُؤَادِي بِنَزْ جُزْءِ الشَّرِيدِ

لِي عِتَابٌ عَلَى بِلَادِي شَدِيدٌ وَعَلَى الْأَقْرَبِينَ جِدُّ شَدِيدِ

يَا لِبَغْدَادَ حِينَ يَنْتَصِفُ الثَّأِ رِيخٌ مِنْ كُلِّ نَاكِيرٍ وَجُحُودِ

٦٣ أم البساتين

قال الجواهري عام (١٩٦١) وهو لاجئ سياسي في براغ:

حَبِيبْتُ سَفْحَكَ عَنْ بُعْدٍ فَحَبَّيْنِي يَا دَجَلَةَ الْخَيْرِ يَا أُمَّ الْبَسَاتِينِ

يا دجلة.. يا ساقية البساتين فكانك أمها.. حيث سفحك، شاطئك، وأنا بعيد عنه

حَيِّثُ سَفَحَكَ ظِمَانًا أَلُوذُ بِهِ لَوِذَ الْحَمَائِمِ بَيْنَ الْمَاءِ وَالطَّيْنِ
 بِأَدْجَلَةِ الْخَيْرِ يَا نَبْعًا أَفَارِقُهُ عَلَى الْكَرَاهَةِ بَيْنَ الْحَيِّينَ وَالْحَيِّينِ
 إِنِّي وَرَدْتُ حَيَوْنَ الْمَاءِ صَافِيَةً نَبْعًا فَنَبْعًا فَمَا كَانَتْ لِتَرْوِيَنِي
 وَأَنْتَ يَا قَارِيَا تَلْوِي الرِّيحَ بِهِ لَيَّ النَّسَائِمِ أَطْرَافَ الْأَقَانِينِ
 تلوي الرياح القارب يميناً ويساراً كما تلوي النسائم أطراف الأفانين، الأغصان، ليلاً

وِدِدْتُ ذَاكَ الشَّرَاعَ الرَّخْصَ لَوْ كَفَّنِي يُحَاكُ مِنْهُ عَدَاةَ الْبَيْنِ يَطْوِيَنِي
 وددت أن الشراع الرخص، الناعم، يخاط لي منه كفني عندما يغيني البين، الفراق. فالمرت أسهل
 من فراق الوطن

يَا أُمَّ بَغْدَادَ مِنْ ظَرْفٍ وَمِنْ غَنَجٍ مَشَى التَّبَعْدُ حَتَّى فِي الدَّهَاقِينِ
 من طرفك يا أم بغداد، التي لولاها لما كانت بغداد، ومن رقتك وغنحك انتشر التبغدد،
 التمدين والرفقة والدلال والنعمة، حتى في الدهاقين، ملاك الأرض من العجم. وظلت كلمة البغدة
 حتى يومنا تعني الدلال والنعمة

يَا أُمَّ تِلْكَ الَّتِي مِنْ أَلْفٍ لَيْلَتِهَا لِأَنَّ يَغْبَقَ عِظْرُ فِي السَّلَاحِينِ
 يخاطب دجلة: يا أم تلك المدينة (بغداد) التي ظل أثر قصصها المسماة «ألف ليلة وليلة» عابقاً في
 التلاحين، الغناء

يَا دِجْلَةَ الْخَيْرِ مَا يُغْلِيكَ مِنْ حَنَقٍ يُغْلِي فُؤَادِي، وَمَا يَسْجِيكَ يَسْجِيَنِي
 ما يجعلك تغلين من الحنق والغضب يجعل فؤادي يغلي أيضاً

أَدْرِي بِأَنَّكَ مِنْ أَلْفٍ مَضَتْ هَدْرًا لِأَنَّ تَهْزِينَ مِنْ حُكْمِ السَّلَاطِينِ
 من ألف سنة مضت هدرًا، مهدورة لم تشهد فيها ازدهاراً، وحتى اليوم أنت تهزين من حكم
 السلاطين

تَهْزِينَ أَنْ لَمْ تَزَلْ فِي الشَّرْقِ شَارِدَةً مِنَ السَّوَادِيسِ أَرْوَاحُ الْفَرَاعِينِ
 تهزين لأن الشرق يعاني من المستبدين، فكان أرواح الفراعة ظلت شاردة من السوادي، القبور،
 وتحل في أجساد الحكام الحاليين. . . وفرعون العراق وقتذاك عبد الكريم قاسم

تَهْزِينَ مِنْ خِصْبِ جَنَاتٍ مُنْشَرَّةٍ عَلَى الصَّفَافِ وَمِنْ بُلُوسِ الْمَلَايِينِ
 تهزين من هذا التضاد بين الخصب والجنان على شاطئيك وبين وجود الملايين من الفقراء

يَا دِجْلَةَ الْخَيْرِ كَمْ مِنْ كَنْزٍ مَوْهِبٍ لَدَيْكَ فِي الْقُمْمِ الْمَسْحُورِ مَخْزُونِ
 ما أكثر المواهب التي كتبت في العراق كأنها مخزونة في قمم مسحور، جرة النحاس التي يحبس
 فيها المارد

لَعَلَّ يَوْمًا عَصُوفًا جَارِفًا عَرِمًا آتٍ فَتُرْضِيكَ عُقْبَاهُ وَتُرْضِينِي

لعل هناك ثورة عارمة ستأتي وترضى بعقباه، بتيجنها

يَا دِجْلَةَ الْخَيْرِ إِنَّ الشَّعْرَ هَذِهِ لِيَسْمَعَ مَا بَيْنَ تَرْخِيمٍ وَتَنْوِينِ

هدعة للسمع: تحريك هادئ له، كما تحرك الأم وليدها كي ينام، التوين: الغنة، الصوت الأنفي الحنون

حَتَّى الضَّفَادِعُ فِي سَفْحَيْكَ سَارِيَةً عَاظِيْتُهَا فَاتِنَاتٍ حُبِّ مَفْتُونِ

حتى الضفادع في شاطئك أحيتها وتبادلت معها وهي سارية، ماشية ليلاً، وفاتنة، حب المفتون بها. وسبق للجواهري أبيات جعل فيها نقيق الضفادع رسولاً بين المحبين

عَارَ لُثْهَنَ خَلِيعَاتٍ وَإِنْ لَبِستُ مِنَ الطَّحَالِبِ مَزْهُوُ الْفَسَاتِينِ

خليعات: عاريات.. رغم أن الضفادع تلبس لباساً معجباً من الطحالب

يَا دِجْلَةَ الْخَيْرِ مِنْ كُلِّ الْأَلَى خَبِرُوا بِلَوَائِي لَمْ أَلَفْ حَتَّى مَن يُوَاسِينِي

من بين كل من عرفوا بمصيني لم أجد من يواسيني

يَا دِجْلَةَ الْخَيْرِ يَا مَنْ ظَلَّ طَائِفُهَا عَنْ كُلِّ مَا جَلَّتِ الْأَحْلَامُ يُلْهِبُنِي

طائف دجلة، طيفها الذي يتابني في صحو أو منام، يلهني عن كل طيف تجلوه، وتبديه، الأحلام

يَا دِجْلَةَ الْخَيْرِ خَلِّينِي وَمَا قَسَمْتُ لِيِ الْمَقَادِيرُ مِنْ لَذْغِ الثَّمَابِينِ

وَأَزْكَبُ الْهَوَلَ فِي رِيْعَانٍ مَأْمَنَةٍ حُبِّ الْحَيَاةِ بِحُبِّ الْمَوْتِ يُغْرِينِي

أركب المخاطر في ريعان مأمنة، في عز زمن الأمان، وحيي للحياة الكريمة يغريني بأن أستهين بالموت.. بل بأن أحبه

وَمَا الْبُطُولَاتُ إِعْجَازٌ وَإِنْ قَنِمتُ نَفْسُ الْجَبَانِ عَنِ الْعَلْيَاءِ بِالْهُونِ

البطولات ليست معجزات بل هي سهلة على الشجاع، فأما نفس الجبان فترضى بالهون، الذل، بدلاً من العلياء، المجد

لَا يُؤَلِّدُ الْمَرْءَ لَا هِرَاءً وَلَا سَبْعًا لَكِنْ عَصَاةَ تَجْرِيْبٍ وَتَلْقِينِ

إِنَّ الْمَصَائِبَ طَوْعًا أَوْ كَرَاهِيَةً أَهْدَنُ نَحْتِي، كَمَا أَبْدَعَنُ تَلْوِينِ

يَا دِجْلَةَ الْخَيْرِ كَمْ مَعْنَى مَزَجْتُ لَهُ دَمِي بِلَحْمِي فِي أَخْلَى الْمَوَاحِينِ

ما أكثر المعاني التي وضعت فيها دمي ولحمي، أي الأشعار التي كانت قطعة من روحي، ثم جعلت ذلك في أحلى المواعين، الآنية.. وأواني المعنى في الشعر هي الأبيات والقوافي

سَهَرْتُ لَيْلَ أَخِي ذُبْيَانَ أَحْضَيْتُهُ حَضَنْ الرَّوَاضِعَ بَيْنَ الْعَتِّ وَاللَّيْنِ
سهرت ليل كليل النابغة الذبياني الموصوف بالطول والكآبة، وأنا أحضن الشعر كما تحضن
المرضع رضيعها وهي تعالجه بين جذب ولين (تلقمه ثديها بقوة ليأخذه ويبدأ يمص، ثم تترفق به
حتى ينسجم ويرضع).. خوش تشيه

أَعْبَدُ مِنْ خَلْقِهِ نَحْتًا وَخَفْضَ خَصَّةً وَالنَّجْمُ بِعَجَبٍ مِنْ تِلْكَ التَّمَارِينِ
أكتب شعري وأغير فيه وأبدل والمعاني والألفاظ والأوزان تتفاعل وتعتلج اعتلاجاً.. أنحت
الألفاظ نحتاً ثم أخفضتها لتستقر.. ولا أحد معي سوى النجم يراقني ويعجب لهذه التمارين
الغريبة

حَتَّى إِذَا أَضَى رَيَّانَ الصَّبَا غَضِرَا مَهَوَى قُلُوبِ الْحَسَنِ الْخُرْدِ الْعَيْنِ..
حتى إذا أضى، أي صار، الشعر مكتملاً كأنه الفنى الشاب الممتلئ حيوية، وصار مهوى، موضع،
قلوب الفتيات الحسان الخرد، الناعمات، العين ذوات الأعين الواسعة

أَتَاحَ لِي سُمَّ حَيَّاتٍ مُرَقَّطَةٍ تَذِيبُ فِي حَمَأٍ بِالْحَفْدِ مَسْنُونِ
عندئذ.. جلب علي الشعر هجمات الأعداء التي هي مثل سم حيات مرقطة، منقطة، تزحف في
حماً مسنون، في طين تنن، هو الحقد

فَهَلْ بِحَسْبِ اللَّيَالِي مِنْ صَدَى أَلْمِي أَنِّي مَضِيعَةٌ أَنْيَابِ السَّرَاحِينِ؟
ألا يكفي الليالي، المصائب، من صدى ألمي، من بعض آلامي، أنني صرت مضغة بين أنياب
السراحين، الذئاب؟

٦٤ غريب الدار

براغ (١٩٦٢):

يَا غَرِيبَ الدَّارِ، وَالْأَيُّ هَامٌ كَالنَّاسِ تُدَارَى

وَبِنَاتُ الدَّهْرِ يَغْلِبُ مَنْ بَنَى الدَّهْرَ ابْتِكَارًا

بنات الدهر، أي المصائب، تغلب أبناء الدهر، أي الناس، بما يتكره من أفاتين العذاب

يَا غَرِيبَ الدَّارِ لَمْ تَكُ قُلْ لَهُ الْإِسَامُ دَارًا

يَا لِبَغْدَادَ مِنَ النَّاسِ رِيحُ هُرْزَاءٍ وَاحْتِقَارًا

حَلَاكُهُ وَمَسَرَّتْ لِي مَوْغِدُ أَخْضَانِي غَزَارًا

حالات بغداد المغترب، صدته عن الماء، ومرت للوغد، أي حبلت له، أخلاقاً غزاراً، أي ضروفاً
مليئة بالجليب

وَاضْطَفَّتْ بُيُوتاً وَأَجَلَّتْ عَنْ ضِفَافِهَا كَنَاراً

بغداد اصطفت، اختارت، البوم، وطردت عن ضفافها، ضفتها على دجلة، الكنار

لَيْسَ عَارِياً أَنْ تُؤَلِّيَ مِنْ مُصَفِّينَ فِرَاراً

يقول لنفسه: ليس عاراً أن تفر من وجه المصفين، الهابطين أهل الإسفاف

جَافِهِمْ كَالنَّسْرِ إِذْ يَأْ نَفْ دِيدَاناً صِفَاراً

جافهم: عالجهم بالجفاء والبعد

خِلْقَةً صُبَّتْ عَلَى الْفَجْرِ مَرَّةً دَغَهَا وَالْفَجَارَ

الخلقة التي جبلت على الفجر دغها وفجورها

أَنْتَ لَا تَقْدِرُ أَنْ تَزُرَ رَعَ فِي الْمُورِ اخْوَرَاراً

الاحورار: شدة سواد بؤبؤ العين مع شدة بياض حوله... وهذه صفة حميدة وهيئات أن تزرعها فيمن هو أعور

يَا غَرِيبَ الدَّارِ فِي قَا فَلَيْ سَارَتْ وَسَاراً

لِمَصِيرٍ وَاحِدٍ ثَمَّ تَنَاسَتْ أَبْنُ صَاراً

سَامِحِ الْقَوْمَ انْصَافاً وَاخْتَلَقْ مِنْكَ اعْتِذَاراً

اختلق أعذاراً لمن أساءوا إليك

عَلَّهُمْ مِثْلَكَ فِي مُفٍّ تَرَقَّى الدَّرَبِ حَبَايَ

فَإِذَا مَا عَاصِصُ الدَّمِ مَرَّ بِكُمْ أَلْوَى وَجَاراً

ألوى بكم الدهر: رماكم

فَكُنِ الْأَوْثَقَ هَدًى وَكُنِ الْأَوْفَى ذِمَّاراً

الذمار: الشرف

أَوْ، فَلَا لَوْمْ، وَلَا عُذْرٌ وَلَا قَوْلٌ يُمَسَّازِي

يمارى فيه: يجادل بشأنه

٦٥ كردستان

ميونخ (١٩٦٣):

قَلْبِي لِكُردِستَانِ يُهْدِي وَالْقَمُّ وَلَقَدْ بِجُودٍ بِأَصْغَرِيهِ الْمُعْطَمُ

المعطم، أي الفقير، ليس له ما يقدمه سوى أصغريه: قلبه ولسانه

شَعَبٌ دَهَائِمُهُ الْجَمَاجِمُ وَالْدَّمُ تَحَطُّمُ الدُّنْيَا وَلَا يَتَحَطَّمُ

٦٦ حلم النصر

قالها قبيل نكسة (١٩٦٧)، وكنا وقتها نحلم بنصر وشيك ومؤكد، براغ:

يَا نَاصِرَ الْأُمَّةِ الْكِبَرَى وَحَاضِنَهَا لَا الْعُجْبُ يَمْلَأُ بُرْدِيهِ وَلَا الْبَرَمُ..
يا عبد الناصر الذي نصر الأمة الكبرى، كل الأمة العربية وليس مصر فقط، ولا يملا نوبك
العُجب، التكبر، ولا البرم، الملل..

أَنْقِذْ فِلَسْطِينَ مَرْدُوداً بِهَا حَرَمٌ عَلَى ذَوِيهِ، وَمَرْكُوزاً بِهَا عَلَمٌ
التركيب للمنتهي: (مخلوق له المرج، منصوباً بصارخة/ له المناير، مشهوداً بها الجمع). وكان
المنتهي يسلي بقصيدته سيف الدولة عن هزيمة ألت بجيشه، والجواهري هنا يحث عبد الناصر
على حرب ستفضي إلى هزيمة تكراء

وَلَبَّ فِي جَنَابَاتِ الْقُدْسِ صَارِخَةً مِنْ قَبْلِ أَدْرَكِهَا فِي الرُّومِ مُغْتَصِمٌ
قم بتلية امرأة نصرخ في نواحي القدس، وكان المعتصم قد أدرك وأنقذ مثل هذه المرأة عندما
اعتدى عليها الروم

جَمَعَتْ تِسْعِينَ مِليوناً كَمَا جَمَعَتْ لُبْدَ اللَّيْثِ عَلَى أَشْبَالِهَا أَجَمٌ
جمعت التسعين مليون عربي مثلاً جمعت الأجم، الغابات، الأسود اللبد، التي لها لبدة من شعر
الرأس، ومعها أشبالها

وَصُغْتُ مِنْ أَنْهَرِ شَيْءٍ وَأَخْلَجِي بَحْراً بِمُضْطَخِبِ الْأَمْوَاجِ يَلْتَظِمُ
وَصُنْتُ بِالْقُوَّةِ الْحَقِّ الَّذِي ذَلَفَتْ تَسْعُونَ عَاماً عَلَيْهِ وَهُوَ يَهْتَضِمُ
ذلفت: مئت، يهتضم: يظلم

٦٧ اشتياق

براغ (١٩٦٧):

سَهْرَتْ وَطَالَ شَوْقِي لِلْعِرَاقِ وَهَلْ يَدْنُو بَعِيدٌ بِأَشْوَاقِ

٦٨ الصفو والكدر

من قصيدة في حفل تكريم أقامته له وزارة الإعلام العراقية، بعد انقلاب البعث، بغداد
(١٩٦٩):

يَا سَائِرَ الْحَيِّ إِنَّ الدَّهْرَ ذُو عَجَبٍ أَعْيَتْ مَذَاهِبُهُ الْجُلَى عَلَى الْفِكْرِ
مذاهبه الجلى: أفعاله العظيمة التي يذهب بها كل مذهب

كَأَنَّ نَعْمَاءَهُ حُبْلَى بِأَبْوَسِهِ مِنْ سَاعَةِ الصُّفْوِ تَأْتِي سَاعَةُ الْكَدْرِ

كَأَنَّ النعمة حبلَى وستلذ قريباً البؤس والشقاء

يُنْقَضُ الْعَيْشُ أَنَّ الْمَوْتَ يُدْرِكُهُ فَنَحْنُ مِنْ ذَيْنِ بَيْنِ النَّابِ وَالظُّفْرِ

ينقص علينا حياتنا أن الموت سيدرك هذه الحياة ويضيها.. فنحن بين ذين، أي هذين، بين ناب السبع وظفره

٦٩ ضد الشعر الحديث

بغداد (١٩٦٩):

فِي الشَّعْرِ مِنْ فَرْطٍ مَا اخْتَكُّوا بِهِ دَبْرٌ كَمَا تَأْكُلُ عَظْمَ النَّاقَةِ الْقَتْدُ

في الشعر دبر، أي فروج وجروح كالتى في قفا البعير، أو مثلاً يحضر خشب القتد، الرجل، عظم الناقة

تَشَكَّتِ الضَّادُ مِمَّا يُنْزِلُونَ بِهَا كَمَا اسْتَكَى الْجِسْمُ مِمَّا تُفَرِّزُ الْعُدْدُ

نَجَّوْا بِزَعْمِهِمْ مِنْ أَسْرِ قَافِيَةٍ وَالشَّعْرُ لَوْلَا إِسَارُ نُشْرَةٍ قَدَدُ

يزعمون أنهم استراحوا من أسر القافية، ولولا هذا الأمر لصار الشعر مثوراً وصار قدداً، قطعاً

يَا شَاتِمِيَّ وَفِي كَفِّي غَلَاصِمُهُمْ كَمُوسِيعِ اللَّيْثِ شَتْمًا وَهُوَ يَزْدَرِدُ

يا من يشتمونى وفي يدي غلاصمهم، غضاريف حناجرهم، أنتم مثل من يشتم الليث وهو يفتربه ويزدرده، يبلعه

أَتَلَطُّمُونَ جَبِينَ الشَّمْسِ أَنْ قَذَيْتَ عُيُونَكُمْ قَبِهَا مِنْ ضَوِيهَا رَمَدٌ

إذا أصبح في عيونكم قذى وأصابها الرمد لشدة ضوء الشمس فلا ينفعكم أن تلطموا الشمس

٧٠ النساء

بغداد (١٩٦٩):

إِنِّي وَرَبِّ صَاغَهُنَّ كَمَا اشْتَهَى هَيْفًا لَطَافًا

يحلف بالله الذي صاغ وخلق الفتيات هيفاً، هيفات مشوقات، ولطيفات

لَأَرَى الْجَنَانَ إِذَا خَلَّتْ مِنْهُنَّ أَوْلَى أَنْ تُعَافَا

تُعَافُ الجنة بدونهن. لا يخش الجواهري شيئاً فالجنة طافحة بهن، فأما أنه سيدخل الجنة ففي الأمر نظر

٧١ النصف الأفضل

براغ (١٩٧٠):

لَجَاجُكَ فِي الْحَبِّ لَا يَجْمُلُ وَأَنْتَ ابْنُ سَبْعِينَ لَوْ تَعْقِلُ

اللجاج: كثرة الأخذ والعطاء

تَقْضَى الشَّبَابُ وَوَدَّعْتَهُ وَرُحْتَ عَلَى إِثْرِهِ تُرْقِلُ

انقضى وزال الشباب، وأنت الآن ترقل، تسرع، وراء الشباب الذاهب متجهاً صوب الموت

مَضَى مِنْكَ فِيهِ رَبِيعُ الْحَيَاةِ وَمَاتَ بِهَ نِصْفُكَ الْأَفْضَلُ

ما كان ضره لو قال: نصفك «الأسفل»

٧٢ هَلْمِي

براغ (١٩٧٠):

وَقَالَ مُحَمَّدُ الْمِصْبَاحُ يَوْمًا لِفَاتِنَةٍ مِنَ الْغَيْدِ الْحَسَانِ

مِنَ الْجِيكِ السَّوَاوِحِرِ لَسْتُ تَدْرِي بِهِنَّ الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الزَّوَانِي:

الجيك: الشيك

هَلْمِي أَرْسَمْنِي عَدَا، فَقَالَتْ: عَدَا عَدَا، وَفِي الْمَقْهَى الْفُلَانِي

فَقَالَ: بِمَرْسَمِي حَيْثُ اسْتَتَمْتُ مِنَ الرَّسْمِ الْمَعَانِي وَالْمَبَانِي

فَقَالَتْ: لَا، وَمَنْ أَعْطَاكَ ذَهْنًا وَعَلَّمَكَ التَّفَقُّنَ فِي الْهَبَانِ!

قالت له: لا، وحق من منحك المخ، وعلك التفنن في الكلام مع النساء!

أَدَاةُ الرَّسْمِ تَحْمِلُهَا سِلَاحًا عَلَى فَخْذَيْكَ مَشْخُودَ السُّنَانِ

وَلَكِنْ، كُلُّ مَا تَبْغِيهِ مِنِّي خُفُوتُ الضَّوْءِ فِي ضَنْكِ الْمَكَانِ

ضنك: ضيق

٧٣ رثاء عبد الناصر

براغ (١٩٧١):

أَكْبَرْتُ يَوْمَكَ أَنْ يَكُونَ رِثَاءُ الْخَالِدُونَ عَهْدَهُمْ أَحْيَاءُ

قَدْ كُنْتُ شَاخِصَ أُمَّةٍ، نَسَمَاتِهَا وَهَجِيرَهَا، وَالصُّبْحَ وَالْإِمْسَاءُ

شاخص أمة: نصيبها ورمزها، هجيرها: ظهرتها

قَدْ كَانَ حَوْلَكَ أَلْفٌ جَارٍ يَبْتَغِي هَدْمًا، وَوَحْدَكَ مَنْ يُرِيدُ بِنَاءً
أُنِّيْ عَلَيْكَ، عَلَى الْجُمُوعِ يَصُوغُهَا الرُّدَّ عَمَاءُ، إِذْ هِيَ تَخْلُقُ الرُّعَمَاءَ
أمدح الجموع التي جمعتها أنت حولك فصارت جماهير موحدة، وغيرك من الزعماء تخلقه
الجماهير لا يخلقها

وَنُكِسَتْ، فَانْتَكَسَتْ، وَكُنْتَ لِيَوَاءَهَا يَهْوِي، فَمَا رَضِيَتْ سِوَاكَ لِيَوَاءِ
الجموع انتكست بنكستك في عام ٦٧، وهوى ليوأها وهو أنت، ولكنها ظلت تريدك. فبعد هزيمة
٦٧ تنحى عبد الناصر، فخرجت الجماهير، في مصر وغير مصر، تطالبه بالبقاء رئيساً

٧٤ النفط

براغ (١٩٧٢):

خَمْسُونَ عَامًا وَالْعِصْرُ قُ عَلَى الْبَلَاءِ مُصَفَّدُ
مصفد: مقيد

ذَهَبًا يَسِيلُ وَفِي مَصَا رِفٍ لَنَدَنِ يَتَجَمَّدُ
يسيل البترول ذهباً ويرسله مصاصو الدم إلى بنوك لندن ليتجمد هناك بأسمائهم

صُهْبُ السَّبَالِ يَهْرُهَا طِفْلٌ جَمِيلٌ أَسْوَدُ
صهب السبال، شُفِرَ اللحي أي الإنجليز، يهز عواطفهم الطفل الجميل الأسود، يعني الذهب
الأسود.. النفط

يَتَحَطَّفُونَ نَظِيرَهُ مِنْ أَيِّ حِضْنٍ يُوَلَّدُ
فهم يتخطفونه من أي بلد يكتشف فيه

٧٥ ثورة على الموت

فارنا، بلغاريا (١٩٧٣):

فِي دَمِي ثَوْرَةٌ عَلَى الْمَوْتِ تَكْفِي أَنْ تُعَمَّقِي عَلَيْهِ، لَوْ كَانَ يُكْفَى
في دمي عفوان يكفي أن يعني على الموت، يمحوه محوًا.. هذا لو كان الموت يكفي، يكفى
شُرُهُ

يَنْقَدُ الْعَمْرُ شَدْمًا كَانَ حَوْجًا كَسِرَاجٍ فِي فَحْمَةِ اللَّيْلِ يُظْلَمَا
ينقد العمر ويتهي والمرء في أمس الحاجة إليه، كالسراج الذي ينطفئ والليل حالك السواد

لَيْتَ أَنَّ الْجِمَامَ، إِذْ لَمْ يَكُنْ بُدًّا . مِنْ الْمَوْتِ، عَلَّةٌ لَمْ تُشْفَى
يَجِدُ الْمَرْءَ بَعْدَهَا الْعَيْشَ أَخْلَى . وَهَبَاتِ الدُّنْيَا أَلَدُّ وَأَضْفَى
لَيْتَ شِعْرِي وَالْمَوْتُ مِثْلُ عُقَابِ الدِّ . جَوًّا يُدْمِي بِنَا مَخَالِبَ عَقْفَا .
الموت مثل العقاب، الطائر الكاسر، يدمي مخالبه المعقوفة بقبضه علينا . . فليت شعري . .
أَقْرَابِيْنُ نَحْنُ شَوْهَاءُ تُزَجِّي . لِإِلَّهِ الْغَضَبَانِ قُرْبَى وَزُلْفَى؟
أنحن قرايين شوهاء، مشوعة لأننا نموت في سن الشيخوخة عادة، تقدم للإله زلفى، تقرباً منه؟

٧٦ المتصابي

براع (١٩٧٣):

لَا تَلُمُ أُنْسَكَ فِيمَا صَنَعَا . أَمْسٍ قَدْ فَاتَ، وَلَنْ يُسْتَرْجَعَا
أَمْسٍ قَدْ مَاتَ، وَلَنْ يَبْعَثَهُ . حَمْلُكَ الْهَمَّ لَهُ، وَالْهَلَعَا
إِطْرِخُهُ وَاسْتَرْخِ مِنْ نَفْلِهِ . لَا تُضِغْ أُنْسَكَ وَالْيَوْمَ مَعَا
مَا أَحْسَنَ الْمَرْءُ يَشْكُو يَوْمَهُ . فَلِذَا وَلَّى بَكَاهُ جَزَمَا
نظل نشكو في يومنا . . فلذا ذهب بكياه

يَا بَقَايَا ذِكْرِيَاتٍ كُلَّمَا . جُسَّ عُوْدٌ مِنْ صَدَاهَا رَجَعَا
الذكرى مثل عود بأوتار كلما لمسنه رجّع صداها، كررها وذكرنا بها
حَدَّثَنِي مَا شِئْتَ عَنْ أَبْدُوعَةٍ . وَلَقَدْ يَأْتِي الزَّمَانُ الْبِدْعَا
أيتها الذكريات فُصِّي على الناس أبدوعة، عجيبة من العجائب

عَنْ فَتَى أَخْضَبَ فِي شَتَوَتِهِ . لَا عِنَّا فِيهَا الرَّبِيعَ الْبَلَقَا
قصي قصة فتى جاءه الخصب والإلهام الشعري في شتاء العمر، وهو عجوز . . والجواهري الآن قد
تخطى السمين، وراح يلحن الربيع الذي لا يكون فيه إلهام

عَاشَ فِي الْعِشْرِينَ شَيْخًا، وَرَعَى . بَعْدَ سِتِّينَ شَبَابًا مُمَرَّعَا
عندما كان في العشرين كان وقوراً كشيخ من، وبعد الستين صار صاحب شباب ممرع، خصب
قَفَّ عَلَى بُرَاهَا وَجُبَّ أَرْيَاضَهَا . وَسَلَّ الْمُضْطَافَ وَالْمُرْتَبَعَا
براه: الاسم التشيكي لبراع . يريد أن يجوب أرياض براغ، هضباتها، وأن يسائل أماكن
الاصطفاف والارتباع، الأماكن التي ينزلها القوم صيفاً وربيعة

وَسَلِ الْخَلَّاقَ هَلْ فِي وُسْعِهِ فَوْقَ مَا أَبْدَعَهُ أَنْ يُبْدِعَا
مَرَّتِ الْأَسْرَابُ تَشْرَى.. مَقْطَعٌ مِنْ نَشِيدِ الصَّيْفِ يَثْلُو مَقْطَعَا
مرت أسراب الحسان تترى، متلاحقة متواترة، فكانها مقطع من نشيد الصيف

وَتَحَقَّقْنَ فَمَا زِدْنَ عَلَى مَا ارْتَدَّتْ حَوَاءُ إِلَّا إِضْبَعَا
حواء ارتدت ورقة توت... وهن ارتدتين تنانير تزيد عن ورقة التوت بإصبع

رَحِمْنَا لِابْنِ زُرَيْقٍ لَوْ رَأَى فَلَكَ الْأَزْوَارِ مَاذَا أَطْلَمَا
وكان ابن زريق البغدادي قال «أستودع الله في بغداد لي قمراً/ بالكرخ من فلك الأزوار مطلعاً متخيلاً
زوجته المحبوبة قمراً ولكن هذا القمر يطلع - ليس من فلك من أفلاك السماء، بل - من فلك أزوار قميصها

كُلُّ مَضْمُونٍ إِلَى صَاحِبِهِ مُشْتَرَبَيْنِ إِلَى النُّورِ مِمَّا
ومن وراء أزوار قميص التثبيكية الجميلة لمع الجواهري نهذاً مضموماً إلى صاحبه وقد اشرأباً معاً،
أي رفعاً رأسيهما، نحو النور. سيأتي مظهر التواب وشبه التهد برأس الفط

٧٧ إلى أمونة

براغ (١٩٧٣):

مَا لَذَّةُ الْوَصْلِ لَمْ يَلَوْ الصُّدُودُ بِهِ وَالْحُبُّ لَمْ يَخْتَلِسْ مِنْ أَمْنِهِ الْفَرْقُ؟
ما لذة الوصل الذي لم يلو به، لم يذهب به، الصدود... وما لذة الحب الذي لم يسرق منه الأمان
الفرق، الخوف؟ يقول إن لذة وصل الحبيبة يكون في وجود احتمال صدودها، ولذة الحب في تلك
المخاوف من الوشاة

تِلْكَ الثَّلَاثُونَ وَالشَّعْ نُحِى دَلَفْتُ نَسْتَأْقِنَا عَنَّا طَوْرًا وَتَرْتَفِقُ
دلقت، أي مضت، على زواجنا ٣٩ سنة، وكانت تسوقنا أمامها سوقاً عنيفاً تارة وترتفق، تتلطف
بنا تارة أخرى

سِرْنَا عَلَى الشَّوْكِ يُدْمِينَا وَنَأْلُهُ وَفِي مَفَاوِزِ تَرْمِينَا وَنَلْتَصِقُ
مفاوز: صحارى

كُنَّا نَرَى الْجَمْرَ مَشْبُوبًا وَنَخْتَرِقُ وَمَغْرَسَ الرَّجُلِ مَلْغُومًا وَنَخْتَرِقُ
مغرس الرجل: موضع غرس القدم

إِنِّي وَعَيْتَنِيكَ لَا أُمْنَى بِدَاجِيَةٍ إِلَّا وَأَنْتَ لِي الْإِصْبَاحُ وَالْمَلَقُ
لا أمنى، أصاب، بداجية، بمشكلة مظلمة، إلا وأنت لي صبح وفلق، إشراق الشمس. ويفقد
الجواهري زوجته أمنة بعد عشر سنين ويقول: (ها نحن أمونة نأى ونفترق)/والليل يمكث
والنهيذ والحرق

٧٨ محك الرجال

المغرب (١٩٧٤):

تَقَحَّضْتُ الْوَحْيَ وَتَقَحَّضْتَنِي وَخُضْتُ حَاجَهَا حَرْباً سِجَالاً
الوحى: الحرب، عجاجها: غبارها. وما عرف الجواهري حرباً ولا عرف ضرباً، إن كانت إلا
مباحكات وخصومات

وَلَمْ أَرَ كَالْخُصُومَةِ مِنْ مِحْكٍ يُبَيِّنُ لَكَ الرَّجُولَةَ وَالرَّجَالَ
عندما تخاصم رجلاً تكتشف فيه الرجولة والشهامة، أو المكس

٧٩ فرح ومرح

طنجة (١٩٧٤):

لَلَّهِ ذَرْكَ طَنْجٍ مِنْ وَطْنٍ وَقَفَ الدَّلَالُ عَلَيْهِ وَالْعَنْجُ
طنجة وقف عليها الدلال، صار وفقاً عليها ثابتاً صفة لها

صَفَتِ الثُّفُوسُ فَلَقَّهَا مَرَحٌ يَهْفُؤُ بِهَا، وَتَلَاقَتِ الْمُهَجُ
الثفوس صافية ويهفو بها، يحركها المرح، والقلوب تتلاقى

فَبَدَّ عَلَى خَضِرٍ وَلَا رَصْدٌ وَقَمَّ عَلَى ثَغْرِ وَلَا حَرْجٌ
يتراقصون ويده على خصرها ولا رصد، دون رقيب.. والبقية عندك

٨٠ ابتسام في الطرقات

براغ (١٩٨٠):

كَعَهْدِكَ مَا تَزَالُ بِرَاغٍ تُزْهِى كَأَنَّ ثُلُجَ شَتَوَتِهَا اغْتِلَامُ
ما زالت براغ كعهدك بها زاهية، والثلج الخفيف في شتوتها كأنه اغتلام، شيق..

أَعْنَهَا قَلْتُ أَمْ عَنِّي؟ سَوَاءٌ كِلَانَا عِنْدَهُ كَلَفٌ عَرَامُ
فهل تراني شبهت هذا التشبيه وفي ذهني براغ، أم في ذهني نفسي؟ كلا الأمرين سواء، فكلانا لديه
كلف، أي رغبة، عارمة. نعم يا محمد مهدي.. تشبيه الثلج بالاغتلام يصرف الذهن إلى هذا
الرجل الثمانييني وقد صحا من نومه وأحس بعارض أبيض يعرض له..

تَحَدَّبَتِ الثَّلُوجُ عَلَى زُرُوعٍ تَغْشَاهَا لِإِبْدِئِهَا رُكَامُ
أحاطت الثلوج بالزروع، وهذا الركام تغشاها، وضماها، ليدفنها

وَبُيِّضَتِ الْفَجَاجُ فَكُلُّ دَرْبٍ عَلَى شَفَتَيْهِ يَضْطَرُّ ابْتِسَامٌ
 وساد البياض الفجاج، الطرق الضيقة، فكل طريق كأنه فم مفتوح تظهر فيه الأسنان.. كأنه فم
 يتسم

٨١ الدخول في الثمانين

براق (١٩٨٢):

حَسْبُ الثَّمَانِينَ مِنْ فَخْرٍ وَمِنْ جَدَلٍ غِشْبَانُهَا بِجَنَانٍ يَافِعٍ خَضِلٍ
 يكفي الثمانين فخراً وفرحاً أنني أغشاها، آتياها، بقلب يافع، فتى، خضل، ريان مبتل بماء الشوق

كَمْ هَزَّ دَوْحَكَ مِنْ قِرْمٍ يُطَاوِلُهُ فَلَمْ يَنْلُهُ وَلَمْ تَقْصُرْ، وَلَمْ يَطُلِ
 كثيراً ما هز دوحك، شجرتك الكبيرة، قزم يريد أن يطاول هذا الدوح.. فلا هو ناله ولا الدوح
 قصر

وَكَمْ سَعَتْ إِمَاعَاتٌ أَنْ يَكُونَ لَهَا مَا ثَارَ حَوْلَكَ مِنْ لَغْوٍ وَمِنْ جَدَلٍ
 كثيرون من الإماعات، الناس الذين لا شخصية مستقلة لهم، سموا أن يثور حولهم ما ثار حولك من
 جدل، ومن لغو، كلام فارغ أيضاً

تُبْتُ جَنَانَكَ لِلْبَلَوَى فَقَدْ نَصِبْتُ لَكَ الْكَمَائِنُ مِنْ غَدْرِ وَمِنْ خَتَلٍ
 ثبت قلبك للمصيبة، فقد نصبت لك الكمائن من الغدر والختل، الخداع

لَا تَنْسَ أَنَّكَ مِنْ أَشْلَاءِ مُجْتَمَعٍ يَدِينُ بِالْحَقْدِ وَالثَّارَاتِ وَالذَّجَلِ
 كنت الغريب به: لا أنت تألفه فتستريح، ولا عنه بمنعزل
 أنت من مجتمع مريض بالحقْد والثار والذجل، وكنت غريباً فيه لكنك لم تكن عنه بمنعزل

فَكَيْفَ تَظْلِمُ أَنْ تُعْفِيكَ ثَاكِلَةً أَنْتَ التَّذِيرُ لَهَا بِالْوَيْلِ وَالتَّكْلِ؟
 فكيف تطمع أن تتركك ثاكلة أنت الذي جتها بالثكل وفقدان الولد. يعني كيف يعفك المجتمع
 الفاسد وأنت الذي شئت عليه حرب الإصلاح لتقتل فساداً؟

٨٢ إلى عدن

(١٩٨٢):

مِنْ مَوْطِنِ الشَّلَجِ رَحَافاً إِلَى عَدَنٍ خَبَّتْ بِي الرِّيحُ فِي مُهْرٍ يَلَا رَسَنٍ
 ذاهباً من براغ حيث الثلج إلى عدن.. خبت، أسرع، بي الريح وأنا في مهر لكن ليس له رسن،
 أي مقود، وهذا المهر هو الطائرة

حَسِبْتَنِي، وَعُقَابُ الْجَوِّ يَضَعُدُّ بِي إِلَى السَّمَاوَاتِ، مَحْمُولاً إِلَى وَطَنِي
وَأَنَا رَاكِبُ الطَّائِرَةِ ظَنَنْتَنِي ذَاهِباً إِلَى الْعِرَاقِ

مَا أَقْرَبَ الشَّمْسِ مِنِّي، غَيْرَ أَنَّ دَمِي مَا إِنَّ يُصَلِّي لِغَيْرِ الشَّعْرِ مِنْ وَثْنٍ
يَرَى نَفْسَهُ فِي الطَّائِرَةِ قَرِيباً مِنَ الشَّمْسِ مَعْبُودَةَ الْقَدَمَاءِ، لَكِنَّهُ لَا يُصَلِّي إِلَّا لِلشَّعْرِ

٨٣ الانسلاال

دمشق (١٩٩٣):

خَطَرُ أَنْ يُضَيِّحَ الْمَرْءُ خَطِيرًا يَمْلِكُ الدُّنْيَا، وَيَنْسَلُ حَسِيرًا
خطير: مهم. ما أصعب أن ينال المرء في دنياه كل المجد... ثم ينسل منها حسيراً، متحرراً على
فقدان كل شيء

وَاجِماً وَالرَّوْضُ مِنْ صَنْعَتِهِ وَظَمِيئاً وَهُوَ يَنْسَابُ غَدِيرًا
صعب أن يقف المرء واجماً، ساكناً حزيناً، بينما هو الذي زرع الروض. وصعب أن يكون عطشان
وهو ينساب غديرأ متدفقاً بالشعر العذب. الشاعر يخلق الجمال ولا يستمتع به

فهرس القوافي (القافية فرقم القصيدة)

٦٩	الْقَتْدُ	٧٣	أَحْيَاءُ
٣٢	الْقَصَائِدُ	٤١	الْتِنَاءُ
٣٦	جَلْدُ	٥٥	وِلْمَاءُ
٧٤	مُصَفَّدُ	١٨	وَمَشَاءُ
٦٢	الْحُدُودُ	٢٠	نَعَالِيَا
٨	سِنَادُ	١٠	سَحَابَا
٢٤	فَارَزْدُ	٤٤	وَهَا
٤٩	مِدَادُ	٦٠	أَطِيبُ
١٩	وَمَدُّ	٥٣	أَعَاجِيبُ
٤٠	يَصِيدُ	٢٦	أَغْرَبُ
٣١	أَجْدَرَا	٤٦	سَحَابُ
٤٣	المجَاهِرَا	٤٢	وَنَظَرَبُ
١٧	الْمَجْرَى	٢٥	الْتَرَاكِيْبُ
٦٤	نُدَارَى	٣٧	الْقِيَابُ
٨٣	حَسِيرَا	٦١	الْمُرِيبُ
٢٩	تَنْغَيْرُ	٢٨	بِالْتَّجَارِبِ
٥٧	جَبَّارُ	٥٩	حِسَابُ
٥١	مَوَّارُ	١١	الْصَّدَمَاتُ
٢٣	الْتَّعَابِيرُ	٥٨	اِحْتِيَاجُ
٣٠	الْتَّنَائِرُ	٧٩	وَالْعَنْجُ

٣٩	يَدَاكَ	٦٨	الْمَكْرِ
٧٨	سِجَالًا	٦	الْمُتَّظِرِ
٢٧	الْمَحَافِلُ	٩	مِهْذَارِ
٧١	تَعْقِلُ	٢١	الْأَغَرِّ
٨١	خَضِلِ	١٦	تَنْزَرِ
٢٢	تَمْثِيلِهِ	٤	وَتُرْسَا
١٢	نَقَطًا	٢	لِلْقُنُوطِ
٨٠	اِغْتِلَامُ	٤٥	الزَّرْعَا
٦٦	الْبَرَمُ	٣٤	صُدَاعَا
٦٥	الْمُعْلِمُ	٧٦	يُسْتَرْجَعَا
٤٨	قَمِّ	٤٧	الْأَرْبَعِ
٥٢	الطَّعَامِ	٣٨	مُصَانِعِ
٣٥	رَءِيمِ	٥٦	يَهْلَعِ
١	الْمُنَى	٧٠	إِطَافَا
٥٤	يُؤَاتِينَا	٧٥	يُكْفَى
٦٣	الْبَسَاتِينِ	٥٠	يُقْطَفُ
٧٢	الْحِسَانِ	٥	الْمُرْتَقَى
١٣	الدِّينِ	٧٧	الْفَرْقُ
٨٢	رَسَنِ	١٥	تَرْقُ
٣٣	دَاعِيَا	١٤	الْمُتَأَلِّقِ
٧	قَوِيَّةُ	٦٧	بِاسْتِيَاقِ
		٣	خُلْفِي

فهرس القوافي العام

(القافية، فرقم القطعة، فاسم الشاعر)

أبواب الكتاب

١ البارودي ٢ الزهاوي ٣ شوقي ٤ حافظ ٥ الرصافي ٦ الجواهري	أحياء ٧٣ الجواهري
بالصَّهْبَاءِ ١٠ حافظ	الثَّناء ٤١ الجواهري
دواني ١٠٦ شوقي	شاء ٢٦ شوقي
وإِماءٍ ٥٥ الجواهري	ماء ٢١٥ شوقي
ومُثَّاءٍ ١٨ الجواهري	مساء ٢٥٩ شوقي
السَّماء ٢٥٦ شوقي	الثَّناء ٨ شوقي
شفاءها ٢١٩ شوقي	الرجاء ١٠ شوقي
بنائِهِ ٢٥٥ شوقي	إِماء ١١٨ شوقي
سَواءٍ ١ البارودي	شَمَاء ١٦٠ شوقي
أَساءوا ١٩ الرصافي	وثَناء ١٤١ شوقي
أَفياء ٢ الزهاوي	الأحياء ٢٦٠ شوقي
سَماء ٦٧ الزهاوي	الأضواء ٥٠ شوقي
عِياء ٥ البارودي	الكُرماء ١٥٣ شوقي
الرِّياء ٩ الرصافي	الإِكْسائي ٩ حافظ
السوداء ١١٣ الرصافي	

والرَّيَا ٩٤ شوقي	العماء ٥ الرصافي
وانتصبا ١٣ البارودي	ثواء ٤٨ الرصافي
وهبا ٤٤ الجواهري	سما ٣ البارودي
أب ١٧ شوقي	سما ٤ البارودي
ارتيا ٦ حافظ	شيفائي ٢ الزهاوي
أطيب ٦٠ الجواهري	وشقاء ٧٠ الزهاوي
أعاجيب ٥٣ الجواهري	أثنائه ٢ البارودي
أغرب ٢٦ الجواهري	أبي ١٩ حافظ
أغيب ٢ الزهاوي	الثعلبا ٥٨ شوقي
الجُذوب ٧٥ الرصافي	العبا ٤٩ الرصافي
الحرب ١٢ البارودي	الكتابا ٢١٤ شوقي
تضرب ٢٤ شوقي	انصبابا ٧٥ حافظ
ثعلب ٥٧ شوقي	ثعالبا ٢٠ الجواهري
جواب ٤ الزهاوي	ثوابا ١٧٣ شوقي
خشب ٣ الزهاوي	خطبا ٩٥ الرصافي
دروب ٥ الزهاوي	سحابا ١٠ الجواهري
ذهب ٢٥ شوقي	طلببا ١٨٤ شوقي
سحاب ٤٦ الجواهري	عاصبا ٦١ الرصافي
ضروب ٣ الرصافي	عتابا ١٥٢ شوقي
عرب ١١ البارودي	غضابا ٢ الزهاوي
كثيب ٢ الزهاوي	لعبا ٩٨ شوقي
والحب ٢٣٧ شوقي	واكتسابا ١٩٢ شوقي

بِاللَّهَبِ ١٣ حافظ	وَالْحَسْبُ ٣٠ حافظ
بِذَاهِبِ ١٠ البارودي	وَحُجَابُ ٦٠ حافظ
تَكْهَرُبِ ١ الزهاوي	وَنَظَرَبُ ٤٢ الجواهري
حِسَابِ ٥٩ الجواهري	وَيُعْجَبُ ٦ البارودي
دَهَبِ ٦٣ الرصافي	أَبِي ١٥ البارودي
شَيْبِ ٨١ الزهاوي	أَبِي ٢ شوقي
عُرَابِي ٨٦ شوقي	أَحِبِ ٢٢٢ شوقي
كَعْذَابِ ٢٤٢ شوقي	اِكْتَنَابِي ٢ الزهاوي
مَا بِي ٨ البارودي	الْأَعْقَابِ ٦ الزهاوي
مُجِيبِي ٥٩ حافظ	التَّجْرِيبِ ٧ البارودي
مَشِيبِي ٦٤ حافظ	التَّرَاكِيِبِ ٢٥ الجواهري
مُقَلَّبِ ١٥ الرصافي	الْحُبِّ ١٤ البارودي
وَالرُّتَبِ ٢ الزهاوي	الْحَرْبِ ٧٠ الرصافي
الصَّخْبِ ٢ الزهاوي	الْخَطَابِ ٤١ حافظ
الْعَضْبِ ٩٦ شوقي	السَّرْبِ ١ الزهاوي
دَهَبِ ٨٥ الزهاوي	الشَّبَابِ ٩ البارودي
ذِنَابِ ٨٦ الزهاوي	الطَّيِّبِ ١٧ حافظ
عَجَبِ ٢٥٨ شوقي	العَرَبِ ١٨٩ شوقي
جَانِيَةُ ٣٥ حافظ	الْقِيَابِ ٣٧ الجواهري
عَوَاقِبُهُ ٣٣ الرصافي	الْمُرِيبِ ٦١ الجواهري
يَحْيَاهُ ٢٨ شوقي	الْمُصَابِ ٨٠ حافظ
آدَابُهَا ٨٢ الرصافي	بِالتَّجَارِبِ ٢٨ الجواهري

أَذْنَابُهُ ١ الزهاوي	الْمَكْرُمَاتِ ٥٠ الرصافي
كِتَابُهُ ١٨٥ شوقي	الموت ١٠٣ شوقي
كُذِّبَهُ ٣٨ الرصافي	النَّصْرَاتِ ٢٢ حافظ
لِشُّحُوبِهَا ٧ الزهاوي	بِالصَّلَاةِ ١٤ الزهاوي
أَيَّانَا ٨ الزهاوي	بَيَّتَ ١٦ البارودي
حَانَا ٢٠٨ شوقي	حَيَاتِي ١٦ حافظ
الْأَمْهَاتُ ٢ الزهاوي	حَيَاتِي ٢ الزهاوي
الْأَمْوَاتُ ٧ حافظ	سِكَارَاتِي ٤١ الرصافي
الصَّدَمَاتُ ١١ الجواهري	سِمَاتِ ٨٨ الرصافي
الْكَائِنَاتُ ١٠ الزهاوي	عَرَفَاتِ ١٢٨ شوقي
بَاءُوا ٩ الزهاوي	مُتَّصِلَاتِ ١٣ الزهاوي
ثُبُوتُ ٢ الزهاوي	مَرَّتِ ٢٣ شوقي
ثُبُوتُ ٨٢ الزهاوي	مَرَّتِ ٢٤٩ شوقي
سُبَاتُ ١٠٤ شوقي	وَالْمَشْرِفِيَّاتِ ٣٦ شوقي
وَالْأَمْهَاتُ ١١ الزهاوي	وَالنَّسَمَاتِ ١٢ الزهاوي
وَتَبَيَّتُ ٢ الزهاوي	دَسَتْهُ ٥ شوقي
يَقُوتُ ٢ الزهاوي	فَأَيَّبَتْهُ ١٦٢ شوقي
الْأَوْقَاتِ ٧٠ حافظ	فَرَّخَمَتْهُ ٢١٠ شوقي
الْحَادِثَاتِ ٣٣ شوقي	إِخْدَانِي ١٥ الزهاوي
الْحُجَرَاتِ ٧٧ حافظ	احْتِيَاجُ ٥٨ الجواهري
الْحَرَكَاتِ ٢ الزهاوي	وَالْغَنَجُ ٧٩ الجواهري
الْمُشْكَلَاتِ ٢ الزهاوي	يَتَمَوَّجُ ١٦ الزهاوي

قَبْدًا ٩ شوقي	الحاج ١٠٢ الرصافي
نَقْدًا ١٩ الزهاوي	مُدْلِج ١٧ البارودي
وَالْوِدَادًا ٢٥ حافظ	علاجُها ٨٨ شوقي
وَتَوَلَّدًا ٢٩ الرصافي	مُسْتَبَاحًا ٢١٨ شوقي
يَدًا ٢٧ حافظ	فَأَسْتَرَوْحُ ٦٣ حافظ
استعدادُ ٢٤ الزهاوي	الأفراح ١٩٣ شوقي
الأُسْدُ ٢٤ البارودي	فَسِيح ٢٠ البارودي
القَنَدُ ٦٩ الجواهري	مَدَائِحِي ٢ الزهاوي
القَصَائِدُ ٣٢ الجواهري	وأفراح ٤ حافظ
المُفَنِّدُ ٢٨ الرصافي	نَصَح ١٩ البارودي
النَقْدُ ٢١ شوقي	رَجَحَتْ ١٨ البارودي
نَبِيْدُ ٢٥ الزهاوي	يَتَسَبَّحُ ١١٦ شوقي
تَتَجَدَّدُ ٢ الزهاوي	الشَّدَادَا ٢١٧ شوقي
تُسَدُّ ٢٤٣ شوقي	العِدَا ٣١ البارودي
جَلِدُ ٣٦ الجواهري	المجيدا ٢٠ الرصافي
جَمَادُ ١ الزهاوي	المُسَدَّدَا ٨ حافظ
حُدُودُ ٦٧ الرصافي	بالعِدَى ١٨ شوقي
دَدُ ٣٢ البارودي	حَدًّا ٢٤ حافظ
سَنَدُ ٧٦ الزهاوي	خالدا ٧٧ الزهاوي
صَيَّادُ ٧٤ شوقي	شَرِيْدًا ١٩٥ شوقي
محدودُ ٢٠ الزهاوي	قَدَفَدَا ١٨ الزهاوي
مَدِيْدُ ١٢ شوقي	قِرْدًا ١٠٧ الرصافي

بِالْعُقُودِ ١ شوقي	مُسْتَعْدُ ١٧ الزهاوي
بِالْمِرْصَادِ ٢ الزهاوي	مُصَفَّذُ ٧٤ الجواهري
بِعْدِي ٣١ شوقي	مَلْحُودُ ٢١ الزهاوي
بَغْدَادِ ٦ الرصافي	وَارِدُ ١٣ الرصافي
بِفُؤَادِي ٢٧ البارودي	وَجِيهَادُ ٢٥٧ شوقي
بِقِيُودِ ٤٣ الرصافي	وُلْدُوا ٢ الزهاوي
بِئَدِي ٢٨ البارودي	وِيَهْدُ ٢٢ الزهاوي
جَلْدِي ٢ الزهاوي	الْأَجْوَادِ ٢٦ البارودي
سِنَادِ ٨ الجواهري	الْأَعْوَادِ ١٧٤ شوقي
سُهْدِي ٣٠ البارودي	الْأَكْبَادِ ٢ الزهاوي
عَهْدِ ٢٣ البارودي	الْجَمَادِ ٢٦ الزهاوي
عَدِ ٢٢ البارودي	الْحُدُودِ ٦٢ الجواهري
فَازَدِ ٢٤ الجواهري	الْحَسَدِ ٣٣ البارودي
لِلْسَيِّدِ ٣٥ شوقي	الرَّعَادِيْدِ ١٠٠ الرصافي
مَجْهُودِي ٢١ حافظ	الضَّادِ ١٨٢ شوقي
مِدَادِ ٤٩ الجواهري	الْعِبَادِ ٣٤ البارودي
نَادِي ١٣٩ شوقي	الْعِبَادِ ٨٢ حافظ
وَأَقْعِدِ ١٣ شوقي	الْعَوَادِي ٢٥٤ شوقي
وَالْوِدَادِ ٢٠ شوقي	النَّادِي ١١٤ الرصافي
وِإِعَادِ ٢٩ البارودي	الْيَهُودِ ٣٤ حافظ
وَحْدِي ٦١ حافظ	بِالْأَجْسَادِ ٢٨ الزهاوي
وَحِيدِ ٢٧ الزهاوي	بِالذِّدِ ٢٦ الرصافي

وَمَدَّ ١٩ الجواهري	الكُبْرَى ١١ شوقي
يَصِيدُ ٤٠ الجواهري	الْكُرَى ١٣٧ شوقي
يُنَادِي ٢٢٠ شوقي	المجَاهِرَا ٤٣ الجواهري
أَرَادَ ١١٩ شوقي	الْمَجْرَى ١٧ الجواهري
الْأَسَدُ ٢٤٠ شوقي	تُدَارَى ٦٤ الجواهري
الْعَمِيدُ ٧١ حافظ	جَبْرَى ٩٠ شوقي
الْمَنْفِرْدُ ٤٧ شوقي	حُرًّا ٨٨ الزهاوي
لُبْدُ ٢٦٣ شوقي	حَسِيرَا ٨٣ الجواهري
مَخْلَذُ ١٠٥ شوقي	دُورَا ٣٧ الرصافي
أَشَدُّهَا ١٩٤ شوقي	سَاهِرَا ٣٠ الرصافي
تُجِيدَةُ ٢ الزهاوي	عُدْرَا ٧١ الرصافي
رُقَادَةُ ٢ الزهاوي	مَرًّا ٥٥ الرصافي
بَرِيدُهُ ٢٥ البارودي	وَنَارَا ٣١ الزهاوي
حُقُودُهَا ٢٣ الزهاوي	يَتَعَوَّرَا ٩٩ الرصافي
زَنْدُهُ ٢١ البارودي	يَطِيرَا ٢ الزهاوي
عَوْدُهُ ١٢٩ شوقي	أَنْزَرُ ٢ حافظ
هُجُودُهَا ٥٣ الرصافي	أَشْعُرُ ٣٦ الزهاوي
أَنْزَا ١٥ حافظ	الْأَكْبَرُ ٣٤ شوقي
أَجْدَرَا ٣١ الجواهري	الْحُرُّ ٣٣ الزهاوي
الْجَوْهَرَا ٢١٦ شوقي	الضَّمِيرُ ٢ الزهاوي
الدَّهْرَا ٢١ الرصافي	الْكُوْنُزُ ٢٠ حافظ
الْعِثَارَا ٨٢ شوقي	تَبَوَّرُ ٢٣٣ شوقي

تَغْيِيرُ ٨٩ شوقي	الأمير ٦٦ الرصافي
تَنْغِيمُ ٢٩ الجواهري	التعابير ٢٣ الجواهري
تَنْقِطُ ٢ الزهاوي	الحصار ٦٢ شوقي
جَبَّارُ ٥٧ الجواهري	الحور ٧٩ الزهاوي
جَدِيرُ ٢٤٤ شوقي	السَّائِرِ ٣٠ الجواهري
سَعِيرُ ٣٩ حافظ	السَّوَاغِرِ ٩٧ الرصافي
صَابِرُ ٣٨ البارودي	الصَّحَارِ ٤٨ شوقي
كَبِيرُ ٦٦ حافظ	الغفور ١٢٦ شوقي
كَسِيرُ ٣٥ الزهاوي	الفَجْرِ ٤٢ شوقي
مَوَازُ ٥١ الجواهري	الفِكْرِ ٦٨ الجواهري
نُشُورُ ١٨ حافظ	القبر ٤ الرصافي
والأبرارُ ٢ الزهاوي	المَزارِ ٣٧ الزهاوي
والعَشِيرُ ٢ الزهاوي	المُتَنَظِّرِ ٦ الجواهري
والفِكْرُ ٣٤ الزهاوي	بالأبكارِ ١٥٩ شوقي
وجوارُ ٢٦١ شوقي	بغادرِ ١٢ الرصافي
وذُكُورُ ٢ الزهاوي	تكفيري ٣٨ الزهاوي
وفقيهُ ١٣٤ شوقي	ثَبِيرِ ٣٩ الزهاوي
ونكيرُ ٣٢ الزهاوي	حُضَارِ ١٢٧ شوقي
يسيرُ ٣٧ البارودي	خبرِ ٩٧ شوقي
أضيرُ ٤١ البارودي	صَخْرِ ٣٦ البارودي
الأسيرُ ٨ الرصافي	صدري ٢ الزهاوي
الأقدارُ ٨٥ شوقي	عَمْرُو ٤٤ البارودي

لِلكَذْرِ ١٥٤ شوقي	كِبَارِ ١٣٨ شوقي
مُذَكَّرِ ٧٧ الرصافي	كَدَرِ ٤ شوقي
وَالْمَفَاخِرُ ٤٥ حافظ	لِلْبَقْرِ ٤٤ الرصافي
الْآخِرَةُ ٤٥ البارودي	مَسْطَرِ ٤١ شوقي
الْجِدَارَةُ ٢ الزهاوي	مِهْذَارِ ٩ الجواهري
الشَّجَرَةُ ٦١ شوقي	وَبِالْخِذْرِ ٨١ شوقي
تَارَةُ ٣٠ الزهاوي	وَتَغْيِيرِ ٤٦ البارودي
كَعْشَرَةُ ١٠٨ شوقي	وَسَطَرِ ١٤٠ شوقي
مُدَارَةُ ١٩٨ شوقي	وَسَمِيرُ ٦٩ الزهاوي
مُدْخَرَةُ ١٧٥ شوقي	وَطَرِ ٣٩ البارودي
مُسْتِيرَةُ ٦٣ شوقي	وَغَرِ ٤٣ البارودي
مَسْرَةُ ٦٠ شوقي	وَكُرِ ٣٥ البارودي
مُسْتَظَرَّةُ ٤٠ البارودي	الْأَخْضَرُ ٣ شوقي
وَالْجَارَةُ ١٩٧ شوقي	الْأَغَرُ ٢١ الجواهري
وَسُمْرَةُ ٤٢ البارودي	الْحَذَرُ ٦٥ حافظ
تَبَحُّثُهَا ١٠١ الرصافي	الْخَوَاطِرُ ١٦ شوقي
إِطَارِهِ ٣١ الرصافي	الْعُمُرُ ١٨١ شوقي
بِأَمِيرِهِ ١٨ الرصافي	الْكَدَرُ ١٥٨ شوقي
بِجَارِهِ ٩١ شوقي	تَذَرُ ١٦ الجواهري
النَّاسَا ٢ الزهاوي	سَقَرُ ٢٩ الزهاوي
وَالنُّفُوسَا ٦٩ الرصافي	سَيِّزُ ٥٥ حافظ
وَتُرْسَا ٤ الجواهري	كَغَايِرُ ٨٠ شوقي

الطُّبَاعَا ٢٣ حافظ	أُنْسُ ٨٣ شوقي
تِبَاعَا ٣٤ الرصافي	فَارِسُ ٢ الزهاوي
صُدَاعَا ٣٤ الجواهري	يَسُوسُ ٢٣٥ شوقي
صِرَاعَا ٤٠ الزهاوي	أُنْسِ ٢ الزهاوي
فَرَا عَا ٢٠٧ شوقي	أُنْسِي ١٧١ شوقي
نَزْعَا ٧٢ حافظ	يَحَاسِ ٨٦ الرصافي
وَرَعَى ٢٣٩ شوقي	نَفْسِي ١ الزهاوي
بُسْتَرَجَعَا ٧٦ الجواهري	وَحَدَسِ ١١ حافظ
الْوَسْبُغُ ٤٢ الزهاوي	السِّيَاسَةُ ١٦ الرصافي
تَتَصَدَّعُ ٤١ الزهاوي	يَطِيشُ ٢ الزهاوي
تَظْلُعُ ٤٣ الزهاوي	مُخْلِصَا ٤٧ البارودي
جَزَوْعُ ٢ الزهاوي	مُتَلَصِّصُ ٨١ الرصافي
مَرَنَعُ ٢٧ الرصافي	تَتَقَفَّصَا ١٣٣ شوقي
مَوْضِعُ ٥٠ البارودي	وَمَضَى ٧٤ الرصافي
وَالْفَجَائِعُ ٤٩ البارودي	بَغِيضُ ٥٧ الرصافي
وَلَعُ ١٨٨ شوقي	الأَرْضِ ٢ الزهاوي
وَمَسْمُوعُ ٥١ البارودي	تَرْتَضُّوْهَا ٦٨ الرصافي
يَلْمَعُ ٤٣ حافظ	لَغَطُ ٤٨ البارودي
الأَزْبَعِ ٤٧ الجواهري	لِلْقَنُوطِ ٢ الجواهري
الأَلْمَعِي ٧٦ حافظ	أَجْمَعَا ٦ شوقي
المَطْلَعِ ٤٤ الزهاوي	اسْتَطَاعَا ٤٠ الرصافي
النَّاعِي ٢٠٢ شوقي	الرُّزْعَا ٤٥ الجواهري

الأشرف ١٩١ شوقي	بأعي ٥٢ البارودي
الألفاف ٦٨ شوقي	بالضفدع ٦٤ شوقي
السلف ٧٥ الزهاوي	ترفع ٧٣ حافظ
الطواف ٢ الزهاوي	لبرقع ٢٠٥ شوقي
بالآلاف ٧٨ الرصافي	مضائع ٣٨ الجواهري
ظريف ٦٥ شوقي	يهلج ٥٦ الجواهري
وأكتفي ٥٣ البارودي	وقع ١٨٣ شوقي
عفيفة ٢ الزهاوي	أزجعتك ١٤٢ شوقي
ضعفه ٨٣ الرصافي	النافعة ٨٣ حافظ
الريفا ٤٢ الرصافي	معه ٢٣٦ شوقي
المرتقى ٥ الجواهري	إيقاعه ٢٥٢ شوقي
تطلقا ٣٧ حافظ	وخضوعها ٢ الرصافي
حنيفا ٤٥ الزهاوي	ومنبه ١٠٠ شوقي
أخلق ٦٠ البارودي	كفى ٣٢ شوقي
إشفاق ٣٨ شوقي	لظافا ٧٠ الجواهري
الأصادق ٥٨ البارودي	يكنى ٧٥ الجواهري
الفرق ٧٧ الجواهري	الترف ٥٤ البارودي
المترنديق ٩١ الرصافي	تجف ٥٥ البارودي
المُنشَق ٢٤٨ شوقي	تطوف ٢ الزهاوي
ترق ١٥ الجواهري	وأعنت ٦٢ الرصافي
تغديق ١٧٩ شوقي	يطلق ٥٠ الجواهري
دمشق ٢٢٥ شوقي	اختلاف ٤٦ شوقي

مُرْقِي ٧٣ شوقي	لَاخْمَقِي ٦١ البارودي
مُشْتَاقِي ٩٩ شوقي	مَطْرُوقُ ٤٧ الزهاوي
وُثُوقِي ٢ الزهاوي	وَالشَّنَقُ ٢ الزهاوي
وضيق ٥٩ البارودي	يُلْحَقُ ٣١ حافظ
ويُلاقِي ١٤٦ شوقي	الْباقِي ٥٧ البارودي
حَقَّهَا ٤٦ الزهاوي	الرُّنْدِيْقِي ٦٤ الرصافي
فراقِهِ ٩٥ شوقي	الطُّبَاقِي ١٦١ شوقي
الشَّرِيكَا ١٠٦ الرصافي	الْعُشَاقِي ٣٨ حافظ
مَمْلُوكَا ٥٨ حافظ	العَلاقِي ٦٢ البارودي
يَدَاكَ ٣٩ الجواهري	المُتَأَلِّقِي ١٤ الجواهري
الحَاكِي ٨٧ الرصافي	المَذَاقِي ١٤٨ شوقي
المَلِكُ ٢٧ شوقي	المَذَاقِي ١٩٩ شوقي
بَنِيكَ ١٩٠ شوقي	المُنْطَلِقِي ٢ الزهاوي
شِبَاكِي ٢٢٩ شوقي	بِاشْتِيَاقِي ٦٧ الجواهري
يَحْمُوكُ ١٤٧ شوقي	بِالْمَلَايِقِي ٣٢ الرصافي
أَرِيكَ ٤٩ شوقي	بِخَنَاقِي ٤٨ الزهاوي
يَتَحَرَّكَ ٢ الزهاوي	خَالِقِي ٨٠ الزهاوي
يَرَاكَ ١٥ شوقي	خُلُقِي ٣ الجواهري
فَبَكَهَا ٢٣٢ شوقي	طُرُقِي ١١٠ الرصافي
الأَحْوَالَا ٥٠ الزهاوي	طَلاقِي ١١٠ شوقي
المَلَا ١١٧ شوقي	طَلِيْقِي ٢ الزهاوي
النِيْلَا ١١٥ شوقي	لَقِي ٥٦ البارودي

تَقِيلُ ٧١ الزهاوي	النَّيْلَا ١٥٦ شوقي
صَعْلُ ٦٧ البارودي	انتقالا ٢٤٥ شوقي
غَزَالُ ٥١ شوقي	أَوْحَالَا ١٤ الرصافي
قَلَائِلُ ٦٤ البارودي	تَوَلَّى ٢ الزهاوي
قَلِيلُ ٨٤ شوقي	جميلا ٢٥٠ شوقي
مَعْسُورُ ٦٨ حافظ	رسولا ٢٠٦ شوقي
مَقْتُولُ ١٧ الرصافي	رُحَلَا ٣٦ الرصافي
مُهْمَلُ ٢ الزهاوي	سَجَالَا ٧٨ الجواهري
وعويلُ ٥٦ الزهاوي	علا ١١٢ شوقي
يُحْمَلُ ٦٩ شوقي	قليلا ٢٣١ شوقي
يُسَأَّلُ ٥٤ الزهاوي	مالا ٨٣ الزهاوي
يُظَلُّ ٤٩ حافظ	مَقَالَا ١٣٥ شوقي
يميلُ ١٤٩ شوقي	مَوْئِلَا ٦٢ حافظ
أَطْلَالُ ٩٢ الرصافي	وُطْلُولَا ٤٩ الزهاوي
أَقْوَالِي ٢ الزهاوي	أَرْتَجَلُ ٥٣ الزهاوي
الأَعْمَالُ ٤٥ الرصافي	أَقْوَالُ ٥٦ الرصافي
البُّبُلُ ١٣١ شوقي	الرجلُ ٥١ الزهاوي
التَّرَلُّلِي ٣٠ شوقي	الرسولُ ٢٢ الرصافي
العالِي ٥٨ الزهاوي	الطويلُ ٥٥ الزهاوي
القَلَلُ ٦٣ البارودي	المَحَافِلُ ٢٧ الجواهري
المَالِ ٢٢٤ شوقي	تَعْقِلُ ٧١ الجواهري
المُسْتَدِيلُ ٦٨ الزهاوي	تَوُولُ ٥٢ الزهاوي

رَحَلَهُ ١٢٥ شوقي	المعالي ٦٧ حافظ
مَالَهُ ٢٣٤ شوقي	النَّشَالِ ١١١ شوقي
أَفْعَالُهَا ٢ الزهاوي	بِالاستقلالِ ١٠٨ الرصافي
تَبْدِيلُهَا ٧ شوقي	تَقْلٍ ٢٨ حافظ
شَمَائِلُهُ ٦٦ البارودي	خَضِيلِ ٨١ الجواهري
اعتداله ١٨٦ شوقي	خَوَالٍ ٩٤ الرصافي
تمثيله ٢٢ الجواهري	لي ٥٩ الزهاوي
دَلِيلُهُ ٥٩ الرصافي	مَالِي ٥٧ الزهاوي
وَيَفْعَلُهُ ١١٢ الرصافي	مُعَلَّلِ ٧٨ الزهاوي
احتراما ٥٤ الرصافي	نُبَالِي ١١١ الرصافي
أَضْمَى ١٧٠ شوقي	وإِذْلالٍ ١٥٠ شوقي
الأقواما ١٣٦ شوقي	وتَخْيِيلِ ٦٥ البارودي
الأناما ٨٧ شوقي	ومِثَالٍ ١٥١ شوقي
التَّنْدُمَا ١٢ حافظ	يَعْقِلِ ٦٥ الرصافي
الزُّمَامَا ١٣٢ شوقي	الطَوِيلِ ١٠٧ شوقي
الصَّمْنَمَامَا ٢ الزهاوي	قِيلِ ١٧٨ شوقي
العَلَقَمَا ٧٣ البارودي	مَلَلِ ٧٠ شوقي
جَحِيمَا ٨٤ الزهاوي	البِطَالَةُ ٥٩ شوقي
زُؤَامَا ٦٠ الزهاوي	أَنسَالُهَا ٢٤٦ شوقي
عَلَامَا ٢١٣ شوقي	الباكي ٢٤٧ شوقي
عَرَامَا ٨٥ الرصافي	بِذِلَّةٍ ٥٢ شوقي
فَأَقَامَا ٢٦٢ شوقي	دَحَلَهُ ٧٦ الرصافي

كَتَمُوا ٩٦ الرصافي	كَرِيمَا ١٢٠ شوقي
كَرِيمُ ١٢٣ شوقي	مُظَلَّمَا ٨٤ الرصافي
مَتَّهَمُ ٣٣ حافظ	مَنْظَمَا ٢٦ حافظ
مُحَرَّمُ ٥٨ الرصافي	نَظْمَا ١٢ الجواهري
مُغَرَّمُ ٥٠ حافظ	مَشِيمَا ٨٧ الزهاوي
مُقَسَّمُ ٨٠ البارودي	اغْتِيلَامُ ٨٠ الجواهري
مَلَامُ ٧٥ البارودي	الْأَفْهَامُ ١٠٤ الرصافي
مِنْهُمْ ٦٢ الزهاوي	الْأَيَّامُ ١١٤ شوقي
نَعْتَصِمُ ٦١ الزهاوي	الْأَيَّامُ ٨٢ البارودي
هَيَّامُ ٣٦ حافظ	الْبَرَمُ ٦٦ الجواهري
والإسلامُ ١٤٥ شوقي	الدرهمُ ٢٠٠ شوقي
وَتَرَحَّمُوا ٧٧ شوقي	السهمُ ٧٨ البارودي
وَسَلَّمُوا ٥٢ حافظ	الْفَطِيمُ ٥٥ شوقي
يَتَكَلَّمُ ١ الرصافي	الْقِيَامُ ٤٦ الرصافي
يُضَامُ ٨٤ حافظ	المُعْدِمُ ٦٥ الجواهري
يَقْفُهُمُ ٨٩ الزهاوي	المِعْصَمُ ٤٢ حافظ
يَنْدَمُ ٧٩ البارودي	بَرَمُ ٢ الزهاوي
الْأَمَمُ ١٠٢ شوقي	خَادِمُ ١٩٦ شوقي
التَقْدِمُ ٢٣ الرصافي	رِسْوَمُ ١٠ الرصافي
الْحُرْمُ ١٢٤ شوقي	سَلَامُ ٦٨ البارودي
السامي ٨٠ الرصافي	عَتَمُ ٢ الزهاوي
السَّوَائِمُ ٦٩ البارودي	قَمُ ٤٨ الجواهري

هاشِم ٢٥٣ شوقي	الشِّم ٧٦ البارودي
القيامة ٢٢٣ شوقي	الطَّعام ٥٢ الجواهري
حمامة ٥٦ شوقي	الظلام ٤٠ حافظ
مُسْلِمَة ٥١ الرصافي	بالَمَلَام ١٠١ شوقي
لِحْكَمِهِ ٧١ البارودي	يَدَم ٨١ البارودي
وتَحْمِيها ٩٢ شوقي	بِناثِم ٧ الرصافي
إِدْشونا ٢ الزهاوي	تَحْكِم ٧٧ البارودي
اقتِرانا ٤٠ شوقي	تُعَلِّم ٧٤ البارودي
الرَّائِنا ٣٩ شوقي	دِعام ٢٣٠ شوقي
الغابِرِنا ١٨٧ شوقي	دَمي ٢٠١ شوقي
المُنَى ١ الجواهري	رَعِيم ٣٥ الجواهري
الواعِظِنا ٥٤ شوقي	ضَبَعَم ٢٥ الرصافي
إِنسانا ١٤٤ شوقي	كَهَام ٧٢ البارودي
تَبِنا ٢ الزهاوي	مِعْطال ٣ حافظ
جبانا ١٧٦ شوقي	مُلْهِمي ٩٠ الزهاوي
حُسْنا ٢٢٨ شوقي	هَضَم ٣٩ الرصافي
خالِدِنا ٧٢ الزهاوي	وقدِيم ٧٣ الزهاوي
دَيَّدنا ١٦٩ شوقي	الأنام ٧٠ البارودي
فَعَنَى ٨٦ البارودي	القلَم ٢٣٨ شوقي
لِواديْنا ١٥٧ شوقي	المُقْطَم ٥٣ شوقي
ماقِنا ١٤ حافظ	عَدَم ٩٣ شوقي
مُقِيمِنا ١٦٨ شوقي	كالْعَلَم ٦٩ حافظ

وَيْتَانَا ٩٠ الرصافي	الحاني ٧٨ حافظ
وَمُسْلِمِينَا ٩٣ الرصافي	الحسان ٧٢ الجواهري
وَسَقِينَا ٥١ حافظ	الحيوان ٧٦ شوقي
يُنَى ٢ الزهاوي	الدواوين ٦٠ الرصافي
يَنهَانَا ٢ الزهاوي	الدين ١٣ الجواهري
يُواتِنَا ٥٤ الجواهري	الزمان ٧٩ الرصافي
الْعَنَاوِينُ ٦٤ الزهاوي	العلَن ١٠٥ الرصافي
أَهْوُنُ ٢ الزهاوي	الفرقدان ٣٢ حافظ
رَهِيْنُ ٤٨ حافظ	المِحْنُ ٨٤ البارودي
سَكَنُ ١٠٩ الرصافي	المِهْرَجَانِ ٤٤ حافظ
نَحْنُ ٢ الزهاوي	الهاني ٩٨ الرصافي
وأديانُ ٦٣ الزهاوي	اليدِينِ ٢ الزهاوي
وأزمانُ ٢١١ شوقي	بالأُماني ٨٥ البارودي
وغلمانُ ٢ الزهاوي	بالحسِينِ ٢٢١ شوقي
اثنانِ ١١ الرصافي	تَيَّانِي ٧٩ حافظ
الأُسْتَانِ ٧٢ شوقي	ترعيانِ ٧١ شوقي
الْبَرَاهِينِ ٢ الزهاوي	ثانِ ١ حافظ
البَسَاتِينِ ٦٣ الجواهري	جنوني ٢ الزهاوي
البَسَاتِينِ ٧٤ حافظ	دينِ ٥٢ الرصافي
التَمَنِّي ٨٧ البارودي	رَسَنِ ٨٢ الجواهري
الجاني ١٤ شوقي	سِنِّي ٨٣ البارودي
الجاني ٤٧ حافظ	شُجُونِي ٢ الزهاوي

عثمان ٢٩ حافظ	أرسانيه ١٧٧ شوقي
عني ٧٩ شوقي	بيانه ٥٦ حافظ
فَسْجَانِي ٤٦ حافظ	زمانه ٢٢٦ شوقي
مَظْنُون ٨٨ البارودي	شانه ٦٥ الزهاوي
مَوازِين ٢ الزهاوي	عُمرانها ٢٤ الرصافي
والدَّانِي ١٢٢ شوقي	مُسْتَبِينه ٧٢ الرصافي
وامْتِهان ٢ الزهاوي	فتاها ٦٧ شوقي
يُؤذِنِي ٦٦ الزهاوي	مَمشاهها ٧٣ الرصافي
أَبُون ٢٢ شوقي	يَراها ١٥٥ شوقي
السُّنُون ٢٠٩ شوقي	الرَّهاوي ٤٧ الرصافي
فاعِلين ٥ حافظ	كَبُوءَ ٣٧ شوقي
فَكَانَ ١٩ شوقي	الأغانيا ٨٩ البارودي
فَنَنْ ٦٦ شوقي	الجوازي ٢٢٧ شوقي
مُعْجَبِينَ ١٧٢ شوقي	الدنيا ٧٤ الزهاوي
وطِين ١٤٣ شوقي	الرَّزِيّا ٣٥ الرصافي
وَيَزِين ٢١٢ شوقي	ثانيا ١٣٠ شوقي
المُعِينة ٧٥ شوقي	داعيا ٣٣ الجواهري
جَمْعَهُنَّ ٥٧ حافظ	شَيّا ٢٠٤ شوقي
فَتَانة ٨٩ الرصافي	غاليا ٤٤ شوقي
والسَمِينة ٧٨ شوقي	هَمَسَريّا ٤٥ شوقي
رُكْبَانُها ٢٠٣ شوقي	هَيّا ١٨٠ شوقي
سُجُونُهُ ٤٣ شوقي	والمعانيا ١١٣ شوقي

قَوِيَّةُ ٧ الجواهري	عَلِيَّ ٥٣ حافظ
هَدِيَّةُ ١٠٣ الرصافي	الْأَنَانِيَّةُ ٢٤١ شوقي
يُعَادِيهَا ١٢١ شوقي	الثَّانِيَةُ ٢٩ شوقي
عَلَيْهِ ١٠٩ شوقي	أَهْدِيهَا ٥٤ حافظ
يُخْفِيهِ ١١٥ الرصافي	ثَنَائُهَا ٢٥١ شوقي
	حَنَائَاهُ ٨١ حافظ

إحياء الشعر

البارودي والزهاوي وشوقي وحافظ والصحاري والجواهري

عندما يابعوا أحد شوقي بإمارة الشعر، قال الزهاوي: «منكم أمير ومنا أمير»، فكأنه هس في أذن عقلي الباطن همسة تجلت في هذا الكتاب، فإنا فرغت من وضع خطته حتى رأيته قد أخذت ثلاثة شعراء من مصر، وثلاثة من العراق زاعم أن هؤلاء قد أحيوا الشعر العربي بعد قرون من الموت السريري. في البدء كان البارودي، لا خلاف، قد لبث زمناً يحاول أن يلبس عباءة المتنبي، ويراه ففضفاضة عليه، حتى تقاذفته رياح السياسة فرفعته إلى رئاسة الوزراء، ثم رتمه بعد أشهر في سيلان منفيًا، فلبس عباءة نفسه، فكان بشير عصر جديد في الشعر العربي. ثم مضيت أرتب الشعراء بحسب سنة الميلاد. أفهمنا الزهاوي أن الشعر يمكن أن يقال بلغة عصرية، وزاد فشحن شعره بالفكر والفلسفة. وفي مصر اعتلى شوقي كتفي البارودي، وظل مثله يقلد القدماء؛ ولكنه، بثقافته العريضة ويحياته مصر السياسية النشطة في زمنه حلق فوق النور. والقلب كان شاعريته. وواكب حافظ إبراهيم شوقي وناقسه في محافل التهاني والتأبين شعر فيه رنين يصلح للمنابر، وعاش شعر حافظ بما فيه من سهولة وفصاحة ولقطة ما فيه من إبداعات تاريخية اكتظ بها شعر شوقي. وأسهل من شعر حافظ كان شعر الرصافي، فشاعر العراق، على فصاحة لسانه، كان يشبه حافظاً في بوهيميته وفي قلة احتفاله بالإشارات التاريخية. وخاتمة شعراء هذا الكتاب الجواهري، هذا شاعر عاش القرن العشرين كله، تنقص سنتان من أوله وثلاث من آخره. كان منبري الأسلوب كحافظ، وكانت حياته ترجمة شعرية لحياة العراق السياسية في القرن العشرين، قال الشعر في زمن بني عثمان، وزمن الإنجليز، وزمن فيصل، وكان مقرباً لعبد الكريم قاسم ثم هجره، وناوش العهد البعثي قريباً وبعداً. أصدق التاريخ مع متجده في قصائد الشعراء، فإن زعم زاعم أن هذا الكتاب كتاب تاريخ فليزعم.

مرفق مع الكتاب تسجيلات صوتية من قصائد «إحياء الشعر» بصوت المؤلف عارف حجاوي، وهي مرقمة بحسب ترقيمها في الكتاب.

تم التسجيل في استديوهات مركز الجزيرة للتدريب الإعلامي.



القاهرة - المعادي - شارع المعراج

almashreq.books@gmail.com



1 2 3 4 5 9 6 8 7 5 4 4 8

إحياء الشعر

